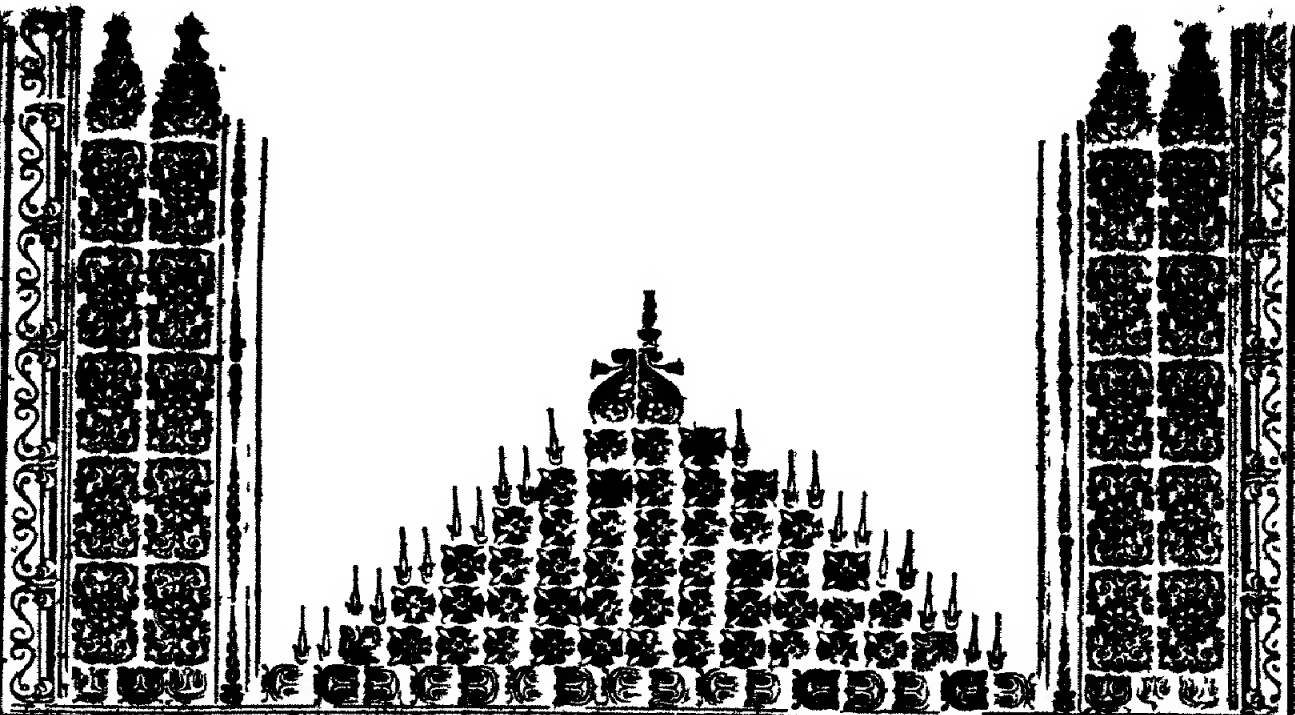


(الطبعة الاولى)

الجزء الاول
من التفسير المفيد لمعالم
التنزيل المسفر عن وجوه محاسن
انتاويل المسمى طبقا لمعناه من اخ لمبيد
لكشف معنى قرآن مجيد لجامعة العالم النحرير
وعلم الفضل الشهير المتحلي بكرم الشيم ومهابة
الاعزاز العلامة الشيخ محمد نوري من علماء
الحجاز نفع الله تعالى بعلمه المسلمين
وجعله اواياهم من خيار
أحبه المقبولين

بالطبعة الغنائية سنة ١٣٠٥



بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته واستسلم كل شيء لقدرته وخضع كل شيء
لملكه فسبحان الله شارع الاحكام المميز بين الحلال والحرام أحسنه على ما نفع من غوامض العلوم
بأخراج الافهام والصلوة والسلام على سيدنا محمد الذي أزال بيانه كل إبهام وعلى آله وأصحابه أولى
التعاقب والاحلام صلاة وسلاما دائما من مادامت الايام (أما بعد) فيقول أحقر الووري محمد نوري قد أمرني
بعض الاعزة عندي أن أكتب تفسير القرآن المجيد فترددت في ذلك زمانا طويلا خوفا من أن يدخل في
قوله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ وفي قوله صلى الله عليه وسلم من قال
في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فأجبتهم الى ذلك للاقتداء بالسلف في تدوين العلم ابقاء على الخلق
وليس على فعلي مزيد ولكن لكل زمان تجديد وليكون ذلك عوناً للقاصرين مثلي وأخذته من
الفتوحات الالهية ومن مفاتيح الغيب ومن السراج المنير ومن تنوير المقباس ومن تفسير أبي السعود
(ومجيبته) مع الموافقة لتاريخه معراج لبيد لكشف معنى قرآن مجيد وعلى الكريم الفتح اعقادي
واليه تفويض واستنادي والآن أشرع بحسن توفيقه وهو المعين لكل من لجأ به

(سورة الفاتحة مكية أو مدنية سبع آيات)

والسابعة صراط الذين إلى آخرها ان كانت البسطة منها وان لم تكن منها فالسابعة غير المقصود
عليهم إلى آخرها وهي مشتقة على أربعة أنواع من العلوم أحدها علم الاصول وقد جمعت الاهيات
إلى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم والنبوات في الذين أنعمت عليهم والدار الآخرة في تلك

يوم الدين وثانيها علم الفروع وأعظمه العبادات وهي ما يتقربون به وهما مفتقرتان إلى أمور المعاش
من المعاملات والمناكبات ولا بد لها من الأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي وثالثها علم تحصيل
الكمال في علم الأخلاق ومنه الاستقامة في الطر يققو إلى ذلك الإشارة بقوله وإياك نستعين وقد
جعت الشريعة كلها في الصراط المستقيم ورابعها علم القصص والأخبار عن الأمم الخالية وقد جمعت
السعداء من الأنبياء وغيرهم في الذين أنعمت عليهم والاشقياء من الكفار في غير المغضوب عليهم
والضالين (بسم الله الرحمن الرحيم) الباء بها الله والسين ابتداء اسمه جميع والميم ابتداء اسمه مجيد مليل
والالف ابتداء اسمه الله واللام ابتداء اسمه لطيف والهاء ابتداء اسمه هادي والراء ابتداء اسمه رزاق
والحاء ابتداء اسمه حلیم والنون ابتداء اسمه نافع ونور (الحمد لله) والشكر لله بنعمة السوابغ على عباده
الذين هداهم للإيمان (رب العالمين) أي خالق الخلق ورازقهم ومحو لهم من حال إلى حال (الرحمن)
أي العاطف على البار والفاخر بالزرق لهم ودفع الآفات عنهم (الرحيم) أي الذي يستر عليهم الذنوب
في الدنيا ويرحمهم في الآخرة فيدخلهم الجنة (مالئوم الدين) بآيات الف عند اسم والكسائي
ويعقوب أي متصرف الأمر كله في يوم القيامة كما قال تعالى يوم لا عملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله
وعند الباقين بحذف الف والمعنى أي المتصرف في أمر القيامة بالأمر والنهي (إياك نعبد) أي
لا نعبد أحدا سواك (وإياك نستعين) أي بك نستعين على عبادتك فلا حول عن المعصية إلا بعصمتك
ولا قوة على الطاعة إلا بتوفيقك (اهدنا الصراط المستقيم) أي زدنا هداية إلى دين الإسلام أو المعنى
أدنا مهديين إليه (صراط الذين أنعمت عليهم) أي دين الذين مننت عليهم بالدين من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين (غير المغضوب) أي غير دين اليهود الذين غضبت (عليهم ولا الضالين)
أي وغير دين النصارى الذين ضلوا عن الإسلام ويقال المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون
لأن الله تعالى ذكر المؤمنين في أول البقرة في أربع آيات ثم نفي ذكر الكفار في آيتين ثم نفي ذكر
المنافقين في ثلاث عشرة آية ويسن للقارئ بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين وهو اسم معني فعل أمر
وهو استجب

(سورة البقرة مدنية أو مكية مائتان وسبع وثمانون آية وكلما تأملتها ثلاث

آلاف ومائة وحرفها خمس وعشرون ألفا وخمس مائة

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) قال الشعبي وجماعة الم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من التشابه
الذي أنفرد الله به له وهي سر القرآن فمن يؤمن بظاهرها وتفوض العلم فيها إلى الله تعالى وفائدة ذكرها
طلب الإيمان بها والله تعالى اختص بعلم لا تقدر عليه عقول الأنبياء والأنبياء اختصوا بعلم لا تقدر عليه
عقول العلماء والعلماء اختصوا بعلم لا تقدر عليه معقول العامة وقال أبو بكر رضي الله عنه في كل كتاب
سر وسر الله في القرآن أوائل السور (ذلك الكتاب لا ريب فيه) أي هذا الكتاب الذي يقرؤه عليكم
رسولي محمد لا شك في أنه من عندي فمن آمنتم به هديتكم وإن لم تؤمنوا به عذبتكم (هدى للتين) أي
رحمة لامة محمد صلى الله عليه وسلم (الذين يؤمنون بالغيب) أي يصدقون بما لم يروا من الجنة والنار
والعصا والميزان والبعث والحساب وغير ذلك وقيل المراد بالغيب القلب والقلوب يؤمنون بقلوبهم

لا كالذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم (ويقيمون الصلاة) أي يقومون الصلاة الخمس بالشروط
 والأركان والهيئات (وعمار زقناهم ينفقون) أي عما أعطيناهم من الأموال يتصدقون لطاعة الله
 تعالى وهو أبو بكر الصديق وأصحابه (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) من القرآن (وما أنزل من
 قبلك) على سائر الأنبياء من التوراة والإنجيل والزبور وغيرها من سائر الكتب السابقة على القرآن
 (وبالآخرة هم يوقنون) أي وهم يصدقون بما في الآخرة من البعث بعد الموت والحساب ونعيم الجنة وهو
 عند الله بن سلام وأصحابه (أولئك) أي أهل هذه الصفقة (على هدى) أي كرامة نزل (من ربهم
 وأولئك هم المفلحون) أي الناجون من السخط والعذاب وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (إن
 الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي الذين كفروا في علم الله متساردينهم
 أنذارك إياهم بالقرآن وعدمه وهم لا يريدون أن يؤمنوا بما جئت به فلا تطمع يا أشرف الخلق في إيمانهم
 ثم ذكر الله سبب تركهم الإيمان بقوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) أي طبع الله على
 قلوبهم فلا يدخلها إيمان وعلى سمعهم فلا يسمعون بما يسمعون من الحق ووجد السمع لوحدة السمعوع
 وهو الصوت (وعلى أبصارهم غشاوة) مبتدأ وخبر أي على أعينهم غطاء من عند الله تعالى فلا يبصرون
 الحق (ولهم عذاب عظيم) أي شديد في الآخرة وهم رؤساء اليهود الذين وصفهم الله بأنهم يكتمون
 الحق وهم يعلمون وهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وجرى بن أخطب ويقال هم مشركو أهل مكة
 هتبه وشيبة والوليد بن المغيرة وأبي جهل (ومن الناس من يقول آمنا) في السر (بالله وباليوم
 الآخر) أي بالبعث بعد الموت الذي فيه جزاء الأعمال (وما هم بمؤمنين) في السر (يخادعون الله)
 أي يكذبونه في السر (والذين آمنوا) أي أبابكر وسائر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وما يخادعون)
 أي يكذبون (الأنفسهم) وهذه الجملة حال من ضمير يخادعون أي يفعلون ذلك والحال أنهم هم
 ما يضرون بذلك لأنفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم وقرأ عاصم وابن عامر وحجزة والكسائي
 وما يخادعون يفتح الياء وسكون الحاء وفتح الدال وقرأ الباقر بن بضم الياء وفتح الحاء مع المد وكسر الدال
 ولا خلاف في قوله يخادعون الله فالجميع قرأ بضم الياء وفتح الحاء وبالالف بعدها وكسر الدال وأما
 الرسم فبغير ألف في الموضعين (وما يشعرون) أن الله يطلع نبيه على كذبهم (في قلوبهم مرض)
 أي شك وظلمة (فزادهم الله مرضا) أي شكوا وظلمة بما أنزل من القرآن لأنه كلما أنزل آية كفروا بها
 فزادوا شكوا وخلافا (ولهم عذاب أليم) أي وجيع في الآخرة يخلص وجعه إلى قلوبهم (بما كانوا
 يكذبون) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالتشديد أي بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم
 وقرأ الباقر بن تخفيف الدال أي بكذبهم في قولهم آمنا في السر وهم المنافقون عبد الله بن أبي وجدي بن قيس
 ومعتب بن قشير (وإذا قيل لهم) أي لهؤلاء المنافقين (لا تفسدوا في الأرض) بتعويق الناس عن
 دين محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا انما نحن مصلحون) وانما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة
 الصلاح لما في قلوبهم من المرض قال الله تعالى رداعليهم أبلغ رد (ألا) أي بلى (أنهم هم المفسدون)
 لما بالتعويق (ولكن لا يشعرون) أن الله تعالى يطلع نبيه على فسادهم (وإذا قيل لهم آمنوا) بمحمد
 صلى الله عليه وسلم والقرآن أي أن المؤمنين فهم المنافقين من وجهين أحدهما النهي عن الفساد
 وهو التحلي عن الرذائل وثانيها الأمر بالإيمان وهو التحلي بالفضائل (كما آمن الناس) أي الكاملون
 في الإنسانية العاملون بقضية العقل كأصحاب النبي أو كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمنين أهل الكتاب

والعنى آمنوا ايماناً مقروناً بالاخلاص متحصلاً عن شوائب النفاق مماثلاً لايمانهم (قالوا) فيما بينهم
لا بحضرة المسابن (أنؤمن) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (كأمن السفهاء) أى الجهال وانما
سفهوا المؤمنين لتحقير شأنهم لأن أكثرهم فقراء وبعضهم موال كصهيب وبلال أولعدهم بالمبالاة بمن
آمن منهم انفسر الناس بعبد الله بن سلام وأصحابه قال الله تعالى رداعليهم أبلغ رد (ألا) أى بلى (انهم هم
السفهاء) أى الجهال الخرفى (ولكن لا يعلمون) انهم سفهاء (واذا لقوا) أى المناقون (الذين
آمنوا) أيا بكر وأصحابه (قالوا آمنا) فى السر كما يمانكم (واذا خلوا) أى عادوا (الى شياطينهم)
أى أكثرهم الذين يقدرون على الافساد فى الارض وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة
وأبو بردة فى بنى أسلم وعبد الدار فى جهينة وعوف بن عامر فى بنى أسد وعبد الله بن الاسود بالشام (قالوا)
لهم لسلالة وهم موافقهم المباينة (انامعكم) أى على دينكم فى السر (انما نحن) فى اظهار
الايمان عند المؤمنين (مستهزؤن) بهم من غير أن يخطر ببالنا الايمان حقيقة (الله يستهزئ بهم)
أى الله يعاملهم معاملة المستهزئ فى الدنيا وفى الآخرة أما فى الدنيا فلا نه تعالى أطلع الرسول على أسرارهم
مع انهم كانوا يبالغون فى اخفائهم عنه وأما فى الآخرة فقال ابن عباس اذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون
النار فتح الله من الجنة باباً على الجحيم فى الموضع الذى هو مسكن المنافقين فاذا رأى المنافقون الباب مفتوحاً
خرجوا من الجحيم ويتوجهون الى الجنة وأهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة سد عليهم
الباب وذلك قوله تعالى فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون (ويعددهم فى طغيانهم) أى يزيدهم
فى ضلالهم (يعمّهون) أى يترددون فى الكفر وتركة تكميرين (أولئك الذين اشترى الضلالة
بالهدى) أى أولئك الموصوفون بالصفات السابقة من قوله ومن الناس اختاروا الكفر على الايمان
(فأرجحت تجارتهم) أى فلم يرجحوا فى تجارتهم بل خسروا (وما كانوا مهتدين) الى طرق التجارة فان
المقصود منها سلا مقراًس المال والرجح وهؤلاء قد أضاعوهم أقرأس ما لهم العقل والصرف ورجحه الهدى
(مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً) أى صفة المنافقين فى حال نفاقهم كصفة الذى أوقد ناراً فى ظلمة لى
يأمن بها على نفسه وأهله وماله (فلما أضاءت ما حوله) أى فلما أضاءت النار المكان الذى حول المستوقد
فأبصروا آمن مما يخافه (ذهب الله بنورهم) أى أطفأ الله النور المقصود بالابقاد فبقى المستوقدون فى
ظلمة وخوف (وتركهم) أى المستوقدين (فى ظلمات) ظلمة الليل وظلمة تراكم العمام فيه
وظلمة انطفاء النار (لا يبصرون) ما حولهم فكذلك هؤلاء المنافقون آمنوا على أنفسهم وأولادهم
وأموالهم بسبب اظهار كلمة الايمان فاذا ما تواجاها هم الخوف والعذاب وهم فى القبر وما بعده
(صم) عن الحق فلا يسمعونهم معاقب قول (بكم) عن الخير فلا يقولونه قولاً مطابقاً للواقع لما سبق انهم
مؤمنون ظاهراً (عمى) عن طريق الهدى فلا يرونه رؤىة نافعة (فهم لا يرجعون) عن كفرهم
وضلاتهم (أو كصيب) أوصفة المنافقين كصفة أصحاب مطر نازل (من السماء) أى السحاب ليلا
وهم فى مغارة (فيه) أى الصيب (ظلمات) ظلمة تكاثفها بتتابع القطر وظلمة اطلال الغمامة مع ظلمة
الليل (ورعد) وهو صوت يسمع من السحاب كأن اجرام السحاب تضطرب اذا أخذتها الریح فتصوت
عند ذلك من الارتعاد (وبرق) وهو ما يلمع من السحاب (يجعلون) أى أصحاب الصيب (أصابهم
فى آذانهم من الصواعق) أى من أجل الصيحة الشديدة من صوت الرعد يكون معها قطرة نار (حذر
الموت) من سماعها فكذلك هؤلاء المنافقون اذا نزل القرآن المشبه بالمطر فى أن كلا سبب الخلية وفيه ذكر

الكفر المشبه بالنظلمات وعدم الاهتداء وذكروا عبيد على الكفر المشبه بالرعد في ازعاجه وارهابه وذكروا
 الخلق البينة المشبه بالبرق في ظهوره يهدون آذانهم من ههنا القرآن حذر الميل الى الايمان الذي هو
 عنزة الموت عندهم فان ترك الدين موت (وانه محيط بالكافرين) علما وقدره فلا يغتونه تعالى لان
 الخاطا لا يغوت المحيط (يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء) أي البرق (لهم مشوافيه) أي في ضوء البرق
 (ولذا اظلم عليهم قاموا) أي بقوا في الظلمة وهذا غشيل لازعاج ما في القرآن قلوبهم باختطاف البرق
 بأبصارهم ولتصديقهم لما يحبونه من تحصيل الغنية وعصاة الدماء والاموال بعشيم في البرق ولوقوفهم
 لما يكرهون من التكليف الشاقة عليهم كالصلاة والصوم بوقوفهم في الظلمة (ولو شاء الله) أن يذهب
 بسهمهم وأبصارهم (لذهب بسهمهم) بتصفيف الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق كذلك لو شاء الله
 لذهب بسهم المنافقين بزجر ما في القرآن وعبيد ما فيه وأبصارهم بالبيان (ان الله على كل شيء) أي
 عاكن من ذهاب السمع والبصر (قدير) قال الفخر الرازي وأضاء امامه تعدد معني كلما نور لهم مبيلا
 أخذوه واما غير متعدد معني كلما لمع لهم مشوافيه بطرح نوره ويقويه قراءة ابن أبي عملة كلما ضاء (يا أيها
 الناس) أي يا أهل مكة أو يا أيها اليهود (اعبدوا ربكم) أي وحدوه بالعبادة (الذي خلقكم)
 نسما من النطفة (والذين من قبلكم) أي أنشأهم ولم يكونوا شيئا (لعلكم تتقون) أي لكي تتقوا
 السخط والعذاب بعبادته ولعل للاطماع لكن الكريم الرحيم اذا أطمع أجرى اطماعه مجرى وعده
 المحتموم فلهذا السبب قيل لعل في كلام الله تعالى بمعنى كي (الذي جعل لكم الارض فراشا) أي
 بساطا (والسما بناء) أي سقفا مرفوعا وغير عنه بالبناء لاحكامه (وانزل من السماء ماء) وعن
 خالد بن معدان قال المطر ماء يخرج من تحت العرش فينزل من سما الى سما حتى يجتمع في سما الدنيا
 فيجتمع في موضع فتجيء السحاب السود فتدخله فتشربه فيسوقها الله حيث شاء (فأخرج به من الثمرات
 رزقا لكم) أي أنبت الله بالمطر من ألوان الثمرات طعاما لكم ولسائر الخلق (فلا تجعلوا لله أندادا) أي
 شركاء في العبادة (وأنت تعلمون) أن الانداد لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله أو يقال وأنتم تعلمون انه
 ليس في التوراة والانجيل جواز اتخاذ الانداد (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) محمد من القرآن
 في انه من عند نفسه (فأوبسورة من مثله) أي من ما هو على صفة ما نزلنا في الفصاحة وحسن النظم
 والاخبار بالغيوب (وادعوا شهداءكم من دون الله) أي ادعوا أكابركم من غيره تعالى عن يوافقكم
 في انكار أمر محمد ليعينوكم على المعارضة واجهكم موالكم وعليكم فيما يمكن ويتعذر وقد كان في العرب
 أكابر يشهدون على المتنازعين في الفصاحة بأن أحدهما أعلا درجة من الآخر (ان كنتم صادقين)
 في مقالكم ان محمد ايقول من تلقاء نفسه (فان لم تفعلوا) أي لم تأوبسورة من مثل المنزل (ولم
 تفعلوا) أي لن تقدر وأن تجيئوا بمثله (فاتقوا النار) والمعنى اذا ظهر عجزكم عن المعارضة مع عندكم
 صفى محمد عليه السلام واذا مع ذلك فاتركوا العناد واذ الزمت العناد استوجبتم العقاب بالنار (التي
 يوقودها الناس) أي حطبها الكفار (والحجارة) المعبودة لهم قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
 حصب جهنم (أعدت) أي هيئت تلك النار (للكافرين) بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم (وبشر الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات) أي الطاعات (أن لهم جنات) أي بساكن ذات شجر ومساكن والمأمور
 بالبراءة اما رسول الله صلى الله عليه وسلم واما كل أحد يقدر على البشارة وهذا أحسن كما حال صلى الله
 عليه وسلم بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة ولم يأمر صلى الله عليه وسلم بذلك

واحد ابينه وقرأ زيد بن حلي وبشر بلفظ المبني للفعول عطف على أعدت (تجري من تحتها) أي من
 تحت شجرها ومساكنها (الأنهار) أي أنهار الخمر واللبن والعسل ولما هو عن مسروق أنها الجنة
 تجري في غير محدود (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) أي كل حين رزقوا مبرز وقام الجنات من نوع
 ثمرة (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) أي هذا مثل الذي أطعمنا في الجنة من قبل هذا الذي أحضر
 النبا قال تعالى تصديقاً في تلك الدعوى (وأتوا به مشابها) أي أتهم الملائكة والولدان برزق الجنة
 متشابه بعضه بعضاً في اللون مختلفاً في الطعم (ولهم فيها) أي الجنات (أزواج) من الخور والآدميات
 (مطهرة) من الحيض وجميع الاقدار ومن دنس الطبع وسوء الخلق (وهم فيها خالدون) أي دائمون
 لا يموتون ولا يخرجون (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً) أي إن الله لا يترك أن يبين للخلق مثلاً أي
 مثل كان (بعوضة فافوقها) في الذات كالذباب والعنكبوت أو في الغرض المقصود من التمثيل كجناح
 البعوضة وكيف يستحي الله من ذكر شيء واجتمع الحدائق كلهم على تخليقه ما قدر وأعلى عليه والمراد
 بالبعوضة هنا الناموس وهو من عجيب خلق الله تعالى فإنه في غاية الصغر وله ستة أرجل وأربعة أجنحة
 وذنب وخرطوم مجوف وهو مع صغره بغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية
 حتى أن الجمل يموت من قرصته (فأما الذين آمنوا فاعلمون أنه) أي ضرب المثل (الحق) أي الثابت
 (من ربهم) فلا يسوغ إنكاره لأنه ليس عينا بل هو مشتمل على الأمرار والقوائد (وأما الذين
 كفروا) من اليهود (فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً) تميز نسبة من اسم الإشارة أي فائدة في
 هذا المثل قال الله تعالى في جوابهم (يضل به) أي هذا المثل عن الدين (كثيراً) من اليهود
 (ويهدى به كثيراً) من المؤمنين (وما يضل به إلا الفاسقين) أي الخارجين عن حد الإيمان (الذين
 ينقضون عهد الله) هو الحجة القائمة على عبادة الدالة على وجوب وجوده وحدانيته وعلى وجوب صدق
 رسوله (من بعد ميثاقه) أي توكيده (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) فأنه أمرهم أن يصلوا أحبلهم
 بجبل المؤمنين فهم انقطعوا عن المؤمنين واتصلوا بالكفار (ويفسدون في الأرض) بتعويق الناس
 عن الإيمان بمعد صلي الله عليه وسلم والقرآن (أولئك) الموصوفون بنقض العهد وما بعده (هم الحاسرون)
 أي المقبونون بذهاب حسناتهم التي عملوها وبذهاب نعيم الجنة الذي وأطاعوا الله لوجوده (كيف
 تكفرون بالله) الحال أنكم (كنتم أمواتاً) أجساماً لا حياة لها نطفاً وعلقاً ومضغاً (فأحياكم)
 بنفخ الأرواح فيكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) بالنشور (ثم إليه ترجعون)
 بعد الحشر فيجازيكم على أعمالكم إن خير أن خير وأن شراً شر ثم والمعنى ثم إليه تنشرون من قبوركم للحساب
 (هو الذي خلق لكم) أي لأجل انتفاعكم في الدين والدنيا بالاستدلال على موجودكم وإصلاح الأبدان
 (ما في الأرض جميعاً ثم استوى) أي قصد (إلى) خلق (السما) أي ثم تعلقته أرادته تعلقاً دائماً
 يرجع وجود السماء على عدمها فعلقة القدرة بإيجادها (فسواهن) أي لجعل السماء (سبع
 سموات) والحاصل أن الله تعالى خلق الأرض من غير بسط في يومين ثم خلق السموات السبع مبسوطة
 في يومين ثم خلق ما في الأرض مما ينتفع به في يومين وعن ابن مسعود قال إن الله تعالى كان عرشه على
 الماء ولم يخلق شيئاً قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسماء
 من الماء ثم أيس الماء فجعله أرضاً واحدة ثم فلقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والثنين فجعل
 الأرض على حوت والحوت في الماء على صفاة والنصفاة على ظهر ملك والملك على الصخرة والصخرة على

الى يح تفكرك الحوت تترزبت الارض فارسي عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الارض (والله بكل
 شيء عليم) فلا يمكن أن يكون خالق الارض وما فيها وللسموات وما فيها من العجائب والغرائب الا اذا كان
 عالمها محيطا بجزئياتها وكلبياتها (واذا قال ربك للملائكة) فاذا نصب باضمار اذكر وقيل زائدة وقيل بمعنى
 قد ويصور ان يتصب بقالوا اتجعل أي قالوا ذلك القول وقت قول الله تعالى لهم اني جاعل في الارض خليفة
 روى الفصحاء عن ابن عباس انه تعالى اغما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا في الارض محاربين مع
 ابليس لان الله تعالى لما أسكن الجن الارض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله
 ابليس في جنده من الملائكة فقتلهم ابليس بعسكره حتى أخرجوه من الارض وألقوهم بجزائر البحر
 وهؤلاء من الجن انزلهم الله من السماء الى الارض لطردهم الى الجزائر والجبال ومن كانوا في الارض
 يخفف الله عنهم العبادات وكان ابليس يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله الهيب
 وقال في نفسه ما أعطاني الله هذا الملك الا لاني أكرم الملائكة عليه فقال تعالى له ولجنده (اني جاعل في
 الارض خليفة) أي بدلا منكم ورافعكم الى فكره هو ذلك لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة والمراد به آم عليه
 السلام (قالوا) استكشافا عما خفي عليهم من الحكمة لا اعتراضا على الله تعالى ولا طعن في بني آدم
 على طريق الغيبة (أتجعل فيهما من يفسد فيها) بالمعاصي بمقتضى القوة الشهوانية (ويسفك الدماء)
 بالظلم بمقتضى القوة الغضبية فغفلوا عن مقتضى القوة العقلية التي بها يحصل السكال والفضل (ونحن
 نسبح) أي ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين (بحمدك) على ما أنعمت به علينا من فنون
 النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتمسبح لانتهاجها لظهور صفات الجلال ومجديتها كبر صفات الانعام
 (ونقدس لك) أي نصفيك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا
 عن الذنوب لاجلك أي فنحن أحق بالاستخلاف (قال) تعالى (اني أعلم ما لا تعلمون) من مصلحة استخلاف
 آدم عليه السلام (وعلم آدم الاسماء كلها) أي أسماء كل ما خلق الله من أجناس المحدثات من جميع
 اللغات المختلفة التي يتكلم بها اولاد آدم اليوم (ثم عرضهم) أي ذوات الاشياء (على الملائكة) بأن
 صور الله الاشياء في قلوبهم فصارت كأنهم شاهدها أو خلق الله تعالى معاني الاسماء التي علمها آدم
 حتى شاهدتها الملائكة (فقال) تعالى لهم توبيخا (أنبؤني باسماء هؤلاء) المسميات (ان كنتم
 صادقين) في ذمكم أنكم أحق بالخلافة من استخلفته (قالوا) اقرارا بالجز (سبحانك) أي تبنا اليك
 من ذلك القول (لأعلم لنا الا ما علمتنا) أي وانما قالوا اتجعل فيهما من يفسد فيها لان الله تعالى أعلمهم ذلك
 فكانهم قالوا انك أعلمتنا انهم يفسدون في الارض ويسفكون الدماء فقلنا لك اتجعل فيهما من يفسد فيها
 وأما هذه الاسماء فانك ما علمتنا كيفيتها فكيف نعلمها (انك أنت العليم) أي الذي لا يخرج عن عمله
 شيء (الحكيم) أي المحكم لصنعه (قال) تعالى (يا آدم أنبئهم) أي اخبر الملائكة (باسمائهم)
 أي المسميات (فلما أنبأهم باسمائهم) مفصلة وبين لهم أحوال كل من المسميات وخواصه وأحكامه
 المتعلقة بالعاش والمعاد (قال) الله تعالى لهم موجعا (الم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض)
 أي أعلم غيب ما يكون فيهما (وأعلم ما تبدون) أي تظهرون من قولكم أن تجعل فيها الى آخره (وما كنتم
 تكفون) أي من استبطانكم انكم أحق بالخلافة وروى الشعبي عن ابن عباس وابن مسعود أن المراد
 بقوله تعالى ما تبدون قولهم اتجعل فيهما من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكفون ما أسر ابليس في نفسه
 من الكبر ومن أن لا يسجد وقيل لما خلق الله تعالى آدم رأت الملائكة خلقا عجيبا فقالوا اليك ما شاء فلن

يخلق

يخلق ربنا خلقا لا كسأ كرم عليه منه فهذا الذي كتموه (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) اسجدوا تعظيم
 لآدم من غير وضع الجبهة على الأرض (فسجدوا إلا إبليس أبى) عني أمر الله (واستكبر) أى
 تعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أى صار من الكافرين بأبائه عن أمر الله ويقال إن
 إبليس حين اشتغاله بالعبادة كان منافقا كلفرا وهذا السجود كان قبل دخول آدم الجنة وروى أن
 بنى آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر
 حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض الموكلين بها وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل
 هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وعلى هذا الترتيب إلى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في مقابلة
 ملائكة الكرمى نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السراشق الواحد من سرادقات العرش التى
 عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه ومعه إذا أقبلت به السموات والأرضون وما فيها وما بينها
 فانها كلها تكون شيئا يسيرا وقدر صغيرا وما من مقدار موضع قدم إلا وفيه ملك ساجدا أو راكعا أو قائما لهم
 زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر
 ولا يعلم عددهم إلا الله ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم أشياخ اسرافيل عليه السلام والملائكة التى
 هم جنود جبريل عليه السلام وكلهم مشتغلون بعبادته تعالى لا يحصى أجناسهم ولا مدة أعمارهم
 ولا كيفية عبادتهم إلا الله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك) حواء (الجنة وكلامها) أكل
 (رغدا) أى واسع الذا (حيث شئتما) أى فى أى مكان أردتما منها (ولا تقربا هذه الشجرة) روى
 أن أبابكر الصديق رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشجرة فقال هى الشجرة
 المباركة السنبلة وعن مجاهد وقتادة هى التين وعن يزيد بن عبد الله هى الأترج وعن ابن عباس هى
 شجرة العلم عليها من كل لون وفن (فتكونا من الظالمين) أى فتصير من الضارين لأنفسكما ويقال من الذين
 وضعوا أمر الله تعالى فى غير موضعه (فأزلهما الشيطان) أى أزلهما إبليس (عنها) أى الجنة
 وقرأ حمزة بألف بعد الزاى والباقون بغير ألف وتشديد الهمزة (فأخرجهما مما كانا فيه) أى من الرغد
 (وقلنا) لآدم وحواء وإبليس (اهبطوا) انزلوا إلى الأرض فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على
 جبل يقال له نود ووهبط حواء بجدة وإبليس بالآيلة من أعمال البصرة (بعضكم لبعض عدو) قال
 الله تعالى إن الشيطان لكأعدو مبين (ولكم فى الأرض مستقر) أى منزل (ومتاع) أى منفعة
 ومعاش (إلى حين) أى إلى وقت الموت (فتلقى آدم من ربه كلمات) أى حفظ آدم من ربه كلمات لكى
 تكون سبباً له ولاولاده إلى التوبة وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات أى جاءته عن الله تعالى ثلاث
 قال سعيد بن جبر عن ابن عباس أنها لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فاغفرلى
 أنك أنت خير الغافرين لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فارحنى أنك أنت خير
 الراحمين لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فتاب على أنك أنت التواب الرحيم وقال
 مجاهد وقتادة هى ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (فتاب عليه) أى
 رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة (انه هو التواب) أى الرجاء على عباده بالشفقة (الرحيم) أى
 البالغ فى الرحمة لمن مات على التوبة (قلنا اهبطوا منها) أى الجنة (جميعا) أما فى زمان واحد وفى أزمنة
 متفرقة وفائدة تكرير الأمر بالهبوط أن آدم وحواء لما أتيا بالزلة أمر بالهبوط فتابا بعد الأمر به وروى
 فى قلبهما أن الأمر به لما كان بسبب الزلة فبعد التوبة لا يبقى الأمر به فأعاد الله الأمر به مرة ثانية ليه
 أن الأمر به باق بعد التوبة لأن الأمر به كان تحقيقاً للوعد المتقدم فى قوله تعالى إني جاعل فى الأ

خليفة على هذا فالجمع لاثنتين فقط آدم وحواء ويحتمل كون الجمع لهما ولولديهما قابيل وأقلميا بناء
 على القول بأنهما ولدا في الجنة ولعل عدم ذكرهما كونهما تابعين لأبويهما وكان قابيل قد غضبه أبواه
 لقتله هابيل (فأما يأتينكم) يا ذرية آدم (منى هدى) دلالة كدليل العقل والنقل وان للشرطية أدغت
 في ما الزائدة للتأكيد (فن تبسع هداى) بأن تأمل الأدلة بمقتها واستنتج المعارف منها (فلا خوف عليهم)
 فيما يستقبلهم من العذاب (ولا هم يحزنون) على ما فاتهم من الدنيا ويقال فلا خوف عليهم إذا ذبح الموت
 ولا هم يحزنون إذا طبقت النار وزوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات وزوال الحزن يقتضى
 الوصول إلى كل اللذات والمرادات وهذا يدل على أن المكاف الذى أطاع الله تعالى لا يلحقه خوف في القبر
 وعند البعث وعند حضور الموقف وعند تطاير الكتب وعند نصب الميزان وعند الصراط (والذين كفروا)
 برسولنا المرسل اليهم (وكذبوا بآياتنا) المنزلة عليهم سواء كانوا من الأنفس أو من الجن (أولئك أصحاب النار)
 أى أهل النار وملأوا بها حيث لا يفارقونها (هم فيها خالدون) أى دائمون لا يخرجون منها ولا يموتون
 فيها (يا بنى إسرائيل) أى يا أولاد يعقوب وهذا خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من
 فولاد يعقوب عليه السلام في أيام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم)
 أى على آبائكم من الانحاء من فرعون وطلق البحر وتظليل الغمام في التيه وانزال المن والسلوى فيه
 واعطاء الحجر الذى كان كراس الرجل يسقيهم ماشوا ومن الماء متى أرادوا واعطاء عود من النور ليضيئ
 لهم بالليل وجعل رؤسهم لا تتشعث وتياهم لا تبلى وجعلهم أنبياء وملوكا بعد أن كانوا عبدا للعبث وانزال
 الكتب العظيمة التى ما أنزلها الله على أمة سواهم أى أقيموا بشكر تلك النعمة (وأوفوا بعهدى) أى
 أوفوا بما أمرتكم به من الطاعات ونهيتكم عنه من المعاصى ومن الوفاء بالأمر الايمان بمحمد صلى الله
 عليه وسلم (أوف بعهدكم) أى أرض عنكم وأدخلكم الجنة (واياى فارهبون) فيما تأتون وتتركون
 واعلم أن كل من كان خوفه في الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر وبالعكس روى أنه ينادى مناد يوم
 القيامة وعزى وجلالى أنى لا أجمع على عبدى خوفين ولا آمنين من أمننى في الدنيا خوفته يوم القيامة
 ومن خافنى في الدنيا أمنته يوم القيامة (وآمنوا بما أنزلت) من القرآن (مصدقا) أى موافقا
 بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وبعض الشرائع (لما معكم) من التوراة (ولا تكونوا أول
 كافرين) أى بالقرآن من اليهود فإن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وفيها قريظة والنضير
 فكفروا به صلى الله عليه وسلم ثم تابعت سائر اليهود على ذلك الكفر ويقال ولا تكونوا أول من يهدم
 المعرفة لأن كفر قريش كان مع الجهل لامع المعرفة (ولا تشتروا بآياتى) أى بكمثال صفة محمد (ثمنا
 قليلا) أى عوضا يسيرا وذلك لأن رؤساء اليهود مثل كعب بن الأشرف وحجي بن أخطب وأمثالهم ما
 كانوا يأخذون من سفلة اليهود الهدايا وعلموا أنهم لو اتبعوا محمد لا تقطعت عنهم تلك الهدايا فأصرروا على
 الكفر لئلا ينقطع عنهم ذلك القدر المحقر وذلك لأن الدنيا كلها بالنسبة إلى الدين قليلة جدا ثم تلك الهدايا
 كانت في نهاية القلة بالنسبة إلى الدنيا (واياى فاتقون) أى تخافون في شأن هذا النبي صلى الله عليه
 وسلم (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتسكتوا الحق) والباء للاستعانة والمعنى ولا تخططوا الحق بسبب
 الشبهات التى توردونها على السامعين وذلك لأن النصوص الواردة في التوراة والانجيل في أمر محمد كانت
 نصوصا خفية يحتاج في معرفتها إلى الاستدلال ثم أنهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على
 المتأملين فيها بسبب القاء الشبهات (وأنتم تعلمون) ما في اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم
 يوم القيامة وذلك لأن التلبس صار صارا للخلق عن قبول الحق إلى يوم القيامة وداعيا لهم إلى الاستقرار

على الباطل الى يوم القيامة ثم ذكر الله لزوم الشرائع عليهم بعد الايمان (واقموا الصلاة) أى أعوا
الصلوات الخمس (وآتوا الزكاة) أى أعطوا زكاة أموالكم (واركعوا مع الراكعين) أى صلوا
الصلوات الخمس مع المصلين محمد وأصحابه في جماعتهم وخص الله الركوع بالذكر تحريضا لليهود على
لا تيان بصلاة المسلمين فان اليهود لا ركوع في صلاتهم فسكاته تعالى قال صلوا الصلاة ذات الركوع
في جماعة (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) روى عن ابن عباس انه قال ان أخبار المدينة اذا
جاءهم أحد في الخفية لاستعلام أمر محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هو صادق فيما يقول وأمره حق
فاتبعوه وهم كانوا لا يتبعونه لطمعهم في الهدايا والصلاة التي كانت تصل اليهم من أتباعهم ويقال ان
جماعة من اليهود كانوا قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرون مشركي العرب أن رسولا سيظهر
منكم ويدعوا الى الحق وكانوا يرجونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا
به فبكتهم الله تعالى بذلك فقال (وأنتم تتلون الكتاب) أى التوراة الناطقة بنعوت محمد صلى الله عليه
وسلم (أفلا تعقلون) أى أتأمنون فلا تعقلون ما فيه (واستعينوا) أيها اليهود على ترك ما تحبون
من الدنيا وعلى الدخول فيما تستثقله طباكم من قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم (بالصبر) أى
بجس النفس عن الذات (والصلاة) فانها جامعة لأنواع العبادات (وانها) أى الصلاة (الكبيرة)
أى لشاقة (الاعلى الخاشعين) أى المائلين الى الطاعة (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) بالوت في
كل لحظة وذلك لان كل من كان منتظرا للوت في كل لحظة لا يفارق قلبه الخشوع فهم يبادرون الى
التوبة لان خوف الموت عما يقوى دواهي التوبة (وأنهم اليه راجعون) في الآخرة فيجازيهم بأعمالهم
(يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين) أى واذكروا اني
فضلت آباءكم على الموجودين في زمانهم لا على من مضى ولا على من يوجد بعدهم وأيضا معني تفضيلهم
على جميع العوالم ان الله تعالى بعث منهم رسلا كثيرة لم يبعثهم من أمة غيرهم ففضلوا هذا النوع من
التفضيل على سائر الأمم (واتقوا) أيها اليهود اذ لم تؤمنوا (يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا
يقبل) بالتأنيث على قراءة ابن كثير وأبي عمرو وبالتذكير على قراءة الباقيين (منها شفاعة ولا يؤخذ منها
عدل) أى فداء (ولاهم ينصرون) أى يغنون من عذاب الله تعالى ومعنى الآية أن يوم القيامة
لا تنوب نفس عن نفس شيئا ولا تحمل عنها شيئا مما أصابها بل يغفر الله فيه من أخيه وأموأبيه ومعنى هذه
النيابة ان طاعة المطيع لا تقضى عن العاصي ما كان واجبا عليه (واذنجيناكم) وقرئ أنجيناكم
ونجيتكم فاذا في موضع نصب عطفا على نعمتي عطف تفصيل على مجمل وكذلك الظروف الآتية في
الكلام المتعلق ببني اسرائيل وينقضي عند قوله تعالى سيقول السفهاء والخطاب للوجودين في زمن
نبينا نذكراهم بما أنعم الله على آباؤهم لان انجاء الآباء سبب في وجود الأبناء والمعنى ويا بني اسرائيل
اذكروا اذنجيناكم (من آل فرعون) أى أتباعه وأهل دينه وهم فرعون أكثر من أربع مائة
سنة وهو الوليد بن مصعب بن ديان (يسمونكم سوء العذاب) أى يطلبون لكم أشد العذاب ثم بين
الله ذلك بقوله (يذبحون أبناءكم) صفارا وقرئ يذبحون بالتحفيف (ويستحيون نساءكم) أى
يتركونهن احياء صفارا ويقال يستخدمنهن كإراود ذلك ان فرعون رأى في منامه نارا أقبلت من بيت
المقدس حتى أحاطت ببيوت مصر وأحرقت كل قبطن وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة
وسأهم عن ذلك فقالوا يولد في بني اسرائيل ولد يكون هلاك القبط وزوال ملكك على يده فأمر فرعون
بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل حتى قتل من أولادهم اثني عشر ألف صبي (وفي ذلكم بلاء من ربكم

عظيم) والبلاء ههنا هو المحنة ان اشير بلفظ ذلكم الى صنع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء وحمل
 البلاء على النعمة احسن لانها هي التي صدرت من الله تعالى ولان موضع المحبة على اليهود انعام الله
 تعالى على اسلافهم ثم ان كون استبقاؤهم على الحياة محنة مع انه ترك للعذاب لما أن ذلك كان
 للاستعمال في الاعمال الشاقة وكان سبيلا لا تقطاع النسل وفساد أمرهم عيشتهم (واذ فرقنا بكم
 البحر) أي واذا كروا اذ قلنا بسببكم أي لاجل ان يتيسر لكم سلوكه (فأنجيناكم) من الفرق
 بانخراجكم الى الساحل (وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) التظام أمواج البحر بفرعون وقومه
 وترون بعد ثلاثة أيام جثثهم التي قد قذفها البحر الى الساحل وفرعون معهم طاقين روى انه تعالى أمر
 موسى عليه السلام أن يسرى بني اسرائيل وكانوا اثني عشر سبطا كل سبط خمسون ألفا فلما خرج موسى
 ببني اسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال لا تتبعوهم حتى يصبح الديك ثم اجتمع الى فرعون ألف ألف ومائتا
 ألف كل واحد منهم على فرس فتنبعوا موسى وقومه نهرا وصادفوه على شاطئ البحر فضرب موسى
 بعصاه لبحر فانشق البحر اثني عشر جبلا في كل واحد منها طريق فكان فيه وحل فهبت الصبا لبحر البحر
 حتى صار طريقا يسافا أخذ كل سبط منهم طريقا ردا خلا فيه فقالوا لموسى ان بعضنا لا يرى صاحبه
 فضرب موسى عصاه على البحر فصار بين الطرق منافذ وكوى فرأى بعضهم بعضا فلما وصل فرعون شاطئ
 البحر رأى ابليس واقفا فنهاه على الدخول لئلا يجبريل على حجرة فتقدم فرعون وهو على الخيل فتنبعوا فرس
 فرعون فلما دخل فرعون البحر صاح ميكائيل بهم من خلفهم وهو على فرس فقال الحقوا آخركم بأولكم
 فلما دخلوا البحر لم يبق واحد منهم التظم البحر عليهم وغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربع فراسخ
 وهو بحر العار من طرف من بحر فارس وقيل كان ذلك اليوم يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك
 اليوم شكر الله تعالى (واذ واعدنا موسى) قرأ أبو عمرو ويعقوب بغير ألف في هذه السورة وفي الاعراف
 وطه وقرأ الباقون بالالف في المواضع الثلاثة (أربعين ليلة) بأعطاء الكتاب (ثم اتخذتم الجبل)
 أي عبدتم الجبل المسمى هموت (من بعده) أي بعد انطلاقة الى الجبل (وأنتم ظالمون) أي ضارون
 لانفسكم * قيل وعدموسى عليه السلام بنى اسرائيل وهر بمصر ان أهلك الله عدوهم أتاهاهم بكتاب
 من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره أن يجيئ
 الى الطور ويصوم فيه ذا القعدة وعشر ذي الحجة فذهب اليه واستخلف هرون على بنى اسرائيل ومكث في
 الطور أربعين ليلة وأنزلت عليه التوراة في ألواح من زبرجد فلما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقي مع بنى
 اسرائيل الثياب والحلي الذي استعاروه من القبط لعمل عرس قال لهم هرون ان هذه الثياب والحلي
 لا تصل لكم فاحرقوها لجمعوا ناراً وأحرقوها وكان موسى السامري في مسيره مع موسى عليه السلام في
 البحر نظر الى حافردابة جبريل عليه السلام حين تقدم على فرعون في دخول البحر فقبض قمضه من تراب
 حافر تلك الدابة ثم ان السامري أخذ ما كان معه من الذهب والفضة وصور منه عجلا في ثلاثة أيام مرصعا
 بالجواهر كأحسن ما يكون وألقى فيه ذلك التراب فخرج منه صوت ومشى فقال للقوم هذا الهكم واله موسى
 فتركه ههنا وخرج يطلبه وكانت بنوا اسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى
 عشرون يوما لم يرجع موسى عليه السلام وقعوا في الفتنة فعبدوا كلهم الجبل الا هرون مع اثني عشر
 ألف رجل وكان موسى السامري رجلا صائغا من جماعة يقال لها سامرة وكان منافقا يظهر الاسلام
 وكان من بنى اسرائيل من قوم يعبدون البقر (ثم عفونا عنكم) أي محونا ذنوبكم حين تبتم (من بعد

(ذلك) أى من بعد عبادتكم الجبل (لعلكم تشكرون) أى لى تشكروا نعمة عفوى وتستمروا
 بعد ذلك على طاعتى (واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان) أى واذا كروا اذ اعطينا موسى التوراة
 وبينافيهما الحلال والحرام والأمر والنهى وغير ذلك (لعلكم تهتدون) لى تهتدوا بتدبر الكتاب
 من الضلال (واذ قال موسى لقومه) الذين عبدوا الجبل (يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم) أى انكم
 نقصتم أنفسكم الثواب الواجب بالاقامة على عهد موسى عليه السلام (باتخاذكم الجبل) أى بعبادتكم
 الجبل فقالوا لموسى فاذا تأمرنا فقال لهم (فتوبوا الى بارئكم) أى الى خالقكم ولو أظهرتم التوبة
 بالبدن دون القلب فأنتم ماتتم الى الله وانما تنتم الى الناس قالوا كيف نتوب فقال لهم (فاقتلوا أنفسكم)
 أى سلّموا أنفسكم للقتل وارضوا به فأجابوا فأخذ عليهم الموائيق ليصبروا على القتل فأصبحوا مجتمعين فكل
 قبيلة على حدة وأتاهم بالانثى عشر ألفا الذين لم يعبدوا الجبل البتة وبأيديهم السيوف فقال الثابون ان
 هؤلاء اخوانكم قد أتواكم شاهرين السيوف فاتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه
 أو مدطرقه اليهم أو أقامهم بيد أو رجل فيقولون آمين فجعلوا يقتلون من الصبح الى المساء وقام موسى
 وهرون عليهما السلام يدعوان الله تعالى ويقولان البقية البقية يا الهنا فاحى الله اليهما انى قد غفرت لمن
 قتل وتبت على من بقى وكان القتل سبعين ألفا (ذلكم) أى القتل فى التوبة (خير لكم عند
 بارئكم) لما فيه طهارة عن الشرك (فتاب عليكم) أى قبل توبة من قتل منكم وغفر لمن لم يقتل
 من بقية المجرمين وعفاه عنهم من غير قتل (انه هو التواب) أى المتجاوز لمن تاب (الرحيم) على من مات على
 التوبة (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة) وذلك لما رجع موسى
 عليه السلام من الطور الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة الجبل حرق الجبل وألقاه فى البحر اختار من
 قومه سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى يسمعنا كلامه فسأل
 موسى عليه السلام ذلك فأجاباه الله ولما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا
 من موسى ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم ادخلوا وكان موسى عليه السلام متى كلمه ربه وقع على
 جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بنى آدم النظر اليه رجع القوم كلام الله مع موسى عليه السلام يقول
 له افعل كذا ولا تفعل كذا فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذى دخل فيه فقال القوم بعد ذلك
 لا نصدق لك بأن ما نسمعه كلام الله حتى نرى الله معاينة فأحرقهم نار من السماء وما تواجيه عار قام موسى
 رافعا يديه الى السماء يدعو ويقول يا الهى اخترت من بنى اسرائيل سبعين رجلا لى كونوا شهودى بقبول
 توبتهم فأرجع اليهم وليس معى منهم واحد فما الذين يقولون فلم يزل موسى مستغلا بالدعاء حتى ردا الله
 أرواحهم وبطلت توبة بنى اسرائيل من عبادة الجبل فقال لأقبل الا أن يقتلوا أنفسهم (وأنتم
 تنظرون) الى النار الواقعة من السماء (ثم بعثناكم من بعد موتكم) أى ثم أحييناكم بعد حرقكم
 بالنار وبعد موتكم يوما وليلة وذلك لظاهر آثار القدرة ولا يستوفوا بقية آجالهم وارزاقهم ولو ما ويا نقصاء
 آجالهم لم يحيوا الى يوم القيامة (لعلكم تشكرون) أى لى تشكروا احيائى (وظللنا عليكم الغمام) أى
 جعلنا الحجاب الرقيق يظلمكم من حر الشمس أى وكان يسير بسيرهم وكانوا يسرون ليلا ونهارا وينزل
 عليهم بالليل عمود من نور يسرون فى ضوءه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وذلك فى التيه وهو واد بين الشام
 ومصر وقدره تسعة فراسخ مكنوا فيه أربعين سنة متعيرين لا يمتدون الى الخروج منه وسبب ذلك مخالفتهم
 أمر الله تعالى بقتال الجبار الذين كانوا بالشام حيث امتنعوا من القتال (وأزلنا) فى التيه (عليكم المن)

وهو شئ كالصمغ كان يقع على الاشجار طعمه كالشهد وكان يقع على اشجارهم من الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع (والسهلوى) فكان كل واحد منهم يأخذ ما يكفيه يوما وليلة واذا كان يوم الجمعة يأخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت والسهلوى وهو طائر ليس له ذنب ولا يطير الا قليلا ويعوت اذا جمع صوت الرعد كما ان الخفاف يقتله البرد فيلهمه الله ان يسكن جزائر البحر التي لا يكون فيها مطر ولا رعد الى انقضاء اوان المطر والرعد فيخرج من الجزائر وينتشر في الارض وخاصيته ان اكل لحمه يلين القلوب القاسية (كلوا) اى وقلنا لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم) اى من مستلذات ما رزقناكموه ولا تدخر والغد فادخر واقطع الله ذلك عنهم ودود ما ادخروه (وما ظلمونا) اى رما نقصونا بما ادخروا (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) اى يضررون لنقص انفسهم حظهم من النعم (واذ قلنا) لهم بعد دخروجهم من التيه على لسان موسى اوعلى لسان يوشع (ادخلوا هذه القرية) روى ان موسى عليه السلام سار بعد انقضاء الاربعين سنة بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا بفتح الهمزة وكسر الراء قرية الجبارين وهي بين القدس وحوارن واقام فيها ما شاء الله ثم قبض فيها وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله تعالى امره بقتال الجبارة فسارهم يوشع وقتل الجبارة وصار الشام كله لبني اسرائيل (فكلوا منها) اى تلك القرية (حيث شئتم رغدا) اى موسعا عليكم (وادخلوا الباب) اى باب القرية اى من اى باب كان من ابوابها السبعة او من باب يسمى باب الحطة او باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام (مجيذا) اى متخمين متواضعين كالراكم (وقولوا حطة) اى ان القوم امرؤا بان يدخلوا الباب على وجه الخضوع وان يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان وقرأ ابن ابي عملة بالنصب والمعنى حط عند انوبنا حطة (نغفر لكم خطاياكم) وقرأ نافع بالتذكير وابن عامر بالتأنيث على البناء للمجهول والباقون بالنون المفتوحة (وسنزيد المحسنين) بالطاعة في حسناتهم (فبدل الذين ظلموا) انفسهم (قولا غير الذى قيل لهم) اى امرهم اى قد دخلوا الباب زاحفين على ادبارهم قائلين حنطة على شعيرة استخفاقيا بامر الله تعالى (فانزلنا على الذين ظلموا) اى غير والامر (رجزا) اى طاعونا مقدرا (من السماء بما كانوا يفسقون) اى بسبب فسقهم اى خروجهم عن الطاعة روى انه مات بالطاعون في ساعة واحدة اربعة وعشرون ألفا فهذا الوياه غير الذى حل بهم في التيه (واذكروا) اذا استسقى موسى لقومه في التيه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة تنورا حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فأعطاهم موسى وروى ان ذلك الحجر حجر طورى حمله معه وكان مربعا له أربعة جوانب وكان ذراع في ذراع ينبع من كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى ذلك السبط وكانوا ستمائة ألف وسبعة المعسكرات اثنا عشر ميلا ثم قيل كان حجرا أعطاه الله عليه اثنا عشر نديا كندى المرأة يخرج من كل ندى نهر اذا ضرب عصاه عليه (فانفجرت منه اثنا عشر عينا) اى نهرها (قد علم كل أناس) اى سبط (مشر بهم) اى موضع مشربهم من نهرهم روى انه كان لكل سبط عين من اثنتى عشرة عينا لا يشرك فيها غيره وقلنا لهم (كلوا) من المن والسهلوى (واشربوا) من الانهار كلها (من رزق الله) اى كلوا واشربوا من رزق الله الذى ياتيكم بلا تعب (ولا تعنوا في الارض مفسدين) اى لا تقادوا في الفساد في الارض في حالة

افسادكم و يقال لا تمشوا في الارض على خلاف امر موسى (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) أي على أكل طعام واحد وهو المن والسلوى (فادع لنا) أي اسأل لأجلنا (ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها) أي من أطايبه التي تؤكل كالأكرفس والسكرات والنعناع (وقثا ثم اوفوهمها) أي ثومها كما هو مروي عن ابن عباس ومجاهد وهو اختيار الكسائي لأن الثوم بانشاء في حرف عبد الله بن مسعود (وعدها وبصلها قال) أي موسى (أتستبدلون الذي هو أدنى) أي أخس وهو الثوم والبصل (بالذي هو خير). أي أشرف وهو المن والسلوى فإنه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي (اهبطوا مصرا) أي اخرجوا من هذا المكان الى المكان الذي خرجتم منه (فإن لكم) هناك (ما سألتهم وضربت عليهم الذلة) أي جعلت على فروع بني اسرائيل الذلة بالجزية (والمسكنة) أي زى الفقر (وباؤا بغضب) أي استحقوا الغضب أي اللعنة (من الله ذلك) أي الذلة والمسكنة واللعنة (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) أي بسبب أنهم كانوا يجحدون على الاستمرار بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وآية الرحم التي في التوراة وبلا نجيل (ويقتلون النبيين بغير الحق) أي ظلماروى أن اليهود قتلت سبعين نبيا في أول النهار ولم يغموا حتى قاموا في آخر النهار يتسوقون مصالحهم وقتلوا زكريا ويحيى وشعيبا وغيرهم من الانبياء (ذلك) الغضب (بما عصوا وكانوا يعتدون) أي يتجاوزون الحد بقتل الانبياء واستحلال المعاصي وهذا الذل الذي أصابهم هو بسبب قتلهم عيسى في زعمهم وقوله تعالى وضربت عليهم الذلة عده بعض العلماء من باب المعجزات لأنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن ضرب الذلة والمسكنة عليهم وقد وقع الامر كذلك فكان هذا اخبارا عن الغيب فيكون معجزا وهذا الكلام الى قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون معترض في خلال القصص المتعلقة بحكاية أحوال بني اسرائيل الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام لأن قتل الانبياء اغما كان من فروعهم وذريتهم (ان الذين آمنوا والذين هادوا) أي الذين تهودوا (والنصارى) أي الذين تنصروا (والصابئين) أي الخارجين من دين الى دين وهم قوم من النصارى يخلقون وسط رؤسهم ويقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة يقولون صلبت قلوبنا أي رجعت قلوبنا الى الله (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) فيه ابينتهم وبين ربهم (فلهم أجرهم عند ربهم) بأن يدخلهم الجنة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تقويت الثواب والمعنى ان الذين آمنوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم في زمن الفترة بعيسى عليه السلام مثل قس ابن ساعدة وبجيرة الراهب وحبيب النجار وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري ووفد النجاشي والذين كانوا على الدين الباطل الذي لليهود والنصارى والصابئين كل من آمن منهم ببعث محمد صلى الله عليه وسلم بالله واليوم الآخر ومحمد فلهم أجرهم عند ربهم أو المعنى ان الذين آمنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون واليهود والنصارى والصابئين كل من أتى منهم بالايان الحقيقي صار من المؤمنين عند الله وهذا قول سفيان الثوري (واذا أخذنا منكم) أي اقراركم بقبول التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) أي رفعنا فوق رؤسكم الجبل مقدارا قامة كالظلة وكان فرسخا في فرسخ حتى أعطينم الميثاق وقلنا (خذوا ما آتيناكم) أي اعملوا بما أعطيناكم من المكتاب (بقوة) أي بمجد (واذكروا ما فيه) من الثواب والعقاب واحفظوا ما فيه من الحلال والحرام (لعلكم تتقون) أي لكي تتقوا المعاصي (ثم توليت) أي أعرضت عن الوفاء بالميثاق (من بعد ذلك) أي رفع الطور وابتداء التوراة (قلولا فضل الله عليكم) بتأخير العذاب (ورحمته) بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليكم (لكنتم من

الخامرين) أى لصرتهم من المغبونين بالعقوبة وبالانهمالك في المعاصي (ولقد علمت الذين اعتدوا منكم
 في السبت) أى وبالله لقد عرفتم عقوبة الذين تجاوزوا الحد منكم يوم السبت في زمن داود عليه السلام
 روى أنهم أمروا بان يتعمدوا يوم السبت للعبادة ويتركوا الصيد وهو لا يقوم كانوا في زمن داود عليه
 السلام وكانوا يسكنون بأيلة على ساحل البحرين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان
 من كل أرض في شهر من السنة حتى لا يرى الماء لكثرتها وفي غير ذلك الشهر في كل سبت خاصة فحفروا
 حياضاً عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس
 في الحياض هو اعتدائهم ثم انهم أخذوا السهل وهم خائفون من العقوبة فلما طال الزمان استحسن الابناء
 بسنة الآباء فشى اليهم طوائف من أهل المدينة الذين كرهوا الصيد يوم السبت ونهوه فلم ينتهوا وقالوا
 نحن في هذا العمل منذ أزمان فازادنا الله به الاخير اقميل لهم لا تنفروا فربما نزل بكم العذاب فأصبح القوم
 قردة خاسئين فكثروا كذلك ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتوالدوا ثم هلكوا وذلك قوله تعالى (فقلنا
 لهم كونوا) أى صيروا (قردة خاسئين) أى ذليلين مبعدين عن الرحمة والشرف (لجعلناها) أى
 المسخنة أو القردة أو قرية أصحاب السبت وهذه الامة (نكالاً لما بين يديها وما خلفها) أى عقوبة رادعة
 للام التي في زمانها وبعد هاليوم القيامة أو لما قرب من تلك القرية وما تباعد عنها أو عقوبة لاجل ما تقدم
 على هذه الامة من ذنوبهم وما تأخر منها (وموعظة للمتقين) أى لكل متقٍ سمع تلك الواقعة فإنه يخاف
 ان فعل مثل فعلهم أن ينزل به مثل ما نزل بهم والمراد بقوله تعالى كونوا سرعة التكوين وانهم صاروا
 كذلك كما أراد الله بهم (واذ قال موسى لقومه) أى واذا كروا وقت قول موسى عليه السلام لا صولكم
 (ان الله يأمركم أن تذبجوا بقرة) روى عن ابن عباس وسائر المفسرين أن رجلاً فقيراً في بني اسرائيل
 قتل ابن أخيه أو أخاه أو ابن عمه لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شك ذلك الى موسى عليه السلام
 فاجتهد موسى في تعرف القاتل فلم يظفر بالواحد من السبل لنار بل حتى يمينه فسأله فأوحى الله اليه ان الله
 يأمركم أن تذبجوا بقرة فتعجبوا من ذلك ثم شددوا على انفسهم بالاستغفار حالاً بعد حال واستقصوا في طلب
 الوصف فلما تعينت البقرة لم يجدوها بذلك النعت الا عند انسان معين ولم يبعها الا بأضعاف ثمنها فاشتروها
 فذبجوها وأمرهم موسى أن يأخذوا عضواً منها فمضروا به القتيل ففعلوا فصار المقتول حياً وعين لهم قاتله
 وهو الذي ابتعد بالشكاية فقتلوه قوداً (قالوا أتتخذنا هزواً) أى أتستهزئ بنا يا موسى فان سؤالنا عن
 أمر القتيل وأنت تأمرنا بذبج بقرة وانما قالوا ذلك لانهم لم يعلموا أن الحكمة هي حياة القتيل بضربه ببعض
 البقرة واخباره بقاتله (قال) أى موسى (أعوذ بالله أن اكون من الجاهلين) أى المستهزئين
 بالمؤمنين لأن الهزء في اثناء تبليغ أمر الله تعالى جهل فلما علموا أن الأمر بالذبج حق (قالوا ادع لنا)
 أى لاجلنا (ربك يبين لنا ما هي) أى ما سنأخذها أصغرة أو كبيرة (قال انه) أى الله تعالى (يقول انها
 بقرة لا فارض) أى كبيرة في السن (ولا بكر) أى صغيرة (عوان بين ذلك) أى وسط بين المسنة
 والفتية (فأفعلوا ما أمروا) به من ذبجها (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لو أنها قال انه) تعالى
 (يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) أى صاف لونها (تسر الناظرين) اليها بسبب حسنها وتعجبهم من
 شدة صفرتها الغرابتها وخرجها عن المعتاد (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أعاملة هي أم لا (ان
 البقرة تشابه علينا وان شاء الله لمهندون) الى وصفها أو الى القتال (قال انه) تعالى (يقول انها
 بقرة لا ذلول) أى غير مذلة (تثير الارض) أى تقلبها للزراعة (ولا تسقى الحرث) أى الزرع

(مسألة) من كل عيب (لاشية فيها) أى لا خلط فى لونها قال مجاهد لا يبيض فيها ولا سواد (قاوا
الآن جئت بالحق) أى نطق بالبيان المحقق ففتشوا عليها فوجدها عند الفتى البارلامه فاشتروها
بجل جلدها (فذبجوها وما كادوا يفعلون) أى ما قاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم ويقال وما
كادوا أن يذبجوها لاجل غلامتها أو لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل روى أنه كان فى بنى اسرائيل شيخ
صالح له ابن طفل وله عجلة فأتى بها الى القيصه وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر فكانت
من أحسن البقر وأسمها فلما كبر الابن كان بار الوالدته فكان يقسم الليل أثلاثا يوصل ثلثا وينام ثلثا
ويجلس عند رأس أمه ثلثا فلما أصبح احتطب على ظهوره فيبيع الحطب فى السوق ثم يتصدق بثلثه
ويأكل ثلثه ويعطى والدته ثلثه ثم أمرته أمه أن يأخذ تلك العجلة من القيصه فلما أخذها
قالت له أمه انك فقير يشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فبيع هذه البقرة فقال بكم أبيعها
قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير شورتى وكان ثمن البقرة اذ ذاك ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث
الله ملكا ليختبر الفتى كيف يربى والدته فقال الملك له بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير بشرط رضى
والدتى فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستأذن أمك فقال الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبام أخذها لبرضا
أُمى فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبيعها بستة دنانير على رضائى فانطلق بها الى السوق وأتى
الملك فقال استأذنت أمك فقال الفتى انها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستاذنها فقال الملك
انى أعطيك اثني عشر دينارا على أن لا تستأذنها فأبى الفتى ورجع الى أمه وأخبرها بذلك فقالت ان
الذى يأتيلك ملك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال
الملك له اذهب الى أمك وقل لها اسكى هذه البقرة فامسى بن عمران يشترىها منك لتقتل يقتل فى بنى
اسرائيل فلا تبيعها الا بعل مسكها ذهبانير فأمسكتها وقدر الله تعالى على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة
بعينها مكافأة للفتى على برب والدته فضلا من الله تعالى (واذ قتلتم نفسا) اسمه عاميل وقيل نكار
(فادارأتم فيها) أى تخاضعتم فى شأنها (والله مخرج) أى مظهر (ما كنتم تسكتون) من قتلها
وهذه العجلة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وهم فادارأتم قوله (فقلنا اضربوه) أى القتل
(ببعضها) أى بعض من أعضاء البقرة قتل بذنبها وقيل بلسانها وقيل بفمها واذلك فقام
القتيل حيا بأذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان ثم سقط ومات مكانه فقتل قاتله لحرم
الميراث وفى الحديث ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة (كذلك) أى كآحياء الله عاميل فى الدنيا
(يحسب الله الموتى) فى الآخرة من غير احتياج الى آله (ويريك آياته) أى يجعلكم مبصرين بدلائل
قدرته وآحيائه لليت (لعلكم تعقلون) أى لئلى تعلموا أن من قدر على احياء نفس واحدة قدر على
احياء نفوس كثيرة فتصدقوا بالبعث بعد الموت (ثم قست قلوبكم) أيها اليهود فلم تقبل الحق (من
بعد ذلك) أى احياء عاميل واخباره بقاتله أو من بعد الامور التى جرت على أجدادكم (فهى كالججارة)
فى القساوة (أو أشد قسوة) منها (وان من الججارة ما يتفجر منه الانهار) قال الحكماء ان الانهار
انما تنشأ عن ابخرة تجتمع فى باطن الارض فان كان ظاهر الارض رخوا انشقت تلك الابخرة وانفصلت
وان كان ظاهر الارض جحرا اجتمعت تلك الابخرة حتى تكثر كثرة عظيمة فتشق الارض وتسيل تلك
المياه أنهارا (وان منها ما يشقق فيخرج منه الماء) أى العيون الصغار التى هى دون الانهار (وان
منها ما يهبط) أى يتدحرج من أعلى الجبل الى أسفله (من خشية الله) أى من انقياد أمر الله

قلوبكم أيها اليهود لا تتحرك من خوف الله واللام في اللام لا ابتداء دخلت على اسم ان وهو ما يعني الذي
والضخيم منه ويشقق ويهبط يهود عليه (وما الله بغافل عما تعملون) أي ان الله يحافظ لأعمال
القاسية قلوبهم حتى يجازيهم في الآخرة وقرأ ابن كثير بالياء على الغيبة (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم
وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما علقوه وهم يعلمون) أي أفتطمعون أيها
النبي والمؤمنون أن يؤمن هؤلاء اليهود بواسطتكم ويستحييوا لكم والحال ان طائفة منهم وهم أحبارهم
يسمعون كلام الله في التوراة ثم يغيرونه من بعد المعنى الذي فهموه بعبه ولهم وهم يعلمون أنهم مفترون
وذلك كنعت محمد صلى الله عليه وسلم فكانت صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة لكل العين ربعة جعد
الشعر حسن الوجه فكتبوا بدلها طويلا أزرق العين سبط الشعر وقال ابن عباس والمعنى أفترجو
يا أشرف الخلق أن تؤمن بك اليهود والحال ان أسلافهم وهم السبعون المختارون للبيقات الذين كانوا مع
موسى يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يغيرونه من بعد ما علموه يقينا وهم يعلمون أنهم يغيرونه وذلك أنهم
قالوا سمعنا الله يقول في آخر كلامه ان استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وان شئتم أن لاتفعلوا
فلا بأس (واذ القوا الذين آمنوا قالوا آمنا) أي ان منافق أهل الكتاب كانوا اذا القوا أصحاب سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذي آمنتم به ونشهد أن صاحبكم صادق وان قوله حق ونجد بنعته
في كتابنا (واذا خلا بعضهم) أي رجع الساكنتون الذين لم ينافقوا (الى بعض) آخر منهم وهو
منافقوهم (قالوا) أي الساكتون موجبين للمنافقين (أتحدثونهم) أي المؤمنين (بما فتح الله
عليكم) أي بما بين الله لكم في التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم (ليحاجوكم به عند ربكم)
أي ليقيموا الحجة عليكم بما أنزل ربكم في كتابه في ترك اتباع محمد مع اقراركم بصدقه وقوله تعالى ليحاجوكم
متعلق بالتحديث والمراد بهذا تشديد التوبيخ فان التحديث بذلك لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن
العاقل أي تحدثونهم بذلك ليحاجوكم بكتاب الله وحكمه ويقال عند الله كذا معناه في كتابه وحكمه
(أفلاتعلمون) ان ذلك لا يليق بما أنتم عليه (أولايهلمون) أي اللاعنون أو المنافقون أو كلاهما (ان
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار
غيره فيعرفوا عن ذلك (ومنهم) أي اليهود (أميون) أي جهلة (لايهلمون الكتاب) أي
لا يعرفونه بقراءة ولا كتابة وطريقة تفهم التقليد (الأماني) أي الاماهم عليه من أمانيتهم في أن الله
لا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وهم يحملهم أحبارهم على غنى قلوبهم من أن
النار لا تمسهم الا أيام معدودة ومن أن الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وقال الاكثرون لا بقدر ما يتلى
عليهم فيسمعونه أو لا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى (وانهم لا يظنون) أي ما هم يعرفون
الكتاب الا بان يذكر لهم تأويله فقطنوه (قويل) أي عذاب أليم أو مسيل صيدا أهل جهنم أو شدة الشر
للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا في الكتاب الذي جاء (من عند الله ليشتروا به)
أي ليأخذوا لانفسهم بمقابلة الكتاب المحرف (ثمنا قليلا) أي عوضا يسيرا من الدنيا وهم اليهود وغيروا
صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيره فغيروا الآية الرجم بالجلد والتخميم أي تسويد الوجه (قويل
لهم) أي فشد العذاب لهم (عما كتب أيديهم) أي فيما غيرت أيديهم (وويل لهم عما يكسبون)
أي يصيبون من الحرام والرشوة (وقالوا) أي اليهود (لن تمسنا النار الا أياما معدودة) أي قليلة
قال مجاهد ان اليهود كانت تقول عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فأن الله تعالى يعذبهم مكان ألف سنة يوما

فكانوا يقولون ان الله تعالى يعذبنا سبعة أيام وحكى الاصمعي عن بعض اليهود انهم عبدوا العجل سبعة أيام فكانوا يقولون ان الله تعالى يعذبنا سبعة أيام وذلك كما أخرج الطبراني وغيره بسند حسن عن ابن عباس وأخرج ابن أبي حاتم وابن جرير عن طرق ضعيفة عنه انها أربعين يوماً (قل) لهم يا أشرف الخلق (أخذتم عند الله عهداً) أى خبراً فان خبره تعالى أو كد من العهود المؤكدة من باب القسم والنذر (فلن يخلف الله عهداً) أى فان الله تعالى منزه عن الكذب في وعده ووعيده لان الكذب صفة نقص والنقص على الله محال (أم تقولون) مفسرين (على الله ما لا تعلمون) وقوعه أى أم لم تتخذوا من الله عهداً بل تقولون عليه تعالى (بلى) تمسكم النار أبداً (من كسب سيئة) أى كفراً (وأحاطت به خطيئته) أى كبريته بأن مات على الكفر (فأرسلت) أى أهل هذه الصفة (أصحاب النار) أى ملازموها في الآخرة (هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها أما أصحاب الكبائر غير الكافرين فإنا نقطع بأنه تعالى يعفو عن بعض العصاة وعن بعض المعاصي ولكننا نتوقف في حق كل أحد على التعيين انه هل يعفو عنه أم لا ونقطع بأنه تعالى اذا عذب أحداً منهم مدة فإنه لا يعذبه أبداً بل يقطع عذابه وهذا قول أكثر الصحابة والتابعين وأهل السنة والجماعة وقرأنا نافع خطياً ته بالجمع والمراد بالخطيئات أنواع الكفر المتجددة في كل وقت (والذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لا يموتون فيها ولا يخرجون منها (واذ أخذنا) في التوراة (ميثاق بني إسرائيل) الذين كانوا في زمن موسى (لا تعبدون الا الله) أى لا تشكرون به شيئاً قرأ ابن كثير وحزمة والكسائي بالياء على الغيبة وقرأ عبد الله وابي لا تعبدوا بصريح النهي وهذه قراءة شاذة (وبأولادهم احساناً) وهو متعلق بمعدوف أى وتحسنون أو أحسنوا بالبر بهما وان كانا كافرين بأن لا يؤذيهم بالبتة ويوصل اليهما من المنافع قدر ما يحتاجان اليه فيدخل فيه دعوتهم الى الايمان ان كانا كافرين وأمرهما بالمعروف على سبيل الرفق ان كانا فاسقين (وذى القربى) أى أحسنوا بالاقارب بصلة الرحم (واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً) وقرأ حمزة والكسائي بضم الحاء والسين وقرئ قراءة شاذة حسناً بضم حين وحسنى كبشرى والقول الحسن هو الذي يحصل انتفاعهم به (وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة) والمراد بالصلاة والزكاة ما فرض عليهم في ملتهم فقبلتم ذلك الميثاق المذكور (ثم توليتهم) أى أعرضتهم عن الوفاء بالميثاق (الاقليلا منكم) أى آباءكم وهو من أقام اليهودية على طريقها قبل التسخير يقال الاقليلا منكم وهم من أسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (وأنتم معرضون) عن الطاعة كما بآئسكم (واذ أخذنا ميثاقكم) أى واذكروا يا أيها اليهود المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وسلم وقت أن أخذنا الميثاق على آباءكم في التوراة (لا تسفكون دماءكم) أى لا يقتل بعضكم بعضاً (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا يخرج بعضكم بعضاً من منازلكم يا بني قريظة والنضير (ثم أقررتم) بوجوب المحافظة على الميثاق (وأنتم تشهدون) أى تعلمون ذلك (ثم أنتم هؤلاء) أى هؤلاء الحاضرون بعد ذلك (تقتلون أنفسكم) أى يقتل بعضكم بعضاً (وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) أى من منازلهم ذلك الفريق (تظاهرون عليهم) قرأ عاصم وحزمة والكسائي بتخفيف الظاء والباقون بالتشديد أى يتعادون لبعضكم بعضاً (بالاثم) أى المعصية (والعدوان) أى التجاوز في الظلم (وان يأتوكم أسارى) أى أسارى أهل دينكم (تفادوهم) بالمال أو غيره أى وان يقع ذلك الفريق الذي تخرجونه من دياره وقت الحرب حال كونه أسيراً في يد حلفائكم تفدوه قرأ حمزة وأبى بن قحافة

الهمة وسكون السين مع الامة وقرأعاصم والسكسائي تقادوهم بضم التاء وفتح الفاء والباقون بفتح التاء
 وسكون الفاء (وهو) أى الشأن (محرم عليكم انخراجهم) قال السدى ان الله تعالى أخذ على بنى
 اسرائيل فى التوراة الميثاق أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وأبعا عبدا أو أمة
 وجدعوهم من بنى اسرائيل فاشتروه وأعتقوه وكان قريظة والنضير أخوين كالاوس والخزرج
 فافترقوا فكانت قريظة خلفاء الاوس والنضير خلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة
 فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خر بواد يارهم وأخرجوهم منها ثم اذا أمر رجل من
 الفريقين فدوهم كالأوس واحد من النضير ووقع فى يد الاوس افدتته قريظة منهم بالمال وهكذا يقال فى
 عكس ذلك فغيرتهم العرب وقالت كيف تماتلونهم ثم تغدوهم فيقوون أمرنا ان نغديهم وحرم علينا
 قتالهم ولاكن نستحي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى بقوله (أفتؤمنون ببعض الكتاب) أى تفعلون
 بعض الواجبات وهو المفاداة (وتكفرون ببعض) أى فلم تتركوا المحرم وهو القتل والاخراج والمعادنة
 (فاجزاء من يفعل ذلك منكم الاخرى) أى ذم عظيم وتحقير بالغ (فى الحياة الدنيا) فكان خزي
 قريظة القتل والسبي وقد قتل صلى الله عليه وسلم منهم سبعمائة فى يوم واحد وخزي بنى النضير الاجلاء
 الى ازرعات واريحما وقيل هو ضرب الجزية على النضير فى الشام وعلى من بقى من قريظة الذين سكنوا
 خيبر (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) أى عذاب جهنم لما ان معصيتهم أشد المعاصي (وما الله
 بغافل عما تعملون) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم بتاء الخطاب فى يعملون وأما فى ردون فالسبعة بالغيبة
 فقط وأما بتاء الخطاب فشاذة وهذه الجملة زجر عظيم عن المعصية وبشارة عظيمة على الطاعة (أولئك
 الذين اشتروا الحياة الدنيا) أى استبدلوها (بالآخرة) بأن اختاروا الكفر على الايمان (فلا يخفف
 عنهم العذاب) لا بالايقاط ولا بالقلة فى كل وقت أو فى بعض الاوقات (ولا هم ينصرون) فلا يدفع
 أحدهم هذا العذاب عنهم (ولقد آتينا) أى أعطينا (موسى الكتاب) أى التوراة (وقفينامن بعده
 بالرسول) أى أتبعناهم اياه مترتين وهم يوشع وشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وأرميا
 وعزير وخرقييل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وجميع الانبياء بين موسى وعيسى
 على شريعة موسى قيل هم سبعون ألفا وقيل أربعة آلاف ومدة ما بينهما ألف وتسعمائة سنة وخمسة
 وعشرون سنة (وآتيناعيسى بن مريم البينات) أى المعجزات كأحياء الموتى وإبراهيم الا كه سواه كان
 كهم خلقيا أو طاريا أو ابراهيم الابص وكالاخبار بالغيبيات وكالانجيل ثم عيسى بالسريانية أى شروع
 ومعناه المبارك ومريم بالسريانية بمعنى الحامد وفى كتاب اسان العرب هى المرأة التى تكره مخالطة
 الرجال (وأيدناه) قرأه ابن كثير بعد الهمة وتخفيف الياء أى قويناه (روح القدس) وهو
 جبريل وهو الذى بشر مريم بولادته اذ غاص عليه السلام من نفة جبريل وهو الذى رباه فى
 جميع الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء (أفكلاما جاءكم) أى معشر
 اليهود (رسول بما لا تهوى أنفسكم) أى بما لا يوافق قلوبكم من الحق (استكبرتم) أى تعظمتم عن
 الايمان به والاتباع له (ففرقنا كذبكم وفرقاتكم) أى كذبت طائفة محمد صلى الله عليه وسلم
 وعيسى عليه السلام وقتلتم فريقا يحيى وزكريا (وقاروا) أى اليهود (قلوبنا غلغ) أى مغشاة
 بأغطية من قولك يا محمد أى قلوبنا أو عية لسل علم وهى لاتى علمك وكلامك (بل لعنهم الله بكفرهم)
 أى ليس عدم قبولهم للحق الخلل فى قلوبهم ولكن الله أبعدهم عن رحمته بسبب كفرهم فأبطل

استعدادهم عن القبول (فقليل ما يؤمنون) أي لا يؤمنون الا بقليل عما كلفوا به لانهم كانوا يؤمنون بالله
الا أنهم كانوا يكفرون بالرسل وقال قتادة والاصم وأبو مسلم أي لا يؤمن منهم الا القليل وذلك نظير قوله
تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا (ولما جاءهم) أي اليهود المعاصرين له صلى
الله عليه وسلم (كتاب من عند الله) وهو القرآن (مصدق لما معهم) أي موافق لكتابهم التوراة
بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه (وكانوا) أي اليهود (من قبل) أي من قبل بعث
محمد ونزول القرآن (يستفتحون) أي يسألون الفتح أي النصر (على الذين كفروا) أي مشركي العرب
أسد وغطفان ومنزينة وجهينة وهم عدوهم يقولون اذادهم عدو الله اقنع علينا وانصرنا بالنبي الا
(فلما جاءهم ما عرفوا) من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (كفروا به) حسدا وخوفا على الرياسة وقال
ابن عباس وقتادة والسدي نزالت هذه الآية في شأن بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس
والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته يقولون لمخالفهم عند القتال هذا نبي قد قرب زمانه
ينصرنا عليكم (فلعنة الله على الكافرين) أي ابعاد الله من خيرات الآخرة عليهم (بشما اشتروا
به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله) أي بشئ شيا اشتروا به أنفسهم كفرهم بالقرآن المصدق
والتوراة أي ان هؤلاء اليهود لما اعتقدوا انهم بما فعلوه خلصوا أنفسهم من العقاب وأوصلوها الى
الثواب فقد اشتروا أنفسهم به في زعمهم وقال الاكثرون الاشتراء ههنا بمعنى البيع لان المذموم لا يكون
الا لما كان حاصله لهم لا لما كان زائلا عنهم والمعنى باعوا أنفسهم بكفرهم لان الذين حصلوا على منافع
أنفسهم هو الكفر فصاروا بائعين أنفسهم بذلك لكن لما كان الغرض بالبيع والشراء ابدال ملك بملك
صلح أن يوصف كل واحد من المتبادلين بأنه بائع ومشتري لوقوع هذا المعنى من كل واحد منهما (بغيا أن
ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) أي حسدا على أن ينزل الله النبوة بفضله على محمد وطلبها
ليس لهم أي فانهم ظنوا ان هذا الفضل العظيم بالنبوة المنتظرة يحصل في قومهم فلما وجدوه في العرب
حملهم ذلك على الحسد وقد أجاز العلماء أن يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان يكفروا وأن ينزل الله مفعولا له
وناصبه بغيا (فبأوا بغضب على غضب) أي فاستحقوا العنة بعد لعنة لامور صدرت عنهم) وللكافرين
عذاب مهين) أي يهانون بالعذاب الشديد بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه (واذا قيل لهم)
أي واذا قال المؤمنون لليهود والموجودين في زمن نبينا (آمنوا بما أنزل الله) أي بكل ما أنزل الله من
الكتب الالهية جميعا (قالوا) في جواب هذا القيل (نؤمن بما أنزل علينا) أي بما أنزل على
أنبيائنا من التوراة وكتب سائر الانبياء الذين أتوا بمقرر شرع موسى عليه السلام (ويكفرون بما
وراه) فأخبر الله تعالى عنهم بأنهم يكفرون بما بعده وهو الانجيل والقرآن (وهو) أي ما رآه أنزل على
نبيهم من الانجيل والقرآن (الحق مصدق لما معهم) أي موافقا بالتوحيد لكتبهم (قل) لهم
يا أشرف الخلق الرماويين ما لكفرهم بالتوراة التي ادعوا الايمان بها (فلم تقتلون أنبياء الله
من قبل ان كنتم مؤمنين) والمعنى ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما زعمتم فلا شيء كنتم تقتلون أنبياء
الله من قبل لان في التوراة تحريم القتل وذلك لان التوراة دلت على أن المهجرة تدل على الصدق ودلت
على أن من كان صادقا في ادعاء النبوة فان قتله كفر وإذا كان الامر كذلك كان السعي في قتل ذكر يا
ويحيى وعيسى كفرا فلم سعيتم في ذلك ان صدقتم في ادعائكم كونكم مؤمنين بالتوراة والمعنى انهم لو
آمنوا بالتوراة لما قتلوا الانبياء فآل أمرهم الى كفرهم بجميع ما أنزل الله تعالى لا ببعض كما ادعوا فان قيل

وله تعالى آمنوا خطاب لهؤلاء الموجودين وقوله فلم تغفلون حكاية فعل اسلافهم فكيف وجه الجمع بينهما
 قلنا معنا انكم بهذا التكذيب للانجيل والقرآن خرجتم من الايمان بما آمنتم كما خرج اسلافكم
 بقتل بعض الانبياء عن الايمان بالباقيين (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أى بالآيات التسع وهم
 نعصار اليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وقلق البحر (ثم
 اتخذتم الجبل) أى عبدتم الجبل (من بعده) أى من بعد انطلاقه الى الجبل (وانتم ظالمون) أى
 كافرون بعبادته (واذا أخذنا ميثاقكم) أى اقراركم (ورفعنا فوقكم الطور) أى رفعنا فوق رؤسكم
 الجبل حين امتنعتم من قبول التوراة وقتلنا (خذوا ما آتيناكم بقوة) أى اعملوا بما أعطيناكم من
 الكتاب بحمد (واسمعوا) أى اطيعوا ما تؤمرون (قالوا سمعنا) قولك يا ذا نانا (وعصينا) أمرك
 بقلوبنا وغيرها (وأشربوا في قلوبهم الجبل بكفرهم) أى وأدخلوا في قلوبهم حب عبادة الجبل
 بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك (قل) لهم يا أشرف الخلق (بسميأمركم به ايمانكم) بما
 أنزل عليكم من التوراة قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم الجبل (ان كنتم مؤمنين) بالتوراة كما رعتهم
 فان يجوز فيها الوجهان من كونها نافية وشرطية وجوابا محذوف تقديره فبسميأمركم (قل ان كانت
 لكم الدار الآخرة) أى نعميم الدار الآخرة (عند الله) وهو الجنة (خالصة من دون الناس) أى
 خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق بأن صرح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى
 (فتمنوا الموت) كأن تقولوا ليتنا نموت (ان كنتم صادقين) فى مقالتمكم لان من أيقن انه من أهل
 الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم (ولن يمتنوه) أى لن يسألوا الموت (أبدا بما قدمت
 أيديهم) أى بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم
 وبالقرآن وكتحريف التوراة (والله عليم بالظالمين) أى الكافرين فيجازيهم (ولتجدنهم) أى والله
 لتجدن اليهود يا محمد (أحرص الناس على حياة) أى بقاء في الدنيا (ومن الذين أشركوا) أى وأحرص
 من مشركي العرب المتشركين للبعث لهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لانكارهم له (يود) أى
 يمتنى (أحدهم لو يعمر ألف سنة) والمراد بالف سنة التكثير لا خصوص هذا العدد وليس المراد بها قول
 الاعاجم عش ألف سنة لو مصدرية وهى مع صلتها فى تأويل مصدر مفعول يود (وما هو بجزخزحه من
 العذاب أن يعمر) فاعل لمزخزح أى وما أحدهم عن بعده من النار تعميره ألف سنة (والله بصير
 بما يعملون) فيجازيهم به قرأ السبعة بالياء التحتية ويعقوب من العشرة بالفوقية روى أن النبي صلى
 الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه عبد الله بن مسعود فقال يا محمد كيف نومك فقد أخبرنا عن نوم الذي
 يحيى في آخر الزمان فقال صلى الله عليه وسلم تنام عيناى ولا ينام قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرني عن
 الولد أمن الرجل يكون أم من المرأة فقال أما العظام والعصب والعروق من الرجل وأما اللحم والدم والظفر
 والشعر فمن المرأة فقال صدقت فبال الرجل يشبه أمه دون أخوانه يشبه أخوانه دون أمه فقال
 أيها غلب ماؤه ما صاحبه كان الشبه له قال صدقت أخبرني أى الطعام حرم اسرائيل على نفسه وفي
 التوراة ان النبي الامي يخبر عنه فقال صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل
 تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر الله نذرا ثانيا عافاه الله من سقمه ليحرم من على
 نفسه أحب الطعام والشراب وهو لحمان الابل وألبانها فقالوا نعم فقال له بقيت خصلة واحدة ان قلتها
 فآمنت بك أى ملك يأتيل بمائة قول عن الله قال جبريل قال ان ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا

مكائيل يأتي بالبشر والخافلو كان هو الذي يأتيك آمنابك فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين (قل من كان عدوا لجبريل (لأنه ينزل القرآن على محمد فقد خلع ربقة الانصاف (فانه) أي جبريل (نزله) أي القرآن (على قلبك بأذن الله) أي بأمره وخص القلب بالذكر لأنه خزانة الحفظ وبيت الرب (مصدق لما بين يديه) أي لما قبل القرآن من الكتب الالهية لأن الشرائع التي تشتمل عليها سائر الكتب كانت مقدرة بالاوقات ومنتهية في هذا الوقت فان النسخ ببيان انتهاء مدة العبادة وحيث لا يكون بين القرآن وسائر الكتب اختلاف في الشرائع (وهدي) أي ببيان ما وقع التكليف به من أعمال القلوب وأعمال الجوارح (وبشري) أي ببيان ثواب تلك الأعمال (للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل ومكائيل فان الله عدو للكافرين) وخص الله جبريل بالذكر بالذ كر رداعلى اليهود في دعوى عداوته وضم اليه ميكائيل لأنه ملك الرزق الذي هو حياة الاجساد كما ان جبريل ملك الوحي الذي هو حياة القلوب والارواح وقدم جبريل لشرفه لان العلم أشرف من الاغذية وقدم الملائكة على الرسل كما قدم الله على الجميع لان عداوة الرسل بسبب نزول الكتب ونزولها بتمزييل الملائكة وتنزيلهم لها بأمر الله فذكر الله ومن بعده على هذا الترتيب وجبريل قرأ حمزة والكسائي بفتح الجيم والراء وهمزة بعد الراء مكسورة وقرأ شعبة كذلك الا انه حذف الياء بعد الهـ مزة وكسر الراء والباقون بكسر الجيم والراء من غير همز بعد الراء الا أن ابن كثير فتح الجيم وميكائيل قرأ أبو عمرو وحفص ميكال بغير همز ولا ياء بين الالف واللام وقرأ نافع همزة بعد الالف ولا ياء بعد الهـ مزة والباقون بهمزة بعد الالف وياه قال ابن عباس ان اليهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبغته فلما بعث من العرب كفروا به ووجدوا ما كانوا يقولون فيه فعال لهم معاذ بن جبل يا معشر اليهود اقموا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل الشرك وتخبروننا انه مبعوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم ما جاءنا بشيء من البينات وما هو بالذي كان ذلكم فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولقد أنزلنا اليك) يا أشرف الخلق (آيات بينات) أي آيات القرآن الذي لا يأتي بمثله الجن والانس (وما يكفر بها الا الفاسقون) وهم اهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ الله عليهم من العهد في محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد اليه في محمد عهدا فأنزل الله هذه الآية (أو كما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) أي أ كفروا بالآيات وكما عاهدوا الله عهدا كفروا به قبل مبغته صلى الله عليه وسلم لأن خرج النبي لنؤمنن به ولنخرجن المشركين من ديارهم وكونهم عاهدوا الله على ان لا يعينوا عليه صلى الله عليه وسلم أحد من المشركين ثم أعانوا عليه قريش يوم الخندق نبذه فريق منهم (بل أكثرهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون بل أبا الحسد هم وقيل لا يصدقون بكتابهم لأنهم كانوا في قومهم كالمناققين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر لهم الايمان بكتابهم ورسولهم ثم لا يعملون بجملة قضاء (ولما جاءهم رسول من عند الله) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم) من التوراة (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) أي أعطوه وعسكوا به (كتاب الله وراهظهورهم كأنهم لا يعلمون) انه كتاب الله أي فكفروا وعنادا والكتاب مفعول ثان لا وتواو كتاب الله مفعول نبذ وقال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم خاصة هو بالتوراة فانفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة لموافقة القرآن لما رأوا أخذوا بكتاب آصف وهو حماروت وماروت فلم يوافق القرآن (واتبعوا) أي اليهود وهو معطوف على نبذ (ما تلتوا) أي تكذب (الشیاطين

على ملك سليمان) من السحر وكانت الشياطين دفتته تحت كرسيه لما نزع ملكه فلم يشعر بذلك
 سليمان فلما مات استخرجوه وقالوا للناس اغسلواكم سليمان بهذا فتعلموه وأقبلوا على تعلمه ورفضوا
 كتب أنبيائهم وفشت الملامنة على سليمان فلم تزل هذه حائهم حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه
 وسلم وأنزل الله عليه براءة سليمان ومدة نزع ملكه أربعون يوما وسبب ذلك أن إحدى زوجاته عبدت
 صنما أربعين يوما وهولا يشعر بها فعاتبه الله تعالى بنزع ملكه أربعين يوما وذلك أن ملكه كان في خاتمه
 وهو من الجنة وكان إذا دخل الخلافة نزعوه ووضعوه عند زوجته له تسمى الأمانة ففعل ذلك يوما فجاء جني
 اسمه مخفرو وتصوير بصورة سليمان ودخل على الأمانة وقال اعطيني خاتمي فدفعته له فسخرت له الجن
 والانس والطير والريح وجلس على كرسى سليمان فجاء سليمان الأمانة وطلب الخاتم فرأت صورته غير
 الصورة التي تعرفها منه فقالت له ما أنت سليمان وهو قد أخذ الخاتم فلما تم الأربعون طارا الجني من فوق
 الكرسى ومر على البحر وألقى الخاتم فيه فابتلعتة سمكة فوقع في يد سليمان فأخذه من بطنها ولبسه ورجع
 له الملك فأمر الجن بإحضار مخفرو فأتوا به فحبسه في مخفرو وسد عليه بالرصاص والحديد وورما هافي قعر البحر
 (وما كفر سليمان) أي ما كتب سليمان السحر وما عمل به لأن العمل بالسحر كفر في شريعة وأما في شرعنا
 فإن اعتقد دفاعه حل استعمانه كفر والافلا وأما تعلمه فإن كان ليعمل به فحرام أوليته وقواه فباح أولا
 ولا فكره (ولكن الشياطين كفروا) أي كتبوا واستعملوا السحر وقرأ الكهن ابن عامر وحزمة والسكافي
 بتخفيف النون مع الكسر ورفع الشياطين (يعلمون) أي الشياطين (الناس السحر) ويقصدون به
 اضلالهم (وما أنزل على الملوك) عطف على السحر أي ويعلمونهم ما ألهماه من السحر وقيل عطف
 على ما تناولوا واختار أبو مسلم أن ما في محل جر عطف على ملك سليمان وذلك أن الملوك أنزل الله عليهم السحر
 امتحاناً من الله للناس هل يتعلمونه أولا كما امتحن قوم طالوت بالشرب من النهر وقيل اغما أنزل الله عليه
 للتمييز بينه وبين المجرة لئلا يغتر به الناس لأن السحرة كثروا في ذلك الزمن واستنبطوا أبوابا غريبة
 من السحر وكأوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملوك ليعلموا الناس أبواب السحر حتى يتحكموا
 من معارضة أولئك الكذابين وإظهار أمرهم على الناس (ببابل) وهو بلد في سواد العراق (هاروت
 وماروت) عطف بيان للملكين لأنهم ما ملكا نزل من السماء كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقيل
 ما أنزل نفي معطوف على قوله تعالى وما كفر سليمان كأنه تعالى قال لم يكفر سليمان ولم ينزل على الملوك
 سحر لأن السحرة كأوا يسندون السحر إلى سليمان يزعموا أنه عما أنزل على الملوك ببابل هاروت
 وماروت فكذبهم الله تعالى على ذلك وقيل أن الملوك هما جبريل وميكائيل أخرجه البخاري في تاريخه
 وابن المنذر عن ابن عباس وابن أبي حاتم عن عطية وحديثه يكون هاروت وماروت مرفوعا بدل من
 الشياطين بدل البعض كما هو قراءة الزهري وعلى هذا كما قاله الحسن والضحاك فهما علمان من بابل
 يعلمان السحر وقرأ الحسن على الملوك بكسر اللام فهما داود وسليمان كما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد
 الرحمن بن ابزى وقيل كانا رجلين صالحين من الملوك (وما يعلمان من أحد) أي وما يعلم الملك أحد
 السحر (حتى يقولوا) أولا (اغما نحن فتنة) أي امتحان من الله تعالى للناس (فلا تكفر) أي فلا تتعلم
 ولا تعمل به أي لا يصفان السحر لا أحدا إلى أن يقولوا لا يصح له فيقول له هذا الذي نصفه لك وإن كان
 الغرض منه أن يميز بين الفرق بين السحر والمجزة ولكنه يكتم أن تتوصل به إلى الفاسد والمعاصي فإياك
 بعد وقولك عليه أن تستعمله فيما نهيت عنه أو تتوصل به إلى شيء من الأعراض العاجلة (فيتعلمون) أي

الاحد والمراتب السحرة منهما أى الملكين أو السحرة والمنزل على الملكين أو القننة والكفر (ما يفرقون
 به بين المرء وزوجه) اما بان يعتقدان ذلك السحر مؤثر في هذا التفريق فيصير كافر او اذا صار كافرا بان
 منه امر آتة فيحصل تفرق بينهما واما بالتقوية والحيل فيبغض كل منهما في الآخر (وما هم) أى السحرة أو
 اليهود أو الشياطين (بضارين به) أى باستعمال السحر (من أحد الا باذن الله) أى بايجاد الله واراادته
 وعلمه (ويتعلمون) أى الشياطين واليهود والسحرة بعضهم من بعض (ما يضرهم) في الآخرة (ولا
 ينفعهم) في الدنيا ولا في الآخرة وهو السحر (ولقد علموا) أى اليهود (لمن اشترا) أى استبدل ما تتلوا
 الشياطين (ماله في الآخرة) أى في الجنة (من خلاق) أى نصيب أو ماله في النار من خلاص أى ان اليهود
 لما نبذوا كتاب الله وراه ظهورهم واقبلوا على التمسك بما تتلوا الشياطين فكأنهم قد اشتروا ذلك السحر
 بكتاب الله (ولبش ما شروا به أنفسهم) أى والله لبش شيأ باعوا به حظ أنفسهم في الآخرة الكفر أو تعلم
 السحر (لو كانوا يعلمون) فجهه على اليقين (ولو أنهم) أى اليهود (آمنوا) بمحمد المشار اليه في
 قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ أو بما أنزل اليه من الآيات المذكورة بقوله تعالى ولقد
 أنزلنا إليك آيات بينات أو بالتوراة التي أريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين أتوا الكتاب كتاب الله
 وراه ظهورهم (واتقوا) بأن تابوا من اليهودية واستعمال السحر (لثوبه من عند الله خير) أى
 لشي من ثواب الله خير لهم (لو كانوا يعلمون) ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا) للنبي صلى الله
 عليه وسلم (راعنا) وكان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تلا عليهم شيأ من العلم
 راعنا يا رسول الله أى تأن بنا حتى نفهم كلامك واليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتساوون بها فيما بينهم فلما
 سمعوا المؤمنين يقولون راعنا خاطبوا به النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعنون بها تلك المسبة ويضحكون
 فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ منهم وكان يعرف لغتهم فقال لليهود يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي
 بيده لئن سمعتهما من أحد منكم يقولن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضربن عنقه قالوا أولستم تقولونها
 فنهى المؤمنين عنها وأمره بالغة أخرى لئلا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وذلك قوله تعالى (وقولوا انظرونا) أى انظر اليه والمقصود منه ان المعلم اذا نظر الى المتعلم كان آتيانه
 للكلام على نعت الافهام أقوى وقيل لا تجعل علينا قاله ابن زيد (واسمعوا) أى أحسنوا اسماع ما يقوله
 النبي صلى الله عليه وسلم بأذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجون الى الاستعادة (والكافرين)
 أى اليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (عذاب أليم) هو النار (ما يؤذون الذين كفروا من
 أهل الكتاب) وهم اليهود (ولا المشركين) من العرب (أن ينزل عليكم من خير من ربكم) أى ما يحب
 اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه ومشركوا العرب أبو جهل وأصحابه ان ينزل عليكم وحى من ربكم لانهم
 يحسدونكم به (والله يختص برحمته) أى بوحيه (من يشاء) أى من كان أهلا لذلك وهو محمد صلى الله عليه
 وسلم (والله ذو الفضل العظيم) بالوحى على محمد صلى الله عليه وسلم من غير علة ولما قال الكفار ان محمدا
 يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه وما يقوله الامن تلقاه نفسه نزل قوله تعالى (مانسخ من
 آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قرأ ابن عامر ننسخ بضم النون الاولى وكسر السين وقرأ ابن كثير
 وأبو عمر ونسأ بفتح النون الاولى والسين وبهمزة ساكنة بعد السين أى ما تبدل آية اما بان تبدل حكمها
 فقط أو تلاوتها فقط أو تبدلها معا أو نتر كهما كما كان فلا تبدلها نأت بأنفع من المنسوخ وأخف في
 العمل بها أو نأت بعثها في الثواب والنفع والعمل أو يقال ما نفع من آية قد عمل بها أو نوتر نسخها فلا نرفع

تلاوتها ولا تزيل حكمها تأت بما هو أنفع للعباد في السهولة كنسخ وجوب مصابرة الواحد لعشرة من
الاعداء بوجوب مصابرة لاثنين أو في كثرة الاجر كنسخ التخير بين الصوم والغدية بتعيين الصوم أو تأت
بإلغائها في التكليف والثواب كنسخ وجوب استقبال حفرة بيت المقدس بوجوب استقبال الكعبة فهما
متساويان في الاجر (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) وهذا تنبيه للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره على
قدرته تعالى على تصريف المكلف تحت مشيئته وحكمه وحكمته وأنه لا دافع لما أراد ولا مانع لما اختار
(ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) وهذا هو التنبيه على أنه تعالى إنما أحسن منه التكليف لمحض
كونه مآلا للخلق مستوليا عليهم لا لثواب يحصل ولا لعقاب يندفع (وما لكم) يا معشر اليهود (من دون
الله) أي غيره (من ولي) أي قريب ينفعكم (ولا نصير) يمنع عنكم عذابه وفرق بين الولي
والنصير بأن الولي قد يعجز عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن النصور ولما قالت اليهود يا محمد
إننا نكتب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة نزل قوله تعالى (أم تريدون) أي أتريدون (أن
تسألوا رسولكم) أي الرسول الذي جاءكم (كما سأل موسى) أي سأله بنوا إسرائيل رؤية الرب
وغير ذلك (من قبل) أي من قبل هذا الرسول (ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل)
أي ومن يختار الكفر على الإيمان أي بأن يأخذ الكفر بدل الإيمان فقد أخطأ الطريق المستوي أي
الحق (ود كثير من أهل الكتاب) أي من أئمة اليهود كعبد بن الأشرف وحيي بن أخطب وأبو ياسر
ابن أخطب (لو يردونكم) يا عمارو يا حذيفة ويا معاذ بن جبل (من بعد إيمانكم) يا محمد
والقرآن (كفاراً) أي غي كثر من اليهود ان يصيروكم من بعد إيمانكم مرتدين روى ان
فخاص بن عاذر ورازي بن قيس ونفر من اليهود قالوا الحذيفة وعمار بن ياسر بعد رجعة أحد ألم ترا
ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم
سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا أمر شدي قال فاني قد طهت الله تعالى أني لا أكفر بمحمد
ما عشت فقالت اليهود ما هذا فقد صبا وقال حذيفة ما أنا فقد رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبالقرآن
اماماً وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخواناً ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه بذلك فقال أصبتم
خيراً أو أفلهتما فنزلت هذه الآية (حسد من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) في كتابهم ان
محمد هو الحق وقالت صفيية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء أبي رعي من عندك فقال أبي رعي
ما تقول فيه قال أقول انه النبي الذي بشره موسى عليه السلام قال فأتري قال أرى معاداته أيام الحياة
فهذا حكم الحسد (فاعفوا) أي أتركوهم فلا تؤاخذوهم (واصفحوا) أي أعرضوا عنهم فلا تؤمؤهم
(حتى يأتي الله بأمره) فيهم أي بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية
عليهم أو بآذنه في القتال (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم من القتل والاجلاء
(وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة) الواجبين عليكم ولما أمر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود
أمرهم بعافية صلاح أنفسهم فقال أقيموا الصلاة (وما تقدموا لأنفسكم من خير) أي عمل صالح أي أي
شيء من التطوعات تقدموه لمصلحة أنفسكم (تجدوه عند الله) أي تجدوا ثوابه مدخر عند الله (ان
الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عند الله (وقالوا) عطف على ود (لن يدخل الجنة الا من كان هوداً
أو نصارى) أي قالت يهود المدينة لن يدخل الجنة الا اليهود ولا دين الا دين اليهودية وقالت نصارى
نجران لن يدخل الجنة الا النصارى ولا دين الا دين النصرانية وقرأ أبي بن كعب الا من كان يهودياً أو

نصرانياً أى قالوا ذلك لما تناظرنا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم (تلك) أى الامانى الباطلة وهى
أمنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من دينهم وأمنيتهم ان يروا المؤمنين كفاراً وأمنيتهم ان لا يدخل الجنة
غيرهم (أمنيتهم) أى مقنياتهم على الله ما ليس فى كتابهم (قل) يا أشرف الخلق (هاؤا
برهانكم) أى أحضروا حجتكم من كتابكم (ان كنتم صادقين) فى مقاتلتكم (بلى) يدخل
الجنة غيرهم (من أسلم وجهه) أى من أخلص نفسه (لله) لا يشرك به شيئاً (وهو محسن) فى جميع
أعماله (قله أجرة) الذى وعد له على عمله (عند ربّه) أى فى الجنة (ولا خوف عليهم) فى الدارين من
لحق مكره (ولا هم يحزنون) من فوات مطلوب ولما قدم نصارى نجران على رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتاهم أخبار اليهود ففتحاهم فى الدين حتى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود ما أنتم على شئ
من الدين وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شئ من الدين أنزل الله تعالى هذه الآية (وقالت اليهود)
أى يهود المدينة (ليست النصارى على شئ) أى أمر يعتد به من الدين قاله رافع بن حرملة فكفر
بعيسى والانجيل (وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) قاله رجل من أهل نجران فكفر بعيسى
والتوراة كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس (وهم) أى الفريقان (يتلون الكتاب) المتزل عليهم ويقولون
ما ليس فيه وكان حق كل منهم أن يقر بحقيقة دين خصمه بحسب ما ينطق به كتابه فان فى كتاب اليهود
تصديق عيسى وفى كتاب النصارى تصديق موسى (كذلك) أى مثل ذلك الذى سمعته به (قال الذين
لا يعلمون) كتاب الله قال السدى هم العرب وقال عطاءهم أمم كانت قبل اليهود والنصارى كما أخرجهما
ابن جرير (مثل قولهم) بدل من كذلك بيان للكاف أى لاهل كل دين أنهم ليسوا على شئ يصح (فأله
يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه) من الدين (يختلفون) فيقسم لكل فريق منهم من العقاب الذى
استحقه وقال الحسن أى فأنه يكذبهم جميعاً ويدخلهم النار (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (عن منع مساجد
الله أن يذكر فيها اسمه) بالصلاة والتسبيح (وسعى) أى عمل (فى خرابها) بالهدم أو التعطيل
بانقطاع الذكر (أولئك) المانعون الساعون فى خرابها (ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) أى
ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا المساجد الا بخشية وخضوع وقيل معنى هذه الجملة النهى عن تمكين الكفار
من الدخول فى المسجد واختلاف الأئمة فى ذلك فجوز أبو حنيفة مطلقاً ومنعه مالك مطلقاً وقرئ الشافعى
بين المسجد الحرام وغيره وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنهم قرئوا كما قيل ان هذه الآية نزلت فى
شأن مشركى العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدخول الى الله بكة وألجؤوا الى الهجرة
فصاروا مانعين له ولا هم يأتونه ان يذكر الله فى المسجد الحرام وقد كان الصديق رضى الله عنه بنى مسجداً
عند داره فنعى وكان عن يؤذيه ولدان قرئوا ونساؤهم وقيل ان أبا بكر رضى الله عنه كان له موضع صلاة
فخر به قرئوا لما هاجروا من طريق الغنوى عن ابن عباس أنهم النصارى كما نقل عن ابن عباس ان
طيطيوس ابن اسبيانوس الرومى ملك النصارى وأصحابه غزروا بنى اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا
ذراريهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يرزل بيت
المقدس خراباً حتى بناه المسلمون فى زمن عمر رضى الله عنه ومعنى هذه الآية حينئذ ولا أحد أظلم فى كفره عن
حرب بيت المقدس لكيل لا يذكر فيه اسمه بالتوحيد ولا اذان وعمل فى خرابه من القاء الجيف فيه أولئك
أى أهل الروم ما كان لهم أمن فى دخوله الا مستخفين من المؤمنين مخافة القتل وهذا الحكم عام لكل من
فعل ذلك فى أى مسجد كان (لهم فى الدنيا خزي) أى هوان بالقتل والسبي وضرب الجزية عليهم

(ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو عذاب النار (ولله المشرق والمغرب) أي له تعالى كل الأرض فان
منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو المسجد الأقصى فقد جعلت لكم الأرض كلها مسجدا (فأينما تولوا)
وجوهكم في الصلاة بأمره (فثم) أي هناك (وجه الله) أي قبلته كما قاله مجاهد وقرئ بفتح التاء
واللام أي فآينما توجهوا إلى القبلة فثم مرضاة الله (إن الله واسع) برحمته ير يد التوسعة على عباده
(عليم) بمصالحهم وأعمالهم في الأما كن كلها أي إن الله تعالى أراد تحويل المؤمنين عن استقبال بيت
المقدس إلى الكعبة فبين تعالى أن المشرق والمغرب وجميع الجهات مملوكة له تعالى فآينما أمركم الله
بإستقباله فهو القبلة لأن القبلة ليست قبلته لذاته بل إن الله تعالى جعلها قبلته فآينما جعل الكعبة قبلته
فلا تنكروا ذلك لأنه تعالى يدبر عباده كيف يريد وقال ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس أنكر
اليهود ذلك فنزلت هذه الآية رداعليهم وقال أبو مسلم إن اليهود أغما استقبالوا بيت المقدس لأنهم اعتقدوا
أن الله تعالى صعد السما من الصخرة والنصارى أغما استقبالوا المشرق لأن عيسى عليه السلام ولد هناك
فرد الله عليهم هذه الآية (وقالوا اتخذ الله) أي صنع (ولدا) وقرأ ابن عامر قالوا بغير واو قبل القاف أي
قالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله وقال مشركوا العرب الملائكة بنات الله فقال
الله تعالى رداعليهم (سبحانه) وهي كلمة تنزيه ينزه الله تعالى بها نفسه عما قالوه (بل له ما في السموات
والأرض) والملكية تنافي الولدية أي ليس الأمر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها
عزير والمسيح والملائكة (كل له قانتون) أي كل ما في السموات والأرض مطيعون له لا يستعصى
شيء منهم على تكوينه ومشيئته فالطاعة هنا طاعة الإرادة لا طاعة العباداة (بديع السموات والأرض)
أي موجدهما بالامثال (واذا قضى أمرا) أي إذا أراد إيجاد شيء (فأغما يقول له كن فيكون) أي
أحدث فيحدث وقوله كن تمثيل لسهولة حصول المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة
حدوثها من غير توقف كطاعة المأمور المطيع للأمر القوي المطاع ولا يكون من المأمور إلا بأمره وقرأ ابن
عامر كن فيكون بالنصب في كل القرآن إلا في موضعين في قول آل عمران في قوله تعالى كن فيكون
الحق من ربك وفي الأنعام في قوله تعالى كن فيكون الحق فانه رفعهما وقرأ الكسائي بالنصب في النحل
ويس وبالرفع في سائر القرآن والباقيون بالرفع في كل القرآن أما النصب فعلى جواب الأمر وأما
الرفع فاما على أنه خبر مبتدأ محذوف أي فهو يكون أو معطوف على يقول أو معطوف على كن من
حيث المعنى كما هو قول الفارسي (وقال الذي لا يعلمون) للنبي صلى الله عليه وسلم وهم اليهود منهم رافع بن
حرمة كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس أو النصارى كما قاله مجاهد وصنفهم بعدم العلم لعدم علمهم
بالتوحيد والنبوة كما ينبغي أو هم كفار العرب كما أخرج عن قتادة (لولا يكلمنا الله) أي هلا يكلمنا
الله مشافهة من غير واسطة بالأمر والنهي كما يكلم الملائكة أو موسى وهلا ينص على نبوته وهذا
منهم استكبار (أو أتينا آية) أي فان كان الله تعالى لا يفعل ذلك فلم لا ينصك بآية ومجزة تأتينا وهذا
منهم إنكار في كون القرآن آية ومجزة لأنهم لو أقر وأبكونه مجزة لاستحال أن يقولوا ذلك ثم أجاب الله
تعالى عن هذه الشبهة بقوله (كذلك) أي مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد (قال الذين
من قبلهم) أي من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم (مثل قولهم) في التشديد وطلب الآيات فقالوا
أرنا الله جهرة وقالوا لنصبر على طعام واحد وقالوا اجعل لنا الها وقالوا هل يستطيع ربك أن ينزل
علينا مائدة من السماء (تشابهت قلوبهم) أي توافقت قلوبهم مع آبائهم واستوت كلهم في الكفر

والعناد (قد بينا الآيات) أي نزلنا بينة (لقوم يوقنون) أي يطلبون اليقين وحاصل هذا الجواب من الله تعالى أنا قد أيدنا قول محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات وبيننا حجة قوله بالآيات وهي القرآن وسائر المعجزات فكان طلب هذه الزوائد من باب التعمق وإذا كان كذلك لم يجبه أجابتها (أنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) أي أنا أرسلناك ملتبسا بالقرآن والدين لتكون مبشرا لمن اتبعك واهتدى بدينك ومنذرا لمن كفر بك وضل عن دينك أو المعنى أنا أرسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب (ولتسأل عن أصحاب الجحيم) قرأ الجمهور برفع التاء واللام على الخبر أي ولست بمسؤول عنهم ما لم يؤمنوا بما أنزل عليك بعدما بلغت ما أرسلت به وقرأ نافع بالجزم وفتح التاء على النهي أي لا تسأل عن حال كفار أهل الكتاب التي تكون لهم في القيامة ولا يمكنك في هذه الدار الاطلاع عليها وذلك اعلام بكل شدة عقوبة الكفار فلا يستطيع السامع أن يسمع خبرها (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) أي لن ترضى عنك يهود المدينة ولو خليتهم وشأنهم (حتى تتبع) دينهم وقبلتهم ولن ترضى عنك نصارى نجران ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم وقبلتهم (قل إن هدى الله هو الهدى) أي قل لهم يا أشرف الخلق رد القول لهم لك لن ترضى عنك حتى تتبع ديننا إن دين الله هو الاسلام وإن قبلة الله هي الكعبة (ولئن اتبعت) على سبيل التقدير أو المراد من هذا الخطاب أمته صلى الله عليه وسلم (أو هواهم) أي أقوالهم التي هي أهواء النفس وهو المعبر عنها أولا بقوله تعالى ملتهم اذ هم الذين ينتسبون اليها أما الشريعة الحقيقية من الله فقد غيروها تغييرا أي والله لئن اتبعت ملتهم وقبلتهم (بعد الذي جاءك من العلم) أي من الدين المعلوم محمته في إن دين الله هو الاسلام وقبلة الله هي الكعبة (مالك من الله) أي من عذاب الله (من ولي) أي قريب ينفعك (ولا نصير) يمنعك منه (الذين آتيناهم الكتاب) عبد الله بن سلام وأصحابه وبجير الراهب وأصحابه والنجاشي وأصحابه (يتلونه حق تلاوته) أي يقرؤنه كما أنزل لا يغيرونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتدبرون في معانيه ويخضعون عند تلاوته ويدينون أمره ونهيهم لمن سألهم (أو لئن يؤمنون به) أي بكتابهم وبعثناهم ويتوقفون فيما أشكل عليهم منه ويفوضونه إلى الله تعالى ويعملون بحكمه (ومن يكفر به) أي بالكتاب المؤتي بأن يغيره (فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الكفر بالايان (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) ومن جملة النعمة التوراة وذكر النعمة اغما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن لازم الايمان بها الايمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأن نعت النبي من جملة ما فيها (وأنى فضلتكم) بالاسلام (على العالمين) أي الموجودين في زمانكم (واتقوا يوما) أي اخشوا عذاب يوم (لا تجزى نفس شيئا) من عذاب الله (ولا يقبل منها عدل) أي فداء (ولا تنفعها شفاعاة ولا هم ينصرون) أي يمنعون مما يريد الله بهم ثم ذكر الله تعالى قصة ابراهيم توبيخا لأهل الملل المخالفين وذلك لأن ابراهيم يعترف بفضل جميع الطوائف قديما وحديثا فالشركون كانوا متشرفين بأنهم من أولاده ومن سأكفى حرمه وخادمي بيته وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا متشرفين بأنهم من أولاده فحكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام ما رآه من المشركين واليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم وانقياد شرعه لأن ما أوجبه الله تعالى على ابراهيم جاء به محمد كأفعال الحج واستقبال الكعبة وفي ذلك حجة عليهم فقال تعالى (واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) أي بأوامر ونواه قيل قال ابن عباس وقتادة هي

مناسك الحج كالأحرام والطوائف والسهي والرمي وقال ابن عباس هي عشر خصال كانت فرضاً في شرعه
وهي سنة في شرعنا خمس في الرأس وخمس في الجسد أما التي في الرأس فالمضمضة والاستنشاق والسؤال
وقص الشارب وقرق الرأس أي فرق شعره إلى الجانب الأيمن والجانب الأيسر وأما التي في البدن فالحتان
وحلق العانة وتنف الأبط وتقليم الأظفار والاستنجاء بالماء وقرأ ابن عباس وأبو حنيفة إبراهيم ربه برفع
إبراهيم ونصب ربه والمعنى إن إبراهيم دعا ربه بكلمات من الدعاء كفعل المختبر هل يجيبه الله تعالى اليهن
أم لا (فأعلن) أي قام بها حق القيام وأداها أحسن التأدية من غير تفريط (قال) تعالى له (إني جاعلك
للناس اماماً) أي قدوة في الدين إلى يوم القيامة والذي يكون كذلك لا بد وأن يكون رسولاً من عند الله
مستقلاً بالشرع وأن يكون نبياً إذ لم يبعث بعده بنى إلا كان من ذريته مأموراً باتباعه في الجملة (قال)
أي إبراهيم (ومن ذريتي) أي واجعل من بعض أولادي أئمة يقتدى بهم في الدين (قال) الله (لا ينال
عهدي الظالمين) أي لا يصيب عهدي بالامامة والنبوة الكافرين وكل عاص فانه ظالم لنفسه وقرأ قتادة
والاعمش وأبو رجاء الظالمون رفعاً بالفاعلية وعهدي مفعول به وفي هذا دليل على عصمة الأنبياء عليهم
السلام من الكبر مطلقاً (واذ جعلنا البيت) أي جميع الحرم (مناجاة للناس) أي مرجعاً لهم فانهم
يشعرون إليه كل عام بأعيانهم أو بأمثالهم كما قاله الحسن أو المراد لا ينصرف عنه أحد الا وهو يتقن العود
إليه كما قاله ابن عباس ومجاهد والمعنى جعلنا السكينة موضع ثواب يثابون بحججه واعتباره (وأمننا) أي
موضع أمن لمن يسكنه ويلجأ إليه من الأعداء والحسف والمسخ أو أمننا من حجه من عذاب الآخرة من حيث
إن الحج يجب ما قبله وحمل بعضهم هذه الكلمة على الأمر على سبيل التأويل والمعنى إن الله تعالى أمر
الناس بأن يجعلوا ذلك الموضع أمناً من الغارة والقتل فكان البيت محترماً بحكم الله تعالى (واتخذوا من
مقام إبراهيم مصلى) روى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان يبنى البيت
وأسماعيل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا أنت السميع العليم فلما ارتفع البنيان وضعف
إبراهيم عن وضع الحجارة قام على حجر وهو مقام إبراهيم عليه السلام وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزرة وعاصم
والكسائي واتخذوا بكسر الخاء على صيغة الأمر قال قتادة والسدى أمر وأن يصلوا عنده وعلى هذا
فهذه الجملة كلام اعترض في خلال ذكر قصة إبراهيم عليه السلام فكانت الله تعالى قال واذ جعلنا البيت
مناجاة للناس وأمنوا واتخذوا أنتم يا أمة محمد من مقام إبراهيم مصلى والتقدير أنا لما شرفناه ووصفناه بكونه
مناجاة للناس وأمناف اتخذوه قبلة لأنفسكم وقرأ أئمة وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء على صيغة الماضي فهو
أخبار عن ولد إبراهيم أنهم اتخذوا من مقامه مصلى (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) أي أمرناهما (أن يطهرا
بيتي) أي بأن أساء على التقوى وقيل معناه عرفا الناس أن بيتي طهرا لهم متى حجوه وزاروه وأقاموا فيه
(للطائفين والعاكفين والركع السجود) جمع راكم وساجداً المراد بالطائفين من يقصد البيت حاجاً أو معتمراً
فيطوف به وبالعاكفين من يقيم هناك ويجاور بالركع السجود من يصلي هناك قال عطاء فإذا كان
الشخص طائفاً فهو من الطائفين وإذا كان عاكفاً فهو من العاكفين وإذا كان مصلياً فهو من الركع
السجود ثم إذا فسرنا الطائفين بالغرياء حيث تدل الآية على أن الطوائف للغرياء أفضل من الصلوات روى
عن ابن عباس ومجاهد وعطاء أن الطوائف لأهل الأمصاء أفضل والصلوة لأهل مكة أفضل (واذ قال
إبراهيم رب اجعل هذا) الحرم (بلداً آمناً) أي كثيراً الخصب فان الدنيا إذا طلبت لتعقوي بها على
الدين كان ذلك من أعظم أركان الدين فإذا كان البلد آمناً حصل فيه الخصب تفرغ أهله لطاعة الله

تعالى وأيضاً ان الحصب عما يدعوا الانسان الى تلك البلدة فهو سبب اتصاله في الطاعة (وارزق أهله) أي الحرم (من الغرات) وقد حصل في مكة الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وروى أن الطائف كانت من مدائن الشام في أردن فلمادها ابراهيم هذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى قطعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعة ثم وضعها موضعها إلا أن قنفاً أكثر غرات مكة (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من أهلها بدل البعض خصهم سيدنا ابراهيم بالدعاء مراعاة لحسن الادب وفي ذلك ترغيب لقومه في الايمان (قال) تعالى (ومن كفر) أي أرزقه (فأمتعه) بالرزق (قليلاً) أي مدة عمره وقرأ ابن عباس بسكون الميم (ثم أضطره) أي الجأ في الآخرة (الى عذاب النار وبئس المصير) هي النار (واذ رفع ابراهيم القواعد من البيت واممهم اعيل) أي واذا رفع ابراهيم واممهم اعيل الجدران التي هي من البيت أي التي هي بعضه المستتر من الارض قيل بنى ابراهيم البيت من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي وأسس من حراء وجاء جبريل عليه السلام بالحجر الاسود من السماء وكان يا قوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الخيض في الجاهلية اسود يقولان (ربنا تقبل منا) بنا نبينا (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بنياتنا في جميع أعمالنا (ربنا واجعلنا مسلمين) أي مخلصين (لك) بالتوحيد والعبادة لا نعبد الاياك (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) أي واجعل بعض أولادنا جماعة مخلصين لك (وأرنا مناسكنا) أي علمنا سنننا (وتب علينا) أي تجاوز عنا تقصيرنا والعبدوان اجتهد في طاعة ربه فانه لا ينفك عن التقصير من بعض الوجوه اما على سبيل السهو أو على سبيل ترك الأولى فكان هذا الدعاء لاجل ذلك (انك أنت التواب) أي المتجاوز لذنوبنا (الرحيم) به (ربنا وابعث فيهم) أي في ذريتنا (رسولاً منهم) أي من أنفسهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال أنادعوة أبي ابراهيم أخرجه أحمد من حديث العرباض بن سارية وغيره (يتلوا عليهم آياتك) أي يذكروهم بالآيات ويدعوهم اليها ويحملهم على الايمان بها (ويعلمهم الكتاب) أي يأمرهم بتلاوة الكتاب ويعلمهم معاني الكتاب وحقائقه (والحكمة) قال الشافعي رضي الله عنه الحكمة سنة رسول صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة (ويزكيهم) أي يطهرهم من شركهم (انك أنت العزيز) أي القادر الذي لا يغلب (الحكيم) أي العالم الذي لا يجهل شيئاً ههنا سؤال ما الحكمة في ذكر ابراهيم مع محمد في باب الصلاة حيث يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم لجوابه أن ابراهيم دعا للمحمد بهذه الدعوة فأجرى الله ذكر ابراهيم على السنة أمة محمد الى يوم القيامة أداً عن حق واجب على محمد لا ابراهيم والجواب الثاني أن ابراهيم سأل ربه بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي أبق لي ثناء حسناً في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأجابه الله تعالى فقرن بين ذكرهما ابقاء للثناء الحسن على ابراهيم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم والجواب الثالث أن ابراهيم كان أباً للملة ومحمد كان أباً للرحمة وفي قراءة ابن مسعود النبي أرى بالؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال صلى الله عليه وسلم لم اغمالكم مثل الوالد أي في الرأفة والرحمة فلما وجب لكل واحد منهما حق الابوة من وجه قرن بين ذكرهما في باب الثناء والصلاة والجواب الرابع أن ابراهيم كان منادى الشريعة في الحج ومحمد كان منادى الايمان فجمع الله تعالى بينهما في الذكر الجميل (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) أي لا يكره أحد ملة ابراهيم الا من جهل نفسه وخسر نفسه كما قاله الحسن أي فلم يفكر في نفسه فيستدل بما يجده فيها من آثار الصنعة على وحدانية الله وعلى حكمته

ثم يستدل بذلك على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (واقدا مصطفىنا في الدنيا) أي اختارناه في الدنيا
للمرسلة من دون سائر الخليفة وعرفناه الملة التي هي جامعة للتوحيد والعدل والشرائع (وانه في الآخرة لمن
الصالحين) أي مع آبائهم المرسلين في الجنة (اذ قال له ربه) عند استدلاله بالكوكب والقمر والشمس
واطلاعه أمارات الحدوث فيها وذلك قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك حين خرج من السرب (أسلم) أي
فرد في مقاتلتك وقل لا اله الا الله (قال أسلمت رب العالمين) ويقال قال له ربه حين دعا قومه الى التوحيد
أسلم أي أخلص دينك وملكك لله قال أسلمت أي أخلصت ديني وعجلي لله رب العالمين ويقال قال له ربه
حين ألقى في النار أسلم نفسك الى قال أسلمت نفسي لله رب العالمين أي فوضت أمري اليه وقد حقق ذلك
حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقى في النار (ووصي) وقرأ نافع وابن عامر وأوصي بهمة
مفتوحة قبل وأوصاكنة (بها) أي باتباع الملة (إبراهيم بنيه) وكانوا ثمانية اسماعيل وهو أول
أولاده وأمه هاجر القبطية وامحق وامه سارة والبقية وهم مدن ومدين ويقشان وزمران واشبوق وشوح
اهم قنطوراء الكنعانية تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة (يعقوب) والاشهر انه معطوف على إبراهيم
ويجوز كونه مبتدأ محذوف الخبر والمعنى أن يعقوب وصي كوصية إبراهيم وقرى بالنصب عطفًا على بنيه
والمعنى وصي بها إبراهيم بنيه وناقضته يعقوب (يابني) هو على ضمائر القول عند البصريين ومتعلق
بوصي عند الكوفيين لأنه في معنى القول (ان الله اصطفى) أي اختار (لكم الدين) أي دين الاسلام
الذي هو صفوة الأديان (فلا تعوتن الا وأنتم مسلمون) أي فأثبتوا على الاسلام حتى تموتوا مسلمين مخلصين
له تعالى بالتوحيد والعبادة روى أن اليهود قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم أأنت تعلم أن يعقوب
أوصي بنيه باليهودية يوم مات فنزلت هذه الآية (أم كنتم شهداء) أي أكنتم يامعشر اليهود حضرة
(اذ حضر يعقوب الموت) بماذا أوصي بنيه باليهودية أو الاسلام أي حضره أسباب الموت (اذ قال
لينبي ما تعبدون من بعدى) أي أي شيء تعبدونه بعد موتي (قالوا نعبد الهك واله آبائنا إبراهيم
واسماعيل ويعقوب وبنوهم) أي مقرون بالعبادة والتوحيد (تلك) أي إبراهيم
ويعقوب وبنوهم (أمة) أي جماعة (قد خلت) أي مضت بالموت (لها) أي لتلك الأمة (ما كسبت)
من الخير أي جزاءه (ولكم) أي يامعشر اليهود (ما كسبتن) أي جزاء ما كسبتموه من العمل (ولا تستأجرون)
يوم القيامة (عما كنوا يعملون) كما لا يستأجرون عن عملكم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا صغية
حمة محمد يا فاطمة بنت محمد أتوفى يوم القيامة بأعمالكم لا بأنسابكم فاني لا أغني عنكم من الله شيئاً وقال
ومن ابطأ به عمله لم يسرع عمله (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) أي قالت يهود المدينة للمؤمنين كونوا
هودا أي اتبعوا اليهودية وقالت نصارى نجران للمؤمنين كونوا نصارى أي اتبعوا النصرانية (تمتدوا)
من الضلالة (قل بل ملة إبراهيم) أي قل يا أشرف الخلق بل اتبعوا ملة إبراهيم أي بل تكون أهل ملة
إبراهيم (حنيفاً) أي مستقيماً مخالفاً لليهود والنصارى منحرفاً عنهما (وما كان من المشركين) أي
ما كان إبراهيم على دينهم وهذا اعلان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم بقوله عزيز بن
الله والمسيح بن الله (قولوا) أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم ذلك (آمن بالله وما
انزل البينا) وهو القرآن (وما أنزل الى إبراهيم) من الصحف العشرة (واسماعيل وامحق ويعقوب
والاسباط) وهم بنو يعقوب وكانوا اثني عشر رجلاً وهم يوسف وبنيامين وروبييل ويهوذا وشمعون
ولاوي ودان ونفتالي وجاد وزبولون ويشجرون دان والصحف اثنا عشرت على إبراهيم لكن لما كانوا متعبدين

بتلك الهف كآواد اخلاين تحت أحكامها فكانت منزلة اليهم ايضا كما ان القرآن منزل الينا (وما أوتي موسى) من التوراة (وعيسى) من الانجيل (وما أوتي النبيون من ربهم) من كتبهم والمجرات (لا نفرق بين أحد منهم) كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بجميعهم (ونحن له) أي الله (مسلمون) أي مخلصون (فإن آمنوا) أي اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) أي فإن آمنوا بالتوراة من غير تعسف وتحريف كما أنكم آمنتم بالقرآن من غير تعسف وتحريف فقد اهتدوا لأنهم يتوصلون بذلك إلى معرفة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو المعنى فإن صاروا مؤمنين بمثل ما به صرتم مؤمنين فقد اهتدوا من الضلالة بدين محمد وإبراهيم (وإن تولوا) أي أعرضوا عن الإيمان بالنبيين وكتبهم (فإنما هم في شقاق) أي فإنما هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق (فسيكفيكم الله) أي سيكفيكم الله شقاقهم وقد أنجز الله تعالى وعده بقتل بني قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير وضرب الجزية عليهم (وهو السميع العليم) فيدرك ما يقولون وما يضررون وقادر على عقوبتهم (صبغة الله) أي اطلبوا صبغة الله وهي دين الاسلام عبر بهما عن الدين لكونه تطهيرا للمؤمنين من أوسار الكفر وحلية تزينهم بآثاره الجميلة ومتمد اخلا في قلوبهم كما أن شأن الصبغ بالنسبة إلى الثوب كذلك كقيل اغاصمى دين الله بصبغة الله لأن اليهود تصبغ أولادهم وداو النصارى تصبغ أولادهم انصارى بمعنى أنهم يلقنونهم فيصبغونهم بذلك لما يشربون في قلوبهم فقال تعالى صبغة الله أي اتبعوا دين الله (ومن أحسن من الله صبغة) أي لا صبغة أحسن من صبغة تعالى لأنه تعالى يصبغ عباده بالإيمان ويظهرهم به من أوساخ الكفر (ونحن له) أي لله الذي أعطانا تلك النعمة الجليلة (عابدون) شكر الهما ولسائر نعمه (قل أتحاجونني إلى الله) أي في شأن الله أن اصطفى رسوله من العرب لامنكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لا نزل عليكم وتر ونسكم أحق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) فإنه أعلم بتدبير خلقه وبعين يصلح للرسالة وبعين لا يضلح لها فلا تعترضوا على ربكم فإن العبد ليس له أن يعترض على ربه بل يجب عليه تفويض الأمر بالكلية له (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لا يرجع اليك من أفعالكم ضرر وانما امرادنا نفعكم وإرشادكم (ونحن له مخلصون) في العبودية ولستم كذلك فحن أولى بالأصطفاء (أم تقولون) قرأه ابن عامر وحزرة والكسائي وحفص عن عاصم بالتاء على المحاطبة فأم يحتمل أن تكون متصلة بمعادلة للهمزة والتقدير بأي المجتئين تتعلقون في أمرنا بالتوحيد أم يتباع دين الانبياء وإن تكون منقطعة مقدرة بيل والهمزة دالة على الانتقال من التوبيخ على الحاجة إلى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم السلام وقرأه الباقر بالياء على صبغة الغيبة فأم منقطعة غير داخلية تحت الأمر واردة من الله تعالى توبيخا لهم لأن جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم على نهي الالتفات (إن إبراهيم وإسماعيل وإسماعيل وإسماعيل ويعقوب والاسباط) أي أولاد يعقوب (كانوا) قبل نزول التوراة والانجيل (هودا أو نصارى قل) يا أشرف الخلق لهم (أأنتم أعلم) بدينهم (أم الله) فإن الله أعلم وخبره أصدق وقد أخبر في التوراة والانجيل وفي القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا مسلمين مبرئين من اليهودية والنصرانية (ومن أنظلم) أي لا أحد أنظلم (من كتم شهادة) ثابتة (عنده) كائنة (من الله) وهو شهادته تعالى لإبراهيم عليه السلام بدين الاسلام والبراءة من اليهودية والنصرانية وهم اليهود (وما الله بغافل عما تعملون) أي تسكتون من الشهادة (تلك أمة قد دخلت لها ما كسبت ولكم ما كسبت ولا تسألون عما كانوا يعملون) هنا تكرير ليكون وعظا ليهود ووزجر لهم حتى لا يتسكلموا على فضل الآباء فكل واحد يؤخذ

بعمله (سيعول السفهاء) أي الجهال الذين خفت أحلامهم (من الناس) وهم اليهود كما قاله ابن عباس ومجاهد لا نكبار النسخ وكراهة التوجه إلى الكعبة والعائل منهم رفاعة بن قيس وقرم بن عمرو ركب بن الأشرف ورافع بن حرملة والطاهج بن عمرو والريبع بن أبي الحقيق وقيل هم المناقون كما قاله السدي لمجرد الاستهزاء والطعن وقيل هم مشركوا العرب كما قاله ابن عباس والبراء بن عازب والحسن والأصم الطعن في الدين (ما ولاهم) أي أي شيء صرف المؤمنين (عن قبلتهم التي كانوا عليها) وهي بيت المقدس (قل) لهم يا أشرف الخلق (لله المشرق والمغرب) أي الجهات كلها ملكا والخلق عبيده لا يختص به مكان وإنما العبرة بامتثال أمره لا بخصوص المكان (يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) أي موصل إلى سعادة الدارين وقد هدايا إلى ذلك حيث أمرنا بالتوجه إلى بيت المقدس تارة وإلى الكعبة تارة أخرى (وكذلك) أي كما هديناكم إلى قبلة هي أوسط القبيل (جعلناكم) يا أمة محمد (أمة وسطا) أي خيار أعدو ولا عدو حين بالعلم والعمل (لتكونوا شهداء على الناس) يوم القيامة أن أرسلهم بلغتهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أي يشهد بعد التكميم روى أن الأمام يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله تعالى الأنبياء بالبينه على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيقولون أمة محمد يشهدون لنا فيوثق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الأمام الماضية من أين عرفتم وأنتم بعدنا فيقولون علمنا ذلك بأخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوثق بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمة فيزكيهم ويشهد بعد التكميم وقيل معنى قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا أنه صلى الله عليه وسلم إذا دعي على أمة أنه بلغهم قبل منه هذه الدعوى ولا يطالب بشهيد يشهد له فسميت دعواه شهادة من حيث قبولها وعدم توقفها على شيء آخر (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه) أي وما صيرنا تلك القبلة الآن الجهة التي كنت عليها أولا وهي الكعبة إلا لنعلمهم معاولة من يتخلفهم ونعلم حينئذ من يتبع الرسول في التوجه إلى ما أمر به عن يرتد عن دين الإسلام وكان صلى الله عليه وسلم يصلي إلى الكعبة فلما حاجر أمر بالصلاة إلى حجرة بيت المقدس تألفا لليهود فصلى إليها سبعة عشر شهرا ثم حول إلى الكعبة وارتد قوم من المسلمين إلى اليهودية وقالوا رجع محمد إلى دين آبائه (وان) هي الحففة من الثقبلة أي وانها (كانت) أي التولية إلى الكعبة (لكبرية) أي شاقة على الناس (الاعلى الذين هدى الله) منهم وهم النابتون على الإيمان (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي ثباتكم على الإيمان بل أعد لكم الثواب العظيم وقيل إيمانكم بالقبلة المنسوخة وصلاتكم إليها أي فإن الله لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك الصلاة (إن الله بالناس) أي بالمتؤمنين (رؤوف رحيم) فلا يدع صلاتهم إلى بيت المقدس (قد نرى قلب وجهك في السماء) فقد للتكثير أي كثير أنرى تصرف نظرك في جهة اسماء انتظار اللوح وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يترجى من ربه أن يحوله إلى الكعبة لأنها قبلة إبراهيم أبيه وأدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مخرج لهم ولحالة اليهود فكان ينتظر نزول جبريل بالوحى بالتحويل (فلنولينك قبلة ترضاها) أي فلنحولنك في الصلاة إلى قبلة نحبها لا أغراضنا المحيطة التي أضرمتها في قلبك (قول وجهك شطر المسجد الحرام) أي فاحرف وجهك بذلك تلقاه الكعبة أي استقبل عينها بصدرك في الصلاة وإن كنت بعيدا عنها والمراد بالمسجد الحرام هنا الكعبة كما هو في أكثر الروايات وقال آخرون المراد بالمسجد الحرام جميع المسجد الحرام وقال آخرون والمراد به الحرم كله روى عن ابن عباس أنه قال البيت قبلة لأهل المسجد والمسجد

قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل المشرق والمغرب وهذا قول مالك (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره)
 أى فى أى موضع كنتم يا أمة محمد منه برأى بجزر مشرق أو مغرب فأصرفوا وجوهكم تلقاء المسجد الحرام
 الذى هو بمعنى الكعبة (وان الذين أوتوا الكتاب) هم أحبار اليهود وعلماء النصارى (ليعلمون أنه)
 أى التولى الى الكعبة (الحق من ربهم) لمعايتهم لما هو مسطور فى كتبهم من أنه صلى الله عليه وسلم صلى
 الى القبلتين ولكنه يكتمونه (وما الله بغافل عما يعملون) قرأه ابن عامر وحزق الكسافى بالتاء اما خطاب
 للمسلمين أى وما الله بساه عما يعملون أيها المسلمون من امتثال أمر القبلة واما خطاب لاهل الكتاب أى
 وما الله بغافل عما تكتمون يا أهل الكتاب خبر الرسول وخبر القبلة وقرأ الباقون بالياء على أنه راجع
 لهؤلاء (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك) أى والله لئن جئت الذين أعطوا
 الكتاب اليهود والنصارى بكل حجة قطعية دالة على صدقك فى ان تحولك بأمر من الله ما صلوا الى قبلتك
 وما دخلوا فى دينك (وما أنت بتابع قبلتهم) أى اليهود والنصارى وهذا بيان أن هذه القبلة لا تنصير
 منسوخة وحسم اطماع أهل الكتاب وقرئ بتابع قبلتهم بالاضافة (وما بعضهم بتابع قبلة بعض)
 فاليهود بيت المقدس وللنصارى المشرق (ولئن أتيت أحواءهم) أى الامور التى يحبونها منك (من
 بعد ما جاءك من العلم) أى الوحى فى أمر القبلة بأى لا تعود الى قبلتهم (انك اذا) أى انك لو فعلت
 ذلك على سبيل تقدير المستحيل وقوعه (لمن الظالمين) لانفسهم (الذين آتيناهم الكتاب) أى
 أعطيناهم علم التوراة (يعرفونه) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جليلة عزيزون بينه وبين
 غيره (كما يعرفون أبناءهم) لا تشبه عليهم أبناءهم وأبناء غيرهم قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه
 لعبد الله بن سلام رضى الله عنه كيف هذه المعرفة المذكورة فى هذه الآية فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته
 حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي بمحمد أشد من معرفتي بابني فقال عمر فكيف ذلك فقال أشهد أنه رسول
 الله حقاً وقد نعت الله تعالى فى كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء فقبل عمر رأسه وقال وفعل الله يا أبا سلام
 فقد صدقت (وان فريقاً منهم) أى من أهل الكتاب (ليكتمون الحق) أى أمر محمد صلى الله عليه
 وسلم (وهم يعلمون) أن صفة محمد مكتوبة فى التوراة والإنجيل وان كتمان الحق معصية (الحق من
 ربك) مبتدأ وخبر أى الحق الذى أنت عليه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن من ربه ويحتمل
 أن الحق خبره مبتدأ محذوف أى ما كنتموه هو الحق وقرأ على رضى الله عنه الحق من ربك بالنصب على
 انه بدل من الاول أو مفعول ليعلمون (فلا تكونن من الممترين) أى الشاكين فى أن علماء أهل الكتاب
 علماء نبوتك وشريعتك (ولكل وجهة) قال بعضهم أى لكل قوم من المسلمين بجهة من الكعبة
 يصل الى مهاجرتهم أو شرقية أو غربية وقال آخرون ولكل واحد من الرسل وأصحاب
 الشرائع جهة قبلة فقبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسى وقبلة الكروبيين البيت المعمور
 وقبلة الأنبياء الذين قبلك حتى عيسى عليه السلام بيت المقدس وقبلة الكهنة وهى قبلة ابراهيم (هو)
 أى الله (موليها) أى أمر بأن يستقبلها وفى قراءة عبد الله بن عامر النخعي هو مولاها وهى قراءة ابن عباس
 وأبى جعفر محمد بن على الباقر والمعنى هو أى كل قوم مولا لتلك الجهة وقرئ ولكل وجهة بالاضافة
 (فأستبقوا الخيرات) أى فبادروا يا أمة محمد الى الطاعات وقبول أوامرها (أفئتان كنوا) أى فى أى
 موضع تكونوا من برأى بجزر (يات بكم الله جميعاً) أى يجمعكم الله يوم القيامة فيجزى بكم على الخيرات
 (أن الله على كل شئ قدير) من جمعكم وغيره (ومن حيث خرجت) أى من أى مكان خرجت اليه

للسفر (فول وجهك) عند صلاتك (شطر المسجد الحرام وانه) أي هذا الامر (الحق) أي الثابت الموافق
 للحكمة (من ربك وما الله بغافل عما تعملون) قرأ أبو عمرو وبالياء على الغيبة وهو راجع للكفار أي
 من انكار أمر القبلة والباقون بالتاء على الخطاب (ومن حيث خرجت) في أسفارك ومغازبك من
 المنازل القريبة والبعيدة (فول وجهك) في الصلاة (شطر المسجد الحرام) أي تلقاه (وحيث ما كنتم)
 من أقطار الأرض مقيمين أو مسافرين في بر أو بحر (فولوا وجوهكم) في الصلاة من محالكم (شطره)
 أي المسجد الحرام وكرر الله تعالى أمر التولي لشطر المسجد الحرام ثلاث مرات تأكيداً كيد أمر القبلة لأن
 النسخ من مظان الفتنة والشبهة مع انه تعالى علق بكل آية فائدة أمافي الآية الأولى فبين أن أهل الكتاب
 يعلمون أن أمر نبوة محمد وأمر هذه القبلة حق لأنهم شاهدوا ذلك في التوراة والإنجيل وأمافي الآية الثانية
 فبين أنه تعالى يشهد أن ذلك حق وشهادة الله بكونه حقاً مغيرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقاً وأمافي الآية
 الثالثة فبين أنه تعالى قطع حجة اليهود والمشركين وذلك قوله تعالى (لئلا يكون للناس) أي اليهود
 والمشركين (عليكم حجة) أي مجادلة في التولي والمعنى ان التولية عن الحضرة تدفع احتجاج اليهود بأن
 محمد ابجددينا أو يتبع قبلتنا وذلك مدفوع بأن المنعوت في التوراة قبلته صلى الله عليه وسلم الكعبة
 وتدفع احتجاج المشركين بأنه صلى الله عليه وسلم يدعى ملأ إبراهيم ويخالف قبلته (الا الذين ظلموا منهم)
 أي الا المعادين منهم فأنهم يقولون ما تحول الى الكعبة الامية الى دين قومه وجبا للبلده (فلا تخشوهم)
 أي فلا تخافوا ما اعتنهم في قبلتكم فأنهم لا يضرونكم (واخشوني) أي احذروا عقابي فلا تخالفوا
 أمري (ولا تم نجي عليكم) بالقبلة كما أتمت عليكم بالدين (ولعلكم تهتدون) الى الحق (كما أرسلنا
 فيكم رسولا منكم) أي من نسبكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا مما يتعلق بما قبله أي ولا تم نجي
 عليكم في أمر القبلة كما أتمتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول وأما متعلق بما بعده أي كما ذكرتمكم
 بالارسل فاذا كروني (يتلو عليكم آياتنا) أي يقرأ عليكم القرآن بالامر والنهي (ويزكيكم) أي
 يظهركم من الذنوب بالتوحيد والصدقة (ويعلمكم الكتاب) أي معاني القرآن (والحكمة) أي
 السنة (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) أي يعلمكم أخبار الأمم الماضية وقصص الانبياء وأخبار
 الحوادث المستقبلية (فاذا كروني) باللسان والقلب والجوارح فالصلاة مشتملة على الثلاثة فالاول
 كالتمسيع والتكبير والثاني كالخشوع وتدبر القراءة والثالث كالركوع والسجود (أذكركم)
 بالاحسان والرحمة والنعمة في الدنيا والآخرة (واشكروا لي) نعتي بانطاعة (ولا تكفرون) أي لا تتركوا
 شكرها (يا أيها الذين آمنوا استعينوا) على تجميع الذنوب (بالصبر) على أداء فرائض الله وترك المعاصي
 وعلى المرازي (والصلاة) أي بكثرة صلاة التطوع في الليل والنهار (ان الله مع الصابرين) بالنصر
 (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) كسائر الاموات (بل أحياء) أي بل هم كأحياء أهل الجنة
 في الجنة يرزقون من الخف (ولكن لا تشعرون) بحياتهم وطالهم قال ابن عباس نزلت الآية في قتلى بدر
 وقتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار والمهاجرون عبيدة بن الحارث
 ابن عبد المطلب وعمر بن أبي وقاص وذو الشمالين وعمر بن نفيلة وعاصم بن بكر ومهجع بن عبد الله
 والانصار سعيد بن خيفة وقيس بن عبد المنذر وزيد بن الحارث ونعيم بن الهمام ورافع بن المعلى وحارثة بن
 سراقة ومعوذ بن عفراء وعوف بن عفراء وكان الناس يقولون مات فلان ومات فلان فنهى الله تعالى ان
 يقال فيهم انهم ماتوا وقال آخرون ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون أنفسهم طلبا لمرضاة محمد

من غير فائدة فنزلت تلك الآية (ولنبأونكم) أى والله لنصيبنكم اصابة من يختبر أحوالكم أن تصبرون على البلاء وتستسلمون القضاء أم لا (بشيء) أى بقليل (من الخوف) من العدو (والجوع) في لحظ السنين (ونقص من الاموال) بالهلاك (والانفس) بالقتل والموت (والثمرات) بالجوائح قال الشافعي رضى الله عنه الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكاة والصدقات والنقص من الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد (وبشر الصابرين) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك من يتأتى منه البشارة (الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا) باللسان والقلب معا (ان الله) أى نحن عبيد الله (وانا اليه راجعون) بعد الموت قال أبو بكر الوراق ان الله اقرار ما بالملك له تعالى وانا اليه راجعون اقرار على أنفسنا بالهلاك (أولئك عليهم صلوات) أى مغفرة (من ربهم ورحمة) أى لطف (وأولئك هم المتهمدون) للاسترجاع حيث سماو القضاء الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) أى من علامات مواضع العبادات لله بالحج والعمرة (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) أى فلا اثم عليه في أن يسعى بينهما سعيهما قال ابن عباس كان على الصفا صمى اسمه اساف وعلى المروة صمى آخر اسمه نائلة وكان أهل الجاهلية يطوفون بهما ويتمسحون بهما فلما جاء الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما لاجل الصمتين فأذن الله تعالى فيه وأخبر أنه من شعائر الله لا من شعائر الجاهلية (ومن تطوع خيرا) أى زاد على ما فرض الله عليه من حج أو عمرة حتى طاف بالصفا والمروة تطوعاً (فان الله شاكر) أى مجاز على الطاعة (عليم) أى يعلم قدر الجزاء فلا يجنس المستحق حقه (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات) هي كل ما أنزل الله على الانبياء (والهدى) أى ما يهدي في وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم والايان به من الدلائل العقلية والقلبية (من بعد ما بيناه للناس) أى ابني اسرائيل (في الكتاب) أى التوراة (أولئك يلعنهم الله) أى يبعدهم من رحمته (ويلعنهم اللاعنون) أى يسألون الله أن يلعنهم ويقولون اللهم العنهم وهؤلاء دواب الارض كذا قال مجاهد أخرجه سعيد بن منصور وغيره وقال قتادة والربيع هم الملائكة والمؤمنون أخرجه ابن جرير (الذين تابوا) أى ندموا على ما فعلوا (وأصلحوا) بالعزم على عدم العود (وبينوا) ما كتبوه (فألكل أتوب عليهم) أى أقبل توبتهم (وانا للتواب) أى القابل لتوبة من تاب (الرحيم) أى المبالغ في نشر الرحمة لمن مات على التوبة (ان الذين كفروا) بالسكتمان وغيره (وماتوا وهم كفار) بالله ورسوله (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) حتى أهل دينهم فاتهم يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً (خالدين فيها) أى اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب) طرفة عين (ولا هم ينظرون) أى يؤجلون من العذاب فاذا استهلوا الايهلون واذا استغاثوا لا يغاثون (والحكم) أى المستحق منكم العبادة (اله واحد) أى فرد في الالهية (لا اله الا هو) أى لا معبود لنا موجد الا اله الواحد (الرحمن الرحيم) خبر ان أخران للبتدأ ذكر من المبالغ في النعمة والرحيم كثير النعمة (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر ما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخرين السماء والارض لايات لقوم يعقلون) اعلم أنه تعالى لما حكم بالوحدانية ذكر ثمانية أنواع من الدلائل التي يمكن أن يستدل بها على وجوده تعالى وعلى براهته من الانداد النوع الاول السموات والارض والآيات في السماء هي ممكنها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآيات في

الأرض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيهما من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهيار والشجار
والثمار النوع الثاني الليل والنهار والآيات فيهما سائر ما بالبحر والذهب والفضة والفضة والفضة
والقصور والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانتظام أحوال العباد في معاشهم بالراحة في الليل والنوم
في الكسب في النهار النوع الثالث السفن والآيات فيها جريانها على وجه الماء وهي موقرة بالانتقال
والرحال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر للحمل السفن مع قوة سلطان الماء وهيجان
البحر فلا ينحجب منه إلا الله تعالى النوع الرابع ركوب السفن والحمل عليها في التجارة والآيات في ذلك
أن الله تعالى لو لم يقو قلوب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجارتهم ومنافعهم وأيضا فإن الله تعالى
خص كل قطر من أقطار العالم بشئ معين فصار ذلك سببا يدعوهم إلى اقتحام الأخطار في الأسفار من ركوب
السفن وخوف البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يرجع والحامل إليه ينتفع بما حمل إليه النوع
الخامس نزول المطر من السماء والآيات في ذلك أن الله جعل الماء سببا للحياة جميع الموجودات من
حيوان ونبات وأنه ينزله عند الحاجة إليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء وينزله بكمكان دون مكان النوع
السادس انتشار كل دابة في الأرض والآيات في ذلك أن جنس الإنسان يرجع إلى أصل واحد وهو آدم
مع ما فيهم من الاختلاف في الصور والأشكال والألوان واللغة والطبائع والأخلاق والأوصاف إلى غير
ذلك ثم يقاس على بني آدم سائر الحيوان (النوع السابع) الريح والآيات فيه أنه جسم لطيف
لا يغسل ولا يرى وهو مع ذلك في غاية القوة بحيث يقطع الشجر والعنبر ويحرب البنيان وهو مع ذلك حياة
الوجود فلو أمسك طريقة عين مات كل ذي روح وأنتن ما على وجه الأرض (النوع الثامن) السحاب
والآيات في ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأودية العظيمة يبقى
معلقا بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه ولا دعامة تسنده قال القاضي زكريا إن السحاب من شجرة
مثمرة في الجنة والمطر من بحر تحت العرش (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) أي ومن الكفار
من يعبد من غير الله أو أنا (يحبونهم) حباً كأننا (كحب الله) أي كحبهم لله تعالى أي يسوون بينه
تعالى وبين الأصنام في الطاعة والتعظيم أو يحبون عبادتهم أصنامهم كحب المؤمنين الله تعالى بالعبادة
(والذين آمنوا أشد حبا لله) من الكفار لا أصنامهم فاب المؤمنين لا يتضرعون إلا إلى الله تعالى بخلاف
المشركين فأنهم يعدلون إلى الله عند الحاجة وعند زوال الحاجة يرجعون إلى الأصنام (ولو يرى الذين
ظلموا أذيرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) قرأ الجهور ولو يرى بالياه المنقوطة
من تحت مع فتح الهمزة من أن عند القراء السبعة والمعنى ولو يعلم الذين شرکوا بالله شدة عذاب الله
وقوته لما اتخذوا من دونه أندادا وعلى قراءة بعض القراء غير السبعة بكسر الهمزة من أن كان التقدير ولو
يعلم الذين ظلموا بعبادة الأصنام عجزها حال مشاهدتها لعذاب الله لقولوا إن القوة لله وقرأنا فاع وان عامر
ترى بالتاء المنقوطة من فوق مع فتح الهمزة على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أولئك كل أحد من صلح
الخطاب والمعنى ولو ترى الذين ظلموا أذيرون العذاب ترى أن القوة لله جميعا ولو كسرت الهمزة كان المعنى
ولو ترى الذين أشركوا أذيرون العذاب لقلت أن القوة لله جميعا وقرأ ابن عباس يرون بضم الياء (اذتبرا)
الذين اتبعوا أي القادة وهم الرؤساء مشركي الأنس (من الذين اتبعوا) أي السفلة (ورأوا
العذاب) أي وقدرأى القادة والسفلة العذاب في الآخرة (وتقطعت بهم الأسباب) أي تقطعت عنهم
المواصلات والأرحام والأعمال والعهود واللفظينهم أي أنكروا القادة أضلال السفلة يوم القيامة حين

يجمعهم الله (وقال الذين اتبعوا) أي السفلة (لو أن لنا كرة) أي ليت لنا رجعة إلى الدنيا (فنتبرأ منهم)
 أي للقادة هناك (كما نبرأ منكم) اليوم (كذلك) أي كما أراهم الله شدة عذابه (يرى الله أعمالهم
 حسرات) أي ندامت شديدة (عليهم) أي على تغريبطهم (وبأهم) أي القادة والسفلة (بمخارجين
 من النار) بعد دخولها (يا أيها الناس) قال ابن عباس نزلت الآية في الذين حرّموا على أنفسهم
 السواحب والوسائل والجائر وهم قوم من ثقيف وبني هاجر ابن صعصعة وخزاعة وبني مدلج (كلوا مما في
 الأرض) أي من الحرث والآنعام (حلالا طيبا) أي بما حابى أن لا يكون متعلقا به حق الغير (ولا
 تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تقتدوا طرق وساوس الشيطان في تحريم الحرث والآنعام (أنه لكم
 عدو مبين) أي ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة (انما يأمركم بالسوء) أي القبيح من الذنوب التي
 لاحد فيها (والفحشاء) أي المعاصي التي فيها حد (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) أي بآن تفترروا
 على الله ما لا تعلمون أن الله تعالى حرّم هذا وذلك (واذا قيل لهم) أي لمشركي العرب (اتبعوا ما أنزل
 الله) من التوحيد وتحليل الطيبات (قالوا) لا تتبعه (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) أي ما وجدناهم
 عليه من عبادة الأصنام وتحريم الطيبات ونحو ذلك قال الله تعالى (أولو كان آباؤهم) أي أي تتبعونهم
 وإن كان آباؤهم (لا يفعلون شيئا) من الدين (ولا يهتدون) إلى الحق (ومثل الذين كفروا كمثل
 الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) أي رصفة الذين كفروا في اتباعهم آباءهم وتقليد هم لهم كصفة
 الراعي الذي يصوت على ما لا يسمع من البهائم فأنها لا تسمع إلا صوت الراعي من غير فهم لكلامه أصلا فكما
 أن الكلام مع البهائم عبث عديم الفائدة فكذلك التقليد يقال مثل الذين كفروا في قلة عقلهم في عبادتهم
 للأوثان كمثل الراعي الذي يتكلم مع البهائم فكما يحكم على الراعي بقلة العقل فكذلك هؤلاء (هم) لأنهم
 لم يسمعوا الحق (بكم) لأنهم لم يستجيبوا لما دعوا إليه (ع) لأنهم أعرضوا عن الدلائل (فهم
 لا يعقلون) أي لا يفقهون أمر الله ودعوة نبي صلى الله عليه وسلم كما لا تفهم البهائم كلام الراعي
 (يا أيها الذين آمنوا) كلوا من طيبات ما رزقناكم (أي كلوا من حلال ما أعطيناكم من الحرث
 والآنعام) (واشكروا لله) على ما رزقكم الطيبات (إن كنتم إياه تعبدون) أي إن صبح أنكم
 تخلصونه بالعبادة وتقرون أنه تعالى هو الذي لا غير فإن الشكر رأس العبادات (انما حرّم عليكم الميتة)
 أي أكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت على غير ذكاة أمالها ملك والجراد فهم ما خارجان عنهما باستثناء
 الشرع فكروا ج الطحال من الدم (والدم ولحم الخنزير) أي جميع أجزائه وانما خص اللحم لأنه
 المقصود بالاكل (وما أهل به لغير الله) فموصول وبه نائب الفاعل والباء بمعنى في مع حذف مضاف
 والمعنى وما صبح في ذبحه لغير الله والكفار يرفعون الصوت لألهتهم عند الذبح وقال الربيع ابن أنس
 وابن زيد والمعنى وما ذكركم عليه غير اسم الله وعلى هذا فغير الله نائب الفاعل واللام صلة قال العلماء لو أن
 مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدا واذ يهتد ذبيحة مرتد (فإن اضطر) أي
 أحوج إلى أكل ما ذكركم بأن أصابه جوع شديد ولم يجد حلالا يسد به الرق أو أكره على تناول ذلك
 (غير باغ) أي غير طالم للذة (ولا عاد) أي متجاوزا سد الجوعة كما نقل عن الحسن وقادة الربيع
 ومجاهد وابن زيد وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد على المسلمين بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي
 بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول أحمد رحمه الله (فلا تأثم عليه) في أكل ما ذكر (إن الله
 غفور) لمن أكل في حال الاضطرار (رحيم) حيث أباح في تناول قدر الحاجة (إن الذين يكتمون

ما أنزل الله من الكتاب المشغل على الأحكام من المحللات والمحرمات وعلى نعت محمد صلى الله عليه وسلم
(ويشترون به) أى بالسكتمان (ثمناً قليلاً) أى عوضاً حقيراً (أولئك ما ياء كلون في بطونهم الآل النار)
أى الإل الحرام الذى هو سبب النار يوم القيامة (ولا يكلمهم الله) بكلام طيب (يوم القيامة ولا يركبهم)
أى لا يظهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب أليم) يخلص الله لى قلوبهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى والعذاب بالغفرة) أى أولئك الكائنون اختاروا ما تحببه النار على ما تحببه الجنة (فما
أصبرهم على النار) أى فما أجزأهم على النار (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) أى ذلك الوعيد
معلوم لهم بسبب أن الله نزل الكتاب بالصدق أو ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب ببيان الحق وهم
قد حرفوا تأويله (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) بأن آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها
(لنى شقاق بعيد) أى لنى خلاف بعيد عن الهدى (ليس البر أن تولوا وجوهكم) فى الصلاة (قبل المشرق)
أى جهة الكعبة (والمغرب) أى جهة بيت المقدس وقرأ حفص وحمرزة بنصب البر على أنه خبر مقدم
(ولكن البر) ولكن الشخص البر (من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى
المال على حبه) أى مع حب المال وهو أن تؤتيه وأنت صحيح صحيح تامل العيش وتحشى الفقر (ذوى
القربى) أى القرابة (واليتامى) أى المحاييج منهم (والمساكين وابن السبيل) أى موار
الطريق (والسائلين) أى الذين الجأتهم الحاجة الى السؤال (وفى الرقاب) أى فى المكاتبين وقيل
فى اشتراء الرقاب لاعتاقها (وأقام الصلاة) المفروضة منها (وآتى الزكاة) أى المفروضة (والموفون
بعهدهم) عطف على من آمن (إذا عاهدوا) فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين الناس (والصابرين)
مفعول لفعل محذوف كذكر (فى البأساء) أى الخوف والبلايا والشدائد (والضراء) أى الأمراض
والأوجاع والجوع (وحيز البأس) أى وقت شدة القتال فى سبيل الله (أولئك الذين صدقوا) فى
الدين وطلب البر (وأولئك هم المتقون) عن الكفر ~~تذنيه~~ قوله ليس البر هو اسم جامع لكل
طاعة ثم قوله ولكن البر هو اسم فاعل والأصل بر ربك سر الراء الأولى فلما أريد الإدغام نقلت كسرة الراء
الى الباء بعد سلب حركتها وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل الذى هو البار كجاء القراءة الشاذة واختلف فى
المخاطب بهذه الآية فقال بعضهم المراد مخاطبة اليهود لما شدوا فى الثبات على التوجه جهة بيت المقدس
فقال تعالى ليس البر هذه الطريقة ولكن البر من آمن بالله وقول بعضهم بل المراد مخاطبة المؤمنين لما ظنوا
أنهم قد نالوا البغية بالتوجه الى الكعبة من حيث كانوا يحبون ذلك فخطبوا بهذا الكلام وقال بعضهم
بل هو خطاب لكل وقول الله تعالى أن صفة البر لا تحصل بمجرد استقبال المشرق والمغرب بل البر لا يحصل
الا عند مجوع أمور أحدها الايمان بالله فأهل الكتاب أخلوا بذلك فان اليهود قالوا بالتجسيم ووصفوا الله
تعالى بالجذل وقالوا عزير بن الله وان النصارى قالوا المسيح بن الله وثانيها الايمان باليوم الآخر فاليهود
أخلوا بهذا الايمان حيث قالوا نحن نؤمن بالنار الا أياماً معدودة والنصارى أنكروا المعاد الجسماني
وثالثها الايمان بالملائكة فاليهود أخلوا بذلك حيث أظهروا عداوة جبريل عليه السلام ورابعها
الايمان بكتب الله فاليهود والنصارى قد أخلوا بذلك حيث لم يقبلوا القرآن وخامسها الايمان بالنبيين
واليهود أخلوا بذلك حيث قتلوا الانبياء وطعنوا فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وسادسها بذل الاموال
على وفق أمر الله تعالى واليهود أخلوا بذلك لانهم يلقون الشهادة بطلب المال القليل وسابعها إقامة
الصلوات والزكوات واليهود كانوا يمنعون الناس منهما وثامنها الوفاء بالعهد واليهود دنسوا العهد (يا أيها

الذين آمنوا كتب عليكم القصاص (أى فرض عليكم المماثلة وصفة وفعلا) (فى القتلى) أى بسبب قتل القتلى عند مطالبة الولي بالقصاص (الحرب بالحر) أى الحر يقتل بقتل الحر لا يقتل العبد (والعبد بالعبد) وبالحر من باب أولى (والانتى بالانتى) وبينت الأحاديث أنه يتمثل أحد النوعين المذكورين بالآخر ويعتبر أن لا يفصل القاتل القاتل بالدين والأصلية والحرية (فن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء له بإحسان) أى فن سهل له من أولياء الدم من أخيه الذى هو قاتل شئ من المال فعلى ولي الدم مطالبة ذلك المال من ذلك القاتل من غير تشديد بالمطالبة وعلى القاتل أداء الدية إلى ولي الدم من غير عسالة وبخس بل على بشرط طلاق وقول جميل ومعنى هذه الآية أن الله تعالى حث الأولياء إذا دعوا إلى الصلح من الدم على الدية كلها أو بعضها أن يرضوا به ويعفوا عن القود (ذلك) أى الحكم من جواز القصاص والعفو عنه على الدية (تخفيف) فى حكمكم (من ربكم ورحمة) للقاتل من القتل لأن العفو وأخذ الدية محرمان على اليهود بل فرض عليهم القصاص وحده والقصاص والدية محرمان على النصارى بل فرض عليهم العفو على الإطلاق وفى ذلك تضيق على ~~بكل~~ من الوارث والقاتل وهذه الأمة مخيرة بين الثلاث القصاص والدية والعفو تيسيرا عليهم (فن اعتدى) أى جاوز الحد (بعد ذلك) أى بعد بيان كيفية القصاص والدية (فله عذاب أليم) أى شديد الألم فى الآخرة (ولكم فى القصاص حياة) أى ولكم فى مشروعية القصاص حياة لأن من أراد قتل الشخص إذا علم القصاص ارتدع عن القتل فيتسبب لحياة نفسه ولأن الجماعة يقتلون بالواحد فتنشر الفتنة بينهم فإذا اقتصر من القاتل سلم الباقيون فيه كون ذلك سببا لحياتهم (يا أولى الألباب) أى ذوى العقول الخالصة من الهوى (لعلمكم تتبعن) أى لئلا تتقوا المسألة فى أمره وترك الحماظة عليه (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف) أى فرض عليكم الوصية للوالدين والأولاد كما قاله عبد الرحمن بن زيد أو الرحمة غير الوالدين كما قاله ابن عباس ومجاهد بالعدل بحسب استحقاقهم فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز الثلث إذا ظهرت على أحدكم آمارات الموت كالمرض المخوف إن ترك مالا فالأصم أنهم كانوا يوصون للأبعدين طلبا للنفخ والشرف ويتركون الأقارب فى الفقر والمسكنة فأوجب الله تعالى فى أول الإسلام الوصية لهؤلاء منعاً للقوم عما كانوا يعتادوه (حقا على المتقين) أى حق ذلك حقا على الموحدين (فمن بدله) أى الوصية من وصي وشاهد ما بانسكار الوصية من أصلها أو بالنقص فيها أو بتبديل صفتها أو غير ذلك (بعدما سمعه) أى بعد علم الوصية (فأنما ثمه) أى التبديل (على الذين يبدلونه) أى الوصية لأعلى الميت لأنهم خانوا وخالفوا حكم الشرع (إن الله مهييم) لوصية الميت (عليهم) بالمبدل فيجازى الميت بالخير والمبدل بالشر (فمن خاف من موص) قرأه شعبة وحمزة والكسافى بفتح الواو وتشديد الصاد أى من علم من ميت (جنفا) أى ميلا عن الحق بالخطأ فى الوصية (أو أنما) أى عمدا فى الميل فى الوصية (فاصلح بينهم) أى فعل ما فيه الصلاح بين الوصى والموصى لهم برده إلى الثلث والعدل (فلا ثم عليه) أى على من علم ذلك فى هذا له ولحق وان كان فيه تبديل لانه تبديل باطل بحق بخلاف الأول (إن الله غفور) للميت إن جاز وأخطأ وتلوصى (رحيم) للوصى حيث رخص عليه الرد إلى الثلث والعدل ومعنى الآية أن الميت إذا أخطأ فى وصيته أو جاز فيها متعديا فلا ثم على من علم ذلك أن يغيره ويرده إلى الصلاح بعده وموته وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

والأهم من لدن آدم عليه السلام (لعلكم تتقون) أي تتقون الله بصومكم وترككم للشهوات فالرغبة في المطعوم والمسكوح أشد من الرغبة في غيرهما والاتقاء عنهما أشق فإذ أسهل عليكم اتقاء الله بترككم ما كان اتقاء الله بترك غيرهما أسهل وأخف أو المعنى لعلكم تتقون ترك الحفاضة على الصوم بسبب عظم درجاته (أي أيام معدودات) أي في أيام قدرات بعد معلوم ثلاثين يوما وهي رمضان (فمن كان منكم مريضا) مريضا يضرب الصوم ولو في أثناء اليوم (أو على سفر) أي مستقرا على سفر قصر (فعدة من أيام أخر) أي قهليه أن أفطر صوم عدة أيام المرض والسفر أي بقدر ما أفطر من رمضان ولو مفترقا وعن أبي عبيدة بن الجراح أنه قال إن الله تعالى لم يرخص لكم في فطره وهو يريد أن يشق عليكم في قضائه أن شئت فواتر وإن شئت ففرق وروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم على أيام من رمضان أفيجزني أنا أقضيها متفرقة فقال له أرايت لو كان عليك دين فقضيته الدرهم والدرهمين أما كان يجزيك قال نعم قال فأنه أحق أن يعفو ويصفح وعن عائشة أن حمزة الأسلمي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل أصوم على السفر فقال صلى الله عليه وسلم صم إن شئت وأفطر إن شئت وروى الشافعي أن عطاء قال لابن عباس أقصر إلى عرفة فقال لا فقال إلى من الظهر إن فقال لا ولكن أقصر إلى جدة وعسفان والطائف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان أربعة برد (وعلى الذين يطيقونه) أي وعلى المطيعين لا هيام أن أفطروا (فدية طعام مسكين) أي قدر ما يأكله في يوم وهو مدم من غالب قوت بلده وقرأنا فاع وابن عامر بإضافة فدية وجمع مساكين قال ابن عمر وسلمة بن الأكوع وغيرهما إن هذه الآية منسوخة وذلك أنهم كانوا في صدر الإسلام محجرين بين الصيام والغدية وانما خيرهم الله تعالى بينهما لأنهم كانوا يتعدوا الصيام فاشتد عليهم فرخص الله لهم في الإفطار وقيل إن هذه الآية نزلت في حق الشيخ الحرم والمعنى وعلى الذين يقدرون على الصوم مع المشقة فدية (فمن تطوع خيرا) كأن راد في الفدية على القدر الواجب أو صام مع إخراج الفدية (فهو) التطوع (خير له) بالثواب (وأن تصوموا) أي المرخصون لكم في الإفطار من المرضى والمسافرين والذين يقدرون على الصوم مع المشقة (خير لكم إن كنتم تعلمون) ما في الصوم من الفضيلة ومن المعاني المورثة للتقوى وبراءة الذمة فإن العبادة كلما كانت أشق كانت أكثر ثوابا (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) أي أن جبريل نزل بالقرآن جملة واحدة في ليلة العدر وكانت ليلة أربع وعشرين من رمضان من الألواح المحفوظة إلى السماء الدنيا فأما لجبريل على السفارة فكاتبوه في صحف وكانت تلك الصحف في محل من تلك السماء يسمى بيت العزة ثم نزل جبريل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجوما في ثلاث وعشرين سنة مدة النبوة بحسب الحاجة يوما بيوم آية وآيتين وثلاثا وسورة (هدى للناس) أي بيانا للناس من الضلالة (وبينات من الهدى) أي واضحات من أمر الدين فالهدى الأول محمول على أصول الدين والهدى الثاني على فروع الدين (والفرقان) أي من الفرق بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أي من شهد منكم أول الشهر في الحضر فليصم كل الشهر وشهود الشهر إما بالرؤية وإما بالسمع فإذا رأى إنسان هلال رمضان وقد انفرد بتلك الرؤية ووردت أمام شهادته لزمه أن يصوم لأنه قد حصل شهود الشهر في حقه فوجب عليه الصوم وإذا شهد عدلان على رؤية الهلال حكم به في الصوم والفطر جميعا وإذا شهد عدل واحد على رؤية هلال شوال لا يحكم به أما إذا شهد على هلال رمضان فيحكم به احتياطا لأمر الصوم أي يقبل قول الواحد في أقبات العبادة ولا يقبل في الخروج منها إلا قول الاثنين لكي يصوموا ولا يفطروا احتياطا (ومن كان

مريضا) في شهر رمضان وان كان مقيما (أو على سفر) أي متلبسا بالسفر وقت طلوع الفجر وان
 كان صحيحا (فعدة) أي فعلية عدة (من أيام أخر) أي فليصوم منها بقدر ما أفطر (يريد الله بكم
 السر) أي رخصة الاقطار في السفر (ولا يريد بكم العسر) أي لم يرد أن يوجد لكم العسر في الصوم
 في السفر (ولتكموا العدة) أي لكي تصوموا في الحضر عدة ما أفطرت في السفر وقرأ أبو بكر عن
 عاصم بفتح الكاف وتشديد الميم (ولتكبروا الله) عند انقضاء الصوم (على ما هداكم) إلى هذه
 الطاعة قال ابن عباس حق على المسلمين إذا رزوا هلال شوال أن يكبروا وقال الشافعي وأحب اظهار
 التكبير في العيدين وبه قال مالك وأحمد وإسحاق وأبو يوسف ومحمد (ولعلمكم تشكرون) الله على
 رخصته قال الفراء قوله تعالى ولتكموا العدة علة للاستبراء العدة وقوله تعالى ولتكبروا الله علة
 ما علمكم الله من كيفية القضاء وقوله تعالى ولعلمكم تشكرون علة التسهيل (وإذا سألك عبادي عني)
 أي عن قربى وبعدى (فأني قريب) أي فقل لهم يا أشرف الخلق أني قريب منهم بالعلم والاجابة (أجيب
 دعوة الداع إذا دعان) قيل المراد من الدعاء التوبة عن الذنوب لان التائب يدعو الله تعالى عند التوبة
 واجابة الدعاء هو قبول التوبة وقيل المراد من الدعاء العبادة قال صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وما
 يدل على ذلك قوله تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
 جهنم داخرين وقرأ أبو عمرو وقالون عن نافع الداعي إذا دعاني بالياء فيهما في الوصل والباقون
 بحذفها على الوصل في الأولى وعلى التحفيف في الثانية (فليستجيبوا لي) أي فلينبذوا لي وليستسلموا لي
 (وليؤمنوا بي) وهذا الترتيب يدل على ان العبد لا يصل إلى نور الايمان وقوته الا بتقدم الطاعات
 والعبادات (لعلهم يرشدون) أي يهتدون لمصالح دينهم ودنياهم اذا استجابوا لي وآمنوا بي وسبب
 نزول هذه الآية قيل ان أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقرئنا فدعوه سرا ثم بعيد
 فندعوه جهرا فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى عن قتادة وغيره ان الصحابة قالوا كيف ندعوك ربنا
 يا نبي الله أي بالنداء أو بالنداء فأنزل الله هذه الآية وقال عطاء وغيره انهم سألوا في أي ساعة
 ندعوا لله فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الحسن سأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أين
 ربنا وقال ابن عباس ان يهود أهل المدينة قالوا يا محمد كيف يسمع ربنا فدعاه فأنزلت هذه الآية
 (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) أي المجامعة مع نسائكم قال المفسرون كان في أول
 شريعة محمد صلى الله عليه وسلم اذا أفطر الصائم حل له الاكل والشرب والوقاع بشرط أن لا ينام ولا يصلي
 العشاء الاخرة فاذا فعل أحدهما بأن نام أو صلى العشاء حرم عليه هذه الاشياء إلى الليلة القابلة فواقع
 عمر بن الخطاب أهله بعد صلاة العشاء فلما اغتسل أخذ يمشي ويلوم نفسه فأتي النبي صلى الله عليه وسلم
 واعتذرا اليه فقام رجال واعتزوا بالجماع بعد العشاء فنزلت هذه الآية نامة لتلك الشريعة (هن
 لباس لكم وأنتم لباس لهن) هذا مبين لسبب احوال الوقاع وهو صعبوبة اجتنابهن وستر أحدهما
 الآخر عن الفجور (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) أي تظلمون بها لانكم تسرون بالعصية
 في الجماع بعد صلاة العشاء والاكل بعد النوم (فتاب عليكم) أي قبل توبتكم (وعفا عنكم)
 أي محاذبو بكم ولم يعاقبكم في الحيانة (فالآن) أي حين أحل الله لكم (باشروهن) أي
 جامعوهن (وابتغوا ما كتب الله لكم) أي اطلبوا ما وضع الله لكم بالنكاح من التماسل وقدر
 العفة أي لا تبشروا بالقضاء الشهوة وحدها وقيل هذا نهى عن العزل قال الشافعي لا يعزل الرجل

عن الحرّة لا يادنها ولا بأس أن يعزل عن الأمة وقيل معنى ذلك ابتغوا هذه المباشرة من الزوجة والمملوكة
فإن ذلك هو الذي كتب الله لكم أي قسم الله لكم (وكلوا واشربوا) من حين يدخل الليل (حتى
يتبين لكم المحيط الأبيض من المحيط الأسود) أي حتى يتبين لكم بياض النهار من سواد الليل
حال كون المحيط الأبيض بعضا (من الفجر) الصادق ومعنى الصبح الصادق فجرًا لأنه يتفجر منه النور
(ثم أمروا الصيام إلى الليل) أي إلى دخوله بغروب الشمس نزلت هذه الآية في شأن حرمة من مالك بن
عدى وذلك أنه كان يعمل في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع إلى أهله فقال هل عندك طعام فقالت
لا وأخذت تصنع له طعاما فأخذته النوم من التعب فأبغضته فذكره إن يأكل خوفا من الله فأصبح صائما
بجهود في عمله فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما أفق أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما وقع
فأنزل الله هذه الآية (ولا تبشروهن) أي لا تجامعهن ليلا ونهارا (وأنتم عاكفون) أي ما كنون
(في المساجد) بنية الاعتكاف للتقرب إلى الله تعالى (تلك) أي المباشرة (حدود الله) أي
معصية الله (فلا تقربوها) أي فلا تقربوا المعصية وتركوا مباشرة النساء ليلا ونهارا حتى تفرّوا من
الاعتكاف (كذلك) أي هكذا (بين الله آياته) أي أمره ونهيته (للناس) أو المعنى كما بين الله ما أمركم به
ونهاكم عنه كذلك يبين سائر أدلته على دينه (لعلهم يتقون) أي لكي يتقوا معصية الله نزلت هذه
الآية في حق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب وعمار بن ياسر وغيرهما
فكانوا معتكفين في المسجد فيأتون إلى أهاليهم إذا احتاجوا ويجمعون نساءهم ويقتسلون
فيرجعون إلى المسجد فنهاهم الله عن ذلك (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أي لا تأخذ
بعضكم من بعض بالطريق الحرام شرعا (وتدلوها إلى الحكم لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالأنثى)
أي لا تدخلوا بالأموال إلى الحكم لتأخذوا جملة من أموال الناس متلبسين بالأنثى أي بالخلف الكاذب
(وأنتم تعلمون) أنكم مبطلون فالإقدام على القبيح مع العلم بقبحه أقبح وصاحبه بالتوبيخ أحق روى أن
عبدان بن الأسود الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأن يحلف امرؤ القيس فوهم بالخلف فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذين
يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين وأقر بالحق وسلم الأرض إلى عبدان فنزلت
هذه الآية وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال اختصم رجلان إلى النبي صلى الله عليه وسلم
حالم بالخصومة وجاهل بما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للعالم فقال من قضى عليه يارسول الله
والذي لا إله إلا هو أني محق فقال انشئت أعوده فعوده فقضى للعالم فقال المقضى عليه مثل ما قال أولا ثم
عاوده ثالثا ثم قال صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بخصومته فأغنا اقتطع قطعة من النار
فقال العالم المقضى له يارسول الله إن الحق حقه فقال صلى الله عليه وسلم من اقتطع بخصومته وجدله حق
غيره فليتبوأ مقعده من النار ومعنى اقتطع أي أخذ وسأل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يارسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يز يد حتى يعتلي نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود
دقيقا كما بدأ ولا يكون على حالة واحدة كالشمس فنزل قوله تعالى (يسألونك عن الأهلة) أي عن فائدة
اختلاف الأهلة بالزيادة والنقصان لماذا (قل) يا أشرف الخلق (هي مواقيت للناس والحج) أي هي
علامات لأغراض الناس الدينية والدنيوية وللحج كعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وصيامهم
وأفطارهم وقضاء دينهم وأوقات زرعهم ومتابريهم ودخول وقت الحج وخروجه ثم نزل في شأن نفر من

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كآفة وخزاعة كانوا يدخلون بيوتهم في الأحرام من خلفها أو من سطعها
كما فعلوا في الجاهلية قوله تعالى (وليس البربان تأوا البيوت من ظهورها) في الأحرام (ولكن البر من
اتقى محارمه تعالى كالصيد وتوكل على الله تعالى في جميع أموره (وأثوا البيوت) أي ادخلوها
(من أبوابها) في الأحرام كغيره (واتقوا الله) في تغيير الأحكام أو في جميع أموركم (لعلكم تفلحون)
لكي تفوزوا بالخير في الدين والدنيا أوليكم تجوا من السخط والعذاب (وقاتلوا) أي جاهدوا (في
سبيل الله) أي في طاعته وطلب رضوانه في الحل والحرم (الذين يقاتلونكم) أي يمدؤنكم بالقتال
من الكفار (ولا تعتدوا) عليهم بإبتداء القتال في الحرم (إن الله لا يحب المعتدين) أي لا يريد الخير
للمتجاوزين الحد (واقتلوهم) إن بدؤكم (حيث نفقتهوهم) أي وجدتموهم في الحل والحرم
(وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي من مكة (والفتنة أشد من القتل) أي والمحنة التي يقتن
بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وبقاء تالم النفس بها وقيل وشركهم بالله
وعبادته الأوثان في الحرم وصددهم لكم عنه أشد من قتلهم إياهم فيه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام)
أي لا تمدؤهم بالقتل في الحرم (حتى يقاتلوكم فيه) أي الحرم بالإبتداء (فإن قاتلوكم) فيه
بالإبتداء (فقاتلوهم) فيه ولا تبالوا بقتالهم فيه لأنهم الذين هتكوا حرمة فاستحقوا أشد العذاب قرأ
حزرة والكسافي ولا تقاتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم كله بغير ألف (كذلك) أي مثل هذا الجزء
الواقع منكم بالقتل والإخراج (جزاء الكافرين) يفعل بهم مثل ما فعلوا (ذانتهاوا) عن الكفر
(فإن الله غفور) لهم ما قد سلف (رحيم) بهم (وقاتلوهم) بالإبتداء منهم في الحل والحرم (حتى
لا تكون فتنة) أي كي لا توجد فتنة عن دينكم أي وقد كانت فتنتهم أنهم كانوا يؤذون أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم بمكة حتى ذهبوا إلى الحبشة ثم واطبوا على ذلك الإيذاء حتى ذهبوا إلى المدينة وكان
غرضهم من إثارة تلك الفتنة أن يتركوا دينهم ويرجعوا كفارا فأمر الله تعالى هذه الآية والمعنى قاتلوهم
حتى تعالوا عليهم فلا يقتلواكم عن دينكم فلا تعصوا في الشرك (ويكون الدين) أي وكى يوجد الإسلام
والعبادة (لله) وحده لا يعبدون في الحرم سواء (فانتهاوا) عن قتالكم في الحرم (فلاعدوان)
أي فلا سبيل لكم بالقتل (الأعلى الظالمين) أي المبتدئين بالقتل أو المعنى فإن انتهوا عن الأمر الذي
يوجب قتالهم وهو ما كفرهم أو قتالهم فلاقتل الأعلى الذين لا ينتهون عن الكفر فأنهم باصرارهم على
كفرهم ظالمون لأنفسهم (الشهر الحرام) الذي دخلت يا محمد فيه لقضاء العمرة وهو ذو القعدة من
السنة السابعة مقابل (بالشهر الحرام) الذي صدرك عن دخول مكة وهو ذو القعدة من السنة السادسة
أي من استحل دمكم من المشركين في الشهر الحرام فاستحلوه فيه (والحرمت) أي الشهر الحرام والبلد
الحرام وحرمة الأحرام (قصاص) أي يحصر فيهما بدل (فإن اعتدى عليكم) بالقتال في الحرم
أو الأحرام أو الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) أي جازوه بمثل ما اعتدى عليكم به
(واتقوا الله) أي اخشوه بالإبتداء (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والحفظ (وأنفقوا في سبيل
الله) أي في طاعة الله لقضاء العمرة (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) أي ولا تلقوا أنفسكم إلى الهلاك
بمنع النفقة في سبيل الله أو بالأسراف في النفقة أو بتضييع وجه المعاش (وأحسنوا) في الاتفاق على
من ظنكم مؤثمة بأن يكون ذلك الاتفاق وسطا فلا تسرفوا ولا تقروا ويقال وأحسنوا الظن في الله (إن
الله يحب المحسنين) أي يرزقهم الخير ويشيهم زلت الآيات من قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله إلى

ههنا في حق المحرمين مع النبي صلى الله عليه وسلم لقضاء العمرة بعد عام الحديبية لانهم خافوا ان يقاتلهم الكفار في الحرم والاحرام والشهر الحرام وكرهوا ذلك لان القتال في ذلك الوقت كان محرما في تلك الاحوال الثلاثة (واتعوا الحج والعمرة لله) أي افعلوا الحج والعمرة على نعت التمام بأركانها وشروطها لله بأن تخصصهما للعبادة ولا تختلطهما بشئ من التجارة والاغراض الدنيوية (فان أحصرتم) أي منعتهم عن اتمامهما بعدوا (فما استيسر من الهدى) أي فعليكم اذا أردتم التحلل ما تيسر من الهدى من بدنة أو بقرة أو شاة لتترك الحرم واذبحوها حيث أحصرتم في حل أو حرم (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) أي وقت يحجى وذبحه وهو مكان الاحصار عند الشافعي لكن يندب ارساله الى الحرم خروجاً من خلاف أبي حنيفة فاذا ذبحتم فاحلقوا ويجب نية التحلل عند الذبح والحلق وبما يحصل الخروج من النسك قال الشافعي كل ما وجب على المحرم في ماله لا يجزئ الا في الحرم لمساكين أهله الا في نوعين أحدهما من ساق هديا فعطى في طريقه فيذبحه ويحلي بينه وبين المساكين وثانيهما دم المحصر بالعدو فانه يذبح حيث حبس لان هذا الدم اغناو جب لازالة الخوف وزوال الخوف انما يحصل اذا قدر عليه حيث أحصر (فن كان منكم مريضا) في بدنه محتاجا الى الدواة واستعمال الطيب واللباس (أو) كان (به أذى من رأسه) أي في ألم رأسه بسبب القمل والصبيان أو بسبب الصداع أو كان عنده خوف من حدوث مرض أو ألم واحتاج الى الحلق أبيع له ذلك بشرط بذل الفدية كما قال تعالى (فدية) أي فعلية فدية (من صيام) في ثلاثة أيام (أو صدقة) بثلاثة أصع من غالب قوت مكة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (أرسلك) أي ذبح شاة (فاذا أمنتم) من العدو (فن تمتع بالعمرة الى الحج) أي فن تلتذذ بمحظورات الاحرام كالطيب واللباس والنساء بسبب اتيانه بالعمرة الى الاحرام بالحج (فما استيسر من الهدى) أي فعلية ما تيسر من الدم للجبران بخمسة شروط الاول أن يقدم العمرة على الحج الثاني أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج الثالث أن يحج في هذه السنة الرابع أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام الخامس أن يحرم بالحج من خوف مكة بعد الفراغ من العمرة ووقت وجوب هذا الدم بعدما أحرم بالحج ويستحب أن يذبح يوم النحر ويجوز تقديم الذبح على الاحرام بالحج بعد الفراغ من العمرة لان دم التمتع عندنا دم جبران كسائر دماء الجبرانات وعند أبي حنيفة هو دم نسك كدم الاضحية فيختص بيوم النحر فلا يجوز عنده الذبح قبله (فن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج) أي فن لم يجد الهدى لفقد أو فقد عنه فعليه صيام ثلاثة أيام في حال اشتغاله باحرام الحج أي في أيام الاشتغال بأعمال الحج بعد الاحرام وقبل التحلل (وسبعة اذا رجعت) الى أهليكم ووطنكم مكة أو غيرها وقرأ ابن أبي عبيدة سبعة بالنصب عطفاً على محل ثلاثة أيام (تلك عشرة كاملة) في البذل عن الهدى قائمة مقامه (ذلك) أي لزوم الهدى وبدله على التمتع (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء الميقات عند أبي حنيفة وأهل الحل عند طاوس وغير أهل مكة عند مالك (واتقوا الله) فيما فرض عليكم (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن تهان بحدوده (الحج أشهر معلومات) أي أشهر الحج معروفة بين الناس وهي شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذي الحجة على طالع خبر يوم النحر عند الشافعي (فن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) أي فن أوجب الحج على نفسه بالاحرام فيهن فلا جماع ولا خروج عن حدود الشرع بارتكاب المحظورات ولا خصام مع الخدم والرفقة وغيرهما في أيام الحج وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وفلا رفث ولا فسوق بالرفع والتنوين ولا جدال

بالنصب والباقون قرأوا السكك بالنصب والمعنى على هذا ألا يكون زفت ولا فسوق ولا خلاف في الحج وذلك
 أن قرينها كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمسعر الحرام وترفع الخلاف بأن أمرها بأن يقفوا بعرفات
 كسائر العرب واستدل على أن المنهى عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من
 حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئته يوم ولادته أمه فانه صلى الله عليه وسلم لم يذكر الجدال (وماتفعلوا من
 خير) كصدقة وكرت المنهى (يعلمه الله) أي يقبله ويجزي به خير جزاء (وترزودوا فإن خير الزاد
 التقوى) أي تزودوا من التقوى لمعادكم فانه خير زاد وهي فعل الواجبات وترك المحظورات ويقال
 وترزودوا ماتعيشون به لسفركم في الدنيا فإن خير الزاد ماتكفون به وجوهكم عن السؤال وأنفسكم عن
 الظلم (واتقون يا أولي الألباب) أي ذوي العقول (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) أي
 ليس عليكم حرج في أن تطلبوا رزقا من ربكم بالتجارة في الحج (فإذا أفضتم) أي رجعتكم (من عرفات
 فاذا كروا الله) بالتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل (عند المسعر الحرام) وهو جبل يقف عليه
 الامام وسمى قزح وهو آخر حد المزدلفة وقال بعضهم المسعر الحرام هو المزدلفة لأن الذكرا لما مور به عنده
 يحصل عقب الافاضة من عرفات وما ذاك إلا بالمبيت بالمزدلفة (واذكروا) أي الله (كم هذاكم) أي
 لأجل هدايته أياكم لعالم دينه (وان كنتم من قبله لمن الضالين) أي وانكم كنتم من قبل الهدى لمن
 الجاهلين بالآيمان والطلعة (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي ثم ارجعوا من المزدلفة إلى منى
 قبل طلوع الشمس للرعى والنحر كرجع منها إبراهيم وإسماعيل في ذلك الوقت على ما جاء به الرسول صلى الله
 عليه وسلم وكان العرب الذين وقفوا بالمزدلفة يرجعون إلى منى بعد طلوع الشمس وهذا كما اختاره الفقهاء
 (واستغفروا الله) باللسان مع التوبة بالقلب وهو أن يندم على كل تقصير منه في طاعة الله ويعزم على
 أن لا يقصر فيما بعده ودية صدب ذلك تحصيل مرضاة الله تعالى (ان الله غفور) لذنوب المستغفر (رحيم)
 أي منعم عليه (فإذا قضيت مناسككم فاذا كروا الله كذا كركم آياهكم) وكان العرب بعد الفراغ من
 الحج يقفون بين المسجد والجبل فيبالغون في الثناء على آياتهم في ذكر مناقبهم وفضائلهم فقال الله
 تعالى هذه الآية فالمعنى فإذا فرغتم من عبادتكم المتعلقة بالحج كأن رمية جرة العقبة وطفتم واستقررتم معني
 فايدلوا جهدكم في الثناء على الله وذكروا نعمائه كما بذلتهم جهدكم في الثناء على آياتكم في الجاهلية (أو أشد
 ذكرا) أي بل أكثر ذكرا من ذكر آياتكم لأن صفات الكمال لله تعالى غير متناهية (فن الناس) أي
 المشركين أو المؤمنين (من يقول) في الموقف (ربنا آتنا) أي اعطنا (في الدنيا) ابلا وبقرا وغنما وعبيدا
 أو أمانا وما لا (وماله في الآخرة من خلاف) أي من نصيب في الجنة بحججه (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا
 حسنة) أي علما وعبادة وعصمة من الذنوب وشهادة ورغنية وعصمة وكفا فأتوفيقا للخير (وفي الآخرة حسنة)
 أي الجنة ونعيمها (وقنا عذاب النار) أي ادفع عنا العذاب (أولئك) أي أهل هذه الصفة (لهم نصيب)
 أي حظ وافر في الجنة (عما كسبوا) أي من حجهم (والله سريع الحساب) أي سريع القبول
 لدعاء عباده والاجابة لهم وعالمهم بجملة سوالات السائلين (واذكروا الله) أي بالتكبير والتهليل والتحميد
 (في أيام معدودات) أي في أيام التشريق الثلاثة (فن تعجل) برجوعه إلى أهله (في يومين) بعد يوم
 النحر (فلا تهم عليه) بتعجيله (ومن تأخر) إلى اليوم الثالث حتى رمى فيه قبل الزوال أو بعده
 (فلا تهم عليه) بتأخره فهم يخبرون في ذلك (لمن اتقى) أي ومنى الاثم لمن اتقى الله في حجه لانه المتشع
 بحجه دون من سواه (واتقوا الله) أي احذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام (واعلموا أنكم إليه

تخشرون) أى الجزاء على أعمالكم بعد البعث (ومن الناس من يجعل قوته فى الحياة الدنيا) أى ومن الناس من يعظم فى قلبك كلامه عندما يتكلم لطلب مصالح الدنيا وهو الاخنس بن شريق الثقفى واسمه أبى كان منافقا حسن العلانية خيىء الباطن (ويشهد الله على ما فى قلبه) فإن الاخنس هذا أقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر الاسلام ويحلف بالله انه يحبه ويتابعه فى السرى ويحتمل انه يقول فأن الله يشهد بأن الأمر كما قلت فهذا الشهاد بالله وإيس بيمين وقرأ ابن محيص يشهد الله بفتح الياء والهاء والمعنى يعلم الله من قلبه خلاف ما أظهره (وهو الداحصام) قال قتادة شديدا القسوة فى معصية الله جعله بالباطل عالم اللسان جاهل العمل وقال السدى أعوج الحصام (واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها) أى وإذا انصرف من عندك اجتهد فى إيقاع القتال بأن يقع الاختلاف بين الناس ويفرق كلهم ويؤدى الى انه يترأب بعضهم من بعض فيقطع الارحام ويسفل الدماء (ويهلك الحرث) أى الزرع بالاحراق (والنسل) أى الحيوان بالقتل فان الاخنس لما انصرف من بدر مر ببنى زهرة وكان بينه وبين تقيف خصومة فبتهم ليلا فأحرق زرعهم وأهلك مواشيهم (والله لا يحب الفساد) أى لا يرضى به (واذا قيل له) أى لذلك الناس (اتق الله) فى فعلك (أخذته العزة بالاثم) أى لزمه التكبر الحاصل بالاثم الذى فى قلبه فان التكبر اغما حصل بسبب ما فى قلبه من الكفر والجهل وعدم النظر فى الدلائل (لحسبه جهنم) أى كافيه جهنم جزاء له وعذابا (ولبئس المهاد) أى لبئس المستقره (ومن الناس من يشترى) أى يشتري (نفسه) بماله (ابتغضا مرضاة الله) روى عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جسدعان وفى عمار بن ياسر وفى عمة أمه وفى ياسر أبيه وفى بلال مولى أبى بكر وفى خباب بن الارت وفى أبى ذر وفى عابس مولى حويطب أخذهم المشركون فعدبوه فأمأ صهيب فقال لاهل مكة انى شيخ كبير ولى مال وممتع وأنا أعطيكم مالى ومتاعى واشترى منكم دينى فريضوا منه بذلك وخلوا سبيله فانصرف الى المدينة فنزلت هذه الآية وعند دخول صهيب المدينة لقيه أبو بكر رضى الله عنه فقال ربح يعلك يا أبا يحيى فقال وما ذاك فقال أنزل الله فيك قرأنا قرأ عليه هذه الآية وأما خباب بن الارت وأبو ذر فقد فرا وأتيا المدينة وأما ممية فربطت بين بعيرين ثم قتلت وقتل ياسر وأما الباقون أعطوا بسبب العذاب بعض ما أراد المشركون فتركوا (والله رؤف بالعباد) الذين قتلوا فى مكة أبى عمار وأمه وغيرهما لانه تعالى أرشدهم لما فيه مرضاه (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) نزلت هذه الآية فى شأن طائفة من مسلمى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه وذلك لانهم حين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم أقاموا بعهده على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا الحوم الا بلى وألبانها وكانوا يقولون ترك هذه الاشياء مباح فى الاسلام وواجب فى التوراة فنحن نتركها احتياطا فكره الله تعالى ذلك منهم وأمرهم أن يدخلوا فى السلم كافة ولا يتبعوا خطوات الشيطان) أى لا تتبعوا طرقتى بين الشيطان بتفريق الاحكام بالعمل ببعضها الموافق لشرعية موسى وعدم العمل ببعض الآخر المخالف لها (انه لكم عدد ومبين) أى ظاهر العداوة (فان زلتم) أى ان انصرفتم عن الطريق الذى أمرتم به (من بعد ما جاءكم البينات) أى الدلائل العقلية والنقلية كاهزة الدابة على الصدق والبيان الحاصل بالقرآن والسنة (فاعلموا أن الله عزيز) أى قوى بالنفخة لمن لا يتابع رسوله فلا يمنع مانع عنكم ولا يفوته ما يريد منكم (حكيم) أى عالم بعواقب الامور (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) أى ما ينظر أهل

مكة الا أن يأتيهم الله بلا كيف يوم القيامة والملائكة في ظلل من الغمام فقوله في ظلل من الغمام
والملائكة مقدم ومؤخر فنزل الغمام علامة لظهور أشد الاحوال في القيامة قال تعالى ويوم تشقق السماء
بانهمام ونزل الملائكة تنزيلا (وقضى الأمر) أي تم فصل القضاء بين الخلائق وأخذ الحقوق لأربابها
وانزال كل أحد من المكلفين منزلته في الجنة والنار (والى الله ترجع الامور) أي ان الله تعالى ملك
عباده في الدنيا كثير من أمور خلقه فاذا صاروا الى الآخرة فلا مالك للحكم في العباد سواء كما قال تعالى
والأمر يومئذ لله قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ترجع بالبناء للعجول على معنى ترد وقرأ ابن عامر
وحزرة والكسائي ترجع بالبناء للفاعل أي تصير كقوله تعالى ألا الى الله تصير الامور قال نحر الدين محمد
الرازى والواضح عندي أن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة انما نزلت في حق اليهود
والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالكتاب المتقدم أكلوا طاعتكم في الايمان بأن تؤمنوا بجميع أنبياء الله وكتبه
فادخلوا بايمانكم محمد صلى الله عليه وسلم وكتبه في الاسلام عن التمام ولا تتبعوا الشبهات التي
تتمسكون بها في بقاء تلك الثريعة وعلى هذا التقدير فقوله تعالى فان زلتم من بعد ما جاءتكم البينات
فاعلموا أن الله عزز حكمكم يكون خطابا مع اليهود وحينئذ يكون قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم
الله في ظلل من الغمام والملائكة حكاية عن اليهود والمعنى انهم لا يتقبلون دينك الا أن يأتيهم الله في ظلل
من الغمام والملائكة ألا ترى انهم فعلوا مع موسى مثل ذلك فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وإذا كان
هذا حكاية عن حال اليهود لم يمنع اجراء الآية على ظاهرها وذلك لان اليهود كانوا على مذهب التشبيه
وكانوا يجوزون على الله المجيء والذهاب وكانوا يقولون انه تعالى تجلى لموسى عليه السلام على الطور في
ظلل من الغمام وطلبوا مثل ذلك في زمان محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا التقدير يكون هذا الكلام
حكاية عن معتقد اليهود القائلين بالتشبيه فلا يحتاج حينئذ الى التأويل ولا الى حمل اللفظ على المجاز
وذكر الله تعالى بعد ذلك ما يجري مجرى التهديد بقوله تعالى والى الله ترجع الامور (سل بنى اسرائيل)
قل يا أشرف الخلق لا ولاد يعقوب الحاضرين منهم توحيها (كم آتيناهم من آية بينة) أي معجزات موسى
عليه السلام كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وتنشق الجبل وتكلم الله تعالى لموسى
عليه السلام من السحاب وانزال التوراة عليهم فبدلوا مقتضاها وهو الايمان بها بالكفر فاستوجبوا
العقاب من الله تعالى فانكم لو زلتم عن آيات الله تعالى لو قعتم في العذاب كما وقع لاسلافكم أو المعنى
سل يا أشرف الخلق هؤلاء الحاضرين من بنى اسرائيل تنبيهها لهم على ضلالتهم كم آتيناهم من حجة بينة
لمحمد صلى الله عليه وسلم يعلم بها صدقه وحقه شريعته وكفرها بها (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته)
أي ومن يغير آيات الله الباهرة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالكفر من بعد ما عرفها أو المعنى ومن
يغير دين الله وكتابه بالكفر من بعد ما جاءه محمد به (فان الله شديد العقاب) لمن كفر به (زين للذين
كفروا الحياة الدنيا) أي حسن ما في الحياة الدنيا من سعة المعيشة لكفار مكة أبي جهل ورؤساء قريش
(ويسخرون من الذين آمنوا) أي يسخرون على فقراء المؤمنين كعبد الله بن مسعود وعمار وخباب
وسالم مولى أبي حذيفة وعامر بن فهيرة وأبي عبيدة بن الجراح وسلمان وبلال وصهيب بضيق المعيشة
(والذين اتقوا) عن الدنيا الساغلة عن الله تعالى (فوقهم يوم القيامة) لان المؤمنين في عليين والكافرين
في سجين ولا نهم في أوج الكرامة وهم في حضيض المذلة ولان مخزية المؤمنين بالكفر يوم القيامة فوق
مخزية الكافرين بالمؤمنين في الدنيا (والله يرزق من يشاء) في الدنيا من كافر ومؤمن (بغير حساب)

أي بغير تكلف من الرزوق ومن حيث لا يحتسب وقد أغنى الله المؤمنين عما أقام عليهم من أموال بني نادر
 قريش ورؤساء اليهود حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصهر (كان الناس أمة واحدة) قائمة على الحق
 ثم اختلفوا بسبب الحسد والله زرع في طلب الدنيا فان الناس وهو آدم وأولاده من الذكور والإناث كانوا
 أمة واحدة على الحق ثم اختلفوا بعد ذلك (فبعث الله النبيين مبشرين) بالجنة لمن آمن بالله (ومنذرين)
 بالنار لمن لم يؤمن بالله (وأرسل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) أي ليحكم
 الكتاب في الحق الذي اختلف الناس في ذلك الحق فالكتاب حاكم والمختلف فيه وهو الحق محكوم عليه
 (وما اختلف فيه) أي الحق (إلا الذين أوتوه) أي أعطوا الكتاب مع أن المقصود من إرسال الكتاب
 أن لا يختلفوا وان يرفعوا المازعة في الدين (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلائل العقلية التي نصيها
 الله تعالى على اثبات الأصول التي لا يمكن القول بالنبوة إلا بعد نبوتها (بغيا بينهم) أي حسد منهم أي
 أن الدلائل إما معية وإما عقلية أما السمعية فقد حصلت بإتيان الكتاب وأما العقلية فقد حصلت بالبيانات
 المتقدمة على إتيان الكتاب فبعد ذلك لم يبق في العدول عن الحق علة فلو حصل العدول لم يكن ذلك
 لاجتناب الحسد والحرص على طلب الدنيا (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه) أي
 فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف بعلمه وإرادته وبكرامته قال ابن زيد اختلفوا في
 الغلبة فصلى اليهود إلى بيت المقدس والنصارى إلى المشرق فهدانا الله للكمجة واختلفوا في الصيام فهدانا
 الله لشهر رمضان واختلفوا في إبراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فقلنا إنه
 كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى فاليهود فرطوا حيث أنكروا نبوته ورسالته والنصارى فرطوا
 حيث جعلوا الها وقلنا قولنا عدلا وهو أنه عبد الله ورسوله (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)
 أي طريق حق لا يضل سالكه ويقال والله يثبت من يشاء على دين قائم برضيه (أم حسبتم أن تدخلوا
 الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين
 آمنوا معه متى نصر الله) قال ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد الضر عليهم
 لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم في أيدي المشركين وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية تطييبا لقلوبهم وقال قتادة والسدي نزلت في غزوة الخندق
 حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والحزن وقيل نزلت في حرب أحد لما قال عبد الله بن أبي لهباب
 محمد صلى الله عليه وسلم إلى متى تقتلون أنفسكم ترجون الباطل ولو كان محمد نبيا لما سلط الله عليكم الأسر
 والقتل ومعنى الآية أطمئنتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة بمجرد الإيمان بي وتصديق رسولي دون أن
 تعبدوا الله بكل ما كلفكم به ابتلاكم بالصبر عليه ودون أن ينالكم أذى الكفار والفقر ومقاساة الأهوال
 في جماعدة العدو كما كان كذلك من قبلكم من المؤمنين وهو المراد من قوله تعالى ولما يأتكم مثل الذين خلوا
 من قبلكم أي والحال لم يأتكم شبه محنة المؤمنين الذين مضوا من قبلكم ثم بين الله ذلك الشبه مستهم
 البأساء والضراء فالبأساء تضيق جهات الحسير والمنفعة والضراء انفتاح جهات الشر والآفات والألم
 ومعنى زلزلوا أي حركوا بأنواع البلايا والازيا ومعنى حتى يقول الرسول لان الرسل عليهم السلام يكونون
 في غاية الثبات والصبر وضبط النفس عند نزول البلاء فإذا لم يبق لهم صبر حتى فجأوا كان ذلك هو الغاية
 القصوى في الشدة فلما بلغت بهم الشدة إلى هذه الدرجة العظيمة قيل لهم (ألا أن نصر الله قريب) إجابة لهم
 من الله أو من قوم منهم والاحسن أن يقال فالذين آمنوا قالوا متى نصر الله ثم رسولهم قال ألا أن نصر الله

قريب روى الكلبي عن ابن عباس أن الآية نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا هرا و هو الذي قتل يوم أحد وعنده مال عظيم فقال ماذا تنفق من أموالنا رأين نضعها فنزلت هذه الآية (يسألونك ماذا ينفقون) أي أي شيء تصرف المال (قل ما أنفقتم من خير) أي مال (فللوالدين والأقربين واليتامى) أي المحتاجين منهم (والمساكين وابن السبيل) فلا تنفاق على الوالدين واجب عند عجزهما عن الكسب والملك والافتقار على الأقربين وهم الأولاد وأولاد الأولاد قد يلزم عند فقد الملك حينئذ الواجب فيما ذكر قدر الكفاية وقد يكون على صلة الرحم والافتقار على اليتامى والمساكين والممارين في السبيل أما من جهة الزكاة أو من جهة صدقة التطوع فالمراد بهذه الآية من أحب التقرب إلى الله تعالى في باب النفقة فالأولى له أن ينفقه في هذه الجهات فيقدم الأولى فالأولى في صدقة التطوع (وماتفعلا من خير) أي من سائر وجوه البر والطاعة (فإن الله به عليم) أي فيجازيكم عليه ويوفي ثوابه (كتب عليكم القتال) أي لحرض عليكم قتال الكفرة في أوقات النفي العام مع النبي صلى الله عليه وسلم (وهو كره لكم) أي والحال أن القتال مكروه لكم طبعاً للشقة على النفس (وعسى أن تكرهوا شيئاً) كالجهاد في سبيل الله (وهو خير لكم) لما تصيبون الشهادة والغنية والأجر (وعسى أن تحبوا شيئاً) كالجلوس عن الجهاد (وهو شر لكم) لأنكم لا تصيبون الشهادة ولا الغنية ولا الأجر (والله يعلم) أن الجهاد خير لكم فلذلك يأمركم به (وأنتم لا تعلمون) ذلك ولذلك تكرهونه أو المعنى والله يعلم ما هو خير وشر لكم وأنتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا في ذلك رأيكم وامتنعوا بأمره تعالى نزلت تلك الآية في حق سعد بن أبي وقاص والمفسد ابن الأسود وأصحابهما (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) روى أكثر المفسرين عن ابن عباس أنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش الأسدي وهو ابن عمته قبل قتال بدر بشورين وبعد سبعة عشر شهراً من مجيئه المدينة في ثمانية رهط وكتب له كتاباً وعهد ودفعه إليه وأمره أن يفتحه بعدم نزله ويقرأه على أصحابه ويعمل بما فيه فإذا فيه أما بعد فسر على بركة الله تعالى عن أتبعك حتى تنزل بطن نخل فترصد بها غير قریش لعلك أن تأتيا منه بخير فقال عبد الله سمعنا وطاعة لأمره فقال لأصحابه من أحب منكم الشهادة فلينهط لائق معي فاني ماض لأمره ومن أحب التخلف فليتخلف فليخلف فليخلف حتى بلغ بطن نخل بين مكة والطائف فرعليهم عمر وبن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فلما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقوا رأس واحد منهم وأوهمو بذلك أنهم قوم عمار ثم أتى واقد بن عبد الله الحنظلي وهو أحد من كان مع عبد الله بن جحش ورمى عمر وبن الحضرمي فقتله وأسر واثنين وساقوا العير بما فيه من تجارة الطائفي حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت قریش وقالوا قد استحل محمد الشهر الحرام شهر يأم في فيه الحائف في سفك فيه الدماء والمساكين أيضاً قد تعجبوا من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم إني ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام وقال عبد الله بن جحش يا رسول الله أنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلاندرى أني رجب أصفناه أم في جمادى فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى فنزلت هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وعلى هذا التقدير فالأظهر أن هذا السؤال إنما صدر عن المسلمين (قل) في جوابهم (قتال فيه) أي الشهر الحرام وهو رجب (كبير) أي عظيم وذا راقدم الكلام ههنا والوقف غنائم (وصدعن سبيل الله وكفربه والمسجد الحرام وأخرج أهله منه أكبر عند الله) أي ولكن منع الناس عن دين الله ووطاعته وكفريته ومنع الناس عن مكة وأخرج أهله وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون

من مكة أعظم وزر عند الله من قتل عمرو بن الحضرمي في رجب خطا مع أنه يجوز أن يكون ذلك القتل واقعا في جملة الآخرة (والفتنة) أي مافعلوا والفتنة عن دين المسلمين تارة بإلقاء الشبهة في قلوبهم وتارة بالتعذيب كفعلهم ببلال وصهيب وعمار بن ياسر (أ كبر من القتل) أي أقطع من قتل عمرو بن الحضرمي روى أنه لما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن جحش إلى مؤمنى مكة إذا عبركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعبروهم بالكفر وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ومنع المؤمنين عن البيت الحرام (ولا يرأون) أي أهل مكة الكفرة (يقاقلونكم) أيها المؤمنون (حتى يروكم عن دينكم) أي كي يروكم عن دينكم الحق إلى دينهم الباطل (ان استطاعوا) وهذا استبعاد لاستطاعتهم وإشارة إلى نيات المسلمين في دينهم (ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) بأن لم يرجع إلى الإسلام (فاوائلك) المصرون على الارتداد إلى دين الموت (حبطت أعمالهم) الحسنة التي عملوها في حالة الإسلام (في الدنيا والآخرة) محبوبت الأعمال في الدنيا فهو أنه يقتل عند الظفر به ويقاقل إلى أن يظفر به ولا يستحق من المؤمنين نصرا ولا نائما حسنا وتبين زوجه منه ولا يستحق الميراث من كل أحد وحبوط أعمالهم في الآخرة أن الردة تبطل استحقاقهم للثواب الذي استحقوه بأعمالهم السالفة أما لو رجع المرتد إلى الإسلام عادت إليه أعماله الصالحة مجردة عن الثواب فلا يكلف بإعادتها وهذا هو المعتمد في مذهب الشافعي (وأولئك أصحاب النار) أي ملازموها (هم فيها خالدون) أي مقيمون لا يخسر جون ولا يعوتون (وروى) أن عبد الله بن جحش قال يا رسول الله هب أنه لا عقاب علينا فيما فعلنا فهل نطمع منه أجرا وثوابا فتردت هذه الآية (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله (والذين هاجروا) أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم من مكة إلى المدينة (وجاهدوا) أي بذلوا جهدهم في قتل العدو وقتل عمرو بن الحضرمي الكافر (في سبيل الله) أي لأعلاء دين الله (أولئك يرجون رحمة الله) أي يطمعون في ثواب الله أو ينالون جنة الله (والله غفور رحيم) فيحقق لهم درجاتهم إذا ما تواعوا على الإيمان والعمل الصالح (يسألونك عن الخمر والميسر) أي عن تناولهما (قل فيهما) أي في تعاطيهما (إثم كبير) أي عظيم بعد التحريم لما يحصل بسبيهما من المخاصمة والمشامة وقول الفحش وإتلاف الأموال ولأن الخمر مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا وقرأ حزمة والكسافي كثير بالنساء المملئة (ومنافع للناس) قيل التحريم بالتجارة فيها وباللذة والفرح وتصفية اللون وحمل الخيل على الكرم وزوال الهم وهضم الطعام وتقوية البقاء وتشجيع الجبان في شرب الخمر وإصابة المال بلا كد في القمار أي المغالبة بأخذ المال في أنواع اللعب (واثمهما) بعد التحريم (أ كبر من نفعهما) قبل التحريم وقرئ أقرب من نفعهما ما قال المفسر ونزلت في الخمر أربع آيات نزل بمكة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وكان المسلمون يشربونها وهي حلال لهم ثم إن عمر ومعاذ أنفرا من الصحابة منهم سيدنا حمزة بن عبد المطلب وبعض الأنصار قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فإنها مذهبنا للعقل مسلبة للمال فنزل فيها قوله تعالى قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس فشر بهما قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشر بواو سكر وأقام بعضهم يصلي أماما فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون بخذف لا فتزلت لا تقر بواو الصلاة وأنتم سكارى فعلى من شر بهما إثم اجتمع قوم من الأنصار وفيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا الأشعار حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء للأنصار فضر به أنصارى يلقي بعير فشبهه شجيرة موضحة فشدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين

لنا في الخمر بيا ناسا فيا فنزل انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهي بنا يا رب (ويسألونك
ماذا ينفقون) أي أي قدر ينفقونه نزلت هذه الآية في شأن عمرو بن الجحوم سأل النبي صلى الله عليه وسلم
ماذا انتصدق من أموالنا وقيل السائل معاذ بن جبل وثعلبة وقال الرازي كان الناس لما رأوا الله ورسوله
يحصن على الانفاق ويدلان على عظيم ثوابه سألوا عن مقدار ما كلوا به هل هو كل المال أو بعضه فأعلمهم
الله تعالى أن العفو أي الفاضل عن الكفاية مقبول (قل العفو) أي ما بهل عما يكون فاضلا عن حاجة
الإنسان في نفسه وعياله ومن تلزمه مؤنتهم (كذلك) أي كما بين الله لكم قدر المنفق وحكم الخمر والميسر
بأن فيهما منافع في الدنيا ومضار في الآخرة (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الأحكام الشرعية
(لعلكم تتفكرون في الدنيا) أنها فانية (والآخرة) أنها باقية فاذا تفكرتم في أحوال الدنيا والآخرة علمتم
أنه لا بد من ترجيح الآخرة على الدنيا (ويسألونك عن اليتامى) كان أهل الجاهلية قد اعتادوا الاتفاق
بأموال اليتامى وربما تزوجوا باليتيمة طمعاً في مالها ثم إن الله تعالى أنزل قوله إن الذين يأكلون
أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وقوله ولا تقر بأمال اليتيم الا بالتي هي أحسن فعند ذلك
ترك القوم محالطة اليتامى والمقاربة من أموالهم والقيام بأموالهم فاختلت مصالح اليتامى وساءت
معيشتهم فنقل ذلك على الناس فقال عبد الله بن رواحة وقيل ثابت بن رفاعه الانصارى يا رسول الله
مال كلنا منازل تسكنها الا يتام ولا كلنا يجود طعاما وشرابا يردهم ماله تيم فهل يجوز مخالطة اليتامى
بالطعام والشراب والمسكن أم لا فنزلت هذه الآية (قل اصلاح لهم خير) أي قل يا أمرف الخلق
اصلاح أموالهم من غير أخذ أجرة خير لكم من ترك مخالطتهم وأعظم أجرا لكم (وان تخالطوهم
فاخوانكم) أي وان تخالطوهم بما لا يتضمن افساد أموالهم فذلك جائز لانهم اخوانكم في الدين (والله
يعلم المفسد من المصلح) أي يعرف المفسد لا موالهم بالمخالطة من المصلح لها وقيل يعلم ضهار من أراد
الافساد والطمع في أموالهم بالنكاح عن أراد الاصلاح (ولو شاء الله لأعنتكم) أي لكفكم ما يستند
عليكم أو اضيق الامر عليكم في مخالطتهم (ان الله عزيز) أي غالب على أمره قوي بالنعمة لمفسد
مال اليتيم (حكيم) يحكم بما تقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على أساس طاعة البشر (ولا
تسكحوا الشركات حتى يؤمن) أي ولا تتزوجوا الشركات بالله الى أن يؤمن بالله بأن يقررن بالشهادة
ويلتزموا أحكام الاسلام هذا مقصود على غير الكتابيات لما روى عن جابر بن عبد الله عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال تزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجن نساء نادر وي عبد الرحمن بن عوف
انه صلى الله عليه وسلم قال في حق المجوس سنوا بهم سنة أهل الكتاب غيرنا كنى نسائهم ولا آكل
ذبايحهم وسبب نزول هذه الآية ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي الى
مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سراف عند قدومه جاءته امرأة مشركة اسمها عناق فالتفت الحياوة فقال
ويحك ان الاسلام حال بيني وبينك فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال نعم ثم وعدها أن يأذن الرسول صلى
الله عليه وسلم فلما انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفه ما جرى في أمر عناق وسأله هل يحمل له
التزوج بها أنزل الله تعالى هذه الآية (ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) أي لنكاح أمة
مؤمنة خير من نكاح مشركة ولو أعجبتكم تلك المشركة بحسنها أو بمالها أو بحريتها أو بنسبها قال
السدي نزلت هذه الآية في حق عبد الله بن رواحة كان له أمة فأعتقها وتزوج بها فقطع عن عليه ناس
من المسلمين وقالوا أتسكح أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فأنزل الله تعالى تلك الآية (ولا تسكحوا المشركين

حتى يؤمنوا) أى ولا تزوجوا الكفار ولو كانوا أهل كتاب المؤمنين حتى يؤمنوا (ولعبد مؤمن خير من مشرك) أى تزوجكم لعبد مؤمن خير من تزويجكم لمشرك (ولو أعجبكم) ذلك المشرك لئله وجهه الله وقوته وحرية (أولئك) المشركات والمشركون (يدعون إلى النار) أى إلى ما يؤدى إلى النار فإن الزوجة مظنة المحبة وذلك يوجب الموافقة في الأغراض وربما يؤدى ذلك إلى انتقال الدين بسبب موافقة المحبوب (والله يدعو إلى الجنة والمغفرة) ببيان هذه الأحكام من الإباحة والتحريم فإن من تسلسل بها استحق الجنة والمغفرة (بأذنه) أى بتيسيره تعالى وتوفيقه للعمل الذى يستحق به الجنة والمغفرة وقرأ الحسن والمغفرة بأذنه بالرفع أى بالمغفرة حاصلة بتيسير الله تعالى (ويبين آياته) أى أمره ونهيته في التزوج والتزويج (للناس لعلهم يتذكرون) قبح المنهى عنه وحسن المدعوا إليه (ويسألونك عن الحيض) أى الحيض والسائل عن ذلك ثابت الدحاح الانصارى وقيل عباد بن بشر وأسيدين الحضير لان أهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فحش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس وأما النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض (قل) يا أشرف الملق (هو) أى الحيض (أذى) أى قدر الأذى المنكرة التى فيه واللون الفاسد وللعدة القوية التى فيه كما قال صلى الله عليه وسلم دم الحيض هو الاسود المحتم أى المحترق من شدة حرارته (فاعتزلوا النساء في الحيض) أى في موضع الحيض (ولا تمربوهن) أى لا تجامعهن (حتى يطهرن) وهذا تأكيد لحكم الاعتزال قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص ويعقوب الحضرمي حتى يطهرن بسكون الطاء وضمة الهاء بمعنى حتى يزول عنهن الدم وقرأ شعبة وحزمة والكسائي بتشديد الطاء والهاء بمعنى يغتسلن (فاذا طهرن) أى اغتسلن أو تيممن عند تعذر استعمال الماء (فأوهن من حيث أمركم الله) أى لجامعهن في موضع أمركم الله به وهو القبل وقال الأصم والزجاج أى فأوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بأن لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات بالنسك وفهم من هذا الشرط أنه يشترط بعد انقطاع الحيض الاغتسال لانه قد صار المجموع غاية وذلك بمنزلة قولك لا تكلم فلانا حتى يدخل الدار فاذا طابت نفسه بعد الدخول فكلمه فانه يجب أن يتعلق بإباحة كلامك بالامر من جميعا واتفق مالك والاوزاعي والثوري والشافعي انه اذا انقطع حيض المرأة لا يحل للزوج مجامعتها الا بعد أن تغتسل من الحيض والمشهور عن أبي حنيفة انها ان رأت الطهر دون عشرة أيام لم يقرها زوجها وان رآته عشرة أيام جاز أن يقرها قبل الاغتسال (ان الله يحب التوابين) بالنسبة إلى ماضى من الذنب والترك في الحاضر والعزم على أن لا يفعل مثله في المستقبل (ويحب للمتطهرين) أى المتزهرين عن المعاصي من اتيان النساء في زمان الحيض والاتيان في الادبار وقيل يجب المستنجين بالماء (نساؤكم حث لكم) أى فزوج نسايتكم منهوكة لا ولادكم (فأواحرثكم) أى مزرعتكم (أنى شئتم) أى من أى جهة شئتم أى فالمراد من هذه الآية أن الرجل مخير بين أن يأتي زوجته من قبلها في قبلها وبين أن يأتيها من دبرها في قبلها لأن سبب تزويج هذه الآية يمارى ان اليهود كانوا من جامع امرأته في قبلها من دبرها كان ولدها أحول مخبلا وذهبوا أنفك في التوراة فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبتم اليهود (وقدموا لأنفسكم) من الأعمال الصالحة كالتمسك عند الجماع وطلب الولد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال بسم الله عند الجماع فأما ولد فله حسنة بعدد أنفاس ذلك الولد وعدد عقبه إلى يوم القيامة (أنى شئتم) أى كونه في قيد قضاء الشهوة (واتقوا الله) في أدبار النساء

ومجامعتهم في الحيض (واعلموا أنكم ملاقوه) أي الله بالبعث فتزیدوا ما تنتفعون به فانه تعالى يجزيكم
بأعمالكم (وبشر المؤمنين) خاصة بالشواب والكرامة (ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم أن تبروا
وتتقوا وتصلموا بين الناس) أي ولا تجعلوا ذكرا لله ما نعبسبب إيمانكم من أن تبروا وتتقوا وتصلموا
بين الناس قال ابن عباس ارجعوا إلى ما هو خير لكم وكفروا بيمينكم زلت هذه الآية في شأن عبد الله بن
وراحه فانه حلف بالله أن لا يجسن إلى اخته وختته أي زوج اخته بشير بن النعمان ولا يكلمهم سوا
يصلح بينهم فكان إذا قيل له في الصلح بقول قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يحل لي أن لا أبر في عيني (والله
سميع) بيمينكم بترك الاحسان (عليم) بنيائكم وبكفارة اليمين (لا يؤاخذكم الله باللغو في
إيمانكم) قال الشافعي رضي الله عنه إن اللغو قول العرب لا والله وبلى والله في الشراء والبيع وغير ذلك
من ما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد
الحرام ألف مرة لا تذكر ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة وقال أبو حنيفة إن اللغو هو أن يحلف على شيء
يعتقده كان ثم بان أنه لم يكن فالشافعي لا يوجب الكفارة في المسئلة الأولى ويوجبها في الثانية وأبو
حنيفة يحكم بالصد من ذلك (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) أي قصده من الإيعان بمجد وربط به
لحنتم فاذا حلف على شيء بالجسد في أنه كان حاصلا ثم ظهر أنه لم يحصل فقد قصد بذلك اليمين تصديق قول
نفسه وربط قلبه بذلك فلم يكن ذلك لغوا بل كان حاصلا بكسب القلب (والله غفور) حيث لم يؤاخذكم
باللغو مع كونه ناشئا من عدم الاحتياط (حليم) حيث لم يجعل بالموأخذة على عین الجحد (للذين يؤلون من
نسائهم تربص أربعة أشهر) أي للذين يحلفون أن لا يجامعوها من مطلقة أو مدة تزيد على أربعة أشهر
انتظار أربعة أشهر (فإن فآوا) أي رجعوا عن اليمين بالحنث بأن جامعا قبل أربعة أشهر (فإن الله
غفور) ليمينهم أن تابوا بفعل الكفارة (رحيم) حيث بين كفارتهم (وان عزمو الطلاق) أي إن
حقوا الطلاق وبروا بيمينهم (فإن الله سميع) ليمينهم (عليم) بعزمهم فليس لهم بعد التربص
إلا الفينة أو الطلاق فإن بر المولى بيمينه وترك مجامعة امرأته حتى تجاوز أربعة أشهر بآنت منه امرأته
بتطبيق واحدة وإن جامعا قبل ذلك فعليه كفارة اليمين كما قاله ابن عباس (والطلقت) أي ذوات
الأقراء من الحرث المدخول بهن (يتربصن بأنفسهن) في العدة (ثلاثة قروء) فلا تتوقف العدة على
ضرب قاض (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) من الحمل والحيض معا وذلك لأن المرأة
لها أغراض كثيرة في كتمانها فإذا كتمت الحمل قصرت عدة عدتها فتزوج بسرعة وربما كرهت
مراجعة الزوج وأحببت التزوج بزوج آخر وأحببت أن يلتمح ولدها بالزوج الثاني فلهذه الأغراض
تكمتم الحمل وإذا كتمت الحيض فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الأول وقد تحب تقصير
عدتها لتبطل رجعتيه ولا يتم لها ذلك إلا بكتمان بعض الحيض في بعض الأوقات (إن كن يؤمن بالله
واليوم الآخر) فلا يجزئن على ذلك التكتان وهذا الشرط للتغليظ حتى لو لم يكن مؤمنات كان عليهن
العدة أيضا (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك) أي أزواج المطلقات أحق رجعتن في مدة ذلك
التربص (إن أرادوا) أي البعولة بالرجعة (اصلاحا) والسبب في هذه الآية أن في الجاهلية كانوا
يراجعون المطلقات ويريدون بذلك الأضرار بهن ليطلقوهن بعد الرجعة حتى تحتاج المرأة إلى أن تعتد
عدة حادثة فنهوا عن ذلك (ولهن) عليهن من الحقوق (مثل الذي) لهن (عليهن) من الحقوق
(بالمعروف) شرعا في حسن المعاشرة (والرجال عليهن درجة) أي فضيلة في الحق لأن حقوقهم عليهن

في أنفسهن وحقوقهن عليهن في المهر والنفقة (والله عزير) يقدر على الانتقام عن مخالف أحكامه
 (حكيم) فيما حكم بين الزوجين (الطلاق من تان فامسالك بمعروف أو تسريح باحسان) أي ذلك الطلاق
 الذي حكمنا فيه بثبوت الرجعة للزوج هو أن وجد من تان فالواجب بعدها تان المرتين اما مسالك بمعروف
 أي رجعة بحسن عشرة ولطف معاملة لا على قصد اضرار أو تسريح أي ارسال بترك المراجعة حتى تنقضي
 العدة وتحصل البيئونة باحسان أي بغير ذكر سوء بعد المفارقة وبأداء جميع حقوقها المالية وهذه الآية
 متناولة لجميع الاحوال لان الزوج بعد الطلقة الثانية اما أن يراجعها وهو المراد بقوله تعالى فامسالك بمعروف
 أو يتركها حتى تبين بانقضاء العدة وهو المراد بقوله تعالى أو تسريح باحسان أو يطلقها نائمة وهو المراد
 بقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد فكانت الآية مشتملة على بيان كل الاقسام ولو جعلنا التسريح
 مطلقا نالته لكان قوله تعالى فان طلقها طلاقا رابعة فانه غير جائز وسبب نزول هذه الآية أن امرأة شكت
 الى عائشة رضي الله عنها بأن زوجها يطلقها ويراجعها كثيرا (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتوهن
 شيئا) أي ومن جملة الاحسان انه اذا طلقها لا يأخذ منها شيئا من الذي أعطاه من المهر والنياب وسائر
 ما تفضل به عليها لانه استمتع بها في مقابلة ما أعطاه (الا أن يخاف أن لا يقيم حدود الله) أي أن لا يراجعها
 مواجا أحكام الزوجية وقرأ حزنة يخاف بضم الياء (فان خفتن أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما
 فيما اقتدت به) أي فلا حرج على الزوج في أخذ ما اقتدت الزوجة به نفسها من المال ليطلقها ولا
 عليها في إعطائه اياه بطيبة نفسها نزلت هذه الآية في شأن نابت بن قيس بن شماس وفي شأن جميلة بنت
 عبد الله بن أبي اسحق تترت نفسها من زوجها بعهرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ثبت خذ منها
 ما أعطيتها واخل سبيلها ففعل فكان ذلك أول خلع في الاسلام وفي سنن أبي داود ان المرأة كانت حفصة
 بنت سهل الانصارية تنبيه يجوز أن يكون أول الآية وهو قوله تعالى ولا يحل لكم أن تأخذوا خطايا
 للزوج وأخرها وهو قوله تعالى فان خفتن خطايا اللاتمة والحكام وذلك غير غريب في الفسر أن ويجوز
 أن يكون الخطاب كله للاتمة والحكام لانهم الذين يأمرون بالأخذ والعطاء عند الترافع اليهم فكأنهم
 هم الآخذون والمؤتون ثم الخوف المذكور في هذه الآية يمكن حمله على الخوف المعروف وهو الاشفاق مما
 يكره وقوعه ويمكن حمله على الظن كما قرئ قراءة شاذة الا أن يظنوا بالخوف اما أن يكون من قبل المرأة فقط
 أو من قبل الزوج فقط أو من قبلهما معا أولا يحصل الخوف من قبل واحد منهما فان كان الخوف من قبل
 المرأة بأن تكون ناشزة مبغضة للزوج فيحل له أخذ المال منها وان كان من قبل الزوج فقط بأن يسرها
 ويؤذيها حتى تلتزم الفداء فهذا المال حرام كما كان الخوف حراما من قبلهما معا فذلك المال حرام أيضا
 وان لم يحصل الخوف من قبل واحد منهما فقال أكثر المجتهدين ان هذا الخلع جائز والمال المأخوذ حلال
 وقال قوم انه حرام (تلك) أي ما تقدم ذكره من أحكام الطلاق والرجعة والخلع (حدود الله) أي أحكام
 الله بين المرأة والزوج (فلا تعدوها) أي فلا تتجاوزوا عنها (ومن يتعد حدود الله) أي ومن
 يتجاوز أحكام الله الى ما نهى الله عنه له (فأولئك هم الظالمون) أي الضارون لانفسهم بتعريضها
 لسخط الله تعالى وعقابه (ان طلقها) بعد الطلقتين (فلا تحل له من بعد) أي من بعد الطلقة
 الثالثة (حتى تسلم زوجها غيره) أي المطلق مذهب جمهور المجتهدين ان المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج
 الا بخمس شرائط تعتد منه وتعد للثاني ويوطؤها ثم يطلقها ثم تعتد منه وقال سعيد بن جبير وسعيد
 ابن المسيب تحل بمجرد العقد روى أن عمة بنت عبد الرحمن القرظي كانت تحت رفاعه بن وهب بن عتيك

القرطبي فطلقها ثلاثاً فمزوجت بعبد الرحمن بن الزبير القرطبي بفتح الزاي وكسر الباء فأتمت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت كنت تحت رفاعة فطلقتني فبنت طلاقاً فمزوجت بعبد الرحمن بن الزبير وانغمسه معه مثل هدبة الثوب وانه أراد أن يطلقني قبل أن عسني فأرجع إلى ابن عمي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتريدن أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك والعسيلة مجاز عن قليل الجماع اذ يكفي قليل انتشار وفي قصة عبد الرحمن بن الزبير نزل قوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره والحكمة في التحليل الردع عن المسارعة إلى الطلاق والعود إلى المطلقة ثلاثاً (وان طلقها) أي طلق الزوج الثاني المطلقة ثلاثاً (فلا جناح عليهما) أي المرأة والزواج الأول (أن يتراجعا) بنكاح جديد ومهر (ان ظننا أن يقيما حدود الله) أي أحكام الله فيما بين المرأة والزوج (وتلك) أي الأحكام (حدود الله) أي فرائض الله (بيدنا القوم يعلمون) انه من الله ويصدقون بذلك (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي آخر عدتهن ولم تنقض (فأمسكوهن بمعروف) أي فراجعوهن بغير ضرار بل بحسن الصلح والمعاشرة (أو سرحوهن بمعروف) أي أو خلوهن حتى ينقضن أجلهن بغير تطويل (ولا تمسكوهن ضراراً) أي لا تراجعوهن بسوء العشرة رتضييق النفقة (لتعتدوا) أي لتظلموهن بالاجاء إلى الافتداء ولتطيلوا عليهن العدة نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يدعي ثابت بن يسار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضائها عدتها راجعها ثم طلقها بقصد مضارها حتى تبقى في العدة تسعة أشهر أو أكثر (ومن يفعل ذلك) أي الامساك المؤدى إلى الظلم (فقد ظلم نفسه) أي أضرب نفسه بتعريضها إلى عذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله) أي أمر الله ونهيه (هزوا) بأن تعرضوا عنها (واذ كروا نعمة الله عليكم) حيث هداكم إلى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية أي فاشكروها واحفظوها (وما أنزل) الله (عليكم من الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي السنة (يعظكم به) أي يأمركم وينهاكم بما أنزل عليكم (واتقوا الله) في أوامره كلها ولا تخالفوه في نواهيه (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) فلا يخفى عليه شيء مما تأتون وتذرون (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) والخطاب باللازواج والمعنى حينئذ (واذا طلقتم النساء فأنقضت عدتهن فلا تمنعهن من أن ينكحن من يريدون ان يتزوجوهن فان الأزواج قديعضلون مطلقاتهم أن يتزوجن ظلمات واما الاولياء فنسبة الطلاق اليهم باعتبار تسبيهم فيه كما يقع كثيراً أن الولي يطلب من الزوج طلاقها والمعنى حينئذ اذا اخلصتم النساء من أزواجهن بتطليقهن فأنقضت عدتهن فلا تمنعهن من أن ينكحن الرجال الذين كانوا أزواجهن روى أن معقل ابن يسار زوج أخته جميلة عبد الله بن عاصم فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها ثم قدم فجاء يخطبها لنفسه ورضيت المرأة بذلك فقال لها معقل انه طلقك ثم تريدن مراجعته وجهي من وجهك حرام ان راجعته فأنزل الله تعالى هذه الآية فعد عار رسول الله صلى الله عليه وسلم معقل وتلا عليه هذه الآية فقال معقل رغم أنفي لا مهرب لي اللهم رضيت وسلمت لامرئ ثم أنسلخ أخته زوجها الاول عبد الله بن عاصم (اذا نراضوا بينهم) أي بأن يرضى كل واحد منهما ما لزمه في هذا لعقد لصاحبه (بالمعروف) أي بالجميل عند الشرع المستحسن عند الناس (ذلك) أي تفضيل الأحكام (بوعظ به) أي يأمر به (من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) لانه الموعظ (ذلكم) أي العمل بالوعظ (أزكى لكم) أي أصح وأنفع لكم (وأطهر) للغلوب من العداوة والتهمة بسبب المحبة بينهما (والله يعلم) ما فيه صلاح أموركم (وانتم لاتعلمون) ذلك فعد عوارأيكم

(والوالدات) ولو مطلقات (برضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) من الأبوين
وليس فيما دون ذلك حد وانما هو على مقدار صلاح المولود وما يعيش به (وعلى المولود له) أي على
الأب (رزقهن) أي نفقتهن (وكسوتهن) لأجل الأرضاع إذا كن مطلقات من الأب طلاقاً باتناً
لعدم بقاء علاقة النكاح الموجبة لذلك فلو لم ترضعهم الوالدات لم يجب فإن كن زوجات أو رجعات فالرزق
والكسوة لحق الزوجية ولهن أجرة الرضاع إن امتنعن منه وطلبن ما ذكر (بالمعروف) أي بغير
امراف وتقدير (لا تكاف نفس) بالنفقة على الرضاع (الأوسعها) أي لا بقدر ما أعطاه الله من
المال (لا تضار والدة بولدها) أي بأخذ ولدها منها بعد ما رضيت بما أعطى غيرها على الرضاع مع شدة
محبتها له (ولا مولود له) أي لا يضار أب (بولده) بطرح الولد عليه بعدما عرف أمه ولا يقبل ثدي غيرها مع
أن الأب لا يتنعم عليهما من الرزق والكسوة (وعلى الواث مثل ذلك) أي على الصبي نفسه الذي هو
وارث أبيه المتوفى مثل ما على الأب من النفقة والكسوة فإنه إن كان له مال وجب أجر الرضاعة في ماله وإن
لم يكن له مال أجبرت أمه على الرضاعة ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان وهو قول مالك والشافعي وقيل
المراد من الوارث الباقي من الأبوين أخذاً من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم متعبنا بأسماعنا وأبصارنا
واجعلهما الواث منا (فإن أراد) أي الوالدان (فصلاً) أي فطام الصبي عن اللبن قبل تمام
الحولين (عن تراض) أي باتفاق (منهما) لأن أحدهما فقط (وتشاور) أي تدقيق النظر
فيما يصلح الولد (فلا جناح عليهما) في ذلك ولا يجوز النقص عن الحولين عند اتفاق الأبوين عليه
كذلك تجوز الزيادة عليهما باتفاقهما (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي إن أردتم أن تطلبوا
مراضع لأولادكم (فلا جناح عليكم) في الاسترضاع (إذا سلمتم) إلى المراضع (ما أتيتن) أي
ما أتيتوهن أي ما أردتم إتيانهن من الأجرة وقرأ ابن كثير وحده ما أتيتن مقصورة الألف أي ما أتيتن
به أي ما أردتم إتيانه (بالمعروف) أي بالموافقة وليس تسليم الأجرة شرطاً للصحة إلا جارة بل لتسكون
المرضة طيبة النفس راضية فيصير ذلك سبباً لصلاح حال الصبي والاحتياط في مصالحه (واتقوا الله) في
الضرار والمخالفة (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) فيجازيكم على ذلك (والذين يتوفون منكم ويذرون
أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) أي والذين تقبض أزواجهم من رجالكم ويتربصون
أزواجاً ينتظرن بعدهم بأنفسهن في العدة أربعة أشهر وعشرة أيام وهذه العدة سببها الوفاة عند
الأكثرين لا العلم بالوفاة كما قال به بعضهم فلوانقضت المرأة أو أكثرها ثم بلغ المرأة خبر وفاة زوجها وجب
أن تعتد بما انقضى والدليل على ذلك أن الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضاء عدتها انقضاء هذه المدة
(فإذا بلغن أجلهن) أي انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت في تركهن (فيما فعلن
في أنفسهن) من التزين وغيره من كل ما حرم عليهن في زمن العدة لأجل وجوب الاحداد عليهن
(بالمعروف) أي بما يحسن عقلاً وشرعاً وقيل المخاطب بهذا الخطاب جميع المسلمين وذلك لأنهن إن
تزوجن في مدة العدة وجب على كل واحد منعهن عن ذلك أن قدر على المنع فإن عجز وجب عليه أن
يستعين بالسلطان (والله بما تعملون) من الخير والشر (خبير) فيجازيكم عليه (ولا جناح عليكم
فيما عرضتم به من خطبة النساء أو كنتم في أنفسكم) أي ولا حرج عليكم فيما طلبتم النكاح من
النساء المعتدات بالوفاة والطلاق الثلاث بطريق التعريض وهو ذكر كلام محتمل مؤكدة لدلالة الحال
على المقصود كأن يقول إن جمع الله بيننا بالحلل يعجبني ذلك أو فيما أضرتم في قلوبكم من قصد نكاحهن

(علم الله أنكم ستزدكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا) أى اغما بأباح لكم التعريض له بآلتكم لا تصبرون على السكوت عنهن لأن شهوة النفس إذا حصلت في باب النكاح لا يكاد تخلو ذلك المشتبه من العزم والتقني وبأنه لا بد من كونكم ستزدكروهن بالخطة فإذ كروهن ولأن لا تواعدون بذكر الجماع وهو كما قال ابن عباس بأن لا يصف الخاطب نفسه لها بكثرة الجماع كأن يقول لها آتيك الأربعة والخمسة إلا أن تسارروهن بالقول غير المنكر شرعا كأن يعدها الخاطب في السر بالأحسان إليها والاهتمام بشأنها والتكفل بعصا لها حتى يصبر ذكر هذه الأشياء الجميلة مؤكدا لذلك التعريض (ولا تعزموا) أى لا تحققوا (عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أى حتى تبلغ العدة المفروضة آخرها وصارت منقضية (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) من العزم على ما نيتهم عنه (فاحذروه) بالاجتناب عن العزم على ذلك (واعلموا أن الله غفور) إن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة عن ذنوبكم (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوهن فريضة) وقرا حمزة والكسائي عماسوهن بضم التاء وبالألف بعد الميم أى لا تقل عليكم بلزوم المهر إن طلقتم النساء ما لم يتجامعهن أو ما لم تبينا والون مهر افلا تعطوهن المهر (ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين) أى اعطوهن متعة الطلاق جبرا لا يحاش الطلاق على الغنى قدر ماله وامكانه وعلى ضيق الرزق قدر ماله وطاقته تمتعها بالوجه الذى تستحسنه النريضة والمروءة واجبا على المؤمنين الذين يحسنون الى أنفسهم بالمسارعة الى طاعة الله تعالى لان المتعة بدل المهر زالت هذه الآية في شأن رجل من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل أن يسها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أمتعها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك (وان طلقوهن من قبل أن تمسوهن) أى تجامعهن (وقد فرضتم لهن فريضة) أى وقد بينتم مهورهن (فنصف ما فرضتم) أى فنصف ما بينتم ساقط (الا أن يعفون) أى الا أن تسهل الزوجات بأبراء حقها فيسقط كل المهر (أو يعفو الذى بيده عقد النكاح) أى أو يسهل الزوج بيع كل الصداق فيثبت السكك إليها (وأن تعفوا أقرب للتقوى) أى عفوبعضكم أيها الرجال والنساء أقرب للآلفة وطيب النفس من عدم العفو الذى فيه التنصيف (ولا تنسوا الفضل بينكم) أى ولا تتركوا أن يتفضل بعضكم على بعض بأن يسم الزوج المهر إليها بالكلية أو تترك المرأة المهر بالكلية (ان الله بما تعملون) من الفضل والاحسان (بصير) لا يضيع فضلكم واحسانكم بل يجازيكم عليه (حافظوا على الصلوات) الخمس بأدائها في أوقاتها كاملة الأركان والشروط وهذه المحافظة تكون بين العبد والرب كأنه قيل له احفظ الصلاة ليحفظك الاله الذى أمرك بالصلاة وتكون بين المصلي والصلاة فكأنه قيل احفظ الصلاة حتى تحفظك الصلاة (والصلاة الوسطى) أى الفضلى قيل هى صلاة الصبح وهى قول على وعمر وابن عباس وجابر وأبي أمامة الباهلى وهم من الصحابة وطاوس وعطاء وعكرمة ومجاهد وهم من التابعين وهو مذهب الشافعى فان أولها يقع في الظلام فأشبهت صلاة الليل وآخرها يقع في الضوء فأشبهت صلاة النهار ولأنهم منفردة في وقت واحد لا تجمع بين غيرها ولأنها مشهودة لأنها تؤدى بحضرة ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل هى صلاة العصر وهو مروي عن على وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة فانها متوسطة بين صلاة شفع وصلاة وتر ولأن وقت صلاة العصر أخفى الاوقات فلا يظهر دخول وقتها إلا بنظر دقيق وتأمل عظيم في حال الظل فلما كانت معرفته أشق كانت الفضيلة فيها أكثر وقال بعض الفقهاء العصر وسط ولكن ليس هى

المذكورة في القرآن فهنا صلاتان وسطيان الصبح والعصر أحدهما ثبت بالقرآن والآخرة بالسنة كما
 أن الحرم حرمان حرم مكة بالقرآن وحرم المدينة بالسنة واختار جمع من العلماء أنها إحدى الصلوات
 الخمس لا بعينها فإيهما الله تعالى تحريمها للعباد في المحافظة على أداء جميعها كما أخفى ليلة القدر في شهر
 رمضان وأخفى ساعة إجابة الدعوة في يوم الجمعة وأخفى اسمه الأعظم في جميع الأسماء ليحفظوا على
 جميعها وأخفى وقت الموت في الأوقات ليكون المكلف خائفاً من الموت في كل الأوقات فيكون آتياً
 بالتوبة في كل الأوقات (وقوموا لله) في الصلاة (قانتين) أي ذاكرين داعين مواظبين على خدمة الله
 تعالى (فان خفتهم فرجالاً أو ركبانا) أي فان خفتهم من عدو وغيره فصلوا مشاة على أرجلكم بالأيام
 في الركوع والسجود أو راكبين على الدواب حيثما توجهتم والخوف الذي يفيد هذه الرخصة إما أن يكون
 في القتال أو في غير القتال فالخوف في القتال إما أن يكون في قتال واجب أو مباح فالقتال الواجب هو
 كالقتال مع الكفار وهو الأصل في صلاة الخوف ولتحقق به قتال أهل البغي وكما إذا قصد الكافر نفسه
 فإنه يجب الدفع عنه لئلا يكون اختلافاً بحق الإسلام وقد جوز الشافعي أداء الصلاة حال المسابقة والقتال
 المباح هو أن يدفع الإنسان عن نفسه وعن كل حيوان محترم فيجوز في ذلك هذه الصلاة أما إذا قصد
 إنسان بأخذ المال فالأصح أنه تجوز هذه الصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله فهو شهيد
 فالدفع عن المال كالدفع عن النفس وقيل لا تجوز لأن حرمة الروح أعظم والخوف الحاصل في غير القتال
 كالحرب من الحرق والفرق والسبي والمطالب بالدين إذا كان معسراً خائفاً من الحبس عاجزاً عن بينة
 الإحسان فله أن يصلوا هذه الصلاة (فإذا أمنتهم) بزوال الخوف الذي هو سبب الرخصة (فادكروا
 الله) أي فافعلوا الصلاة (كما علمكم) بقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله
 قانتين لأن سبب الرخصة إذا زال عاد الوجوب فيه والصلاة قد تسمى ذكرًا كما في قوله تعالى فاسعوا
 إلى ذكر الله (مالم تكونوا تعلمون) قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فامفعول لعلكم إن جعلت ما الأولى
 مصدرية أما إن جعلت موصولة فهاهنا بدل من الأولى أو من العالم المحذوف (والذين يتوفون منكم
 ويذرون أزواجاً صبية لا زواجهن متاعاً إلى الحول غير أخرج) أي والذين يقربون من الوفاة من
 رجالكم ويتركون أزواجاً عليهم أن يوصوا وصية لزوجاتهم في أمهاتهم بثلاثة أشياء النفقة والكسوة
 والسكنى إلى تمام الحول من موتهم غير مخبرات من مسكنهن وقرأ ابن كثير وناقم والكسائي
 وأبو بكر عن عاصم وصية بالرفع أي عليهم وصية أو المعنى والذين يقبضون من رجالكم ويتركون
 أزواجاً بعد الموت وصية من الله لأزواجهم فوصية مبتدأ ولا زواجهن خبر أي أمره وتكليفه لهن
 (فان خرجن) عن منزل الأزواج باختيارهن قبل الحول (فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت
 (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) أي غير منكرف في الشرع أي فلا جناح على ورثة الميت
 في قطع النفقة والكسوة عنهن إذا خرجن من بيت زوجهن بما فعلن في أنفسهن من معروف من
 التزين ومن الإقدام على النكاح أو المعنى لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن مقامها
 حولاً في بيت زوجها ليس بواجب عليها في الذي فعلن في أنفسهن من معروف من تزين وتشوف للتزويج
 (والله عزيز) أي غالب على أمره يعاقب من خالفه (حكيم) يراعي في أحكامه مصالح عباده واحتياط
 جمهور المفسرين أن هذه الآية منسوخة قالوا كان الحكم في ابتداء الإسلام أنه إذا مات الرجل لم يكن
 لامرأته من ميراثه شيء إلا النفقة والسكنى سنة ولكنها كانت مخيرة بين أن تعتد في بيت الزوج وأن تخرج

منه قبل الحول لكن متى خرجت سقطت نفقتها فهذه الوصية صارت مفسرة بالنفقة والكسوة والسكنى الى الحول فثبت ان هذه الآية توجب أمرين النفقة والسكنى من مال الزوج سنة والاعتداد سنة لان وجوب السكنى والنفقة من مال الميت سنة توجب المنع من التزوج بزوجة آخر في هذه السنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين وقد دل القرآن على ثبوت الميراث لماتتبعين الربع أو الثمن ودلت السنة على انه لا وصية لو ارث فصار مجموع القرآن والسنة ناسخا للوصية للزوجة بالنفقة والسكنى في الحول ووجوب العدة في الحول منسوخ بقوله تعالى يتر بصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا (وللطلقات متاع) أى متعة (بالمعروف) أى بقدر حال الزوجين وما يليق بهما (حقا على المتقين) قال الشافعى رحمه الله لكل مطلقة متعة الا المطلقة التي فرض لها مهر ولم يوجد في حقها الميسر روى أنه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن الى قوله تعالى حقاً على المحسنين قال رجل من المسلمين ان أردت فعلت وان لم أرد لم افعل فقال تعالى وللطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين أى على كل من كان متقياً عن الكفر (كذلك) أى مثل ذلك البيان الواضح (يبين الله لكم آياته) هذا وعد من الله تعالى بأنه سيبين لعباده من الاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا (لعلكم تعقلون) أى لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها ثم ذكر خبر غزاة بني اسرائيل فقال (ألم تر الى الذى خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) أى ألم يصل علمك الى الذين خرجوا من منازلهم لم يقتل عدوهم وهم ثمانية آلاف أو أربعة آلاف أو أربعون ألفا كل ذلك عن ابن عباس على اختلاف الرواة فبينوا عن القتال مخافة القتل فأما تم الله مكانهم ثم أحياهم بعد ثمانية أيام قال ابن عباس رضى الله عنهما ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمره عسكره بالقتال فخافوا القتال وقالوا الملكهم ان الارض انتى نذهب اليها فيها الويا فخن لانذهب اليها حتى يزول ذلك الويا فأما تم الله تعالى بأسرهم وبقوا ثمانية أيام حتى انتنظروا وبلغ بنى اسرائيل موتهم فخر جواد دفنهم فجزوا من كثرتهم فحظروا وعليهم حظائر فأحياهم الله بعد الثمانية وبقى فيهم شئ من ذلك الثمن وبقى ذلك فى أولادهم الى هذا اليوم (ان الله لذو فضل على الناس) أى على أولئك القوم بسبب انه أحياهم ومكانهم من التوبة وعلى العرب الذين أنكروا المعاد الذين عسكروا يقول اليهودى كثير من الامور فيرجعون من الانكار الى الاقرار بالبعث بسبب أخبار اليهود لهم بهذه الواقعة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فضله تعالى كما ينبغى أما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره وهذه القصة تدل على أن الحذر من الموت لا يفيد فهذه القصة تشجع الانسان على الاقدام على طاعة الله تعالى كيف كان وتزيل عن قلبه الخوف من الموت فكان ذكر هذه القصة فضلا واحسانا من الله تعالى على عبده لان ذكر هذه القصة سبب لبعد العبد عن المعصية وقربه من الطاعة ثم قال الله لهم بعدما أحياهم (وقاتلوا في سبيل الله) أى فى طاعة الله مع عدوك ومحميت العبادات سبيلا الى الله تعالى من حيث ان الانسان يسلكها ويتوصل الى الله بها ومعهم ان الجهاد تقوية للدين فكان طاعة فلاشك أن المجاهد مقاتل في سبيل الله (واعلموا أن الله مهيم) لكلامكم في ترغيب الغير في الجهاد وفي تنفير الغير عنه (عليم) بما فى صدوركم من البواعث والاغراض وان ذلك الجهاد لغرض الدين أو لغرض الدنيا (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) قرأ أبو عمرو ونافع وحزرة والكسائى فيضاعفه بالآلاف والرفع وقرأ عاصم فيضاعفه بالآلاف والنصب وقرأ ابن كثير فيضاعفه بالتشديد والرفع بلا ألف وقرأ ابن عامر فيضاعفه بالتشديد والنصب والمعنى من ذا الذى يعامل الله

بأنفاق ما في طاعته سواء كان الانفاق واجبا أو متطوعا به معاملة جامعة للحلال الذي لا يختلط بالحرام
والقاص للخالص من المن والاذى ولنية التقرب الى الله تعالى لا لرباه رغبة في رضا الله جزاء له في
الدنيا والآخرة أضعافا كثيرة لا يعلمها الا الله تعالى وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم يكن
عنده ما يتصدق به فليعلن اليهود فانه له صدقة ويرى أنه لما نزلت هذه الآية قالت اليهود ان الله فقير
ونحن أغنياء فهو يطلب منا القرض (والله يقبض ويبسط) أى يقبض الرزق عن من يشاء ولو أمسكه عن
الانفاق ويبسطه على من يشاء ولو أنفق منه كثيرا أو المعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدم على
هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يتقدم على هذه الطاعة (واليه ترجعون) فلا مدبر ولا حاكم سواء قال
ابن عباس نزلت هذه الآية في شأن أبي الدحداح رجل من الانصار قال يا رسول الله انى حديقتين فان
تصدقت بأحدهما فهل لي مثلاها في الجنة قال نعم قال وأم الدحداح معى قال نعم قال والصبيبة معى قال نعم
فتصدق بأفضل حديقتيه وكانت تسمى الجنيونية فرجع أبو الدحداح الى أهله وكانوا في الحديقة
التي تصدق بها فقال على باب الحديقة وذكر ذلك لامرأته فقالت أم الدحداح بارك الله لك في ما اشتريت
فخرجوا منها وسلموا فإفكان صلى الله عليه وسلم يقول لكم من نخلة رداح تدعى عروقه في الجنة لا بى
الدحداح (ألم ترائى الملامن بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا للنبي لهم ابعث لنا ملكا) أى المخبّر
يا أشرف الخلق عن قصة الرؤساء من بنى اسرائيل من بعد وفاة موسى حين قالوا للنبي هم شعويل كما قاله
وهب بن منبه أو سمعون أو يوشع بن نون كما قاله قتادة أو خزقيل كما حكاه الكرماني أو اسمعويل بن حلفا
وأمم أمه حسنة كما قاله مجاهد وسبب سؤال بنى اسرائيل نبيهم ذلك أنه لما مات موسى وعظمت
الخطايا بسط الله عليهم قوم حاولت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وغلبوا على
كثير من أرضهم وسبوا كثير من ذراريهم وأسر وامن أبناء ملوكهم أربع مائة وأربعين غلاما وضرخوا
عليهم الجزية وأخذوا قرايتهم ولم يكن لهم حينئذ نبي يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق
منهم الا امرأة حبلى فحسوها في بيت فولدت غلاما فلما كبر كفله شيخ من علماءهم في بيت المقدس فلما
بلغ الغلام آتاه جبريل فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعث فيهم نبيا فلما آتاهم
كذبوه وقالوا استهملت بالنبوة فان كنت صادقاً فاقين لنا ملك الجيش (نقاتل) بأمره مع عدونا
(في سبيل الله) أى في طاعة الله وانما كان صلاح أمر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملوك وبطاعة
الملوك أنبياءهم فكان الملك هو الذى يسير بالجوع والنبي هو الذى يقيم أمره ويشير عليه برشده
(قال هبل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا) أى قال نبيهم هل قاربتم أن لا تقاتلوا عدوكم
ان فرض عليكم القتال مع ذلك الملك (قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا
وأبناؤنا) أى أى شئ ثبت لنا في ترك القتال الذى في طاعة الله والحال انه قد أبعد بعضنا من
المنازل والاولاد والقائون لنبيهم بما ذكر كانوا في ديارهم فسأل الله تعالى ذلك النبي فأوجب عليهم
القتال وعينه لهم ملكا ليقاتل بهم (فلما كتب) أى أوجب (عليهم القتال تولوا) أى أعرضوا عن
قتال عدوهم لما شاهدوا كثرة العدو وشوكتهم (الا قليلا منهم) ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل
جد (والله عليم بالظالمين) أى هو عالم عن ظلم نفسه حين خالف دبه ولم يف بمما قيل من ربه (وقال لهم
نبيهم ان افقة دبعث لكم) أى لاجل سؤالكم (طالوت ملكا) أى لما سأل الله تعالى أن يبين
لهم ملكا أرسل الله له عصا وقرنا فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبك الذى يكون ملكا هو من يكون

طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فانتشر الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واصمه طالوت فدخل عليه رجل فانتشر الدهن في القرن فقام شمويل فقاسه بالعصا فكان على طولها وقال له قرب رأسك فقربه فدهنه النبي بدهن القدس وقال له أنت ملك بني اسرائيل الذي أمرني الله أن أملكك عليهم ثم فقال طالوت أما علمت أن سبطي أدنى من سبط ملوك بني اسرائيل قال بلى فقال شمويل الله يوثق ملكه من يشاء كما قال الله تعالى (قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) أى قالوا من أين يكون له الملك علينا والخال نحن أولى بالملك منه وليس له سعة المال لينفق على الجيش وانما قالوا ذلك لأنه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط ملكة فكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه موسى وهرون عليهم ما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلما قال لهم نبيهم ذلك أنكروا وقالوا هودباغ أوراغ أوسقاء يستقى الماء على حماره وانما نزع الملك والنبوة منهم لانهم عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكمحون النساء على ظهر الطريق جهارا فغضب الله عليهم بنزع ذلك منهم وكانوا يسمون سبط الاثم (قال) أى نبيهم (ان الله اصطفاه) أى اختاره بالملك (عليكم وزاده بسطة) أى سعة (في العلم) أى علم الحرب وعلم الديانات حتى قيل انه نبي أوحى اليه (والجسم) بالقوة على مبارزة العدو وبالجمل وبطول القامة فانه أطول من غيره برأسه ومنكبيه فكان أعلم بني اسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقا (والله يوثق ملكه من يشاء) في الدنيا (والله واسم) بالعطية (عالم) بمن يليق بالملك (وقال لهم نبيهم) لما قالوا ليس ملكه من الله بل أنت ملكته علينا (ان آية ملكه) أى ان علامة صحة ملكه من الله (أن يأتيكم التابوت) أى الصندوق الذي أخذ منكم وهو صندوق التوراة وكانوا يعرفونه وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام أسقطه على بني اسرائيل لما عصوا وفسدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال نبي ذلك القوم ان آية ملك طالوت أن يأتيكم التابوت من السماء الى الارض والملائكة يحفظونه فأتاهم والقوم ينظرون اليه حتى ترن عند طالوت (فيه سكينه من ربكم) أى كان في التابوت بشارات من كتب الله تعالى انزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الانبياء عليهم السلام بأن الله ينصر طالوت وجنوده ويرزىل عنهم الخوف من العدو (وبقية عما ترك آل موسى وآل هرون) وهى رصاص الألواح وعصا موسى وثيابه ونعلاه وشئ من التوراة ووراء هرون وعمامة (تحمله الملائكة) أى تسوقه الملائكة اليكم (ان فى ذلك) أى فى رد التابوت اليكم (آية لكم) أى علامة لكم دالة على ان ملكه من الله (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين بتخليكه عليكم أو المعنى ان فى هذه الآية من نقل القصة معجزة باهرة دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بهذه التفاصيل من غير سماع من البشر ان كنتم يؤمنون بدلالة المعجزة على صدق مدعى النبوة والرسالة فلما رد اليهم التابوت قبلوا وخرجوا معه وهم ثمانون ألفا من الشبان الفارغين من جميع الاشغال (فلما فصل طالوت) أى خرج من بيت المقدس (بالجنود) أى بالجيش التى اختارها وكان الوقت قيظا ووسلك بهم فى أرض قفرة فأصابهم حر وعطش شديد فطلبوا منه الماء (قال ان الله مبتليكم بنهر) أى يختبركم بنهر جارليظهر منكم المطيع والعاصى وهو بين الاردن وفلسطين أى والعصود من هذا الابتلاء أن يعز الصديق عن الزديق ولما وافق عن الخالف (فمن شرب منه) أى

من ماء النهر (فليس مني) أي من أتباعي المؤمنين فلا يكون مأذونا في هذا القتل (ومن لم يطعمه) أي من لم يذقه (فانه مني الا من اغترف غرفة بيده) فانه مني ويكون أهلا لهذا القتال قرأ ابن كثير وناجع وأبو عمرو وغرفة بفتح الغين وكذلك يعقوب وخلف وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بالضم والغرفة بالضم الشيء القليل الذي يحصل في السكف والغرفة بالفتح الفعل وهو الاغتراف مرة واحدة فكانت تكفيهم هذه الغرفة لشربهم ودوابهم وحملهم (فشربوا منه) أي فلما وصلوا إلى النهر وقفوا فيه وشربوا منه بالكرع بالغم كيف شاءوا (الاقليلا منهم) ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا فلم يشربوا الا قليلا وهو الغرفة روى أن من اغترف غرفة كما أمر الله قوى قلبه وصح إيمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه ردوا به وخدمه وحمله مع نفسه اما لانه كان مأذونا في أخذ ذلك المقدار واما لان الله تعالى يجعل البركة في ذلك الماء حتى يكفي لكل هؤلاء وذلك بحجة لنبي ذلك الزمان وأما الذين شربوا منه وخالفوا أمر الله تعالى فقد اسودت شفاههم وغلبيهم العطش فلم يروا وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو (فلما جاوزه) أي النهر (هو) أي طالوت (والذين آمنوا معه) وهم أولئك القليل (قالوا) أي بعض من معه من المؤمنين لبعض (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) أي بجاربتهم وكانوا مائة ألف رجل شاكي السلاح (قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) أي ملاقوا ثواب الله بسبب هذه الطاعة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) أي كم من جماعة قليلة من المؤمنين غلبت جماعة كثيرة من الكافرين بنصر الله (والله مع الصابرين) أي معين الصابرين في الحرب بالنصرة يحتمل أن يقال المؤمنون الذين عبروا النهر كانوا فريقين بعضهم ممن يحب الحياة ويكره الموت فيخاف ويجزع ومنهم من كان شجاعا قوى القلب لا يبالي بالموت في طاعة الله تعالى فالأول هم الذين قالوا لا طاقة لنا اليوم والثاني هم الذين أجابوا بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ويحتمل أن يقال القسم الأول من المؤمنين لما شاهدوا قلة عسكرهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجارت وجنوده فلا بد أن نوطن على القتل لانه لا سبيل إلى الفرار من أمر الله والقسم الثاني قالوا لا نوطن أنفسنا بل نرجو من الله الفتح والظفر فكان غرض الأولين الترغيب في الشهادة والفوز بالجنة وغرض الفريق الثاني الترغيب في طلب الفتح والنصرة (ولما برزوا) أي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصافوا (الجالوت) اسم ملك من ملوك الكنعانيين بالشام (وجنوده قالوا) جميعا متضرعين إلى الله تعالى مستعينين به تعالى (ربنا أفرغ علينا صبرا) على مشاهدة المخاوف والامور الهائلة (وثبت أقدامنا) في مداحض القتال بكل القوة عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة (وانصرنا على القوم الكافرين) بقتلهم وهزمهم (فهزموهم باذن الله) أي كسروهم بنصرة الله اجابة لدعائهم (وقتل داود جالوت) قال ابن عباس رضي الله عنهما ان داود عليه السلام كان راعيا وله سبعة اخوة مع طالوت فلما أبطأ خبر اخوته على أيهم أيسر أرسل ابنه داود اليهم ليأتيهم بخبرهم فأتاهم وهم في المصاف وبادر جالوت الجبار وهو من قوم عاد إلى البراز فلم يخرج إليه أحد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على حق لبارزني بعضكم فقال داود لا اخوته أمم فيكم من يخرج إلى هذا الا قلق فسكتوا فذهب إلى ناحية من الصف ليس فيها اخوته فبربه طالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الا قلق فقال طالوت أذلحجه ابنتي وأعطيه نصف ملكي فقال داود فانا اخرج اليه وكان عادته أن يقاتل بالعلاج الذئب والاسد في الرعي وكان طالوت حارفا بجلاوته فلما هم داود بأن يخرج إلى جالوت مر بثلاثة أحجار فقلن يا داود خذنا معك ففينا مائة

جالوت فلم يخرج الى جالوت الكافر رماه فأصابه في صدره ونفذ الحجر فيه وقتل بعده ثلاثين رجلا فهزم الله تعالى جنود جالوت وخر جالوت قتيلا فأخذه داود ويجريه حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح بنو اسرائيل وانصرفوا الى البلاد سالمين غانمين فجاء داود الى طالوت وقال انجزني ما وعدتني فزوجه ابنته وأعطاه نصف الملك كما وعدته فكث معه كذلك أربعين سنة فمات طالوت وأتى بنو اسرائيل بدارد وأعطوه خزان طالوت واستقل داود بالملك سبع سنين ثم انتقل الى رحمة الله تعالى كما قال تعالى (وأتاه الله الملك) أي الكامل سبع سنين بعد موت طالوت أي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها (والحكمة) أي النبوة بعد موت شمويل وكان موته قبل موت طالوت ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة لاحد قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر ومع ذلك جمع الله تعالى له ولابنه سليمان بين الملك والنبوة (وعلمهما يشاء) كصناعة الدروع من الحديد وكان يلين في يده ويذهب به وفهم كلام الطير والنمل وكيفية القضاء وما يتعلق بمصالح الدنيا ومعرفة الالحان الطيبة ولم يعط الله تعالى احدا من خلقه مثل صوته كان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتظله الطيور ويركد الماء والجاري ويسكن الريح (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) بأهلها قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخرّبوا المساجد والبلاد وقيل المعنى ولولا دفع الله بالمومنين والابرار عن الكفار والفجار لفسدت الارض بمن فيها ولكن الله يدفع بالمومنين عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى أحمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليندفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) (ولكن الله ذو فضل على العالمين) كافة بسبب ذلك الدفع (تلك) أي القصص بأخبار الامم الماضية (آيات الله) المنزلة من عنده تعالى (تتلوها عليكم) أي بواسطة جبريل (بالحق) أي ملتبسة باليقين الذي لا يشك فيه أحد من أهل الكتاب لما يجدونها موافقة لما في كتبهم (وانك لمن المرسلين) الى الجن والانس كافة بشهادة اخبارك عن الامم الماضية من غير مطالعة كتاب ولا اجتماع على أحد بخبرك بذلك (تلك الرسل) أي جماعة الرسل (فضلنا بعضهم على بعض) في مراتب الكمال بأن خصه صناء بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله) بلا واسطة وهو موسى حيث كلمه ليلة الحيرة وهي تحيره في معرفة طريقه من مسيره من مدين الى مصر وفي الطور ومحمد حيث كلمه ليلة المعراج (ورفع بعضهم درجات) أي فضائل وهو ابراهيم لانه تعالى اتخذ خليا لا يؤت أهدامثلة هذه الفضيلة وادريس فانه تعالى رفعه مكانا عليا وادفاه تعالى جمع له الملك والنبوة ولم يحصل هذا لغيره وسليمان فانه تعالى مخبره الانس والجن والطير والريح ولم يكن هذا احصا لآييه داود عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى خصه بأنه مبعوث الى الجن والانس وبأن شرعه نامح لكل الشرائع (وآتيناه عيسى بن مريم البينات) أي الهجائب من احياء الموتى وبراء الاكهم والابرص والاخبار بالمغيبات (وأيدناه بروح القدس) أي أعناه بجبريل في أول أمره وفي وسطه وفي آخره وهو نفخ جبريل في عيسى وتعليمه العلوم وحفظه من الاعداء واعانته ورفعته الى السماء حين أرادت اليهود قتله (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد جاءتهم البينات) أي الذين جاؤا من بعد الرسل من الامم المختلفة بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق (ولكن اختلفوا) في الدين (فهم من آمن) بما جاء به أولئك الرسل من كل كتاب وعملوا به (ومنهم من كفر) بذلك فان اختلفا فهم في الدين يدعوهم الى المقاتلة (ولو شاء الله ما اقتتلوا) وهذا

التكرير ليس للتأكيد بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئة تعالى اعدم اقتتلاهم بل الله تعالى مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا (وايكن الله يفعل ما يريد) فيوفق من يشاء ويخذل من يشاء لا اعتراض عليه في فعله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) أي تصدقوا بشئ مما أعطيناكم من الاموال في طاعة الله (من قبل أن يأتي يوم لا بيع) أي فداء (فيه ولا خلة) أي مودة (ولا شفاعة) للكافرين وقرأ ابن كثير ونبوء عسروا بالغش في بيع وخلة وشفاعة والباقون جميعا بالرغم (والكافرون هم الظالمون) حيث تركوا تقديم الخيرات ليوم حاجتهم وأنتم أيها الحاضرون لا تفتدوا بهم ولكن قدموا لانفسكم ما تجعلونه يوم القيامة فدية لانفسكم من عذاب الله تعالى وقيل المعنى والتاركون الزكاة هم الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب (الله لا اله) أي لا معبود بحق موجود (الا هو الحي) أي الباقي الذي لا يهيب عليه الموت والغناء (القيوم) أي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه في الاجاد والارزاق (لا تأخذه سنة) أي نعاس (ولا نوم) ثقيل فيشغله عن تدبيره وأمره أي لا يأخذه نعاس فضلا عن أن يأخذه نوم (له ما في السموات وما في الارض) وهذا رد على المشركين العابدين لبعض الكواكب التي في السماء وللانصنام التي في الارض أي فلا تصلح أن تكون معبودة لانها مخلوقة لله مخلوقه له (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) أي لا يشفع عنده أحد من أهل السموات والارض يوم القيامة الا بأمره وهذا رد على المشركين حيث زعموا ان الانصنام تشفع لهم فانه تعالى لا يأذن في الشفاعة لغير المطيعين (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي يعلم ما قبلهم وما بعدهم أو ما فعلوه من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك (ولا يحيطون بشئ من علمه) أي يقليل من معلوماته (الاعباش) أن يعلمه أي ان أحد الا يحيط بمعلومات الله تعالى اما شاء هو أن يعلمهم أو المعنى انهم لا يعلمون الغيب الا عند اطلاع الله ببعض أنبيائه على بعض الغيب (وسع كرسيه السموات والارض) قال كرسى جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة وهو أوسع من السموات والارض (ولا يؤوده حفظهما) أي لا يشغل عليه تعالى حفظ السموات والارض بغير الملائكة (وهو العلى) أي المتعالى بذاته عن الاشياء والانتظار (العظيم) أي الذي يستحق كل ما سواه بالنسبة اليه فهو تعالى أعلى وأعظم من كل شئ * روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة وعن علي أنه قال سمعت نبيكم على أعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم ينعه من دخول الجنة الا الموت أي فاذا مات دخل الجنة ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد من قرأها اذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاراه وجاراه والايات التي حوله (لا اكراه في الدين) أي لا اكراه على الدخول في دين الله (قد تبين الرشدين النفي) أي قد عبر الحق من الباطل والايان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الدلائل وروى انه كن لابي الحصين الانصاري من بني سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهم وقالوا والله لا أدعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية نفلي سبيلهما ثم نزل في شأن منذر بن ساوى التميمي قوله تعالى (فن يكفر بالطاغوت) أي بالشیطان وبكل ما عبد من دون الله (ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) أي فقد تمسك بالعقدة المحكمة لا انقطاع لها أي فقد أخذ بالثقة لا انقطاع لصاحبها عن نعيم الجنة ولا زوال عن الجنة ولا هلاك بالبقاء في النار (والله سميع) لقول من يتكلم بالشهادتين وقول من يتكلم بالكفر

(عليم) بما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطاهر وما في قلب الكافر من الاعتقاد الخبيث أو يقال والله
 سميع عليم لدعائك يا محمد بحرصك على اسلام أهل الكتاب وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
 يحب اسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسأل الله تعالى ذلك سرا وعلانية
 (الله ولي الذين آمنوا) أي الله ناصر الذين آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه (يخرجهم) بلطفه
 وتوفيقه (من الظلمات) أي الكفر (إلى النور) أي الإيمان (والذين كفروا) ككعب بن
 الأشرف وأصحابه (أولياؤهم الطاغوت) أي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق (يخرجونهم)
 بالوساوس وغيره من طرق الاضلال (من النور) أغطى أي الذي جبل عليه الناس كافة أو من
 نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم (إلى الظلمات) أي ظلمات الكفر
 والانهماك في الضلال (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أي ما كثون أبدا (ألم تر) أي ألم
 تنظر (إلى) هذا الطاغوت كيف تصدى لاضلال الناس وأخرجهم من النور إلى الظلمات (الذي
 حاج إبراهيم في ربه) أي إلى قصة الذي خاصم إبراهيم في دين رب إبراهيم وهو غر وذن كنعان (أن
 آتاه الله الملك) أي فطغى وادعى الربوبية لحاج لأن أعطاه الله الملك (اذ قال إبراهيم ربني الذي يحيي
 ويميت) أي يخلق الحياة والموت في الأجساد وقرأ حمزة ربني بسكون الياء وهذه الحاجة مع إبراهيم بعد
 القائه في النار وخر وجهه منها سالما وذلك ان الناس قحطوا على عهد غر وذن وكان الناس يمتعون من عده
 فكان إذا آتاه الرجل في طلب الطعام سأله من ربه فان قال أنت باع منه الطعام فآتاه إبراهيم فقال له
 من ربه فقال له ذلك (قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم) له اثنتي بيبيان ذلك فدعا غر وذن جلين من
 السجين فقتل واحدا وترك واحدا قال هذا بيبيان ذلك قال إبراهيم (فإن الله يأتي بالشهس من المشرق)
 في كل يوم (فأتى بهما من المغرب) ولو يوما واحدا ان كنت صادقا فيما تدعيه من الربوبية (فبهت الذي
 كفر) أي سكت بغير حجة أي فبقي مغلوبا لا يجد للجنة مقالا ولا للمسئلة جوابا (والله لا يهدي القوم
 الظالمين) بالكفر إلى طريق الحق (أو كالذي) أي أرايت مثل الذي (مر على قرية) هي بيت
 المقدس كما أخرج ابن جرير عن وهب عن قتادة والضحاك وعكرمة والربيع أو القرية التي أهلك الله فيها
 الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت كما نقل عن ابن زيد أي قد رأيت الذي مر على قرية كيف
 هداه الله وأخرجهم من ظلمة الاشتباه إلى نور العيان والمآر هو عزيز بن سرحا كما روى عن علي بن أبي
 طالب وعن عبد الله بن سلام وعن ابن عباس (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سقوفها بأن
 سقطت السقوف أو لانهم الابنية (قال أفني يحيي هذه الله بعد موتها) أي كيف يحيي الله أهل هذه
 القرية بعد موتهم تهجبا من قدرة الله تعالى على أحيائها (فأمانه الله) مكانه فكان ميتا (مائة عام ثم
 بعثه) أي أحياه في آخر النهار (قال) تعالى له (كلمة) أي مكنت هنا يا عزيز بعد الموت والقاتل
 هو الله تعالى أو ملك مأمور بذلك القول من قبله تعالى (قال لبثت يوما) ثم نظر إلى الشمس وقد بقي منها
 شيء فقال (أو بعض يوم قال) أي الله له أو الملك (بل لبثت) ميتا (مائة عام فانظر إلى طعامك) أي التين
 والعنب (وشرايك) أي العصير (لم يتسنه) أي لم يتغير ولم ينصب في هذه المدة المتطاولة فكان
 التين والعنب كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه قد عصر من ساعة - واللبن قد حلب من
 ساعته (وانظر إلى حمارك) كيف تقطعت أوصاله وكيف تلوح عظامه بيضاء فعلنا ذلك الأحياء
 لتعائن ما استبعدته من الأحياء بعد دهر طويل (وانجعلك آية للناس) أي لكي نجعلك علامة للناس

في احياء الموتى انهم يحيون على ما عوتقون لانه مات شابا وبعث شابا وعبارة للناس لانه كان ابن اربعين سنة
 وابنه ابن مائة وعشرين سنة (وانظر الى العظام) أى عظام الحمار (كيف ننشرها) قرأنا نافع وابن
 كثير وأبو عمر وبالراء أى كيف نحييها ونخلعها وقصر أحزمة والكسائي ننشرها بالزاي المنقوطة أى كيف
 نرفع بعضها على بعض (ثم نكسوها للحمار) أى نثبت عليها العصب والعروق واللحم والجلد والشعر
 ونجعل فيه الروح بعد ذلك (فلما تبين له) وقوع ما كان يستبعد وقوعه (قال أعلم أن الله على كل شيء)
 من الحياة والموت (قدير) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في سبب نزول هذه الآية قال ان
 بختنصر البابلي غزا بني اسرائيل وهو في ستمائة ألف راية فسي من بني اسرائيل الكثير ومنهم عزيز وكان
 من علمائهم لحاء بهم الى بابل فدخل عزيز تلك القرية التي انهدمت حيطانها ونزل تحت شجرة وهو على
 حمار فربط حماره وطاق في القرية فلم ير فيها أحدا فاجب من ذلك وقال أتني يحيي هذه الله بعد موتها وذلك
 على سبيل الاستبعاد بحسب العادة لا على سبيل الشك في قدرة الله وكانت الاشجار مرة فتناول من
 الغاكهة التين والعنب وشرب من عصير العنب وجعل فضل الغاكهة في سلة وفضل العصير في زق ونام
 فلما مات الله تعالى في منامه مائة عام وهو شاب ثم أعمى عن موته أيضا الانس والسباع والطيور ثم أحياء الله
 تعالى بعد مائة ونودي من السماء يا عزيز كم لبثت بعد الموت فقال يوما فأبصر من الشمس بقية فقال أو بعض
 يوم فقال الله تعالى بل امثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشربك من العصير لم يتغير طعمها
 فنظر فاذا التين والعنب كما شاهدهما ثم قال تعالى وانظر الى حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض تلوح وقد
 تفرقت أوصائه وسمع صوتا أيتها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فانضم أجزاء العظام بعضها الى بعض
 ثم التصق كل عضو بما يليق به الى مكانه ثم جاء الرأس الى مكانه ثم العصب والعروق ثم أنبت طرا اللحم
 عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزيز ساجدا
 وقال أعلم أن الله على كل شيء قدير ثم انه دخل بيت المقدس لما روى انه لما مضى من وقت موته سبعون
 سنة سلط الله ملكا من ملوك فارس فسار بجنوده حتى أتى بيت المقدس فعمروه وصاروا أحسن مما كان ورد
 الله تعالى من بقي من بني اسرائيل الى بيت المقدس ونواحيه فعمروه هائلا ثلثين سنة وكثروا كالحسن
 ما كانوا وأعمى الله العيون عن العزيز هذه المدة فلم يره أحد فلما مضت المائة أحياء الله تعالى منه عينييه
 وسائر جسده ميت ثم أحياء الله تعالى جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره كما سبق فلما دخل بيت المقدس
 قال القوم حدثنا آباؤنا أن عزيز بن سر وحاو ابن شريخامات ببابل وقد كان بختنصر قتل في بيت
 المقدس أربعين ألفا من قرأ التوراة وكان فيهم عزيز والقوم ما عرفوا انه بقى التوراة فلما آتاهاهم
 بعد مائة عام جدد لهم التوراة وأملأها عليهم عن ظهر قلبه لم يخسر منها حرفا وكانت التوراة قد دفنت
 في موضع فأخرجت وعورض بها أملاء فاختلغا في حرف فعند ذلك قالوا عزيز ابن الله (و) ألم تر
 (اذ قال ابراهيم) هذا دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجهم من الظلمات الى النور (رب
 أرني كيف تعبي الموتى) قال الحسن والضحك وقتادة وعطاء وابن جريح انه رأى جيفة مطروحة في
 شط النهر فاذا مد البحر أكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت واذا ذهبت
 السباع جاءت الطيور فأكلت وطارت فقال ابراهيم رب أرني كيف تجمع أجزاء الحيوان من بطون
 السباع والطيور ودواب البحر (قال) تعالى (أولم تؤمن) أى أتسأل ولم تؤمن بقدرى على الاحياء
 (قال بلى) أنا مؤمن بذلك (ولكن ليطمئن قلبي) أى ولكن سألت ما سألت لتسكن حرارة قلبي وأعلم

بأنى خليك مستجاب الدعوة والمطلوب من السؤال أن يصير العلم بالاستدلال ضروريا (قال نخذ أربعة من الطير) أشتنا وزاوديك واطاوسا ورألا وهو فرخ النعام كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس من طريق الضمك أوطاوسا وديكا وحمامة وغرنوقا وهو الكركي كما أخرجه عنه من طريق حنش (فصرهن) قرأه حمزة بكسر الصاد والباقون بضمها وتخفيف الراء أى قطعهن وابلهن (اليلك) فقطع ابراهيم أعضاءها ولحومها وریشها ودماءها وخلط بعضها ببعض (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) أى ثم ضع على كل جبل من أربعة أجبل منهن جزأهن أى على حسب الطيور الاربعة وعلى حسب الجهات الاربعة أيضا (ثم ادعهن) باسمهن أى قل لهن تعالين يا وزو يا ديلك ويا طاوس ويا رأل باذن الله تعالى (يأتينك سعيا) أى مشيا مريعا ولم تأت طائرا لم تأت طائرا ليحقق أن أرجلها سليمة في هذه الحماة (واعلم أن الله عزيز) أى غالب على جميع المسكنات (حكيم) أى عليم بعواقب الامور وغايات الاشياء روى أنه صلى الله عليه وسلم أمر بذبجها وتنف ريشها رتق طيعها جزأ جزأ وخلط دماؤها ولحومها وأن يمسك رؤسها بيده ثم أمر بأن يجعل أجزأها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله تعالى ثم أخذ كل جزأ يطير الى الآخر حتى تكاملت الجثث ثم أقبلت كل جثة الى رأسها سعيا على أرجلها وانضم كل رأس الى جثته وصار الكل احيا باذن الله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل) أى صفة صدقات الذين ينفقون أموالهم في دين الله كصفة حبة أخرجت سبع سنابل أو المعنى مثل الذين ينفقون أموالهم في وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل زارع حبة أخرجت سافات شعب منه سبع شعب في كل واحدة منها سنبل (في كل سنبل مائة حبة) كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن بل فيهما أكثر من ذلك (والله يضاعف) فوق ذلك (لمن يشاء) على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال في مقادير الثواب (والله واسع) أى لا يضيق عليه ما يفضله من التضعيف (عليم) بنية المنفق وبمن يستحق المضاعفة (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى) والمن هو الاعتداد بالنعمة واستعظامها على المدفق عليه والاذى بأن يؤذى المنفق عليه بالقول أو العيوس في وجهه أو الدعا عليه وقيل المراد هو المن على الله وهو العجب والاذى لصاحب النفقة (لهم أجرهم) أى ثواب انفاقهم (عند ربهم) في الجنة (ولا خوف عليهم) أى فلا يخافون فقد أجورهم ولا يخافون العذاب البتة (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا من خلفهم نزلت هذه الآية في حق عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما عثمان فجهر جيش العسرة في غزوة تبوك بألف بعير باقتابها وألف دينار فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يقول يا رب عثمان رضيت عنه فارض عنه وأما عبد الرحمن بن عوف فإنه تصدق بنصف ماله أربعة آلاف دينار وقال كان عندى ثمانية آلاف فأمسكت لنفسى وعباى أربعة آلاف وأخرجت أربعة آلاف لربى عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم في حوائجهم ومؤونتهم ولم يخطر ببالهم شئ من المن والاذى (قول معروف) أى كلام جميل يردبه السائل من غير اعطاء شئ (ومغفرة) من المسؤول عن بذاة لسان الفقير (خير) للسائل (من صدقة يتبعها أذى) لكونها مشوبة بضرر التعبير له بالسؤال (والله غنى) عن صدقة العباد فاعلموا كم بالصدقة ليشيكم عليها (حليم) اذ لم يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذى بصدقته (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) أى أجزأ صدقاتكم (بالمن والاذى)

قال ابن عباس أي بالمن على الله معناه المحب بسبب صدقتكم وبالأذى للسائل وقال الباقون بالمن على
 الفقير وبالأذى للفقير (كالذي) أي كابطال أجر نفقة الذي (ينفق ماله رثاء الناس) أي سمعة الناس
 ولطلب المدح والشهرة (و) كالذي (لا يؤمن بالله واليوم الآخر) وهو المنافق فإن المنافق والمرائي يأتیان
 بالصدقة لالوجه الله تعالى ومن يقرن الصدقة بالمن والأذى فقد أتى بتلك الصدقة لالوجه الله أيضا إذ لو كان
 غرضه من تلك الصدقة مرضاة الله تعالى لما من على الفقير ولا آذاه فالمقصود من الإبطال الاتيان بالانفاق
 باطلا لأن المقصود الاتيان به محضاً ثم احباطه بسبب المن والأذى والوجه كما قال بعضهم إذا فعل ذلك
 فله أجر الصدقة ولكن ذهبت مضاعفته وعليه الوزر بالمن (نظله) أي لحالة المرابي في الانفاق (كمثل
 صفوان) وقيل الضمير هائد على المنافق فيكون المعنى ان الله تعالى شبه المان والمؤذي بالمنافق ثم شبه
 المنافق بالحجر الكبير الأملس (عليه تراب) أي شيء من التراب (فأصابه وابل) أي مطر شديد
 (فتركه صلدا) أي لجعل المطر ذلك الحجر أملس نقياً من التراب (لا يقدر أن على شيء مما كسبوا) أي
 لا يقدر أن على ثواب شيء في الآخرة عما أنفقوا في الدنيا رثاء أو المعنى لا يجسد المان والمؤذي ثواب صدقته
 كما لا يوجد على الصفوان التراب بعد ما أصابه المطر الشديد (والله لا يهدي القوم السالكين) إلى الخير
 والرشاد وفي هذه الآية تعريض بأن كلام من الرياء والمن والأذى على الانفاق من خصائص الكفار فلا بد
 للمؤمنين أن يجتنبوها (ومثل الذين ينفقون أهوالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة
 بربوة أصابها وابل) أي مثل أهوال الذين ينفقون أهوالهم طلب رضا الله تعالى ويقيناً من قلوبهم بالثواب
 من الله تعالى وتصديقاً بوعده يعلمون أن ما أنفقوا خيراً لهم مما تر كوا كمثل بستان في مكان مرتفع مستو
 أصابه مطر شديد كثير (فأنت أكلها ضعفين) أي فأخرجت ثمرها مضاعفاً مثلي ما ينثر غير هابسبب
 الوابل متحمل من الربيع في سنة ما يحمل غيرها في سنتين (فإن لم يصبها وابل فطل) أي رشح مثل الرذاذ
 يكفيها الجودتها ولطافة هوائها والمعنى أن نفقات هؤلاء زكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وإن كانت
 تتفاوت باعتبار ما يقارنهما من الأحوال (والله بما تعملون) عملاً ظاهراً أو قلبياً (بصير) لا يخفى عليه
 شيء منه (أيودأحداكم) أي يحب حباً شديداً أو يتقنى (أن تكون له جنة) أي بستان (من نخيل
 وأعناب تجري من تحتها) أي تطرد (الأنهار) من تحت شجرة تلك الجنة ومساكنها (له فيها من كل الثمرات)
 أي لذلك الواحد حال كونه في الجنة رزق من كل الثمرات (وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء) أي وقد
 أصابه كبر السن فلا يقدر على الكسب والحال ان له أولاداً صغاراً لا يقدر أن على الكسب (فأصابها) أي
 الجنة (اعصار) أي ريح ترتفع إلى السماء كأنها عمود (فيه نار فأحترقت) أي تلك الجنة والمقصود
 من هذا المثل بيان انه يحصل في قلب هذا الانسان من الغم والحسرة والحيرة ما لا يعلمه الا الله فكذلك من أتى
 بالأعمال الحسنة الا انه لا يقصد بها وجه الله بل يقرن بها أموراً يخرجها عن كونها موجهة للثواب حين
 يقدم يوم القيامة وهو حينئذ في غاية الحاجة ونهاية العجز عن الاكتساب عظمت حسرته وتناهت حيرته
 (كذلك) أي مثل هذا البيان في أسر النفقة المقبولة وغيرها (يبين الله لكم الآيات) أي الدلائل في
 سائر أمور الدين (لعلكم تتفكرون) أي لكي تتفكروا في أمثال القرآن (يا أيها الذين آمنوا
 أنفقوا من طيبات ما كسبتم) أي زكوا من جيا دما جمعتم من الذهب والفضة وعروض التجارة والمواشي
 (وعما أخرجنا لكم من الأرض) من الحبوب والثمار والمعادن (ولا تيمموا الخبيث) أي ولا تقصدوا
 الردي من أموالكم (منه تنفقون ولستم بأخذه) فقلوه منه استفهام على سبيل الإنكار وهو متعلق

بالفعل بعده والمعنى أمن الحديث تنفقون في الزكاة والحال انكم لستم قابلي الحديث اذا كان انكم حق
على صاحبكم (الا أن تفضوا فيه) أي الابان تساهلوا في الحديث وتركوها بعض حقكم كذلك لا يقبل الله
الردى منكم (واعلموا أن الله غني) عن انفاقكم وانما يأمركم به لمنفعتكم (حفيد) أي مستحق للهدى
على نعمة العظام وقيل حامد بقبول الجيد وبالانابة عليه (الشیطان يعدكم الفقر) أي ابليس يخوفكم
بالفقر عند الصدقة ويقول لكم امسكوا أموالكم فانكم اذا انصدقتم صرتم فقراء والمعنى النفس الامارة
بالسوء توسوس لكم بالفقر (ويأمركم بالغشاة) أي بالاجل ومنه الزكاة والصدقة (والله يعدكم) بسبب
الانفاق (مغفرة منه) عز وجل (وفضلاً) أي خلفاً في الدنيا وثواباً في الآخرة (والله واسع) بالمغفرة للذنوب
وباغنائكم وخلاف ما تنفقونه (عليم) بنياتكم وصدقاتكم (يؤتي الحكمة من يشاء) فالحكمة هي العلم
النافع وفعل الصواب فليل في حد الحكمة هي التخلق باخلاق الله بقدر الطاقة البشرية كقوله صلى الله
عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله تعالى (ومن يؤتي الحكمة) أي اصابة القول والفعل والرأي (فقد أوتي
خيراً كثيراً) أي أعطى خير الدارين (وما يذكر) أي ما يتفكر في الحكمة (الأولوالالباب) أي
الأصحاب العقول السليمة من الزكون الى متابعة الهوى (وما أنفقتم من نفقة) أي أي نفقة كانت في
حق أو باطل في سرار علانية قليلة أو كثيرة (أو نذرت من نذر) أي أي نذر كان في طاعة أو معصية بشرط
أو غير شرط متعلق بالمال أو بالأفعال كالصيام (فان الله يعلمه) أي ما أنفقتموه فيحاسبكم عليه (وما
للظالمين) بالانفاق والنذر في المعاصي أو بجمع الزكاة وعدم الوفاء بالنذر أو بالانفاق بالحديث أو
بالرياء والمن والاذى (من أنصار) أي أعوان ينصرونهم من عقاب الله (ان تبدوا الصدقات
فنعما هي) أي ان تظهروا الصدقات فنعماً شيئاً اظهرها بعد ان لم يكن رياءاً ومعة (وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم) أي أفضل من ابدائها وايتائها الاغنياء روى انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة
السرفى التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفاً وصدقة الغريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة
وعشرين ضعفاً (ويكفر عنكم من سيئاتكم) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر تكفر
بالنون ورفع الراء وقرأ نافع وحزمة والكسائي بالنون والجزم أي ونكفر عنكم شيئاً من ذنوبكم بقدر
صدقاتكم وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم يكفر بالياء والرفع والمعنى يكفر الله أو يكفر الاخفاء وقرئ
قراءة شاذة تكفر بالياء وبالرفع والجزم والفاعل راجع للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب
بافهم أن (والله بما تعلمون) من الصدقة في السر والعلانية (خبير) لا يخفى عليه شيء منه (ليس عليكم
هراهم) أي ليس عليكم هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل أن يدخلوا في الاسلام فتصدق
عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم (ولكن الله يهدي من يشاء) هدايته الى الدخول في
الاسلام روى أن نائلة أم أسماء بنت أبي بكر وجدتاهما مشركتان جاءتا أسماء تسألانها شيئاً فقالت
لا أعطيكما - حتى أستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكما استمعا على ديني فسألتها عن الصدقة على
الكفار فقالت هل يجوز لنا يا رسول الله ان نتصدق على ذوي قرابتنا من غير أهل ديننا فأرسل الله هذه
الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتصدق عليهما (وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم) أي وكل
نفقة تنفقونها من نفقات الخير ولو على كافراً فاعلموا يحصل لانفسكم ثوابه فلا يضركم كفرهم (وما تنفقون
الا ابتغاء وجه الله) أي ولستم في صدقاتكم على أقدار بكم من المشركين تقصدون الا وجه الله فقد علم الله

هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم تبتغون بذلك وجه الله في سعة رحم وسد خلة مضطر وليس عليكم
 اهتداؤهم حتى يمنعكم ذلك من الانفاق عليهم (وماتنفقوا من خير) أى من مال على الفقراء (بوف
 اليكم) أى يوفى اليكم ثواب ذلك فى الآخرة (وانتم لا تظلمون) أى لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا
 (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض) أى ذلك الانفاق المحثوث عليه
 للفقراء الذين حبسوا أنفسهم ووقفوها على الجهاد لان الجهاد كان واجبا فى ذلك الزمان نزلت هذه الآية
 فى حق فقراء المهاجرين من مقيش وكانوا نحو أربع مائة وهم أصحاب الصفة لم يكن لهم مسكن ولا عشاء
 بالمدينة وكانوا ملازمين المسجد ويتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون فى كل غزوة لا يستطيعون سفرا
 فى الأرض ثم عدم الاستطاعة للسير اما لانشغالهم بصلاح الدين وبأمر الجهاد فذلك يمنعهم من الاشتغال
 بالكسب والتجارة واما لحوفهم من الأعداء كما قاله قتادة وابن زيد لان الكفار كانوا مجتمعين حول المدينة
 وكانوا متي وجدهم قتلوهم فذلك يمنعهم من السفر واما مرضهم بالجروح كما قاله سعيد بن المسيب ولعجزهم
 لفقيرهم كما قاله ابن عباس وذلك يمنعهم من السفر فحث الله عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهاهم به
 اذا أمسى (يحسبهم الجاهل أغنيا من التعفف) أى يظنهم من لم يختبر أمرهم أغنيا لاظهارهم
 التحمل وتركهم المسئلة (تعرفهم) أيها المخاطب (بسيماهم) أى بعلا متهم من الهيبة ووقع فى قلوب
 الخلق وآثار الحشوع فى الصلاة فكل من رآهم تواضع لهم روى انهم كانوا يقومون الليل للهجود
 ويحتطبون بالنهار للتعفف (لا يسألون الناس الخاف) أى لا سؤال لهم أصلا فلا يقع منهم الخاف أى
 كثرة التلطف وملازمة السؤال أى انهم سكتوا عن السؤال لكتهم لا يضمنون الى ذلك السكوت من رثاة
 الحال واطهار الانكسار ما يقوم مقام السؤال على سبيل الخاف بل يزينون انفسهم عند الناس
 ويحملون بهذا الخلق ويجعلون فقرهم وحاجتهم بحيث لا يطلع عليه الا الخالق والمراد بقوله تعالى
 لا يسألون الناس الخاف التنبية على سوء طريقة من يسأل الناس الخاف عن ابن مسعود رضى الله عنه ان
 الله يحب العفيف المتعفف ويبغض الفاحش الذى السأل المحلف الذى ان أعطى كثيرا أفرط فى
 المدح وان أعطى قليلا أفرط فى الذم (وماتنفقوا من خير) أى من مال (فان الله به عليم) فيجازيكم
 على ذلك أحسن جزاء وهذا يجرى مجرى ما اذا قال السلطان العظيم لعبده الذى استحسنت خدمته ما يكفيك
 بأن يكون على شاهدك كيفية طاعتك وحسن خدمتك فان هذا أعظم وقعا مما اذا قال له ان أجرك واصل
 اليك (الذين ينفقون أموالهم) فى الصدقة (بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم) فى
 الجنة (ولا خوف عليهم) بالدوام (ولا هم يحزنون) اذا حزن غيرهم * قيل لما نزل قوله تعالى
 للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف الى أصحاب الصفة بدنانير وبعث على
 رضى الله بوسق من تمر لافترلت هذه الآية وقال ابن عباس ان عليا رضى الله عنه ما علك غير أربعة
 دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال صلى الله عليه وسلم ما حلك على
 هذا فقال أن أستوجب ما وعدنى ربى فقال لك ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى شأن أبى بكر
 الصديق رضى الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر
 وعشرة فى العلانية وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب انها نزلت فى عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان
 وقال الأوزاعي نزلت فى الذين يربطون الخيل للجهاد وينفقون عليها (الذين يأكلون الربا) أى يأخذونه
 استخلا (لا يقومون) من قبورهم اذا بعثوا (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أى

الاقباما كقيام الذي يخبطه الشيطان من اصابة الشيطان بالجنون في الدنيا أي ان آكل الربا يبعث يوم
القيامة مجنوناً وذلك كالعلامة المحصورة بآكل الربا فيعرفه أهل الموقف بتلك العلامة انه آكل الربا في
الدنيا فعلى هذا معنى الآية انهم يقومون مجانين كمن اصابه الشيطان بالجنون (ذلك) أي كون التخيل
علامة آكل الربا في الآخرة (بانهم قالوا انما البيعة مثل الربا) أي انما الزيادة في البيعة كزيادة الربا
أي لك العذاب بسبب انهم نظموه الربا والبيعة في سلك واحد لافضائهما الى الجمع فاستحلوه استحلاله وقالوا
يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربا أصلاً في الحل وقاسوا به
البيعة مع وضوح الفرق بينهما فان أحد الدرهمين في الأول ضائع حتماً في الثاني من غير عسائس الحاجة الى
السلعة أو بتوقع رواجها (وأحل الله البيعة وحرم الربا) أي أحل الله لكم الإرباح في التجارة بالبيعة
والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لأجل تأخير الأجل (فإن جاءه موعظة) أي زجر وتحذير
عن الربا (من ربه فانهي) أي امتنع عن أخذه (فله ماسلف) قال السدي أي له ما أكل من الربا
وليس عليه رد ماسلف فأما ما لم يقض بعد النهي فلا يجوز له أخذه وانما له رأس ماله فقط (وأمره الى الله)
أي يجازيه على انتهائه عن أخذه ان كان عن قول الموعظة وصدق النية (ومن عاد) الى تحليل الربا
بعد التحريم (فأولئك أصحاب النار) أي ملازموها (هم فيها خالدون) أي ما كثون أبداً (بحق الله
الربا) أي يهلك المال الذي دخل فيه في الدنيا والآخرة قال ابن عباس ان الله تعالى لا يقبل منه صدقة
ولا جهاد ولا حجار ولا صلة رحم (ويرى الصدقات) أي يبارك في المال الذي أخرجت منه في الدنيا
والآخرة وفي الحديث ان الملك ينادي كل يوم اللهم يسر لكل منفق خلفاً والمسك تلقاً (والله لا يحب كل
كفار) أي جاحد بتحريم الربا (أنتم) أي فاجر بأخذه مع اعتقاد التحريم (ان الذين آمنوا) بالله
ورسله وكتبه وبتحريم الربا (وعملوا الصالحات) أي فيما بينهم وبين ربهم وتركوا الربا (وأقاموا
الصلاة) أي اتوا الصلوات الخمس بما يجب فيها (وأقوا الزكاة) أي أعطوا زكاة أموالهم (لهم أجرهم
عند ربهم) في الجنة (ولا خوف عليهم) من مكروه آت (ولا هم يحزنون) على محبوب فات (يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله) أي قوا أنفسكم عقابه (وذروا ما بقى من الربا) أي اتركوا طلب ما بقى مما زاد
على رؤوس أموالكم (ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين بقلوبكم في تحريم الربا (فان لم تفعلوا) ما أمرتم
به بأن لم تتركوا الربا (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) أي فاستعدوا للعذاب من الله في الآخرة بالنار
ولعذاب من رسوله في الدنيا بالسيف (وان تبتم) من معاملة الربا (فلكم رؤوس أموالكم) أي
أصولها دون الزيادة (لا تظلمون) الغريم بطلب الزيادة على رأس المال (ولا تظلمون) أي بنقصان
رأس المال وبالمطل (وان كان ذراعاً منكم فمظنة الى ميسرة) أي وان وقع غريم من غرمائكم ذوحالة
يتعسر فيها وجود المال فيجب عليكم امهاله الى وقت يسار وسعة (وان تصدقوا خير لكم) أي تصدقكم
على المعسر رؤوس أموالكم خير لكم من الأخذ والتأخير لانه حصل لكم الثناء الجميل في الدنيا
والثواب الجزيل في الآخرة (ان كنتم تعلمون) فضل التصديق على الانظار والقبض (واتقوا يوماً
ترجعون فيه الى الله) أي الى حسابه لا محالكم وهو يوم القيامة (ثم توفي كل نفس ما كسبت) أي ثم
توفر فيه كل نفس برة وفاجرة جزاء ما عملت من خير أو شر (وهم لا يظلمون) بنقص حسنة أو زيادة سيئة
(يا أيها الذين آمنوا) بالله والرسول (اذا تدانتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه) أي اذا دابن بعضكم
بعضاً وعامله نسيئة معطياً أو أخذ الى وقت معلوم بالايام أو الاشهر ونحوها معاير رفع الجبهة لا بالحصاد

ونحوه مما لا يرفعها فاكتموا الذين بأجله لانه أوثق وأرفع للنزاع والاكثر ون على ان هذه الكتابة أمر
 استحباب فان ترك فلا بأس وهو أمر تليق ترجع فائدة الى منافع الخلق في دنياهم فلا يشاب عليه
 المكلف الا ان قصد الامتثال قال المفسرون المراد بالمداينة السلم فانه تعالى لما منع الربا في الآية
 المتقدمة أذن في السلم في جميع هذه الآية مع ان جميع المنافع المطلوبة من الربا حاصلة في السلم
 ولهذا قال بعض العلماء لانه لا منفعة وصل اليها بالطريق الحرام الا وضع الله تعالى لتحصيل
 مثل تلك اللذة طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والرض غير الدين لان القرض أن يقرض الانسان
 دراغهم أو دنائير أو حبا أو غمرا أو ما أشبه ذلك ويسترد مثله ولا يجوز رقيه الاجل والدين يجوز رقيه ذلك فذكر
 الاجل في القرض ان كان لغرض المقرض أفسده والا فلا يفسده ولا يجب الوفاء به لكنه يستحب قال ابن
 عباس ان هذه الآية نزلت في السلف لان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يسلفون في التمر
 الستين والثلاث فقال صلى الله عليه وسلم من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى أجل
 معلوم وقال أكسر المفسرين ان البياعات على أربعة أوجه أحدها بيع العين بالعين وذلك ليس بجداينة
 البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فلا يكون داخل تحت هذه الآية ببيع العين بالدين وهو ما اذا باع
 شيئا بفن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى بالسلم وكلاهما داخلان تحت هذه الآية (وليكتب)
 كتاب الدين (بينكم) أي بين الدائن والمدين (كتاب بالعدل) أي بحيث لا يزيد في المال والاجل ولا
 ينقص في ذلك (ولا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب) أي ولا يمنع أحد من ان يكتب كتاب
 الدين بين الدائن والمدين على طريقة ما علمه الله كتابة الوثائق فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله اياها
 (وليل الذي عليه الحق) أي ولين المدين على الكاتب ما علمه من الدين لانه المشهود عليه فلا بد
 أن يكون هو المقر (وليتق الله ربه ولا يخس منه شيئا) أي وليخش المدين ربه بأن يقر ببلغ المال الذي
 عليه ولا ينقص ما عليه من الدين شيئا في القاء الالفاظ على الكاتب (فان كان الذي عليه الحق سفيها
 أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يعل هو فليمل وليه) أي فان كان المدين نائص العقل مبذرا أو عاجزا عن
 سماع الالفاظ للكاتب لصغر أو كبر وضعف العقل أو لا يحسن السماع بنفسه على الكاتب لحرس أو
 جهل بالغة أو بما عليه فليقر على الكاتب ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة والمراد بالولي هو الولي لغة وهو
 من له ولاية عليه بأي طريق كان كوصي وقيم ومترجم (بالعدل) أي بالصدق من غير زيادة ونقص
 (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) أي وأشهدوا على الدين شاهدين من الرجال البالغين
 الاحرار المسلمين وعند شريح وان ميرين وأحمد تجوز شهادة العبيد وأجاز أبو حنيفة شهادة الكفار
 بعضهم على بعض (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) أي فان لم يكن الشاهدان رجلين بأن لم يقصد
 ائمهادهما فرجل وامرأتان كائون (من ترضون) لدينه وعدالته (من الشهداء) يشهدون وهذا
 تفسير الخبير (أب تفضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) قرأ حمزة ان تفضل بكسر الهمزة وتذكر بالرفع
 وانتشيد وقرأ نافع وعاصم والكسائي فتذكر بالتشديد والنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف
 والنصب أما سائر القراء فقرأوا بنصب أن على حذف لام التعليل أي وانما اشترط التعدد في النساء
 لاجل أن تنسى إحدى المرأتين الشهادة لنقص عقلهن فتذكر احداهما لذكر الشهادة المرأة الاخرى
 الناسية لها (ولا ياب الشهادة اذا مدعوا) أي ولا يمنع الشهادة اذا دعوا الى تحمل الشهادة وأدائها
 عند الحكم فيصير الامتناع عليهم لان تحمل الشهادة قرض كفاية مطلقا والاداء كذلك ان زاد

المتحملون على من يثبت بهم الحق والافرض عين (ولانسأمو ان تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله)
 أي ولا تعلموا ان تكتبوا الدين لكثرة وقوع المداينة على أي حال كان الدين قليلا أو كثيرا وعلى أي
 حال كان الكتاب مختصرا أو مشبعا حال كون الدين مستقرا في ذمة المدين الى وقت حوله الذي أقرب
 المدينون أي فكتبوا الدين بصفة أجله ولا تهملوا الاجل في الكتابة وقوله تعالى ولا تسأمو معطوف
 على قوله تعالى فكتبوه (ذلكم) أي الكتابة للدين (أقسط عند الله) أي أعدل في حكم الله
 (وأقوم للشهادة) أي أدين للشاهد بالشهادة اذ انسى (وأدنى أن لا ترتابوا) أي وأقرب الى انتفاء
 شككم في قدر الدين وأجله (الآن تكون تجارة حاضرة تدير ونهاينكم) قرأاهم تجارة بالنصب
 على أنه خبر تكون والباقون بالرفع على أنه اسم تكون والخبر تدير ونها والاما استنشاء متصل راجع
 الى قوله تعالى اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فكتبوه والتقدير اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فكتبوه
 الا ان يكون الاجل قريبا وهو المراد من التجارة الحاضرة واما الاستنشاء منقطع فالتقدير لكنه اذا كانت
 تجارتكم ومداينتكم بخارة حالة تتعاطونها يا ايديسأمو والتقدير لكن اذا كانت تجارة حاضرة مقبوضة
 بينكم ولا أجل فيها (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) أي ليس عليكم مضرة في ترك الكتابة
 في المداينة الحاضرة كان باع ثوبا بدينهم في الذمة بشرط ان يؤدي الدرهم في هذه الساعة أي لا بأس بعدم
 الكتابة في ذلك ابعده عن التنازع والنسيان (وأشهدوا اذا تبايعتم) بالاجل (ولا يضار كاتب)
 بالكتابة (ولا شهيد) بالشهادة وهذا امامبني للفاعل فيكون نهيا للكاتب والشهيد عن اضرار من له
 الحق وهو قول أكثر المفسر والحسن وطاوس وقتادة ويدل على ذلك قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضار
 بالافهار والكسر واختار الزجاج هذا القول لقوله تعالى وان تفعلوا فانه فسوق بكم وذلك لان اسم الفسق
 بمن يحرف الكتابة ومن يمتنع عن الشهادة حتى يبطل الحق بالكلية ولانه تعالى قال فيمن يمتنع عن
 الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والاثم والفاسق متقاربان وامامبني للفعل فيكون نهيا لصاحب الحق
 عن اضرار الكاتب والشهيد كان يكلفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ولا يعطى الكاتب جعله ولا
 الشهيد مؤنة مجيئه حيث كان فان لهم ما طلب الجعل ولا يكلفان الكتابة والشهادة مجانا وهو قول ابن
 مسعود وعطاء ومجاهد ويدل على ذلك قراءة ابن عباس ولا يضار بالافهار والفتح وهذا لو كان نهيا
 للكاتب والشهيد لقليل وان تفعل فانه فسوق بكم ولان دلالة الكلام من أول الآيات اغما هو في
 المكتوب له والمشود له واذا كان هذا النهي متوجها للذين يقدمون على المداينة فالمنهيون عن اضرارهم
 (وان تفعلوا) ما نهيتهم عنه من الضرر (فانه فسوق بكم) أي فان فعلكم ذلك معصية منكم وخروج
 عن طاعة الله (واتقوا الله) فيما حذر منه وهو هنا المضارة أو المعنى اتقوا الله في جميع أوامره ونواهيه
 (ويعلمكم الله) ما يكون ارشادا واحتياطا في أمر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا في أمر الدين
 (والله بكل شيء) من مصالح الدنيا والآخرة (عليم) فلا يخفى عليه حالكم (وان كنتم على سفر ولم تجدوا
 كتابا فرهان مقبوضة) قرأ ابن كثير وأبو عمر وفره بنهم الراء والهاء أو سكونه والباقون فرهان
 بكسر الراء وفتح الهاء هم المدعو على بمعنى في أو بمعنى الى أي وان كنتم مسافرين أو متوجهين الى السفر ولم
 تجدوا كتابا أو آلة الكتابة في المداينة فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين أو يقال في الوثيقة
 رهان مقبوضة (فان أمن بعضكم) أي الدائن (بعضا) أي المدين بالدين بلا رهن لحسن ظنه به
 (فليؤد الذي ائتمن) بالدين (أمانته) أي حق صاحبه (وليتق الله ربه) أي وليخش المدين ربه

في اداء الدين عند حلول الاجل من غير عا طلة ولا انكار بل يملأ الدائن معاملة حسنة كما أحسن
 خلقه فيه (ولا تكتنموا الشهادة) عند الحكم بانكار العلم بتلك الواقعة أو بالامتناع من أداء
 الشهادة عند الحاجة الى اقامتها (ومن يكتنمها) أي الشهادة (فانه آثم قلبه) أي فاجر قلبه
 (والله بما تعملون) من كتمان الشهادة واقامتها ومن الحيانة في الامانة وعدمها (عليم) فيجازيكم على
 ذلك ان خير الخيرة ان شرافشر (شرف ما في السموات وما في الارض) ملكا وملك من الملق والنجائب
 بامر عبادة بما يشاء (وان تبدوا ما في أنفسكم) من العزم على السوء بأن تظهره للناس بالقول
 أو بالفعل (أو تخفوه) بأن تكتنموا منهم (بحاسبكم به الله) يوم القيامة فالحواطر الحاصلة في القلب
 على قسرين ما وطن الانسان نفسه عليه ويعزم على ادخانه في الوجود مما لا يكون كذلك بل تكون أمورا
 خاطرة بالبال مع ان الانسان يكرهها ولكنه لا يمكنه دفعها عن النفس فالقسم الاول يكون مؤاخذا به
 والثاني لا يكون مؤاخذا به (فيغفر) بفضلها (لمن يشاء) مغفرته (ويعذب) بعذله (من يشاء)
 تعذيبه وقد يغفر لمن يشاء الذنب العظيم وقد يعذب من يشاء على الذنب الحقير لا يشئ عما يفعل قرأ عاصم
 وابن عامر فيغفرو ويعذب بالرفع والباقون بالجزم (والله على كل شيء) من المغفرة والعذاب (قدير
 آمن الرسول) أي صدق محمد صلى الله عليه وسلم (بما أنزل اليه من ربه) أي من القرآن قال الزجاج
 لما ذكر الله تعالى في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج وذكر الطلاق والايلاء والحيض
 والجهاد وقصص الانبياء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك
 انتهى (والمؤمنون كل) أي كل واحد منهم (آمن بالله) أي بوجوده وبصفاته وبأفعاله وبأحكامه
 وبأسماؤه (وملائكته) أي بوجودها وبأهم معصومون مطهرون يخافون ربهم من فوقهم وانهم
 وسائط بين الله وبين البشر وان كتب الله المنزلة انما وصلت الى الانبياء بواسطة الملائكة (وكتبه)
 وقرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف وفتح التاء مع المد بأن يعلم أن هذه الكتب رحي من الله تعالى الى رسوله
 وانها ليست من باب الكهانة ولا من باب السحر ولا من باب القاء الشياطين والارواح الحبيثة وبأن يعلم
 ان الوحي بهذه الكتب فانه تعالى لم يمكن أحدا من الشياطين من القاء شيء من ضلالاتهم في أثناء هذا
 الوحي الطاهر وبأن يعلم أن هذا القرآن لم يغير ولم يحرف فن قال ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شيء
 فعله عثمان رضي الله عنه فقد أخرج القرآن عن كونه حجة وهو قول فاسد وبأن يعلم أن القرآن مشتمل
 على المحكم والمتشابه وأن محكمه يكشف عن متشابهه (ورسله) بأن يعلم كونهم معصومين من الذنوب
 وبأن يعلم أن النبي أفضل من ليس بنبي وان الرسل أفضل من الملائكة وأن يعلم أن بعضهم أفضل
 من البعض (لان فرق بين أحد من رسله) أي يقول المؤمنون لانكفر بأحد من رسله بل تؤمن بجميع
 رسالة كل واحد منهم (وقالوا) أيضا (معنا) قول ربنا (وأطعنا) أمر ربنا (غفرانك) أي
 نسألك غفرانك من ذنوبنا (ربنا اريدك المصير) أي المرجع بعد الموت (لا يكلف الله نفسا) من
 الطاعة (الأوسعها) أي طاقتها (لما ما كسبت) أي ثوابه من الخير (وعليها ما اكتسبت) أي
 وزره من الشر فان قلنا ان هذا من كلام المؤمنين فوجه النظم انهم لما قالوا اسمعنا وأطعنا انكاسهم قالوا
 كيف لانهم ولا نطيع وأه تعالى لا يكلفنا إلا ما في وسعنا وطاقتنا فاذا كان هو تعالى بمحكم الرحمة
 الالهية لا يطالبنا إلا بالشيء السهل الهين فكذلك نحن بمحكم العبودية وجب أن نكون ساهين مطيعين
 بأن قلنا أن هذا من كلام الله تعالى فوجه النظم انهم لما قالوا اسمعنا وأطعنا ثم قالوا بعده غفرانك ربنا

دل ذلك على ان قولهم غفرانك طلب للأغفرة عما يصدر عنهم من وجوه التقصير منهم على سبيل الحمد فلما
كان قواهم غفرانك طلبا للأغفرة من ذلك التقصير فلا شك في ان الله تعالى خفف عنهم ذلك وقال لا يكلف
الله نفسا الا وسعها والمعنى انكم اذا معتم واطعتم ولم تتعدوا التقصير فلو وقع منكم نوع تقصير على سبيل
السهو والغفلة فلا تكونوا خائفين منه فان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وبالجملة فهذا اجابة لهم من
الله في دعائهم بقولهم غفرانك ربنا اء (ربنا لا تؤاخذنا) أى ياربنا لا تعاقبنا (ان نسئنا) طاعتك
(أو أخطأنا) في أمرك (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) أى تكليفا بالامور الشاقة (كما حملته على
الذين من قبلنا) من بنى اسرائيل أى لا تشدد علينا في التكليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال
المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة في اليوم والليلة وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة
ومن أصاب ثوبه نجاسة أمر بقطعها وكانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة في الدنيا وكانوا اذا أتوا بخطيئة
حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة) أى قوة (لنا به) من
البلاد والعقوبة أى ولا تحمل علينا ايضا ما لا راحة لنا فيها من الاستكراه (واعف عنا) أى امح آثار
ذنوبنا (واغفر لنا) أى استر عيوبنا ولا تفضهننا بن عبادك (وارحنا) أى تعطف بنا وتفضل علينا
(أنت مولانا) أى أنت سيدنا وناصرنا ونحن عبيدك ويقال واعف عنا من المسخ كما مسخت قوم عيسى
واغفر لنا من الحسف كما خسفت بقارون وارحنا من القذف كما قذفت قوم لوط فلما دعوا بهذا الدعاء رفع
الله عنهم ذنوب حديث النفس والنسيان والخطأ والاستكراه وعفى عنهم من الحسف والمسخ والقذف
(فانصرنا على القوم الكافرين) أى انصرنا عليهم في محاربتنا معهم وفي مناظرتنا بالحق معهم وفي اعلاء
دولة الاسلام على دولتهم ولما مدح الله تعالى المتقين في أول السورة بين في آخر السورة انهم أمة محمد صلى
الله عليه وسلم فقال والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وهذا هو
المراد بقوله تعالى هناك الذين يؤمنون بالغيب ثم قال ههنا وقالوا معنا وأطعنا وهو المراد بقوله تعالى هناك
ويقيمون الصلاة وعما رزقناهم ينفقون ثم قال ههنا غفرانك ربنا اليك المصير وهو المراد بقوله تعالى
هناك وبالآخرتهم يوقنون ثم حكى الله تعالى عنهم ههنا كيفية نصرتهم الى ربهم في قولهم ربنا
لا تؤاخذنا ان نسئنا أو أخطأنا الى آخر السورة وهو المراد بقوله تعالى ثم أولئك على هدى من ربهم وأولئك
هم المفلحون فانظر كيف حصلت الموافقة بين أول السورة وآخرها

سورة آل عمران مدنية آياتها مائتان وكلماتها ثلاثة آلاف وأربعمائة
وستون وحر وفها أربعة عشر ألفا وخمسمائة وخمس وعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي) أى الذى لا يموت ولا يزول (القيوم) أى القائم بذاته
والقائم بتدبير خلقه قال الكلبي والربيع بن أنس ومحمد بن اسحق نزلت هذه الآيات في شأن وفد
نصارى نجران وكانوا ستة من راسخاء مواعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا المسجد حين صلى العصر
عليهم ثياب الحرير وفيهم أربعة عشر رجلا من أمراءهم وثلاثة منهم كانوا كبار القوم أحدهم أميرهم
وامعه عبد المسيح والثاني مشيرهم وذو رأيهم واسمها لايمم الثالث خبرهم يقال له أبو حارثة بن علقمة فكلهم
الايمم وعبد المسيح فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمنا قالوا قد أسلمنا فملك قال كذبتمنا عنكم من
الاسلام ثلاثة أشياء اثباتكم له ولدا وعبادتكما نصليبا وكلكما الخنزير قالوا ان لم يكن عيسى ولدا لله

فن أبوه وخاهموه صلى الله عليه وسلم في عيسى فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أستم تعلمون انه لا يكون
 ولدا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال أستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الغناء قالوا بلى
 قال أستم تعلمون أن ربنا قديم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا
 لا قال أستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك
 الا ما علمه الله قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال أستم
 تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحديث قالوا بلى قال أستم تعلمون أن عيسى
 حملته امه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ثم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا
 بلى قال وكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله تعالى من ابتداء السورة الى آية المباحلة ثميتالما
 احتج به النبي عليهم (نزل عليك الكتاب) أي القرآن وقرئ قراءة شاذة بتخفيف نزل ورفع الكتاب
 (بالحق) أي بالعدل في أحكامه أو بالصدق في أخباره وفي وعده ووعدته أو بالجميع المحققة انه من عند الله
 تعالى أو بالقول الفصل وليس بالمرسل ولا بالمعاني الفاسدة المتناقضة (مصدق لما بين يديه) أي لما تقدمه
 من الكتب السالفة في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله تعالى عما لا يليق بشأنه تعالى وفي الامر
 بالعدل والاحسان وفي انباء الانبياء والامم الخالية وفي بعض الشرائع (وانزل التوراة) جملة على موسى
 ابن عمران (والانجيل) جملة على عيسى بن مريم (من قبل) أي من قبل تنزيل القرآن (هدى
 للناس) أي حال كونهم ما هاديين من الضلالة أو انزل هذه الكتب الثلاثة لهداية الناس (وانزل
 الفرقان) قيل المراد به الزبور فانه مشتمل على المواعظ الداعية الى الخير والزجر عن الشر الفارقة بين الحق
 والباطل ثم المختار عند الفخر الرازي أن المراد من الفرقان هو المعجزات التي قرن بها الله تعالى بانزال هذه
 الكتب الثلاثة لانه لما أظهر الله تعالى تلك المعجزات على وفق دعوى الرسل حصلت المفارقة بين دعوى
 الصادق ودعوى الكاذب فالمعجزة هي الفرقان (ان الذين كفروا بآيات الله) أي القرآن وغيره
 كوفد بني نجران ونحوهم بأن كذبوا بالآيات الناطقة بالتوحيد والتنزيه المبشرة بنزول القرآن ومبعث
 النبي صلى الله عليه وسلم (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم بها (والله عزيز) أي غالب لا يغلب
 (ذوانتقام) أي عقوبة عظيمة فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب وذو الانتقام اشارة الى كونه
 فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثاني صفة الفعل (ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
 هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) قصيرا أو طويلا حسنا أو قبيحا ذكر أو أنثى سعيدا أو شقيا
 وهذه الآية واردة في الرد على النصارى وذلك أن النصارى ادعوا الهية عيسى بأمرين بالعلم والقدرة
 فان عيسى كان يخبر عن الغيوب فيقول لهذا أنت هكذا وكذا وصنعت في دارك كذا وكان
 يحيي الموتى ويرى الاكبر والابرص ويخلق من الطين كهية الطير فينفخ فيه فيكون طيرا ثم انه تعالى
 استدل على بطلان قولهم في الهية عيسى وفي التثليث بقوله تعالى الحي القوم فالاله يجب أن يكون حيا
 قيوما وعيسى لم يكن كذلك فيلزم القطع بأنه لم يكن الها ولما قالوا ان عيسى أخبر عن الغيوب فوجب أن
 يكون الها فرد الله عليهم بمقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء والمعنى لا يلزم من كونه
 عالما ببعض الغيبات بأن يكون الها لاحتمال انه علم ذلك بتعليم الله تعالى له ذلك ولما قالوا ان عيسى
 كان يحيي الموتى فوجب أن يكون الها فرد الله عليهم بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء والمعنى
 ان حصول الاحياء على وفق قوله عليه السلام في بعض الصور لا يدل على كونه الها لاحتمال أن الله تعالى

أكرمه بذلك الأحياء اظهر المجزئه وكراماته ولما قالوا يا أيها المسلمون أنتم توافقوننا على أن عيسى لم يكن له أب من البشر فوجب أن يكون أبنا لله فأجاب الله تعالى عن ذلك أيضا بقوله تعالى هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء فان هذا التصور لما كان من الله تعالى فان شاء صورته من نطفة الأب وان شاء صورته ابتداء من غير أب ولما قالوا والرسول صلى الله عليه وسلم أأست تقول ان عيسى روح الله وكلته فهذا يدل على انه ابن الله فأجاب الله عن ذلك بأن هذا اللفظ من باب المتشابهات فوجب دله الى التأويل وذلك هو المراد بقوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فظهر بذلك المذكور أن قوله تعالى الحى القيوم إشارة الى أن عيسى ليس بالاله ولا ابن الاله وأما قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شئ فهو جواب عن الشبهة المتعلقة بالعلم وقوله تعالى هو الذي يصوركم في الأرحام جواب عن تمسكهم بقدرة عيسى على الأحياء ونحوه لانه لو قدر على الأحياء لقدرة على الامانة ولو قدر على الامانة لمات اليهود الذين قتلوه على زعم النصارى فثبت أن حصول الأحياء في بعض الصور لا يدل على كونه الها وهو جواب أيضا وعن تمسكهم بأن من لم يكن له أب من البشر فوجب أن يكون ابنا لله فكأنه تعالى يقول كيف يكون عيسى ولد الله وقد صورته في الرحم والمصور لا يكون أبًا للمصور وأما قوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب الى آخر الآيات فهو جواب عن تمسكهم بما ورد في القرآن أن عيسى روح الله وكلته ثم انه تعالى لما أجاب عن شبهتهم أعاد كلمة التوحيد زجر السائر النصارى عن قولهم بالتثليث فقال (لانه الا هو العزيز الحكيم) فالعزيز إشارة الى كمال القدرة والحكيم إشارة الى كمال العلم وهذا تثبيت لما تقدم من أن علم عيسى ببعض الغيوب و قدرته على الأحياء في بعض الصور لا يكفي في كونه الها فان الاله لا بد وان يكون كامل القدرة وهو العزيز وكامل العلم وهو الحكيم (هو الذي أنزل عليك الكتاب) أى القرآن (منه آيات محكمات) أى محكمات العبارة محفوظة من الاحتمال قطعية الدلالة على المعنى المراد (هن أم الكتاب) أى أصل في الكتاب وعمدة ترد إليها آيات متشابهات ومثال التشابه قوله تعالى واذا أردنا أن نمهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فظاھر هذا الكلام انهم يؤثرون بأن يفسقوا والمحكم قوله تعالى ان الله لا يأمر بالفسق اذاعلى الكفار فيما حكي عنهم واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها والاية المتشابهة قوله تعالى نسوا الله فنسيهم والاية المحكمة قوله تعالى وما كان ربك نسيا (وأخر متشابهات) أى وآيات آخر محتملات لمعان متشابهة لا يتفصح مقصودها لاجمال أو مخالفة ظاهرة لا بنظر دقيق وتأمل أتيق (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أى ميل عن الحق الى الاھواء الباطلة (فيمتبعون ما تشابه منه) أى فيتعلقون بظاھر المتشابه من الكتاب (ابتغاء الفتنة) أى طلب الفتنة في الدين وهي الضلال عنه فأنهم متى أوقعوا تلك المتشابهات في الدين صار بعضهم مخالفا لبعض وذلك يفضي الى الهرج والتقاتل (وابتغاء تأويله) أى وطلب تأويل التشابه على ما ليس في كتاب الله عليه دليل ولا بيان والمنصف يحمل الامر في الآيات على أقسام ثلاثة أحدها ما يتأكد ظاهرها بالدلائل العقلية فذلك هو المحكم حقوا وثانيا الذي قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها فذلك هو الذي يحكم فيه بأن مراد الله تعالى غير ظاهرها وثالثها الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فيكون من حقه التوقف فيه ويكون ذلك متشابهة بمعنى ان الامر اشتبه فيه ولم يتميز أحد الجانبين عن الآخر الا ان الظن ارجح حاصل في اجرائها على ظواهرها (وما يعلم تأويله الا الله) أى وما يعلم تأويل المتشابه حقيقة الا الله وحده ونقل عن ابن

عباس رضي الله عنهما انه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير لا يمكن لاحد جهله وتفسير
 تعرفه العرب بالسنتها وتفسير يعرفه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله تعالى (والراحمون في العلم يقولون
 آمنا به) أي بالكتاب (كل) أي كل واحد من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) والراحمون في العلم
 هو الذي عرف ذات الله وصفاته بالدلائل اليقينية القطعية وعرف أن القرآن كلام الله تعالى بالدلائل
 اليقينية وعرف أنه تعالى لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا رأى شيئا متشابها ودل الدليل القطعي على ان
 الظاهر ليس مراد الله تعالى علم حينئذ قطعان مراد الله شيء آخر سوى ما دل عليه ظاهره ثم فوض تعيين
 ذلك المراد الى الله تعالى وقطع بأن ذلك المعنى على أي شيء كان فهو الحق والصواب لانه علم أن ذلك
 المتشابه لا بد وأن يكون له معنى صحيح عند الله تعالى (وما يذكر الا أولوا الابواب) أي وما يتعظ بما في
 القرآن الا ذو العقول الكاملة الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائفة وهذا مدح للراحمين بجودة الذهن
 وحسن النظر وهذه الآية دالة على علو شأن المتكلمين الذين يبحثون عن الدلائل العقلية ويتوسلون بها
 الى معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ولا يفسرون القرآن الا بما يطابق دلائل العقول ويوافق اللغة
 والاعراب ومن تكلم في القرآن من غير أن يكون متبحرا في علم الأصول وفي علم اللغة والنحو كان في غاية
 البعد عن الله تعالى ولما آمن الراحمون في العلم بكل ما أنزل الله تعالى من المحكمات والمتشابهات
 تضرعوا الى الله تعالى بقواهم (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا) أي لا تغل قلوبنا عن دينك بعد
 اذ هديتنا الدينك أو يقال ياربنا لا تجعل قلوبنا مائلة الى الباطل بعد أن تجعلها مائلة الى الحق (وهب لنا
 من لدنك رحمة) أي نور لايمان والتوحيد والمعرفة في القلوب ونور الطاعة والعبودية والخدمة في
 الاعضاء وسهولة أسباب المعيشة من الامن والهمة والكفاية في الدنيا وسهولة سكران الموت عند الموت
 وسهولة السؤال والظلمة في القبر وغفران السيئات وترجح الحسنات في القيامة (انك أنت الوهاب)
 لكل مطلوب فان هذا الذي طلبته منك في هذا الدعاء عظيم بالنسبة الى الله لكنه حقير بالنسبة الى كمال
 كرمك وغاية جودك ورحمتك وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على
 دينك (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) أي ياربنا انك تجمع الناس للجزاء في يوم لا شك في
 وقوعه فجازنا فيه أحسن الجزاء (ان الله لا يخلف الميعاد) أي الوعد وهذا من بقية كلام الراحمين في
 العلم وذلك لانهم لما طلبوا من ربهم أن يهونهم عن الزيف وأن يخصهم بالهداية وأنواع الرحمة فكأنهم
 قالوا ليس غرضنا من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقرضة وانما غرضنا الاعظم منه ما يتعلق
 بالآخرة فانا نعلم انك يا الله ناجم الناس للجزاء في يوم القيامة ونعلم ان وعدك بالجزاء والحساب والميزان
 والصراط والجنة والنار لا يكون خلف فن زاغ قلبه بقي هناك في العذاب أبدا لا يادومن أعطيته الهداية
 وازرحمة بقي هناك في السعادة والكرامة أبدا لا يباد (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم
 ولا أولادهم) أي ان الذين كفروا كعب بن الاشرف وأصحابه وأبي جهل وأصحابه لن تنفعهم كثرة
 أموالهم وكثرة أولادهم (من الله) أي من عذاب الله أو عند الله (شيئا) وقيل ان المراد بهم ولأه وفد
 لجهنم وذلك لان أباعارثة بن علقمة قال لآخيه كرزاني لا أعلم أن محمدا رسول الله حقا وهو النبي الذي كنا
 نتظره ولكنني ان أظهرت أيمانني بمحمد أخذ ملوك الروم مني ما أعطوني من المال الكثير والجاه فأنه
 تعالى بين ان أموالهم وأولادهم لا تدفع عنهم عذاب الله في الدنيا والآخرة نعم ان اللفظ عام وخصوص
 السبب لا يمنع عموم اللفظ (وأولئك) المتصفون بالكفر (هم وقود النار) أي حطب النار الذي

تسعر به (كذاب آل فرعون) أي شأن هؤلاء في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم كشأن آل فرعون في التكذيب عموماً (والذين من قبلهم) أي من مكذبي الرسل كقوم هود وقوم صالح (كذبوا بآياتنا) وهي المعجزات ومتى كذبوا بما فقد كذبوا بالأنبياء بلا شك (فأخذهم الله بذنوبهم) أي عاقبهم الله بتكذيبهم المعجزات الدالة على صدق الرسل وأما الاستعمل الأخذ في العقاب لأن من ينزل به العقاب يصير كالمأسور المأخوذ الذي لا يقدر على النخلص (والله شديد العقاب) وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما غزا قريشاً بدرور جمع إلى المدينة جمع يهود بني قينقاع في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً يوم بدر فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك ان قتلنا قريشاً من قريش أنحماراً لا يعرفون القتال لو قتلنا العرف فأنزل الله تعالى قوله هذا (قل للذين كفروا) هم يهود بني قينقاع (ستغلبون) عن قريب في الدنيا وقد صدق الله تعالى وعده بقتل بني قريظة فقد قتل منهم النبي صلى الله عليه وسلم في يوم واحد ستمائة جمعهم في سوق بني قينقاع وأمر السياف بضرب أعناقهم وأمر بحفر حفرة ورميهم فيها وأجلاه بني النضير وفجع خيبر وضرب الجزية على أهلها وبالامر على بعض كل (وتحشرون) في الآخرة (إلى جهنم) دلت الآية على حصول البعث في يوم القيامة والنشر والحشر وعلى أن مرد الكافرين النار (وبئس المهادر) أي الفراش جهنم وقرأ حمزة والكسائي بالغيبة في الغلين أي بلغهم أنهم سيغلبون ويحشرون والباقون بالخطاب أي قل لهم في خطابك أيهم ستغلبون وتحشرون والفرق بينهما أنه على الخطاب يكون الأخبار بمعنى كلام الله تعالى وعلى الغيبة يكون بلغظه (قد كان لكم) أيها اليهود (آية) أي علامة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (في فئتين) أي فرقتين (التفتا) بالقتال يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) أي في طاعة الله وهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من كل أربعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة ومن السيوف ثمانية ومن الخيل فرسان للفعدان بن عمرو وارتد بن أبي مرثد (وأخرى كافرة) أي وجماعة أخرى كافرة بالله والرسول وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً وفيهم أبو سفيان وأبو جهل وقاد ومائة فرس وكانت معهم من الأبل سبعمائة وأهل الخيل كلهم كانوا دارعين وكان في الرجال دروع سوى ذلك (يرونها مثلهم رأي العين) أي يرى المشركون المؤمنين مثل عدد المشركين قريشاً من ألفين أو مثلى عدد المسلمين ستمائة ونيغوا عشرين رأياً ظاهر أعياناً بالعين في ذلك أنه تعالى كثر المسلمين في أعين المشركين مع قتلهم ليها يروهم فيحترزوا عن قتالهم قال ابن عباس يرون أنفسهم مثلى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ نافع وابن عباس عن عاصم من السبعة ويعقوب ترونهم بالخطاب والمعنى ترون أيها اليهود المشركين مثلى المؤمنين في القوة والشوكة ومع ذلك غلبهم المؤمنون مع قتلهم جداً فيكون هذا أبلغ في إكرام المؤمنين وعناية الله بهم (والله يؤيد) أي يقوى (بنصره من يشاء) ولو بدري الأسباب العادية (إن في ذلك) أي في نصرته الله لمحمد يوم بدر ويقال أي في رؤية القليل كثيراً غلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح (لعبرة) أي لعظة عظيمة (لاولى الأبصار) أي لذوى العقول ووجه نظم هذه الآية أن الآية المتقدمة وهي قوله تعالى ستغلبون نزلت في شأن اليهود وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعاهم إلى الإسلام أظهروا التمرد وقالوا السنا أمثال قريش في الضعف وقلة المعرفة بالقتال بل معنا من الشوكة والمعرفة بالقتال ما يغلب كل من ينازعنا والله تعالى قال لهم انكم وان كنتم أقوى وأرباب

العدة والعدة فانكم ستغلبون ثم ذكر الله تعالى ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك القول فقال قد كان
لكم آية في فئتين التقتا * ثم قيل رويانا ان ابا حرة ابن علقمة النصراني اعترف لاختيه بانه يعرف
صدق محمد صلى الله عليه وسلم في قوله الا انه لا يقرب بذلك خوفا من ان يأخذ منه ملوك الروم المال والجاء
وايضار وينا انه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر أظهر وامن انفسهم القوة
والشدة والاستظهار بالمال والسلاح فيبين الله تعالى ان هذه الاشياء وغيرها من متاع الدنيا زائلة وان
الآخرة خير وابقى فقال (زين للناس خب الشهوات) أي الاشياء المشتبهات (من النساء) وانما
قدمهن على الكل لان الالتذاذ من أكثر والاستئناس بهن أتم (والبنين) ولما كان حب الولد الذكور
أكثر من حب الانثى خصه الله تعالى بالذكر ووجه التمتع بهم من حيث السرور بهم وغير ذلك (والقناطير
المفطرة من الذهب والفضة) والقنطار بلسان الروم مل مسك ثور من ذهب أو فضة والقنطار واحد
والقناطير ثلاثة والمفطرة تسعة ومعنى القناطير المفطرة أي الاموال المجموعة أو الاموال المضروبة
المقبوضة حتى صارت دراهم ودنانير وانما كانا محبوبين لانهما جعلتا من جميع الاشياء فمالكهما كمالا لك
جميع الاشياء (والحييل المسومة) أي المظهمة الحسان بأن تكون غرامحجلة (والانعام) وهي
الابل والبقر والغنم (والحسث) أي المزروع (ذلك) أي جميع ما سبق (متاع الحياة الدنيا)
أي منفعة للناس في الدنيا ثم تفنى (والله عنده حسن المآب) أي المرجع في الآخرة وهو الجنة (قل)
يا أشرف الخلق للكفار أو الناس عامة وهو أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ما أجمل أولا في قوله
تعالى والله عنده حسن المآب (أو نبشكم بخير من ذلكم) أي زينة الدنيا (للذين اتقوا) أي تبتلوا
الى الله تعالى وأعرضوا عما سواه فلا تشغلهم الزينة عن طاعة الله تعالى (عند ربهم جنات تجري من
تحتها الانهار) أي عند ربهم بساكنة تطرد من تحت شجرها مساكنها أنهار الحمر والعسل واللبن والماء
(خالدين فيها) أي مقعين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (وأزواج مطهرة) أي مهذبة من الحيض
والنفاس والبصاق والمي وتشويه الخلقة وسوء العشرة والاخلق الذميمة (ورضوان من الله) ورضار بهم
أكبر عما هم فيه من النعيم (والله بصير بالعباد) أي بأحوال الذين اتقوا ثم وصفهم بقوله (الذين
يقولون) في الدنيا (ربنا اننا آمننا) بل وبر رسولك (فاغفر لنا ذنوبنا) أي استرها وتجارز عنا
(وقم عذاب النار) أي ادفع عنا ذلك (الصابرين) على أداء فرائض الله واجتناب معاصيه وعلى
المرأى (والصادقين) في أيمانهم وأقوالهم ونياتهم (والقانتين) أي المواظبين على العبادات
(والمتقين) أموالهم في سبيل الله (المستغفرين بالامحار) أي في أواخر الليل بأي صيغة كانت
وقيل أي المصلين التطوع فيها وأعظم الطاعات قدرا أمران أحدهما الخدمة بالمال واليه الاشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم الشفقة على خلق الله والاشارة بقوله تعالى هنا والمتقين وثانيها الخدمة بالنفس واليه
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم التعظيم لأمر الله والاشارة بقوله تعالى هنا والمستغفرين بالامحار
(شهد الله) أي بين خلقة بالدلائل السمعية والايات العقلية (أنه لا اله) أي لا مستحقا للعبودية
موجود (الا هو والملائكة وأرسلوا العلم) وهم الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل الناطقة لان الشهادة
انما تكون مقبولة اذا كان الاخبار مقررنا بالعلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس
فاشهد وهذا يدل على أن الدرجة العالية والمرتبة الشريفة ليست الا لعلماء الاصول فشهادة الله تعالى على
توحيده هو أنه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة وأولى العلم هي اقرارهم بتوحيده تعالى

(قائما بالقسط) أي مقبلا للعدل في جميع أموره وهذا بيان لسكاته تعالى في أفعاله بعد بيان كماله في ذاته (لأنه الإله العزيز الحكيم) فالعزة في الملكة تلائم الوحدة والحرمة في الصنع تلائم القيام بالقسط قال المكلي قدم حبران من أحبار الشام على النبي صلى الله عليه وسلم فقالا له أنت محمد قال نعم قال له وأنت أحمد قال أنا محمد وأحمد قال فإنا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك فقال لهما سلا قالوا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل الله تعالى هذه الآية فأسلم الرجلان وفي المدارك من قرأها عند منامه وقال بعدها أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي عنده وديعة يقول الله يوم القيامة ان لعبدى هذا عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة (ان الذين عند الله الاسلام) فلا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذى هو التوحيد والتدرج بالشريعة الشريعة التى عليها الرسل عليهم السلام نزلت هذه الآية لما دعت اليهود أنه لا دين أفضل من اليهودية وادعت النصارى أنه لا دين أفضل من النصرانية فرد الله عليهم ذلك وقال ان الدين عند الله الاسلام وقرأ الكسائي يفتح همزة ن وهو ما يدل من أنه بدل كل من كل ان فسر الاسلام بالتوحيد نفسه أى بالايان بكونه تعالى واحدا أو بدل كل من بعض ان فسر الاسلام بالشريعة فانها تشتمل على التوحيد والعدل ونحوهما أو معطوف على أنه محذوف حرف العطف أو مبنى على ان شهودا وقع على ان الدين اما باجراه انه على التعليل والتقدير شهد الله لاجل أنه لا إله الا هو ان الدين الآية أو باجرائه على قراءة ابن عباس وهو بكسره على جعل جملة انه اعتراضا وعلى ايقاع شهد على ان الدين من باب تقديم وتأخير والتقدير شهد الله ان الدين عند الله الاسلام وشهد بذلك الملائكة والنبيون والمؤمنون أو بأجرائه شهد بجري قال مع جعل ان الدين معمولا للحكيم باسقاط الجارأى الحكيم بأن الدين أما جعله بدل اشتمال من أنه فمتنع بذلك التفسير لانه صار البدل أشتمل من المبدل منه ولان شرط بدل الاشتمال أن يكون المحاطب منتظرا للبدل عند سماع المبدل منه وهنالك كذلك ولا سيما ان هنا فصلا بين البدل والمبدل منه بأجنبي (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) أى أعطوا التوراة والانجيل من اليهود والنصارى في دين الاسلام وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا نحن أحق بالنبوة من قريش لانهم أميون ونحن أهل الكتاب (المن بعد ما جاءهم العلم) أى الدلائل التى لو نظر وافيهما لحصل لهم العلم (بنيا بينهم) أى لاجل الحسد الكائن بينهم وطلب الرياسة للشبهة وخفاء الامر (ومن يكفر بآيات الله) الناطقة بأن الدين عند الله هو الاسلام بأن لم يعمل بمقتضاها (فان الله مريد الحساب) أى فان الله يجازيه على كفره عن قريب فانه يأتي حسابه عن قريب (فان حاجوك) أى خاضعك اليهود والنصارى في ان الدين عند الله الاسلام بعد قيام الحججة عليهم (فقل أسلمت وجهى) أى أخلصت نفسى أو على (الله) لا أشرك به فى ذلك غيره (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت أى وأسلم من اتبعن أو مفعول معه (وقل للذين أوتوا الكتاب) أى اليهود والنصارى (والاميين) أى الذين لا كتاب لهم وهم مشركوا العرب (أأسلمتم) أى فهل أسلمتم بعد أن أنتم من البيئات ماوجب الاسلام ثم أنتم على الكفر روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على أهل الكتاب قالوا -لما فقال على الله عليه وسلم لليهود أن تشهدون ان عيسى كلمة الله وعبدوه ورسوله فبناؤا معاذ الله وقال على الله عليه وسلم للنصارى أن تشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا (فأسلموا) كما أسلمتم (فقد اهتدوا) للفوز والنجاة فى الآخرة (وان قولوا) عن الاسلام والاتباع لدينك لم يضروك

شيئا (فانما عليك البلاغ) أى ابلاغ الأدلة واظهار الحجج فاذا بلغت ما جاء بك عن الله فقد أدبت ما عليك وليس عليك قبولهم (وانته بصير بالعباد) أى عالم بمن يؤمن ومن لا يؤمن فيجازى كلامهم بعلمه (ان الذين يكفرون بآيات الله) أى بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم (ويقتلون النبيين بغير حق) أى بلا حرم (ويقتلون الذين يأمرون بالقط من الناس فبشرهم بعذاب أليم) أى فاعلمهم بعذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم روى عن أبي عبيدة بن الجراح انه قال قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بعروف ونهى عن منكر ثم قرأ هذه الآية ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثناعشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمر وأمن قتلهم بالمعروف ونهى عن المنكر ففقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم قال الحسن هذه الآية تدل على ان القائم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر عند الخوف تلى منزلته في العظم منزلة الانبياء وروى أن رجلا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى الجهاد أفضل فقال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر (أولئك المتصفون بالصفات القبيحة) (الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) أى بطلت محاسن أعمالهم في الدارين أما بطلانها في الدنيا فبإبدال المدح بالذم والثناء باللعن وبما ينزل بهم من القتل والسبي وأخذ المال منهم غنية والاسترقاق لهم الى غير ذلك من الذل الظاهر فيهم وأما بطلانها في الآخرة فبإزالة الثواب الى العقاب (ومالهم من ناصرين) من عذاب الله في إحدى الدارين (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) أى حظا من علم التوراة وهم العلماء منهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد كما أخرجه بن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس (يدعون الى كتاب الله) أى التوراة (ليحكم) أى كتاب الله (بينهم) وقرئ ليحكم على البناء للمفعول (تم يتولى فريق منهم) أى يعرض طائفة منهم بنو قريظة والنضير من أهل خيبر عن الحكم (وهم معرضون) أى مكذبون بذلك روى عن ابن عباس ان رجلا وامرأة من اليهود زنيا في خيبر وكان ذوى شرف وكان في كتابهم الرجم ففكر هو ارجعهم الشرف ففهم ما فهم فرجعوا فى أمرهما الى النبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يكون عنده رخصة في ترك الرجم فحكم عليهم بالرجم فقال له النعمان بن أوفى وعدى بن عمرو جرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فان فيها الرجم فن أعلمكم بالتوراة قالوا عبيد الله بن صور يا الفدكى فأخا به وأحضرنا التوراة فقال له اقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلام قد جاء وزموضعها يا رسول الله فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله وعلى اليهود ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة فزجما وان كانت حبلى تبرص حتى تمضي ما فى بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فزجما فغضبت اليهود لذلك غضبا شديدا وانصرفوا فانزل الله تعالى هذه الآية (ذلك) أى التولى والاعراض (بأنهم قالوا لن تمسنا النار) أى لن تصيبنا في الآخرة (الا أيام معدودات) أى سبعة أيام (وغيرهم في دينهم) أى في ثباتهم على دينهم اليهودية (ما كانوا يفترون) من قولهم ذلك وما أشبهه (فكيف) صنعهم (اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه) أى في يوم لا شك في مجيئه (ووفيت كل نفس) برة وفاجرة (ما كسبت) أى جزاء ما عملت من ثواب أو عقاب (وهم لا يظلمون) فلا ينقص احد من ثواب الطاعات ولا يزد على عقاب السيئات (قل اللهم مالك الملك) روى أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة وعد أمته ملكا فارس والروم فقال

المنافقون منهم عبد الله بن أبي بن سلول واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم أولم يكف
 محمدا مكة والمدينة حتى يطعم في ملك فارس والروم فنزلت هذه الآية وروى انه صلى الله عليه وسلم لما خطب
 الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق حفرة
 كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاويل فوجهوا أسلما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره فذهب إليه لحاء
 رسول الله وأخذ المعول من سلمان فلما ضرب بها ضربة صدعها وبرق منها برق أضأ ما بين لايتيها أي المدينة
 كأنه مصباح في جوف ليل مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال صلى الله عليه وسلم أضأ إلى منها قصور الحيرة
 كأنها أبواب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضأ إلى منها القصور الحرم من أرض الروم ثم ضرب الثالثة
 فقال أضأ إلى منها قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون
 لا تهيجون من نبيكم يعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تنفتح
 لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الخوف فنزلت هذه الآية وروى انها نزلت في شأن قريش لقولهم
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم كسر عريشهم على فرش الديباج فان كنت نبيا فإين ملكك (تؤتي الملك)
 أي تعطي الملك في الدنيا (من تشاء) من خلعتك (وتنزع الملك عن تشاء) منهم اما بالموت وازالة العقل
 أو ازالة القوى والحواس أو بورد التلف على الاموال أو بسلب الملك (وتعزم من تشاء) بالايمن والحق
 وبالا موال الكثرة من الناطق والصامت وبالقضاء الهيبة في قلوب الخلق (وتذل من تشاء) بالكفر
 والباطل (بيدك الخير) أي بقدرتك العز والذل والغنية والنصرة (اذل على كل شيء) من ذلك (قدير
 توج الليل) أي تدخل بعض الليل (في النهار) فيكون النهار أطول من الليل (وتخرج النهار في الليل)
 أي يدخل بعض النهار في الليل فيكون الليل أطول من النهار (وتخرج الحي من الميت) أي تخرج
 النحلة من النطفة والدجاجة من البيضة والسنبلة من الحبة والطيب من الخبيث كالتوبة من الذنب
 والمؤمن من الكافر كسيدنا عكرمة من أبي جهل فالسليم حي الفؤاد والكافر ميت الفؤاد (وتخرج الميت من
 الحي) أي تخرج النطفة من الانسان والبيضة من الطير والحب اليابس من النبات الحي والخبيث من
 الطيب كالأجرب من العبادة والكافر من المؤمن ككنعان من سيدنا نوح عليه السلام (وترزق من تشاء)
 بغير حساب) أي بلا تكلف ولا ضيق قال أبو العباس المقرئ ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلاثة
 أوجه بمعنى التعب قال تعالى رزق من تشاء بغير حساب ويعني العبد قال تعالى انما يوفي الصابرون
 أجرهم بغير حساب ويعني المطالبة قال تعالى فأمين أو أمسك بغير حساب (لا يتخذ المؤمنون
 الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أي لا يزال المؤمنون الكافرين لا استقلال ولا اشتراك مع المؤمنين
 وانما الجائر لهم قصر الموالاة والمحبة على المؤمنين بأن يوالي بعضهم بعضا فقط واعلم أن كون المؤمن مواليا
 للكافر يحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون راضيا بكفره ويتولاه لاجله وهذا ممنوع لان الرضا بالكفر كفر
 وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع وثالثها أن يكون الكفار والمعونة
 والنصرة اما بسبب القرابة أو بسبب المحبة مع اعتقاد ان دينه باطل فهذا لا يوجب الكفر الا انه منهي عنه
 لان الموالاة بهذا المعنى قد تنجر إلى استحقاق طريقته والرضا بدينه وذلك يخرج عن الاسلام فهذا هو الذي
 هدد الله فيه بقوله (ومن يفعل ذلك) أي الموالاة مع الكافرين بالاستقلال أو بالاشتراك مع المؤمنين
 (فليس) أي الموالاة (من الله في شيء) أي ليس من ولاية الله في شيء يطلق عليه اسم الولاية (الا ان تتقوا
 منهم تقوا) أي لا تتخذوا الكافرين أولياء ظاهرا أو باطنا في حال من الاحوال الا حال اتفاقكم من جهتهم

اتقياء والمعنى ان الله نهى المؤمنين عن مداينة الكفار الا ان يكون الكفار غاليين أو يكون المؤمن في قوم
كفار فيداهنهم بلسانه مطمئنا قلبه بالإيمان دفعاعن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو غير
ذلك من المحرمات ومن غير أن يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون الامع خوف القتل مع
صحة النية روى عن الحسن أنه قال التقية جائزة للمؤمنين الى يوم القيامة لان دفع الضرر عن النفس
واجب بقدر الامكان قال الحسن أخذ مسيلة الكذاب رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لأحدهما أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم نعم فقال أفتشهد أني رسول الله قال نعم فتركه ودعا
الآخر فقال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال أفتشهد أني رسول الله فقال اني أصم ثلاثا فقدمه وقتله
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما هذا المقتول فضي على يقينه وصدقه فنهثاله وأما الآخر
فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه (ويحذركم الله نفسه) أي ذاته المقدسة في التقية عن دم الحرام وفرج
الحرام ومال الحرام وشرب الخمر وشهادة الزور والشرك بالله (والى الله المصير) أي المرجع
فاحذروه ولا تعرضوا السخطة بخالفه أحكامه والمعنى ان الله يحذركم عقابه عنده مصيركم الى الله (قل ان
تتحفوا ما في صدوركم) أي ما في قلوبكم من البغض والعداوة فمجد صلى الله عليه وسلم (أو تبدوه) أي
تظهروه بالشتم والطعن والحرب (يعلمه الله) أي يحفظه الله عليكم فيجازيكم به (ويعلم ما في السموات
وما في الارض) من الخير والشر والسر والعلانية (والله على كل شيء) من أهل السموات والارض
وثوابهم وعقابهم (قدير) نزلت هذه الآية في حق المفاقيين واليهود (يوم تجدد كل نفس ما عملت من
خير محضرا) أي مكتوبا في ديوانها (وما عملت من سوء) أي من قبيح تجده مكتوبا في ديوانها (تود
لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) أي والذي عملته نفس من سوء تمنى تباعد ما بين النفس وبين السوء
مكتوبا بعيدا كما بين المشرق والمغرب لو أن بينها وبينه أجلا طويلا من مطلع الشمس الى مغربها لغرحت
بذلك (ويحذركم الله نفسه) عند المعصية ذكر الله تعالى هذا أولا للمنع من مولاة الكافرين وثانيا للبحث على
عمل الخير والمنع من عمل الشر (والله رؤوف بالعباد) أي المؤمنين أي كما هو منتقم من الفساق فهو رؤوف
بالمطيعين والمحسنين (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني) أي فاتبعوا ديني فانكم اذا اتبعتم ديني
فقد أطعتم الله فالله تعالى يحب كل من أطاعه (يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) أي ان اتبعتم
شر يعنى يرض الله عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجارز عما سلف من ذنوبكم (والله غفور رحيم)
لمن يتحجب اليه بطاعته نزلت هذه الآية في حق اليهود ولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقال الضحاك عن
ابن عباس وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قر يش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا
عليها ايض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قر يش والله لقد خالفتم ملة
أبيكم ابراهيم واسماعيل فقالت قر يش انما نعبد ما حبا لله ليقربونا الى الله زافى فنزلت هذه الآية وقيل ان
نصارى نجران قالوا انما نعظم المسيح حبا لله فنزلت هذه الآية ولما نزلت قال عبد الله بن أبي لهعة ان
محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحببت النصارى المسيح وقالت اليهود يريد محمد أن
نخذه ربنا حنا كما اتخذ النصارى عيسى حنا فأنزل الله بسبب قولهم قوله تعالى (قل أطيعوا الله
والرسول) أي في جميع الاوامر والنواهي أي انما أوجب الله عليكم متابعتي لا كما تقول النصارى في
عيسى بل أكوني رسولا من عند الله (فان تولوا) أي أعرضوا عن طاعتها (فان الله لا يحب الكافرين)
أي اليهود والمنافقين الذين اتقوا شبهة في الدين فلما نزلت هذه الآية قالت اليهود نحن على دين آدم مسلمين

فأنزل الله قوله تعالى (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم) اسمعيل وإسماعيل والانبيا من أولادهما
الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم (وآل عمران) موسى وهارون وقيل عيسى وأمه
حكاة الكرماني ورجحه ابن عساكر والسهيلي (على العاملين) أي على أهل زمان كل واحد منهم - م
بالاسلام وبالحصول الحميدة (ذرية بعضهما من بعض) أي اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة
متشعبة البعض من البعض في النسب (والله مميح) لا أقوال العباد (عليم) بضمائرهم وأفعالهم
وأنما يصطفى من خلقه من يعلم أسس أمته قولا وفعلًا ويقال والله مميح لقائه اليهود نحن من ولد إبراهيم
ومن آل عمران فنحن أبناء الله وأحباؤه وعلى دينه ولقائه النصارى المسيح ابن الله عليهم بعتوبتهم واذكر
يا محمد (اذ قالت امرأت عمران) حنة بنت فاقود أم مريم حين شاخت وكانت يومًا في ظل شجرة ففرت
طائرًا يطعم فرخانه فتحركت نفسها للولد قد عتد بها أن يهب لها ولداً فحملت بمريم ومات عمران فلما عرفت
بالحمل قالت يا (رب اني نذرت) أن أجعل (لك ما في بطني محررا) أي عتيقا من أمر الدنيا لطاعة
الله ومخلصا للعبادة وحاد ما لن يدرس الكتاب ويعلم في مسجد بيت المقدس (فتقبل مني) أي خذ مني
مانذرتي على وجه الرضا (انك انت السميع) لتضرعي بدعائي ونذاتي (العليم) بما في ضميري وقلبي
ونيتي (فلما وضعتها) أي ولدت المندورة التي في بطنها (قالت رب اني وضعتها) أي ما في بطني (أنثى
والله أعلم بما وضعت) قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وضعت بضم التاء على حكاية كلامها وأنما قالت
ذلك للاعتذار ولا زالة الشبهة التي في قولها اني وضعتها أنثى فانها خافت ان يظن بذلك القول أنها تخبر الله
تعالى وقرأ الباقر بسكون التاء أي أنه تعالى قال والله أعلم بما وضعت تعظيما لولدها وتجهيلا لها به - در
ذلك الولد والمعنى والله أعلم بأن الذي ولدته وان كان أنثى أحسن وأفضل من الذكرو هي غافلة عن ذلك
فلذلك تحسرت وقرأ ابن عباس والله أعلم بما وضعت على خطاب الله لها أي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب
والله هو العالم بما فيه من العجائب والآيات ثم قال تعالى حكاية عن قولها (وليس الذكر كالأنثى) أي
وايس الذكر الذي يكون مطلوب كالأني التي هي موهوبة لله وهذا الكلام يدل على ان حنة كانت
مستغرقة في معرفة جلال الله عاله بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يرى العبد لنفسه ويحتمل أن هذه
الجملة محض كلامه تعالى والمعنى ليس الذكر الذي طلبته كالأنثى التي ولدتها بل هي خير منه وان لم
تصلح للسدانة فان فيها مزايا أخرى لا توجد في الذكر (واني مميحتها) أي هذه البنت (مريم) أرادت حنة
بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصمها من آفات الدين والدنيا فان مريم في لغتهم العائدة في
لغة العرب (واني أعيد ذهابك وذريتهما من الشيطان الرجيم) أي واني ألجئ مريم وذريتها إلى
رحمتك وعصمتك وألصق نفسي بها وأولادها به فضلك ورحمتك من الشيطان اللعين (فتقبلها ربها
قبول حسن) بأن اختص الله تعالى مريم بإفادتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل أنثى قبلها أو بأن
أخذها الله من أمها عقب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة روى أن حنة حين ولدت مريم لغتها في
خرقة وحملت إلى المسجد وضعتها عند الأحبار أبناء هرون وقالت خذوا هذه النذرة فتناقسوا فيها
لأنها كانت بنت أمهم - م الأعظم في العلم والصلاح فقال ذكر يا أباناحق بها لان خالتها عندي فقالت
الأخبار لا تقل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس بالترك لا ما التي ولدتها أولئك كنانة ترفع عليها فانطلقوا
وكانوا تسعة وعشرين إلى نهر جارف حطب يقال له قرقمق فالتقوا فيه أقلامهم التي كانوا يكتبون التوراة بها
على أن كل من ارتفع قلبه فهو الراجح وعلى كل قلم اسم صاحبه ثم ألغوا أقلامهم ثلاث مرات ففي كل مرة

يرتفع قلمزكر يافوق الماء وترسب أقلامهم فاخذها زكريا (وابتها بياحسنا) أي رباها الله بها
يصلها في جميع أحوالها و غذاها بالسنين والشهور والأيام غدا حسنا (وكفلها زكريا) أي جعله
الله مربيا لها وضامنا لمصالحها وقائما بتدبير أمورها ولما أخذها بنى لها غرفة في المسجد وجعل بابها في
وسطه لا يرقى إليه إلا بالسلم ولا يصعد إليها غيره وكان إذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب وكان يأتيها بأكلها
وشربها ودونها (كلما دخل عليها زكريا) وهو من ذرية سليمان بن داود (المحراب) أي الغرفة
(وجد عند هارزفا) أي فاكهة الشتاء في الصيف مثل القصب وفاكهة الصيف في الشتاء مثل العنب
ولم ترضع نديا قط بل يأتيها رزقها من الجنة (قال يا مريم أنى لك هذا) أي من أين لك هذا الرزق الآتى
في غير حينه الذي لا يشبه أرزاق الدنيا والأبواب مغلقة عليك (قالت هو من عند الله) أتانى به جبريل
من الجنة فتكلمت وهي صغيرة في المهد كما تكلم ولد هاعيسى عليه السلام وهو صغير في المهد (إن الله
يرزق من يشاء بغير حساب) أي بغير تقدير لكثرة الرزق أو من غير مسئلة في حينه وفي غير حينه
(هناك) أي في ذلك المكان الذي كان قاعدا فيه عند مريم وشاهد تلك الكرامات أو في ذلك الوقت
الذي رأى فيه خوارق العادات عندها (دعا زكريا ربه قال) في مناجاته في جوف الليل (رب هبلى
من لدنك ذرية طيبة) أي رب اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ولد مبارك كما تقيصا للحارضا
كهيئت لك الجنة الهوز العاقر مريم (أنك سميع الدعاء) أي مجيب الدعاء (فنادته الملائكة) أي
جبريل كما أخرج ابن جرير عن السدى (وهو قائم يصلى في المحراب) أي في الموضع العالى الشريف
في المسجد (أن الله يبشرك) بولد يسمى (يحيى) قرأ ابن عامر وخمزة أن بكسر الهمزة والياء قون بالغف
(مصدقا بكلمة من الله) أي بعيسى بن مريم بمعنى كونه كلمة من الله كونه مخلوقا بلا أب قال ابن عباس
إن يحيى كان أكبر سنا من عيسى بستة أشهر وكان يحيى أول من آمن وصدق بأنه كلمة الله ثم قتل يحيى
قبل رفع عيسى عدة يسيرة (وسيدا) أي رئيسا للمؤمنين في العلم والحلم والعبادة والورع قال ابن عباس
أي حليما عن الجهول وقال مجاهد أي كريم على الله (وحصورا) أي مانعا من النساء للعفة والزهد
لا لاهز (ونبيان الصالحين) أي من المرسلين (قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر) أي قال
زكريا لجبريل يا سيدى من أين يكون لى ولد وقد أدركنى كبر السن (وامرأتى عاقر) أي عقيم لا تلد
قال ابن عباس كان ذكر يوم بشر با ولدين مائة وعشرين سنة وكانت امرأته ايشاع بنت فاوود بنت
تسعين وثمان (قال) أي جبريل (كذلك) أي الامر كما قلت لك من خلق ولد منككرا أنتماعلى حالكما
من الكبر (الله يفعل ما يشاء) من الافاعيل الخارقة للعادة (قال) أي زكريا (رب اجعل لى آية)
أي علامة في جبل امرأتى (قال) أي الله تعالى (آيتك) أي علامتك في جبل امرأتك (أن لا تكلم
الناس) أي أن لا تقدر على تكليمهم من غير خرس (ثلاثة أيام) متوالية بلبا إليها (الارض) أي
الاتحرك بالشفقتين والحاجبين والعينين واليدين (واذكر ربك) باللسان والقلب في مدة الحبسة
عن كلام الدنيا مع الخلق شكر الله تعالى على هذه النعمة (كثيرا) أي ذكر كثيرا كثيرا على كل حال
(وسبح بالعشى والابكار) أي صل عشا وغدوة كما كنت تصلى (و) اذكر (اذ قالت الملائكة) أي
وجبريل لمريم مشافهة (يا مريم إن الله اصطفاك) بتفريع لعبادته وتخصيصك بأنواع اللطف والهداية
والعصمة والسكافية في أمر المعيشة ومهاج كلام جبريل شفاهها (وطهرتك) من المعصية وميسر الرجال
ومن الافعال الذميمة ومن مقالة اليهود وبنوهم ويقال أنجلك من القتل (واصطفاك على نساء العالمين)

بولادة عيسى من غير أب ونطقه حال انفصاله من مريم حتى شهد ببراءتها عن التهمة وروى انه صلى الله
 عليه وسلم قال حسبك من نساء العالمين أربع مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة عليهن
 السلام (يا مريم اقنتي لربك) أى دوى على طاعته بأنواع الطاعات شكر لذلك ويقال اطيلي القيام
 في الصلاة شكر الربك (واسجدي) أى صلى منفردة (واذكرى مع الراكعين) أى صلى مع أهل
 الصلاة في بيت المقدس فان اقتداء النساء بالرجال حال الاختفاء من الرجال أفضل من الاقتداء بالنساء قال
 المفسرون لما ذكرت الملائكة هذه الكلمات على مريم شفاها قامت مريم في الصلاة حتى ورمت قدميها
 وسال الدم والقبح من قدميها (ذلك) الذى مضى ذكره من حديث خنته ومريم وزكريا (من أنباء الغيب)
 أى من اخبار الغائب عنك يا محمد (نوحيه اليك) أى ترسل جبريل بالقاء الغائب اليك (وما كنت لديهم)
 أى عند الذين تنازعوا في تربية مريم (اذيلفون أقدامهم) التى كانوا يكتبون بها الكتب فى جرى الماء ليعلموا
 (أيهم يكفل مريم) أى أى أحد هم ربى مريم وكان القراع على أن كل من جرى قلبه على عكس جرى
 الماء فالحق معه (وما كنت لديهم اذ يختصمون) أى وما كنت هناك اذ يتقارعون على تربية مريم واذ
 يختصمون بسببها (اذ قالت الملائكة) أى جبريل (يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه) أى بولد يكون مخلوقا
 بكلمة من الله أى من غير واسطة الاسباب العادية فان غير عيسى من كل علق وان وجد بكلمة كن
 لكنه بواسطة أب (اسمه) أى الولد (المسيح) سمى بالمسيح لانه يسبح فى البلدا ولانه ماسح بيده
 ذاعاها الا برئ من مرضه (عيسى بن مريم) وانما نسبته الله تعالى الى الام اعلاما لها بأنه محدث بغير
 الاب فكان ذلك سببا لزيادة فضله وعلو درجته (وجيها) أى ذابجا وشرف (فى الدنيا) بالنبوة
 وبأحياء الموتى وبإبراء الاكهم والارض بسبب دعائه (والآخرة) يجعله شفيما أمته بقبول شفاعته
 فيهم وبعلو درجته عند الله تعالى (ومن المقربين) الى الله فى جنة عدن وهذا الوصف كالتمنيبه على ان
 عيسى سيرفع الى السماء وتصاحبه الملائكة (ويكلم الناس فى المهد) أى فى حجر أمه وهو ابن أربعين
 يوما بقوله أنى عبد الله (وكهلا) أى بعد ثلاثين سنة أى ان عيسى يكلم الناس مرة واحدة فى حجر أمه
 لآظهار طهارة أمه من الفاحشة ثم عند الكهولة يتكلم بالنبوة (ومن الصالحين) أى من المرسلين
 (قالت رب أنى يكون لى ولد) أى قالت مريم لجبريل ياسيدى من أين يكون لى ولد (ولم يعسنى بشر)
 بالحلال ولا بالحرام لان المحررة لا تزوج أبدا كالأزواج المحررة (قال) أى جبريل (كذلك) أى
 الامر كما قلت لك من خلق ولد منك بلا أب (الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا) أى اذا أراد خلق شئ
 (فانما يقول له كن) لا غير (فيكون) من غير ريث فتفزع جبريل فى جيب درعها فوصل نفسه الى
 فرجها فدخل رحمها فلهذا لم يولد (ويعلمه الكتاب) قرأ نافع وعاصم يعلمه بالياء معطوف على الحال
 وهى قوله وجيها فكان جبريل قال وجيها معلمي أو على يبكرك ويعلمه بالنون معطوف لقول
 محذوف من كلام الملك تقدره وجيها ومقولا فيه تعلمه أو ان الله يبشرك بعيسى ويقول تعلمه كتب الانبياء
 والكتابة أى الخط (والحكمة) أى العلم المقترن بالعمل وتهذيب الاخلاق (والتوراة والانجيل)
 وخصا بالذكور لفضلهما (و) نبوته (رسولا الى بنى اسرائيل) أى كلهم وقيل هو معطوف على الاحوال
 السابقة كأنه قيل حال كونه وجيها ورسولا وقرى ورسول بالجر عطف على كلمة والمعتمد عند الجمهور ان
 عيسى انما نبى على رأس الاربعين وأنه عاش فى الارض قبل رفعه مائة وعشرين سنة وهو آخر انبياء بنى
 اسرائيل كما ان أولهم يوسف بن يعقوب (أنى قد جئتكم) بفتح الهمزة مجرور بالياء المقدرة التى للابسة

المتعلقة بمحذوف حال من رسول المقدر ما فيه من معنى النطق والتقدير فلما جاءهم قال لهم اني رسول الله
فكم ملت بسا باني قد جئتكم (بآية) أي بعلامة على صدقي في الرسالة (من ربكم) قالوا وما هي قال هي
(أني أخلق) أي أصور (لكم من الطين كهيئة الطير) أي شيأ مثل صورة الطير (فأنفخ فيه)
أي في فم ذلك المائل لهيئة الطير (فيكون) أي فيصير (طيرا) حيا يطير بين السماء والارض
(بإذن الله) أي بأمره تعالى فطلبوه بخلق الخفاش لانه أكمل الطير خلقا وأبلغ دلالة على القدرة لان له
نابا واسنانا ويضلك كما يضل الانسان ويطير بغير ريش ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل
وانما يرى في ساعتين ساعة بعد المغرب وساعة بعد طلوع الفجر والاني منه لها ثدي وتحبض وتظهر
وتدبر فلما صور لهم خفاشا فقالوا هذا صخر فهل عندك غيره قال نعم (وأبرئ الا كه) بالدعاء أي وأجمع
الذي ولد أعمى أو المسوح العينين (والابرس) وهو الذي في جلده بياض شديد فلما فعل ذلك قالوا هذا
صخر فهل عندك غيره قال نعم (واحي الموتى بإذن الله) أي بالاسم الاعظم وهو يا حي يا قيوم فأحيا
أربعة أنفس أحياء عازرا بعد موته بثلاثة أيام حتى عاش وولده وأحيا ابن اليهودي وهو ميت محمول على
السري فزله عن سريره حيا ورجع الى أهله وعاش وولده وأحيا بنت العاشر أي الذي يأخذ العشور
من الناس بعد يوم من موتها فعاشت وولدها فقالوا العيسى انك تحيي من كان قريبا العهد من الموت فلعلهم
لم يؤمنوا حقيقة بل أصابهم سكرة فأحيا الناس ام بن نوح وهو قدمضي من موته أكثر من أربعة آلاف سنة
فقام على قبره فدعا الله باسمه الاعظم فقام من قبره وقال للقوم صدقوه فانه نبي الله ومات في الحال فأمن به
بعضهم وكذب آخرون فقالوا هذا صخر فهل عندك غيره قال نعم (وأنبشكم بما تأكلون) غدوة وعشية
(وما تدخرون) أي ترفعون من غداء لعشاء ومن عشاء لغداء (في بيوتكم) مما لم أعانيه (ان في ذلك)
أي في ما قلنا لكم من هذه الخمسة (آية) أي لمجزة قوية دلالة على صحة رسالتى دلالة واضحة (لكم ان
كنتم مؤمنين) أي مصدقين انتفعتم بها (ومصدقها بين يدي) أي لما قبل (من التوراة) وبين
موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة سنة وخمس وسبعون سنة ومصدقها معطوف على رسولا وجئتكم
(ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب للبقر والغنم
ولحوم الابل وعما لا يصيبه من السمك والطيور ومن العمل في يوم السبت وهذا لا يقدح في كونه مصدقا
للتوراة لان النسخ تخصيص في الازمان (وجئتكم بآية من ربكم) شهادة على صحة رسالتى وقرئ
بآيات (فاتقوا الله) في عدم قبولها (وأطيعون) فيما أمركم به وأنها كم عنه عن الله تعالى (ان
الله ربي وربكم) وانما أظهر سيدنا عيسى المصنوع وأقر بالعبودية لكيلا يتقولوا عليه الباطل فيقولوا
انه اله وابن اله لان أقراره بالعبودية لله يمنع عما تدعيه جهال النصارى عليه (فاعبدوه) أي لازموا
طاعته التي هي الايمان بالأوامر والانتها عن المناهي أي لما كان الله تعالى رب الخلائق بأمرهم
وجب على الكل ان يعبدوه وقوله تعالى ان الله ربي وربكم إشارة الى ان استكمال القوة النظرية بالتوحيد
وقوله فاعبدوه إشارة الى ان استكمال القوة العملية بالطاعة (هذا) أي الجمع بين التوحيد والعبادة
(صراط مستقيم) أي دين قائم برضا الله تعالى وهو الاسلام ونظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم قل
آمنت بالله ثم استقم لرجل قال يا رسول الله مرني بأمر في الاسلام لا أسأل عنه أحد بعدك (فلما
أحس عيسى منهم الكفر) أي فلما سمع عيسى بإذنه من بني اسرائيل تكرار الكفر وطلبوا قتله لانهم
كانوا عارفين بأنه هو المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسج دينهم (قال) لأصفياء أصحابه (من أنصارى

الى الله) أى من أنصارى حال التجاؤ الى الله ويقال من أعوانى مع الله على أعدائه (قال الحواريون)
 أى القصارون أى الذين يبيضون الثياب (نحن أنصار الله) أى نحن أعوانك مع الله على أعدائه قيل
 كانوا تسعة وعشرين مئة منهم قطرس ويعقوب ولحيس وايدارانيس وقيلس وابن تلماس وتنا
 وبوقاس ويعقوب بن حليفا وبداسيس وقياسا وبودس وكدمابوطا وسرجس وهو الذى ألقى
 عليه شبهه أخرج ذلك ابن جرير عن ابن اسحق وقيل كان الحواريون اثني عشر رجلا آمنوا بعيسى عليه
 السلام واتبعوه وكانوا إذا جاعوا قالوا اجعنا ياروح الله فيضرب بيده الأرض فيخرج منها السكل واحد
 رغيفان وإذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الأرض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من أفضل منا
 قال عليه السلام أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا
 حوارين أى ان اليهود لما طلبوا عيسى عليه السلام للقتل وكان هو فى الهرب عنهم قال لا وثلك الاثنى
 عشر من الحوارين أىكم يحب أن يكون رفيقى فى الجنة على أن يلقي عليه شبهى فيقتل مكانى
 فأجابهم الى ذلك بعضهم (آمناب الله) فهذا الاستئناف يجرى مجرى العلة لما قبله والمعنى يجب علينا أن
 نكون من أنصار الله لأجل أننا آمناب الله فان الايمان بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن أولياء الله
 والمহারبة مع أعدائه (واشهد) ياسيدنا عيسى (بأننا مسلمون) أى مقرون بالعبادة والتوحيد لله
 وذلك اقرار منهم بأن دينهم الاسلام وأنه دين كل الانبياء صلوات الله عليهم واشهاد الله أيضا على أنفسهم
 بذلك فلما أشهدوا عيسى على ايمانهم واسلامهم تضرعوا الى الله تعالى وقالوا (ربنا آمنابا أنزلت)
 من الكتاب أى الانجيل (واتبعنا الرسول) أى دين رسول الله عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين)
 أى اكتبنا فى جملة من شهد لك بالتوحيد ولا نبينا لك بالتصديق وقال ابن عباس فاما ~~كتبنا~~ فى زمرة
 الانبياء لان كل نبي شاهد لقومه أو فاككتبنا مع محمد وأمه لانهم هم المخصوصون بأداء الشهادة (ومكروا)
 أى أراد اليهود قتل عيسى (ومكر الله) أى أراد الله قتل صاحبهم طيطيانوس وقيل مكرهم بعيسى هم
 بقتله ومكر الله تعالى بهم رفع عيسى الى السماء وذلك أن يهودا ملك اليهود أراد قتل عيسى عليه السلام
 وكان جبريل لا يفارقه ساعة فأمره جبريل أن يدخل بيتا فيه وزنة فلما دخلوا البيت أخرجه جبريل
 من تلك الزنة وكان قد ألقى شبهه على غيره فأخذ وطلب (والله خير الماكرين) أى أقوى المريدن
 ويقال أفضل الصانعين روى عن ابن عباس ان ملك بنى اسرائيل اسمه يهودا لما قصد قتل عيسى أمره
 جبريل أن يدخل بيتا فيه وزنة فرفعه جبريل من تلك الزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم
 يقال له طيطيانوس ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فلم ير عيسى فالتقى الله تعالى شبه عيسى عليه نخرج
 يخبرهم انه ليس فى البيت فقتلوه وصلبوه ثم قالوا ارجعه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبه فان
 كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبا فأين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم (اذ قال الله يا عيسى
 انى متوفيك) أى مستوفى أجلك المسمى وعاصهك من أن يقتلك الكفار (ورائك الى) من الأرض الى
 محل كرامتى الى محل ثوابك (ومطهرك من الذين كفروا) بك أى منجوك منهم (وجاعل الذين اتبعوك) أى
 الذين آمنوا بأنك عبد الله ورسوله والذين صدقوا بنبوتهك وادعوا بحبتهك كالنصارى (فوق الذين كفروا)
 بك وهم اليهود بالحقبة والسيف والقهر والسلطان والاستعلاء والنصرة (الى يوم القيامة) فان ملك اليهود
 قد ذهب فلم يبق لهم قلعة ولا سلطان ولا شوكة فى جميع الأرض بل يكونون مقهورين أين ما كانوا بالذلة
 والمسكنة وملك النصارى باق قائم الى قريب من قيام الساعة فان ترى أن دولة النصارى فى الدنيا أعظم

وأقوى من أمر اليهود ودوزكر محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الخواريين بعد رفع عيسى عليه السلام الى السماء فشمسهم وعذبوهم فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته ثم بعث الى الخواريين فانتزعهم من أيديهم وسأهم عن عيسى عليه السلام فأخبروه فتابعهم على دينهم وأزل المصلوب فغيبه وأخذ الخشبة فأكرمها وصانها ثم غرابني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر أصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك طماريس وهو قد صار نصرانيا لانه لم يظهر ذلك ثم جاء بعده ملك آخر يقال له ملطيس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه السلام بقدر أربعين سنة ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله تعالى على تكذيب المسيح وقصد قتله (ثم الى مرجعكم) بالموت والخطاب لعيسى ومن آمن معه ومن كفر به (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) أي تخاضعون في الدين (فأما الذين كفروا) بالله ورسوله (فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا) بالقتل والسبي والجزية والذلة (والآخرة) بالنار (ومالهم من ناصرين) أي مانعين من عذاب الله في الدنيا والآخرة (وأما الذين آمنوا) بالله والكتاب وبنبوة عيسى وبنبوة محمد (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (فيؤفيهم أجورهم) أي فيؤفروهم أجور أعمالهم في الجنة (والله لا يحب الظالمين) أي لا يريد إيصال الخبر الى المشركين وقرأ حفص عن عاصم فيؤفيهم بالياء والفاعل راجع الى الله والماقون بالنون (ذلك) أي خبر عيسى (نتلوه عليه) أي تنزل عليكم جبريل به (من الآيات) أي من آيات القرآن أو من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك (والذكر الحكيم) أي الذي ينطق بالحكمة أو الحكمكم فان القرآن ممنوع من تطرق الحمل اليه * وروى انه حضر وفد فخران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له ما شأنك تذكر صاحبنا وتسبه فقال من هو قالوا عيسى قال وما أقول قالوا تقول انه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسا ناقط من غير أب ومن لا أب له فهو ابن الله ثم خرجوا من عنده صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل فقال قل لهم اذا أتوك (ان مثل عيسى عند الله) أي ان صفة تخلق عيسى في تقدير الله وحكمته بلا أب (كمثل آدم) أي كصفته قال آدم (خلق من تراب) بلا أب وأم (ثم قال له) أي لا دم (كن فيكون) أي نفخ فيه الروح وكذلك عيسى قال له كن من غير أب فكان ولدا بلا أب فاذا كان آدم كذلك ولم يكن ابن الله فكذلك عيسى فن لم يقرب ان الله خلق عيسى من غير أب مع اقراره بخلق آدم بغير أب وأم فهو خارج عن طور العقلاء وأيضا اذا جاز ان يخلق الله آدم من التراب فجواز خلق الله تعالى عيسى من دم مريم من باب أولى فان هذا أقرب الى العقل من تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الام أقرب من تولده من التراب اليابس (الحق) أي الذي أنزلت عليكم ن خبر عيسى انه لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه هو (من ربك) والباطل من النصاري واليهود فالنصارى قالوا ان مريم ولدت الها واليهود مريم بالافك ونسبوها الى يوسف النجار (فلا تكن من المتبرئين) أي من الشاكين فيما بينت لك من تخليق عيسى بلا أب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم تعريكاه لزيادة ثباته على اليقين ولكل سامع لينزع عما يورث الامتراء ثم ذكر الله تعالى خصومة وفد بني فخران مع النبي صلى الله عليه وسلم بعدما بين لهم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فقالوا ليس كما تقول ان عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه فقال الله تعالى (فمن حاجك) أي خاصمك من نصاري فخران (فيه) أي في شأن عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أي من الدلائل الموجبة للعلم بأن عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا) أي نخرج

بأنفسنا (وأنفسكم) أي اخرجوا بأنفسكم (ثم ينتهل) أي يجتهد في الدعا ومخلصه أو نل عن بيننا
وبينكم (فجعل لعنة الله) فيما بيننا (على الكاذبين) على الله في حق عيسى وهم من يقولون
ان عيسى بن الله وأنه اله * روى انه صلى الله عليه وسلم لما ذكر الدلائل على نصارى نجران ثم انهم
أصرواعلى جهلهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله أمرني ان لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم فقالوا يا أبا القاسم
حتى نرجع فننظر في أمرنا ثم تأتيل غد افلما رجعوا الى قومهم قالوا للعاقب وكان ذارأيهم يا عبد المسيح
ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمد انبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام الحق في أمر
صاحبكم والله ما باهل قوم نبياقط فعاش كبيرهم ولا بنت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان أبيتم الا
الاقامة على دينكم والاصرار على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم
فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج من بيته الى المسجد وعليه مرط من شعر أسود محتضنا الحسين
أخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلى خلفه رضى الله عنهم أجمعين وهو يقول لهؤلاء الاربعة اذا
دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى اني لا أرى وجوها لوسألو الله تعالى ان يزيل جبلا
من مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ثم قالوا يا أبا القاسم رأينا أنالانباهلك وان ثبت على ديننا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان أبيتم المباهلة فأسلموا يكن أسكنكم الله المسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا فقال
فاني أناخركم القتال فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحكم على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا
على ان نؤدى اليك في كل عام ألفي حلة ألفي صغرو ألفي رجب وثلانين درعا وثلانين فرسا وثلانين
بعيرا وثلانين من كل صنف من أصناف السلاح فصالحهم رسول الله على ذلك (ان هذا) الذي ذكرت
من الدلائل التي دلت على ان عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه ومن الدعا الى المباهلة مع وفد بني
نجران (لهو القصص الحق) دون أكاذيب النصارى (وما من اله الا الله) بلا شريك ولا ولد ولا
زوجة (وان الله لهو العزيز) أي الغالب الذي لا يمنع القادر على جميع المقدرات (الحكيم) أي
العالم بجميع المعلومات وبجميع عواقب الامور فذكر العزيز الحكيم ههنا اشارة الى الجواب عن
النصارى في الشبهتين لعيسى القدرة على الاحياء ونحوه وأخبار الغيوب (فان تولوا فان الله عليهم
بالفسدين) أي قال أبو اعن قبول الحق وأعرضوا عما وصفت من ان الله هو الواحد وأنه يجب أن يكون
غالب قادرا على جميع المقدرات عالما بالنهايات محيط بالمعلومات مع اعترافهم بأن عيسى لم يكن كذلك
ومع قولهم ان اليهود وقتلوه فاعلم أن اباهم واعراضهم ليس الا على سبيل العناد فاقطع كلامك عنهم
وفوض أمرهم الى الله فان الله عليهم بفساد المفسدين مطلع على ما في قلوبهم من الاغراض الفاسدة قادر
على مجازاتهم (قل يا أهل الكتاب) نزلت هذه الآية في شأن نصارى بني نجران كما قاله ابن عباس وذلك
لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر على نصارى نجران أنواع الدلائل أولا ثم دعاهم الى المباهلة ثانيا
فخافوا وقبلوا الصغار بأداء الجزية وقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمانهم فعدل الى رعاية
الانصاف وترك المجادلة فكانه تعالى قال يا محمد اترك ذلك المنهج من الكلام واعد الى منهج آخر
يشهد كل عقل سليم وطبع مستقيم انه كلام مبنى على الانصاف وترك الجدال وقل يا أهل الكتاب أي
يا معشر النصارى (تعالوا الى كلمسوا بيننا وبينكم) أي هلموا الى كلمة فيها انصاف من بعضنا لبعض
لا ميل فيه لاحد على صاحبه وقيل نزلت في حق يهود المدينة وقيل نزلت في شأن الفريقين وذلك لما قدم
وفد نجران المدينة والتقوا مع اليهود واختصموا في دين ابراهيم فرمعت النصارى انه كان نصرا ثانيا وأنهم

على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهود يافوخن على دينه وأولى الناس به فقال النبي صلى
 الله عليه وسلم كلا الفريقين بري من إبراهيم ودينه بل كان إبراهيم حنيفاً مسلماً وأنا على دينه فاتبعوا
 دينه الأسلام فقالت اليهود يا محمد ماتريد الأنا نتخذك رباً كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى
 يا محمد ماتريد الأنا نقول فيك ما قالت اليهود في عزيز فأنزل الله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
 سواء بيننا وبينكم أي يا معشر اليهود والنصارى هلموا إلى قصة عاد لمة مستقيمة بيننا وبينكم لا يختلف
 فيها الرسل والكتب فإذا آمننا نحن وأنتم بها كنا على سواء والاستقامة ثم فسر الكلمة بقوله (أن لا نعبد
 إلا الله) أي أن نوحده بالعبادة ونحضره بها (ولا نشرك به شيئاً) أي ولا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق
 العبادة ولا نعتقد أهلاً إلا لا نعبد (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) أي لا يطيع أحد منا
 أحداً من الرؤساء في معصية الله تعالى وفيما أحدثوا من التحريم والتحليل ولا نقول عزيز بن الله ولا المسيح
 ابن الله لأنهم باشرنا مثلنا (فان قولوا) أي أبوا إلا الأصرار على الشرك (فقلوا والشهدوا بأننا مسلمون)
 أي فأظهر أنت والمؤمنون بأنكم على هذا الدين وقولوا اعترفوا بأننا مقرون بالتوحيد والعبادة لله تعالى
 دونكم فقد لزمتمكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا بذلك وبأنكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت
 عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام (يا أهل الكتاب) أي يا معشر اليهود والنصارى (لم تحتاجون في
 إبراهيم) أي لم تحتاجون في دين إبراهيم ولم تدعون أن إبراهيم عليه السلام كان منكم (وما أنزلت
 التوراة) على موسى (والإنجيل) على عيسى (الأمم بعده) أي من بعد إبراهيم بزمان طويل إذ
 كان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وبعد نزول التوراة حدثت اليهودية
 وبعد نزول الإنجيل حدثت النصرانية (أفلاتعقلون) أي أتدعون أن إبراهيم منكم فلا تعقلون
 بطلان ادعائكم (ها أنتم هؤلاء حاجبتم) أي ها أنتم هؤلاء اليهود والنصارى خاضعتم (فيما لم يكن
 به علم) في كتابكم أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً وان محمداني مرسل وهو موجود في كتابكم
 بنعتهم فأنكرتم ذلك (فلم تحتاجون في ما ليس لكم به علم) في كتابكم لأنه ليس لدين إبراهيم ذكر
 في كتابكم أصلاً ولم تدعون أن شريعة إبراهيم مخالفة لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم (والله يعلم) كيف
 كانت حال هذه الشرائع في المخالفة والموافقة (وأنتم لاتعلمون) كيفية تلك الأحوال ثم بين الله تعالى
 ذلك مفصلاً وكذبهم فيما ادعوه من موافقة إبراهيم لما فقال (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) أي ليس
 إبراهيم على دين اليهود ولا على دين النصارى (ولكن كان حنيفاً) أي ما ثلأعن الأديان الباطلة كلها
 (مسلماً) أي على ملة التوحيد لا على ملة الأسلام الحادثة (وما كان من المشركين) وهذا تعريض بكون
 اليهود والنصارى مشركين بقولهم عزيز بن الله والمسيح بن الله ورد على المشركين في ادعائهم أنهم على ملة
 إبراهيم عليه السلام (أن أولى الناس بإبراهيم) أي أن أقرب الناس إلى دين إبراهيم وأخصهم به (للمؤمنين
 أتبعوه) في زمانه (وهذا النبي) محمد (والذين آمنوا) بمحمد وفهم الذين يليق أن يقولوا ونحن على دينه لأن
 غالب شرع محمد موافق لشرع إبراهيم أي أن حق الناس بدين إبراهيم فريقتان أحدهما من أتبعه من أمته
 وثانيهما النبي وسائر المؤمنين من أصحابه صلى الله عليه وسلم (والله ولي المؤمنين) أي ناصرهم وحافظهم
 ومكرهم ثم ذكر دعوة كعب بن الأشرف وأصحابه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ وحذيفة
 وعمار بعد يوم أحد إلى دينهم اليهودية عن دين الأسلام فقال (ودت طائفة) أي غمخت (من أهل
 الكتاب لو يضلونكم) أي أن يضلونكم عن دينكم الأسلام (وما يضلون) عن دين الله (إلا أنفسهم) لأن

المؤمنون لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم يتنهيهم اضلال المؤمنين وهم صاروا خائنين حيث اعتقدوا
 شيئا ولا ح لهم أن الامر بخلاف ما تصوروه (وما يشعرون) ١ هذا نصرهم لان العذاب يضاعف لهم
 بسبب ضلالهم وتغنى اضلال المسلمين (يا أهل الكتاب لما تكفرون بالآيات الله) وهي الواردة في التوراة
 والانجيل من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والاخبار بأن الدين هو الاسلام وبأن ابراهيم كان حنيفا
 مسلما (وأنتم تشهدون) معتمدا اذا خلا بعضكم مع بعض وتنكرون اشتغال التوراة والانجيل على
 الآيات الدالة على نبوة محمد عند حضور عوامكم وعند حضور المسلمين أو المعنى لم تكفرون بالقرآن فانكم
 تنكرون عند العوام كونه مجهزا وأنتم تشهدون بقلوبكم وعقولكم كونه مجهزا (يا أهل الكتاب لم
 تلبسون الحق بالباطل) أي لما تخططون المنزل من التوراة بالمحرف من عندكم كما نقل عن الحسن وابن
 زين أو لم تشككون للناس بانظهار الاسلام بالتواضع أول النهار ثم الرجوع عنه في آخر النهار كما نقل عن
 ابن عباس وقتادة وقرئ تلبسون بتشديد الباء وقرأ يحيى بن وثان يلبسون بفتح الياء أي تكتمون الحق
 مع الباطل (وتكتمون الحق) أي الآيات الموجودة في التوراة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
 (وأنتم تعلمون) انكم انما تفعلون ذلك عناد وحسد وتعلمون أن عقاب من يفعل مثل هذه الافعال عظيم
 أي أنتم أرباب العلم والمعرفة (وقالت طائفة من أهل الكتاب) هم اثنا عشر حبراً من أحبار يهود خيبر
 لسفلتهم منهم عبد الله بن الصيف وعدى بن زيد والحريث وكعب وأصحابه من الرؤسا (آمنوا بالذي أنزل
 على الذين آمنوا) بمحمد أي آمنوا ببعض القرآن أي بالقبلة التي صلى اليها محمد وأصحابه (وجه النهار)
 أي أوله وهو صلاة الفجر (واكفروا) بالقبلة الاخرى التي صلوا اليها (آخره) صلاة الظهر فانه صلى
 الله عليه وسلم كان يصلي الى بيت المقدس بعد ان قدم المدينة ففرح اليهود بذلك وطمعوا أن يكون منهم
 فلما حوله الله تعالى الى الكعبة عند صلاة الظهر شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف ومالك بن
 الصيف لأصحابهما آمنوا بالذي أنزل على محمد في شأن القبلة وصلوا اليها أول النهار ثم ارجعوا الى قبلكم
 وصلوا الى الحضرة آخر النهار (لعلهم) أي أصحابه العوام (يرجعون) عن دينه وقبلته (ولا تؤمنوا الا لمن تبس
 دينكم) أي ولا تأتوا بذلك الايمان الا لاجل من تبس دينكم فان مقصود كل واحد حفظ أتباعه على
 متابعتهم أي غرضهم بالاثبات بذلك التلبس بقاء أتباعهم على دينهم أو المعنى لا تصدقوا بالنبوة الا من
 وافق دينكم اليهود يوقف قبلكم بيت المقدس فأما من جاء بتغيير شيء من أحكام التوراة فلا تصدقوه
 (قل ان الهدى هدى الله) أي ان الدين دين الله وهو الاسلام والقبلة قبلة الله هي الكعبة (أن يؤتى
 أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) وهذا من جملة كلام الله تعالى فلا تنكروا يا معشر اليهود أن
 يعطى أحد سواكم من الدين والقبلة مثل ما أعطيتهم أو ان يحاجج المسلمون اياكم بذلك عند ربكم ان لم
 تقبلوا ذلك منهم وقرأ ابن كثير أن يؤتى بهم مرتين مع قصر الاولى وتسهيل الثانية على الاستفهام الذي
 للانكار والتوبيخ والمعنى آمن أجل أن يؤتى أحد شرائع مثل ما أوتيتم من الشرائع ينكرون اتباعه
 وهذا الوجه مروى عن مجاهد وعيسى بن عمر وغاية ما في هذا الباب انه يقتضي هذا التأويل الى
 انه ما راد الانكار لان عليه دليلا وهو قوله تعالى ان الهدى هدى الله فانه لما كان الهدى هدى الله
 كان له تعالى أن يؤتیه من يشاء من عباده ومتى كان الامر كذلك لم ترك الانكار (قل ان الفضل)
 بالرسالة والنبوة والاسلام وقبله ابراهيم (بيد الله) فانه مالك له (يؤتیه من يشاء) أي يعطيه محمداً
 وأصحابه والله تعالى حكى عن اليهود أمرين أحدهما أنهم آمنوا بوجه النهار وكفروا آخره ليصير ذلك

شبهة للمسلمين في صحة الاسلام فأجاب الله عن ذلك بقوله قل ان الهدى هدى الله أى ان مع كل هداية الله وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة الركيكة قوة ولا أثر وثانيهم ما انهم استنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أتوا من الكتاب والحكم والنبوة فأجاب الله عن ذلك بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (والله واسع) أى كامل القدرة فيقدر أن يتفضل على أى عبد شاء بأى تفضل شاء (عليم) أى كامل العلم فلا يكون شئ من أفعاله الاعلى وجه الحكمة والصواب (يختص برحمته) التى بلغت فى الشرف وعلا المرتبة الى أن تكون أعلى وأجل من أن تقاس من النبوة والرسالة والدين (من يشاء) محمدا وأصحابه (والله ذو الفضل العظيم) فلانهاية لمراتب اعزاز الله واكرامه لعباده (ومن أهل الكتاب) أى اليهود (من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك) بغير تعب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) بل يستحله (الامادمت عليه قائما) أى مطالبا لمخاضها كسكع بن الاشرف وأصحابه قال ابن عباس أودع رجل قرشي عبد الله بن سلام ألفا ومائتي أوقية من ذهب فأداه اليه وأودع قرشي آخر فخاص بن طاز رواه نخاعه فنزلت هذه الآية ﴿تنبيه﴾ معنى الباء الصاق الامانة كما أن معنى على فى قولك أمنت على كذا استعلاء الامانة فن اتحن على شئ فقد صار ذلك الشئ فى معنى الملتصق به وصار المودع كالمستعلى على تلك الامانة (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل) أى ذلك الاستحلال والحياة مستحق بسبب انهم يقولون ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل أى قدرة على المطالبة والالزام فانهم قالوا نحن أبناء الله وأحباءه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا أكلنا أموال عبيدنا أو المعنى ليس علينا فى أخذ أموال العرب سبيل أى انهم قالوا أموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم فى كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم فى دينهم (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أى انهم قالوا ان جواز الحياة مع المخالف مذموم كورق التوراة وكانوا كاذبين فى ذلك وعالمين بكونهم كاذبين فيه ومن كان كذلك كانت خيائته أعظم وجرمه أخش (بلى) على اليهود فى العرب سبيل وهـ ذارد على اليهود ولكن (من أوفى بعهد) فيها بينه وبين الله أو بينه وبين الناس (واتقى) عن نقض العهد بالحياة وترك الامانة (فان الله يحب المتقين) وهذه الآية دالة على تعظيم أمر الوفاء بالعهد وذلك لان الطاعات محصورة فى أمرين التعظيم لاسرائيل والشفقة على خلق الله فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معا لان ذلك سبب لمنفعة الخلق فهو شفقة على خلق الله وذلك أمر خلق الله فالوفاء بالعهد تعظيم لامر الله ثم الوفاء كما يكون فى حق الغير يكون فى حق النفس فالوفاء بعهد النفس هو الاتقى بالطاعات والتارك للصغريات (ان الذين يشرون بعهد الله) أى من جميع ما أمر الله به وعما يلزم الشخص نفسه (وأيما منهم) وهى الحلف التى يؤكدها الانسان خبره من وعد أو وعيد أو انكسر أو انبأت (ثمنا قليلا) من الدنيا (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات القبيحة (لا خلاق) أى لانصيب (لهم فى) خير (الآخرة) ونعيمها (ولا يكلمهم الله) أى يشتد غضب الله عليهم (ولا ينظر اليهم) بالاحسان والرحمة (يوم القيامة ولا يركبهم) أى لا يطهرهم من دنس ذنوبهم بالمغفرة (ولهم عذاب أليم) أى وجيع يخلص وجهه الى قلوبهم تزلت هذه الآية فى حق عبدان بن الاشوع وامرئ القيس اختصا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض فتوجهت اليه على امرئ القيس فقال انظرنى الى الغد ثم جاء فى الغد وأقرله بالارض وقيل تزلت فى شأن الاشعث بن قيس كان بينه وبين رجل خصومة فى أرض وبثرا اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للرجل أقم بينك فقال ليس لى بينة فقال

للاشعث عليلك بالعين فهم الاشعث بالعين فأنزل الله تعالى هذه الآية فنسكل الاشعث عن العين ورد
 الارض الى الخصم واعترف بالحق وهذا قول ابن جرير وقيل نزلت في شأن كعب بن الاشرف ويحيى بن
 أخطب وأبي رافع وابابة بن أبي الحقيق بدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وأخذوا الرشوة
 على ذلك وحلفوا بأنه من عند الله لئلا يفوتهم الرشاء كما قاله عكرمة أو كتبوا بأيديهم كتابا في ادعائهم أنه
 ليس علينا في الاميين سبيل وحلفوا أنه من عند الله كما قاله الحسن وهذه الآية دلت على انها نزلت في
 اقوام حلفوا بالايمان الكاذبة فتحمل على جميع الروايات (وان منهم) أي من اليهود (لفريقا يلوون
 الستهم بالكتاب) أي طائفة يحرفون اللفظة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة
 حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ويحيى بن أخطب وأبي
 يامر وشعبة بن هير (لتحسبوه) وقرئ شاذة بالياء (من الكتاب) أي لكي يظن السفلة أو
 المسلمون ان المحرف من التوراة (وما هو من الكتاب) أي والحال ان المحرف ليس من التوراة في نفس
 الامر وفي اعتقادهم (ويقولون هو) أي المحرف (من عند الله) أي موجود في كتب سائر
 الانبياء مثل اشعيا وأرخيا وحيفوف (وما هو من عند الله) فالانصار الجاهلون بالتوراة نسبوا ذلك
 المحرف الى انه من التوراة والاذ كما زعموا أنه موجود في كتب سائر الانبياء الذين جاءوا بعد موسى عليهم
 السلام وعلم من هذا التفسير المغيرة بين اللفظين فانه ليس كل ما لم يكن في الكتاب لم يكن من عند الله
 فان الحكم الشرعي قد ثبت تارة بالكتاب وتارة بالسنة وتارة بالاجماع وتارة بالقياس والكل من عند الله
 (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أي يتعمدون ذلك الكذب مع العلم وعن ابن عباس رضي الله
 عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيره والتوراة وكتبوا كتابا بدلو فيه صفة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ثم أخذت قريظة ما كتبوا خلطوه بالكتاب الذي عندهم (ما كان لبشر أن يؤتيه
 الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) أي ما أمكن وما صح لاحد من
 الانبياء كعيسى ومحمد ان يعطيه الله الكتاب أي التوراة أو القرآن والفهم لذلك الكتاب والنبوة ثم يقول
 ذلك البشر المشرف بالصفات الثلاثة للناس كونوا عبادا كائنين لي متجاوزين الله اشرا كأفراد
 قال مقاتل والضحاك نزلت هذه الآية في شأن نصارى فجران حيث يقولون ان عيسى عليه السلام أمرنا
 ان نتخذه ربا وقال ابن عباس لما قالت اليهود عزيز بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله نزلت هذه الآية
 وقال أيضا في مقالاتهم نحن على دين ابراهيم وأمرنا هو بهذا الدين وقال ابن عباس وعطاء ان أبارافع
 القرظي من اليهود ورئيس وفد فجران من النصارى قال لارسل الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك
 وتتخذك ربا فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير الله أو ان نأمر بغير عبادة الله فابذلك بعثني
 الله ولا بذلك أمرني فنزلت هذه الآية وقيل قال رجل يارسل الله نسل عليلك كما يسلم بعضا على بعض
 أفلا نسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم
 واعرفوا الحق لاهله فنزلت هذه الآية (ولكن كونوا ربانيين) أي ولكن يقول ذلك البشر الذي
 رفعه الله الى أعلا المراتب كونوا علماء عاملين (بما كنتم تعلمون الكتاب) قرأ عبد الله بن كثير وأبو
 عمر ونافع بفتح التاء وسكون العين والباقون بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة أي تعلمون الناس
 من الكتاب (وبما كنتم تدرسون) أي وبسبب كونكم تقرؤون من الكتاب (ولا يأمركم أن تتخذوا
 الملائكة والنبيين أربابا) قرأ عاصم وحزمة وابن عامر يأمركم بفتح الراء والفاعل ضمير يعود على البشر

ولا مزينة لتأكيده معنى النفي أي ما كان لبشر أن يجعله الله نبيا ثم يأمر الناس بعبادة نفسه أو باتخاذ
 الملائكة والنبين أو يا باو قرأ الباقون برفع الراء على سبيل الاستئناف كما يدل على ذلك ما روى عن
 ابن مسعود أنه قرأ أولن يأمركم والفاعل حينئذ ضمير يعود على الله كما قاله الزجاج وإلى محمد كما قاله ابن
 جريج أو إلى عيسى أو إلى كل نبي من الأنبياء كما قيل بكل أي ولا يأمركم يا معشر قريش واليهود
 والنصارى بأن تتخذوا الملائكة والنبين أو يا با كما اتخذت الصائبة وقريش الملائكة واليهود عزيرا
 والنصارى المسيح (أي يأمركم بالكفر) أي كيف أمركم ذلك البشر والله تعالى بالكفر (بعداذ
 أنتم مسلمون) وهذا استغفام إنكارى وهو خطاب للمؤمنين على طريق التعجب من حال غيرهم ويقال
 بعداذ أمركم بالاسلام (واذا أخذ الله ميثاق النبیین لما آتيتكم من كتاب وحكمة) أي أعطيناكم
 قرآننا فآتيناكم بالنون على التثنية (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) وقرأ
 الجمهور لما بفتح اللام وقرأ حمزة بكسر اللام وقرأ سعيد بن جبیر لما مشددة أما القراءة بالفتح فلما وجهان
 ما هو اسم موصول مرفوع بالابتداء وخبره قوله لتؤمنن به وأما هو متضمن لمعنى الشرط فاللام في قوله
 لتؤمنن به هي المتلقة للقسم أما اللام في ما هي لام تحذف تارة وتذكر أخرى ولا يتفاوت المعنى وهذا
 اختيار سيبويه والمجازي والزجاج وقال أبو السعود واللام في لما موطئة للقسم لان أخذ الميثاق بمعنى
 الاستخلاف وما تحتل الشرطية ولتؤمنن سادس وجواب القسم والشرط وتحتل الخبرية وأما القراءة
 بكسر اللام فلانها للتعليل وما أمامصدرية أو موصول وأما قراءة لما بالتشديد فاما هي بمعنى حين أولن أجل
 ما على ان أصله لمن ما وأما معنى واذا أخذ الله فقال ابن جرير الطبري واذا كروا يا أهل الكتاب اذا أخذ الله
 ميثاق النبیین وقال الزجاج واذا كرى محمد في القرآن اذا أخذ الله ميثاق النبیین والمقصود بهذه الآية
 ان الله تعالى أخذ الميثاق من النبیین خاصة قبل ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده ان يصدق
 بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء وينصره ان أدركه وان لم يدركه
 ان يأمر قومه بنصرته ان أدركوه فأخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد
 صلى الله عليه وسلم وهذا قول سعيد بن جبیر والحسن وطاوس وقيل انما أخذ الله الميثاق من النبیین في
 أمر محمد صلى الله عليه وسلم بان يبين بعضهم لبعض صفة محمد وفضله وهو قول علي وابن عباس وقتادة
 والسدي وقال علي بن أبي طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في أمر محمد صلى الله
 عليه وسلم وأخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولتنبعث وهم احياء لينصرنه وقيل ان المراد من الآية
 ان الأنبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق على أنهم بانهم اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم يؤمنون به
 وينصرونه وهذا قول كثير من المفسرين والمراد من قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم هو محمد صلى
 الله عليه وسلم والمراد بكونه مصدقا لما معكم هو ان كيفية أحواله مذكورة في التوراة والانجيل فلما ظهر
 على أحوال مطابقة لما كان مذكورا في تلك الكتب كان نفس مجيئه تصديقا لما كان معهم (قال) الله
 تعالى لهم (أأقررتكم) بالايان به والنصرة له (وأخذتم على ذلكم اصري) أي قبلتم على ما قلت
 عهدى (قالوا) أي النبیین (أقررنا) بذلك (قال) الله تعالى (فالشهداء وأما معكم من
 الشاهدين) أي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وأنا على اقراركم واشهاد بعضكم بعضا من
 الشاهدين (فمن تولي بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون) أي من أعرض عن الايمان بهذا الرسول
 وبنصرته بعد ما تقدم من هذه الدلائل كان من الخارجين عن الايمان (أفغير دين الله يبغون وله

أسلم من في السموات والارض طوطا وكرها واليهير جعون) والوجه في هذه الآية ان هذا الميثاق لما
كان مذكورا في كتبهم وهم كانوا عارفين بذلك فقد كانوا طامنين بصدق محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة
فلم يبق لكفرهم سبب الا مجرد العداوة والحسد فصاروا كالبليس الذي دعاه الحسد الى الكفر فأعلمهم الله
انهم متى كانوا كذلك كانوا طاملين ديننا غير دين الله ومعبود اسوى الله تعالى ثم بين ان الاعراض عن حكم
الله تعالى عما لا يليق بالعقل فقال وله أسلم من في السموات والارض أى لجلال الله تعالى لا لغيره انقاد في
طريق وجوده وعدمه لان كل ما سوى الله ممكن لذاته وكل ممكن لذاته لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا
باعدائه سواء كان عقلا ونفسا أو روحا أو جسما أو جوهر أو عرضا أو فاعلا أو فعلا ونظير هذه الآية
في الدلالة على هذا المعنى قوله تعالى والله يسجد من في السموات والارض فالمسلمون الصالحون ينقادون لله
طوعا فيما يتعلق بالدين وينقادون له كرها فيما يخالف طباعهم من الفقر والمرض والموت وما أشبه ذلك
أما الكافرون فهم منقادون لله تعالى كرها على كل حال لانهم لا ينقادون فيما يتعلق بالدين ويخضعون
له تعالى في غير ذلك كرها لانه لا يمكنهم دفع قضائه تعالى وقدره وأيضا كل الخلق منقادون لأهيمته تعالى
طوعا بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ومنقادون لتكاليفه تعالى
وايجاده للآلام كرها ثم الهمة للاستفهام التوبيخي وموضعها اللفظة يبعثون والتقدير أي يبعثون غير دين الله
لان الاستفهام انما يكون عن الافعال الحوادث وقرأ حفص عن عاصم يبعثون ويرجعون بالياء على
الغيبة فيهما أي انما ذكر الله تعالى حكاية اخذ الميثاق حتى يبين ان اليهود والنصارى يلزمهم الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما أصرروا على كفرهم قال تعالى على جهة الاستنكار أغير دين الله يبعثون
وقرأ أبو عمر وتبعثون بالتاء خطا باليهود وغيرهم من الكفار ويرجعون بالياء ليرجع الى جميع التكليفين
المذكورين في قوله تعالى وله أسلم من السموات والارض وقرأ الباقر بالتاء على الخطاب فيهما لان ما قبلهما
خطاب كقوله تعالى أقرتم وأخذتم وأيضا فلا يبعد أن يقال للسلم والكافر أغير دين الله تبعثون مع علمكم
بانه أسلم له تعالى من في السموات والارض وان مرجعكم اليه وهو كقوله تعالى وكيف تكفرون وأنتم تتلى
عليكم آيات الله وفيكم رسوله ولما ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة أنه انما أخذ الميثاق على الانبياء في
تصديق الرسول الذي يأتي مصدقا لما معهم بين الله تعالى من صفة محمد صلى الله عليه وسلم كونه مصدقا لما
معهم فقال (قل آمن بالله وما أنزل علينا) وهو القرآن (وما أنزل على ابراهيم واسماعيل والمحق ويعقوب
والاسباط) من العصف والمراد بالاسباط احفاد يعقوب وأبناءؤه الاثنا عشر (وما أوتى موسى وعيسى) من
التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بأيديهما (والنبيون من ربهم) من الكتب والمعجزات (لان فرق
بين أحد منهم) أي نقر بأنهم كانوا باسرها على دين واحد في الدعوة الى الله وفي الانقياد لتكاليف
الله ولأن كفر أحد منهم كإفعل اليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) أي مسلمون لامر الله بالرضا وترك
المخالفة لا لسمعة رديا وطلب مال وتلك صفة المؤمنين بالله والكافرون يوصفون بالمخاربة لله ولما قال
تعالى ونحن له مسلمون بين أن الدين ليس الا الاسلام فقال (ومن يبتغ غير الاسلام) أي غير التوحيد
والانقياد لحكم الله (دينا فلم يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) بحرمان الثواب وحصول العقاب
ولحق التأسف على ما فات في الدنيا من العمل الصالح وعلى ما تحمله من التعب في الدنيا في تقرير الدين
الباطل ولفظ ديننا مفعول وغير الاسلام حال منه مقدم عليه أو محمّل أو بدل من غير (كيف يهدي الله
قوما كفرُوا) أي كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر (بعد ايمانهم)

بالقلب (وشهدوا) أى والحال هم قد أقروا باللسان (أن الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (حق وجاءهم البينات) أى الطبع الظاهرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) أى الكافرين الأصليين والمرتين وهذه الآية نزلت في شأن الذين ارتدوا ولحقوا بجمعة وهم اثنا عشر رجلاً منهم أبو عامر الراهب والحارث بن سويد بن الصامت ووضوح بن الأسلت وطعيمة بن يبرق كما أخرجه عكرمة وابن العساکر (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) فإن لعنة الله هي الأبعاد من الجنة ونزال العقوبة واللعنة من الملائكة والناس هي بالقول وكل ذلك مستحق لهم بسبب كفرهم فصلح أن يكون جزاء ذلك وجميع الخلق يلعنون المبطل والكافر ولا يمكنه يعتق في نفسه أنه ليس ببطل ولا بكافر فإذا لعن الكافر وهو في علم الله كافر فقد لعن نفسه وإن كان لا يعلم ذلك (خالد بن قيس) أى اللعنة فلا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون ومن معهم في النار فلا يخلو شيء من أحوالهم من أن يلعنهم لا عن من هؤلاء (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أى لا يؤخر عذابهم من وقت إلى وقت (إن الذين تابوا) من الكفر (من بعد ذلك) أى الارتداد (وأصلحوا) باطنهم وظاهرهم بالعمل الصالح (فإن الله غفور) لقباً لهم في الدنيا بالستر (رحيم) في الآخرة بالغفر نزلت هذه الآية في شأن الحارث بن سويد وهو رجل من الانصار فإنه لما لحق مكة مرتد اندم على ردة فأرسل إلى قومه بالمدينة أن يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فأنزل الله هذه الآية فبعث بها إليه أخوه الجلاس مع رجل من قومه فأقبل إلى المدينة رتاب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل الرسول توبته وحسن إسلامه (إن الذين كفروا) بالله (بعد إيمانهم) بالله (ثم ازدادوا كفراً) أى ثم أضروا على الكفر (لن تقبل توبتهم) ما أقاموا على ذلك قال القاضي والفعال وابن الأنباري لما قدم الله تعالى ذكر من كفر بعد الإيمان وبين أنه أهل للعنة إلا أن يتوب ذكر في هذه الآية أنه لو كفر مرة أخرى بعد تلك التوبة فإنها تصير غير مقبولة وكأنهم لم تكن والتقدير إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحو فإن الله غفور رحيم فإن كانوا كذلك ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم (وأولئك هم الضالون) على سبيل الكمال عن الهدى (إن الذين كفروا) بالله والرسول (وماتوا وهم كفار) بالله والرسول (فلن يقبل من أحدهم مل الأرض) أى مقدار ما علوا الأرض مشرقها ومغربها (ذهباً ولو اقتدى به) قال الزجاج إن الواو للعطف والتقدير لو تقرب إلى الله في الدنيا بمل الأرض ذهباً لم ينفعه ذلك مع كفره ولو اقتدى من العذاب في الآخرة بمل الأرض ذهباً لم يقبل منه أو المراد بالواو التعميم في الأحوال كأنه قيل لن يقبل من الكافر في جميع الأحوال في الآخرة ولو في حال اقتدائه بنفسه في الآخرة (أولئك لهم عذاب أليم) وبالهم من ناصرين) في دفع العذاب عنهم أو في تخفيفه (لن تنالوا البر) أى الثواب والجنة أولن تبلغوا إلى التوكل والتقوى (حتى تنفقوا عما تحبون) من أموالكم وعملكم وجاهكم في معاونة الناس وبدنكم في طاعة الله ومهجة تكم في سبيله (وماتوا تنفقوا من شيء) تريدون به وجه الله أو مدحة الناس (فإن الله به عليم) هذا تعليل للجواب المحذوف أى فيجازيكم بحسبه جيداً كان أو ردياً فإنه تعالى عالم بكل شيء تنفقونه من ذاته وصفاته علماً كاملاً بحيث لا يخفى عليه شيء (كل الطعام) أى كل طعام حلال على محمد وأمته (كان حلالاً لبني إسرائيل) أى كان حلالاً كله على أولاد يعقوب (إلا ما حرم إسرائيل) أى يعقوب (على نفسه) بالنذر (من قبل أن تنزل التوراة) على موسى وذلك بعد إبراهيم بألف سنة * روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن يعقوب مرض مرضاً شديداً

شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرم من أحب الطعام والشراب عليه وكان أحب الطعام اليه لحوم الابل
وأحب الشراب اليه ألبانها قال الأصم لعل نفسه كانت مائلة إلى أكل تلك الأنواع فامتنع من أكلها قهرا
لنفسه وطلبها لمرضاة الله تعالى كما يفعله كثير من الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وروى ان
اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك تدعي انك على ملّة ابراهيم فكيف تأكل لحوم الابل وألبانها مع
ان ذلك حرام في دين ابراهيم فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بأن قال ان ذلك كان حلالا لابراهيم واسماعيل
واسحق ويعقوب عليهم السلام الا أن يعقوب حرّمه على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في
أولاده أي فالحرمة عليهم من ناشئة من نذره أيضا فأذكر اليهود ذلك فأمرهم الرسول عليه السلام باحضار
التوراة وباستخراج آية منها تدل على ان لحوم الابل وألبانها كانت محرمة على ابراهيم عليه السلام
فحجزوا عن ذلك فظهر انهم كانوا كاذبين في ادعاء حرمة هذه الاشياء على ابراهيم عليه السلام كما قال تعالى
(قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) في دعواكم بأن التحريم قديم قال تعالى (فمن افترى أي
اختلف (على الله الكذب) يادعاه انه تعالى حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل وعلى من
قبلهم من الامم (من بعد ذلك) أي من بعد ظهور الحجّة بأن التحريم انما كان من جهة يعقوب لا على
عهد ابراهيم (فأولئك) المصرون على الاقرار بعد ما ظهرت حقيقة الحال (هم الظالمون) المستحقون
لعذاب الله (قل صدق الله) في أن سائر الاطعمة كانت محللة لبني اسرائيل وانما حرمت على اليهود
جزاء على قبائح أفعالهم (فاتبعوا ملّة ابراهيم) أي ملّة الاسلام التي هي في الاصل ملّة ابراهيم لانها ملّة
محمد صلى الله عليه وسلم (حنيفا) أي ما دلا عن الاديان الراضقة كلها (وما كان من المشركين) في أمر
من أمور دينه فإنه لم يدع مع الله الها آخر ولم يعبد سواه كما فعله العرب من عبادة الاوثان أو كما فعله اليهود
في ادعاء ان عزير ابن الله وكما فعله النصارى في ادعاء ان المسيح ابن الله * ولما حول صلى الله عليه وسلم
القبلة الى الكعبة طعن اليهود في نبوته وقالوا ان بيت المقدس أفضل من الكعبة وأحق بالاستقبال لانه
وضع قبل الكعبة وتحويل القبلة منه الى الكعبة باطل فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (ان
أول بيت وضع للناس للذي ببكة) أي ان أول بيت بني لعبادات الناس للبيت الذي هو ببكة سميت
مكة ببكة لانه يبسك بعضهم بعضا أي يزدحجون في الطواف روى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن
أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة أي ان
آدم بنى الكعبة ثم بنى الاقصى وبين بنائهما أربعون سنة (مباركا) أي ذا بركة مما يجلب
المغفرة والرحمة (وهدى للعالمين) أي قبلة لكل نبي ورسول وصديق ومؤمن يهتدون بذلك البيت
الى جهة صلاتهم وذلك لان تكليف الصلاة كان لازما في دين جميع الانبياء عليهم السلام بدليل قوله
تعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وعن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم
واسرائيل وعن هدينا واجتبيينا اذ اتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فدلّت الآية على ان جميع
الانبياء عليهم السلام كانوا يسجدون لله والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلة شيث وادريس ونوح
عليهم السلام موضعا آخر سوى الكعبة لبطل قوله تعالى ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة فوجب أن
يقال ان قبلة أولئك الانبياء المنة دمين هي الكعبة فدل هذا على ان هذه الجهة كانت أبدا مشرفة مكرمة
(فيه آيات بينات) أي علامات واضحة كالانحراف الطيور عن موازاة البيت فلا تعلوا فوقه بل اذا قابل
هواء وهو في الجوا انحرف عنه يمينا أو شمالا ولا يستطيع أن يقطع هواء الا اذا حصل له مرض فيدخل

هواه للتداوى ومخالطة ضواى السباع الصيد فى الحرم من غير تعرض لها واهلاك أصحاب الفيل لما
 قصدوا تخريبه (مقام ابراهيم) وفيه دلالة على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم لان تأثير قدميه فى الصخرة
 الصماء وغوصهما فيها الى الكعبين والانه بعض الحضرة دون بعض وابقاء ألاف سنة معجزة عظيمة
 (ومن دخله) أى الحرم (كان آمنا) أى ان من دخله للنسك تقرب الى الله تعالى كان آمنا من النار يوم القيامة
 وان الله أودع فى قلوب الخلق الشفقة على كل من التجأ اليه (ولله على الناس حج البيت) أى قصده للزيارة
 على وجه مخصوص (من استطاع اليه) أى حج البيت (سيلا) أى بلا غاب وجود الزاد والراحة والنفقة
 للعيال الى الرجوع (ومن كفر) أى بحمد فرض الحج (فان الله غنى عن العالمين) أى عن ايمانهم ووجههم قال
 الضمك لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان الستة المسلمين والنصارى
 واليهود والصابئين والمجوس والمشركين لخطيبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمن به
 المسلمون وكفرت به الملل الخمس وقالوا لا نؤمن به ولا نصلى اليه ولا نضعه فانزل الله تعالى قوله ومن كفر
 فان الله غنى عن العالمين أى ومن ترك اعتقاد وجوب الحج فان الله غنى عنه (قل يا أهل الكتاب) أى
 اليهود والنصارى (لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) أى لم تكفرون بآيات الله
 التى دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره والحال ان الله شهيد على
 أعمالكم ومجازيكم عليها وهذه الحال توجب أن لا تجترؤا على الكفر بآياته (قل يا أهل الكتاب لم
 تصدقون عن سبيل الله من آمن) أى لم تصدقون عن دينه الحق الموصول الى السعادة الابدية وهو ملة
 الاسلام من آمن بالله ومحمد وبالقرآن باضلالكم لضعة المسلمين (تبغونها عوجا) أى تطلبون للسبيل
 زيفا لانكم قلتم النسخ يدل على البدء وقولكم ورد فى التوراة ان شريعة موسى باقية الى الابد (وأنتم
 شهداء) ان فى التوراة ان دين الله هو الاسلام لا يقبل غيره (وما الله بغافل عما تعملون) فانهم كانوا
 يظهر الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما كانوا يظهر القاء الشبه فى قلوب المسلمين بل كانوا
 يحتالون فى ذلك بوجوه الخيل نزلت هذه الآية فى الذين دعوا اعمارا وأصحابه الى دينهم اليهودية (يا أيها
 الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) هم شاس بن قيس وعمر بن شاس وأوس بن
 قبطى وجبار بن صخر (يردوكم) أى يصيروكم (بعدا عما أنكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى
 عليكم آيات الله وفيكم رسوله) أى كيف يوجد منكم الكفر والحال أن القرآن الذى فيه بيان الحق
 من الباطل يتلى عليكم على لسان نبيكم غرضه طرية ومعكم رسول الله الذى يبين الحق ويدفع الشبه روى
 أن شاس بن قيس اليهود كان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد فاتفق أنه مر على نفر
 من الانصار الأوس والخزرج وهم فى مجلس يتحدثون وقد زال ما كان بينهم فى الجاهلية من العداوة ببركة
 الاسلام فشق ذلك على اليهود فجلس اليهم وذكرهم ما كان بينهم من الحروب قبيل ذلك فى بغاث وهو
 موضع فى المدينة وكان يوم بغاث يوما قتل فيه الأوس والخزرج قبيل مبعثه صلى الله عليه وسلم بمائة
 وعشرين سنة وكان الظفر فيه للأوس وقرأ عليهم بعض ما قيل فى تلك الحروب من الاشعار فتنازع القوم
 وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فوصل الخبر الى النبي صلى الله عليه
 وسلم فخرج اليهم فيمن معهم المهاجرين والانصار وقال أترجعون الى أحوال الجاهلية وأنابن أظهركم
 وقد أكرمكم الله بالاسلام وألف بين قلوبكم فعرف القوم ان ذلك كان من عمل الشيطان ومن كيد ذلك
 اليهود فالتقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم أقيم

أولاً وأحسن آخر من ذلك اليوم قال الامام الواحدى اصطفوا للقتال فنزلت الآية الى قوله تعالى لعلمكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصنفين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت النبي صلى الله عليه وسلم أنصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً وجعلوا يبكون (ومن يعتصم بالله) أى من يستمسك بكتاب الله وهو القرآن (فقد هدى) أى فقد حصل له الهدى (الى صراط مستقيم) أى الى طريق موصل الى المطلوب قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى حق معاذ وأصحابه ثم نزل فى أوس وخزرج لخصومة كانت بينهم فى الاسلام افتخروا فيهم ثعلبة بن غنم وأسعد بن زرارة بالقتل والغارة فى الجاهلية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) أى كما يجب ان يتقى وهو استغراق الوسع فى القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما فى قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ويقال أطيعوا الله كما ينبغى (ولا تعوتن الا وأنتم مسلمون) لفظ النهى واقع على الموت والمقصود الامر بالاقامة على الاسلام أى ودوموا على الاسلام الى الموت وذلك لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا أتاهم الموت وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل فى وسعهم (واعتصموا بحبل الله) أى بدينه وهو دين الاسلام أو بكتابه وهو القرآن (جميعاً) أى مجتمعين فى الاعتصام لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم (ولا تفرقوا) عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم لان الحق لا يكون الا واحداً وما عداه يكون ضلالاً (واذكروا نعمة الله عليكم) نعمة دنيوية وآخرية (اذ كنتم) فى الجاهلية (أعداء) يبغض بعضكم بعضاً ويحارب بعضكم بعضاً فألف بين قلوبكم أى قذف الله فيها المحبة بتوفيقكم للاسلام (فأصبحتم بنعمته) أى فصرتم بدينه الاسلام (أخواناً) فى الدين (وكنتم على شفا حفرة من النار) أى على طرفها أى وكنتم قريبين من الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها فليس بين الحياة والموت المستلزم للوقوع فى الحفرة الا ما بين طرف الشئ الذى هو مثل الحياة وبين ذلك الشئ الذى هو مثل الموت (فأنقذكم منها) أى فأنجباكم من تلك الحفرة بأن هداكم للاسلام (كذلك) أى مثل البيان المذكور (يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) أى لكي تهتدوا من الضلالة (ولتكن منكم أمة) أى وتوجد منكم جماعة يقتدى بها فرق الناس (يدعون) الناس (الى الخير) فأفضل الدعوة هى دعوة الى اثبات ذات الله وصفاته وتقديسه عن مشابهة الممكات (ويأمرون بالمعروف) والامر بالمعروف تابع للأمر به ان كان واجباً فواجب وان كان مندوباً فمندوب (وينهون عن المنكر) فالنهى عن الحرام واجب كله لان تركه واجب وهذه الامور من فروض الكفايات لانها لا تليق الا من العالم بالحال وسياسة الناس حتى لا يوقع الأمور أو المتهى فى زيادة الفجور فان الجاهل ربما دعا الى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف وقد يغلظ فى موضع الدين ويلين فى موضع الغلظة (وأولئك هم المفلحون) أى المختصون بكمال الفلاح روى انه صلى الله عليه وسلم قال من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) أى تفرقوا بالعداوة واختلفوا فى الدين أو تفرقوا بأبداً منهم بأن صار كل واحد من أولئك الاحبار رئيساً فى بلد ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدعى الحق وان صاحبه على الباطل قال الفخر الرازى انك اذا أنصفت علمت ان أكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله العفو والرحمة (من بعد

ما جاءهم البينات) أي الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة (وأولئك)
 الذين تفرقوا (لهم عذاب عظيم) في الآخرة بسبب تفرقهم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) أي يوم
 تظهر بهجة السرور على قوم وسعوا بيباض الوجه والصفيفة واشراق البشرة وسعى النور أمامه ويعينه ويوم
 تظهر كآبة الخوف والحزن على قوم وسعوا بسواد اللون والصفيفة واحاطة الظلمة بهم من كل جانب
 وقرئ تبياض وسواد (فأما الذين اسودت وجوههم) فيلقون في النار وتقول لهم الزبانية (أكفرتم
 بعد ايمانكم) أي بعد ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو الدلائل التي نصيها الله تعالى على التوحيد
 والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج أي أكفرتم يا أهل الكتاب بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بعد
 ايمانكم به قبل مبعثه (فذوقوا العذاب) والامر بذوق العذاب على طريق الالهانة (عما كنتم
 تكفرون) أي بسبب كفركم (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله) أي في جنة الله وعبر عنها
 بالرحمة تنبيه على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى
 وقرئ ابيضت كما قرئ اسودت (هم فيها خالدون) أي لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك) أي
 الآيات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار (آيات الله) أي دلائل الله (تتلوها عليكم بالحق)
 أي بالمعنى الحق أو متلبسة بالعدل من اجزاء المحسن والمسي بما يستوجبانه (وما الله يريد ظلما للعالمين)
 أي ما يريد الله فردا من افراد الظلم لفرد من افراد العالمين في وقت من الاوقات فضلا عن ان يفعله وأما ظلم
 بعضهم بعضا فواقع كثير او كل واقع فهو بارادته تعالى (ولله ما في السموات وما في الارض) ملكا وخلقاً
 احياء وامواتة وانابة وتعذبا (والى الله) أي الى حكمه (ترجع الامور) فيجازى كل منهم (كنتم خير
 أمة اخرجت للناس) أي أظهرت للناس حتى غيرت وعرفت وفصل بينها وبين غيرها (تأمرون بالمعروف)
 أي بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وتنهون عن المنكر) أي عن الشرك ومخالفة الرسول
 (وتؤمنون بالله) ايمانا متعلقا بكل ما يجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وقال قتادة هم
 أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمن نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام فهم خير
 أمة للناس (ولو آمن أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى ايمانا كاملا كما ايمانكم (لكان) أي
 ذلك الايمان (خيرا لهم) فانهم آثروا دينهم على دين الاسلام حبلا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا
 لحصلت لهم هذه الزيادة في الدنيا مع الثواب العظيم في الآخرة فكان ذلك خيرا لهم عما قنعوا به (منهم
 المؤمنون) كعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود والنجاشي ورهطه من النصارى (وأكثرهم
 الفاسقون) في أديانهم فيكونون مردودين عند الطوائف كلهم لان المسلمين لا يقبلونهم لكفرهم
 والكفار لا يقبلونهم لكونهم فاسقين فيما بينهم فلا يسواهم يجب الاقتداء بهم البتة عند أحد من العقلاء
 (لن يضرركم الا أذى) أي لن يضرركم اليهود ضررا البتة الا ضررا يسيرا وهو أذى أي ليس على المسلمين
 من اليهود ضرر وانما منتهى أمرهم أن يؤذوكم باللسان اما بالطعن في محمد وعيسى عليهما السلام واما
 باظهار كلمة الكفر كقولهم عزيز بن الله واما بتحريف نصوص التوراة واما بالقاء الشبه في الامماع واما
 بتخويف الضعفة من المسلمين (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) أي ينهزموا من غير ان يضرركم بقتل
 أو أسر (ثم لا ينصرون) أي ثم أخبركم انهم بعد صيرورتهم من مهزمين لا يحصل لهم شوكة ولا قوة ولا
 يجدون النصرة قط بل يقولون في الذلة أبدا كما قال تعالى (ضربت عليهم الذلة) أي جعلت عليهم الذلة
 بأن يحاربوا ويقتلوا وتغنم أموالهم وتسي ذرارهم وتملك أراضيهم (أيضا تفقوا) أي صودفوا فلا

يقدر أن يقوموا مع المؤمنين الآن يعتصموا (بجبل من الله وجبل من الناس) أي المؤمنين فالأمان
الحاصل للذي قسم أن أحدهما الذي نص الله عليه وهو أخذ الجزية وثانيهما الذي فوض الله إلى رأي
الامام فيزيد فيه تارة وينقص بحسب الاجتهاد فالاول هو المسمى بجبل الله والثاني هو المسمى بجبل
المؤمنين (و باؤا بغضب من الله) أي داموا في غضب الله أو استوجبوا العنة الله (وضربت عليهم
المسكنة) أي جعل عليهم زى الفقر واليهود في غالب الاحوال مساكن تحت أيدي المسلمين والنصارى
(ذلك) أي لزوم الذلة والمسكنة والمكث في اللعنة (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) الناطقة بنبوته محمد صلى
الله عليه وسلم حتى يحرفونها وبسائر الآيات القرآنية (ويقتلون الانبياء بغير حق) أي بلا حرم فان الذين
قتلوا الانبياء أسلافهم وهؤلاء المتأخرون كانوا راضين بفعل أسلافهم فنسب اليهم كما ان التحريف من
أفعال أخبارهم ينسب الى كل من يتبعهم (ذلك) أي الكفر والقتل (بما عصوا) في السبت (و كانوا يعتدون)
أي يتجاوزون حدود الله باستحلال المحارم قال أرباب المعاملات مع الله من ابتلى بترك الآداب ووقع
في ترك السنن ومن ابتلى بترك السنن وقع في ترك الفريضة ومن ابتلى في ترك الفريضة وقع في استحقاق
الشريعة ومن ابتلى بذلك وقع في الكفر (ليسوا) أي جميع أهل الكتاب (سواء) أي فليس من
آمن منهم كمن لم يؤمن (من أهل الكتاب أمة قائمة) أي جماعة عدل مهتدية بتوحيد الله وهم عبد الله
ابن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم معهم من اليهود كما أخرجه ابن جرير
وابن أبي حاتم عن ابن عباس وأخرج ابن جرير عن بن جريج قال هم عبد الله بن سلام وأخوه ثعلبة بن سلام
وسعية وميس وأسيد وأسيد بن سعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم معهم من اليهود كما أخرجه ابن جرير
وأصحابه قالت أخبار اليهود ما آمن محمد الاشرار لولا ذلك مات كوادين آباؤهم فأمر الله تعالى هذه
الآية (يتلون آيات الله آناء الليل) أي يقرؤون القرآن ساعات الليل (وهم يسجدون) أي يصلون
التهجد في الليل وهذا كلام مستقل والصلاة تسهي مجودا (يؤمنون بالله واليوم الآخر) يأمررون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات) أي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل أصناف
الخيرات اللازمة والمتعدية (وأولئك) الموصوفون بالصفات السبعة (من الصالحين) أي من جملة
الذين صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناه وقال ابن عباس أي من صالحى أمة محمد صلى الله عليه
وسلم ويقال مع صالحى أمة محمد في الجنة مع أبي بكر وأصحابه وأعلم ان اليهود كانوا أيضا يقومون في الليالي
للتعبد وقراءة التوراة فلما مدح الله المؤمنين منهم بالتهجد وقراءة القرآن أردف ذلك بقوله يؤمنون بالله
واليوم الآخر يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات فالإيمان بالله يستلزم
الإيمان بجميع أنبيائه ورسوله وكتبه والإيمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من المعاصي فإيمان اليهود
بالله مع قولهم عزير بن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسول ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته وعدم
الاحتراز عن معاصي الله وازلال الناس وصددهم عن سبيل الله ومبادرتهم الى الشرور واعلم ان كمال
الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل وأفضل الاعمال الصلاة وأفضل الاذكار ذكر الله
وأفضل المعارف معرفة المبدأ ومعرفة المعاد فقوله تعالى يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون إشارة
الى الاعمال الصالحة الصادرة عنهم وقوله تعالى يؤمنون بالله واليوم الآخر إشارة الى فضل المعارف
الحاصلة في قلوبهم فكان هذا الإشارة الى كمال حالهم في القوة العملية وفي القوة النظرية وذلك أكل أحوال
الانسان وهي المرتبة التي هي آخر درجات الانسانية وأول درجات الملكية واعلم ان الغاية القصوى

في السكال أن يكون تاما وفوق التمام فكون الانسان تاما ليس الا في كمال قوته العلية وقوته النظرية
وكونه فوق التمام ان يسعى في تكميل الناقصين وذلك بطريقتين اما بارشادهم الى ما ينبغي أو بمنعهم عما
لا ينبغي ثم الوصف بالصالح غاية المدح ويدل عليه القرآن والعقل فان الصلاح ضد الفساد وكل ما لا ينبغي
فهو فساد سواء كان في العقائد أو في الاعمال فاذا حصل كل ما ينبغي فقد حصل الصلاح فكان الصلاح
دالا على كل الدرجات ثم انه تعالى لما ذكر هذه الصفات الثمانية قال (وما يفعلوا من خير فلن
يكفروه) قرأ حزة والكسائي وحفص عن عاصم بالياء في الفعلين لان الكلام متصل بما قبله من ذكر
مؤمني اهل الكتاب فان جهال اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا
الايمان قال تعالى وما يفعلوا أي عبد الله بن سلام واصحابه من خير عما ذكر ويقال من احسان الى
محمد واصحابه فلن يكفروه أي لن ينسى ثوابه بل يثابوا وقرا الباقر بالتاء فيه معا على الخطاب لجميع
المؤمنين الذين من جملتهم هؤلاء أي وما تفعلوا معاشر المؤمنين من خير فلن تمنعوا ثوابه وجزاه بل تجازوا
عليه (والله عليم بالمتقين) وهذا بشارته لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده تعالى الا اهل
التقوى (ان الذين كفروا لن تغني عنهم) أي لن تدفع عنهم (أموالهم ولا اولادهم من الله) أي من
عذابه (شيء أو اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) انما خص الله تعالى الاموال والاولاد بالذكر
لان أنفع الجمادات هو الاموال وأنفع الحيوانات هو الولد ثم بين تعالى ان الكافر لا ينتفع به مما البتة في
الآخرة وذلك يدل على عدم انتفاعه بشئ الاشياء بطريق الاولى (مثل ما ينفقون) أي الكفار (في
هذه الحياة الدنيا كمثل ربح فيها صر) أي بردهم هلك أو حرق (أصاب حرق قوم ظلوا أنفسهم)
بالكفر والمعاصي (فأهلكته) والمعنى مثل الكفر في اهلاك ما ينفقون كمثل الربح المهلكة للزرع أو مثل
الكافر الذي أنفق أمواله في الحيرات نحو بناء الاباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والايتم
والارامل وكان ذلك المنفق يرجو من ذلك انفاق خيرا كثيرا فاذا قدم الآخرة رأى كفره مبطلا
لآثار الحيرات فكان كمن زرع زرعاً وتوقع منه نفع كثير فأصابته ريح فأحرقته فلا يبقى معه الا الحزن
والاسف هذا اذا أنفقوا الاموال في وجوه الحيرات أما اذا أنفقوها في ما طنوه انه من الحيرات
وهو من المعاصي مثل انفاق الاموال في ايداء رسول الله وفي قتل المسلمين وتخريب ديارهم فقيه
أشد تأثيرا في ابطال آثار أعمال البر (وما ظلمهم الله) حيث لم يقبل نفقاتهم (ولكن أنفوسهم
يظلمون) حيث أتوا بالنفقات مقرونة بالوجوه المانعة من ~~كونها مقبولة~~ (يا أيها الذين آمنوا)
نزلت هذه الآية في شأن رجال من المؤمنين يشاورون اليهود في أمورهم لما كان بينهم من الرضا والخلف
ظن منهم انهم ينصرون لهم في أسباب المعاش فنهاهم الله تعالى بهذه الآية عنه كما قاله ابن عباس أو في
رجال من المؤمنين كانوا يغترون بظواهر أقوال المنافقين فيغشون اليهم الامرار ويطلعونهم على الاحوال
فألله تعالى منعهم عن ذلك كما قاله مجاهد وقال الله تعالى (لا تأخذوا بظنات) أي خاصة بتباطون في الامور
(من دونكم) أي من غير اهل ملتكم من الكفار والمنافقين (لا يألونكم خبالا) أي لا يتركون جهدكم
في مضرتكم وفسادكم (ودوا ما عنتم) أي أحبوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر أي فان
الكفار لا يقصرون لكم في افساد دينكم فان عجزوا عنه أحبوا بقلوبهم القاءكم في أشد أنواع الضرر
(قد بدت البغضاء من أفواههم) أي قد ظهرت البغضاء في كلامهم بالطعن وغيره مما يدل على نفاقهم
وبأنهم يظهرون تكذيب نبيكم وكذبكم وينسبونكم الى الجهل والحق (وما تخفي صدورهم) من الحقد

(أكبر) مما يظهر على ألسنتهم (قد بينا لكم الآيات) أي علامة الحسد والعداوة (إن كنتم
تعتلون) الفرق بين ما يستحقه العدو والولي (ها أنتم أولاء) أي أنبيكم أنتم يا معشر المؤمنين المخطئين
في موالاتهم (تحبونهم) بسبب ما بينكم وبينهم من الرضاقة والمصاهرة وبسبب أنهم أظهر والكم
الايمن وأنهم يظهر ون لكم بحجة رسول الله (ولا يحبونكم) بسبب المخالفة في الدين وبسبب أن الكفر
مستقر في باطنهم ولا تنهم يعلمون أنكم تحبون الرسول (وتؤمنون بالكتاب كله) وهم لا يؤمنون به وهم
مع ايمانكم بكتبهم يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم (واذا القوم) أي
منافقوا اليهود (قالوا) نفاقاً (آمننا) بمحمد فان نعمته في كتابنا (واذا خلوا) أي رجع بعضهم
الى بعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) أي عضوا لاجل غمهم منكم أطراف الاصابع من شدة
الغضب أي فاذا رجعوا الى بعضهم أظهر واشدة العداوة على المؤمنين حتى تبلغ تلك الشدة الى عض
الانامل كما يفعل ذلك أحدنا اذا اشتد غيظه ولما كثرت هذا الفعل من الغضب ان صار ذلك كناية عن
الغضب حتى يقال في الغضب ان يعض يده غيظاً وان لم يكن هناك عض (قل موتوا بغيظكم) وهذا
دعاء عليهم بازدياد ما يوجب هذا الغيظ وهو قوة الاسلام ودعاء عليهم بالموت قبل بلوغ ما يتقنون وليس
أمر بالاقامة على الغيظ فان الغيظ كفر والامر بالكفر غير جائز ويجوز أن يكون معنى قوله تعالى قل
موتوا بغيظكم انه تعالى أمر رسوله بطيب النفس وقوة الرجا والاستبشار بوعد الله اياه انهم لم يكون غيظاً
باهزاز الاسلام واذا لهم به كأنه قيل حدث نفسك بذلك (ان الله عليم بذات الصدور) أي انه تعالى
عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من الخواطر والبواعث والصوارف (ان تمسكم حسنة تسوهم) أي ان
تصيبكم منفعة الدنيا تحزنهم وذلك كصحة البدن وحصول الخصب والقوز بالغنية والاستيلاء على الاعداء
وحصول المحبة بين الاحباب (وان تصيبكم سيئة) أي مضرة كمرض وفقر وانهم من عدو وقتل ونهب
وغارة وحصول التفرقة بين الاقارب (يفرحوا) أي اليهود والمنافقون (بها) فانهم متناهون في عداوتكم
فاجتنبوهم (وان تصبروا) على طاعة الله وعلى ما ينالكم فيها من شدة وغم (وتتقوا) كل ما نهاكم
عنه وتتوكلوا في أموركم على الله (لا يضركم كيدهم) أي حيلتهم التي دبروها لاجلكم (شيئاً) من
الضرر لان كل من صبر على أداء اوامر الله تعالى واتي كل ما نهى الله عنه كان في حفظ الله فلا يضره
حيل المحتالين قرأ ابن كثير وناقع وأبو عمر ولا يضركم بفتح الياء وكسر الضاد وسكون الراء والباقون
لا يضركم بضم الضاد والراء المشددة على الجزم بسكون مة در لا اتباع وروى المفضل عن عاصم لا يضركم
بفتح الراء للتحفيف (ان الله بما يعملون محيط) بالياء باتفاق القراء العشرة أي انه عالم بما يعملون في
معاداتكم فيعاقبهم عليه وفي قراءة شاذة بالتاء والمعنى انه تعالى عالم بما يعملون من الصبر والتقوى فيفعل
بكم ما أنتم مستحقون له (واذا غدوت من أهلك) أي واذا ذكر يا أشرف الخلق لاصحابك وقت خروجك من
عند أهلك أي من حجرة عائشة الى أحد ليتذكر واما وقع في ذلك الوقت من الاحوال الناشئة من عدم الصبر
فيعلموا انهم لولموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة روى انه صلى الله عليه وسلم ذهب من منزل
عائشة في المدينة فمشى على رجله الى أحد بعد صلاة الجمعة في نصف شوال وأصبح بالشعب من أحد يوم
السبت وجعل يصف أصحابه للقتال وكانوا ألقاً وأقل وكان الكفار ثلاثة آلاف وجعل صلى الله عليه
وسلم ظهره وظهر عسكره الى أحد وانه عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من
ورائنا وقال لأصحابه اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم ولوكم الادبار فلا تطلبوا المديرين ولا تخرجوا من

هذا المقام فلما التقى الفريقان انهزم عبد الله بن أبي مع ثلثمائة من المنافقين فبقى من عسكر المسلمين
 سبعمائة ثم قواهم الله حتى هزموا المشركين ثم طلبوا المدبرين وتركوا ذلك المقام واشتغلوا بطلب الغنائم
 وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرع الله الرعب من قلوب المشركين ففكر عليهم المشركون
 وتفرق المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشجع وجه الرسول وكسرت ربايته وشلت يد طهته ولم
 يبق معه صلى الله عليه وسلم الا أبو بكر وعلي والعباس وطهته وسعدو وقعت الصيحة في العسكران محمدا
 قد قتل وكان رجل يكنى أبا سفيان من الانصار نادى الانصار وقال عذار رسول الله فرجع اليه المهاجرون
 والانصار وكان قد قتل منهم سبعون وكثر فيهم الجراح وكل ذلك يؤكده قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا
 لا يضركم كيدهم شيئا والظفر اغما حصل ببركة طاعتهم لله ورسوله والالم يقوموا مع عدوهم (تبوأ
 المؤمنين مقاعد للقتال) أي تنزل المؤمنين بأحد أمكنة لقتال عدوهم (والله سميع) لا أقوالكم (عليهم)
 بضم ثاء ركم ونيا تمكم فان النبي صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه في ذلك الحرب فذهب من قال له أقم بالمدينة
 وهو عبد الله بن أبي وأكثرا الانصار ومنهم من قال له أخرج اليهم وكان لكل أحد غرض (اذ همت
 طائفتان منكم) بنو حارثة من الاوس وبنو سلمة من الخزرج وهما جناح العسكر (أن تغشلا) أي
 بأن تجبنا عن قتال العدو يوم أحد وترجعاروى انه صلى الله عليه وسلم خرج مع تسعمائة وخمسين وودعهم
 الانصار ان صبروا فاطا بلغوا عند جبل أحد انزل ابن أبي المنافق مع ثلثمائة من أصحابه المنافقين وقال
 يا قوم لا شيء نقتل أنفسنا ولا ذنا فقتلهم عمرو بن حزم الانصاري وأبو جابر السلمي وقالوا أسألكم بالله
 في حفظ نبيكم وأنفسكم أي فأنكم لو رجعت فانتكم نصره نبيكم وفانتكم وقاية أنفسكم من العذاب
 لتخلفكم عن نبيكم فقال عبد الله بن أبي لو نعلم قتالا لا تبعناكم فذهب الطائفتان باتباع عبد الله بن أبي
 فذهبهم الله فثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (والله وليهم) أي عاصمهم عن
 اتباع تلك الخطوة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في جميع أمورهم فانه حسبهم ولما حكى الله عن
 الطائفتين انهم ما هم متباينين والضعف أي بذلك بقصة بدر فان المسلمين كانوا في غاية الفقر والضعف
 والكفار كانوا في غاية الشدة والقوة ولكن لما كان الله ناصر لهم قهر وأعداءهم وفازوا وبعطوا بهم
 وقال تعالى (ولقد نصركم الله يبدروا أنتم أذلّة) بقلة العدد وضعف الحال وقلة السلاح والمال وعدم
 القدرة على مقاومة العدو فان المسلمين كانوا ثلثمائة وثلثون رجلا وما كان فيهم الا فرس واحد والكفار
 كانوا قريشين من ألف مقاتل ومعهم مائة فرس مع الاسلحة الكثيرة والعدة الكاملة (فاتقوا الله)
 في أمر الحرب ولا تخالفوا الامير الذي معكم (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا نعمته تعالى
 ونصرته (اذ تقول للمؤمنين) فاذا ما منصوب بنصركم ويكون هذا الوعد حصل يوم بدر وهذه الجملة
 من تمام قصة بدر ووقول أكثر المفسرين وأما بدل من قوله اذ همت أو بدل ثان من قوله تعالى واذا غدوت
 ويكون هذا الوعد حصل يوم أحد وهذه الجملة من تمام قصة أحد فيكون قوله ولقد نصركم الله معترض بين
 الكلامين وهو مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن اسحق (ألن يكفيكم) مع
 عدوكم (أن يدرككم ربكم) أي ينصركم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) من السماء قرأ ابن عباس
 منزلين مشددا لآي مفتوحة والباقون بفتح الـ أي مخففة وقرئ قراءة شاذة باسم الفاعل من الصيغتين أي
 منزلين النصر (يلي) يكفيكم (ان تصبروا) مع نبيكم في الحرب (وتتقوا) معصية الله ومخالفة
 نبيه صلى الله عليه وسلم (ويأتوكم) أي يأتىكم المشركون (من فورهم هذا) أي من ساعتهم هذه

من جهة مكة (يعدكم ربكم) أي ينصركم على عدوكم (بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو أي معلمين أنفسهم أو خيلهم والباقون بفتح الواو أي معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب واذنابها أو مجزوزة ذنابهم أو مسيلين (وما جعله الله) أي ما جعل الله الامداد (الابشري لكم) بأنكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) أي بالمدد وفي ذكر الامداد مطلوبان ادخال السرور في قلوبهم وحصول الطمأنينة على ان اعانة الله معهم (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) لا من العدة والعدد ولا من عند الملائكة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) واللام متعلق بقوله وما النصر والمعنى والمقصود من نصركم ان يهلك الله طائفة من كفار مكة يقتل وأسرى (أو يكبتهم) أو يهزمهم ويخزيهم (فينقلبوا خائبين) أي يرجعوا منقطعى الآمال غير فائزين بمطلوبهم بشئ (ليس لك من الامر شئ) وهذه الآية نزلت في قصة أحد منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم لما روى ان عتبة بن أبي وقاص شجبه وكسر ربا عيته وهي السن التي بين الثانية والناية ثم أراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الآية ولما روى سالم بن عبد الله بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم لعن أقواما فقال اللهم العن أباسفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية فنزل قوله تعالى أو يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء وحسن اسلامهم ولما حصل له صلى الله عليه وسلم من الهم بأنه رأى حمزة بن عبد المطلب ورأى ما فعلوا به من المثلة وقال لا مثلن منهم بثلاثين فنزلت هذه الآية ومات في ذلك اليوم من المسلمين سبعون وأسرى عشرون ومات من الكفار ستة عشر وروى علي بن عباس ان هذه الآية نزلت بسبب أنه صلى الله عليه وسلم أراد ان يلعن المسلمين الذين خالفوا أمره والذين انهمزوا يوم أحد فنعه الله من ذلك وانما نص الله تعالى على المنع تقوية لهضمته (أو يتوب عليهم أو يعذبهم) وهذا انما معطوفان على الامر والمعنى ليس لك يا أشرف الخلق من شأن هذه الحادثة شئ ومن التوبة عليهم أو من تعذيبهم شئ لانه ليس لك من مصالح عبادي شئ الا ما أوحى اليك وليس لك من سؤال اهلاكهم شئ لانه تعالى أعلم بالمصالح فريعاتاب الله عليهم أو معطوفان على شئ أي ليس لك من أمرهم شئ أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل المراد بالامر ضد النهي والمعنى ليس لك من أمر خلقي شئ أو من توبتهم أو من تعذيبهم شئ الا اذا كان على وفق أمرى والمقصود من الآية منعه صلى الله عليه وسلم من كل فعل وقول الا ما كان باذنه وأمره وهذا هو الارشاد الى أكل درجات العبودية (فانهم ظالمون) أي بالمعاصي وهذه جملة مستقلة لكن المقصود من ذكرها تعليل لحسن التعذيب والمعنى أو يعذبهم فانه تعالى ان عذبهم اغنايهم لانهم ظالمون والمراد بالعذاب اما عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فعلم ذلك مفوض الى الله (ولله ما في السموات وما في الارض) ملكا وخالقا (يعفر لمن يشاء) مغفرته (ويعذب من يشاء) تعذيبه وتقديم المغفرة على التعذيب الاعلام بأن رحمته تعالى سبقت غضبه وبأن الرحمة من مقتضيات الذات دون الغضب فانه من مقتضيات سيئات العصاة (والله غفور رحيم) والمغفرة والرحمة على سبيل الاحسان أما التعذيب فعلى سبيل العدل لان الطاعة لا توجب الثواب والمعصية لا توجب العقاب بل الكل من الله بحكم الهيئته وقهره وادارته (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا بأضعافا) على الدرهم (مضاعفة) في الاجل وكان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان مائة درهم الى أجل فاذا جاء الاجل ولم يكن المديون واجدا لذلك المال قال زد في المال حتى أزيد في الاجل فربما جعله مائتين ثم اذا حل الاجل الثاني فعل في مثل ذلك ثم الى آجال كثيرة فياخذ بسبب تلك المائة أضعافها فها هو ذا هو

المراد من قوله أضعاف مضاعفة وقرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد العين بلا ألف قبلها وقال القفال يحتمل أن تكون هذه الآية متصلة بما تقدم من جهة أن المشركين انما أنفقوا على ذلك العساكر أموا لاجمعوها بسبب الربا فحصل ذلك يصير داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربا حتى يجمعوا المال وينفقوه على العسكر فيتمكنون من الانتقام منهم لحقائهم الله عن ذلك (واتقوا الله) فيما نهيتهم عنه من أخذ الربا وغيره (لعلكم تفهون) أي لكي تتجروا من العذاب والسخط (واتقوا النار) بأن تتجنبوا ما يوجبها وهو استحلال ما حرم من الربا وغيره (التي أعدت للكافرين) وكان أبو حنيفة يقول هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعده الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وفي الآية * (تنبيه) * على ان النار بالذات للكفار وبالعرض للعصاة (وأطيعوا الله) فيما يأمركم به وينهاكم عنه من أخذ الربا وغيره (والرسول لعلكم ترحمون) الذي يبلغكم أوامر الله ونواهيه فان طاعة الرسول طاعة الله (وسارعوا) قرأنا فع وابن عامر بغير واو أي بادروا وقبلوا وقرئ شاذة وسابقوا (الى مغفرة من ربكم) أي الى الاسلام كما قاله ابن عباس والى أداء الفرائض كما قاله علي بن أبي طالب والصلوات الخمس والى الاخلاص كما قاله عفان بن عفان والى الجهاد كما قاله الضحاك ومحمد بن اسحق والى التكبير الاوى كما قاله سعيد بن جبير والى جميع الطاعات كما قاله عكرمة والى التوبة من الربا والذنوب كما قاله الاصم وابن عباس (وجنة) أي فكما تجب المسارعة الى المغفرة فكذلك تجب المسارعة الى الجنة فعنى الغفران ازالة العقاب ومعنى الجنة ايصال الثواب فلا بد للكاف من تحصيل الامرين (عرضها السموات والارض) أي عرضها مامثل عرض السموات والارض لو جعلت السموات والارض طبقات بحيث يكون كل واحدة من تلك الطبقات سطحاً موزناً من أجزاء لا تجزى ثم وصل البعض ببعض طبقاتها واصلها ذلك مثل عرض الجنة وهذا غاية في السعة لا يعلمها الا الله تعالى (اعدت) أي هيئت الجنة (للمتقين) ثم ذكر الله تعالى صفات المتقين فقال (الذين ينفقون) أموالهم في سبيل الله تعالى (في السراء والضراء) أي في حال الغنى والفقر أو في سرور وحزن أو على وفق طبعهم وعلى خلافه كما يحكى عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب (والكاظمين الغيظ) أي الكافين غيظهم قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملائكة الله قلبه أمنا وإيمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه زوجه الله من الخور العين حيث يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة لكنه الذي يملك نفسه عند الغضب (والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) ومحبة الله للعبد أعظم درجات الثواب روى عن عيسى بن مريم انه قال ليس الاحسان أن تحسن الى من أحسن اليك ذلك مكافأة انما الاحسان ان تحسن الى من أساء اليك واعلم ان الاحسان الى الغير اما أن يكون بإيصال النفع اليه أو بدفع الضرر عنه أما إيصال النفع اليه فيدخل فيه انفاق العلم بان يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين ويدخل فيه انفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات وأما دفع الضرر عن الغير فهو اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة تلك الاساءة باساءة اخرى فهذا داخل في كظم الغيظ واما في الآخرة بأن يبرى ذمة الغير عن المطالبات فهذا داخل في العفو عن الناس فهذه الآية دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير (والذين إذا فعلوا فاحشة) أي معصية (أو ظلموا أنفسهم) بأن أتوا ذنبا أي ذنبا كان (ذكروا الله) أي خافوا الله قال بعضهم لما وصف الله تعالى الجنة بأنهم معدة للمتقين بين ان المتقين قسمان أحدهما الذين أقبلوا على الطاعات وهم الذين وصفهم

الله بالانفاق وكظم الغيظ والعفوع عن الناس وثانيهما الذين أذنبوا ثم تابوا وعلى هذا فالاسم الموصول معطوف على الموصول قبله وقيل لما ندب الله تعالى في الآية الأولى إلى الأحسان إلى الغير ندب في هذه الآية إلى الأحسان إلى النفس وعلى هذا فالاسم الموصول معطوف على المحسنين روى ابن عباس أن هذه الآية نزلت في رجلين أنصاري وثقي والرسول صلى الله عليه وسلم كان قد آخى بينهما وكانا لا يفتقران في أحوالهما لخرج الثقي مع الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرعة في السفر وخلف الأنصاري على أهله يتعاهداهم فكان يفعل ذلك ثم قام إلى امرأته ليقبلها فوضعت كفها على وجهها فندم الرجل فلما وافى الثقي مع الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرى الأنصاري وكان قد رهاق في الجبال للتوبة فلما عرف الرسول صلى الله عليه وسلم سكت حتى نزلت هذه الآية وقال عطاء نزلت في شأن أبي سعيد تبهان التمارفانه أتمته امرأة حسناء تطلب منه تمرا بالشرا فقال لها هذا التم ليس يجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت له أتق الله فتركها وندم على ذلك ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية (فاستغفروا الذنوب بهم) أي أتوبوا بالتوبة على الوجه الصحيح لاجل ذنوبهم وهو الندم على فعل ماضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل فهذا هو حقيقة التوبة فأما الاستغفار باللسان فذلك لا أثر له في إزالة الذنب بل يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار انقطاعه إلى الله تعالى وقوله فاستغفروا معطوف على جواب اذا (ومن يغفر الذنوب الا الله) أي لا يغفر ذنوب التائب أحد الا الله (ولم يصروا على ما فعلوا) من الذنوب بأن ألقوا عنها في الحال وهذا معطوف على قوله فاستغفروا (وهم يعلمون) ان الذين فعلوا معصية الله وهذه الجملة حال من فاعل يصروا (أولئك) الذين خافوا الله وتابوا من ذنوبهم (جراؤهم مغفرة من ربهم) لذنوبهم (وجنات) أي بساتين (تجري من تحتها الأنهار) أي من تحت شجرها ومساكنها أنهار الحمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) أي دائمين في الجنة لا يعوتون ولا يخرجون منها (ونعم أجر العاملين) أي نعم ثواب التائبين المغفرة والجنات (قد خلت من قبلكم سنين) أي قدمضت من قبل زمانكم سنين الله تعالى في الامم السالفة المكذبة للرسول باهلا كهم ان لم يتوبوا وبالمغفرة ان تابوا فرغب الله تعالى امة محمد صلى الله عليه وسلم في تأمل أحوال هؤلاء الماضين ليصير ذلك داعيا لهم إلى الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الرياسة في الدنيا وطلب الجاه (فسيروا في الارض فانظروا) أي تعرفوا أيها المؤمنون أحوال الامم السالفة بسرا وأغبره ثم تفكروا فيها للتسلي والاتعاظ (كيف كان عاقبة المكذبين) أي كيف صار آخر أمر المكذبين بالرسول الذين لم يتوبوا من تكذيبهم (هذا) القرآن (بيان) بالحلال والحرام (للناس) عامة (وهدى) من الضلالة (وموعظة للمتقين) فالحاصل ان البيان جنس تحته نوعان أحدهما الكلام الهادي إلى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة واغما خصص الله المتقين بالهدى والموعظة لانهم المنتفعون به مادون غيرهم (ولا تمنوا) أي لا تضعفوا عن الجهاد مع عدوكم (ولا تحزنوا) على ما فاتكم من الغنائم يوم أحد ولا على ما أصابكم من القتل والجراحة وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش بن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شهاس وسعد مولى عتبة ومن الأنصار سبعون رجلا رضى الله عنهم أجمعين (وأنتم الاعلون) أي والحال انكم في آخر الامر الغالبون بالنصرة لكم دون عدوكم فان مصير أمرهم إلى الدمار حسب ما شاهدتم من أحوال أسلافهم

(ان كنتم مؤمنين) وهذا اما منصب بالنهي أو بوعد النصر والغلبة أي ان كنتم مؤمنين فلا تنهوا ولا
تخزوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بضع الله تعالى وقلة المبالة بالاعداء أو ان كنتم مؤمنين
فانتم الاعلون فان الايمان يقتضي العلو بلا شك (ان يحسبكم قرح فقدمس القوم قرح مثله) أي ان
أصابكم جرح يوم أحد فقد أصاب أهل مكة يوم بدر جرح مثل ما أصابكم يوم أحد ثم لم يضعف ذلك قلوبهم
فانتم أحق بان لا تضعفوا وقيل ان المعنى ان نالككم يوم أحد قرح وانهم زام فقد نال الكفار في ذلك اليوم مثل
ذلك فان المسلمين نالوا من الكفار قبل ان يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفا
وعشرين رجلا منهم صاحب لوأثمهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة
عليهم في أول النهار (وتلك الايام) أي أيام الدنيا (نذاولها بين الناس) لا يدوم مسارها ولا مضارها
فيوم يحصل فيه السرور للمؤمنين والنعم للاعداء و يوم آخر بالعكس وليس المراد من هذه المداولة ان الله
تعالى تارة ينصر المؤمنين والاخرى ينصر الكافرين وذلك لان نصرته الله منصب شريف فلا يليق
بالكافرين المراد من هذه المداولة انه تارة يشدد المحنة على الكفار واخرى على المؤمنين ولو شدد المحنة
على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميع الاوقات لحصل العلم الاضطراري بان
الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب وأيضا ان المؤمن قديقدم
على بعض المعاصي فيشدد الله المحنة عليه في الدنيا تاديبا له وأما تشديد المحنة على الكافر فانه غضب من
الله عليه وأيضا ان لذات الدنيا وآلامها غير باقية وأعمال السعادات المستمرة في دار الآخرة وروى ان أبا
سفيان صعد الجبل يوم أحد ثم قال أين ابن أبي كبشة أين أبي عفاة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول
الله وهذا أبو بكر وها أنا عمر فقال أبو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في
الجنة وقتلناكم في النار فقال ان كان الامر كما ترعمون فقد خبنا اذا وخسرنا (وليعلم الله الذين آمنوا)
واللام متعلقة بفعل مضمر والتقدير وفعلنا هذه المداولة لكي يرى الله الذين اخلصوا في ايمانهم مقربين من
المنافقين اذا أصابتهم المشقة كما وقع في أحد (ويتخذ منكم شهداء) أي يكرم الله من يشاء منكم بالشهادة
وهم شهداء أحد (والله لا يحب الظالمين) أي المشركين وانما يظفرهم في بعض الاحيان استدرابا لهم
وابتلاء للمؤمنين (وليجمع الله الذين آمنوا) أي ليظهرهم من ذنوبهم بما يصيبهم في الجهاد ان كانت
الغلبة للكافرين على المؤمنين (ويعحق الكافرين) أي يهلكهم في الحرب ان كانت الغلبة للمؤمنين
على الكافرين (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) والخطاب
للسذين انهزموا يوم أحد أي أظنتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد
والصبر أي الجمع بينهما أي لا تحسبوا ذلك والحال ان الله تعالى لم ير المجاهدين منكم في سبيل الله يوم أحد
والصابرين على قتال عدوهم مع نبيهم (ولقد كنتم تمنون الموت) بالشهادة في الحرب (من قبل أن تلقوه)
أي الموت يوم أحد حيث قلتم ليت لنا يوم ما يوم بدر لننال ما نال شهداؤه من الكرامة وكانوا قد ألقوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك (فقد رأيتموه) أي ان كنتم
صادقين في تمنيةكم الحرب فقد رأيتم الموت بمشاهدة أسبابه يوم أحد (وانتم تنظرون) الى سيوف
الكفار حين قتل امامكم من قتل من اخوانكم فلم انهزمتم منهم ولم تثبتوا مع نبيكم (وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل) أي قدمضت من قبل محمد أمثاله من رسل الله تعالى قال ابن عباس ومجاهد
والضحاك لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بأحد أمر الرماة أن يلزموا أصل الجبل ثم قتل على طلحة صاحب

لواء الكفار وشدة الزبير والمقداد على المشركين فانهزم الكفار ثم بادروا قوم من الرماة الى الغنمية وكان خالد بن الوليد صاحب مينة الكفار فلما رأى تفرق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم ورمى عبد الله بن قتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر ربا عيته وشجع وجهه وأقبل يريد قتله فذب عنه مصعب ابن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدم يوماً واحداً فقتله ابن قتيبة فظن أنه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمداً وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل ففشا في الناس خبر قتله فهناك قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي ياخذ لنا أماناً من أبي سفيان وبعض الصحابة جلسوا وألقوا بأيديهم وقال قوم من المنافقين أو كان محمد نبينا لما قتل وإن كان قد قتل فارجعوا الى دينكم الأول فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد حي لا يموت ومات صنعون في الحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك عما يقول هؤلاء المسلمون وأبرأ اليك عما جاء به هؤلاء المنافقون ثم سل سيفه فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس ويقول الى عباد الله فأول من عرفه صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وقال عرفت عينيه تحت المغفر ترزهران فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى أن امسك فانحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هزيمتهم فقالوا يا بني الله قد ينالك بآبائنا وأمهاتنا تألخبر بأنك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأمر الله تعالى هذه الآية (أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم) أي أصرتم كفارا بعد إيمانكم إن مات محمد أو قتل كغيره من الرسل فتحالفوا سنن اتباع الأنبياء قبلكم في ثباتهم على ملل أنبيائهم بعد موتهم أي لا ينبغي منكم الارتداد حينئذ لأن محمداً صلى الله عليه وسلم مبلغ لا معبود وقد بلغكم والمع وود باق فلا وجه لرجوعكم عن الدين الحق لومات من بلغكم آياه (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) أي ومن يرجع الى دينه الأول وهو الشرك فلن ينقص الله رجوعه شيئا وانما يهلك نفسه باقباله على العذاب (وسيجزي الله الشاكرين) أي الثابتين على دين الاسلام الذي هو أجل نعمة وأعز معروف كأنس بن النضر وأمثاله (وما كان لنفس أن تموت الا بإذن الله) أي بإرادة الله وقضائه (كتاباً مؤجلاً) أي كتب الله الموت كتاباً مؤقلاً كتاباً مؤجلاً ورزقه سواء لا يسبق أحدهما الآخر وهذا اعلام بأن الحذر لا يدفع القدر وإن أحد الایوت قبل الاجل وإذا جاء الاجل لا يندفع الموت بشئ فلا فائدة في الجبن والخوف (ومن يرد) بعمله (ثواب الدنيا) أي منفعة الدنيا (نؤته منها) أي نعطه من الدنيا ما يريد عما نشاء ان نعطيها وما له في الآخرة من نصيب (ومن يرد) بعمله (ثواب الآخرة) أي منفعة الآخرة (نؤته منها) أي نعطه من الآخرة ما يريد عما نشاء من الاضـحاف حسب ما جرى به الوعد الكريم (وسنجزي الشاكرين) أي نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما أتاهم الله تعالى من القوى الى ما خلق لاجله من طاعة الله تعالى فاعلم ان الذين حضروا يوم أحد كانوا فريقين منهم من يريد الدنيا كالذين تركوا المركز طلباً للغنمية والثنا وهو لا بد وأن يهزموا ومنهم من يريد الآخرة كالذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا والذين حضروا والذين لا بد وأن لا يهزموا واعلم ان هذه الآية وإن وردت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان المؤثر في جلب الثواب والعقاب الدواعي والمقصود لا ظواهر الاعمال كما في قوله صلى الله عليه وسلم انما الاهمال بالنيات فان من وضع الجبهة على الارض في صلاة الظهر والشمس قداه فان قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان ذلك

من أعظم دعائم الاسلام وان قصده عبادة الشمس كان ذلك أعظم من دعائم الكفر (وكاين من نبي قاتل
معريون كثير فاهنوا لما أصابهم في سبيل الله) قرأ ابن كثير كائن بألف بعد الكاف بعدها همزة
مكسورة والباقيون بهمزة بعد الكاف بعدها ياء مشددة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وقتل مبنيا للفعول
وقتادة كذلك الا انه شدد التاء وبقى السبعة قاتل وضمير الفعل يعود على المبتدأ والجملة خبر المبتدأ
وجملة معريون من المبتدأ والخبر في محل نصب على الحال من ضمير الفعل وكثير صفة لبيون والمعنى على
القراءة الاولى وكثير من الانبياء قتلوا وبعدهم الذين بقوا من جماعتهم فاهنوا أي ضاعفوا في دينهم بل
استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي ان يكون حالكم يا أمة محمد هكذا قال سعيد بن جبير
ما سمعنا بني قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط والمعنى
على القراءة المشهورة وكثير من نبي قاتل لاعلاء كلمة الله وأعزاز دينه كائنا معه في القتال جماعات كثيرة
من أصحابه فأصابهم من عدوهم قرح فاهنوا أي جنبوا الان الذي أصابهم اغما هو في طاعة الله واقامة
دينه ونصرة رسوله فكذلك ينبغي أن تفعلوا مثل ذلك يا أمة محمد (وما ضاعفوا) أي عجزوا عن قتال
عدوهم (وما استكانوا) أي ذلوا العدوهم كما فعلتم حين قيل قتل نبيكم وأردتم ان تعترضوا بالمنافق عبد
الله بن أبي في طلب الامان من أبي سفيان (والله يحب الصابرين) على تحمل الشدائد في طريق الله
أي يكرمهم ويعظمهم (وما كان قولهم) بعدما قتل نبيهم (الا أن مالوا) هذا الدعاء وقولهم
بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) الصغائر والكبائر (واسر افنا) أي
اقراطنا (في أمرنا) باتيان الذنوب العظيمة الكبيرة (وثبت أقدامنا) بازالة الخوف عن القلوب
وازالة الخواطر الفاسدة عن الصدور (وانصرنا على القوم الكافرين) وهذا تأديب من الله تعالى في
كيفية الطب بالادعية عند النوائب والمحن سواء كان في الجهاد أو غيره (فأتاهم الله ثواب الدنيا)
بالنصرة والغنمة وقهر العدو والثناء الجميل وانشر اح الصدر بنور الايمان وزوال ظلمات الشبهات
وكفارة المعاصي والسيئات (وحسن ثواب الآخرة) أي حكم الله لهم بحصول الجنة وما فيها من المدايع
واللذات وأنواع السرور والتعظيم في الآخرة (والله يحب المحسنين) أي المعترفين بكونهم مسيئين
فلما اعترفوا بذلك مما هم الله محسنين كان الله تعالى يقول لهم اذا اعترفتم باساءتكم وعجزكم فأتانا أصفكم
بالاحسان وأجعلكم أحياء لنفسي حتى تعلموا انه لا سبيل للعبد الى الوصول الى حضرة الله الا باظهار
الذلة والمسكنة والعجز (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) أي المنافقين في قولهم للؤمنين
المنهزمين ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل (يردوكم على أعقابكم) أي يرجعوكم
الى دينكم الاول قال علي والمراد بالذين كفروا المنافقون كما تقدم وقال السدي وغيره المراد بهم
أبو سفيان بن حرب لانه شجرة الفتن وكبير القوم في ذلك اليوم ومعنى الآية حينئذ ان تخضعوا لابي سفيان
وأشباعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل المراد عبد الله بن أبي وأتباعه من المنافقين لانهم قالوا لو
كان محمد رسول الله ما وقعت له هذه الواقعة فارجعوا الى دينكم الذي كنتم فيه وقال ابن عباس والمراد بهم
اليهود كعب وأصحابه والمراد بالذين آمنوا حذيفة وعمار (فتنقلبوا خاسرين) أي فترجعوا مغبونين
في الدارين بالانقياد للعدو والتذلل له وبالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد (بل الله
مولاكم) أي ناصركم (وهو خير الناصرين) أي أقواهم بالنصرة فلا ينبغي أن تطيعوا الكفار
لينصروكم لانهم عاجزون (سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب) أي سننقذ في قلوب كفارهم كفة

المخافة منكم حتى انهزموا وذلك ان الكفار لما هزموا المسلمين في أحد وأقع الله الرعب في قلوبهم فتركوهم
 وفر وامنهم من غير سبب حتى روى ان ابا سفيان صعد الجبل وقال أين ابن أبي كبشة وأين ابن أبي خضافة
 وأين ابن الخطاب فأجابهم ودارت كلمات بينهم ماوتجاسر أبو سفيان على النزول من الجبل والذهاب
 اليهم (بما أشركوا بالله ما لم ينزل به) أي بعبادته (سلطانا) أي كتابا ولا رسولا (وما أوأهم النار)
 أي مسكنهم في الآخرة النار (وبئس مثوى الظالمين) أي وبئس مقر الكافرين النار (ولقد صدقكم
 الله وعده) يوم أحد نزلت هذه الآية لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة وقد
 أصابهم ما أصابهم بأحد قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله تعالى هذه
 الآية (إذا تحسبهم) أي تقتلونهم قتلًا كثيرًا في أول الحرب (بأذنه) أي بعلمه ونصرته (حتى إذا
 فشلتم) أي إلى ان ضعفتم في الرأي أو إلى حين ملتم إلى الغنيمة (وتنازعتم في الأمر) أي اختلفتم في أمر
 الحرب أو في امتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لانه صلى الله عليه وسلم أمر الرماة بأن لا يبرحوا
 عن مكانهم البتة وجعل أمرهم عبد الله بن جبير فلما ظهر المشركون أقبل الرماة عليهم بالرمي الكثير
 حتى انهزم المشركون ثم ان الرماة رأوا نساء المشركين صعدن الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت
 خلاخيلهن فقالوا الغنيمة الغنيمة فقال عبد الله عهد الرسول الينا أن لا نبرح عن هذا المكان فأبوا عليه
 وذهبوا إلى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة قليلة دون العشرة إلى أن قتلهم المشركون (وعصيتهم)
 أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالأقامة في أصل الجبل وتركتم المركز لاجل تحصيل الغنيمة (من بعد
 ما أراكم ماتحبين) أي من بعد أراكم النبي صلى الله عليه وسلم النصر والغنيمة (منكم) أي من
 الرماة (من يريد الدنيا) بجهاده وهم الذين تركوا المركز لاجل الغنيمة (ومنكم) أي من الرماة
 (من يريد الآخرة) بجهاده وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى قتلوا وهم عبد الله بن جبير وأصحابه (ثم صرفكم
 عنهم) أي ثم رد الله المسلمين عن الكفار وألقى الهزيمة عليهم وسلط الكفار عليهم (ليبتليكم) أي
 ليجعل ذلك المصرف محنة عليكم لتتوبوا إلى الله وتستغفروه فيما خالفتم فيه أمره وملتم فيه إلى الغنيمة
 (ولقد عفا عنكم) لما علم من كدكم على المخالفة وتفضلا منه تعالى (والله ذو فضل على المؤمنين)
 حيث لم يستأصل الرماة (أذ تصعدون) أي تذهبون في الأرض (ولا تلوون على أحد) أي ولا
 تلتفتون إلى أحد من شدة الحرب (والرسول يدعوكم في أخراكم) أي وهو واقف في آخركم وكان
 يقول إلى عباد الله إلى عباد الله أنارسل الله من يكرفله الجنة (فأنا بكم نحابكم) أي جازاكم الله
 غما حصل لكم بسبب الانهزام وقتل الاحباب وفوت الغنائم بغم حصل للرسول بسبب عصيانكم أمره
 (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) من الغنيمة (ولا ما أصابكم) من القتل والجراحة قال أبو السعد أي
 لتتمروا على الصبر في الشدة فلا تحزنوا على نفع فات أو ضرات (والله خير بما تعملون) أي عالم
 بأعمالكم ومقاصدكم قادر على مجازاتهم ان خيرا خيرا وان شرا شرا (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة)
 من العدو (نعاسا يغشى طائفة منكم) أي يأخذ النعاس المهاجرين وعامة الانصار (وطائفة) وهم
 المنافقون عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير وأصحابهما (قد أهتهم أنفسهم) أي أوقعتهم في الهموم لان
 أسباب الخوف وهي قصد العدو كانت حاصلة لهم والدافع لذلك وهو الوثوق بوعد الله ورسوله غير معتبر
 عندهم لانهم كانوا مكذبين بالرسول في قلوبهم فلذلك عظم الخوف في قلوبهم (يظنون بالله غير الحق
 ظن الجاهلية) أي كانوا يقولون في أنفسهم لو كان محمد محقا في دعواه لما سلط الكفار عليه وهذا ظن

فأسد والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه فان النبوة خلقة من الله تعالى يشرف
عبد بها وليس يجب في العقل ان الله تعالى اذا شرف عبده بخلقة أن يشرفه بخلقة أخرى بل له الامر
والنهي كيف شاء بحكم الالهية (يقولون هل لنا من الامر من شيء) أي هل لنا من النصر الذي وعدنا به محمد
نصيب قط وهذا الكلام ان كان قائله من المنافقين كعبد الله بن أبي فائس قاله طعنا في نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وفي الاسلام وان كان من المؤمنين المحققين كان غرضه منه اظهار الشفقة أنه متى يكون الفرج
ومن أين يكون تحصل النصرة (قل ان الامر) أي التدبير (كله الله) فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى
في سابق قضائه فلا مرد له (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) أي يقولون فيما بينهم بطريق الخفية
مظهري أنهم مسترشدون طالمون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب مخافة القتل (يقولون) أي
معتب بن قشير وعبد الله بن أبي (لو كان لنا من الامر شيء ما قلنا ههنا) أي لو كان لنا من
التدبير والرأي شيء ما قتل من قتل منا في هذه المعركة وما غلبنا (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب
عليهم القتال الى مضاجعهم) أي قل يا أشرف الخلق لهم لو جلستم في بيوتكم في المدينة لخرج منكم
من كتب الله عليهم القتال الى مصارعهم أي أما كنتم التي ما وافيا عند أحد حتى يوجد ما علم الله أنه
يوجد فان الحدز لا يدفع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر الله عليهم القتال لا بد وان يقتلوا لان الله
تعالى لما أخبر أنه يقتل فلوم يقتل لا نقاب علمه جهلا وذلك محال (و) فرض الله عليكم القتال ولم ينصركم
يوم أحد (ليبتلي الله ما في صدوركم) أي ليعاملكم معاملة من يختبر ما في قلوبكم من الاخلاص
والنفاق وليظهر ما فيها من السرائر وفي المثل المشهور لا تكرر هو الفتن فانها حصاد المنافقين (وليعص
ما في قلوبكم) أي يخلصها من الوسوس (والله عليهم بذات الصدور) أي بما في القلوب من الخير
والشر (ان الذين تولوا منكم) أي انهزموا يوم أحد وهم عثمان بن عفان ورافع بن المعلى وخارجة
ابن زيد (يوم التقى الجمعان) جمع محمد صلى الله عليه وسلم وجمع أبي سفيان (انما أسترزهم
الشیطان) أي أزرهم الشيطان بوسوسته أن محمد يقتل (ببعض ما كسبوا) أي بشؤم بعض
ما كسبوا من الذنوب بترك المركز وبالحرص على الغنمة أو على الحياة (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم
واعذارهم (ان الله غفور) لمن تاب (حليم) أي لا يجعل لهم بالعقوبة وأما الذين ثبتوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين أبو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن
أبي وقاص وطه بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الانصار الحباب بن
المندثر وأبو دجانة وطاسم بن ثابت والحارث بن الصمت وسهل بن حنيف وأسيدين حضير وسعد بن معاذ
(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) أي في نفس الامر وهم المنافقون عبد الله بن أبي
وأصحابه (وقالوا لاخوانهم) أي لأجل اخوانهم في النسب أو في الكفر والنفاق (اذا ضربوا في
الارض) أي ساروا فيها للتجارة أو غيرها فماتوا (أو كانوا غزى) فقتلوا (لو كانوا عندنا) أي معي
في المدينة (مما اتوا) في سفرهم (وما قتلوا) في غزواتهم (ليجعل الله ذلك) أي ظنهم ان اخوانهم
لولا يسافروا ولم يحضروا القتال لعاشوا (حسرة) أي حزنا (في قلوبهم) واللام العاقبة أي انهم
قالوا ذلك لاهل قلوب المسلمين ليضيق صدرهم وليتخلفوا عن القتال فلما كان المؤمنون لم يلتفتوا الى قولهم
فيصيح سعيهم ويبطل كيدهم فتحصل الندامة في قلوبهم (والله يحيي ويميت) فمن قدر له البقاء لم
يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان لم يجاهد فانه تعالى قديمي المسافر والغازي مع اقتحامهما

لموارد الخوف وبعيت القاعد عن القتال والمقيم مع حيازتهم لاسباب السلامة (والله بما تعملون بصير)
فيجازيهم على قوتهم واعتقادهم ويجازيكم ان عاثلوهم في ذلك (ولئن قتلتم في سبيل الله) أى في
الجهاد (أو متم) في سفركم للغز ومع الكفار أو في بيوتكم وكنتم مخلصين من النفاق (لمغفرة من الله)
لذنوبكم (ورحمة) منه لكم (خير مما تجمعون) أى مما تجمعونه أنتم لو لم تموتوا من الاموال التي تعد
خيرات وقرأ حفص عن عاصم بالغيبة أى خير مما يجتمع ههؤلاه الكفرة من منافع الدنيا وطيبات هامة
أعمارهم قال الفخر الرازي والاصوب عندى ان اللام في ولئن للتأكيدي كيدية كون المعنى ان وجب ان تموتوا
أو تقتلوا في سفركم وغزوكم فذلك يجب أن تفوزوا بالمغفرة والرحمة فلماذا تحتزون عن الموت والقتل بل
ذلك مما يجب أن يتنافس فيه المتنافسون لان الموت الذى يستحق الثواب العظيم كان خيرا من الموت من
غير فائدة (ولئن متم) في حضر أو سفر (أو قتلتم) في الجهاد أو غيره (لالى الله تحشرون) لجميع
العالمين يوقفون في عرصة القيامة وبسط العدل فيجتمع المظلوم مع الظالم والمقتول مع القاتل والله تعالى
يحكم بين عبده بالعدل واعلم أن الله تعالى رغب المجاهدين في الآية الاولى بالمغفرة والرحمة وفي هذه
الآية بالحشر الى الله زيادة في اعلاء الدرجات يروى ان عيسى بن مريم مر بأقوام فحفت أبدانهم واصفرت
وجوههم ورأى عليهم آثار العبادات فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هوأكرم من أن
لا يخلصكم من عذابه ثم مر بأقوام آخرين فرأى عليهم تلك الآثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة
فقال هوأكرم من أن يمنعهكم رحمة ثم مر بقوم ثالث ورأى آثار العبودية عليهم أكثر فسألهم فقالوا
نعبد الله لانه الهنا ونحن عبده لا لرغبة ولا لرغبة فقال أنتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحقون فقله تعالى
لمغفرة من الله اشارة الى من يعبد خوفه من عقابه وقوله ورحمة اشارة الى من يعبد لطلب ثوابه وقوله
تعالى لالى الله تحشرون اشارة الى من يعبد الله لمجرد الرابوية والعبودية وهذا أعلا المقامات وأبعد
النهايان في العبودية في علو الدرجة فهو لاء الذين بذلوا أنفسهم وأبدانهم في طاعة الله ومجاهدة عدوه يكون
حشرهم اليه واستثناسهم بكرمه وعتعهم بشرور ربوبيته (فبما رحمة) فما استفهام للتعجب
تقديره فبأى رحمة (من الله لنت لهم) وذلك لانه لما كانت جنائيتهم عظيمة ثم انه صلى الله عليه وسلم
لم يظهر تغليظا في القول البتة علوا ان هذا لا يتأتى الا بتأييد ربانى فكان ذلك موضع التعجب من كمال ذلك
التأييد (ولو كنت قظا) باللسان (غليظ القلب) أى قاسية (لانفضوا من حولك) أى لتهرقوا
من عندك ولم يسكنوا اليك ولو انفضوا من حولك فأت المقصود من الرسالة (فأعف عنهم) فيما يتعلق
بحقوقك (واستغفر لهم) من الله تعالى فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم راجعا للبرء منهم
(وشاورهم في الامر) فان المشاورة تقتضى شدة محبتهم له صلى الله عليه وسلم لما شاورهم قط الاهدى الارشد
درجتهم فترك المشاورة معهم اهانة لهم قال صلى الله عليه وسلم ما شاورهم قط الاهدى الارشد
أمورهم (فاذا عزم) عقب المشاورة على شئ (فتوكل على الله) فى امضاء أمرك على ما هو أصلح
وليس التوكل اجمال التدبير بالكافة والا لكان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل بل التوكل
هو ان يراعى الانسان الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول بقلبه على عصمة الله واعانته
(ان الله يحب المتوكلين) عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصالح (ان ينصركم الله فلا
غالب لكم) أى ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم (وان يخذلكم) أى يترك الله نصرتمكم
كيوم أحد (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) أى فلا أحد ينصركم على عدوكم من بعد خذلانه تعالى

(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بالنصرة وغيرها (وما كان لنبي أن يغفل) قرأ ابن كثير وأبو عمر ووطاسم
 بفتح الياء وضم الغين أى وما جاز لنبي أن يخون أمته في الغنائم قال السكابي ومقاتل نزلت هذه الآية حين
 ترك الزمالة المر كز يوم أحد طلبا للغنيمة وقالوا يخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له
 وإن لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم لهم ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المر كز حتى
 يأتيكم أمرى فقالوا تركنا بقبضة أخواننا وقوا فقال صلى الله عليه وسلم ظننتم أننا نغفل فلا تقسم لكم
 فنزلت هذه الآية وقرأ الباقر من السبعة يغفل بضم الياء وفتح الغين أى وما جاز لنبي أن يخون لأن الوحي
 كان يأتيه حالاً لا في خانة فربما نزل الوحي فيه فيحصل له مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا ولأن الحياة
 في حقه صلى الله عليه وسلم ألحش لأنه أفضل البشر ولأن المسلمين في ذلك الوقت كانوا في غاية الفقر كما روى
 أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وقعت في يده يوم حنين غنائم هوازن غل رجل عجمي فغلبت هذه الآية
 (ومن يغفل يأت بما غفل) أى يأت بالذي غفله بعينه يحمله على عنقه (يوم القيامة ثم توفى كل نفس) أى
 تعطى وإفياها (كسبت) أى جزاء ما عملت من الغلول وغيره (وهم) أى كل نفس (لا يظلمون) بزيادة
 عقاب أو بنقص ثواب لأنه تعالى عادل في حكمه (أفمن اتبع رضوان الله) أى أمن اتقى فاتبع رضوان
 الله بالإيمان به والعمل بطاعته (كن به بسخط من الله) أى كن استحق مخطا من الله بالكفر به
 والاشتغال بعصيته (ومأواه) أى الغلال أو من استوجب مخطأ الله (جهنم وبئس المصير) جهنم
 (هم درجات عند الله) أى الفريقان مختلفون في درجات الثواب والعقاب في حكم الله وعلمه باختلاف
 مراتب الطاعات والمعاصي (والله بصير بما يعملون) أى بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم بحسبها
 (لقد من الله على المؤمنين) أى لقد أحسن إليهم (اذبح فيهم رسولا من أنفسهم) أى بعث آدميا
 ولد في بلدهم ونشأ فيمابينهم وهم كانوا عارفين بأحواله من أول العمر إلى آخره أنه ملازم الصدق والامانة
 وهو صار شرفا للعرب ونفرا لهم وذلك لأن الافتخار بإبراهيم عليه السلام كان مشترا كافيه بين اليهود
 والنصارى والعرب ثم إن اليهود يفخرون بعيسى والتوراة والنصارى يفخرون بعيسى والإنجيل فما
 كان للعرب ما يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وأنزل القرآن صار شرف العرب بذلك رائدا على شرف جميع
 الأمم فهذا وجه الفائدة في قوله تعالى من أنفسهم (يتلو عليهم آياته) أى القرآن أى يبلغ الوحي من
 عند الله إلى الخلق بالأمر والنهي (ويركبه) أى يطهرهم بالتوحيد من الشرك وبأخذ الزكاة من
 الذنوب ويكمل نظرهم بحصول المعارف الإلهية (ويعلمهم الكتاب) أى ظواهر الشريعة أو يعرفهم
 التأويل (والحكمة) أى محاسن الشريعة وأسرارها وعملها (وان كانوا من قبل) أى والحال أنهم
 كانوا من قبل بعثته صلى الله عليه وسلم (لفي ضلال مبين) أو المعنى وما كانوا من قبل محمدا والقرآن
 إلا في ضلال بين وذلك لأن دين العرب قبل ذلك كان أزدل الأديان وهو عبادة الأوثان وأخلاقهم أزدل
 الأخلاق وهو الغارة والنهب والقتل وأكل الاطعمة الرديئة ثم لما بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم
 إليهم انتقلوا ببركته من تلك الدرجة التي هي أخس الدرجات إلى أحسنها وصاروا أفضل الأمم في العلم
 والزهد والعبادة وعدم الالتفات إلى الدنيا وطيباتها ولا شأن بهذا أعظم المنفعة (أو لما أصابتكم
 مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) أى أقمتم متعجبين من أين أصابنا هذا ونحن نناصر الإسلام الذي هو دين
 الحق ومعنا الرسول وهم ينصرون دين الشرك بالله فكيف صاروا منصورين علينا وقد تقدم الوعد بالنصر
 حين أصابكم من المشركين نصف ما قد أصابهم منكم قبل ذلك وذلك لأن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد

سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين رأسا وسبعين والاسير في حكم المقتول لان الاسير يقتل أسيره ان أراد (قل هو) أي حصول هذا الامر (من عند أنفسكم) أي بشؤم معصيته -كم يترككم المركز| وحرصكم على الغنيمة (ان الله على كل شيء قدير) فانه قادر على نصركم لو ثبتتم وصبرتم كما هو قادر على التخليّة بينكم وبين عدوكم اذا خالفتم وعصيتهم (وما أصابكم) في أحد من القتل والجراحة (يوم التقى الجمعان) جمع محمد وجمع أبي سفيان (قباض الله) أي فهو يقضاه وادارته (وليعلم المؤمنون وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم) أي وليظهر الله للناس الثابتين على الايمان والذين أظهر والنفاق والامتناع من الجهاد مع وجود الطلب وهم عبد الله بن أبي وأصحابه حيث رجعوا يوم أحد الى المدينة قال لهم عبد الله بن جبير أو عبد الله ابن عمرو بن حرام والد جابر بن عبد الله الانصاري اذكركم الله أن تتخذوا نبيكم وقومكم عند حضور العدو (تعالوا) الى أحد (فاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) أي كونوا امام من رجال الدين أو من رجال الدنيا فان كان في قلبكم حب الدين والاسلام فقاتلوا لهم ما في طاعة الله وان لم تكونوا كذلك فقاتلوا دفعاً عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم وبلدكم (قالوا لنعلم قتالا) أي لو نحن قتلنا ونقدر عليه (لا تبعناكم) الى أحد (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) أي هم للكفر يوم اذ قالوا ما قالوا أقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل هذه الواقعة يظهرن الايمان من أنفسهم وما ظهرت منهم امارّة تدل على كفرهم فلما رجعوا عن عسكر المسلمين تباعدوا بذلك عن أن يظن بهم كونهم مؤمنين وأيضاً قو لهم ذلك يدل على كفرهم لانه اما على السخرية بالمسلمين واما على عدم الوثوق بقول النبي صلى الله عليه وسلم وكل واحد منهما كفر (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) فانهم أظهر وأمرين ليس في قلوبهم واحد منهما أحدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيه ما قالهم عالمون بالقتال غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين على الانخزال عازمين على الارتداد (والله أعلم بما يكتمون) أي يعلم من تفاصيل تلك الاحوال ما لا يعلمه غيره (الذين قالوا) أي الذين نافقوا وهم عبد الله بن أبي وأصحابه (لاخوانهم) أي لاجل اخوانهم وهم من قتل يوم أحد من جنسهم أو أفاضلهم (و قد) (فعدوا) عن القتال بالانخزال (لو أطاعونا) أي فيما أمرناهم به ووافقونا في ذلك (ماقتلوا) كما لم تقتل (قل) للمنافقين (فادروا) أي ادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) في أن القعود ينجي منه وروى انه أنزل الله بهم الموت فأت منهم يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقاً من غير قتال ومن غير خروج لاظهار كذبهم (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) نزلت هذه الآية في حق قتلى أحد وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وأما شهداء بدر فنزلت فيهم آية البقرة ولا تلهووا بالقتال في سبيل الله الآية (بل هم) (أحياء عند ربهم يرزقون) التحف من الجنح وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في صفة الشهداء ان ارواحهم في أجواف طير خضر وانها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح حيث شاءت وتأري الى قناديل من ذهب تحت العرش وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أبشركم أن أبالك حيث أصيب بأحد أحياء الله ثم قال ما تريد يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك فقال يا رب أحب أن تردني الى الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والقرب من الله والتمتع بالنعيم المخلد عاجلاً (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي ان الشهداء يقول بعضهم لبعض تركنا اخواننا فلانا

وفلانا في صف القتالة مع الكفار فيقتلون ان شاء الله فيصيبون من الرزق والكرامة ما أصبنا أي
 يفرحون بحسن حال اخوانهم الذين تركوهم في الدنيا بدوام انتقاء الخوف والحزن وبطوقهم بهم لان الله
 بشرهم بذلك (يستبشرون بنعمة من الله) أي بثواب أعمالهم من الله (وفضل) أي زيادة عظيمة
 من الكرامة (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) من الشهداء وغيرهم (الذين استجابوا لله والرسول من
 بعدما أصابهم القرح) في أحدهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وابن عوف وابن
 مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح وجابر بن عبد الله (لذين أحسنوا منهم) في طاعة
 الرسول في ذلك الوقت (واتقوا) في التخلف عن الرسول (أجر عظيم) روى أن أباسفيان وأصحابه
 لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا اننا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم بل
 الواجب أن نرجع ونستأصلهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يهرب
 الكفار ويريههم من نفسه ومن أصحابه قوة فندب أصحابه الى الخروج في طلب أبي سفيان وقال
 لا أريد أن يخرج الآن معي الا من كان معي في القتال بالامس فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم مع
 قوم من أصحابه قيسل كانوا سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال على
 سائر الطريق لمن أراد اذا الحليفة وكان بأصحابه القرح فتحاموا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الا حرفا لقي
 الله تعالى الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فتركت هذه الآية (الذين قالوا لهم الناس) وهو أعرابي من
 خزاعة أو جماعة راكبون من عبد القيس أو نعيم بن مسعود الاشجعي (ان الناس) أي أباسفيان
 وأصحابه (قد جمعوا لكم) في اللطيمة وهي سوق في قرب مكة (فاخشوهم) بالخروج اليهم روى ان
 أباسفيان لما عزم على أن ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر ان شئت فقال صلى الله
 عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله تعالى فلما حضر الاجل خرج أبوسفيان مع قومه حتى
 نزل بئر الظهران فالتقى الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فربه ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة لليرة
 فشرط لهم حل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم
 اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب وقد بدا لي أن أرجع ولكن ان خرج محمد ولم أخرج
 زاد بذلك جراءة فذهب الى المدينة فثبطهم وللك عندى عشرة من الابل فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد
 المسلمين يتجهزون لميعاد أبي سفيان فقال لهم أين تريدون فقالوا واعدنا أباسفيان بموسم بدر ان نقتل
 فيها فقال لهم ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم وقتلوا أكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم أحد فوقع
 هذا الكلام في قلوب بعضهم فكره الخروج فلما عرف الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك قال والذي نفس
 محمد بيده لا اخرجن اليهم ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وباقي الجماعة يحشون وفيهم ابن مسعود
 فذهبوا وكلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها
 كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يترنظ أباسفيان ثمان ليال ولم يلق أحدا
 من المشركين وافتقوا السوق وبعوا ما كان معهم من التجارات واشتروا أدما وزبيباً ورجعوا في الدرهم
 درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين كما قال تعالى (فزادهم إيماناً) أي زادهم هذا الكلام
 المخوف جراءة بالخروج اليهم وعزماتهم كداعلي محاربة الكفار وعلى طاعة الرسول (وقالوا احسبنا
 الله) أي كافينا الله وثقتنا به (ونعم الوكيل) أي الكفيل بالنصرة والكافي (فانقلبوا بنعمة من الله)
 أي فخرجوا الى بدر فرجعوا من بدر ملتبسين بسلامة وثواب من الله (وفضل) أي ربح في التجارة (لم يحسبهم)

أى لم يصيبهم فى الذهاب والجمى (سوء) أى قتل ولا جراح (واتبعوا رضوان الله) فى طاعة رسوله
(والله ذو فضل عظيم) يدفع العدو عنهم ويعطيهم ثواب الغزو ويرضى عنهم (انما ذلكم الشيطان
يخوف أولياءه) قرأ ابن عباس وابن مسعود يخوفكم أولياءه وقرأ أبى بن كعب يخوفكم بأوليائه
أى ذلكم الشيطان يخوفكم أيها المؤمنون المشركين أباسفيان وأصحابه وقال الحسن والسدى
معنى هذه الآية الشيطان يخوف أولياءه الذين يطيعونه ويختارون أمره وهم المنافقون ليقعدوا عن
قتال المشركين فاما أولياء الله فانهم لا يخافون الكفار اذا خوفهم الشيطان ولا ينقادون لأمره (فلا
تخافوهم) أى أولياء الشيطان بالخروج اليهم (وخافون) فى مخالفة أمرى بالجلوس (ان كنتم
مؤمنين) فان الايمان يقتضى تقديم خوف الله على خوف الناس ويستلزم عدم الخوف من شر الشيطان
وأوليائه (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) قرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاى فى جميع
ما فى القرآن الا قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر فى سورة الانبياء فانه وقع الياء وضم الزاى كباقي القراء
فى جميع ما فى القرآن (انهم لن يضروا الله شيئا) اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية فقيل
انها نزلت فى شأن كفار قريش والله تعالى جعل رسوله آمنا من شرهم والمعنى لا يحزنك من يسارع فى
الكفر بنصرته بأن يقصد جمع العساكر بجمار بتك وباطال هذا الدين وازالة هذه الشريعة وهذا المقصود
لا يحصل لهم بل يصح عمل أمرهم وترزول شوكتهم ويعظم أمرك ويعلو شأنك فانهم لن يضروا الله شيئا
بهذا الصنيع وانما يضررون أنفسهم وقيل نزلت فى شأن المنافقين انهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب
وقعة أحد ويؤيسونهم من النصر والظفر وقيل نزلت فى شأن رؤساء اليهود كعب بن الاشرف وأصحابه
الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم لمتاع الدنيا (يريد الله) بذلك (أن لا يجعل لهم حظا) من
الثواب (فى الآخرة) أى الجنة (ولهم عذاب عظيم) فى النار (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن
يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم) قال ابن عباس هم المنافقون اختاروا الكفر على الايمان فانهم متى
كانوا مع المؤمنين أظهر والايمان فاذا اخلوا الى شياطينهم كفروا وتركووا الايمان فكان ذلك كأنهم
اشتروا الكفر بالايمان ويمكن حمل هذه الآية على اليهود ومعنى اشتروا الكفر بالايمان منهم انهم
كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمنون به قبل مبعثه ويستنصرون به على أعدائهم فلما بعث
كفروا به وتركووا ما كانوا عليه فكانهم أعطوا والايمان وأخذوا الكفر بدلا عنه كما يفعل المشتري من
اعطاء شئ وأخذ غيره بدلا عنه (ولا يحسبن الذين كفروا انما غلبهم) أى غلب لهم بتطويل الاعمار (خير
لأنفسهم انما غلبهم ليزدادوا انما) أى ذنبا فى الدنيا ودركات فى الآخرة (ولهم عذاب مهين) يهانون
به يوما فيوما راحة بعد ساعة قال الفخر الرازى بن الله تعالى فى هذه الآية ان بقاء هؤلاء المتخلفين عن
القتال ليس خيرا من قتل أولئك الذين قتلوا فى أحد لان هذا البقاء صار وسيلة الى الخزي فى الدنيا
والعقاب الدائم فى القيامة وقتل أولئك الذين قتلوا فى أحد صار وسيلة الى الثناء الجميل فى الدنيا والثواب
الجزيل فى الآخرة فترغب أولئك المشبطين فى مثل هذه الحياة وتنفرهم عن مثل ذلك القتل لا يقبله
الاجاهل قرأ ابن كثير وأبو عمرو فى الآية ولا تحسبن الذين كفروا ولا تحسبن الذين يدخلون لا تحسبن
الذين يفرحون فلا تحسبنهم بالتاء وضم الباء فى قوله تعالى تحسبنهم وقرأ نافع وابن عامر بالياء الا قوله
فلا تحسبنهم فانه بالتاء وقرأة حمزة كلها بالتاء وقيل نزلت الآية من قوله ولا يحزنك الى ههنا فى حق
مشركي أهل مكة يوم أحد (ما كان الله ليذر المؤمنين) أى ليرك الخلفين (على ما أتم عليه) أيها

الناس من اختلاط المنافقين بالمخلصين واظهارهم انهم من اهل الايمان (حتى يميز الخبيث) أى
المتافق (من الطيب) أى المؤمن بالقائه المحن والمصائب والقتل والهزيمة فن كان مؤمناً ثبت على ايمانه
وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ومن كان منافقاً ظهر نفاقه و ~~كفره~~ أو بالقرائن فان المسلمين كانوا
يفرحون بنصرة الاسلام وقوته والمنافقين كانوا يغتمون بذلك (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أى
ان عادة الله جارية بانه لا يطلع عوام الناس على غيبه بل لاسبيل ~~لهم~~ لكم الى معرفة ذلك الامتياز الا
بالامتهانات من التكاليف الشاقة كبذل الاموال والانفس في سبيل الله فأما معرفة ذلك على سبيل
الاطلاع من الغيب فهو من خواص الانبياء فلماذا قال تعالى (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء)
نقصهم باعلامهم أن هذا مؤمن وهذا منافق أو المعنى فيمكن خلقه بالشرائع على أيديهم حتى يتميز
الفريقان بالامتحان أو المعنى وما كان الله ليجعلكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى
تصير وامستغنين عن الرسول بل الله يخص من يشاء من عباده بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء
الرسل (فآمنوا بالله ورسوله) أى لما طعن المنافقون في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بوقوع الحوادث
المكرهه في أحدين الله تعالى انه كان فيهما صالح منها تميز الخبيث من الطيب ولم يبق بعد جواب هذه
الشبهة الا أن تؤمنوا بالله ورسوله (وان تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) أى الكفر والنفاق (فلكم أجر
عظيم) أى ثواب وافر في الجنة (ولا يحسبن الذين يخولون عبا آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر
لهم) أى لا يتوهم هؤلاء الجلاه ببدل المال في الجهاد ان بخلمهم هو خير لهم بل هو شر لهم لانه يبقى
عقاب بخلمهم عليهم (سيطوقون ما يخولوا به يوم القيامة) أى سيجعل ذلك المال طوقاً من النار في
عنقهم وقيل ان المراد الجمل بالعلم وذلك لان اليهود كانوا يكتمون نعت محمد صلى الله عليه وسلم فكان ذلك
الكتمان بخلاً لميتهم كان معنى سيطوقون ان الله تعالى يجعل في رقابهم طوقاً من نار قال صلى الله عليه
وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله بلجام من النار يوم القيامة والمعنى انهم عوقبوا في أفواههم
وألستهم بهذا اللجام لانهم لم ينطقوا بأفواههم وألستهم بما يدل على الحق (ولله ميراث السموات
والارض) أى له تعالى ما يتوارثه أهلها من مال وغيره (والله بما تعملون) من الجمل والسخاء
(خبير) فيجازيكم عليه أو فيجازيهم عليه (لقد سمع الله قول الذين قالوا) أى فخصاص بن عاذورا
كما قاله ابن عباس والسدي وأوجي بن أحطب كما قاله قتادة أو كعب بن الأشرف كما نقله ابن عساكر روى
أنه صلى الله عليه وسلم كتب: أبى بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وإيتاء
الزكاة وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً فقال فخصاص اليهود ان الله فقير حتى سألنا القرض فلطمه أبو بكر
في وجهه وقال ولا الذى بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأنكر ما قاله فنزلت هذه الآية تصديقاً لابي بكر رضى الله عنه والجمع حيث شذم كونه القائل واحد
لرضا الباقين بذلك (ان الله فقير) محتاج يطلب منا القرض (ونحن أغنياء) ولا نحتاج الى قرضه
(سنكتب ما قالوا) أى من العظيمة الشنعاء في هائف الحفظة ليقرؤا ذلك يوم القيامة أو سنحفظه
ونثبت في علمنا لا ننساه ولا نهمله أو المراد سنكتب عنهم هذا الجهل في القرآن حتى يعلم الخلق الى يوم
القيامة شدة جهلهم وطعنهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما قدر واعليه (وقتلهم الانبياء بغير حق)
في اعتقادهم كما في نه. الامر أى نكتب عليهم رضاهم بقتل آبائهم الانبياء بغير جرم أو المعنى سنحفظ
عن الفريقين معاقبوا لهم وأفعالهم (وتقول) عند الموت أو عند الحشر أو عند قراءة الكتاب أو عند

الالتقاء في النار ويحتمل أن يكون هذا القول كناية عن حصول الوعيد وان لم يكن هناك قول وقرأ حمزة
 سيكتب بالياء وضمها على لفظ ما لم يسم فاعله وقتلهم برفع اللام ويقول بالياء والباقون بالنون ونصب
 اللام من قتلهم وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وبالبناء للفاعل (ذوقوا عذاب الحريق) أي
 المحرق (ذلك) أي هذا العذاب المحرق (بما قدمت أيديكم) أي بسبب ما اقترفتموه من التفوه بتلك
 العظيمة وغيره من المعاصي (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي والامر أنه تعالى ليس بعذب لعبيده بغير
 ذنب من قبلهم (الذين قالوا) نصب على الذم أو جرنعت للذين الاول أي لقد سمع الله قول الذين قالوا قال
 ابن عباس نزلت هذه الآية في حق كعب بن الاشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصييف ووهب بن يهودا
 وزيد بن ثابت وفحاص بن عاذورا وحجي بن أخطب وغيرهم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
 يا محمد تزعم أنك رسول الله وأنه تعالى أنزل عليك كتابا وقد عهد الله الينا في التوراة ان لانؤمن لرسول
 حتى يأتينا بقربان تأكله النار ويكون لها دوى خفيف تنزل من السماء فان جئتنا به ذا صدقناك فترلت
 هذه الآية (ان الله عهد الينا) أي أمرنا في الكتاب (أن لانؤمن لرسول) أي ان لانصدق أحدا
 بالرسالة (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) ما كان عليه أمر أنبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب
 بالقربان من النعم أو من الصدقات غير الحيوان فيقوم النبي في البيت وينادي بجريبه وبنوا اسرائيل
 واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء أي لا دخان لها ولا دوى فتأكل القربان أي تحرقه وهذا من
 أباطيلهم فان أكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء وقد تقدمت
 المعجزات الكثيرة لمحمد صلى الله عليه وسلم وطلبهم لهذا المعجز وقع على سبيل التفتت لاعلى سبيل
 الاسترشاد ولذلك رد الله عليهم بقوله (قل) يا أشرف الخلق (قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات)
 أي بالمعجزات الواضحة (وبالذي قلتم) وهو القربان الذي تأكله النار (فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين)
 في مقاتلتكم انكم تؤمنون لرسول يأتكم بما اقترحتموه فان ذكر يا ويحيى وعيسى وغيرهم من الانبياء
 عليهم السلام قد جاءكم بما قلتم في معجزات أخر فالكم لم تؤمنوا لهم حتى اجتراءتم على قتلهم (فان
 كذبوا) في أصل النبوة والشرعة فتسل (فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات) أي المعجزات
 (والزبر) أي الصحف كصحف ابراهيم وموسى (والكتاب المنير) أي الواضح وهو التوراة والانجيل
 والزبور وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الباء كقراءة ابن عباس دلالة على المغايرة وقرأ هشام وبالكتاب
 باعادة الباء والباقون بغير الباء فيهما (كل نفس ذائقة الموت) أي كل حيوان حاضر في دار التكليف
 يذوق الموت وروى عن الحسن انه قرأ ذائقة الموت بالتنوين ونصب الموت وقرأ الهمش بطرح التنوين
 مع نصب الموت (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) أي وانما تعطون أجزية أعمالكم على التمام يوم
 قيامكم من القبور وفي لفظ التوفية اشارة الى ان بعض أجورهم يصل اليهم قبله كما يدل عليه قوله صلى
 الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (فن زحزح) أي أبعد (عن
 النار) بالتوحيد والعمل الصالح (وأدخل الجنة فقد فاز) أي نال غاية مقصوده وقال النبي صلى الله
 عليه وسلم من أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر
 ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتي اليه (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) أي ليس ما في الدنيا من
 النعيم الا كمتاع البيت في بقاءه مثل الحزف والزجاج وغير ذلك أي ان العيش في هذه الدنيا يغتر
 الانسان بما يحينه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بأنها متاع الغرور لانها تغري بئذ المحبوب

وتخيل للانسان انه يدوم وليس بدا ثم قال بعضهم الدنيا ظاهرها مطية السرور وباطنها مطية الشر وقال
سعيد بن جبران هذا في حق من آثر الدنيا على الآخرة وأما من طلب الآخرة بها فانهانهم المتاع (لتبلون
في أموالكم وأنفسكم) أي والله لتختبرن في ذهاب أموالكم بالمهلكات كالغرق والحرق وبالتكاليف
كالزكاة والجهاد وفي ما يصيب أنفسكم من البلياء كالأمراض والأوجاع والقتل والضرب ومن
التكاليف كالصلاة والجهاد والصبر فيهما (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
أشركوا إذا كثروا) أي ولتسمعن من اليهود والنصارى ومشركي العرب أنواع الأذى من الطعن في
الدين الخفيف والقدح في أحكام الشرع الشريف وصد من أراد أن يؤمن ويخطئ منه من آمن وما كان
من كعب بن الأشرف واضربه من هجاء المؤمنين وتشيب نسايتهم وتحريض المشركين على مضادة
رسول صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خفيه (وان تصبروا) على تلك البلى وأذى الكفار
وتستعملوا احتمال المكروه ومداراة الكفار في كثير من الأحوال (وتتقوا) أي تحترزوا عما لا ينبغي
وعن المداينة مع الكفار وعن السكوت عن اظهار الانكار (فان ذلك) أي الصبر والتقوى (من
عزم الأمور) أي من عزم أمور المؤمنين وخبرها ومن صواب التدبير أو المعنى فان ذلك مما قد عزم عليكم
فيه أي ألزمت الأخذ به وما يجب ان يعزم عليه كل أحد لانه حميد العاقبة (واذا أخذ الله ميثاق الذين
أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) أي واذا كروقت أخذته تعالى العهد على علماء اليهود
والنصارى لتذكرن الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والانجيل وللناس
ولا تلقوا فيها التاريكات الفاسدة والباطلة قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم وأبو عمرو بالغيبة في الفعلين
والباقون بالخطاب فيهما (فنبذوه) أي طرحوا الميثاق (وراء ظهورهم) أي فلم يعملوا به (واشترؤا
به) أي الكتاب (ثمنًا قليلًا) أي شيئًا نافعًا من الدنيا أي أخفوا الحق لئلا يسلبوا به إلى وجدان شيء من الدنيا
(فبئس ما يشترتون) أي بئس شيئًا يشترونه ذلك الثمن فكل من لم يمين الذي للناس وكنتم شيئًا منه لغرض
فأسد من تسهيل على الظلمة وتطبيب قلوبهم أو لجر منفعة أو لحوق أو ليجل للعلم دخل تحت هذا الوعيد
قال صلى الله عليه وسلم من كنتم علماء عن أهل الجحيم لجام من نار وعن محمد بن كعب قال لا يحل لاحد من
العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وكان قتادة يقول طوبى لعالم
ناطق ولمستمع واع هذا علم علماء قبضه وهذا سمع خبر افواه (لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا) أي بما فعلوا
من تحريف نصوص التوراة وتفسيرها بتفسيرات باطلة (ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا) أي
يحبون ان يوصفوا بالدين والفضل والعفاف والصدق (فلا تحسبنهم بغيره) أي بعبادة (من العذاب)
وقيل نزلت هذه الآية في شأن المنافقين فانهم يفرحون بما أوتوا من اظهار الايمان للمسلمين على سبيل
النفاق من حيث انهم كانوا يتوصلوا بذلك إلى تحصيل مصالحهم في الدنيا ثم كانوا يوقعون من النبي صلى
الله عليه وسلم ان يحمدهم على الايمان الذي لم يكن موجودا في قلوبهم ولا شأن هذه الآية واردة في
الكفار والمنافقين الذين أمر الله رسوله بالصبر على أذاهم فان أكثر المنافقين كانوا من اليهود والاولى
اجراء الموصول على العموم فيشتمل على كل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح أعجاب ويود أن
يعدحه الناس بما هو عار منه من سداد السيرة واستقامة الطريقة والهدى والاقبال على طاعة الله وقرأ
حمزة وعاصم والكسائي تحسبن وتحسبنهم بالناء الفوقية وكلاهما بفتح الباء والتقدير لا تحسبن يا محمد
وأيها السامع أو كلاهما بضم الباء والخطاب للمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بغيره وقوله

تعالى فلا تحسبنهم تأكيد والغاء مقحمة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالياء التحتية وكلاهما
بفتح الباء والفاعل للرسول وبضمها والفاعل من يتأتى منه الحسبان أو بفتح الباء في الأول وضمها في
الثاني وهو قراءة أبي عمرو والفاعل هو الموصول والمفعول الأول محذوف والتقدير ولا يحسبن الذين يفرحون
أنفسهم بعبادة من العذاب ويجوز أن يحمل الفعل الأول على حذف المفعولين مع اختصار الدلالة مفعولي
الفعل الثاني عليهما أي لا يحسبن هؤلاء أنفسهم فائزين أو على أن الفعل الأول مسند للرسول أو لكل
حاسب ومفعوله الأول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه والفعل الثاني مسند
إلى ضمير الموصول والغاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانته صلى الله عليه وسلم
ومفعولاه مابعد (ولهم عذاب أليم) أي وجيع في الآخرة (ولله ملك السموات والأرض) أي له تعالى
السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء إيجادا أو اعدامًا أو حياة أو إماتة تعذيبه
وإثابة وهو تعالى يملك ما فيهما من خرائن المطر والنبات والرزق (والله على كل شيء قدير) فلا يشذ من
ملكوته شيء من الأشياء وكل ما سواه تعالى مقدوره تعالى (إن في خلق السموات والأرض) أي في
إنشائها على ما هما عليه في ذواتهما وصفاتهما (واختلاف الليل والنهار) أي في تعاقبهما في وجه الأرض
وكون كل منهما خلقا للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها الناشئين من حركات السموات وسكون
الأرض أو في تفاوتهما بآزاد أو انتقاص باختلاف حال الشمس بالنسبة إليها قربا أو بعدا بحسب الأزمنة
أو في اختلافهما بحسب الأماكن (لآيات) كثيرة عظيمة دالة على وحدانيته تعالى وقدرته تعالى
(لأنهم لا يبالون) أي لذوى العقول المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في حكمه المودعة
في الانفس والآفاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر
إلى النجوم وإلى السماء وقال أشهد أن لا ربا إلا الله فغفر الله له فغفر له وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا عبادة كالتفكير وحكي أن الرجل من بني إسرائيل كان إذا عبد الله ثلاثين سنة أظلمته
سحابة فعبد في تلك المدة فتى من قتيانهم فساء أظلمته سحابة فقالت له أمه لعل فرط صدرك منك في مدتك
فقال ما ذا كركرت لك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر قال نعم قالت فساء أظلمت لك (الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) أي الذين لا يغفلون عن الله تعالى في جميع أوقاتهم لا طمئنانا
قلوبهم بذكره تعالى واستغراقهم في مراقبته لما أيقنوا بأن كل ما سواه فائض منه وعائد إليه
فلا يشاهدون حالا من الأحوال في أنفسهم ولا في الآفاق إلا وهم يعاينون في ذلك شأنهم شأنه تعالى
فالمراد بذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات أو من حيث الصفات والأفعال وسواء قارنه
الذكر اللساني أولا وتخصيص الأحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لأنها الأحوال
المعتادة التي لا يحلو عنها الإنسان غالبا والمراد تعميم الذكر للأوقات قال النبي صلى الله عليه وسلم من
أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) وعلى وفق
هذه الآية قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق أي لأن الاستدال بالخلق
على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت الجملة وإنما يمكن وقوعه على نعت المخالفة فإذا استدلل بحدوث هذه
المحسوسات على قدم خالقها وبكميتها وكيفيتها وشكلها على براءة خالقها عن الكمية والكيفية وللشك
وقوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه معناه من عرف نفسه بالحدوث عرف ربه بالقدم ومن
عرف نفسه بالإمكان عرف ربه بالوجوب ومن عرف نفسه بالحاجة عرف ربه بالاستغناء فكان التفكير في

الخلق ممكن من هذا الوجه أما التفكير في الخالق فهو غير ممكن البتة فاذا لا يتصور حقيقة الا بالسلوب
 فنقول انه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا في الجهة ولا شئ أن حقيقة الخصوصية مغايرة لهذه
 السلوب وتلك الحقيقة الخصوصية لا سبيل للعقل الى معرفتها فيصير العقل كالواله فهذا السبب نهى النبي
 صلى الله عليه وسلم عن التفكير في الله وأمر بالتفكير في المخلوقات فلهذه الدققة أمر الله في هذه الآية
 بذكره ولم يأمر بالتفكير فيه بل أمر بالتفكير في مخلوقاته قال بعض العلماء الفكرة تذهب الذلة وتجلب
 للقلب الخشية كما ينبت الماء الزرع وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه
 كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض أى وذلك لان عمله والتفكير في معرفة الله لانه لا يقدر أحد
 أن يعمل بجوارحه مثل عمل أهل الأرض وانما هو عمل القلب واعلم أن دلائل التوحيد محصورة في قسمين
 دلائل الآفاق ودلائل الأنفس والشئ أن دلائل الآفاق أعظم وأعجب فلو أن الانسان نظر الى ورقة
 صغيرة من أوراق شجرة رأى في تلك الورقة عرقا واحدا اعتدا في وسطها ثم يتشعب من ذلك العرق عروق
 كثيرة الى الجانبين ثم يتشعب منها عروق دقيقة ولا يزال يتشعب من كل عرق عروق أخر حتى يصير في
 الدقة بحيث لا يراها البصر وعند هذا يعلم أن الخالق في تدبير تلك الورقة على هذه الخلقة حكما بالغة وأمرارا
 عجيبا ولو أراد الانسان أن يعرف كيفية خلقة الورقة لعجز فاذا عرف أن عقله قاصر عن الوقوف على
 كيفية خلقة تلك الورقة الصغيرة فاذا قاس تلك الورقة الى السموات مع ما فيها من الشمس
 والقمر والنجوم والى الأرض مع ما فيها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف أن
 تلك الورقة بالنسبة الى هذه الاشياء كالعدم فاذا عرف قصور عقله عن معرفة ذلك الشئ الحقير عرف انه
 لا سبيل له الى الاطلاع على عجائب حكمة الله تعالى في خلق السموات والأرض واذا عرف بهذا البرهان
 قصور عقله لم يبق معه الا الاعتراف بأن الخالق أجل من أن يحيط به وصف الواسفين ومعارف العارفين
 بل يسلم أن في كل ما خلقه الله تعالى حكما بالغة وأمرارا عظيمة ولا سبيل له الى معرفتها فعند هذا يقول
 (ربنا ما خلقت هذا) أى المخلوق العجيب (باطلا) أى بغير حكمة بل خلقته بحكمة عظيمة وهي أن
 تجعلها مساكن للكافرين الذين اشتغلوا بطاعتك وتحرزوا عن مغصبتك ومدار المعاش العباد ومنارا
 يرشدهم الى معرفة أحوال المبدأ والمعاد (سبحانك) وهذا اقرار بعجز العقول عن الاطاعة بما تار حكمة
 الله تعالى في خلق السموات والأرض أى ان الخلق اذا تفكر وافي هذه الاجسام العظيمة لم يعرفوا منها
 الا هذا القدر وهو ان خالقها ما خلقها باطلا بل خلقها بالحكم عجيبة وأمرار عظيمة وان كانت العقول قاصرة
 عن معرفتها (فما عذاب النار) أى ادفع عنا عذاب النار لانه جرم من عصي ولم يطع اعلم انه تعالى لما
 حكى عن هؤلاء العباد المخلصين ان ألسنتهم مستغرقة بذكر الله تعالى وأبدانهم في طاعة الله وقلوبهم في
 التفكير في دلائل عظمة الله ذكرانهم مع هذه الطاعة يطلبون من الله أن يقيمهم عذاب النار لانه يجوز على
 الله تعذيبهم لانه لا يقع من الله شئ أصلا (ربنا انك من تدخل النار فقد أخرجته) أى اهتته (وما للظالمين)
 أى الكافرين (من أنصار) يمنعونهم من عذاب الله تعالى (ربنا انما سمعنا مناديا ينادى للإيمان
 ان آمنوا بربكم) أى سمعنا مناديا وهو كما قال محمد بن كعب القرآن المجيد يدعو الناس الى الإيمان
 أى آمنوا بربكم (فآمنوا) أى فآمنوا بربكم وأجبناداه (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) أى كباثرنا
 (وكفرنا سيئاتنا) أى صغائرنا وقبيل المراد بالاول ما يزل بالتوبة وبالثاني ما تنكفروا الطاعة العظيمة
 وقبيل المراد بالاول ما أتى به الانسان مع العلم بكونه معصية وبالثاني ما أتى به الانسان مع جهله بذلك (وتوفنا)

مع الأبرار) أي على مثل أعمالهم لتكون في درجاتهم يوم القيامة أو المعنى توفنا على الإيمان واجمعنا مع
أرواح النبيين والصالحين (ربنا وأتينا ما وعدتنا على رسلك) والجبار والمجرر متعلق بوعده تعالى
وعدتنا على تصديق رسلك أو بمحذوف وقع صفة مصدره وكذا محذوف أي وعدتنا وعدا كائننا على السنة
رسلك وقيل والمعنى وفقنا للأعمال التي نصير بها أهلا لوعده من الثواب واعصها من الأعمال التي نصير
بها أهلا للعقاب والخزي (ولا نخزنا) أي لا نقضحنا (يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد) وهذا يدل على
أن المقتضى لحصول منافع الآخرة هو الوعد لا الاستحقاق وفي الآثار عن جعفر الصادق من حربه أمر
فقال ربنا خمس مرات أنجاه الله عما يخاف وأعطاها ما أراد واستدل بهذه الآية (فاستجاب لهم ربهم)
فيما سألوهم من غفران الذنوب وأعطاها الثواب (أنى لا أضيع عمل عامل منكم) وقرأ الجمهور بفتح
الهمزة وقرأ أبي باني بالياء التي للسبيبة وقرأ عيسى بن عمر بكسر الهمزة والمعنى انى لا أبطل ثواب عامل
عامل منكم والمراد حصلت اجابة دعائكم في كل ما طلبتموه (من ذكر أو أنثى) فلا تفاوت في الاجابة
وفي الثواب بين الذكر والانثى اذا كانا في التمسك بالطاعة على السوية (بعضكم من بعض) أي بعضكم
كبعض في الثواب عن الطاعة والعقاب على المعصية (فالذين هاجروا) أي اختاروا المهاجرة من
أوطانهم في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم (وأخرجوا من ديارهم) أي ألجأهم الكفار الى الخروج
من منازلهم التي ولدوا فيها (وأوذوا في سبيلي) أي بسبب طاعتي ومن أجل ديني (وقاتلوا وقتلوا)
قرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وقاتلوا بالالف وقتلوا مخففة والمعنى قاتلوا العدو معه صلى الله عليه وسلم
حتى قتلوا في الجهاد وقرأ ابن كثير وابن عامر وقاتلوا بالالف وقتلوا مشددة لتكرار القتل فيهم
وقيل معناه قطعوا وقرأ حمزة والكسائي وقتلوا بواو ياء ألف أولا وقاتلوا بالالف ثانيا أي قتلوا
وقد قاتلوا (لا كفرن عنهم سبياً) هم ولادخلتهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله
والله عنده حسن الثواب) أي ان الله تعالى وعد من فعل ذلك بأمر ثلاثة أولها محو السيئات
وغفران الذنوب وذلك هو الذي طلبوه بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وثانيها اعطاء
الثواب العظيم وهو دخول الجنان وهو الذي طلبوه بقولهم وآتينا ما وعدتنا على رسلك وثالثها كون
الثواب مقرونا بالتعظيم وهو المشار اليه بقوله تعالى من عند الله وهو الذي طلبوه بقولهم ولا تخزنا
يوم القيامة وقوله تعالى ثوابا مصدره وكذا المعنى ما قبله لان معنى مجموع قوله تعالى لا كفرن ولا دخلتهم
لا يبينهم فكأنه قيل لا يبينهم ثوابهم من عند الله وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب تأكيده لكون
الثواب في غاية الشرف روى ان أم سلمة قالت يا رسول الله اني لم أسمع ذكرا للنساء في الهجرة فنزل قوله
تعالى فاستجاب لهم ربهم الى هنا ولما قال بعض المؤمنين ان أعداء الله فيماترى من الخير ونحن في الجهد
نزل قوله تعالى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) أي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة
ووفور الحظ ولا تغتر بظواهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع (متاع قليل) أي
ذلك الذي ترى من الخير منفعة يسيرة في الدنيا لا قدر لها في مقابلة ما أعد الله للمؤمنين من الثواب قال صلى
الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر به يرجع رواءه مسلم (ثم
ماوهم) أي مصيرهم (جهنم وبئس المهاد) أي بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم (لكن الذين اتقوا
ربهم) من الشرك والمعاصي وان أخذوا في التجارة (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها)
فلا يضرهم ذلك الكسب (نزلنا من عند الله) أي حال كونه الجنات عطاءا وكراما من الله لهم كما تعد

الضياقة للضيف اكراما (وما عند الله) من الثواب الدائم (خير للابرار) أي للواحد من عباد الله
فيه الفجار في الدنيا من المتاع القليل السريع الزوال (وان من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل
اليهم) أي القرآن (وما أنزل اليهم) أي التوراة والانجيل قال ابن عباس وجابر وقتادة نزلت هذه
الآية في شأن أمية النجاشي حين مات وأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم بموته فقال
النبي لأصحابه أترجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع وكشف الله له إلى أرض
الحبشة فأبصر سرير النجاشي فصلى عليه واستغفر له فقال المناقون انظروا إلى هذا يصلى على عجل حبشي
نصراني لم يره قط وليس على دينه وقال ابن جريج وابن زيد نزلت في حق عبد الله بن سلام وأصحابه وقال
عطاء نزلت في حق أربعين رجلا من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على
دين عيسى فأسلموا وقال مجاهد نزلت في حق مؤمن من أهل الكتاب كلهم (خاشعين لله) أي متواضعين
لله في الطاعة (لا يشترطون بآيات الله ثمنا قليلا) أي لا يكتفون أمر الرسول ونعته كما يفعل غيرهم من
أهل الكتاب لغرض المأكل والرياسة (أو لئلا) أي المتصفون بصفات حميدة (لهم أجرهم عند
ربهم) في الجنة (إن الله سريع الحساب) أي سريع لا يصال الأجر الموعود اليهم من غير حاجة إلى
تأمل لكونه عالم بجميع الأشياء فيعلم بالكل واحد من الثواب والعقاب (يا أيها الذين آمنوا اصبروا)
على مشقة الاستدلال في معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وعلى مشقة استنباط الجواب عن شبهات تحو
الفلاسفة وعلى مشقة أداء الواجبات والمذدوبات وعلى مشقة الاحترار عن المنهيات وعلى شدائد الدنيا
من المرض والفقر والخوف (وصابروا) على تحمل المكاره الواقعة بينكم وبين غيركم فيدخل فيه تحمل
الأخلاق الرديئة من أهل البيت والأقارب والجيران وترك الانتقام عن أساءة والعفو عن ظلم ولا يثار
على الغير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد والمصاهرة مع المبطلين وحل شبههم (ورابطوا)
أي جاهدوا القوى التي هي مصادر الأفعال الذميمة من الشهوة والغضب والحرص أو المعنى انتظروا
الصلاة بعد الصلاة (واتقوا الله) في مخالفة أمره وبتقوى الله يحصل دفع القوى الداعية إلى القبائح
والمنكرات (لعلكم تفلحون) أي كي تنتظروا في زمرة الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل كرب
فظهر أن هذه الآية مشتملة على علوم الأصول والفروع وعلى الحكم والأسرار

سورة النساء مدنية وآياتها مائة وست وسبعون وكمالاتها ثلاثة آلاف

وخمس وأربعين وحر وفها ستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم) بالتناسل (من نفس واحدة) أي بكم
آدم (وخلق منها) أي من نفس آدم (زوجها) أمكم حواء روى أنه تعالى لما خلق آدم وأسكنه الجنة
ألقى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها
عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن المرأة خلقت من ضلع أعوج فإن ذهبت تقيمها كسرتها وإن
تركتها وفيها عوج استقمت بها (وبت منهما) أي نشر من تلك النفس وزوجها بطريق التوالد
(وبالآثار والنساء) كثيرة روى بن جرير عن ابن عباس أن بني آدم لصلبه أربعون في هشرين بطنا
فيما حفظ من ذكورهم قابيل وهابيل وياذ وشوبه وهندومر انيس وثور وسند وبارق وشيث ومن
نساءهم أقيمت وأسوف وجرز ورو وراثال ابن هسا كرو وقد روى أن من بني آدم لصلبه عبد المغيث

وقوامته أمة المغيث ووداوسوا ويغوث ويعوق ونسرا وجميع أنساب بني آدم ترجع إلى شيث وسائر أولاده اتقوا نسابهم من الطوفان (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) قرأعاصم وحمنة والكسائي تساءلون بالتحفيف والباقون بالتشديد وقرأ حمزة والأرحام بجر الميم والتقدير واتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحام لأن العادة حرت في العرب بأن أحدهم قد يستعطف غيره بالرحم فيقول أسألك بالله والرحم ورجعوا فإفرد ذلك فقال أسألك بالرحم وأما قراءة الأرحام بالنصب فنعناه واتقوا الله بالتزام طاعته واجتناب معاصيه واتقوا الأرحام بوصلها وعدم قطعها فيما يتصل بالبر والاحسان والاعطاء أو يقال والرموا الأرحام وصلوها وقد دللت الآية على جواز المسئلة فيما بيننا والله كقوله بالله أسألك روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فأعطوه (إن الله كان عليكم رقيبا) أي حافظا مطلقا على جميع ما يصدر عنكم من الأفعال والأقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مریدا لجأزاتكم على ذلك (وأتوا اليتامى) الذين بلغوا (أموالهم) التي عندهم وقال أبو السعود أي لا تعرضوا لأموال اليتامى بسوء حتى تأتيتهم وتصل إليهم سالمة سواء أريد باليتامى الصغار وما يعم الصغار والكبار (ولا تبدلوا الخبيث بالطيب) أي لا تستبدلوا الحرام الذي هو مال اليتامى بالحلال الذي هو مالكم الذي أبيع لكم من المكاسب بأن تتركوا أموالكم وتأكلوا أموالهم (ولأنكم كلوا أموالهم إلى أموالكم) أي لأنكم كلوا أموالهم مضمومة إلى أموالكم حتى لا تفرقوا بين أموالهم وأموالكم في حل الانتفاع بها فلا يحل لكم من أموالهم ما زاد على قدر الأقل من أجر تكم ونفقتكم (أنه) أي وأكل مال اليتيم (كان حوبا كبيرا) أي ذنبا عظيما عند الله نزلت هذه الآية في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فنفعه عنه فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها ألم قال أظعننا الله وأطعننا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع ماله إليه (وان خفتهم) يا أولياء اليتامى (أن لا تقسطوا) أي أن لا تعدلوا (في اليتامى) إذا نكحتهموهن (فانسكوا) غيرهن من الغرائب روى عن عسرة أنه قال قلت لعاشئة مامعنى قوله تعالى وان خفتهم أن لا تقسطوا في اليتامى قالت يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فیرغب في جهاها ومالهها ويريد أن ينسكها بأدنى من صداقها ثم إذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بأنه ليس لها من يذب عنها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا في الكمال الصداق وأمروا أن ينسكوها مساوهم وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لا جلا جلا مالها وهي لا تهجبه وانما تزوجها كراهة أن يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسيء محبتها ويربص بها إلى أن تموت فبرئها فعاب الله عليهم ذلك وأنزل هذه الآية وروى عن عكرمة أنه قال كان الرجل عنده نسوة وایتام فاذا أنفق مال نفسه على النسوة ولم يبق له مال وصار محتاجا أخذ في أنفاق أموال اليتامى عليهن فقبل لهم لا تزیدوا على أربع فانهم كانوا يتزوجون من النساء ما شاؤا تسعاً أو عشرة وكان تحت قيس بن الحرث ثمان نسوة فحرم الله عليهم ما فوق الأربع أي وان خفتهم أن لا تعدلوا في حق اليتامى إذا تزوجتم بهن بأساءة العشرة أو بنبهة من الصداق فانسكوا (ما طاب لكم من النساء) أي فتزوجوا من استطابتها نفوسكم ومالت إليها قلوبكم من الأجنبيةات (مثنى وثلاث ورباع) ولا تزیدوا على أربع (فان خفتهم أن لا تعدلوا) بين هذه الأعداد في القسمة والنفقة كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الأعداد وكما لم تعدلوا في حق اليتامى (فواحدة) أي فالزموها أو فاخترنا واحدة وذروا الجمع وقرئ فواحدة بالرفع أي فكفت

واحدة أو خمس بكم واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) أى من السرارى فإنه لا قسمة لهن عليكم (ذلك أدنى أن لا تعملوا) أى اختيار الحرمة الواحدة أو التمسرى أقرب إلى أن لا تملوا وما لا يحظور بالنسبة إلى ما عداهما والامر يدور مع عدم الجور لا مع تحقق العدل (وأتوا النساء) اللاتي أمرتم بنكاحهن (صدقاتهن) أى مهورهن (فحيلة) أى فريضة من الله تعالى كما قاله ابن عباس وقتادة وابن جرير وابن زيد وأغافير والحيلة بالفريضة لأن الفحيلة في اللغة معناها الديانة والملة والشرعة والمذهب فقوله تعالى وأتوا النساء صدقاتهن فحيلة أى أعطوهن مهورهن لأنهن شرعية ودين ومذهب وما هو كذلك فهو فريضة وانتصاب فحيلة على أنها مفعول له أو حال من الصدقات (فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا) أى فإن وهبن لكم شيئا من الصداق بطيبة نفس من غير أن يكون السبب فيه شكاسة أخلاقكم معهن أو سوء معاشرتكم معهن (فكلوه) أى خذوا ذلك الشيء وتصرفوا فيه (هنيئا) أى حلا بلائكم (مرثيا) أى بلا ملامة وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كتب إلى قضاته أن النساء يعطين رغبة ورهبة فأبيا امرأة أعطته ثم أرادت أن ترجع فذلك لها (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) أى وبأيام الأولياء لا تؤتوا المبذرين من اليتامى الذين يكونون تحت ولايتكم أموالهم التي في أيديكم التي جعل الله الأموال معاشكم أى لا يحصل معاشكم إلا بهذا المال مخافة أن يضيعوها وأضاف الله المال إلى الأولياء من حيث أنهم ملكوها والتصرف فيه لا لأنهم ملكوها والمال ويكفي حسن الإضافة أدنى سبب (وارزقوهم فيها) أى انفقوا عليهم (واكسوهم) وأما قال الله فيها ولم يقل منها لئلا يكون ذلك أمرا يجعل بعض أموالهم رزقا لهم بل أمرهم بأن يجعلوا أموالهم مكانا لرزقهم وكسوتهم بأن يتجروا فيها ويشمروها فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول المال (وقولوا لهم قولا معروفا) أى جميلا وهو كل ما سكنت إليه النفس من قول لحسنه شرعا أو عقلا كأن يقول الولي للصبي مالك عندي وأنا خازن له فإذا رشدت سلمت إليك أموالك (وابتأوا اليتامى) أى واختبروا من لا يتبين منهم السفه قبل البلوغ في دينهم وتصرفهم في أموالهم بما يليق بحالهم بأن تجربوا ولد التاجر بالبيع والشراء والمماكسة فيهما وولد الزارع بالزراعة والنفقة على القوام بها والاثني فيما يتعلق بالغزل والقطن وصون الأطعمة عن الهرة ونحوها وحفظ متاع البيت وولد الأمير ونحوه بالانفاق مدة في خبز وماه ولحم ونحوها قال أبو حنيفة رضى الله عنه تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي محيطة لان قوله تعالى وابتأوا اليتامى أمر الأولياء بأن يأذنوا لهم في البيع والشراء قبل البلوغ وذلك يقتضى صحة تصرفاتهم وقال الشافعي ولا يصح عقد الصبي المميز بل ينحن في المماكسة فإذا أراد العقد عقد الولي لأنه لا يجوز دفع المال إليه حال الصغر فثبت عدم جواز تصرفه حال الصغر (حتى إذا بلغوا النكاح) أى إذا بلغوا مبلغ الرجل الذي يلزمه الحدود وذلك بأن يحتلموا وانغمى الاحتلام ببلوغ النكاح لأنه انزال الماء الدافق الذي يكون في الجماع (فإن أنستم) أى عرفتكم (منهم رشدا) أى اهتداء إلى وجوه التصرفات من غير تبذير وعجز عن خديعة الغير (فادفعوا إليهم أموالهم) التي عندكم من غير تأخر عن حد البلوغ وقرئ رشدا بفتحين ورشدا بضمين وعند الشافعي يعتبر معصم لئلا صلاح في الدين بأن لا يرتكب كبيرة ولا يصغر على صغيرة وعند أبي حنيفة هو غير معتبر وفائدة هذا الخلاف أن الشافعي يرى الحجر على الفاسق وأبا حنيفة لا يراه (ولا تأكلوها) أى أموال اليتامى أيها الأولياء (امروا بدارا) أى مسرفين بغير حق ومبادرين إلى انفاقها (أن يكبروا) أى مخافة كبرهم فيمنعوكم عن ذلك وتقولون ننفق كما نشتهى

قبل أن يكبر اليتامى فينزعوهما من أيدينا (ومن كان) من الأولياء والأوصياء (غنيا) عن مال
 اليتيم (فليستعفف) أي فليتنزه عن أكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الرزق اشفاقا على اليتيم وإبقاء
 على ماله (ومن كان) من الأولياء والأوصياء (فقيرا) محتاجا (فليأكل بالمعروف) أي بقدر حاجة
 خدمته لليتيم ومهله في مال اليتيم ويقال فليأكل بالمعروف أي بالقرض ثم إذا أيسر قضاءه وإن مات ولم
 يقدر على القضاء فلا شيء عليه وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وأبي العالية وهذا القرض في أصول
 الأموال أما نحو ألبان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فباح لنحو الوصي إذا كان غير مضر
 بالمال وهذا قول أبي العالية وغيره (فإذا دفعتم إليهم) أي اليتامى (أموالهم) بعد البلوغ
 والرشد (فأشهدوا) ندبا (عليهم) عند الدفع فإن الأشهاد أبعد من الخصومة ولو ادعى الوصي بعد
 بلوغ اليتيم أنه قد دفع المال إليه أو قال أنفقت عليه في صغره فقال مالك والشافعي لا يصدق وقال أبو
 حنيفة يصدق مع اليمين وقال الشافعي القيم غير مؤتمن من جهة اليتيم وانما هو مؤتمن من جهة الشرع
 (وكفى بالله حسيبا) أي شهيدا روى أن رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فخاضه إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم وقال ابن أخي يتيما في حجرى فما يحل لي من ماله ومتى أدفع إليه ماله فأترل الله قوله تعالى وابتلوا
 اليتامى إلى هنا (الرجال نصيب) أي للأولاد والأقرباء الذكور صغارا أو كبارا حظ (عمارتك
 الولدان والأقربون) المتوارثون منهم (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) أي المتوفون
 (مما قل منه) أي مما تركوه (أو أكثر) وأتى بهذه الجملة لتحقيق أن لكل من الفريقين حقا من كل
 ما حل ودق ولدفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال (نصيبا
 مفروضا) أي أعني نصيبا مقدرا مقطوعا بتسليمه إليهم فالوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه
 بالأعراض وهذا إبطال لحكم الجاهلية فإنهم لا يورثون النساء والأطفال ويقولون اغتارث من طاعن
 بالرماح وإذا دع عن الحوزة وحازا للنعمة وذكر الله في هذه الآية أن الارث أمر مشترك فيه بين الرجال
 والنساء ثم ذكر التفصيل في قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم (وإذا حضر القسمة) أي قسمة التركة
 (أولاً للذكر) أي قرابة الميت الذي ليس بوارث (واليتامى) أي يتامى المؤمنين (والمساكين) أي
 مساكين المؤمنين من الأجانب (فأرزقوهم منه) أي أعطوهم من المال المقسوم شيئا قبل القسمة
 (وقولوا لهم قولاً معروفاً) وهذا الإعطاء مندوب إذا كانت الورثة كبارا أما إذا كانوا صغارا فليس
 على الولي إلا القول المعروف كان يقول أني لأملك هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعقلون وإن
 يكبروا فسيعرفون حقكم أو يقول سأوصيهم ليعطوك شيئا (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
 ضعفا خافوا عليهم) أي وليخش الذين يحضرون المريض على أولاد المريض إن تركوا بعد موتهم أولادا
 صغارا خافوا عليهم الضياع وهذا خطاب مع الذين يجلسون عند المريض فيقولون إن ذريتك لا يغنون
 عنك من الله شيئا فأوص بما لك لفلان وفلان ولا يزالون يأمرونه بالوصية إلى الأحانب إلى أن لا يبقى من ماله
 للورثة شيء أصلا وحاصل الكلام أنك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضى لأخيك المسلم عن أنس
 قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (فليتقوا الله) في أمر
 اليتامى (واليقولوا قولاً سديداً) أي عدلاً إذا أرادوا بيع غيرهم على فعل بأن يقولوا لليتامى مثل
 ما يقولون لأولادهم بالشفعة والتأديب ويخاطبونهم بقولهم يا ولدي يا بني وبأن يقولوا للمريض إذا أردت
 الوصية فلا تسرف في وصيتك ولا تجحف بأولادك وذكروا التوبة وكلمة الشهادة وبأن يُلطف الورثة

القول للناظرين الذين لا يرثون حال قسمة الميراث (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) أي على وجه الغصب (انما يأكلون في بطونهم ناراً) أي حراماً يؤدي الى النار أو يقال يجعل الله في بطونهم ناراً يوم القيامة بأن يخلق الله لهم ناراً يأكلونها في بطونهم (وسيصلون سعيراً) أي سيدخلون ناراً وقوداً لا يعرف غاية شدتها الا الله تعالى قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وسيصلون بضم الياء والباقون بالفتح وقرئ شاذة بضم الياء وتشديد اللام نزلت هذه الآية في شأن حنظلة بن شمر دل وقيل في شأن رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله (يوصيكم الله في أولادكم) أي يبين الله لكم في ميراث أولادكم بعدم موتكم * روى عطاء قال استشهد سعد بن الربيع وترك ابنتين وامراً وأخاف أخذ الأخ المال كله فأنت المرأة وقالت يا رسول الله هاتان ابنتان سعدا قتل وانعهما أخذ ما لهما فقال صلى الله عليه وسلم ارجعي فلعن الله سيقضي فيه ثم انها عادت بعد مدة وبكت ففزلت هذه الآية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهما وقال اعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الفن وما بقي فهو لك فهذا أول ميراث قسم في الاسلام (لذكركم مثل حظ الانثيين) أي فذا خلف الميت ذكر واحد وأنثى واحدة قلل ذكر سهمان ولأنثى سهم واحد إذا كان الوارث جماعة من الذكور وجماعة من الاناث كان لكل ذكر سهمان ولكل أنثى سهم واحد إذا كان مع الاولاد أبوان وأحداً زوجين فالباقي بعد سهام الابوين وأحد الزوجين بين الاولاد لذكركم مثل حظ الانثيين (فان كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) أي فان كانت بنات الصلب نساءً خالصات بنين أو أكثر فلك النسا ثلثا ما ترك المتوفى (وان كانت) أي الوارثة بنتاً (واحدة فلهما النصف) وقرأ نافع واحدة بالرفع فكان تامة (ولابويه) أي الميت (لكل واحد منهما السدس مما ترك) أي الميت (ان كان له ولد) ذكر أو أنثى أي فان كان مع الابوين ولد ذكر فأكثر أو بنتان فأكثر فلكل واحد من الاب والام السدس وان كان معها بنت فلهما النصف وللأم السدس وللأب السدس بحكم هذه الآية والسدس الباقي للأب أيضاً بحكم التعصيب (فان لم يكن له) أي الميت (ولد وورثته أبواه فلامه الثلث) وذلك فرض لها والباقي للأب في أخذ السدس بالفريضة والنصف بالتعصيب وإذا انفرد أخذ كل المال كما هو شأن العصبية وإذا ورثه أبواه مع أحداً زوجين فلام ثلث ما يبقى بعد فرضه والباقي للأب خلافاً لابن عباس فان للام ثلث الكل عنده ووافقه ابن سيرين في الزوجة وخالفه في الزوج لان الثلث فيه يغضى الى كون نصيب الانثى مثل نصيب الذكرين (فان كان له) أي الميت (اخوة) اثنتان فصاعداً من جهة الابوين أو من جهة أحدهما ذكر أو أنثى وارثان أو محجوبون بالأب (فلامه السدس) والباقي للأب ولا شيء للاخوة وأما السدس الذي محجوبها عنه فهو للأب عند وجوده ولهم عند عدمه (من بعد وصية) أي هذه الانصاء للورثة من بعد اخراج وصية (يوصي بها أو دين) وذلك لان أول ما يخرج من التركة الدين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق فأما اذا لم يكن دين أو كان الا انه قضى وفضل بعده شيء فان أوصى الميت بوصية أخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثاً على فرائض الله تعالى قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم يوصي بفتح الصاد وقرأ نافع وأبو عمرو وحزرة والكسائي بكسر الصاد (آبأؤكم وأبناؤكم لا تدرؤن أيهم أقرب لكم نعماً) والمعنى ان قسمة الله لهذه الموارث أولى من القسمة التي عمل اليها طباعكم (فريضة من الله) أي فرض ذلك فريضة وهذا اشارة الى وجوب الانقياد لهذه القسمة التي قدرها الشرع وقضى بها (ان الله كان عليماً) أي بالمصالح والرتب (حليماً) في كل ما قضى وقدر قال ابن عباس ان الله ليسفح

المؤمنين بعضهم في بعض فاطوعمكم الله تعالى من الابناء والآباء أرفعكم درجة في الجنة وان كان الوالد أرفع درجة في الجنة من ولده رفع الله اليه ولده بمسئلته ليقر بذلك عينه وان كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله اليه ولده ولذا قال تعالى لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا لان أحد المتوالدين لا يعرف أن انتفاعه في الجنة بهذا أكثر أم بذلك (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) من المال (ان لم يكن لهن ولد) ذكر أو أنثى منكم أو من غيركم والباقي لورثتهن (فان كان لهن ولد) وارث واحد أو متعدد (فلكم الربع مما تركن) من المال والباقي لباقي الورثة (من بعد وصية) أي هذه الانصباغ ما تدفع الى هؤلاء اذا فصل عن وصية (يوصين بها أودين) أي أو من بعد قضاء دين عليهن (ولهن الربع مما تركتم) من المال (ان لم يكن لكم ولد) ذكر أو أنثى منهن أو من غيرهن والباقي لبقية ورثتكم من أصحاب الفروض والعصبات أو ذوى الارحام أو لبيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر أصلا (فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) من المال والباقي للباقيين (من بعد وصية توصون بها أودين) أي أو من بعد قضاء دين عليكم من المال (وان كان رجل) أي ميت (يورث كلاله) أي لا ولده ولا والد (أو امرأة) أي أو كانت امرأة تورث كلاله (وله) أي الميت (أخ أو أخت) من أمه فقط (فلكل واحد منهما) أي الاخ والاخت (السدس) من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة (فان كانوا) أي من يرث من الاخوة من الام (أكثر من ذلك) أي من الواحد (فهم) أي الزائد على الواحد كيفما كانوا (شركاء في الثلث) فالذكر والانثى فيه سواء والباقي لبقية الورثة من أصحاب الفروض والعصبات (من بعد وصية يوصي بها أودين غير مضار) للورثة بأن يوصي بأكثر من الثلث أو يقر بكل ماله أو ببعضه لاجنبي أو يقر على نفسه بدين لأحققة له أو يقر بأن الدين الذي له على الغير قد وصل اليه أو يبيع شيئا بثمن بخس أو يشتري شيئا بثمن غال أو يوصي بالثلث لغرض تنقيص حقوق الورثة (وصية من الله) أي فريضة من الله عليكم في قسمة الموارث وقيل المعنى وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة يتكفون وجوه الناس بسبب الاسراف في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية بالاضاعة (والله عليم) بمن جارا وعدل في وصيته (حليم) على الجائر لا يعاجله بالعقوبة فلا يغير بالامهال (تلك) أي شؤون الايتام وأحكام الانسحة وأحوال الموارث (حدود الله) أي أحكام الله (ومن يطع الله ورسوله) في جميع الاوامر والنواهي (يدخله جنات) نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) حال من الهاء في يدخله وهي هائدة على من وهو مفرد في اللفظ جمع في المعنى فلهذا صم الوجهان (وذلك) أي دخول الجنات على وجه الخلود (الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه (ومن يعص الله ورسوله) ولو في بعض الاوامر والنواهي (ويتعد حدوده) أي يتجاوز أحكامه بالجور وقال الكلبي أي ومن يكفر بقسمة الله الموارث ويتعد حدوده استحلالا وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله تعالى ويتعد ما قال الله تعالى (يدخله ناراً) أي عزيمة هائلة (خالدا فيها وله عذاب مهين) أي وله مع عذاب الحريق الجسهاني عذاب شديد روحاني وقرأ نافع وابن عامر يدخله بنون العظمة في الموضعين والباقيون بالياء (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) أي اللاتي يفعلن الزنا كاثنات من أزواجكم المحصنات فاطلبوا أن يشهد عليهن بفعله أربعة من رجال المؤمنين وأحرارهم وقرئ بالفاحشة (فان شهدوا) عليهن بذلك كما ينبغي (فأمسكوهن في

(البيوت) أى يخلدوهن محبوسات في بيوتكم (حتى يتوفاهن الموت) أى الى ان يأخذهن الموت
 ويستوفى ارواحهن (أو يجعل الله لهن سبيلا) أى أو الى أن يشرع لهن حكما خاصا بهن ثم قال النبي
 صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الشيب ترجم والبكر تجلد وتنفي (واللذان
 يأتياها منكم) أى البكران اللذان يأتيان الفاحشة من أحراركم (فأذوهما) بالتهديد والتعير كأن
 يقال بشس ما فعلتما وقد تعرضتما لعقاب الله ومخطئه وأخر جتما أنفسكما عن اسم العدالة ويخوفا بالرفع الى
 الامام وبالحد وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون (فان تابا) عما فعلتا من الفاحشة بعد زواج الاذية
 (وأصلها) أيهما فاقبلا ما بينكما وبين الله (فأعرضوا عنهما) أى اتركوا ايذاءهما (ان الله كان
 توابا) أى كثير القبول للتوبة عن تاب (رحيما) أى واسع الرحمة وقد نسخ الايذاء باللسان للفتى والفتاة
 بجلد ما توه وقال أبو مسلم الاصفهاني والمراد بقوله تعالى واللاتي يأتين الفاحشة السحافات وحدهن الجس
 الى الموت أو الى ان يسهل الله لها قضاء الشهوة بطريق النكاح والمراد بقوله تعالى واللذان يأتياها
 منكم أهل اللواط وحدهما الاذى بالقول والفعل (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) أى
 انما التوبة التي يجب على الله قبولها وجوب الكرم والفضل لا وجوب الاستحقاق للذين يعملون المعصية
 مع عدم علمه بانها معصية لكنه يحصيل العلم بانها معصية (ثم يتوبون من قريب) أى من زمان
 قريب وهو ما قبل معاناة سبب الموت وأهواله (فأولئك يتوب الله عليهم) أى يتجاوز الله عنهم (وكان
 الله عليما) بأنه انما أتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والجهالة عليه (حكيمًا) بأن العبد لما كان
 من صفته ذلك ثم تاب قبل سوق الروح فانه يجب في الكرم والاحسان قبول توبته (وليست التوبة
 للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن) أى وليست قبول التوبة للذين
 يعملون الذنوب الى حضور موتهم أى علامات قربهم وقولهم حينئذ اني تبت الآن ولذلك لم ينفع ايمان
 فرعون حين أدركه الغرق روى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم
 يغرغرائه في حلقه وقال عطاء ولوقبل موته بغواق الناقعة وعن الحسن ان ابليس قال
 حين أهبط الى الارض وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دامت روحه في جسده فقال الله وعزتي لا أغلق عليه
 باب التوبة ما لم يغرغره (ولا الذين يوتون وهم كفار) أى وليس قبول التوبة للذين يوتون على الكفر اذا
 تابوا في الآخرة عند معاناة العذاب (أولئك) أى الكفار (أعتدنا لهم عذابا أليما) بيان لكونهم
 محتصين بسبب كفرهم بزيادة العقوبة والاذلال زلت هذه الآية في حق طعنة وأصحابه الذين ارتدوا قاله
 ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء) أى عين النساء (كرها) أى لا يحل
 لكم أن تأخذوهن بطريق الارث وهن كارهات لذلك أو كرهات عليه زلت هذه الآية في حق أهل
 المدينة كانوا في الجاهلية وفي أول الاسلام اذ مات الرجل وكانت له زوجة جاء ابنه من غيرها أو بعض
 أقاربه فالتقى ثوبه على المرأة وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصارت حق بها من سائر الناس ومن نفسها
 فان شاء تزوجها بغير صداق وان شاء زوجها من انسان آخر وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا فأنزل
 الله تعالى هذا الآية قرأ حمزة والكسائي كرها بضم الكاف هنا وكذا في التوبة وفي الاحقاف وقرأ عاصم
 وابن ذكوان عن ابن عامر في الاحقاف بالضم والباقون بالفتح وقرأ ثاقف وابن كثير وأبو عمرو بالفتح في
 جميع ذلك قال الفراء الكره بالفتح الا كراه وبالضم المشقة فما أكره عليه فهو كره بالفتح وما كان من قبل
 نفسه فهو كره بالضم (ولا تعضلوهن) أى وكذلك لا يحل لكم بعد التزوج من الحبس والتضييق (لتذهبوا

ببعض ما آتية وهن) من المهر (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بفتح
الياء والباقون بالكسر أى ببينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايداء الزوج وأهله بالبذاء
والسلطنة ويدل عليه قراءة أبي بن كعب الا أن يفحش عليكم والمعنى لا يحل لكم ان تضيقوا الامر
عليهن لعله من العلل الا لتيانهم بالنشوز فان السبب حيث يذكون من جهتهم فقد عذرتهم في طلب الخلع
(وعاشروهن بالمعروف) أى النصفة في المبيت والنفقة والاحمال في القول (فان كرهتموهن فعسى
أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) أى فان كرهتموهن فامسكوهن بالمعروف
ولا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس من غير أن يكون من قبلهن ما يوجب ذلك فقد قربت كراهتكم شيئا
أى محبة معهن مع كون الله جعل في محبتهم خيرا كثيرا كحصول ولد فتقلب الكراهة محبة وكاستحقاق
الثواب الجزيل في العقبى والثناء الجليل في الدنيا لا لنفاق عليهن والاحسان اليهن على خلاف الطبع
(وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) أى وان أردتم زوج امرأة ترغبون فيها بدل امرأة تنفرون
عنها بأن أردتم ان تطلقوها (وآتيتم احداهن قنطارا) أى وقد أعطيتهم احدى الزوجات التي تريدون
أن تطلقوها مالا كثيرا من الصداق (فلا تأخذوا منه) أى من ذلك القنطار (شيئا) أى يسيرا أى
ان كان سوا العشرة من قبل الزوج كره له أن يأخذ شيئا من مهرها ثم ان وقعت المحالعة ملك الزوج بذل
الخلع وان كان من قبل المرأة فيحل أخذ بدل الخلع (أأخذونه) أى المهر (بهتنا) أى ظلما (وأنما
مبيننا) أى حراما بيننا أى ان أخذ المالك طعن في ذاتها وأخذ لما لها فهو بهتان من وجه وظلم من وجه
آخر فكان ذلك معصية عظيمة من أمهات الكبائر وروى ان الرجل اذا مال الى التزوج بأمرأة أخرى
رمى زوجته نفسه بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه الى تزوج المرأة التي يريد
(وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) أى ولاى وجه تأخذون المهر وقد أجمعتم في لحاف
واحد فانها قد بذلت نفسها لك وجعلت ذاتها لذلك وتمتعك وحصلت اللفة التامة بينكما فكيف يليق
بالعقل ان يسترد منها شيئا فهذا لا يليق عن له طبع سليم وذوق مستقيم (وأخذن منكم ميثاقا غليظا)
قال ابن عباس ومجاهد وهو كلة النكاح المعقودة على الصداق وتلك الكلمة كلة تستحل بها فزوج
النساء قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بإمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة
الله وهذا الاسناد مجاز عقلى من الاسناد للسبب لان الأخذ للعهد حقيقة هو الله لكن بولغ فيه حتى جعل
كانهن الأخذات له أى وقد أخذ الله عليكم العهد بسببهن (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا
ما قد سلف) أى لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قدمضى قبل نزول
آية التحريم فانه معفو عنه ويقال ولا تنكحوا نكاح آباؤكم فان أنكحتهم كانت بغيرولى وشهود
وكانت موقته وعلى سبيل القهر وهذا الوجه منقول عن محمد بن جرير الطبري في تفسيره هذه الآية وقيل
المعنى لا تزوجوا امرأة وطئها آباؤكم بآزنا الا ما قد سلف من الاب في الجاهلية من الزنا بأمرأة فانه يجوز
للابن تزوجها كما نقل هذا المعنى عن ابن زيد وكما قال أبو حنيفة يحرم على الرجل ان يزوج بجزنية أبيه لهذه
الآية وقال الشافعى لا يحرم (انه) أى نكاح نساء الآباء (كان فاحشة) أى قبىح لان زوجة الاب
تشبه الام فكانت مباشرتها من أخش الفواحش (ومقتنا) أى عمتوتنا عند ذوى المروآت من الجاهلية
وغيرهم وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه مقتى (وسامسبلا) أى بش مسلكا لأن
هذه الآية في حق محسن بن قيس الانصاري واعلم ان مراتب القبح ثلاثة القبح في القول وفي الشرائع

وفي العادات فقوله تعالى انه كان فاحشة اشارة الى القبح العقلي وقوله تعالى ومقتا اشارة الى القبح الشرعي وقوله وساء سبيلا اشارة الى القبح العادي ومتى اجتمعت فيه هذه الوجوه فقد بلغ الغاية في القبح (حرمت عليكم امهاتكم) من النسب (وبناتكم) من النسب (وأخواتكم) من النسب من أى وجه يكن (وعمائكم) أى اخوات آبائكم (وخالاتكم) أى اخوات أمهاتكم (وبنات الاخ) من النسب من أى وجه يكن (وبنات الاخت) من النسب من أى وجه يكن (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) في الحولين خمس رضعات متفرقات عند الشافعي وابن حنبل وقال أبو حنيفة ومالك يحصل التحريم بحصة واحدة وفاقا للادريجي ولسفيان الثوري وعبد الله بن المبارك كقول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب (وأخواتكم من الرضاعة) وهي من أرضعتها أمك أو أرتضعت لبنك أو ولدتها من لبنك أو ولدتها من لبنك (وأمهات نسائكم) من نسب أو رضاع سواء دخل بزوجه أم لا (وربائكم اللاتي في حجوركم) أى بنات نسائكم اللاتي ربيتم في بيوتكم (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) أى جامعتموهن سواء كان ذلك بعد صبيح أو فاسد (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) في نكاح الربائب بعد طلاق أمهات وموتها (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) أى ونساء أبنائكم الذين من أولاد فراسكم دون نساء أولاد الأدياء قال الشافعي لا يجوز للاب أن يتزوج بجارية ابنة لانها حليته وقال أبو حنيفة يجوز واتفقوا على أن حرمة التزوج بحليلة الابن تحصل بنفس العقد كما أن حرمة التزوج بحليلة الأب تحصل بذلك (وأن تجمعوا بين بين الأختين) بالنكاح وبالوطء في ملك اليمين لا في نفس ملك اليمين قال الشافعي نكاح الأخت في عدة الأخت البائن جائز لانه لم يوجد الجمع وقال أبو حنيفة لا يجوز (الأم القليلة) أى قد مضى في الجاهلية فإنه مغفور لكم (إن الله كان غفورا) فيما كان منكم في الجاهلية (رحيما) أى فيما يكون منكم في الاسلام إذا ثبتتم (والمحصنات من النساء) إلا ما ملكت أعيانكم) أى وحرم عليكم نكاح ذوات الأزواج كائنات من جميع النساء إلا ما ملكت أعيانكم من السبا يافأهن حلال لكم بعدما استبرأتم أرحامهن بحيضة وإن كان أزواجهن في دار الحرب واختلف القراء في كلمة المحصنات سواء كانت معرفة بالأم نكرة فقرأ الجمهور بفتح الصاد والكسائي بكسر هاء في جميع القرآن إلا التي في هذه الآية فإنهم أجمعوا فيها على الفتح والمعنى أحصنهن الأزواج بالتزوج أى أعفوهن عن الوقوع في الحرام والاولياء أعفوهن عن الفساد بالتزويج وهن يحصن أزواجهن عن الزنا ويحصن فروجهن عن غير أزواجهن بعفاهن (كتاب الله عليكم) أى كتب عليكم تحريم ما تقدم ذكره من المحرمات كتابا من الله أو المعنى الزموا كتاب الله (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وأحل لكم البناء للمفعول عطفًا على قوله حرمت عليكم والباقيون وأحل بالبناء للفاعل عطفًا على كتاب الله أى كتب الله عليكم تحريم هذه الاشياء وأحل لكم ما وراءها ومحل أن تبتغوا رفع على البدل من ما على القراءة الاولى ونصب على القراءة الثانية وقوله محصنين حال وقيل خبر كان الناقصة والمعنى وأحل لكم ما سوى المحرمات المعدودة أن تطلبوا النساء بصرف أموالكم في المهور أو الأثمان على طريق النكاح الى الأربع أو التسرى للاماء حال كونكم متعفين عن الزنا وغير زانين وهذا تكرير للتأكيد وقيل المعنى كونوا مع النساء متزوجين أو متسرين (فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن) أى فإى فعل استمتعتم به من جهة المنكوحات من جماع أو عقد فاعطوهن مهورهن لاجله بالتام إن استمتعتم بالدخول ولو مرة وبالنصف إن استمتعتم بعقد النكاح (فريضة) أى حال كون أجورهن مفروضة

من الله عليكم (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به) أي لا اثم عليكم في ان تهب المرأة للزوج مهرها أو يهب الزوج للمرأة المطلقة قبل الدخول تمام المهر أو فيما تراضي به من نفقة ونحوها (من بعد الفريضة) أي من بعد ذكر الة دار المعين (ان الله كان عليهما) بمصالح العباد (حليما) فلا يشرع الاحكام الا على وفق الحكمة وذلك يوجب التسليم لأوامره والانقياد لأحكامه (ومن لم يستطع منكم) أيها الاحرار (ما ولا أن يتكع المحصنات المؤمنات) أي الحرائر (فما ملكت أيمانكم من فتيانكم المؤمنات) أي من امائكم المؤمنات فقله تعالى أن ينسكح امامه فلول وطولا وامابل منه واماه ففول ليستطع وطولا مصدره وكله لانه معناه اذا استطاعة هي الطول أي الفضل والزيادة في المال أو غير أي ومن لم يستطع منكم زيادة في المال يبلغ بها نكاح الحرائر فلينسكح الاماء أو المعنى ومن لم يستطع منكم استطاعة نكاحهن أو المعنى ومن لم يستطع منكم من جهة سعة المال لا من جهة الطبيعة نكاح الحريرة فلينسكح الامة لانها في العادة تخفف مهرها ونفقتها لاشتغالها بخدمة السيد بخلاف الحريرة الفقيرة ويقال للمرأة الحديثة السن فتاة وللغلام فتى والامة تسمى فتاة سواء كانت عجوز أم شابة لانها كالشابة في أنها لا توقر توقير الكبير وقال مجاهد وسعيد والحسن ومالك والشافعي لا يجوز الزواج بالامة الكتابية سواء كان الزوج حرا أو عبدا وقال أبو حنيفة يجوز (والله أعلم بايمانكم) أي انه تعالى أعلم منكم بمراعاتكم في الايمان فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحرائر فاعملوا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بظواهر الامور والله يتولى السرائر والحقائق (بعضكم من بعض) أي كلكم مشتركون في الايمان وهو أعظم الفضائل فاذا حصل الاشتراك في ذلك كان التفاوت فيما وراءه غير معتبر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من أمر الجاهلية الطعن في الانساب والتغبر بالاحساب والاستسقاء بالانواء (فانكحوهن باذن أهلهن) أي سيدهن (وآتوهن أجورهن بالمعروف) أي اعطوهن مهرهن على العادة الجميلة عند المطالبة من غير مظل (محصنات) أي عفاف عن الزنا وهي حال من مفعول فانكحوهن (غير مسالحات) أي غير موجرات أنفسهن مع أي رجل أرادها (ولا متخذات أخدان) أي غير متخذات أخلاء معينين يرتون بهن سرا (فاذا أحصن) أي زوجن وقرأه حمزة والكسائي وأبو بكر بالبناء للفاعل أي أسلمن كما قاله حمرون مسعود والشعبي والخفي والسدي (فان آتين بفاحشة) أي فان فعلن زنا (فعليه نصف ما على المحصنات) أي فثبت عليهن شرعا نصف ما على الحرائر الا بكار (من العذاب) أي الحد فيجلدون خمسين ويغرم نصف سنة كما هو كذلك قبل الاحصان وهذه الآية بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرائر فتخفيف الحد لارق (ذلك) أي نكاح الاماء حلال (لمن خشى العنت منكم) أي الضرر الشديد في العزوبة بالشبق الشديد فانه قد يحمل على الزنا وقد يؤدي بالانسان الى الامراض الشديدة (وأن تصبروا) عن نكاح الاماء (خير لكم) لما في نكاحهن من تعريض الولد لارق (والله غفور رحيم) بأباحته لكم في نكاح الاماء وان كان يؤدي الى ارقاق الولد مع أن هذا يقتضي المنع منه لاحتمال إجرامكم اليه فكان ذلك من باب المغفرة والرحمة (يريد الله ليبين لكم) ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) أي يرشدكم طرائق الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم فكل ما بين الله تحريره وتحليله لنا من النساء كان الحكم كذلك في جميع الشرائع والمثل (ويتوب عليكم) اذا تبت اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير في مراعاة الشرائع (والله أعلم) بأحوالكم (حكيم) في كل ما يفعله بكم ويحكم عليكم (والله يريد أن يتوب عليكم) أي أن يتجاوز

عنكم حين حرم عليكم الزنا ونكاح الاخوات من الاب (ويريد الذين يتبعون الشهوات) في نكاح
 الاخوات من الاب وهم اليهود وفي الزنا وهم الفجرة (أن تعيلوا ميلا عظيما) بموافقتهم على استحلال
 المحرمات في قول اليهود ان نكاح الاخوات من الاب حلال في كتابنا وعلى اتباع الشهوات فان الزاني
 يحب ان يشركه في الزنا غيره ليمتفرق اللوم عليه وعلى غيره (يريد الله أن يخفف عنكم) في جميع
 أحكام الشرع ~~كما~~ بأجحة نكاح الامة عند الضرورة (وخلق الانسان ضعيفا) أى عاجزا عن
 مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه حيث لا يصبر عن النساء وعن اتباع الشهوات ولا يستخدم
 قواه في مشاق الطاعات ولذلك خفف الله تكليفه وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل
 والضمير لله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أى بما يخالف الشرع
 كالغصب والمزقة والخيانة والقمح مار وعقود الربا وشهادة الزور والحلف الكاذب وبمحمد الحق (الا
 أن تكون تجارة عن تراض منكم) قرأ عاصم وحزمة والكسائي تجارة بالنصب أى لا يأكل كل بعضكم
 أموالا بغير طريق شرعي بل كلوا بان تكون الاموال تجارة صادرة عن تراض منكم والباقيون بالرفع أى
 لكن بأن توجد تجارة عن طيب نفس (ولا تقتلوا أنفسكم) أى لا تفعلوا ما تستحقون به القتل من قتل
 المؤمن بغير حق والردة والزنا بعد الاحصان (ان الله كان بكم رحيمًا) حيث نهاكم عن كل ما تستوجبون
 به مشقة (ومن يفعل ذلك) أى ما نهى عنه من قتل النفس وغيره من المحرمات (عدوانا) أى افراطا
 في مجاوزة حد الحلال (وظلما) أى اتيانا بما لا يستحقه (فسوف نصليه) أى ندخله (نارا) هائلة
 شديدة العذاب (وكان ذلك) أى أصلاؤه النار (على الله يسيرا) أى هينا (ان تجتنبوا كثير
 ما تنهون عنه) في هذه السورة (نذكر عنكم سيئا تكتم) أى صفاتكم من جماعة الى جماعة ومن
 جمعة الى جمعة ومن شهر رمضان الى شهر رمضان (وندخلكم) في الآخرة (مدخلا كريما)
 قرأ نافع بفتح الميم والباقيون بالضم أى موضع عاصم ~~نا~~ وهو الجنة (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم
 على بعض) قال ابن عباس لا يتمنى الرجل مال غيره ودابته وامرأته ولا شيئا من الذي ثبت له كالجماء
 وغير ذلك مما يجرى فيه التنافس وذلك هو الحسد المذموم لان ذلك التفضيل قسمة من الله تعالى
 صادرة من حكمة وتدبير لا تقب بأحوال العباد متفرع على العلم بجلال شؤنهم ودقائقها وأسألوا الله من
 فضله وقولوا اللهم ارزقنا مثله أو خير منه مع التقوى ويقال نزلت هذه الآية في حق أم سلمة زوج النبي
 صلى الله عليه وسلم لقولها للنبي ليت الله كتب علينا ما كتب على الرجال لكي نؤجر كما يؤجر الرجال
 فنهى الله عن ذلك وقال ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم أى الرجال على بعض أى النساء من الجماعة
 والجمعة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بين الله تعالى ثواب الرجال والنساء باكتسابهم
 فقال (الرجال نصيب) أى ثواب (عما اكتسبوا) أى الخير كالجهاد والنفقة على النساء (والنساء
 نصيب) أى ثواب (عما اكتسبن) من الخير في بيوتهن كحفظ فروجهن وطاعة الله وأزواجهن
 وقيامهن بمصالح البيت من الطبخ والخبز وحفظ الثياب ومصالح المعاش وكالطلق والارضاع (وأسألوا
 الله) قرأ ابن كثير والكسائي وسألوا الله بغير همز (من فضله) أى وأسألوا الله ما احتجتم اليه يعطكم
 من خزائنه التي لا تنفذ قال الفخر الرازي قوله تعالى وأسألوا الله من فضله تنبيه على ان الانسان لا يجوز له
 ان يعين شيئا في الطلب والدعاء ولكنه يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاحه في دينه ودنياه على
 سبيل الاطلاق اه وقد جاء في الحديث لا يتمن أحدكم مال أخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم

اعطاني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسئل وأفضل العباد أنظار الفرج (إن الله كان بكل شيء عليما) ولذلك جعل الناس على طبقات فرفع بعضهم على بعض درجات أي فاته تعالى هو العالم بما يكون صلاح السائلين فليقتصر السائل على الجمل وليحترز في دعائه عن التعيين فربما كان ذلك محض المفسدة والضرر (ولكل جعلنا موالى عاترك الوالدان والأقربون) أي ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحززون منها انصباءهم بحسب استحقاقهم وعما ترك بيان لكل (والذين عقدت أيمانكم) أي وعما ترك الزوج والزوج فالتسكاح يسمى عقدا وهذا قول أبي مسلم الأصم فانه يصرح أن تكون جملة جعلنا موالى صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر والمعنى حينئذ ولكل قوم جعلناهم ورثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين عما ترك المورثون (فأتوهم نصيبهم) من الميراث قيل إن هذه الآية نزلت في شأن أبي بكر الصديق لأنه حلف أن لا ينفق على ابنه عبد الرحمن ولا يورثه شيئا من ماله فلما أسلم عبد الرحمن أمر الله أبا بكر أن يؤتیه نصيبه وقيل المراد من قوله تعالى والذين عقدت أيمانكم الحلفاء وبقوله فسأوهم نصيبهم النصيحة والمصافاة في العشرة وحينئذ فقوله والذين مبتدأ متضمن المعنى الشرط ولذلك صدر الخبر بالغاء أو منصوب بمضمر يفسره قوله فسأوهم وعلى هذه الوجوه فهذه الآية غير منسوخة بخلاف ما لو حمل قوله الذين عقدت أيمانكم على الحلفاء في الجاهلية وقوله فسأوهم نصيبهم على الميراث وهو السدس فوهذه الآية حينئذ منسوخة بقوله تعالى وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وبقوله تعالى يوصيكم الله وكذا الوحمل قوله الذين عقدت أيمانكم على الأبناء الأدعياء أو على من وأخاه النبي صلى الله عليه وسلم لرجل أخرفانه وأخابين كل رجلين من أصحابه صلى الله عليه وسلم (إن الله كان على كل شيء) من أعمالكم (شهيدا) أي مطلعا (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) أي الرجال مسلطون على أدب النساء بسبب تفضيل الله تعالى إياهم عليهن بكمال العقل وحسن التدبير ورزاقته الرأى ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في جميع القضايا وجوب الجهاد والجمعة وغير ذلك وبسبب انفاقهم من أموالهم للهرم والنفقة (فالصالحات) أي الحسنات إلى أزواجهن (فانتات) أي مطيعات لازواجهن (حافظات للغيب) أي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة أزواجهن من الفروج والأموال (بما حفظ الله) أي بالذي حفظه الله لهن أي فان حفظ حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على أزواجهن حيث أمرهم بالعدل عليهن وأمسأكنهن بالمعروف وأعطائهن أجورهن أو المعنى بحفظ الله إياهن بالأمر بحفظ الغيب والتوفيق له وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف أي بسبب حفظهن حدود الله وأوامره (واللاتي تخافون نشوزهن) أي والنساء اللاتي تظنون عصيانهن لكم (فعظوهن) أي فانهوهن بالترغيب والترهيب (واجرهن في المضاجع) أي حولوا عنهن وجوهكم في المراقف فلا تدخلوهن تحت اللثام إن علمتم النشوز ولم ينفعهن النصيحة (واضربوهن) لم يجمع الهمز ضربا غير مبرح ولا شائنا ولا إلى ترك الضرب فإن ضرب فواجب أن يكون الضرب بحيث لا يكون مفضيا إلى المسلاك بأن يكون مفرقا على البدن بأن لا يكون في موضع واحد وإن لا يوالى به وإن يتقى الوجه وإن يكون عند ديل ملفوف (فإن أظعنكم) أي رجعن عن النشوز إلى الطاعة عنده هذا التأديب (فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي فلا تطلبوا عليهن

طريقا في الحب ولا في الاذية واكتفوا بظواهر حال المرأة ولا تقتسوا عما في قلبها من الحب والبغض
(ان الله كان عليا كبيرا) أي ان الله تعالى مع علوه وكبر ياته لا يكلفكم ما لا تطيقون فكذلك
لا تكلفوهن ما لا طاقة لهن من المحبة وأنه تعالى مع ذلك يتجاوز عن سيئاتكم فأنتم أحق بالعضو عن
أزواجكم عند اطاعتن لکم (وان خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) أي وان
علمت أيها المؤمنون مخالفة بين الرجل والمرأة ولم تدروا من أيهما فابعثوا الى الزوجين لاصلاح
الحال بينهما حكما أي رجلا وسطا صالحا للاصلاح من أهله أي الزوج وحكما آخر على
صفة الاول من أهلها لان أقاربهم ما أعرف بحالهما من الاجانب واشد طلبا للاصلاح فان كانا
أجنبيين جاز فيستكشف كل واحد منهما حقيقة حال الزوجين ثم يجتمع الحكمان فيفعلان ما هو الصواب
من جمعهما أو ايقاع طلاق أو خلع (ان يريد الاصلاحا يوفق الله بينهما) فالضمير الاول اما عائدة على
الحكمين أو الزوجين والضمير الثاني كذلك فالوجه أربعة والمعنى ان كانت نية الحكمين قطعا للخصومة
أو وقع الله الموافقة بين الزوجين (ان الله كان عليما) بمواقفة الحكمين ومخالفتهما (خييرا) بفعل
المرأة والرجل قال ابن عباس نزلت الآية من قوله تعالى الرجال قوامون على النساء الى ههنا في شأن بنت
محمد بن مسلمة بلطمة لطمها زوجها سعد بن الربيع لعصيانها في المضاجع فطلبت من النبي صلى الله عليه
وسلم قصاصها من زوجها فنهاها الله عن ذلك (وأعبدوا الله) بقلوبكم وجوارحكم (ولا تشركوا به
شيئا) أي شركا جليلا وخفيا وهذا أمر بالاخلاص في العبادة (وبالوالدين احسانا) أي أحسنوا
بهما احسانا بالقيام بخدمتهما وبالسعي في تحصيل مطالبهما والانفاق عليهما وعدم رفع الصوت عليهما
وعدم تخشين الكلام معهما وعدم شهر السلاح عليهما وعدم قتلها ولو كان كافرين لانه صلى الله عليه
وسلم نهى عن قتل أبيه أي عامر الراهب وكان مشركا وعن أبي سعيد الخدري ان رجلا جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن استأذنه في الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم هل لك أحد باليمن
فقال أبو اي فقال أبو الاذنالك فقال لا فقال فارجع فاستأذنها فان اذنالك لجاهدوا لافيهما (وبذي
القربي) أي صلبا بصاحب القرابة من أخ أو عم أو خال أو نحو ذلك (واليتامى) أي أحسنوا اليهم
بالرفق بهم وبتربيتهم وحفظ أموالهم (والمساكين) أي أحسنوا اليهم بالصدقة أو بالارد
الجميل (والجار ذي القربى) أي الذي قرب جواره والذي له مع الجوار اتصال بالنسب وقرى بالنسب
على الاختصاص تعظيما لحقه لانه ثلاثة حقوق حق القرابة وحق الجوار وحق الاسلام كما قرئ
والصلاة الوسطى نصبا على الاختصاص (والجار الجنب) أي الذي بعد جواره والذي لا قرابة له فله
حقان حق الاسلام وحق الجوار (والصاحب بالجنب) وهو ما رفيق في سفر أو جار ملاصق أو شريك في
تعلم أو حرفة أو قاعد يجنبك في مسجد أو مجلس وقيل هي المرأة فانها تكون معك وتضعك الى جنبك (وابن
السييل) أي المسافر المنقطع عن بلده بالسفر أو الضيف أي أحسنوا له بالاكرام وله ثلاثة أيام حق وما
فوق ذلك صدقة (وما ملكت أيمانكم) أي أحسنوا الى الخدم من العبيد والامان (ان الله لا يحب من كان
مختالا) أي متكبرا عن أقاربه الفقراء وجيرانه الضعفاء وأصحابه ولا يحسن عشرتهم (خورا) على الناس
بما أعطاه الله تعالى من العلم وغيره (الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتُمون ما آتاهم الله
من فضله) من العلم بما في كتابهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم والظاهر أن الموصول منصوب على
الذم أو مرفوع على الذم أي هم الذين ويجوز أن يكون بدلا من قوله من كان مختالا وان يكون مبتدأ

خبره محذوف تقديره احقاه بكل ملامة أو كافر ونزلت هذه الآية في حق كدوم بن زيد وأسماء بن حبيب ونافع بن أبي نافع ومحرى بن عمر ووحى بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التياوت حين أمر وارجالا من الأنصار بترك النفقة على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفاً للفقير عليهم أخرجهم ابن جرير عن ابن عباس (وأعتدنا للكافرين) أي لليهود (عذاباً مهيناً) أي عذاباً كان شأنه كذلك فهو كافر بنعمة الله ومن كان كافراً بنعمته فله عذاب مهين كما أهان النعمة بالبخل والاختفاء وفي الحديث الذي رواه أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن يظهر أثرها عليه (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) والموصول اما معطوف على الموصول الاول واما معطوف على قوله تعالى للكافرين قال الواحدى نزلت هذه الآية في شأن المنافقين وقيل نزلت في مشركى مكة المنفقين على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يكن الشيطان له قريناً) أي ومن يكن الشيطان معيناً لأصحاب هذه الأفعال في الدنيا (فساقريناً) أي فبئس صاحب له في النار هو فان الله تعالى يقرن مع كل كافر شيطاناً في سلسلة في النار ثم بين الله تعالى سوء اختيارهم في ترك الإيمان فقال (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أي وأي ضرر عليهم في الإيمان والاتفاق ابتغاء لوجه الله (وكان الله بهم) وبأحوالهم الخفية (علماً) فأنه تعالى عالم بواطن الأمور فان العبد الى الرياء اغما يكون باطناً غير ظاهر (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) أي ان الله لا يظلم أحداً وزن غلة حمراء صغيرة أي لا يظلم قليلاً ولا كثيراً (وان تلك حسنة يضاعفها) قرأ نافع وابن كثير حسنة بالرفع والمعنى وان حدثت حسنة والباقيون بالنصب والمعنى وان تكن ذرة الذرة حسنة وقرآن كثير وابن عامر يضعفها بالتشديد من غير ألف أي فيكون التضعيف للثواب الى مقدار لا يعلمه الا الله تعالى روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة وينادى مناد على رأس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت لي حقه ثم يقال له اعط هؤلاء حقوقهم فميقول يارب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله للملائكة انظروا في أعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وأدخله الجنة بفضلها ورحمته وقال أبو عثمان النهدي بلغني عن أبي هريرة انه قال ان الله يعطى عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فقد رآه الله أن ذهب الى مكة حاجاً أو معتمراً فلقبته فقلت بلغني عندك انك تقول ان الله يعطى عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لم أقل ذلك ولكن قلت ان الحسنة تضاعف بألف ضعف وتلا قوله تعالى (ويؤتى) أي يعطى الله صاحب الحسنة (من لذه) أي من عنده تعالى (أجر عظيم) فلا يقدر أحد قدره * روى أن عمر كان جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمتي جنبيا بين يدي الله عز وجل فقال أحدهما يارب خذني مظلمتي من هذا فقال الله تعالى رد علي أخيك مظلمته فقال يارب لم يبق لي من حسناتي شيء فقال الله تعالى لا طالب كينف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء فقال يارب فليعمل عني من أوزاري ثم فاضت عينار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكاء فقال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تبارك وتعالى للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يارب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة بالؤلؤلؤ لاى نبي هذا ولاى صديق أولأى شهيد هذا فيقول الله تعالى لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يارب قال بعقولك عن أخيك قال يارب قد عفوت

عنه فيقول الله تعالى خذ بيد أخيل فادخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات
 بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة (فكيف) يصنع الكفار يوم القيامة (اذا جئنا من كل
 أمة) أى قوم (شهيد) أى بنى يشهد على قبح أعمالهم (وجئنا بك) يا أشرف الخلق (على هؤلاء)
 الشهداء وهم الرسل (شهيدا) فتشهد على صدقهم لعالم بعقائدهم ويقال وجئنا بك لامتك من كذا
 معدلا لان أمته صلى الله عليه وسلم يشهدون للأنبياء على قومهم اذا جحدوا بالبلاغ (يوم تذبذود الذين
 كفر وارعصوا الرسول لوتسوى بهم الارض ولا يكتفون الله حديثا) أى يوم يحى ذلك يقضى الذين
 كفروا بالله وعصوا أمر الرسول ان يدقنوا فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموت ويقال يمتنون ان
 يصبروا تراياهم البهائم لعظم هول ذلك اليوم ولا يقدر ان يكتفوا من الله حديثا بأن يقولوا والله ربنا
 ما كنا مشركين أى انهم يريدون الكتمان أولا لما علموا ان الله لم يغفر شر ~~كافية~~ يقولون والله ربنا ما كنا
 مشركين رجاء غفران الله لهم لكنهم تشبه عليهم الاعضاء والزمان والمكان فلم يستطيعوا الكتمان
 فهناك يودون انهم كانوا ترايا ولم يكتفوا الله حديثا (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى
 حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عارى سبيل) أى لا تقيموا الصلاة حال كونكم سكارى من الشراب
 الى ان تعلموا قبل الشروع فيها ما تقولونه ولا تقيموها حال كونكم جنبا الا حال كونكم مسافرين وقيل
 ان الابعنى غير وهو صفة لجنب والمعنى لا تقيموها حال كونكم جنبا غير مسافرين وسيأتى حكم المسافرين
 (حتى تغتسلوا) من الجنابة (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم
 النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) والمعنى وان كنتم مرضى مرضا يمنع من استعمال الماء
 أو مسافرين طال السفر أو قصر أو أحدتم بخروج الخارج من أحد السبلين أو تلاقى بشرتكم مع
 بشرة النساء فلم تجدوا ماء فتطهروا به للصلاة بعد الطلب فاقصدوا أرضا لاسجدة فيها (فامسحوا بوجوهكم
 وأيديكم) الى المرفقين بضربتين (ان الله كان عفوا غفورا) وهذا كناية عن الترخيص والتيسير
 لان من كان عادته انه يعفو عن المذنبين فبان برخص العاجزين كان أولى (ألم تر) أى تنظر (الى
 الذين أوتوا نصيبا) أى حظا يسيرا (من الكتاب) أى من علم التوراة (يشترون الصلاة) أى
 يوثرون تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ليأخذوا الرشا على ذلك ويحصل لهم الرياسة كما قاله الزجاج
 (ويريدون أن تضلوا السبيل) أى ويتوصلون الى اضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكي يخرجوا عن
 الاسلام (والله أعلم بأعدائكم) أى هو سبحانه وتعالى أعلم بكنه ما فى قلوبهم من العداوة والبغضاء (وكفى
 بالله وليا) أى متصرفا فى جميع أموركم (وكفى بالله نصيرا) فى كل موطن فنقوابه وقال ابن عباس
 نزلت هذه الآية فى شأن اليسع ورافع بن حرملة حبرين من اليهود دعوا رئيس المنافقين عبد الله بن أبي
 وأصحابه الى دينهما ثم نزل فى مالك بن الصيف وأصحابه قوله تعالى (من الذين هادوا يجرئون الكلام عن
 مواضعه ويقولون معناه وعصينا وامع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين) أى من اليهود
 قوم يغفرون الكلام التى أنزل الله فى التوراة عن مواضعه التى وضعه الله تعالى فيها كقصر يفهم فى نعت
 النبي أمهر ربعة فوضعوا مكانه آدم طوال وتحرق يفهم الرجم فوضعوا بدله الجلد ويقولون فى الظاهر اذا
 أمرهم النبي عليه السلام بمعنا قولك وفى أنفسهم وعصينا أمرنا ويقولون فى انشاء مخاطبة النبي عليه
 السلام كلاما ذوا جهين وهو محتمل للخير والش رمظهرين المدح ويضفرون الستم وهو وامع منا غير
 مسمع مكروها والمراد وامع منا حال كونك غير مسمع كلاما أصلا لهم أو موت وهو عام منهم على

الرسول صلى الله عليه وسلم بذهاب السمع أو غير مسمع جوابا بواو اقل فكأنك ما سمعت شيئا يقولون للنبي
اسمع ويقولون في أنفسهم لا سمعت فقوله غير مسمع معناه غير سامع ويقولون في أثناء خطابهم له صلى الله
عليه وسلم راعنا وهي كلمة ذات وجهين محتمل للغير إذا حملت على معنى اصرف سمعك الى كلامنا وانصت
لحديثنا وتفهم وللشر إذا حملت على السبب بالرعونة أو على أنهم يريدون أنك يا محمد كنت ترعى أغناما
لنا فانهم يغتلون الحق فيجعلونه باطلا لأن راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لا سمعناهم
اغناما نسحقه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فأطلع الله تعالى على خبيث ضمائرهم وعلى ما في قلوبهم من
العداوة والبغضاء أى يقولون ذلك لصرف الكلام عن فهمه وللقبح في دين الاسلام بالاستهزاء
والسخرية (ولو أنهم قالوا) باللسان أو بالمال عند سماع شيء من أوامر الله تعالى ونواهيه (سمعنا
وأطعنا واسمع وانظرونا) بدل ذلك (لكان) قولهم ذلك (خير اللهم) عند الله (وأقوم) أى أصوب
(ولكن لعنهم الله بكفرهم) أى أبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم بذلك (فلا يؤمنون) بعد ذلك
(الاقليلا) أى الا ايمانا قليلا غير نافع وهو الايمان بالله والتوراة وموسى وكفر رابساثر الانبياء
أو الا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فلا ينفعهم الايمان وبعضهم جعل قليلا مستثنى من الهاء في
لعنهم أى الا نغرا قليلا فلا يلعنهم الله لأنهم لم يفعلوا ذلك بل كانوا مؤمنين كعبد الله بن سلام وأصحابه
(يا أيها الذين آمنوا بما نزلنا) أى بالقرآن (مصدق لما معكم) أى موافقا للتوراة
في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش
(من قبل أن نطمس وجوها) أى نمحوتخطيط صورها من عيين وحاجب وأنف وفم (فتردها على
أديبارها) أى فنجعلها على هيئة أبقاعها (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) فهم ملعونون بكل لسان
وضمير الغائب راجع الى الذين آمنوا الكتاب على طريقة الالتفات فلما لعنهم الله ذكرهم بعبادة
الغيبية (وكان أمر الله) بإيقاع شيء ما (مفعولا) أى نافذا وهذا اخبار عن جريان عادة الله في الانبياء
المتقدمين أنه تعالى مهمما أخبرهم بانزال العذاب على الكفار فعلى ذلك لا محالة (ان الله لا يغفر أن
يشرك) أى لا يغفر الكفر لمن اتصف (به) بالتوبة وايمان (ويغفر ما دون ذلك) أى الشرك في
القيص من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة من غير توبة عنها (لمن يشاء) روى عن ابن عباس أنه قال لما
قتل وحشي حمزة يوم أحد وكانوا قد وعدوه بالاعتاق ان هو فعل ذلك ثم انهم ما وفوا له بذلك فعند ذلك ندم هو
وأصحابه فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم بذنبهم وأنه لا ينعهم عن الدخول الى الاسلام الا قوله تعالى
والذين لا يدعون مع الله الها آخر فقالوا قد ارتكبنا كل ما في هذه الآية فنزل قوله تعالى الامن تاب وآمن
وعمل عملا صالحا لم يأت الله بها من قبله فلو انهم تابوا فغفر الله لهم فغفر الله لهم فغفر الله لهم
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقالوا يخاف أن لا نكون من أهل مشيئته تعالى فنزل قل يا عبادي الذين
اصرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فدخلوا عند ذلك في الاسلام (ومن يشرك بالله فقد افترى إثما
عظيما) أى فقد فعل ذنبا غير مغفور (ألم ترالى الذين يزكون أنفسهم) أى يدحون بها قال قتادة
والضحاك والسدي هم اليهود أخرجه ابن جرير وذلك لما هدده الله تعالى اليهود بقوله تعالى ان الله لا يغفر
أن يشرك به فعند هذا قالوا السنا من المشركين بل نحن من خواص الله تعالى وهذا استفهام تعجب وهو
أمر المخاطب على التعجب أى انظر اليهم فتعجب من ادعائهم أنهم أزيكاه عند الله تعالى مع ما هم عليه من
الكفر والاثم العظيم وفي هذه الآية تحذير من انجاب المرء بنفسه وعمله (بل الله يزكى من يشاء) عطف

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وهذه الآية مشتملة على أصول الشريعة الأربعة السكك
والسنة والجماع والقياس فالكاتب يدل على أمر الله ثم نعلم منه أمر الرسول لا محالة والسنة تدل على
أمر الرسول ثم نعلم منه أمر الله لا محالة فثبت أن قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يدل على وجوب
متابعة الكتاب والسنة والمراد بأولى الأمر جميع العلماء من أهل العقد والحل وأمر الله الحق وولاية
العدل وأما أمر الله الجور فمزل من استحقاق وجوب الطاعة لهم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في حق
عبد الله بن حذافة السهمي اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على سرية وعن ابن عباس أنها نزلت
في شأن خالد بن الوليد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على سرية وفيها عمار بن ياسر فخري بينهما
اختلاف في شيء فنزلت هذه الآية وأمر بطاعة أولى الأمر حينئذ فالمراد بهم أمر الله السرايا قال بعضهم
طاعة الله ورسوله واجبة قطعاً وطاعة أهل الجماعة واجبة قطعاً وأما طاعة الأمراء والسلاطين فالأكثر
أنها تكون محرمة لأنهم لا يأمرون إلا بالظلم وقد تكون واجبة بحسب الظن الضعيف حينئذ يحل أولوا
الأمر على الجماعة وأيضاً أعمال الأمراء والسلاطين موقوفة على فتاوى العلماء والعلماء في الحقيقة
أمر الله الأمراء فهو أولوا الأمر (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) أي فإن اختلفتم أيها
المجتهدون في شئ حكمه غير مذكور في الكتاب والسنة والجماع فردوه إلى واقعة تشبهه في الصورة
والصفة وهذا المعنى يؤيد بالخبر والاثار ما الخبر فهو أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قبلة
الصائم فقال صلى الله عليه وسلم أرايت لو غصمت والمعنى أخبرني هل تبطل المصغضة الصوم أم لا أي
فكأن المصغضة مقدمة للكل فكذا القبلة مقدمة للمعصية فإذا كانت المصغضة تفسد الصيام فكذلك
القبلة ولما سأله صلى الله عليه وسلم الخنعية عن الحج عن أبيها فقال صلى الله عليه وسلم أرايت لو كان على
أيك دين فقضيته هل يجزئ فقالت نعم قال صلى الله عليه وسلم فدين الله أحق بالقضاء وأما الأثر فاروي
عن عمر رضي الله عنه أنه قال أعرف الأشباه والنظائر وقس الأمور برأيك فدل مجموع ما ذكر على أن
قوله تعالى فردوه إلى شئ إلى شبيهه وهذا هو الذي يسميه الشافعي رحمه الله تعالى قياس الأشباه ويسميه
أكثر الفقهاء قياس الطرد (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وهذا محمول على التهديد فإن الإيمان
بهما يوجب ذلك (ذلك) أي الذي أمرتكم به في هذه الآيات (خير) لكم (وأحسن تأويلاً) أي
عاقبة لكم (ألم تر إلى الذين يزعمون) أي يدعون (أنهم آمنوا بما أنزل إليك) وهو القرآن (وما أنزل من
قبلك) وهو التوراة (بريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت) أي كثير الطغيان (وقد أمروا أن يكفروا به)
أي والحال أنهم قد أمروا في القرآن أن يتبرؤا من الطاغوت (ويريد الشيطان) بالتحاكم إليه (أن يضلهم
ضلالاً بعيداً) عن الحق والهدى قال كثير من المفسرين خاصم رجل من المنافقين يقال له بشر رجلاً
من اليهود فقال اليهودي بيني وبينك أبو القاسم وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الأشرف وسبب ذلك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي بالحق ولا يلتفت إلى الرشوة واليهودي كان محقاً وإن كعباً شديداً
الرغبة في الرشوة والمنافق كان مبطلاً وأصر اليهودي على قوله بذلك فذهبا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم لحكم اليهودي فلم يرض المنافق فلما خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقا إلى أبي بكر
فأتيا به لحكم اليهودي فلم يرض المنافق وقال بيني وبينك عمر فذهبا إليه فأخبره اليهودي بأن الرسول صلى
الله عليه وسلم وأبا بكر حكما على المنافق فلم يرض بحكمهما فقال للمنافق أهكذا فقال نعم قال أصبر إن لي حاجة
أدخل بيتي فاتصنيها وأخرج اليكافد خل وأخذ سيفه ثم خرج اليهما فضرب به عنق المنافق حتى برد أي

مات وقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله وهرب اليهودى فجاء أهل المناقق فشقوا
 جمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأل صلى الله عليه وسلم عمر عن قصته فقال أنه رد حكمك يا رسول الله فجاء
 جبريل عليه السلام في الحال ونزلت هذه الآية وقال جبريل إن عمر هو الفاروق فرق بين الحق والباطل
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر أنت الفاروق وعلى هذا القول الطاغوت هو كعب بن الأشرف معي
 بذلك لشبهه بالشیطان في فرط طغيانه (واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله) أى أقبلوا إلى القرآن
 الذى فيه الحكم (والى الرسول) الذى تجب طاعته ليحكم بينكم (رأيت المناققين يصدون عندك
 صدوداً) أى أبصرت المناققين يعرضون عندك إلى غيرك أعراضاً بالكلية (فكيف إذا أصابتهم مصيبة)
 أى كيف يكون حالهم وقت أصابة المصيبة إياهم بقتل عمر صاحبهم بظهور نفاقهم (بعاقدمت أيديهم)
 أى بسبب ما عملوا من التحاكم إلى الطاغوت والأعراض عن حكمك (ثم جاؤك يحلفون بالله أن أردنا إلا
 أحساناً وتوفيقاً) أى ثم جاءك أهل المناقق مطالبين عمر بدمه وقد أهدره الله تعالى ويحلفون بالله كذباً
 للاعتذار فقالوا ما أراد صاحبنا المقتول بالتحاكم إلى عمر إلا أن يصلح ويجعل الاتفاق بينه وبين خصمه ويأمر
 كل واحد من الخصمين بتقريب مراده من مراد صاحبه حتى يحصل بينهم ما الموافقة وأنت يا رسول الله
 لا تحكم إلا بالحق المر ولا يقدر أحد على رفع الصوت عندك (أولئك) أى المناققون (الذين يعلم الله ما فى
 قلوبهم) من النفاق والغيظ والعداوة (فأعرض عنهم) أى لا تقبل منهم ذلك العذر ولا تظهر لهم أنك
 عالم بكنهه ما فى بواطنهم فإن من هتك ستر عدوه فربما يصير له ذلك على أن لا يبالي باظهار العداوة فيزداد الشر
 وإذا تركه على حاله بقى في وجس فيقل الشر (وعظهم) أى أخرجهم عن النفاق والكيد والحسد
 والكذب وخوفهم بعذاب الآخرة (وقل لهم فى أنفسهم) أى خالباهم ليس معهم غيرهم لأن النصيحة
 على الملا تقرب وفى السر محض المنفعة (قولاً بليغاً) أى مؤثراً وهو التخويف بعقاب الدنيا بأن يقول لهم
 إن ما فى قلوبكم من النفاق والكيد معلوم عند الله ولا فرق بينكم وبين سائر الكفار وانما رفع الله السيف
 عنكم لأنكم أظهرتم الإيمان فأن واظبتم على هذه الأفعال القبيحة ظهر لكل الناس بقاؤكم على الكفر
 وحينئذ يلزمكم السيف (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) أى وما أرسلنا من رسول إلا ليؤمر
 الناس بطاعته بتوفيقنا وإعانتنا فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله تعالى وهذه الآية دالة على أنه
 لا رسول إلا معه شريعة ليكون مطاعاً فى تلك الشريعة ومتبوعاً فيها ودالة على أن الأنبياء معصومون عن
 المعاصي والذنوب ودالة على أنه لا يوجد شئ من الخير والشر والكفر والإيمان والطاعة والعصيان
 إلا بإرادة الله تعالى (ولو أنهم اذلموا أنفسهم) بترك طاعتك (جارك) وبالغوا فى التضرع إليك
 لينصبولك شفيعاً لهم (فاستغفروا الله) أى أظهروا الندم على ما فعلوه وتابوا عنه (واستغفر لهم
 الرسول) بأن يسأل الله أن يغفر الذنوب لهم عند توبتهم (لوجدوا الله تواباً) أى يقبل توبتهم (رحيماً)
 أى رحم تضرعهم ولا يرد استغفارهم والغائبة فى العدول فى إيمانه تعالى واستغفر لهم الرسول عن لفظ
 الخطاب إلى لفظ المغايبة اجلال شأن رسول الله فإن شأنه أن يستغفر إن عظم ذنبه وإنهم إذا جاؤه فقد
 جاؤا من خصه الله تعالى برسالته وأكرم بوجبه وجعله سفيراً بين خلقه وذلك مثل قول الأمير حكم
 الأمير بكذا بدل قوله حكمت بكذا (فلأوربك) لأمر يدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت فى لتلا يعلم
 لتأكيد وجوب العلم أو مفيدة لنفى أمر سبق والتقدير ليس الأمر كما يزعمون من أنهم آمنوا وهم يخالفون
 حكمك فوربك (لا يؤمنون حتى يحكموك) أى حتى يجعلوك حاكماً (فيما شجر بينهم) أى فيه

اختلف بينهم من الامور فتقضى بينهم (ثم لا يجذوا في أنفسهم) أي صدورهم (حجا) أي ضيقا
 (عما قضيت ورسلا وتسليما) أي وينقادوا لك انقادا تاما بطواهرهم قال عطاء ومجاهد والشعبي ان
 هذه الآية نازلة في قصة اليهود والمنافق فهذه الآية متصلة بما قبلها وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن
 المسيب قال نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة اختصما في ما فقضى النبي صلى الله عليه وسلم
 للزبير (ولو أنا) كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) أي ولو
 أوجبنا عليهم قتل أنفسهم أو الخروج عن أوطانهم في توبتهم كتبنا بني اسرائيل ما فعلوا أحد الامرين
 بطيبة النفس الا قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين والمعنى أنا لو شددنا التكليف على الناس لما فعله
 الا الاقلون وحينئذ يظهر كفرهم وعنادهم بل اكتبنا منهم في توبتهم بالتسليم لحكمك فليقبلوه
 بالاخلاص حتى ينالوا خير الدارين روى ان ثابت بن قيس بن شماس الانصاري ناظر يهود يافق قال
 اليهودي ان موسى أمرنا بقتل أنفسنا قبلنا ذلك وان محمد يأمركم بالقتال فتكرهونه فقال يا أنت لو ان
 محمدا أمرني بقتل نفسي لفعلت ذلك وروى ان ابن مسعود وعمار بن ياسر قالا مثل ذلك فنزلت هذه الآية
 وعن عمر بن الخطاب انه قال والله لو أمرنا بقتل أنفسنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يأمرنا بذلك قال صلى
 الله عليه وسلم وأشار الى عبد الله بن رواحة لو أن الله كتب ذلك لكان هذا في أولئك القليل أخرجه ابن أبي
 حاتم (ولو أنهم) أي المنافقين (فعلوا ما وعظون به) أي ما يكفون به (اكان) أي فعلهم ذلك
 (خير لهم) أي لحصل لهم خير الدنيا والآخرة (وأشد تثبيتا) لهم على الايمان ومميت أو امر الله
 مواعظ لا اقترانها بالوعد والترغيب (واذا) لوقعوا ما أمروا به (لا تيناهم من لدنا) أي لا عطيناهم
 من عندنا (أجر عظيم) أي ثوابا وافر في الجنة وكيف لا يكون عظيم ما وقد قال صلى الله عليه وسلم فيها
 ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ولهديناهم صراطا مستقيما) أي طريقا من
 عرصة القيامة الى الجنة وحمل لفظ الصراط في هذا الموضع على هذا المعنى أولى لانه تعالى ذكره بعد ذكر
 الاجر والدير الحق مقدم على الاجر والطريق من عرصة القيامة الى الجنة انما يحتاج اليه بعد استحقاق
 الاجر (ومن يطع الله) بأن يعرف انه اله ويقر بجلاله وعزته واستغنائاه عن سواه (والرسول) أي
 بان ينقاد له انقيادا تاما لجميع الاوامر والنواهي (فاولئك) أي المطيعون (مع الذين أنعم الله عليهم)
 أي فانهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد
 بعضهم بعضا واذا أرادوا الزيادة والتلاقى قد روعا على الوصول اليهم بسهولة (من النبيين) محمد صلى
 الله عليه وسلم وغيره (والصديقين) أي السابقين الى تصديق الرسل فصاروا في ذلك قدوة لسائر الناس
 وهم أفضل اصحاب الانبياء عليهم الصلاة والسلام (والشهداء) أي الذين يشهدون بجمعة دين الله
 تعالى تارة بالحجة والبيان وأخرى بالسيف والسنان فالشهداء هم القائمون بالقسط وأما كون الانسان
 مقتول الكافر فليس فيه زيادة شرف لان هذا القتل قد يحصل في الفساق ومن لا منزلة له عند الله
 والمؤمنون قد يقولون اللهم ارزقنا الشهادة فلو كانت الشهادة عبارة عن قتل الكافرين لكانوا قد طلبوا
 من الله ذلك القتل فانه غير جائز لان طلب صدور ذلك القتل من الكافر كفر فكيف يجوز ان يطلب من
 الله ما هو كفر (والصالحين) في الاعتقاد والعمل فان الجهل فساد في الاعتقاد والمعصية فساد في
 العمل وهم الصارفون أعمالهم في طاعة الله وأموالهم في مرضاته وكل من كان اعتقاده صوابا وعمله غير
 معصية فهو صالح ثم ان الصالح قد يكون بحيث يشهد لدين الله بأنه هو الحق وان ما سواه هو الباطل وهذه

الشهادة تارة تكون بالجمعة والدليل وأخرى بالسيف وقد يكون الصالح غير موصوف بكونه قائما بهذه
الشهادة فثبت ان كل من كان شهيدا كان صالحا ولا عكس فالشهيد أشرف أنواع الصالح ثم الشهيد قد
يكون صديقا وقد لا ومعنى الصديق هو الذي كان أسبق إيمانا من غيره وكان إيمانه قدوة لغيره فثبت ان
كل من كان صديقا كان شهيدا ولا عكس فثبت ان أفضل الخلق الانبياء وبعدهم الصديقون وبعدهم
من ليس له درجة إلا محض درجة الشهادة وبعدهم من ليس له إلا محض درجة الصلاح (وحسن أولئك
رفيقا) أي ما أحسن أولئك المذكورين صاحبيا في الجنة وحسن لها حكم نعم والمخصوص بالمدح محذوف
تقديره وحسن أولئك من جهة الرفيق الممدوحون (ذلك) أي مرافقة هؤلاء المنعم عليهم هو (الفضل
من الله) وما سواه ليس بشئ (وكفى بالله عليما) يجزاه من أطاعه وبعقادر الفضل واستحقاق أهله
روى جمع من المفسرين أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله قليل
الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونخل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع غير أني إذا لم أراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة
حتى ألقاك فذكرت الآخرة فلهفت أن لا أراك هناك لاني أن دخلت الجنة فانت تكون في درجات
النبين وأنا في درجات العبيد فلا أراك وإن أنا لم أدخل الجنة فيمتدلا أراك أبدا فتزلت هذه الآية وقال
الشعبي جاهر رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما بك يا فلان فقال
يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت أحب الى من نفسي وأهلي ومالي وولدي ولاني لا ذكرك وأنا في
أهلي فيأخذني مثل الجنون حتى أراك وذكر موتي وانك ترفع مع النبيين واني أن أدخلت الجنة كنت
في منزلة أدنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم فتزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا خذوا
حذركم) أي خذوا سلاحكم واحذروا من العدو ولا تمتدكموه من أنفسكم (فانفروا ثبات) أي انهضوا
الى قتال عدوكم واهرجوا للحرب جماعات متفرقة مربية بعدسرية (أو انفروا جميعا) أي مجتمعين
كوكبة واحدة (وان منكم من ليبطئن) أي وان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتأفلن
وليتخلف عن القتال وهم ضعفة المؤمنين والمنافقون (فان أصابتكم) يا معشر المجاهدين (مصيبة)
كقتل وهزيمة وجهد من العيش (قال) أي من يبطل في فرح شديد بالتخلف وجاهد الرأيه (قد أنعم
الله علي) بالعود (اذ لم أكن معهم شهيدا) أي حاضر في المعركة فيصيبني ما أصابهم (ولئن أصابكم
فضل) كفتح وغنمة (من الله ليقولن) أي من يبطل في دامة على عوده (كأن لم تكن بينكم وبينه
مودة) وهذه الجملة اعتراض بين الفعل ومفعوله والمراد التجب كأنه تعالى يقول انظر والى ما يقول هذا
المنافق كأنه ليس بينكم أيها المؤمنون وبين المنافق صلة في الدين ومعرفة في الهبة ولا محالطة أصلا
(يا ليتني كنت) غازيا (معهم فأفوز فوزا عظيما) أي فاصيب غنائم كثيرة وأخذ حظا وافرا وقيل
الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن أي ليقولن مشابعا لا معرفة بينكم وبينه وقيل هي داخلية في
القول أي ليقولن المثبط للشبهطين من المنافقين وضعفة المؤمنين كأن لم تكن بينكم وبين محمد معرفة في
الهبة حيث لم يستهجمكم في الغزو حتى تغزوا بما فاز محمد باليتني كنت معهم وغرض المثبط اللقاء العداوة
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم (فليقاتل في سبيل الله) أي لا علاه دين الله (الذين يشرون
الحياة الدنيا بالآخرة) وهم المنافقون الذين تخلفوا عن أحد فأمرؤا ان يغير وأماهم من النفاق ويخلصوا
الايما بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله فلم تدخل الباء الاعلى المتروكة لان المنافقين أراكون

للاخرة آخذون الدنيا أى فليقاتل الذين يختارون الحياة الدنيا على الآخرة وعلى هذا فلا بد من حذف
تقديره آمنوا ثم قاتلوا أو المراد بالذين يشرون هم المؤمنون الذين تخلفوا عن الجهاد وعلى هذا فيشرون
بمعنى يبيعون أى فليقاتل في طاعة الله الذين يبيعون الدنيا بالآخرة أى يختارون الآخرة على الدنيا
(ومن يقاتل في سبيل الله) أى في طاعة الله (فيمقتل) أى يمت شهيدا (أو يغلب) أى يظهر على
العدو (فسوف نؤتيه) أى نعطيه في كلا الوجهين (أجرا عظيما) وهو المنفعة الخالصة الدائمة
المقرونة بالتعظيم وإذا كان الاجر حاصل على كلا التقديرين لم يكن عمل أشرف من الجهاد (وما لكم
لا تقاتلون) أى أى شئ لكم يا معشر المؤمنين غير مقاتلين مع أهل مكة أى لا عذر لكم في ترك المقاتلة
(في سبيل الله) أى لاجل طاعة الله (والمستضعفين) أى ولأجل المستضعفين (من الرجال والنساء
والولدان) أى الصبيان وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء أى وهم قوم من المسلمين الذين بقوا بمكة وعجزوا
عن الهجرة إلى المدينة وكانوا يلقون من كفار مكة أذى شديدا قال ابن عباس كنت أنا وأخي من المستضعفين
من النساء والولدان (الذين يقولون) في مكة (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) وهي مكة وكون
أهلها موصوفين بالظلم لأنهم كانوا مشركين وكانوا يؤذون المسلمين ويوصلون اليهم أنواع المكاره
(واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) أى ول علينا واليا من المؤمنين يقوم بمصالحنا
ويحفظ علينا ديننا وانصرنا على أعدائنا برجل ينعنا من الظالمين فأجاب الله دعاءهم واشتد غضبهم من
أيدى الكفار لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة جعل عتاب بن أسيد أمير لهم وكان الولي هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم والنصير عتاب بن أسيد وكان ابن ثمانية عشر سنة فكان ينصر
المظلومين على الظالمين وينصف الضعيف من القوى والذليل من العزيز (الذين آمنوا يقاتلون
في سبيل الله) أى لغرض نصر دين الله وأعلاء كلمته (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أى
في سبيل غير رضا الله (فقاتلوا أولياء الشيطان) أى جند الشيطان (إن كيد الشيطان) أى إن صنع
الشيطان في فساد الحال على جهة الخيلة (كان ضعيفا) لأن الله ينصر أولياءه والشيطان ينصر
أولياءه ولا شك أن نصر الشيطان لأوليائه أضعف من نصر الله لأوليائه ألا ترى أن أهل الخير والدين
يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وإن كانوا حال حياتهم في غاية الفقر وأما الملوك والجبابرة فإذا
ماتوا انقرض أثرهم ولا يبقى في الدنيا رمعهم (ألم ترائى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة
وآتوا الزكاة) نزلت هذه الآية في جماعة من الصحابة عبد الرحمن بن عوف الزهري وسعد بن أبي
وقاص الزهري وقدامة بن مظعون الجهمي ومقداد بن الأسود الكندي وطلحة بن عبد الله التيمي كانوا
مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة ويلقون من المشركين أذى شديدا
فمشتكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أئذن لنا في قتالهم ويقول لهم رسول الله كفوا
أيديكم عن القتل والضرب فأنى لم أؤمر بقتالهم واشتغلوا بأقامة دينكم من الصلاة والخمس وزكاة
أموالكم فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمروا بقاتلهم في وقعة بدر كرهه
بعضهم لاشك في الدين بل نفور عن الاخطار بالارواح وخوف من الموت بموجب الجيلة البشرية وذلك
قوله تعالى (فلما كتب) أى فرض (عليهم القتال) أى الجهاد في سبيل الله (إذا فریق منهم)
كطلحة بن عبد الله التيمي (يخشون الناس) أى أهل مكة (تخشيه الله) أى تخوفهم من الله (أو أشد
خشية) أى بل أكثر خوفا لما كان من طبع البشر من الجبن لا الاعتقاد ثم تابوا وأهل الايمان يتفاضلون

فيه (وقالوا) خوفا من الموت لالكرهاتهم أمر الله بالقتال وهذا عطف على جواب لما هو اذا قاما
لجائبة مكانية (ربنا لما كتبت علينا القتال) في هذا الوقت (ولا أخرتنا الى أجل قريب) أى
هلا عاقبتنا من بلاه القتال الى موتنا بآجالنا وهذا القول استزادة في مدة الكف ويجوز ان يكون هذا
عما نطقت به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا (قل) جوابا لهذا السؤال عن حكمة فرض القتال
عليهم من غير توبيح لاهلال الاعتراض لحكمه تعالى برزغيا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي
(متاع الدنيا) أى منفعة الدنيا (قليل) لانه سريع التقضى وشيئ الانصرام وان أخرتم الى ذلك
الأجل (والآخرة) أى ثواب الآخرة لاسيما المنوط بالقتال (خير لئن اتقى) الكفر والفواحش
لان نعم الآخرة كثيرة ومؤبدة وصافية عن كدورات القلوب وبقينية بخلاف نعم الدنيا فانها مشكوكة
عاقبتها في اليوم الثاني ومشوبة بالكاره (ولا تظلمون فتية) وقرأ ابن كثير وحزمة والكسائي بالغيبة
والباقيون بالخطاب أى لاتنقصون من أجور أعمالكم قدر خيط في شق النواة أو المعنى لا ينقصون من
ثواب حسناتهم أدنى شيء (أينما تكونوا) في الحضر والسفر في البر أو البحر (يدرككم الموت) الذي
تكرهون القتال لاجله زعم منكم انه من محاله (ولو كنتم في بروج مشيدة) أى حصون مرتفعة قوية
بالجص (وان تصبهم) أى اليهود والمنافقين (حسنة) أى خصب ورخص السعر وتتابع الامطار
(يقولوا هذه من عند الله) قال المفسرون كانت المدينة عالوة من النعم وقت مقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما ظهر عند اليهود والمنافقين على دعائه اياهم الى الايمان أمسك الله عنهم بعض الامساك
كما جرت عادته تعالى في جميع الامم فعند هذا قالوا ما رأينا أعظم شوما من هذا الرجل نقصت ثمارنا
ومزارعنا وغللت أسعارنا منذ قدم (وان تصبهم سيئة) أى جدوبة وشدة وغلاء سعر (يقولوا هذه من
عندك) أى هذه من شووم محمد وأصحابه أى وان تصبهم نعمة نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بليية
أضافوها اليك كما حكى الله عن قوم موسى بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطير واعمسى ومن معه وعن قوم
صالح بقوله تعالى قالوا اطيروا بابل وبعن معك (قل) لهم رد الزعمهم الباطل وارشادهم الى الحق (كل
من عند الله) أى كل واحدة من النعمة والبليية من جهة الله تعالى خلقا وایجادا من غير ان يكون لى
مدخل في وقوع شيء منهم ابوجه من الوجوه كما ترغمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع
الثانية بواسطة ذنوب من ابتلى بها عقوبة (فال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) أى وحيث
كان الامر كذلك فأى شيء حصل لهؤلاء المنافقين واليهود حال كونهم يعزل من ان يفقهوا حديثا
من الاحاديث أصلا فقالوا ما قالوه اذ لو فهموا شيئا من ذلك لفهموا ان الكل من عند الله تعالى فالنعمة منه
تعالى بطريق التفضل والبليية منه تعالى بطريق العقوبة على ذنوب العباد عدلا منه تعالى (ما أصابك
من حسنة فمن الله) أى ما أصابك أيها الانسان من نعمة من النعم فهي من الله تعالى بالذات تفضلا واحسانا
من غير استيجاب لها من قبلك (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أى أى شيء أصابك من بليية من البلايا
فهى منها بسبب اقترافها المعاصى الموجبة لها وعن عائشة رضى الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا
نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفوا الله عنه أكثر (وأرسلناك
للناس رسولا) أى ليس لك الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت ذلك وما قصرت (وكفى بالله شهيدا) على
جدك وعدم تقصيرك في اداء الرسالة وتبليغ الوحي فاما حصول الهداية فليس اليك بل الى الله (من يطع
الرسول فقد أطاع الله) وهذه الآية تدل على اهلا طاعة الله البتة لان طاعة الرسول لا تكون الا طاعة

الله وقال الشافعي رضي الله عنه وهذه الآية تدل على ان كل تكليف كلف الله به عباده في باب الوضوء
 والصلاة والزكاة والصوم والحج وسائر الابواب في القرآن ولم يكن ذلك التكليف مبينا في القرآن فحينئذ
 لا يسيل لنا الى القيام بتلك التكاليف الا ببيان الرسول واذا كان الامر كذلك لزم القول بأن طاعة
 الرسول عين طاعة الله قال مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من أحبنى فقد أحب
 الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون لقد قارب هذا الرجل الشرك وهو ينسى ان نعبده غير الله
 ويريد ان نتخذة ربا كما اتخذت النصراني عيسى فأنزل الله هذه الآية (ومن تولى فما أرسلناك عليهم
 حفيظا) وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له أي ومن أعرض بقلبه عن حكمك يا محمد فأعرض
 عنه أو المعنى ومن أعرض عن طاعة الله بظاهرهم فلا ينبغي ان تغتم بسبب ذلك الاعراض وان تحزن لما
 أرسلناك لتحفظ الناس عن المعاصي أو المعنى فما أرسلناك لتشغل بزرهم عن ذلك التولي ثم نسخ
 هذا الآية الجهاد فالتعالى ذكر هذا الكلام تسليته صلى الله عليه وسلم عن الحزن فانه صلى الله عليه
 وسلم كان يشتد حزنه بسبب كفرهم وأعرانهم (ويقوون طاعة) أي يقول المنافقون عبد الله بن أبي
 وأصحابه اذا أمرتهم بشئ شأنا طاعة أو منا طاعة أو أمرك يا محمد طاعة مرعاشت نفعله (فاذا برزوا
 من عندك) أي خرجوا من مجلسك (بيت طائفة منهم غير الذي تقول) أي تفكر ليسلافريق من المنافقين
 وهم رؤسائهم غير الذي تأمر وتكلموا فيما بينهم بعضيا نك وتوافقوا عليه (والله يكتب ما يبيتون)
 أي ينزل اليك ما يتدبرونه ليسلاف جملة ما يوتى اليك فيطلعك على أمرارهم أو يثبت ذلك في صحائف
 أعمالهم ليجازوا به (فأعرض عنهم) أي لا تهتم بك سترهم ولا تفضحهم الى أن يستقيم أمر الاسلام
 (وتوكل على الله) في شأنهم فان الله يكفيك شرهم ويتقهم منهم (وكفى بالله وكيلا) أي مفوضا اليه
 لمن توكل عليه (أفلا يتدبرون القرآن) أي أيعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه
 من عند الله تعالى بشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الناطق بنفاقهم (ولو كان)
 أي القرآن (من عند غير الله) كما يزعمون (لوجدوا فيه) أي القرآن (اختلافا كثيرا) بأن يكون
 بعض أخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت أو مستقبلية لغيره تعالى وحيث
 كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به)
 أي واذا جاء المنافقين خبر بأمر من الامور سواء كان من باب الامن أو من باب الخوف أفسوه وكان
 ذلك سبب الضرر لان هذه الارجافات لا تنفع عن الكذب الكثيرة ولان العداوة الشديدة صارت
 قائمة بين المسلمين والكفار وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا فاذا غلبوا أو غلبوا بادر
 المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به
 قلوب المؤمنين فأنزل الله هذه الآية (ولو ردوه الى الرسول وإلى اولى الامر منهم لعلمه الذي يستنبطونه
 منهم) أي ولو ردوا الخبر الذي تحدثوا به الى الرسول وإلى اولى الامر منهم لعلمه الذي يستنبطونه
 الصحابة كأي بكر وعمر وعثمان وعلى بان لم يحدثوا به حتى يكون هؤلاء هم الذين يظهرونه لعلم ذلك الخبر
 من يستخرجونه من جهة هؤلاء أي ولو أن هؤلاء المنافقين المذيعين ردوا أمر الامن والخوف الى الرسول
 وإلى اولى الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلم هؤلاء المنافقين المذيعون من جانب الرسول
 ومن جانب اولى الامر (ولو لا فضل الله عليكم رحمته) ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن
 (لاتبعنم الشيطان) وكفرتم بالله (الا قليلا) منكم فان ذلك القليل بتقدير عدم بعثة محمد صلى الله

عليه وسلم وعدم انزال القرآن ما كان يتبع الشيطان وما كان يكفر بالله وهم مثل قس بن ساعدة وورقة
ابن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل واضرابهم (فقاتل في سبيل الله) أي في طاعة الله قيل وهذا متصل
بقوله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وقيل هذا معطوف على قوله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان
(لا تكلف الانفس) أي لا تفعل نفسك فلا يضرك مخالفتهم فتقدم أنت إلى الجهاد وإن لم يسألك
أحد فان الله ناصر لك واعلم أن الجهاد في حق غير الرسول من فروض الكفايات فالغلب على الظن أنه
يفيد لم يجب بخلاف الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه على ثقة من النصر والظفر (وحرض المؤمنين) أي
على الخروج معك بذلا للنصيحة فانهم آثروا بالخلف لأن القتال كان مفروضا عليهم اذ ذلك فان فرضه
في السنة الثانية وهذه القضية في الرابعة كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدأ بأسيه فيان بعد
حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذى القعدة فلما بلغ الميعة دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت
هذه الآية (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أي ان يمنع صولة كفار مكة وعسى وعدم من الله
تعالى واجب الانجاز (والله أشد بأسا) أي قوة من قريش (وأشد تنكيلا) أي تعذيبا (من يشفع
شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) أي من ثوابها ويندرج فيها الدعاء للسلم فإنه شفاعة إلى الله تعالى (ومن
يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) أي نصيب من وزرها مساو لها في المقدار والغرض من هذه الآية
بيان انه صلى الله عليه وسلم لما حرضهم على الجهاد فقد استحق بذلك التحريض أجرا عظيما ولو لم يقبلوا
أمره صلى الله عليه وسلم لم يرجع اليه من عصيانهم شيء من الوزر وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم بذل الجهد
في ترغيبهم في الطاعة ولم يرغبهم في المعصية البتة فحقير جمع اليه من طاعتهم أجر ولا يرجع اليه من
معصيتهم وزر (وكان الله على كل شيء مقبلا) أي قادر على ايدصال الجزاء إلى الشافع مثل ما رصه إلى
المشغوع فيه وحافظا للأشياء شاهد اعليها فهو عالم بأن الشافع يشفع في حق أو في باطل فيجازى كلاهما
علم منه (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) أي اذا سلم عليكم فردوا على المسلم ردأ أحسن
من ابتدأه أو أجيبوا التحية بمثلها ومنتهى الأمر في السلام ان يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
بدليل ان هذا القدر هو الوارد في التشهد فالأحسن هو ان المسلم اذا قال السلام عليكم زيد في جوابه الرحمة
وان ذكر السلام والرحمة في الابتداء زيد في جوابه البركة وان ذكر الثلاثة في الابتداء أعيدت في
الجواب ورد الجواب واجب على الفور وهو فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقيين
والأولى للكل ان يذكر الجواب اظهار اللذ كرام ومبالغة فيه وترك الجواب اهانة والاهانة ضرر
والضرر حرام واذا استقبلك واحد فقل سلاما عليكم واقصد إلى جمل والملكين فانك اذا سلمت عليهما ردا
السلام عليك ومن سلم الملك عليه فقد سلم من عذاب الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سلم عليكم
أهل الكتاب فقولوا وعليكم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لا تبدأ اليهود بالسلام واذا بدأك فقل
وعليك وعن أبي حنيفة انه قال لا يبدأ اليهود بالسلام في كتاب ولا في غيره وعن أبي يوسف قال لا تسلم
عليهم ولا تصالحهم واذا دخلت عليهم فقل السلام على من اتبع الهدى ورخص بعض العلماء في ابتداء
السلام عليهم اذا دعت إلى ذلك حاجة وأما اذا سلموا علينا فقال أكثر العلماء ينبغي ان يقال وعليكم ثم ههنا
تفريع وهو أنا اذا قلنا لهم وعليكم السلام فهل يجوز ذكر الرحمة فقال الحسن يجوز ان يقال للكافر وعليكم
السلام لكن لا يقال ورحمة الله لأنها استغفار وعن الشعبي انه قال لا صراني وعليكم السلام ورحمة الله
فقيل له في ذلك فقال أليس في رحمة الله يعيش وقيل التحية بالأحسن عند كون المسلم مسلما ورد مثلها عند

تكونه كافرين المقصود من هذه الآية الوعيد فان الواحد من جنس الكفار قد يسلم على الرجل المسلم ثم ان
 ذلك المسلم يتعمد عن حاله بل ربما قتله طمعاً منه في سلبه فانه تعالى زجر عن ذلك فاياكم ان تتعرضوا له
 بالقتل (ان الله كان على كل شيء حسيباً) أي محاسباً على كل أعمالكم وكافياً في ايصال جزاء
 أعمالكم اليكم فكونوا على حذر من مخالفة هذا التكليف وهذا يدل على شدة الاعتناء بحفظ الدماء
 (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر قال بعضهم كأنه تعالى يقول من سلم عليكم فاقبلوا سلامه وأكرموا بنياء
 على الظاهر فان البواطن اغما يعرفها الله الذي لا اله الا هو اغما ينكشف بواطن الخلق للخلق في يوم القيامة
 (ليجمعنكم الى يوم القيامة) أي والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيامة (لا ريب فيه) أي في يوم
 القيامة (ومن أصدق من الله حديثاً) وهذا استفهام على سبيل الانكار والمقصود منه بيان انه يجب كونه
 تعالى صادقاً وان الكذب والخلف في قوله تعالى محال (فالسلم في المنافقين فتنين) أي ما السلم يا معشر
 المؤمنين صرتم في أمر المنافقين فرقتين وهو استفهام على سبيل الانكار أي لم تختلفون في كفرهم مع ان
 دلائل كفرهم ونفاقهم ظاهرة جليلة فليس لكم ان تختلفوا في كفرهم بل يجب ان تقطعوا به نزلت هذه الآية
 في عشرة نفر قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم مسلمين فأقاموا بالمدينة ما شاء الله ثم قالوا يا رسول الله نريد
 ان نخرج الى الصحراء فأذن لنا فيه فأذن لهم فلما خرجوا لم يزلوا يرون من حلة من حلة حتى لحقوا
 بالمشركين فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم لو كانوا مسلمين مثلنا لبقوا معنا وصبروا كما صبرنا وقال قوم
 هم مساون وليس لنا ان ننسبهم الى الكفر الى أن يظهر أمرهم فبين الله تعالى نفاقهم في هذه الآية (والله
 أركسهم) أي ردهم الى أحكام الكفار من الذل والسبي والقتل (بما كسبوا) من اظهار الكفر
 بعدما كانوا على النفاق وذلك أن المنافق مادام يكون متمسكاً في الظاهر بالشهادتين لم يكن لنا سبيل
 الى قتله فاذا أظهر الكفر حينئذ يجري الله تعالى عليه أحكام الكفار (أتريدون أن تهدوا من أضل الله)
 عن الايمان (فمن يضل الله) عن دينه (فلن تجد له سبيلاً) الى ادخاله في الايمان (ودوا لوتكفرون
 كما كفروا) أي تمنوا كفركم بعمد القرآن كفر مثل كفرهم (فتكونون) أنتم وهم (سواء) في
 الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) أي اذا كان عالمهم ودادة كفركم فلا تولوهم
 حتى ينتقلوا من أعمال الكفار الى أعمال المسلمين لاجل أمر الله تعالى اعلم أن الهجرة تارة تحصل بالانتقال
 من دار الكفر الى دار الايمان وأخرى تحصل بالانتقال عن أعمال الكفار الى أعمال المسلمين فالصلى
 الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه وقال المحققون الهجرة في سبيل الله عبارة عن ترك منهيات
 الله وفعل ما أمر الله به وذلك يشمل مهاجرة دار الكفر ومهاجرة شعار الكفر وانما قيل الله تعالى الهجرة
 يكونها في سبيل الله لاجل خروج الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام ومن شعار الكفر الى شعار الاسلام
 لغرض من اغراض الدنيا فاعلموا ما اعتبر وقوع تلك الهجرة لاجل أمر الله تعالى (فان قولوا) أي أعرضوا
 عن الايمان والهجرة ولزموا مواضعهم خارجاً عن المدينة (انذروهم) أي فأمرهم وهم اذا قدرتم عليهم
 (واقتلوهم حيث وجدتموهم) أي في الحقل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين أمر اوقتلوا
 (ولا تتخذوا منهم) في هذه الحالة (ولياء) يتولى شيئاً من مهماتهم (ولا نصيراً) ينصركم على أعدائكم
 (الا الذين يصطلون) أي ينتهون (الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي الامن دخل في عهد من كان
 داخل في عهدكم فهم أيضاً داخلون في عهدكم أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية
 في حق هلال بن عويمر الأسلمي ومراقبة بن مالك المدلجي وبنو خزاعة بن عامر بن عبد مناف وفي هذه الآية

بشارة عظيمة لاهل الايمان لانه تعالى لما رفع السيف عن التجأ الى من التجأ الى المسلمين فبان يرفع العذاب
في الآخرة عن التجأ الى محبة الله ومحبة رسوله كان أولى (أو) الا الذين (جاؤكم حصرت) أى ضاقت
(صدورهم) عن المقاتلة فلا يريدون (أن يقاتلواكم) لانكم مسلمون وللعهد (أو) لا يريدون أن
(يقاتلوا قومهم) لانهم أقاربهم فهم لا عليكم ولا لكم أى لما أمر الله بأخذ الكفار وقتلهم استثنى من
المأمورين اثنين أحدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والآخر من أتى المؤمنين وكف عن قتال
الفرقيين (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وإزالة الرعب عنها والمعنى أن
ضيق صدورهم عن قتالكم أغما هو بقذف الله الرعب في قلوبهم ولوقوى قلوبهم على قتال المسلمين
لتسلطوا عليهم والمقصود من هذا الكلام أن الله تعالى من على المسلمين بكف بأس المعاهدين (فلقاتلوكم)
وهذا في الحقيقة جواب لو وما قبله توطئة له وأعيدت اللام توكيدا (فإن اعتزلوكم) أى تركوكم
(فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) أى الانقياد للصالح والامان (فاجعل الله لكم عليهم سبيلا) أى
طريقا بالامسأ وبالقتل (ستجدون) عن قريب (آخرين) أى قوما من المنافقين غير من سبق
وهم قوم من أسد وغطفان كانوا مقيمين حول المدينة فاذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا وقالوا لا تعذب رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنا على دينكم ليأمنوا من قتال المسلمين واذا رجعوا الى قومهم كفروا وانكثروا
عهودهم ليأمنوا من قومهم حتى كان الرجل منهم يقول له قومه بعباد أسلمت فيقول آمنت بهذا القرد
وبهذا العقب والخنفساء كما قال تعالى (يريدون أن يأمنواكم) أى يأمنوا من قتالكم باظهار الاسلام
عندكم (ويأمنوا قومهم) أى من بأسهم باظهار الكفر اذ رجعوا اليهم (كلاردوا الى الفتنة) أى
كلما دعوا الى قتال المسلمين (أركسوا فيها) أى قلبوا في الفتنة أقبح قلب وكانوا فيها شر من كل عدو
شرير أى كلما دعاهم قومهم الى الكفر وقتال المسلمين رجعوا اليه وهذا استعارة لشدة اصرارهم على
الكفر وعداوة المسلمين لان من وة في شئ منكوسا يتعذر خروجه منه (فإن لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم
السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث نفقتهموهم) أى فإن لم يتركوا قتالكم ولم يطلبوا الصلح
منكم ولم يكفوا أيديهم عن قتالكم فخذوهم أى امروهم واقتلوهم حيث نفقتهموهم أى وجدتموهم
في الحل والحرم (وأولئكم) أى أهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) أى جعلنا لكم
على جواز قتل هؤلاء حجة واضحة وهي ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم
بأهل الاسلام أو جعلنا لكم عليهم سلطانا ظاهرا حيث أذن لكم في أخذهم وقتلهم (وما كان لمؤمن أن
يقتل مؤمنا الا خطأ) أى ليس لمؤمن أن يقتل مؤمنا البتة الا عند الخطأ وهو ما إذا رأى عليه شعار
الكفار أو وجدته في عسكرهم فظنهم مشركا فنهنايجوز قتله ولا شك هذا خطأ فإنه ظن أنه كافر مع
أنه غير كافر روى أن عياش ابن أبي ربيعة أسلم في مكة وهاجر الى المدينة قبل هجرة النبي صلى الله عليه
وسلم اليها وتحصن في أطعم من أطامها خوفا من قومه فاقسمت أمه لآتأكل ولا تشرب ولا تجلس تحت
سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل بن هشام والحريث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه فقال أبو جهل ألميس
إن محمدا يأمر بك يبرالام فأنصرف وأحسن الى أمك وأنت على دينك فرجع الى مكة فلم يدنو من مكة
قيدا يديه ورجليه وجلده كل واحد منهم مائة جلدة فلم يدخل على أمه حلفت لا يزل عنه القيد حتى
يرجع الى دينه الاول فتركوه موثوقا مطروحا في الشمس ماشاء الله ففعل بلسانه فأتاه الحرف بن زيد
فقال يا عياش إن كان دينك الاول هدى فقد تركته وإن كان ضلالا فقد دخلت الآن فيه فغضب عياش

من مقاتله وقال والله لا أقاتل خاليا أبدا الا قتلتك ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحرب بعد ذلك وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقية عياش في ظهر قباء خاليا ولم يشعر باسلامه فقتله فلما أخبره الناس بأنه كان مسلما ندب على فعله وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتلته ولم أشعر باسلامه فنزلت هذه الآية (ومن قتل مومنا خطأ) بأن يقصد رمي المشرک فأصاب مسلما أو يظن الشخص مشركا فقتله فبان مسلما أو يضرب المسلم بضربة لا تقتل غالباً فيموت منها فالاول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد والثالث خطأ في القتل وإن كان عمداً في الضرب ولذلك سمي شبه العمد (فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله) أي فعله اعتناق نسمة محكوم باسلامها وإن كانت صغيرة ودية مؤداة الى ورثة المقتول يقتسمونها كسائر الموارث (الا أن يصدقوا) أي الا أن يعفوا أهل المقتول عن الدية ويمتروا كوها وهي العفو عنها صدقة حثا عليه وتبنيها على فضله وفي الحديث كل معروف صدقة (فإن كان) أي المقتول خطأ (من قوم عدولكم) أي من سكان دار الحرب (وهو مؤمن) ولم يعلم القاتل بكونه مؤمنا (فتحرير رقبة مؤمنة) أي فما اجب على القاتل بسبب قتله الواقع على سبيل الخطأ هو تحرير الرقبة وأما الدية فلا تجب اذ لا ورثة بين المقتول وبين أهله لانهم محاربون كالحرث بن زيد فانه من قوم محاربين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الكفارة فأنها حق الله تعالى ليقوم المعتوق به مقام المقتول في المواظبة على العبادات (وإن كان) أي المقتول خطأ (من قوم كفرة) (بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد مؤقت أو مؤبد (فدية) أي فعل قاتله دية (مسلمة الى أهله) أي المقتول وهي ثلث دية المؤمن إن كان نصرانياً أو يهودياً تحل منا كخته وثلثا عشرها إن كان مجوسياً أو كتابياً لا تحل منا كخته (وتحرير رقبة مؤمنة) على القاتل (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) أي فمن كان فقيراً فعله ذلك الصيام بدلا عن الرقبة وقال مسروق بدلا عن مجموع الكفارة والدية والتتابع واجب حتى لو أفطر يوماً وجب الاستئناف الا أن يكون الفطر بحيض أو نفاس (توبة من الله) أي شرع ذلك تجاوزاً من الله على تقصيره في ترك الاحتياط لانه لو بالغ في الاحتياط لم يصدر عنه ذلك الفعل (وكان الله عليهما) بأن القاتل لم يتعمد (حكيماً) في أنه تعالى ما يؤاخذ بذلك الخطأ (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) روى ان مقيس بن ضبابة الكنانى كان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد مقيس أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فأرسل رسول الله معه بئر بن عياض الفهري وكان من أصحاب بدر الى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقبض منه ان علموه وبأداء الدية ان لم يعلموه فقالوا امعوا وطاعة فأتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق تغفل مقيس الكنانى رسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الفهري فرماه بصخرة فشده ثم ركب بعيراً من الابل واستاق بقيتها راجعاً الى مكة كافر فنزلت هذه الآية وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح عن أمنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة (خالد افياها) حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لجزاؤه أن يدخل جهنم خالد افياها (وغضب الله عليه) أي انتقم منه عطف على مقدر كأنه قيل بطريق الاستثناء فحكم الله بأن جزاءه ذلك وغضب عليه (ولعنه) أي أبعد عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر (وأعدله) في جهنم (عذاباً عظيماً) لا يقاد قدره وقال ابن عباس ومن يقتل مؤمناً رسول سيدنا رسول الله متعمداً بقتله أي بأن يقصد قتله بالسبب الذي يعلم افضاءه الى الموت سواء كان ذلك جارحاً أو لم يكن لجزاؤه جهنم بقتله عامداً لما بكونه مؤمناً خالد افياها بشركه وارتداده وغضب الله عليه بأخذه الدية ولعنه بقتله غير قاتل أخيه وأعدله عذاباً عظيماً

عظيما أى شديد اجراءه على الله (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله) أى سافرتهم في الغزو (فتبينوا) أى تحققوا حتى يتبين لكم المؤمن من الكافر قرأ حمزة والكسائي هنا في الموضعين وفي الخبرات فتبينوا أى اطلبوا التثبت والمراد في الآية فتأنوا وتركوا العجلة واحتاطوا (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام) أى لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الاسلام أو لمن ألقى إليكم الانقياد بقول لا اله الا الله محمد رسول الله (لست مؤمنا) فتقتلونهم (تبتغون عرض الحياة الدنيا) أى حال كونكم طالعين لماله الذى هو سريع النفاذ (فعند الله مغايم كثيرة) أى ثواب كثير (كذلك كنتم من قبل) أى مثل ذلك الذى ألقى إليكم السلام كنتم أنتم أيضا في أول اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها (فإن الله عليكم) بأن قبل منكم تلك المرتبة وعصم بهادماكم وأموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم (فتبينوا) أى إذا كان الامر كذلك أى فقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في أوائل أموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على توأطى الظاهر والباطن (إن الله كان عاتما لكون) من الاعمال الظاهرة والخفية (خبيرا) فيجازيكم بحسبها ان خير الخير وان شرافتها ونوافي القتل واحتاطوا فيه نزلت هذه الآية في شأن مرداس بن نهيئ رجل من أهل فدك وكان قد أسلم هو ولم يسلم غيره من قومه فذهبت سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومه مع أميرهم غالب بن فضالة فهربوا وبقي مرداس لثقتهم باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل فلما تلاحقوا وكبروا وكبر وزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوا شديدا وقال قتلتموه ارادة مامعه فقال أسامة انه قال بلسانه دون قلبه فقال صلى الله عليه وسلم هلا شققت عن قلبه ثم قرأ هذه الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفرنى فقال فكيف وقد تلالا اله الا الله قال أسامة فازال صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت ان لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفرنى ثلاث مرات وقال أعنتى رقية (لا يستوى القاعدون) الذين أذن لهم في القعود عن الجهاد اكتباه بغيرهم الذين هم (من المؤمنين غير أولى الضرر) من مرض أو عاهة من عى أو عرج أو زمانة أو نحوها وفي معناه العجز عن الالهة قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزمة وعاصم بالرفع بدل من القاعدون ونافع وابن عامر والكسائي والباقيون بالنصب على الحال من القاعدون والاعمش بالجر على الصفة للمؤمنين (والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) قال ابن عباس أى لا يستوى القاعدون عن بدر والخارجون اليها (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين) أولى الضرر (درجة) أى فضيلة في الآخرة لان المجاهد يباشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولو الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فتنزلوا عن المجاهدين درجة (وكلا) من المجاهدين والقاعدين (وعند الله الحسن) أى الجنة بإيمانهم (وفضل الله المجاهدين) في سبيل الله (على القاعدين) الذين لا عذر لهم ولا ضرر (أجر أعظم ادرجات منه) أى من الله تعالى (ومغفرة) للذنوب (ورحمة) من العذاب (وكان الله غفورا) لمن خرج الى الجهاد (رحيما) لمن مات على التوبة وقيل هذا التفضل بين المجاهدين والقاعدين غير أولى الضرر فقط وذلك اما التنزيل الاختلاف بين التفضيلين منزلة الاختلاف الذاتي كأنه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين على ان المراد بالتفضيل الاول ما أعطاهم الله تعالى طاجلا في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيقي بكونه درجة

واحدة وبالتفضيل الثاني ما أنتم به في الآخرة من الدرجات العالية كأنه قيل وفضلهم عليهم في الدنيا
 درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى أما أولو الضرر ففهم مساوون للمجاهدين ويدل على المساواة
 النقل والعقل أما النقل فقوله تعالى ثم ردونا أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم
 أجر غير ممنون وذكر بعض المفسرين في تفسير ذلك أن من صار هرما كتب الله له أجر ما كان يعمل قبل
 هرمه غير منقوص من ذلك شيئا وأما العقل فالمقصود من جميع الطاعات استنارة القلب بنور معرفة الله
 تعالى فإن حصل الاستواء فيه للمجاهد والقاعد فقد حصل الاستواء في الثواب وإن كان القاعد أكثر
 حظا من هذا الاستغراق كان هو أكثر ثوابا وقال بعضهم والمراد بقوله وفضل الله المجاهدين لدفع
 التكرار هو من كان مجاهدا في كل الأمور بالظاهر والقلب وهو أشرف أنواع المجاهدة وحاصل هذا
 الجهاد صرف القلب من الالتفات إلى غير الله إلى الاستغراق في طاعة الله وإيا كان هذا المقام أعلى جعل
 فضيلته درجات (أن الذين توفاهم الملائكة) أي ملك الموت وأعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يملكون قبض
 أرواح المؤمنين وثلاثة يملون قبض أرواح الكفار (ظالمى أنفسهم) بترك الهجرة واختيار مجاورة
 الكفرة الموجبة للاخلال بأمور الدين فإن هذه الآية نزلت في ناس من مكة قد أسلموا ولم يهاجروا حين
 كانت الهجرة فريضة فقطعوا يوم بدر مع الكفار منهم علي بن أمية بن خلف والحارث بن زمة وقيس بن الوليد
 ابن المغيرة وأبا العاص بن ممنة بن الجراح وأبا قيس بن الفاكه (قالوا) أي الملائكة لهم حين القبض (فيم
 كنتم) أي في أي شيء كنتم من أمر دينكم أي أكنتم في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أم كنتم
 مشركين أو فيم كنتم في حرب محمد أو في حرب أعدائه (قالوا) معتذرين اعتذارا غير صحيح (كنا
 مستضعفين في الأرض) أي كنا مهجورين في أرض مكة في أيدي الكفار (قالوا) أي الملائكة لهم توبخا
 مع ضرب وجوههم وأدبارهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أي أنكم كنتم قادرين على
 الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم فبقيتم بين الكفار وقال ابن عباس
 أي ألم تكن المدينة آمنة فتهاجروا إليها (فأولئك مأواهم) في الآخرة (جهنم) كما أن مأواهم في
 الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة فأواهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لا أولئك وهذه الجملة خبران
 وقوله تعالى قالوا فم كنتم حال من الملائكة أو هو الخبر والعائنه محذوف أي قالوا لهم (وساعت مصيرا)
 أي بشئ مصيرهم جهنم (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) أي الصبيان أو المماليك
 (لا يستطيعون حيلة) أي لا يقدر على حيلة الخروج ولا نفقة أو كان بهم مرض أو كانوا تحت قهر
 قاهر يمنعهم من تلك الهجرة (ولا يهتدون سبيلا) أي لا يعرفون طريقا ولا يجدون من يدلهم على
 الطريق كعباش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام وسيدنا عبد الله بن عباس وأمه أمهم بالبابة كما قال كنت
 أنا وأمي من عفا الله عنه بهذه الآية (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) وذكر العفو بكلمة عسى لا بالكامة
 الدالة على القطع لأن الإنسان لشدة نفرتة عن مفارقة الوطن ربما ظن نفسه عاجزا عنهم أن لا يكون كذلك
 في الحقيقة فكانت الحاجة إلى العفو شديدة في هذا المقام (وكان الله عفوا) لما كان منهم (غفورا)
 لمن تاب منهم (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة) في المعيشة أي ومن
 يهاجر في طاعة الله إلى بلد آخر يجد في أرض ذلك البلد من الخير والنعمة ما يكون سبيلا رغم أنف أعدائه
 الذين كانوا معه في بلده الأصلية وذلك لأن من ذهب إلى بلدة أجنبية فإذا استقام أمره في تلك البلدة
 ووصل ذلك الخبر إلى أهل بلده نجلوا من سوء معاملتهم معه ورحمت أنوفهم بسبب ذلك (ومن يخرج من

بيته مهاجرا الى الله ورسوله (أى الى موضع أمر الله ورسوله) (ثم يدرك الموت) قبل أن يصل الى
 المقصد وان كان خارج بابيه (فقد وقع أجره على الله) أى فقد وجب أجر هجرته عند الله بإيجابه على نفسه
 بحكم الوعد والتفضل والكرم لا بحكم الاستحقاق الذى لو لم يفعل لخرج عن الالهية (وكان الله غفورا)
 لما كان منه من القعود الى وقت الخروج (رحيم) باكمال أجر الهجرة فكذلك كل من قصد فعل
 طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه
 قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة الى آخر الآيات بعث بها الى مكة فتليت على المسلمين الذين كانوا فيها
 اذ ذاك فسمعهم ارجل من بنى ليث شيخ مريض كبير يقال له جندع بن ضمرة فقال لبيه احملى فاني لست
 من المستضعفين وانى لا هتدى الطريق والله لا آيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما
 بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على
 ما أبايعك عليه رسولك فمات فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا لو وفى بالمدينة لكان أتم أجزاؤه فمات
 المشركون وقالوا ما أدرك ما طلب فأنزل الله تعالى قوله تعالى ومن يخرج من بيته الآية قالوا كل هجرة فى
 غرض دينى من طلب علم أو حج أو جهاد أو نحو ذلك فهى هجرة الى الله تعالى والله رسوله صلى الله عليه وسلم
 (واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) أى اذا سافرتكم أى مسافرة كانت
 فليس عليكم مأثم فى أن تردوا الصلاة من أربع ركعات الى ركعتين اذا كان السفر طويلا لغير معصية
 وهو عند الشافعى ومالك أربعة برودهى مرحلتان وعند أبى حنيفة ثلاثة أيام بلياليهن وروى عن عمران
 قال يقصر فى يوم تام وبه قال الزهري والاوزاعي وقال أنس بن مالك المعتبر خمس فراسخ (ان خفتم أن
 يفتنكم الذين كفروا) أى ان خفتم أن يتعرضوا لكم بما تذكروونه من القتال وغيره وقال ابن عباس
 أى ان علمتم أن يقتلواكم فى الصلاة وهذا الشرط بيان للواقع اذ ذاك وهو ان غالب أسفار النبي صلى الله عليه وسلم الى الله
 عليه وسلم وأصحابه لم تخل من خوف العدو لكثرة المشركين وأهل الحرب اذ ذاك حينئذ لا يشترط الخوف
 بل للسافر القصر مع الأمن لما فى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم سافر بين مكة والمدينة لا يخاف الله
 عز وجل فكان يصلى ركعتين قال يعلى بن أمية قلت لهما راعيا قال الله تعالى ان خفتم وقد آمن الناس قال
 عمر قد عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدق الله به عليكم فأقبلوا
 صدقته رواه مسلم (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) أى ان العداوة الحاصلة بينكم وبين الكافرين
 قديمة والآن قد أظبرتكم خلافهم فى الدين وازدادت عداوتهم وبسبب شدة العداوة قصدوا اتلافكم ان
 قدروا فان طالت صلواتكم فرموا بكم وجدوا الفرصة فى قتلكم فعلى هذا رخصت لكم فى قصر الصلاة (واذا
 كنت فيهم فأقتلهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك) أى اذا كنت يا شرف الخلق مع المؤمنين فى خوفهم
 فأردت أن تقيم بهم الصلاة فاجعلهم طائفتين فلتقم منهم طائفة معك فصل بهم ولتقف الطائفة الأخرى
 بإزاء العدو ليحرسوكم منهم (وليأخذوا) أى الطائفة الذين يصلون معك (أسلحتهم) من التى لا تشغلهم
 عن الصلاة كالسيوف والخناجر فان ذلك أقرب الى الاحتياط وأمنع للعدو من الاقدام عليهم (فاذا هجدوا)
 أى القائمون معك رأتوا صلواتهم بعدنية المفارقة (فليكونوا من ورائكم) أى فليمنصرفوا من ورائكم
 الى مصاف أصحابهم بإزاء العدو للحراسة ثم يبقى الامام قائما فى الركعة الثانية (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا
 فليصلوا معك) فى الركعة الثانية ثم يجلس الامام فى التشهد الى أن يصلوا ركعة ثانية ثم يسلم الامام بهم
 وهذا قول سهل بن أبى حنيفة ومذهب الشافعى (وليأخذوا) أى هذه الطائفة (حذرهم) من العدو

(وأسلحتكم) معهم وانما ذكر الحذر هنا لان العدو لم يتنبه للمسلمين في أول الصلاة بل يظنون كونهم قائلين لاجل المحاربة فاذا قاموا في الركعة الثانية ظهر للكفار كونهم في الصلاة فيثبتون الفرصة في الهجوم عليهم فخص الله تعالى هذا الوضع بزيادة الحذر من الكفار (ووالذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) أي تغفوا نسيانكم عن الأسلحة وما تستمتع بها في الحرب اذا قمتم الى الصلاة فينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشددوا عليكم شدة واحدة في الصلاة (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) أي لا رزركم في وضع الأسلحة ان تعذر حملها ما ثقلها بسبب مطر أو مرض أو لا يذاهم في الجنب (وخذوا حذركم) أي احذروا من العدو وما استطعتم لئلا يهجموا عليكم وهذه الآية تدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا والله أعلم (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) في الدنيا بأن يخذلهم وينصرهم عليهم فاهتموا بأموركم ولا تهملوا في مباشرة الأسباب كي يحل بهم عذابه تعالى بأيديكم بالقتل والأسر والنهب (فإذا قضيت الصلاة فادكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة) أي فإذا فرغتم من صلاة الخوف فداوموا على ذكر الله في جميع الأحوال حتى في حال المسابقة والقتال فان ما أنتم عليه من الخوف والحذر مع العدو وجدير بالمواظبة على ذكر الله والتضرع اليه فاذا سكنت قلوبكم من الخوف فادروا الصلاة التي دخل وقتها حينئذ على الحالة التي كنتم تعرفونها ولا تغيروا شيئا من أحوالها وهياتها وقيل معنى الآية فاذا أردتم أداء الصلاة فصلا وقاما حال اشتغالكم بالمسابقة والمقارعة وقعودا جاذين على الركب حال اشتغالكم بالمرامة وعلى جنوبكم حال ما تكثرا لبراحات فيكم فتسقطون على الأرض فاذا زال الخوف عنكم بانقضاء الحرب فاهضوا ما صليتم في تلك الأحوال وهذا ظاهر على مذهب الشافعي من إيجاب الصلاة على المحارب في حال المسابقة اذا حضر وقتها واذا اطمأنوا فاعليهم القضاء وقال بن عباس أي فإذا فرغتم من صلاة الخوف فصلا والله قياما للهجه وقعودا للمريض وعلى الجنوب للفرج والمريض فاذا ذهب منكم الخوف ورجعتم الى منازلكم فأتوا الصلاة أربعاً (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أي فرصا موقتا (ولا تهملوا في ابتغاء القوم) أي لا تهملوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال نزلت هذه الآية في شأن بدر الصغرى وذلك لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه فشقوا الجراحات حين رجعوا من أحد (ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون) أي ان كنتم تتوجعون بالجراح فانهم يتوجعون بالجراح لحصول الألم قدر مشترك بينكم وبينهم فلم يصبر خوف الألم ما بعثهم عن قتالكم فكيف صار ما نعالكم عن قتالهم (وترجون من الله ما لا يرجون) أي وأنتم ترجون من الله نوايه وتخافون عذابه لانكم تعبدون الله تعالى والمشركون يعبدون الأصنام فلا يصح منهم أن يرجوا منها نوايا أو يخافوا منها عذابا فيجب أن تكونوا أرغب منهم في الحرب وأصبر عليها وقرأ الأعرج أن تكونوا بفتح الهمزة أي لان تكونوا (وكان الله عليما حكيما) أي لا يكلفكم شيئا الا بما هو عالم بانه سبب لصلاحكم في دينكم ودنياكم (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس) أي بين طمعة وزيد بن سمين (بما أزال الله) أي بما علمك الله في القرآن وسمى العلم الذي يعني الاعتقاد بالرؤية لان العلم اليقيني المبرأ عن الريب يكون جارا يجرى الرؤية في القوة والظهور وكان عمر يقول لا يقول أحدكم قضيت بما أراني الله تعالى فان الله تعالى لم يجعل ذلك الا لئيبه والأي منيا كون ظنا لا علميا نزلت هذه الآية

في شأن رجل من الانصار يقال له طحمة بن ابرق من بني ظفر سرق درعاً من جاره قتادة بن النعمان وهي في جراب دقيق فصار الدقيق يتناثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن ميمن اليهودي فالتفت الدرع عند طحمة فلم توجد فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فأخذه وها فقال دفعها الى طحمة وشهد له ناس من اليهود فقال بنو طحمة - را نطلقوا بنا الى رسول الله نشهد أن اليهود هو السارق لئلا نقتضج بل عزموا على الحلف فذهبوا وشهدوا وزورا ولم يظهر له صلى الله عليه وسلم قاذح فيهم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب اليهودي أو بقطع يده لثبوت المال عنده فأعلمه الله الحال بالوحي فهم أن يقضي على طحمة فهرب الى مكة وارتد ونقب حائط السرق متاع أهله فوقع عليه فقتله ومات مرتداً في مكة (ولا تكن) يا أقرى الخلق (لخائنين) أي لاجل المنافقين وللذب عنهم - وهم طحمة وقومه بنو يبرق بشرو وبشير ومبشركم أخرجهم الترمذي من حديث قتادة بن النعمان (خميما) أي مخافاهما لمن كان بريئاً عن الذنب وهو اليهودي (واستغفر الله) من هلك بضرب اليهودي زيد بن ميمن تعويلاً على شهادتهم لأنهم كانوا في الظاهر مسلمين فاستغفاره صلى الله عليه وسلم بسبب ذلك اللهم بالحكم الذي لو وقع لك كان خطأي نفسه وإن كان معذوراً عند الله فيه فأمر صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لهذا القدر فإن حسنات الاراسيات المقربين (إن الله كان غفوراً رحيماً) أي مبالغاً في المغفرة والرحمة لمن يستغفره (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) طعمة ومن عاونه من قومه من علم كونه سارقاً (إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً) فإن طعمة خان في الدرع وأثم في نسبة اليهودي الى تلك السرقة وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفع السرقة عنه ويطلقه باليهودي وهذا يبطل رسالة الرسول ومن حاول ابطاله ذلك وأظهر كذبه فهو كافر وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وروى عن عمرانه أمر بقطع يد سارق لحاقت أمه تبكى وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال عمر كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في أول الأمر (يستخفون من الناس) أي يستترون منهم حياء وخوفاً من ضرر (ولا يستخفون من الله) أي ولا يستحيون منه تعالى ولا يخافون من عذابه تعالى (وهو معهم) بعلمه ورؤيته وقدرته (اذ يبيتون) أي يقدررون في اذهانهم (مالاً يرضى) أي الله (من القول) وهو أن طعمة قال ارمي اليهودي بأنه هو الذي سرق الدرع وأحلف اني لم أرمه فها فيقبل الرسول عيني لاني على دينه ولا يقبل عيني اليهودي (وكان الله بما يعملون محيطاً) لا يعزب عنه تعالى شيء ولا يفوت (ها أنتم هؤلاء) أي أنتم يا قوم طعمة (جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) أي هبوا انكم خاصتهم عن طعمة وأمثاله في الدنيا وقرأ عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب عنه بالافراد (فن يجادل الله عنهم يوم القيامة) عند تعذيبهم (أم من يكون عليهم وكيلاً) أي أم من الذي يكون محافظاً لهم من عذاب الله (ومن يعمل سوءاً) أي قبيحاً يحزن به غيره كما فعل طعمة من سرقة الدرع لقتادة ومن رمى اليهود بالسرقه (أو يظلم نفسه) كالحلف الكاذب (ثم يستغفر الله) بالتوبة الصادقة (يجد الله غفوراً) لذنوبه (رحيماً) حيث قبل توبته (ومن يكسب أثماً) أي ذنباً (فأثم يكسبه على نفسه) فلا يتهمدى ضرره الى غيره فليتهمر زعن اقبال نفسه للعقاب عاجلاً وآجلاً والكسب عبارة عما يفيد جرماً منفعته أو دفع مضرته ولذلك لم يجز وصف الله تعالى بذلك (وكان الله عليماً) بما في قلب عبده عند اقدمه على التوبة (حكيماً) تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب وان لا يحمل نفساً وزرناً نفس أخرى (ومن يكسب خطيئة) أي صغيرة أو قاصرة على الفاعل أو ما لا ينبغي فعله بالعمد أو بالخطأ (أو أثماً) أي كبيرة أو ما يتعدى الى الغير كالظلم والقتل أو ما يحصل

بالعمد (ثم يرميه) أى يقذف بذلك الذنب (يرشاق قد احتمل بهتاناً أو اثماً مبيناً) أى فقد أوجب على نفسه عقوبة بهتان عظيم وعقوبة ذنب بين فالبهتان أن ترى أخاك بأمر منكرو هو يرى منه فصاحب البهتان مذموم فى الدنيا أشد الذم ومعاقب فى الآخرة أشد العقاب فقوله تعالى بهتاناً إشارة الى الذم العظيم فى الدنيا وقوله تعالى اثماً مبيناً إشارة الى العقاب العظيم فى الآخرة (ولو لا فضل الله عليك) بأعلامك ما هم عليه بالوحى (ورحمته) بتنبيهك على الحق أو المعنى لولا أن الله خصل بالفضل وهو النبوة وبالرحمة وهى العمة (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) أى لارادت طائفة من قوم طعمته أن يلقوك فى الحكم الباطل وذلك لأن قوم طعمته قد عرفوا أنه سارق ثم سأوا النبي أن يجادل عنه ويبرئه عن السرقة وينسب تلك السرقة الى اليهود (وما يضلون الا أنفسهم) بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان وشهادتهم بالزور والبهتان (وما يضرونك من شئ) أى انهم وان سعوا فى العاذل فى الباطل فأنت ما وقعت فيه لانه تعالى عاصم ولا نك بنيت الامر على ظاهر الحال وأنت ما أمرت الا ببينة الاحكام على الظواهر (وانزل الله عليك الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى علم الشرائع (وعلمك ما لم تكن تعلم) من امور الدين وامرار الكتاب والحكمة واخبار الاولين وحيل المنافقين (وكان فضلك عظيم) وهذا من أعظم الدلائل على ان العلم أشرف المناقب والفضائل مع ان الله تعالى ما أعطى الخلق من العلم الا القليل (لاخبر فى كثير من نجواهم الا) فى نجوى (من أمر بصدقة) واجبة أو صدقة (أو معروف) وهو أصناف أعمال البر كالقرض واغاثة الملهوف (أو اصلاح بين الناس) عند وقوع المعادة بينهم من غير مجاوزة حدود الشرع فى ذلك وذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لاله الا ما كان من أمر معروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله (ومن يفعل ذلك) أى هذا المذكور من الصدقة وفنون الجميل والاصلاح أو ذلك الامر بهذه الاقسام الثلاثة كأنه قيل ومن يأمر بذلك ويجوز ان يراد بالفعل الامر فعبر عن الامر بالفعل لان الامر فعل من الافعال أى ومن يأمر بذلك (ابتغاء مرضاة الله) أى طلب رضوان الله (فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) أما اذا أتى بذلك للرياء والسعفة صار من أعظم المفساد وهذه الآية من أقوى الدلائل على ان المطلوب من الاعمال الظاهرة رعاية أحوال القلب فى اخلاص النية وتصفية القلب عن داعية الالتفات الى غرض سوى طلب رضوان الله وقرأ أبو عمرو وخمزة يؤتيه بالياء مناسبة للغيب فى قوله ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله والباقون بنون العظمة مناسبة لقوله تعالى الا أتى نوله ونصله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) روى ان طعمة بن ابرق لما رأى ان الله تعالى هتك ستره وبرا اليهودى عن تهمة السرقة ارتد وذهب الى مكة ونقب جدار انسان لاجل السرقة فهدم الجدار عليه ومات فنزلت هذه الآية ومعناها ومن يخالف الرسول فى الحكم من بعد ما ظهر له بالدليل صحة دين الاسلام ويتبع ديناً غير دين الموحدين وتركه الى ما اختار لنفسه ويختله الى ما اعتمد عليه فى الدنيا ويدخله جهنم فى الآخرة وبئس مصيره جهنم وذلك ان طعمة قد تبين له بما أوحى الله تعالى من أمره من انه سارق مادله ذلك على صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فعادى الرسول وأظهر الشقاق وترك دين الاسلام واتبع دين عبادة الاصنام (ان الله لا يغفر أن يشرك به) اذ مات على الشرك (ويغفر ما دون ذلك) أى الشرك (لمن يشاء) سواء حصلت التوبة أو لم تحصل روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان شيخهما من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى شفع منهمك فى الذنوب الا انى لم أشرك

بالله شيئا منذ عرفته وأمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جراءة على الله تعالى وما توهمت
 طرفة عن أن أعجز الله هربا أو أني لنأدم نائب مستغفر فأرى حالى عند الله تعالى فنزلت هذه الآية
 (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة أما من لم يشرك بالله
 لم يكن ضلاله بعيدا فلا يصير محرورا من الرحمة ثم بين الله تعالى كون الشرك ضلالا بعيدا فقال (إن يدعون
 من دونه إلا آتانا) أي ما يعبد المشركون من أهل مكة إلا آتانا يسمونها باسم الآتات كقولهم اللات والعزى
 ومناة واللات تأبث الله والعزى تأبث العزيز ومناة تأبث النمان أولادهم كانوا يزنيونها على هيات
 النسوان وقرأت عائشة قرضى الله عنها ألا أو ثانيا أو ابن عباس ألا اثنا جمع وثن مثل أسد وأسود والهزمة بدل
 من الواو المضمومة (وإن يدعون إلا شيطانا مريدا عنه الله) أي وما يعبدون إلا شيطانا شديدا به يدعو
 الطاعة طرده الله من كل خير لأن إبليس هو الذي أمرهم بعبادة الأوثان فكانت طاعته في ذلك عبادة له
 (وقال) أي الشيطان عند ذلك (لا تتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) أي لا جعلن لي من عبادك حظا مقدرا
 معينوا وهم الذين يتبعون خطوات إبليس ويقبلون وسأوسه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
 من كل ألف واحد لله وسائر للناس ولا إبليس (ولا ضللتهم) عن الهدى (ولا منيتهم) أي ألقين في
 قلوبهم الغماني وهي تورث شيئين الحرص والامل وهما يستلزمان أكثر الأخلاق الذميمة ويلتزمان
 للانسان قال صلى الله عليه وسلم هزم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحرص والامل اه فالحرص يستلزم
 ركوب الأهوال فاذا اشتد حرصه على الشيء فقد لا يقدر على تحصيله إلا بعصية الله وايداء الخلق واذا طال
 أمله نسي الآخرة وصار غريقا في الدنيا فلا يكاد يقدم على التوبة ولا يكاد يؤثر فيه الوعظ فيصير قلبه
 كالجمارة أو أشد قسوة (ولا أمرهم) بالتبجيل أي شق آذان الناقة (فليبتكن آذان الانعام) فإن
 العرب كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء لها من ذكرا حرموا على أنفسهم الانتفاع
 بها (ولا أمرهم) بالتغيير (فليغيرن خلق الله) صورة أو صفة كاختصاص العبيد وفق العيون
 وقطع الأذان والوشم والوشرو وصل الشعر فإن المرأة تتوصل بهذه الأفعال الى الزنا وكانت العرب اذا بلغت
 ابل أحداهم الفاعور وادعوا لخلها ويدخل في هذه الآية التخنث والسحاقان لأن التخنث عبارة عن ذكر
 يشبه الانثى والسحق عبارة عن انثى تشبه الذكر وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في
 البهائم للحاجة فيجوز في الماء كقول الصغرى ويحرم في غيره (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) بأن
 فعل ما أمره الشيطان به وترك ما أمره الرحمن به (فقد خسر خسرانا مبينا) أي بتضييع أصل ماله
 وهو الدين الفطري كما قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة أي دين الاسلام ولكن أبواه
 يهودانه وينصرانه ويمجسانه وذلك لا طاعة الله تفيد المنافع العظيمة الدائمة وطاعة الشيطان تفيد
 المنافع القليلة المنقطعة ويعقبها العذاب الاليم (يعدهم ويعينهم) بأن يلقى الشيطان في قلوبهم أنه
 سيطول أعمارهم وينالون من الدنيا ما لهم ومقاصدهم ويقع في قلوبهم أن الدنيا دواول فرع ما تسرت لهم كما
 تسرت لغيرهم وأيضا أن الشيطان يعدهم بأنه لا قيامة ولا جزاء فاجتهدوا في استيفاء الذات النبوية
 (وما يعدهم الشيطان إلا غسورا) وهو أن يظن الانسان بالشيء أنه نافع ولا يذثم بتبين استماله على
 أعظم الآلام والمضار وجميع أحوال الدنيا كذلك (أولئك) أي أولياء الشيطان وهم الكفار
 (ما أراهم جهنم ولا يجردون عنها) أي جهنم (محيضا) أي معدلا ومهربا (والذين آمنوا) أي أقروا
 بالايمان (وعملوا الصالحات) أي الطاعات تصديقاً لأقرارهم (ستدخلهم جنات تجري من تحتها

(الأنهار خالدين فيها) أى ما كثر في الجنة مكنا طويلا لا يخرجون منها (أبدا وعد الله حقا) أى
 وعدهم الله بذلك الإدخال وعدا لا خلف فيه وحق ذلك حقا فالاول مؤكدا لنفسه والثاني مؤكدا لغيره
 (ومن أصدق من الله قيلا) أى لا أحد أصدق من الله وعدا وهذان كيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات
 معارضة لمواعيد الشيطان الكاذبة وترغيب للعباد في تحصيل ما وعده الله (ليس بأمانيتكم ولا أمانى
 أهل الكتاب) أى ليس الثواب الذى تقدم الوعد به في قوله تعالى سدد خلفهم جنات بأمانيتكم يامعشر
 المؤمنين ان يغفل لكم وان ارتكبتم الكبائر أى فانه كذبكم عنيتم ان لا تؤاخذوا بسوء بعد الايمان ولا أمانى
 اليهود والنصارى فانهم قالوا ان يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقالوا نحن أبناء الله وأحباءه فلا
 يهذبنا وقالوا ان نغسل النار الا يا ما معدودة وليس الامر كذلك فانه تعالى يخص بالعفو والرحمة من
 يشاء أى ليس يستحق ذلك الثواب بالامانى وانما يستحق بالايمان والعمل الصالح (من يعمل سوءا
 يجزيه) فالمؤمن يجزى عند عدم التوبة اما في الدنيا بالمصيبة أو بعد الموت قبل دخول الجنة أو بالتحباط
 ثواب طاعة بعد اذ عقاب تلك المعصية والكافر يجزى في الدنيا بالخن والبلاء في الآخرة دائما روى أنه
 لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر الصديق كيف الصلاح بعد هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله
 لك يا أبا بكر ألسنتي تعرض أليس يصيبك الاذى أى من البلاء والحزن قال بلى يا رسول الله قال فهو
 ما تجزون وعن عائشة رضيت الله عنها أن رجلا قرأ هذه الآية فقال أنجزى بكل ما نعمل لقد هلكنا ببلغ
 كلامه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يجزى المؤمن في الدنيا بمصيبته في جسده وما يؤذيه وعن أبي هريرة
 قال لما نزلت هذه الآية بكينا وحرنا وقلنا يا رسول الله ما أبقت هذه الآية لنا شيئا فقال صلى الله عليه وسلم
 ابشروا فإنه لا يصيب أحد منكم مصيبة في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التي تقع في قدمه
 (ولا يجده من دون الله) أى مجاوزا عن حفظ الله ونصرته (وليا) أى حافظا يحفظه (ولانصيرا)
 ينصره فشفاعة الانبياء والملائكة في حق العصاة انما تكون باذن الله تعالى واذا كان الامر كذلك
 فلاولى لاحد ولا نصير لاحد الا الله تعالى (ومن يعمل من الصالحات) أى من يعمل بعض الصالحات
 كائنا (من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) أى ولا ينقصون قدر من حيث
 النواة من ثواب أعمالهم فاذا لم ينقص الله الثواب فخير أن لا يزيد في العقاب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
 وشعبة عن عاصم يدخلون الجنة بالبنا للمفعول وكذلك في سورة مريم وفي حم المؤمن قال مسروق لما نزل
 قوله تعالى من يعمل سوءا يجزيه قال أهل الكتاب للمسلمين نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية (ومن
 أحسن ديننا من أسلم وجهه لله) أى لا أحد أحسن ديننا من عرفه بقلبه وأقر به ببيته وبعبودية
 نفسه (وهو محسن) أى والحال أنه آت بالحسنات تارك للسيئات (واتبع ملة ابراهيم حنيفا) حال
 للتبوع أو للتابع وانما عاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق الى دين ابراهيم لانه اشتهر عند كل الخلق
 أن ابراهيم ما كان يدعو الا الى الله تعالى وشرعه مقبول عند الكل لان العرب لا يفخرون بشيء
 كافتخارهم بالانتساب الى ابراهيم وأما اليهود والنصارى فلا شك في كونهم مفتخرين به (واتخذ الله
 ابراهيم خليلا) روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان يسمى أبا الضيفان وكان منزله على ظهر
 الطريق يضيف من مر به من الناس فأصاب الناس أزمة فاجتمعوا في بابه فحشروا الى بابه يطلبون الطعام
 وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلامه بالابل الى الخليل الذي بمصر فقال خيل له لغلمان
 لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكن يريد هاللا ضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس من الشدة

فرجع غلماناه فرأى بطهما أى بأرض ذات حمى فلقوا منها الغرائر حياء من الناس حيث كانت أبليهم فارغة وجاؤا بها إلى منزل إبراهيم وألقوها فيه وتفرقوا وأخبره أحدهم القصة فاغتم لذلك غمًا شديدًا فغلبه عيناه ومعدت سارة إلى الغرائر ففتحتها فإذا فيها أجود حواري بضم الحاء المهملة وتشديد الواو ووقع الرأه وهو الدقيق الذى نخل مرة بعد أخرى فأمرت الخبازين فخبزوا فأطعمت الناس فاستيقظ إبراهيم فوجد راثحة الخبز فقال من أين هذا لكم فقالت سارة من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماء الله تعالى خليلًا وقال شهر بن حوشب هبط ملك في صورة رجل وذ كراسم الله بصوت رخيم فهبى فقال إبراهيم عليه السلام اذكره مرة أخرى فقال لا أذكره سبحانه فقال لك مالى كله فذكره الملك بصوت أشجى من الأول فقال اذكره مرة ثالثة ولك أولادى فقال الملك ابشر فاني ملك لا أحتاج إلى مالك ولدك وإنما كان المقصود امتحانك فلم يابل المال والأولاد على سماع ذكر الله فخفا أخذ الله خليلًا (ولله ما في السموات وما في الأرض) يختار منهما ما يشاء لمن يشاء (وكان الله بكل شيء) من أهل السموات والأرض (محيطًا) بالقدرة والعلم (ويستفتونك في النساء) أى يسألك يا أشرف الخلق جماعة من الصحابة عن أحوال كثيرة مما يتعلق بحق النساء فالأى بين الله حكمه فيما سبق في أول هذه السورة أحال بيان الحكم في ذلك والذي لم يبين حكمه بين هنا وذلك قوله تعالى (قل الله يفتيك فيهن وما يتلى عليكم) أى قل يا أشرف الخلق لهم الله تعالى قدين لكم أحوال النساء والمتألو (في الكتاب) في أول هذه السورة قدين لكم (في يتامى النساء) أى في شأنهن فمأعطوف على المبتدأ وهذا متعلق ببتلى وذلك المتألو في الكتاب هو قوله تعالى وإن خفتن أن لا تقسطوا في اليتامى (اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) أى اللاتى لا تعطونهن ما وجب لهن من الميراث أو الصداق وذلك لأنهم يورثون الرجال دون النساء والبنات دون الصغار (وترغبون أن تنكوهن) وهذا يحتمل الرغبة والنفرة فان حمل على الرغبة كان المعنى وترغبون في أن تنكوهن لما لهن وجمالهن باقل من صداقهن وإن حمل على النفرة كان المعنى وترغبون عن أن تنكوهن لعدم ما لهن وتنكوهن رغبة في ما لهن وهذه الجملة معطوف على الصلة عطف المثبتة على المنفية ويجوز أن تكون حالا من فاعل تؤتونهن والتأويل وأنتم ترغبون وهذا إذا أريد بقوله تعالى ما كتب لهن صداقهن روى مسلم عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها وما لها ويريد أن ينكحها وينقص صداقها عن عادة نساءها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في الكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأنزل الله تعالى ويستفتونك في النساء إلى قوله تعالى وترغبون أن تنكوهن فبين الله لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال ترغبوا في نكاحها ولم يلقوها بعبادتها في الكمال الصداق وإذا كانت مرغوبة باعها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال تعالى فكأيترونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يعطوها حقها الأول من الصداق ويقسطوا لها (والمستضعفين من الولدان) معطوف على يتامى النساء وقد كانوا في الجاهلية لا يورثون الأطفال ولا النساء الذى تلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم وروى أن عبيثة بن حصن الفزاري جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنا بآية تعطى الابنة النصف والاخت النصف وإنما كانوا يرثون من يشهد القتال ويجوز الغنمة فقال صلى الله عليه وسلم (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) عطف على المستضعفين وتقديره الآية وما يتلى عليكم في الكتاب يفتيك في يتامى النساء وفي المستضعفين في أن تقوموا لليتامى بالقسط والذي تلى في

حقهم قوله تعالى ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم (وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليماً) أى يجازيكم عليه ولا يضيع عند الله منه شيء (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً) أى أظهرت الخسونة في القول أو الفعل أو فيهما (أو أعراضاً) أى سكوتاً عن الخير والشر (فلا جناح عليهما) حيث ذنبي (أن يصلحا بينهما ماصلاً) بأن بذلت المرأة كل الصداق أو بعضه للزوج أو أسقطت عنه مؤنة النفقة أو القسم وكان غرضاً من ذلك أن لا يطلقها زوجها وهذا من جملة ما أخبر الله تعالى أنه يقتضيه به في النساء مما لم يتقدم ذكره في هذه السورة روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن الآية نزلت في ابن أبي السائب كانت له زوجة وله منها أولاد وكانت شحنة فهم بطلاقها فقالت لا تطلقني ودعني اشتغل بصالح أولادي وأقسم في كل شهر ليأني قليلة فقال الزوج إن كان الأمر كذلك فهو أصليح لي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية قرأها عصم وحزرة والكسافي يصلحها بضم الياء وسكون الصاد والباءون يصلحها بفتح الياء والصاد المشددة الممدودة قالوا معناه يتوافقا وهو أليق بهذا الموضع (والصلح خير) أى والصلح بين الزوجين خير من سوء العشرة أو من الفرقة أو من الخصومة أو هو خير من الخيور (وأحضرت الأنفس الشح) أى جعل الشح حاضراً للأنفس لا يغيب عنها ولا ينفك عنها أبداً فالمرأة تجل ببذل حقها الزوجها وطمعها يجبرها إلى أن ترضى والرجل يجمل بأن يقضى عمره معها مع دماثة وجهها وكبر سنهما وعدم حصول اللذة بعاشرتها (وإن تحسنوا) بالاقامة على نساءكم وإن كرهتموهن بأن تسوا بين الشابة والمجوزة في القسمة والنفقة (وتتقوا) ما يؤدي إلى الأذى والخصومة (فإن الله كان بما تعملون) من الإحسان والتقوى (خبيراً) وهو يشيكم عليه وروى أن هذه الآية نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وأثرها عليها وجفها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشككت إليه ذلك (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) أى لن تقدروا على التسوية بينهن في ميل الطباع وإذا لم تقدر واعليه لم تكونوا مكلفين به (ولو حرصتم) أى جهدتم على إقامة العدل في الحب (فلا تعجلوا كل الميل) إلى التي تحبون منها في القسم والنفقة أى أنكم لستم منييين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لأن ذلك خارج عن وسعكم ولكنكم منييون عن اظهار ذلك التفاوت في القول والفعل (فتذروها كما لعلقة) أى فتبقي الأخرى لا أيم ولا ذات بعل كما أن الشيء المعلق لا يكون على الأرض ولا على السماء وفي قراءة أبي فتذروها كما لعلجونة (وإن تصلحوا) ماضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة (وتتقوا) في المستقبل عن مثله غفر الله لكم ذلك (فإن الله كان غفوراً رحيماً) فيغفر ما حصل في القلب من الميل إلى بعضهن دون البعض ويتفضل عليكم برحمته (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) أى وأن رغباً في المفارقة بأن لم يبقا بصلح أو غيره يغن الله كلا واحد منهما عن صاحبه بزواج خير من زواجه الأول يعيش أهناً من عيشه الأول من غناه تعالى وقدرته (وكان الله واسعاً) أى في العلم والقدرة والرحمة والفضل والجود (حكيماً) أى متقناً في أفعاله وأحكامه (ولله ما في السموات وما في الأرض) من الموجودات من الخلائق والخزائن فيهما (والقدوسين الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأياكم أن اتقوا الله) أى ولقد أمرنا اليهود والنصارى ومن قبلهم من الأمم وأمرناكم بأمة محمد في كتابكم بطاعة الله وهي وصية الله في الأولين والآخرين فهي شريعة هامة لجميع الأمم لم يلقها ناسخ (وإن تكفروا فإن الله ما في السموات والأرض وكان الله غنياً جباراً) أى وقلنا لهم ولكم وإن تكفروا فاعلموا أن الله ما في سمواته وما في أرضه من أصناف المخلوقات

من يعبدوه وكان مع ذلك غنيا عن خلقهم وعن عبادتهم ومستحقا لأن يحمد لكثرة نعمه وإن لم يحمد أحد
 منهم فهو تعالى في ذاته محمود سواء حمدوه أو لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم
 وتقواهم وإنما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته فهو منزّه عن طاعات المطيعين وعن ذنوب المذنبين فلا
 يزاد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي والسيئات (ولله ما في السموات وما في الأرض) من الخلائق
 قاطبة مفتقرون إليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن قبضه طرفة عين لحقه أن يطاع
 ولا يعصى ويتقوا عقابه ويرجى ثوابه (وكفى بالله وكيلًا) في تدبير أمور الكل وكل الأمور فلا بد من
 أن يتوكل عليه لا على أحد سواه (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين) أي إن يشأ أفسأكم
 بالكلية وإيجاد قوم آخرين يشتغلون بعبوديته وتعظيمه يغفركم بالمرّة ويوجد مكانكم قومًا خيرا منكم
 وأطوع لله (وكان الله على ذلك) أي أهلاكهم وتخليق غيركم (قديرا) أي إن أبقاكم على ما أنتم
 عليه من العصيان اغناهم لئلا يهلكوا عن طاعتكم ولعدم تعلق إرادته باستئصالكم لا ليجزه تعالى عن
 ذلك (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) أي من كان يريد بعمله منفعة الدنيا
 فلا يتصر عليه وليطلب الثوابين فعند الله ثواب الدارين وقال الفخر الرازي تقرير الكلام فعند الله ثواب
 الدنيا والآخرة إن أراد الله تعالى وعلى هذا التقدير يتعلق الجزاء بالشرط وقال ابن عباس من كان
 يريد منفعة الدنيا بعمله الذي افترضه الله عليه فليعمل لله فإن ثواب الدنيا والآخرة بيد الله أي فإن العاقل
 يطلب ثواب الآخرة حتى يحصل له ذلك ويحصل له ثواب الدنيا على سبيل التبع (وكان الله سميعا بصيرا)
 أي عالما بجميع المجموعات والمبصرات (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء) أي
 كونوا مبالغين في اختيار العدل وفي الاحتراز عن الجور تقيمون شهادتكم لوجه الله كما أمرتم بإقامتها
 (ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) أي ولو كانت الشهادة وبالاعلى أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم
 (إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) أي إن يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا فلا تسكتوا الشهادة أما
 لطلب رضا الغني أو لترحم على الفقير فالله أولى بأمرهما ومصلحهما وفي قراءة أبي فأنه أولى بهم وهو
 أمارأجع إلى قوله أو الوالدين والأقربين أو أراجع إلى جنس الغني وجنس الفقير وقرأ عبد الله أن يكن
 غني أو فقير على كان التامة (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أي لأجل أن تعدلوا والمعنى أنكم لو امتدحتم
 الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل (وأن تلووا) بواوين على قراءة الجمهور رأى وإن تحرفوا
 ألسنتكم عن شهادة الحق وقرأ ابن عامر وحزمة وأن تلووا بضم اللام وحذف الواو الأولى أي أن تقوموا
 الشهادة وتقبلوا عليها (أو تعرضوا) عن أداء الشهادة أصلا (فإن الله كان بما تعملون خبيرا)
 فيجازي المحسن المقبل والمسيء المعرض نزلت هذه الآية في مقيس بن حبابة كانت عنده شهادة على أبيه
 (يا أيها الذين آمنوا) في الماضي والحاضر (آمنوا) في المستقبل (بأنه ورسوله) محمد صلى الله عليه
 وسلم (والكتاب الذي نزل على رسوله) وهو القرآن (والكتاب الذي أنزل من قبل) أي قبل القرآن
 أو المعنى يا أيها الذين آمنوا على سبيل التقليد آمنوا على سبيل الاستدلال أو يا أيها الذين آمنوا بحسب
 الاستدلالات الجمالية آمنوا بحسب الدلائل التفصيلية وهذا خطاب لكافة المسلمين وقيل هو خطاب
 لأئمة أهل الكتاب لما إن عبد الله بن سلام وابن أخته سلامة وابن أخيه مسلمة وأسدا وأسيد ابني كعب
 وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله إننا نؤمن بك
 وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسول فقال صلى الله عليه وسلم بل

أمشوا بالله ورسوله محمد وبكاتبه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت هذه الآية فآمنوا
 كلهم (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر) أي ومن يكفر بواحد من ذلك
 المذكور (فقد ضلّ لا بعيدا) بحيث يعسر العود من الضلال إلى سواء الطريق (إن الذين آمنوا
 ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) أي إن الذين يتكلمون منهم الكفر بعد الإيمان مرات
 ثم ماتوا على الكفر أو المعنى إن الذين أظهروا الإسلام ثم كفروا بكون باطنهم على خلاف ظاهرهم ثم آمنوا
 بالسنتهم فكلما القوا جماعة من المسلمين قالوا أنا مؤمنون وانما أظهرنا الإيمان لتجربى عليهم أحكام المؤمنين
 ثم كفروا فإذ ادخلوا على شياطينهم قالوا أنا معكم انما نحن مستهزون ثم ازدادوا كفرا باجتهادهم في
 استخراج أنواع المكفر في حق المسلمين وبعوتهم على الكفر (لم يكن الله ليغفر لهم ولا يهديهم سبيلا) فإن
 كل من كان كثيرا لا انتقال من الإسلام إلى الكفر لم يكن للإسلام في قلبه عظم فلا يتوب عن الكفر حتى
 يموت عليه (بشر المنافقين) أي أنذرهم (بأن لهم عذابا أليما الذي يتخذون الكافرين أولياء من دون
 المؤمنين) أي فإن المنافقين يقول بعض المنافقين لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود
 فيقولون إن العزة لهم (أيتبعون) أي أيطلب المنافقون (عندهم العزة) أي عند اليهود القوة
 (فإن العزة لله جميعا) أي أن القدرة الكاملة لله وكل من سواه فبقادره صار قادرا وباعزازه صار عزيزا
 فالعزة الحاصلة للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لم تحصل إلا من الله تعالى فكان الأمر عند التحقيق
 أن العزة جميعا لله (وقد نزل عليكم) يا معشر المنافقين (في الكتاب) أي القرآن في سورة الأنعام
 قبل هذه آية (أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها) أي أنه إذا سمعتم آيات الله مكفورا بها
 ومستهزأ بها (فلا تعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) أي الكفر والاستهزاء وذلك قوله تعالى
 وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم الآية وهذا نزل بمكة لأن المشركين كانوا يخوضون في
 القرآن ويستهزئون به في مجالستهم ثم إن أخبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين
 والقاعدون معهم والموافقون لهم على ذلك الكلام المنافقون فقال تعالى مخاطبا للمنافقين قد نزل عليكم
 في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها أي إذا سمعتم آيات الله حال ما يكفر بها
 ويستهزئ بها (أنكم إذا نلتم) أي أنكم أيها المنافقون مثل أولئك الأحزاب في الكفر قال أهل
 العلم هذا يدل على أن من رضى بالكفر فهو كافر ومن رضى بنكسر راء وخالط أهله وإن لم يباشركن في
 الاثم بمنزلة المباشر أما إذا كان ساخطا لقولهم وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالأمر ليس كذلك
 فالمنافقون الذين كانوا يجالسون اليهود وكانوا يطعنون في الرسول والقرآن هم كفارون مثل أولئك
 اليهود أما المسلمون الذين كانوا بمكة يجالسون الكفار الذين كانوا يطعنون في القرآن فانهم كانوا باقين على
 الإيمان فهم كانوا يجالسون الكفار عند الضرورة بخلاف المنافقين فانهم كانوا يجالسون اليهود مع الاختيار
 (إن الله جامع المنافقين) أي منافقي أهل المدينة عبد الله بن أبي وأصحابه (والكافرين) أي كفار أهل مكة
 أبي جهل وأصحابه وكفار أهل المدينة كعب وأصحابه (في جهنم جميعا) أي كما أنهم اجتمعوا على الاستهزاء
 بآيات الله في الدنيا فكذلك يجتمعون في عذاب جهنم يوم القيامة (الذين يترصدونكم) أي إن المنافقين
 ينتظرون أمركم وما يحدث لكم من خير أو شر (فإن كان لكم فقه من الله) أي ظهور على اليهود (قالوا)
 أي المنافقون للمؤمنين (ألم نكن معكم) أي مظاهرين لكم فاعطونا قسما من الغنيمة (وإن كان للكافرين)
 أي اليهود (نصيب) أي ظفر على المسلمين (قالوا) أي المنافقون لليهود (ألم نستحوذ عليكم) أي

ألم تغلبكم وتغلبكم وأمركم ثم لم تفعل شيئا من ذلك (وغنمكم من المؤمنين) بأن تبطنناهم عنكم
والالكنتهم نهيبة للنوايب فها تو النانصيبها أصبتم وقيل ان أولئك الكفار كانوا قد هموا بالدخول في
الاسلام والمنافقون جذروهم عن ذلك واطمعوهم انه سيضعف أمر محمد وسيقوى أمركم فاذا اتفقت
لهم صولة على المسلمين قال المنافقون للكفار السنّا غلبناكم على رأيكم في الدخول في الاسلام ومنعناكم
منه وقلنا لكم سيضعف أمر محمد ويقوى أمركم فلما شاهدتم صدق قولنا فادفعوا اليها نصيبها وجدتم
(فان الله يحكم بينكم) أي بين المؤمنين والمنافقين (يوم القيامة) أي فان الله تعالى ما وضع السيف في
الدين اعن المنافقين بل آخر عقابهم الى يوم القيامة وأجرى عليهم حكم الاسلام في الدنيا (ولن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أي بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة ويتفرع
على ذلك مسائل من أحكام الفقه منها ان الكافر لا يرث من المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم
وأحرزه في دار الحرب لم يملكه ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذي
بدلالة هذه الآية وقيل المعنى ليس لاحد من الكافرين ان يغلب المسلمين بالحجة وان يهود دولة المؤمنين
بالكلية وقال ابن عباس ولن يجعل الله لليهود على المؤمنين دولة دائما (ان المنافقين يخادعون الله وهو
خادعهم) أي يفعلون ما يفعل الخادع من اظهار الايمان وابطال الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه تعالى
الدينونة والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا وأعد لهم في الآخرة الدرك
الاسفل من النار قال جرير زلت هذه الآية في حق عبد الله بن أبي وأبي عامر بن النعمان وقال الزجاج أي
يخادعون رسول الله فيبطنون له الكفر ويظهرون له الايمان والله مجازيهم بالعقاب على خداعهم
وقال ابن عباس انه تعالى خادعهم في الآخرة عند الصراط وذلك انه تعالى يعطيهم نورا كما يعطي المؤمنين
فاذا وصلوا الى الصراط انطفأ نورهم وبقوا في الظلمة ويبقى نور المؤمنين فينادون المؤمنين انظرونا
نقتبس من نوركم ويقول المؤمنون ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ودليل ذلك قوله تعالى مثلهم كمثل الذي
استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (واذا أقاموا الى
الصلاة) أي أتوا الى الصلاة مع المؤمنين (قاموا كسالى) أي متثاقلين متباطئين لانهم لا يرجون بها
ثوابا ولا يخافون من تركها عقابا (يراؤون الناس) ليحسبوهم مؤمنين فانهم لا يقومون اليها الا لاجل
الرياء والسمعة لاجل الدين (ولا يذكرون الله الا قليلا) أي لا يصلون الا بجرأى من الناس واذا لم
يكن معهم أحد لم يصلوا ولا يذكرون الله الا باللسان فقط (مفذين بين ذلك) أي متردد بين كفر
السروايمان العلانية (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) أي ليسوامع المؤمنين في السرفيجب لهم ما يجب
للمؤمنين وليسوامع اليهود في العلانية فيجب عليهم ما يجب على اليهود (ومن يضلل الله فلن تجد
سبيلا) موصلا الى الصواب (يا أيها الذين آمنوا) بالسروا العلانية (لاتتخذوا الكافرين) أي
المجاهدين بالكفر (أولياء من دون المؤمنين) المخلصين (أتريدون) يا معشر المؤمنين الخالص
(أن تجعلوا الله عليكم سلطانا مبينا) أي أتريدون بذلك أن تجعلوا لاهل دين الله وهم الرسول وأمرته حجة
بيننا على كونكم منافقين فان مولاتهم أوضع أدلة النفاق وقيل المعنى يا أيها الذين آمنوا بالعلانية عبد
الله بن أبي وأصحابه لاتتخذوا اليهود أولياء في التعذر من دون المخلصين أتريدون يا معشر المنافقين أن
تجعلوا الرسول الله عليكم عذرا بيننا بالقتل أو المعنى أتريدون أن تجعلوا الله عليكم في عقابكم حجة بسبب
مولاتكم لليهود (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) وهو الطبقة التي في قعر جهنم لانهم

أخبت الكفر حيث ضمو إلى الكفر الاستهزاء بالاسلام وأهله وخدايعهم ولا نهم لما أظهر والاسلام
يكنهم الاطلاع على أسرار المسلمين ثم يخبرون الكفار بذلك فكانت المحنة تتضاعف من هؤلاء المنافقين
لهذه الأسباب جعل الله عذابهم أزيد من عذاب الكفار الخالص (ولن تجد لهم) أي المنافقين
(نصيرا) يخلصهم من عذاب الله ثم استثنى الله من الغدير المجرور أو من الغدير المستكن في خبان بقوله
(الذين تابوا) عن النفاق والقبح (وأصلحوا) أي أقدموا على الحسن (واعتصموا بالله) بأن
يكون غرضهم من التوبة وإصلاح الأعمال طلب مرضاة الله تعالى لا طلب مصلحة الوقت (وأخلصوا
دينهم لله) بأن يكون ذلك الغرض خالصا لا يعتز به غرض آخر (فأولئك) المتصفون بهذه الشروط
الأربعة من المنافقين (مع المؤمنين) أي المخلصين الذين لم يصدر عنهم نفاق أصلا منذ آمنوا أي معهم في
الدرجات العالية من الجنة (وسوف يؤت الله المؤمنين) أي يعطي الله الخالص (أجرا عظيما) أي
ثوابا وافر في الجنة (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) فما استغفامية مفيدة للنفي أي أيعذبكم
الله لأجل التشفي من الغيظ أم لطلب النفع أم لدفع الضرر كما هو شأن الملوكة وكل ذلك محال في حقه
تعالى وإنما التعذيب أمر يقتضيه كفركم فإذا زال ذلك بالإيمان والشكر انتفى التعذيب وتقديم الشكر
على الإيمان لأن الإنسان إذا نظرت في نفسه رأى النعمة العظيمة حاصلة في تخليقها وترتيبها فيشكر شكرًا
مجلا ثم إذا تم النظر في معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرًا مفصلا فكان ذلك الشكر الجميل مقدا على
الإيمان (وكان الله شاكرًا) أي مشيا على الشكر (عليما) أي بجميع الجزئيات فلا يقع الغلط له
تعالى البتة فيوصل الثواب إلى الشاكر والعقاب إلى المعرض (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من
ظلم) أي لا يحب الله تعالى أن يجهر أحد بالسوء كأنما من القول إلا جهر من ظلم فهو غير مسخوط عنده
تعالى وذلك بأن يقول سرق فلان مالي أو غصبني أو سبني أو قذفني ويدعو عليه دعاء جائزًا بأن يكون بقدر
ظلمه فلا يدعوه عليه بخراب دياره لأجل أخذ ماله منه ولا يسب والده وإن كان هو فعل كذلك ولا يدعوه عليه
لأجل ذلك بالهلاك بل يقول اللهم خلص حقي منه أو اللهم جازه أو كافئه ولا يجوز أن يدعوه عليه بسوء الخاتمة
أو القنينة في الدين فالدعاء بغير قدر ما ظلم به حرام كالدعاء بمسحيل عادة أو عقلا ومثل المظلوم ما إذا أريد
اجتماع على شخص فيجب على من علم عيوبه بذل النصيحة له وإن لم يستشره لأن الدين النصيحة فيذكره
ما ينفع به فإن زاد حرم الزائد فالله تعالى لا يحب اظهار القبايح إلا في حق من عظم ضرره وكثر مكره فعند
ذلك يجوز اظهار فضائله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إذا كروا الفاسد بما فيه كي تحذره الناس وقرأ
الضحك وزيد بن أسلم وسعيد بن جبيرة الأمن ظلم بالبناء للفاعل والمعنى لكن من ظلم قاتر كره وقال
الفراء والزجاج لكن من ظلم نفسه فإنه يجهر بالسوء من القول ويفعل ما لا يحبه الله تعالى هذا أن جعل
الاستئناء كلاما منقطعاً عما قبله أما أن جعل متصلاً فيكون التقدير الأمن ظلم فإنه يجوز الجهر بالسوء
من القول معه (وكان الله سميعاً) لقول الظالم والمظلوم ولفعلهما (عليما) لفعل الظالم والمظلوم
ولقولهما فليتيق الله ولا يقل إلا الحق ولا يقذف بسوء لمستور فإنه يصير عاصياً لله بذلك وهو تعالى سميع
لما يقوله عليهم بما يضره (أن تبدوا خيراً أو تحقه) في إيصال النفع إلى الخلق (أو تعفوا عن سوءه) كأن
تدفعوا الضرر عنهم (فإن الله كان عفواً) عن المذنبين مع قدرته على الانتقام فعليه أن يعفو ويأبسن الله
تعالى كما قاله الحسن (قدیراً) أي هو أقدر على عفوذ نوبك منك على عفوذ نوب من ظلمك كما قاله
السكبي وقيل المعنى إن الله كان عفواً من عفواً وهو المظلوم قدیراً على إيصال الثواب إليه وعقوبة الظالم

وقوله تعالى فان الله الآية تعليل لجواب الشرط المقدر والتقدير فذلك أولى لكم من تركه لان الله الخ أعلم
 أن مواضع الخيرات على كثرتها محصورة في أمرين صدق مع الحق وخلق مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق
 محصور في قسمين ايصال نفع اليهم وهو المشار اليه بقوله تعالى ان تبدوا خيرا أو تخفوه ودفع ضرر عنهم وهو
 المشار اليه بقوله تعالى أو تعفوا عن سوء قد دخل في هذين القسمين جميع أنواع الخير وأعمال البر (ان الذين
 يكفرون بالله ورسوله) كاليهود فانهم آمنوا بعيسى والتوراة وعزير وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن
 وكان نصارى فانهم آمنوا بعيسى والانجيل وكفروا بمحمد والقرآن (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله)
 بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسوله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) أي نؤمن ببعض الانبياء
 ونكفر ببعض (ويريدون) يقولهم ذلك (أن يتخذوا بين ذلك) أي بين الايمان بالكل أو الكفر بالكل
 (سيلا) أي ديناً وسطاً وهو الايمان ببعض دون البعض (أو لئلا) الموصوفون بالصفات القبيحة (هم
 الكافرون حقاً) أي كفراً كاملاً ثابتاً بقينا لانه تعالى قد أمرهم بالايمان بجميع الانبياء عليه الصلاة
 والسلام وما من نبي من الانبياء الا وقد أخبر قومهم بحقيقة دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فن كفروا بواحد
 منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى (وأعتدنا للكافرين) اليهود وغيرهم (عذاباً مهيناً) أي شديداً
 يهانون به (والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم) في الايمان به (أو لئلا سوف يؤثيهم
 أجورهم) وقرأ عاصم في رواية حفص بالياء والضمير راجع الى اسم الله والباقيون بالنون (وكان الله
 غفوراً) لما فرط منهم (رحيماً) أي مبالغاً في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم (يسألك) يا أشرف
 الخلق (أهل الكتاب) أي أحبار اليهود (أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) روى ان كعباً وأصحابه
 وفخاض قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من عند الله فأتنا بكتاب من السماء بحملة
 كجاء موسى بالالواح أي فلا تنال يا أشرف الخلق بسؤالهم فانه هادتهم (فقد سألوها) أي اليهود (موسى
 أكبر من ذلك) أي أعظم مما سألوها (فقالوا أرنا الله جهرة) أي أرنا نره معاينة (فأخذتهم
 الصاعقة) أي فأحرقتهم النار التي جاءت من السماء (بظلمهم) وهو سؤالهم لما يستحيل وقوعه في ذلك
 الوقت (ثم اتخذوا العجل) أي عبدوه (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الصاعقة وأحيائهم بعد
 موتهم ومهجرات موسى التي أظهرها الفرعون من العصا واليد البيضاء وخلق البحر وغيرها (ففعفونا عن
 ذلك) أي تركنا عبادة العجل ولم نستأصلهم (وآتيناهم موسى سلطاناً مبيناً) أي قهرنا ظاهرنا عليهم فانه
 أمرهم بقتل أنفسهم توبة من عبادة العجل فبادروا الى الامتثال فقتل منهم سبعون ألفاً في يوم واحد
 (ورفعنا فوقهم الطور مبثاقهم) أي بسبب مبثاقهم على ان لا يرجعوا عن الدين ليخالفوا فلا ينقضوه
 فانهم هموا بتنقضه (وقلنا) على لسان موسى أو على لسان يوشع (لهم ادخلوا الباب) أي باب بيت
 المقدس أو أريحا (مجدداً) أي مطاطئين الرؤس (وقلنا لهم) على لسان داود (لا تعدوا) أي
 لا تظلموا باضطهاد الحيثان (في السبت وأخذنا منهم) على الامتثال بما كانوا (ميثاقاً غليظاً)
 أي مؤكداً وقال ابن عباس وهو ميثاق وليق في محمد صلى الله عليه وسلم (فبما نقضهم) فقامت قسمة
 والباء للسببية متعلقة بمحذوف أي فلغناهم بسبب نقضهم (ميثاقهم وكفرهم بآيات الله) أي بالمهجرات
 فن أنكرهم مهجرة رسول واحدة قد أنكر جميع مهجرات الرسل (وقتلهم الانبياء بغير حق) أي بلا جرم
 فانهم معصومون من كل نقيصة لا يتوجه عليه حق (وقولهم قلوبنا غلف) أي أوعية للعلم فلا حاجة
 بنا الى علم سوى ما عندنا فكذبوا الانبياء بهذا القول أو المعنى قلوبنا في أعطية جبلية فهي لا تنفعهم ماتقولون

(بل طبع الله عليها بكفرهم) أى بل أحدث الله عليها صورة مانعة عن وصول الحق اليها أو بل ختم الله على قلوبهم بكفرهم (فلا يؤمنون) أى اليهود (الأقليات) أى الأفريقا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه أو فلا يؤمنون أى المطبوع على قلوبهم الايمان اقليل لا وهو الايمان بموسى والتوراة بحسب زعمهم فان من يكفر برسول واحد وبمعجزة واحدة لا يمكنه الايمان بأحد من الرسل البتة (وبكفرهم) لانكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من دون الاب (وقولهم على مريم بهتنا عظيمما) أى نسبتهم مريم الى الزنا بعد ما ظهر منها من الكرامات الدالة على براءتها من كل عيب فانها ملزمة للعبادة بأنواع الطاعات وعيسى تكلم حال كونه طفلا منفصلا عن أمه (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم وصلبناه (رسول الله) أى فى زعم عيسى نفسه وان وصفهم له بوصف الرسالة استهزأ به أو ان الله وضع الذكر الحسن بقوله رسول الله مكان ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم فانهم قالوا هو ساحر ابن ساهرة أو ان الله وصف له من عند الله تعالى مدحاه وتنزيها له عن مقالاتهم الذى لا يليق به قال الله تعالى ابطالا لا فتخارهم بقتل النبي والاستهزأ به (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) قال كثير من المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله تعالى الى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة من عوامهم لما اتهموا بقتله لان الله صمغ من سبوه وسبوا أمه قرده وخنزير بدعائه عليهم فأخذوا انسانا يقال له طيطافوس اليهودى وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس انه المسيح والناس ما كلوا يعرفونه الا بالاسم لانه كان قليل المخالطة للناس ثم ان تواتر النصارى ينتهى الى أقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب وقال الضحاك لما أرادوا قتل عيسى اجتمع الحواريون فى غرفة وهم اثنا عشر رجلا فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فأخبر ابليس جميع اليهود فركب أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين أىكم يخرج ويقتل ويكون معى فى الجنة فقال رجل يقال له سرجس أنا يانبي الله فألقى اليه مدرعته من صوف وعمامة من صوف وناولها عكازه وألقى الله عليه شبه عيسى فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه وأما المسيح فكساه الله تعالى الریش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطم والمثرب فصار مع الملائكة (وان الذين اختلفوا فيه) أى فى شأن عيسى (لنى شك منه) أى من قتله (المحمية) أى بقتله (من علم الاتباع الظن) أى لكنهم يتبعون الظن فانفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه الناس فالاستثناء متصل أى لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فليس هذا المقتول بعيسى وقال آخرون بل هو هو وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فأين عيسى (وما قتلوه يقينا) أى قتلا يقينا كما قالوا انا قتلنا المسيح (بل رفعه الله اليه) أى الى موضع لا يجرى فيه حكم غير الله تعالى ولا يصل اليه حكم آدمى وذلك الموضع هو السماء الثالثة (وكان الله عززنا) أى كامل القدرة (حكيم) أى كامل العلم فرفع عيسى من الارض الى السماء لا تعذر فيه بالنسبة الى قدرة الله تعالى وحكمته (وان من أهل الكتاب الا يؤمنون به قبل موته) أى وما من اليهود والنصارى أحد الا يؤمنون بعيسى قبل أن ترهق روحه بأه عبد الله ورسوله فلا ينفعه ايمان لا نقطاع وقت التكليف كما نقل عن محمد بن علي بن أبي طالب من الخليفة أن اليهود اذا حضره الموت ضربت الملائكة وجوههم وبره وقالوا يا عبد الله أتاك عيسى نبيا كذبت به فيقول آمنت بأنه عبد الله ورسوله ويقال للنصارى أتاك عيسى نبيا فزعمت انه هو الله وابن الله فيقول آمنت انه عبد الله وابنه فاهل الكتاب

يؤمنون به ولكن لا ينفعهم ذلك الايمان (ويوم القيامة يكون) أى عيسى عليه السلام (عليهم) أى أهل
الكتاب (شهادة) فيشهد على اليهود انهم كذبوه ووطعنوا فيه وعلى النصارى انهم أشركوا به وكل نبي
شاهد على أمته (فبظلم من الذين هادوا) أى فبسبب ظلم عظيم من الذين تابوا من عبادة العجل (حرمتنا
عليهم طيبات أحلت لهم) فان اليهود كانوا كلما فعلوا معصية من المعاصي يحرم عليهم نوع من الطيبات
التي كانت محللة لهم ولمن قبلهم عقوبة لهم (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) أى وبجنتهم عن دين الله
ناسا كثيرا (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) فان الربا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا (وأكلهم أموال
الناس بالباطل) أى بطريق الرشوة (وأعتدنا للكافرين منهم) أى هياتنا للكافرين على الكفر من
اليهود (عذابا أليما) سيدوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم (لكن الراسخون في العلم
منهم) أى لكن المتكلمون في علم التوراة من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (والمؤمنون)
منهم ومن المهاجرين والانصار (يؤمنون بما أنزل اليك) وهو القرآن (وما أنزل من قبلك) على سائر
الانبياء من الكتب (والقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) أى وأعني القيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة
فالقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وجاء في مصنف عبد الله بن مسعود والمقيمون الصلاة بالواو
وهي قراءة مالك بن دينار والحمد لله وعيسى النقي وابن جبير وعاصم عن الامش وعمر بن عبيد
(والمؤمنون بالله واليوم الآخر) قال أبو السعود والمراد بالكل مؤمنوا أهل الكتاب (أولئك) أى
المتصفون بتلك الصفات الجميلة من أهل الكتاب (سنؤتيهم أجرا عظيما) وجملة هذه خبر اسم الإشارة
والجملة من المبتدأ والخبر خبر قوله تعالى والراسخون وما عطف عليه والسين لتأكيد الوعد (أنا وأوحينا
اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) أى بعد نوح (و) كما (أوحينا الى ابراهيم واسماعيل
واسحق) ابني ابراهيم (ويعقوب) ابن اسحق (والاسباط) أى أولاد يعقوب الاثني عشر فمنهم
يوسف نبي رسول باتفاق وفي البقية خلاف (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا) أى
وكما أعطينا آباء (داود ذبورا) وكان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم
ومواعظ وتسميح وتقديس وتحميد وتمجيد وثناء على الله تعالى وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية
فيقوم ويقرا الزبور وتقوم علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس
والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيمضي بين يديه وترفرق الطيور على رؤس الناس
وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها فلما قارف الخطيئة زال عنه ذلك (و) كما أرسلنا (رسلا قد
قصصناهم عليك) أى بهيئناهم لك في القرآن وعرفناك أخبارهم وما حصل لهم من قومهم (من قبل) أى
من قبل هذه السورة وهذه الآية أو قبل هذا اليوم (ورسلناهم عليهم) أى لم نهمهم لك ولم نعرفك
أخبارهم والمعنى أنا وأوحينا اليك ايحاء مثل ما أوحينا الى نوح ومثل ما أوحينا الى ابراهيم ومن بعده
وآتيناك الفرقان آيتا مثل ما آتينا داود ذبوراً وأرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلنا آخرين
لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء وأصل الارسل في الكفرة يسألونك شيئا
يعطيه أحد من هؤلاء الرسل عليهم السلام (وكلم الله موسى تكليما) أى كلم على التدريج شيئا فشيئا
بحسب المصالح بغير واسطة ملك أى أزال الله تعالى عنه الحجاب حتى جمع المعنى القائم بذاته تعالى لأنه تعالى
أحدث ذلك لأنه تعالى يتكلم أبدا والمعنى انه تعالى يبعث هؤلاء الانبياء والرسل وخص موسى عليه السلام
بالتكلم معه ولم يلزم من تخصيص موسى بهذا التشريف الطعن في نبوة سائر الانبياء عليهم السلام

فكذلك لم يلزم من تخصيص موسى بانزال التوراة عليه دفعة واحدة طعن فحين أنزل الله عليه الكتاب متفرقا وقد فضل الله تعالى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأعطائه مثل ما أعطى كل واحد منهم وقرأ إبراهيم ويحيى بن وثاب وكلم الله بالنصب (رسلا) منصوب على المدح أو باضمار أرسلنا أو على الحال الموطئة لما بعدها أو على البدلية من رسلا الأول (مبشرين) لاهل الطاعة بالجنة (ومنذرين) للعصاة بالنار (لئلا يكون للناس على الله حجة) أي معذرة يعتذرون بها (بعد الرسل) أي بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يصحج الناس يوم القيامة على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا لم ترسل إلينا رسولا ولم تنزل علينا كتابا فان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل وان قبول المعذرة عنده تعالى يعقضي كرمه ورحمته لعباده وهي بمنزلة الحجة التي لا مرد لها وله تعالى أن يفعل ما يشاء كيف يشاء (وكان الله عزيزا) لا يغالب في أمر من أموره (حكيم) في أفعاله فاختلف الكتب في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع والأحكام اغماها وتفاوت طبقات الأمم في الأحوال التي عليها يدور فلاك التكليف فكلفهم الله بما يليق بشأنهم (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) بتخفيف النون ورفع الجلالة وبالبناء للفاعل أي لكن الله يشهدك بحقيقة ما أنزل اليك من القرآن الناطق بنبوته روى انه لما أنزل قوله تعالى انا وأوحينا اليك قال اليهود نحن لانشهدك بذلك فنزل لكن الله يشهد والمعنى أن اليهود وان شهدوا بأن القرآن لم ينزل عليك يا محمد من السماء لكن الله يشهد بأنه أنزل عليك وشهادة الله اغما عرفت بسبب انه أنزل عليه صلى الله عليه وسلم هذا القرآن البالغ في الفصاحة في اللفظ والشرف في المعنى الى حيث عجز الاولون والآخرين عن معارضته فكان ذلك معجزا واطهارا للمجزة شهادة بكون المدعي بالرسالة صادقا ولما كانت شهادته تعالى عرفت بواسطة انزال القرآن فقال لكن الله يشهد بما أنزل اليك أي يشهدك بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي أنزله اليك (أنزله بعلمه) بأنه في غاية الحسن ونهاية السكال وهذا مثل ما يقال في الرجل المشهور بكمال الفضل والعلم اذا صنف كتابا واستقصى في تحريره انه اغما صنف هذا بكمال علمه وفضله أي انه اتخذ جملة علومه آلة ووسيلة الى تصنيف هذا الكتاب فيدل ذلك القول على وصف ذلك التصنيف بغاية الجودة ونهاية الحسن فكذا ههنا (والملائكة يشهدون) بصدقه واغما تعرف شهادة الملائكة له صلى الله عليه وسلم بذلك لان ظهور المعجز على يده صلى الله عليه وسلم يدل على انه تعالى شهد له بالنبوة واذا شهد الله له بذلك فقد شهدت الملائكة بذلك بلا شك لانه ثبت في القرآن انهم لا يسبقونه تعالى بالقول والمعنى يا محمد ان كذبك هؤلاء اليهود فلا تبال بهم فان الله تعالى وهو اله العالمين يصدقك في ذلك وملائكة السموات السبع والعرش والكسبي يصدقونك في ذلك ومن صدقه الله والملائكة أجمعون لم يلتفت الى تكذيب أخس الناس (وكفى بالله شهيدا) على حجة نبوته وان لم يشهد غيره (ان الذين كفروا) بما أنزل الله وشهد به (وصدوا عن سبيل الله) أي دين الاسلام من أراد سلوكه وهم اليهود حيث قالوا ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقالوا لو كان رسولا لاتي بكتاب دفعة واحدة من السماء وقالوا ان الله ذكر في التوراة أن شر يعقبة موسى لا تنفع الى يوم القيامة وقالوا ان الانبياء لا يكونون الا من ولد هرون وداود (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الحق والصواب لان أشد الناس ضلالا من كان ضالا ويعتقد في نفسه انه محق ثم يتوسل بذلك الضلال الى كسب المال والجاه ثم يبذل غاية في طاقته في القاء غيره في مثل ذلك الضلال (ان الذين كفروا وظلموا) محمد ابكتهم ذكر بعثته وعوامهم بالقاء الشبهات في قلوبهم وما تواعى الشرك (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا) الى الجنة يوم القيامة (الاطريق

جهنم خالدين فيها أيدوا كان ذلك) أى جعلهم خالدين في جهنم (على الله يسيرا) أى لا يعتذر عليه شئ
 فكان إيصال الألام إليهم شئاً بعد شئ إلى غير النهاية يسيرا عليه وان كان معتذرا على غيره (يا أيها
 الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) أى يا أهل مكة قد جاءكم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن
 أو متكلما بالدعوة إلى عبادة الله والاعراض عن غيره من عند ربكم (فآمنوا خير لكم) أى فآمنوا
 بالرسول يكن ذلك الإيمان خيرا لكم بما أنتم فيه أى يكن أحمد عاقبة من الكفر (وان تكفروا فان الله
 مافى السموات والارض) أى وان تكفروا بالرسول فان الله غنى عن إيمانكم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع
 بإيمانكم لانه مالك السموات والارض وخالقهما ومن كان كذلك كان قادرا على أنزال العذاب الشديد
 عليكم لو كفرتم أو فن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادو لامره وحكمه أو فن كان لم يكن محتاجا
 إلى شئ (وكان الله عليما) لا يخفى عليه من أعمال عباده المؤمنين والكافرين شئ (حكيم) لا يضيع
 عمل عامل منهم ولا يسوى بين المؤمن والكافر والمحسن والمسيئ (يا أهل الكتاب) أى الانجيل من
 النصارى (لا تغلوا في دينكم) أى لا تبالغوا في تعظيم عيسى فانه ليس بحق كما أن اليهود بالغوا في
 طعنه حيث قالوا انه ابن زانية وكلا طرفي قصدهم ذم (ولا تقولوا على الله الا الحق) أى لا تصفوه بما
 يستحيل اتصافه تعالى به من الاتحاد والحلول في بدن الانسان أو روحه واتخاذ الزوجة والولد بل زهوه
 عن هذه الاحوال فان نصارى أهل نجران أربعة أنواع ملكانية وهم الذين قاوا عيسى والرب شريكان
 ومروقسية وهم الذين قالوا ثلثة وماريعو بيته وهم الذين قالوا عيسى هو الله ونسطورية وهم الذين
 قالوا عيسى بن الله فانزل الله فيهم هذه الآيات (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله) فالمسيح مبتدا
 وعيسى بدل منه أو عطف بيان له وابن مريم صفة له ورسول الله خبر المبتدا (وكلمته) أى مكنون بأمره
 من غير واسطة أب ولا نطفة (ألقاها إلى مريم) أى أوصل الكلمة إليها بنفخ جبريل (وروح منه)
 أى وروح صادر من أمر الله فصار ولدا بلا أب وقد جرت عادة الناس أنهم اذا وصفوا شئاً بغاية الطهارة
 والنظافة قاوا أنه روح فلما كان عيسى لم يتكون من نطفة الأب وانما يتكون من نفخة جبريل وصف
 بأنه روح وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لروح أى كائنة من عند الله وجعلت منه تعالى وان
 كانت بنفخ جبريل لكون النفخ بأمره تعالى ومن ابتدائية لا كما زعمت النصارى من أنها تبعية مضية حكى
 أن طيبيا حاذقا نصرانيا جاءا للرشيد فناظر على بن الحسين المروزي ذات يوم فقال له ان في كتابهم ما يدل
 على أن عيسى جزء من الله وتلاه هذه الآية فقرأ المروزي ومخرجاكم مافى السموات وما فى الارض جميعا منه
 فقال اذا يلزم أن يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه تعالى فانقطع النصراني فأسلم وفرح الرشيد فرحاشدا
 وأعطى للمروزي عطاء عظيما (فآمنوا بالله) واعتقدوا الوهية وحده (ورسله) أجمعين وصفوهم
 بالرسالة ولا تصفوا واحدا منهم بالالوهية (ولا تقولوا ثلثة) أى الآلهة ثلثة الله والمسيح ومريم ولا تقولوا
 ان الله واحد بالجواهر ثلثة بالاقانيم (انتهوا خير لكم) أى انتهوا عن مقاتلتكم بالتثليث يكن ذلك
 الانتهاء خيرا لكم (انما الله اله واحد) أى منفرد في الوهية (سبحانه أن يكون له ولد) أى أسبحه
 تسبيحا من أن يكون له ولد أو سجدوا تسبيحا من ذلك وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع الفعل أى
 سبحانه ما يكون له ولد (له مافى السموات وما فى الارض) فمن كان ماله كالهمام فاقه ما كان ماله كالسا
 لعيسى ومريم واذا كانا مخلوقين له فكيف يتوهم كونهم له ولدا وزوجة (وكفى بالله وكيل) أى ربا
 الخلق فانه كاف في تدبير المخلوقات وفي حفظ المحدثات فلا حاجة معه الى اثبات اله آثم (الاستغفار)

المسيح أن يكون عبدا لله) أي لن يترفع عن أن يكون عبدا لله تعالى أي مقرا بالعبودية لله مستقرا على
 عبادته وطاعته روى أن وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول أنه عبد الله فقال النبي صلى
 الله عليه وسلم إنه ليس بعاز على عيسى أن يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت لن يستنكف المسيح أن يكون
 عبدا لله وقرأ على بن أبي طالب رضي الله عنه عبدا لله بصيغة التصغير (ولا الملائكة المقربون) أي
 ولا يستنكف الملائكة المقربون كحملة العرش أن يقروا بالعبودية لله أي لن يستنكف المسيح عن
 عبادة الله تعالى بسبب أنه قادر على الاتيان بخوارق العادات من الأحياء والابرار وعالم بالمغيبات مخبر عنها
 وممتاز عن سائر أفراد البشر بالولادة من غير أب وبالرفع إلى السماء فان الملائكة المقربين أعلى حالا منه في
 العلم بالمغيبات لانهم مطلعون على اللوح المحفوظ وأعلى حالا منه في القدرة لان أربعة منهم حملوا العرش
 على عظمتهم وأنهم مخلوقون من غير أب وأم ومقارهم السموات العلى ولا خلاف لاحد في علو درجتهم من
 هذه الحالات وانما الخلاف في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات ثم ان الملائكة مع كمال حالهم في
 العلوم والقدرة لن يستنكفوا عن عبودية الله فكيف يستنكف المسيح عن عبوديته بسبب هذا القدر
 القليل الذي كان معه من العلم والقدرة (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا)
 أي ومن يترفع عن طاعته تعالى ويعد نفسه كبيرا أي يعتقدها كذلك فان الله يجمع المترفعين والمعتقدين
 أنفسهم كبيرة ومقابلتهم وهم غيرهم اليه تعالى يوم القيامة حيث لا يعلكون لانفسهم شيئا فيجازيهم
 (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيههم أجورهم) من غير أن ينقص من أجورهم شيئا (ويرى يدهم
 من فضله) بتضعيفها ضعافا كثيرة وباعطائها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أي
 على وجه التفصيل وانما يخطر نعيم الجنان على قلوبنا وتسجعه من السنة على وجه الاجمال (وأما الذين
 استنكفوا) عن عبادته تعالى (واستكبروا) أي عدوا أنفسهم كبيرة (فيعذبهم عذابا أليما)
 بما وجدوا من لذة الترفع والتكبر (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) يلي مصالحهم (ولا نصيرا)
 ينجيهم من عذاب الله (يا أيها الناس قد جاءكم برهان) أي رسول (من ربكم) وهو محمد صلى الله
 عليه وسلم وانما سماء برهانا لان حرقته اقامة البرهان على تحقيق الحق وابطال الباطل (وأنزّلنا اليكم
 (نورا مبينا) أي نيرا بنفسه من نور الغيرة وهو القرآن وذلك بواسطة انزاله على الرسول وسماء نورا لانه
 سبب لوقوع نور الايمان في القلب أي فمن آمن ومنهم من كفر (فأما الذين آمنوا بالله) في ذاته
 وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه (واعتمدوا به) أي بالله في أن يشبهتهم على الايمان ويصونهم عن
 نزغ الشيطان (فسيدخلهم في رحمة منه) وهي الجنة ومنفعتا (وقضل) أي احسان زائد كالتنظر
 الى وجهه الكريم والتعظيم وغير ذلك من مواهب الجنة (ويهديهم الى صراط مستقيما) وهو الاسلام
 والطاعة والسعادة الى وحانية الجار والمجور وفي محل نصب حال من صراطا والضمير المحرور عائد على الله
 بتقدير مضاف أي الى ثوابه (يستفتونك) أي يسألونك يا محمد عن الكلالة روى الشيخان عن جابر بن
 عبد الله قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعوداني ماشيين فأخبرني على فتوضأ
 النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب على من وضوئه فأفقت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
 كيف أصنع في مالي كيف أقضي في مالي فلم يرد علي شيئا حتى نزلت آية الميراث يستفتونك الآيات
 وروى الطبري عن قتادة أن الصحابة أهمهم شأن الكلالة فسألوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم فأترل
 الله هذه الآيات (قل الله يفتيكم في الكلالة) وهو اسم يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على

الأورث فهو من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهو الذي مات ولا يرثه أحد من الوالدين ولا أحد من الأولاد (ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك) أي ان مات امرؤ غير ذي ولد والدوله أخت شقيقة أو من الأب فللاخت نصف ما ترك بالفرض والباقي للعصبة أولها بالرد ان لم يكن له عصبة (وهو) أي المرأة الكلانة (يرثها) أي يرث أختها جميع ما تركت ان فرض موتها مع بقائه (ان لم يكن لها ولد) ذكر أو أنثى فان كان لها أوله ولد ذكر فلا شيء له أولها أولها أنثى فله أولها الباقي من نصيبها (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) أي فان كان من يرث بالاخوة أختان شقيقتان أو من أب فصاعدا فلهما ولا أكثر الثلثان مما ترك الميت من المال (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) أي وان كان من يرث بطريق الاخوة أخوة مختلطة رجالا وأشقاء أو من أب ونساء شقيقات أو أب فللذكر منهم مثل نصيب الأنثيين يقتسمون التركة على طريق تقسيم العصبية (يبين الله لكم) قسمة الميراث (أن تضلوا) أي لكيلا تخطئوا في قسمة الميراث وقيل المعنى بين الله ضلالكم لعلكم تعلموا أن غير هذا البيان ضلال فتجنبوه (والله بكل شيء) من الأشياء المتعلقة بحكمكم وعما تكم (عليم) أي مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم

سورة المائدة مدنية مائة وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) وهي جميع ما ألزمه الله تعالى عباده من التكليف والأحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ديناً (أحل لكم بهيمة الأنعام) أي أحل لكم أكل البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية المعدودة في سورة الأنعام وقيل المعنى أحلت لكم ما عائل الأنعام ويدانها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب وذلك كالظباء وبقر الوحش ونحوهما من صيد البرية كحمر الوحش فأضيفت البهيمة الى الأنعام لحصول المشابهة أي أحلت لكم البهيمة الشبيهة بالأنعام وقيل المعنى أحلت لكم أجنة الأنعام وهذان القولان مرويان عن ابن عباس وهذا الثالث مروى أيضاً عن ابن عمر وهذا الوجه يدل على صحة مذهب الشافعي في أن الجنسين مذكي بكافة الألام (الاما يتلى عليكم) في هذه السورة (غير محلي الصيد وأنتم حرم) أي الا ان كانت الأنعام ميتة أو موقوفة أو متردية أو نطيحة أو افترسها السبع أو ذبحت على غير اسم الله فهي محرمة والا أن تحلوا الصيد في حال احرامكم أو في حال كونكم في الحرام فانه لا يحل لكم ذلك (ان الله يحكم ما يريد) من التحليل وغيره لا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه فوجب التكليف والحكم هو ارادته لا مراعاة المصالح (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغضون فضلاً من ربهم ورضواناً) أي يا أيها الذين آمنوا أقرروا بالايان لا تحلوا معالم دين الله أي لا تهاونوا شيأ من فرائضه تعالى ولا تحلوا الشهر الحرام ذال القعدة وذال الحجة والمحرم ورجب بالقتال فيه والغارة قال أبو السعود والمراد بالشهر الحرام شهر الحج وقال عكرمة هو ذوالقعدة واختار ابن جرير أنه رجب لانه أكل الأشهر الأربعة ولا تحلوا الهدى بالغصب أو بالنزع عن باو غ محله وهو ما أهدى الى بيت الله من ابل أو بقراً أو شاة ولا تحلوا ذوات القلائد من الهدى وهو البدن ولا تحلوا قوماً فاصدين زيارة المسجد الحرام بصددهم عن ذلك بأي وجهه كان وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام بالاضافة حال كونهم مبتغين فضلاً من ربهم بالتجارة المباحة والمعنى

طالبين ثوابا من ربهم ورضوانا وقرأ حميد بن قيس الاعرج تبتغون بالناء على خطاب المؤمنين فالجملة حينئذ حال من الضمير في لا تحلوا واضافة الى ب الى ضمير الامين للاشارة الى اقتصار التشريف عليهم (واذا حلتم فاصطادوا) والامر للاباحة أي واذا خرجتم من الاحرام والحرم فلا جناح عليكم في اصطياد حيوان البرية (ولا يجزئكم شئ ان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا) أي ولا يحملنكم بعضكم لقوم من اهل مكة بمنعهم اياكم عن المسجد الحرام أي عن العمرة عام الحديبية على ظلمكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي من البغض وقرأ أبو هرير وابن كثير ان صدوكم بكسر الهمزة على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجزئكم والمعنى ان وقع صد مثل ذلك الصد الذي وقع عام الحديبية وهي سنة ست على أن نزول هذه الآية عام الفتح وهو سنة ثمان غير مجمع عليه (وتعاونوا على البر والتقوى) أي على متابعة الامر ومجانبة الهوى (ولا تعاونوا على الاثم) أي المعصية للتشفي (والعدوان) أي التعدي في حدود الله للانتقام (واتقوا الله) في جميع الامور ولا تستحلوا شيئا من محارمه (ان الله شديد العقاب) لمن لا يتقيه فلا يطيق أحد عقابه (حرمت عليكم الميتة) أي حرم عليكم كل ما فارقه الروح من غير ذبح شرعي وكان اهل الجاهلية يقولون انكم تأكلون ما قتلتم ولأنما كلون ما قتل الله واعلم أن تحريم الميتة موافق لما في العقول لان الدم جوهر لطيف جدا فاذامات الحيوان حتم أنفه احتبس الدم في عروقه ووقعن وفسد وحصل من أكله مضار عظيمة (والدم) أي السائل منه فخرج الكبد والطحال وكان اهل الجاهلية يملئون الامعاء من الدم بصبه فيها ويشوونه ويطعمونه الضيف (ولحم الخنزير) قال اهل العلم الغذاء يصير جزأ من جوهر المغتذى فلا بد ان يحصل للمغتذى اخلاق وصفات من جنس ما كان ماصلا في الغذاء والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في المشتبهات فحرم أكله على الانسان لئلا يتكيف بتلك الكيفية ولذلك أن القرنج لما واطبوا على أكل لحم الخنزير أو رثهم الحرس العظيم والرغبة الشديدة في المشتبهات وأورثهم عدم الغيرة فان الخنزير يرى الذك من الخنازير ينزوع على الانثى التي هي له ولا يتعرض له لعدم الغيرة وأما الشاة فانها حيوان في غاية السلامة فكانت اذات عارية عن جميع الاخلاق فلذلك لا يحصل للانسان بسبب أكل لحمها كيفية أجنبية عن أحوال الانسان (وما أكل الا ناسا) أي وما رفع الصوت لغير الله عند ذبحه وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى (والمنخنة) أي التي ماتت بانعصار الحلق بالمنخنة على وجوه منها أن اهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة فاذامات أكلوها ومنها ما يخنق بحبل الصائد ومنها ما يدخل رأسها بين عودين في شجرة فتخنق وتموت (والموقودة) أي المضراوبة الى أن ماتت ويدخل في الموقودة ما رمى بالبندق فماتت وهي في معنى الميتة وفي معنى المنخنة لانها ماتت ولم يسلم دمها (والمتردية) أي الساقطة من علواي سفل فماتت ويدخل فيها ما اذا أصابه سهم وهو في الجبل فسقط عن الارض فانه يحرم أكله لانه لا يعلم هل مات بالتردي أو بالسهم ولو رمى سيده في الهواء بسهم فأصابه فان سقط على الارض ومات حل لان الوقوع على الارض من ضرورته وان سقط على شجرة أو جبل ثم تردى منه فمات لم يحل لانه من المتردية الا أن يكون السهم ذبحه في الهواء فيحل كيفما وقع لان الذبح قد حصل قبل التردية (والنطيحة) أي التي ماتت بنطح شاة أخرى وانما دخلت الهاء في النطيحة لانها صفة لمؤنث غير مذكور وهو الشاة كما تقول رأيت قتيلا بني فلان بالهاء لانك ان لم تدخل الهاء لم يعرف المقتول أرجل هو أم امرأة بخلاف ما اذا ذكر الموصوف فانه تحذف الهاء حيث شذ كقولهم كف

خضيب ولحية دهن وعين كحيل وخصت الشاة لانها من أعم ما يأكله الناس والكلام عيشى على الاغلب
ويكون المراد الكل (وما أكل السبع) منه فئات وهي فريسة السبع قال قتادة كان أهل الجاهلية
إذا جرح السبع شيئاً فقتله وأكل بعضه أكلوا ما بقي فخرمه الله تعالى (الاماذيكيم) أى الاما
أدركتم ذلك كانه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء الخمسة وذلك بحيث يتحرك بالاختيار والا
فلا يحل بتذكية لان موته حينئذ يحال على السبب المتقدم على التذكية من الخلق وأكل السبع
وغيرها (وما ذبح على النصب) أى على اعتقاد تعظيم النصب وقال ابن جرير النصب ليس بأصنام فان
الاصنام أبحار مصورة منقوشة وهذه النصب أحجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها
للأصنام وكانوا يلطخونها بدماء الدماء ويضعون اللحم عليها ويعدون ذلك الذبح قربة فقال المسلمون
يا رسول الله كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم ونحن أحق أن نعظمه وكان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يذكره فأنزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها (وأن تستقسموا بالازلام) أى وحرم عليكم
طلب معرفة ما قسم لكم من الخير والشرب بواسطة ضرب القداح بذلك أنهم إذا قصدوا سفراً أو غزوا أو تجارة
أو نسكاً أو أمراً آخر من معاطم الأمور ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمر في ربي وعلى الثانى
نهاني ربي والثالث خال عن الكتابة فان خرج الأمر أقدم على الفعل وان خرج النهى أمسك وان خرج
الغفل أعاد العمل مرة أخرى (ذلكم) أى الاستقسام بالازلام (فسق) أى خروج عن الطاعة
لانه طلب لمعرفة الغيب وذلك حرام وروى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من
تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدراجات العلى من الجنة يوم القيامة وذلك
ضلال باعتقاده طريق الى الدخول فى علم الغيب واقتراء على الله تعالى ان كان مرادهم ربى هو الله تعالى
وقال قوم آخرون انهم كانوا يحملون تلك الازلام عند الاصنام ويعتقدون أن ما يخرج من الأمر والنهى
على تلك الازلام فبارشاد الاصنام واعانتهم فلهذا السبب كان ذلك فسقاً أى شركاً وجهالة وهذا القول
أولى وأقرب كما قاله الفهر (اليوم يشس الذين كفروا من دينكم) أى هذا الزمان انقطع رجاء كفر
مكة من ابطال أمر دينكم (فلا تخشوهم) أى فلا تخافوا المشركين فى خلافكم اياهم فى الشرائع
والاديان فانى أنعمت عليكم بالدولة القاهرة والقوة العظيمة وصاروا مقهورين لكم ذليلاً عنكم
(وأخشون) أى ومخضوا والخشية الى وحدى فى ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه (اليوم أكملت
لكم دينكم) بالنصر والاطهار على الاديان كلها والحكم ببقائه الى يوم القيامة (وأتممت عليكم
نعمتي) بفتح مكة ودحوها آمنين وبانفراد المسلمين بالبلد الحرام واجلاء المشركين عنه حتى حج المسلمون
لا يخالطهم المشركون (ورضيت لكم الاسلام ديناً) أى اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين
المرضى عند الله تعالى لا غير (فمن اضطر) الى تناول شئ من هذه المحرمات (فى محضه) أى جماعة
يخاف معها الموت (غير متجانف لاثم) أى غير متعمد لاثم بان يأكلها فوق الشبع تلذذاً كما قاله
أهل العراق أو بان يكون عاصياً بسفره كما قاله أهل الحجاز (فان الله غفور) لمن أكل المحرم عندما اضطر
الى أكله (رحيم) بعباده حيث أحل لهم ذلك المحرم عند حاجتهم اليه أكله (يسألونك ماذا أحل
لهم) من الصيد والساكنات طاهرين عدى وسعدى بن خيثمة وعوى بن ساعدة كذا قاله عكرمة كما
أخرجه ابن جرير وقال ابن عباس والساكنات بذلك يدين مهلهل الطائي وعدى بن حاتم الطائي وكانا
صيادين وكذا قال سعيد بن جبيرة أخرجه ابن أبي حاتم (قل أحل لكم الطيبات) وهو أى كل ما يشتهى

عند أهل المروءة والخلق الجميلة ما لم تستحبش الطباع السليمة ولم تنفر عنه مما لم يرد نص بتحريمه من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس مجتهد (وما علمتم من الجوارح) أى وأحل لكم صيد ما علمتموه من الدكواشب من سباع البهائم والطيور كالكلب والباز (مكبين) أى معلمين الجوارح الصيد (تعلمونهن) حال ثانية من ضمير علمتم والمقصود من التكرار المبالغة في اشتراط التعليم وإن يكون من يعلم الجوارح نحرير في علمه موصوفاً بالتأديب (عما علمكم الله) من طرق التعليم ومن الخيل في الاصطياد (فكلوا مما أمسكن عليكم) أى كلوا بعض ما أمسكنه لكم وهو الذي لم يأكل منه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعدي بن حاتم إذا أرسلت كلبك فاذا كرام الله فان أدركته ولم يقتل فاذا بجمع واذا كرام الله عليه وإن أدركته وقد قتل ولم يؤكل فكل فقد أمسك عليك وإن رجده قدأكل فلا تطعم منه شيئاً فأنما أمسك على نفسه (واذا كرام الله عليه) أى وهو على ما علمتم من الجوارح عند إرساله على الصيد كما قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرك اسم الله فكل أو هو على ما أمسكن عند ذبحه وقيل المعنى مما على كل الصيد * روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن أبي سلمة سم الله وكل مما يليك (واتقوا الله) أى واحذروا مخالفة أمر الله في تحليل ما أحله وتحريم ما حرمه (إن الله سريع الحساب) فانه تعالى يؤاخذكم سريعاً في كل ما جعل ودق (اليوم أحل لكم الطيبات) أى المستلذات المشتهيات لأهل المروءة والخلق الجميلة (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) فيحل لنا أكل ذبائحهم من تمسكوا بالتوراة والانجيل إذا حلت المناكحة بينهم فحل الذبيحة تابع لحل المناكحة ولو ذبح يهودى أو نصرانى على اسم غير الله تعالى كالنصرانى يذبح على اسم المسيح لم تحل ذبيحته بخلاف من تمسكوا بغير التوراة والانجيل كصحف إبراهيم فلا تحل ذبائحهم واتفق العلماء على أن الجحوس قدس بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وروى عن ابن المسيب أنه قال إذا كان المسلم من يضاف من الجحوسى أن يذكرك الله ويذبح فلا بأس وقال أبو ثور وإن أمره بذلك في الصحة فلا بأس (وطعامكم حل لكم) فيحل لكم أن تطعموههم من طعامكم وتبيعهوهم منهم (والمحصنات) أى الحرائر العفائف (من المؤمنات) أى حل لكم وذكركن للعمل على ما هو الأولى لأننى ما عداهن فإن نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف وأما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند أبى حنيفة خلافاً للشافعى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أى هن حل لكم أيضاً وإن كن حريات قال الكثير من الفقهاء انما يحل نكاح الكتابية التي دانت بالتوراة والانجيل قبل نزول القرآن فن دان ذلك الكتاب بعد نزول القرآن خرج عن حكم الكتاب وهذا مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وأما أهل المذاهب الثلاثة فلم يقولوا بهذا التفصيل بل أطلقوا القول بحل أكل ذبائح أهل الكتاب وحل التزوج من نسائهم ولو دخلوا في دين أهل الكتاب بعد نسفهم (إذا آتيتهم أجورهم) وتقييد التحليل بإعطاء المهور يدل على تأكد وجوبها وعلى أن الأكل بيانها لا هو شرط لصحة العقد لا تقوم على دفع المهر ولا على التزامه ومن تزوج امرأه وعزم على أن لا يعطيها صداقها كان في صورة الزانى وتسوية المهر بالاجر يدل على أن أقل الصداق لا يتقدر كما أن أقل الاجر لا يتقدر في الاجارات (محصنين) أى متزوجين (غير مسالحين) أى غير معلمين بالزنا (ولا متخذي أخدان) أى ولا مسريرين بالزنا بمن لها حليل (ومن يكفر بالآبائ فقد حبط عمله) أى ومن يكفر بشرائع الله وبشكاله فقد بطل ثواب عمله الصالح سواء عاد إلى الاسلام أولاً (وهو في

الآخرة من الخاسرين) اذالم يعد الى الايمان بما نزل في القرآن حتى يموت على الكفر أما اذا عاد الى
 الايمان بذلك قبل الموت فان عمله لا يبطل فلا يجب اعادة صلاة وجمعة قد أتاهما قبل الرد (يا أيها الذين
 آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) أي اذا أردتم الاشتغال باقامة الصلاة وأنتم على غير وضوء (فاغسلوا
 وجوهكم وأيديكم الى المرافق) فان صب الماء على المرفق حتى سال الماء الى الكف فلا يجوز لانه
 تعالى جعل المرافق غاية الغسل لجعله مبدأ الغسل خلاف الآية كذا قال بعضهم وقال جمهور الفقهاء ان
 ذلك لا يخل بصحة الوضوء الا أنه يكون تركه كاللينة (وامسحوا برؤوسكم) قيل الباء فارقة بين حمل المسح
 بالكل والبعض كما في قولك مسحت المنديل ومسحت يدي بالمنديل فقولك مسحت المنديل لا يصدق
 الا عند مسحه بالكلية وقولك مسحت بالمنديل يكفي في صدقه مسح اليدين بجزء من أجزاء ذلك المنديل
 وتحقيق هذه الباء انها تدل على تضمين الفعل معنى اللصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤوسكم وذلك
 لا يقتضي الاستيعاب (وأرجلكم الى الكعبين) قرأ ابن كثير وحزرة وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي
 بكر عنه بالجرو قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه بالنصب اما القراءة بالجرف هي معطوفة على
 الرأس فكما يجب المسح في الرأس كذلك في الأرجل وانما عطف الأرجل على الرأس للتنبية على
 الاسراف في استعمال الماء فيها لانها موضع صب الماء كثيرا والمراد غسلها أو مجرورة بحرف جر محذوف
 متعلق بفعل محذوف تقديره واقعدوا بأرجلكم غسلا وحذف حرف الجر وابقاء الجر جائز ولا يجوز هذا
 السكسر على الجواز على أنه منصوب في المعنى عطف على المغسول لانه معدود في اللحن الذي قد يحمل
 لاجل الضرورة في الشعر ويجب تنزيه كلام الله عنه ولانه يرجع اليه عند حصول الامن من الالتباس
 كما في قول الشاعر * كبير اناس في بجاد من رمل * وفي هذه الآية لا يحصل الامن من الالتباس ولانه
 انما يكون بدون حرف العطف وأما القراءة بالنصب فهي اما معطوفة على الرأس لانه في محل النصب
 والعطف على الظاهر وعلى المحل جائز كما هو مذهب مشهور للنحاة واما معطوفة على وجوهكم فظهر انه
 يجوز أن يكون عامل النصب في قوله تعالى وأرجلكم هو قوله تعالى وامسحوا وقوله تعالى فاغسلوا فاذا
 اجتمع العاملان على معمول واحد كان الاولى اتمال الاقرب حتى ان بعضهم لا يجوز ان يكون العامل
 فاغسلوا لما يلزم عليه من الفصل بين المتعاطفين بجملة مبنية حكما جديدا ليس فيها تاء كيد للاول وليست
 هي اعتراضية فوجب أن يكون عامل النصب في قوله وأرجلكم هو قوله وامسحوا فتدل هذه الآية على
 وجوب مسح الأرجل لكن الاخبار الكثيرة زردت بإيجاب الغسل وهو مشتمل على المسح ولا ينعكس
 فكان الغسل أقرب الى الاحتياط فوجب الرجوع اليه ويجب القطع بان غسل الأرجل يقوم مقام
 مسحها وأيضا ان فرض الرجلين محدود الى الكعبين والتحديد انما جاء في الغسل لا في المسح وهذا جواب
 لقولهم ولا يجوز دفع وجوب مسح الأرجل بالاخبار لانها باسرها من باب الآحاد ونسخ القرآن بخبر الواحد
 لا يجوز (وان كنتم جنبا فاطهروا) أي فاغتسلوا والحصول الجنابة سببان نزول المني والتقاء الختانين
 فختان الرجل هو الموضع الذي يقطع منه جلدة القلفة وشعر المرأة محيطان بثلاثة أشياء ثقبه في أسفل
 الفرج وهي مدخل الذكر ومخرج الحيض والولد وثقبه أخرى فوق هذه مثل أحليل الذكر وهي مخرج
 البول لا غير وموضع ختانها هو فوق ثقبه البول وهناك جلدة قائمة مثل عرف الديك وقطع هذه الجلدة
 هو ختانها فاذا غابت الحشفة حاذى ختانها ختانه (وان كنتم مرضى) مرضا يضره الماء كجراحة
 أو جدي (أو على سفر) أي مستقرين عليه (أو جاء أحد منكم من الغائط) أي الموضع الذي

يقضى فيه حاجة الانسان التي لا بد منها (أولاً مستم النساء) يذكروا غيره (فلم تجدوا) يا معشر
المسافرين والمحدثين حدثاً أصغراً أو أكبر (ماء) بعد طلبه (فتقيموا صعيداً طيباً) أى فاقصدوا تراباً
نظيفاً (فامسحوا بوجوهكم) بالضربة الاولى (وأيديكم) بالضربة الثانية (منه) أى التراب
(ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أى ضيق بما فرض عليكم من الطهارة للصلاة (ولكن يريد
ليظهركم) أى ليظهره لوجوبكم عن صفة التمرّد عن طاعة الله تعالى لأن الكفر والمعاصي نجاسات للأرواح
وذلك لأنه تعالى لما أمر العبد بإيصال الماء الى هذه الاعضاء المخصوصة وكانت طاهرة لم يعرف العبد في
هذا التكليف فائدة معقولة فلما انتقاد لهذا التكليف كان ذلك الانقياد لمحض اظهار العبودية فأزال هذا
الانقياد عن قلبه آثار التمرّد فكان ذلك طهارة (وليتم نعمته عليكم) ببيان كيفية الطهارة وهي نعمة الدين
بعد ذكر نعمة الدنيا وهي اباحة الطيبات من المطاعم والمناكح أو بالترخص في التيمم والتخفيف في حال
السفر والمرض فاستدلوا بذلك على انه تعالى يخفف عنكم يوم القيامة بأن يعفو عن ذنوبكم ويتجاوز عن
سيئاتكم (اعلمكم تشكرون) نعمته (واذكروا نعمة الله عليكم) أى تأملوا في جنس نعم الله عليكم وهو
اعطاء نعمة الحياة والصحة والعقل والهداية والصون عن الآفات والايصال الى جميع الخيرات في الدنيا
والآخرة فجنس نعمة الله جنس لا يقدر عليه غير الله فتي كانت النعمة على هذا الوجه كان وجوب الاشتغال
بشكرها أتم (وميثاقه الذي واثقكم به) بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ قلتم سمعنا وأطعنا)
وهو الميثاق الذي حث بين رسول الله والمسلمين في أن يكونوا على السمع والطاعة في المحبوب والمكروه
مثل مبايعته صلى الله عليه وسلم مع الانصار في أول الامر ليلة العقبة ومبايعته صلى الله عليه وسلم مع
عامة المؤمنين ببيعة الرضوان تحت الشجرة في الحديبية وغيرهما وقال السدي المراد بالميثاق الدلائل
العقلية والشرعية التي نصبها الله تعالى على التوحيد والشرائع وهو اختيار أكثر المتكلمين (واتقوا
الله) في نسيان نعمته ونقض ميثاقه (ان الله عليم بذات الصدور) فلا تعزموا بقولكم على نقض تلك
العهود فانه ان خطر ببالكم فانه يعلم ذلك وكفى بالله مجازياً (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله)
بأن تقوموا لله بالحق في كل ما يلزمكم القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط)
فلا تشهدوا بأمر مخالف للواقع بل اشهدوا بما في نفس الامر والتكاليف محصورة في نوعين تعظيم أمر
الله والشفقة على خلق الله فقوله تعالى كونوا قوامين إشارة الى النوع الاول وهو حقوق الله وقوله تعالى
شهداء بالقسط إشارة الى الثاني وهو حقوق الخلق (ولا يجرم منكم شأن قوم على أن لا تعدلوا) أى
لا يحملنكم ابغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم بل اعدلوا فيهم وان أساءوا عليكم
والمعنى ان الله تعالى أمر جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحداً الا على سبيل الانصاف وترك الاعتساف
(اعدلوا) في عدوكم ووليكم (هو) أى العادل (أقرب للتقوى) أى الى الاتقاء من معاصي الله
تعالى أو الى الاتقاء من عذاب الله (واتقوا الله) فيما أمركم ونهاكم (ان الله خبير بما تعملون) فلا
يخفى عليه شيء من أحوالكم فيجازيكم على ذلك (وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بالعدل
والتقوى (لهم مغفرة) أى اسقاط السيئات (وأجر عظيم) وهو إيصال الثواب وجملة قوله لهم مغفرة
بيان للوعد لا محل لها فكانه قيل وأى شيء وعده فقال المجيب لهم مغفرة وأجر عظيم (والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أى ملازموها وهذه الجملة مستأنفة أتى بها جمعاً بين الترغيب
والترهيب أيقنا الحق الدعوة بالتبشير والانذار (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم

أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله) أي كونوا موابطين على طاعة الله تعالى
 ولا تخافوا أحدا في إقامة طاعات الله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وسبب نزول هذه الآية
 وجهان الأول أنها نزلت في واقعة عامة وذلك أن المشركين في أول الأمر وهو في ضعف المسلمين يريدون
 إيقاع البلاء والقتل والنهب بالمسلمين والله تعالى كان يمنعهم عن مطاوعهم إلى أن قوى الإسلام وعظمت
 شوكة المسلمين الثاني أنها نزلت في واقعة خاصة وفي هذا ثلاثة أوجه * الأول أنها نزلت في شأن يهود
 من بني قريظة أو بني النضير وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى دخلوا
 عليهم وقد كانوا عاهدوا النبي على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديار فطلب منهم ما لا قرصا لدية
 رجائين مسلمين أو معاهدين قتلهم ما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين أو حرييين فقالوا اجلس
 حتى نطعمك ونعطيك ما ترى ثم هموا بالقتل برسول الله وبأصحابه فجاء عمر وبن جحاش برجي عظيمة
 ليطرحها عليه صلى الله عليه وسلم بموافقتهم فأمسك الله تعالى يده فنزل جبريل عليه صلى الله عليه وسلم
 وأخبره بذلك فقام في الحال مع أصحابه وخرجوا إلى المدينة * والثاني عن قتادة أنها نزلت في قوم من
 العرب وهم بنو ثعلبة وبنو محارب أرادوا القتال به صلى الله عليه وسلم وهو في غزوة فأرسلوا إليه أعرابيا
 ليقتله ببطن نخل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق أصحابه عنه يستظلون في شجرة
 العضاة وعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء أعرابي وسل سيف رسول الله ثم أقبل عليه
 وقال يا محمد من يمنعك مني قال صلى الله عليه وسلم الله قالها ثلاثا فأسقطه جبريل من يده فأخذه النبي صلى
 الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا أحد ثم صاح رسول الله بأصحابه فأخبرهم ولم يعاقبه وفي رواية أن
 أعرابيا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وعلى هذين القولين فالمراد من قوله تعالى
 اذكر وأنعم الله عليكم تذكرة من نعم الله عليهم بدفع الشر عن نبيهم فإنه لو حصل ذلك لكان من أعظم
 المحن * والثالث أنها نزلت في شأن المشركين أنهم رأوا رسول الله وأصحابه بعسفان في غزوة ذي أغمار
 وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه صلى الله عليه وسلم وذلك أن المسلمين قاموا إلى صلاة
 الظهر بالجماعة فلما صلوا ندم المشركون في عدم اكبابهم عليهم وقالوا ليتنا أوقعنا بهم في أثناء الصلاة
 فقل لهم أن المسلمين بعد هذه الصلاة صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وآبائهم فهموا بأن يوقعوا بهم إذا
 قاموا إلى صلاة العصر فرد الله تعالى كيدهم بأن أنزل جبريل بصلاة الخوف (ولقد أخذ الله ميثاق بني
 إسرائيل) أي أقرارهم أن لا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئا (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) وهو
 المسند إليه أمور القوم وتدبير مصالحهم * روى ابن بني إسرائيل لما استقروا بمصر بعد هلاك قريش أمرهم
 الله تعالى بالسير إلى أريحا أرض الشام وقد سكنها الجبارة الكنعانيون وقال لهم اني كتبته لكم دارا
 فاخرجوا إليها جاهدوا من فيها واني ناصركم وكان بنو إسرائيل اثني عشر سبطا فاختار الله تعالى من
 كل سبط رجلا ليكون نقيبا لهم وما كما فيهم والنقباء الاثني عشر كما قال ابن اسحق هم شعور وشوق وكالب
 وبعورك ويوشع ويعلي وكراييل وكدي وعماييل وستور ويحيى وآل ثم ان هؤلاء
 النقباء بعثوا إلى مدينة الجبارين الذي أمر موسى عليه السلام بالقتال معهم ليقتلوا على أحوالهم
 ويرجعوا بذلك إلى نبيهم موسى عليه السلام فلما ذهبوا إليهم رأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوهم
 ورجعوا لحدثوا قومهم وقد نهىهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم فنهكثوا الميثاق الا كالب ويوشع وهما
 اللذان قال الله تعالى في حقهما قال رجلان من الذين يخافون الآية (وقال الله) هؤلاء النقباء (اني

معكم) بالعلم والقدرة فأسمع كلامكم وأرى أفعالكم وأعلم ضمائركم وأقدر على إيصال الجزاء إليكم
لئن أقم الصلاة) أى التى فرضت عليكم (وآتيت الزكاة) أى زكاة أموالكم (وآمنتم برسلى) أى
بجميعهم (وعزرتهم) أى نصرتهم بالسيف على الأعداء (وأقرضتم الله قرضاً حسناً) أى
صادقاً من قلوبكم والمراد بهذا الاقتراض الصدقات المنذوبة وخصها بالذكور تنبيهاً على شرفها وعملوا
مرتبتها (لا كفرن عنكم سيئاتكم) وهذا إشارة إلى إزالة العقاب (ولادخلناكم جنات تجري من
تحتها الأنهار) وهذا إشارة إلى إيصال الثواب (فمن كفر بعد ذلك) أى بعد أخذ الميثاق (منكم
فقد ضل سواء السبيل) أى أخطأ الطريق المستقيم الذى هو الدين الذى شرعه الله تعالى لهم (فبما
نقضهم ميثاقهم لعناهم) أى بسبب نقضهم ميثاقهم بتكذيب الرسل وقتل الأنبياء وكتمان صفة محمد
صلى الله عليه وسلم لعناهم أخرجناهم من رحمتنا (وجعلنا قلوبهم قاسية) أى منصرفه عن الانقياد
للدلائل وقرأ حمزة والكسائي قسية بغير ألف بعد القاف وتشديد الياء أى رديئة يابسة بلا نور (يحرفون
الكلام عن مواضعه) يغيرون نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الرجم بعد يئانه في التوراة (ونسوا
حظاً مما ذكرناه) أى تركوا بعضاً مما أمرناه في كتابهم وهو الإيمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم (ولا تزال) يا أشرف الخلق (تطلع على خائنة منهم) أى تظهر على خيانة صادرة من بنى قريظة
(الأقبيلا منهم) وهم الذين آمنوا بعبد الله بن سلام وأصحابه أو الذين بقوا على الكفر لكنهم بقوا
على العهد ولم يخونوا فيه (فأعف عنهم) أى لا تعاقبهم (واصفح) أى أعرض عن صغائر زلاتهم
ماداموا باقين على العهد (إن الله يحب المحسنين) إلى الناس قال ابن عباس إذا عفوت فأنت محسن
وإذا كنت محسناً فقد أحبك الله (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم) فى الإنجيل باتباع محمد
وبيان صفته وإن لا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئاً كما أخذنا الميثاق على بنى إسرائيل اليهود (فنسوا
حظاً مما ذكرناه) أى تركوا نصيباً عظيماً مما أمرناه فى الإنجيل من الإيمان ونقضوا الميثاق
(فأغرنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) أى الصغائر نصارى أهل نجران العداوة بالقتل
والبغضاء فى القلب بعد أن جعلناهم فرقاً أربعة نسطورية والمملكانية واليعقوبية والمرقسية فإن بعضهم
يكفر بعضاً إلى يوم القيامة (وسوف ينبئهم الله) أى يخبرهم فى الآخرة (بما كانوا يصنعون) من
الخلفاء والحياة والكتمان فيجازيهم عليه (يا أهل الكتاب) أى يامعشر اليهود والنصارى (قد
جاءكم رسولنا) محمد أفضل الخلق (يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب) أى تسكتون من
التوراة والإنجيل كنعت محمد وآية الرجم فى التوراة وبشارة عيسى بأحمد فى الإنجيل (ويعفوا عن كثير)
أى لا يظهر كثير مما تسكتونه إذا لم تدع حاجة دينية إلى إظهاره (قد جاءكم من الله نور) أى رسول وهو
محمد صلى الله عليه وسلم (وكتاب مبين) وهو القرآن لما فيه بانه ما خفى على الناس من الحق (يهدى
به) أى بذلك الكتاب (الله من اتبع رضوانه) وهو من كان مطلوبه من طالب الدين اتباع الدين الذى
يرضيه الله تعالى (سبل السلام) أى إلى طرق السلامة من العذاب وهو دين الإسلام وهذا منصوب
بترغيب الخافض لأن يهذى يتعدى إلى الثانى بالى أو باللام (ويخرجهم من الظلمات) أى ظلمات فنون
الكفر (إلى النور) أى نور الإيمان (بإذنه) أى بتوقيفه والباء يتعلق باتباع ولا يجوز أن يتعلق
ببهدى ولا يخرج إذا لمعنى لها حيث قد قلت الآية على أنه لا يتبع رضوان الله إلا من أراد الله منه ذلك
(ويهديهم إلى صراط مستقيم) أى يشبههم على ذلك الدين بعد اجابة دعوة الرسول (لقد كفر الذين قالوا)

وهم نصارى نجران (ان الله هو المسيح ابن مريم) وهذه المقالة لليعقوبية فانهم قالوا ان الله قد يحل في بدن
 انسان معين أو في روحه وقيل لم يصرح به أحد منهم ولكنه مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا اتصاف
 عيسى بصفات الخاصة أي بأنه يخلق ويحيي ويميت ويدير أمر العالم (قل) لهم يا أكرم الخلق (من يملك
 من الله شيئا) أي من الذي يقدر على دفع شيء من أفعال الله تعالى ومنع شيء من مراده (ان أراد يهلك المسيح
 ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا) أي ان عيسى غاثل لمن في الأرض في الصورة والخلق والجسمية
 والتركيب وتغيير الصفات والاحوال فلما سلمتم كونه تعالى خالقا لكل مدبر لكل وجب أن يكون أيضا
 خالقا لعيسى (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ما يخلق ما يشاء) فتارة يخلق من غير أصل تخلق
 السموات والأرض وتارة أخرى يخلق من أصل تخلق ما بينهما ما فينشي من أصل ليس من جنسه تخلق آدم
 وكثير من الحيوانات ومن أصل من جنسه اما من ذكر وحده تخلق حواء أو من أنثى وحدها تخلق عيسى
 عليه السلام أو منهما تخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات تخلق عامة المخلوقات وقد
 يخلق بتوسط مخلوق آخر تخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له وكأحياء الموتى وإبراهيم
 والأبرص على يده أيضا فيجب أن ينسب كله اليه تعالى لا إلى من أجرى ذلك على يده (والله على كل شيء
 قدير) واطهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة (وقالت اليهود) أي يهود أهل المدينة
 (والنصارى) أي نصارى أهل نجران (نحن أبناء الله وأحباءه) أي ان اليهود لما زعموا أن عزير ابن الله
 والنصارى زعموا أن المسيح ابن الله ثم زعموا أن عزير او المسيح كانا منهم صار ذلك كأنهم قالوا نحن أبناء الله
 كما يقول أقارب الملوكة عند المفارقة نحن الملوكة فالمراد بأبناء الله خاصته وقال ابن عباس ان النبي صلى الله
 عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى قالوا كيف نخوفنا بعقاب
 الله ونحن أبناء الله وأحباءه والذي قال تلك الكلمة من اليهود نجان ويحري وشاس (قل) لهم يا أكرم
 الخلق الزاما وتبكيتهما (فلم يعذبكم بذنوبكم) أي ان صح ما زعمتم فلا شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر
 والمسخ وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار يا ما بهدأ أيام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما
 زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع فأنتم كاذبون لان الاب لا يعذب ولده والحبيب لا يعذب
 حبيبه (بل أنتم بشر من خلق) أي لستم كذا بل أنتم بشر من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية
 لكم عليهم (يغفر لمن يشاء) ان يغفر له من أولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله وتابوا من
 اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به تعالى وبرسله وما تواعى
 اليهودية والنصرانية (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) فمن كان ملكه هكذا وقدرته هكذا
 فكيف يستحق البشر الضعيف عليه تعالى حقا واجبا (واليه المصير) في الآخرة فيجزى المحسن باحسانه
 والمسيء بأسائه (يا أهل الكتاب) أي يا أهل التوراة والانجيل (قد جاءكم رسولنا) محمد صلى الله
 عليه وسلم (يبين لكم) أي مبينا لكم الشرائع (على فترة من الرسل) أي على حين انقطاع من
 الانبياء فروى عن سلمان انه قال فترة ما بين عيسى ومحمد ستمائة سنة أخرجه البخارى وكان بينهما أربعة
 من الانبياء ثلاثة من بنى اسرائيل كما قال تعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعز زنا بثلث واحد من
 العرب وهو نالدين سنان وقال في حقه نبينا صلى الله عليه وسلم نبى ضيعه قومه (أن تقولوا ما جاءنا من بشير
 ولا نذير) أي انما بعثنا اليكم الرسول في وقت فترة من ارسال الرسل كراهة أن تقولوا اذ اسئلتهم عن
 أعمالكم يوم القيامة ما جاءنا بشير بالجنة ولا نذير بالنار وقد انطمت آثار الشرائع السابقة وانقطعت

أخبارها فلا تعتذروا بذلك (فقد جاءكم بشير) كامل البشارة (وتنذير) كامل النذارة (والله على كل
 شيء قدير) فكان قادرا على الإرسال ترى كما أرسل الرسل بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف
 وسبعمائة سنة وألف نبي (وإذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء) لأنه
 لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء فمنهم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه فأنطلقوا
 معه إلى الجبل ومنهم أولاد يعقوب فانهم كانوا على قول إلا كثيرين أنبياء (وجعلكم ملوكا) فقد تكاثرت
 فيهم الملوك ثم إن أقارب الملوك يقولون عند المفارقة نحن الملوك قال السدي أي وجعلكم أحرارا على كون
 أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم وقيل كل من كان مستقلا بأمر نفسه ومعيشتة ولم يكن
 محتاجا في مصالحه إلى أحد فهو ملكا وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة وفيها مياه جارية وكانت لهم أموال
 كثيرة فمن كان كذلك كان ملكا وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان بنو
 إسرائيل إذا كان لا أحد منهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا وقال قتادة وهو ملكا لانهم كانوا أول من
 ملك الخدم ولم يكن قبلهم خدم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص من كان له امرأة يأوي إليها ومسكن
 يسكنه فهو غني ثم إن كان له خادم بعد ذلك فهو من الملوك (وأتاكم ما لم يأت أحد من العالمين)
 من فلق البحر واغراق العدو وإيراث أموالهم وانزال المن والسلاوى وإخراج المياه العذبة من الحجر
 وظليل الغمام فان ذلك لم يوحى في غير بني إسرائيل (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة) أي المباركة
 (التي كتب الله لكم) أي وهبها الله لكم ميراثا من أبيكم إبراهيم عليه السلام روى أن سيدنا إبراهيم
 عليه السلام لما صعد جبل لبنان قال له الله تعالى انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك
 وكان بنو إسرائيل يسهون أرض الشام أرض الموعد قال ابن عباس والأرض هي الطور وما حوله
 (ولا تزدوا على أدباركم) أي لا ترجعوا إلى خلقكم أي إلى مصر خوفا للعدو (فتنقلبوا خاسرين)
 في الدين والدنيا لانهم صاروا أشاكين في صدق موسى عليه السلام فيصبروا كافرين بالالهية والنبوة
 فان موسى قد أخبر أن الله تعالى جعل تلك الأرض لهم فكان ذلك وعدا بأن الله تعالى ينصرهم على
 العدو ولأن الله تعالى منعهم عن المن والسلاوى ثم بعث موسى عليه السلام اثني عشر نقيبا ليتجسسوا لهم
 عن أحوال تلك الأراضي فلما دخلوا تلك البلاد رأوا أجساما عظيمة هائلة ثم انصرفوا إلى موسى عليه
 السلام فأخبروه بالواقعة فأمرهم أن يكتبوا ما شاهدوه فلم يقبلوا قوله إلا رجلا منهم وهما يوشع وكالب
 فانهما ساهلا الأمر وقالاهي بلاد طيبة كثيرة النعم وقلوب القوم الذين فيها ضعيفة وإن كانت أجسامهم
 عظيمة وأما العشرة من النقباء فقد أوقعوا الجبن في قلوب الناس حتى أظهر والامتناع من غزوهم
 ورفعوا أصواتهم بالبكاء (قالوا يا موسى إن فيها) أي في الطور أو أريحا أو دمشق وفلسطين كل روى
 كل واحد من هذه الثلاثة عن ابن عباس (قوبا جبارين) أي طوا الأعداء أقويا فلا تصل أيدي
 قوم موسى إليهم فسموهم جبارين لهذا المعنى (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها) من غير صنع منا فإنه
 لا طاقة لنا بأخراجهم منها (فان يخرجوا منها) بسبب ليس منا (فأنا داخلون) قالوا هذ على سبيل
 الاستبعاد (قال رجلا من الذين يخافون) أي يخافون الله تعالى في مخالفة أمره ونهييه (أنعم الله
 عليهما) بالهداية والثقة بعون الله والاعتماد على نصرته الله وهما يوشع بن نون وهو الذي نبئ بعد موسى
 وهو ابن أخت موسى وكالب بن يوفناختن موسى وهو بفتح اللام وكسرها وقيل هما رجلا من الجبابرة
 أسماوا اجتماع موسى والموصول عبارة عن الجبابرة واليههم يعود العائد المحذوف والتقدير قال رجلا من

الجبارة الذين يخافهم بنو إسرائيل وهما رجلان منهم أنعم الله عليهما بالإيمان فآمنوا يشهد لهذا الوجه قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبنى للفعول (أدخلوا عليهم الباب) أي باب بلدهم أي باغثوهم وضاعثوهم في المضيق وامنعوهم من البروز إلى الصحراء لئلا يجذوا للحرب مجالا (فإذا دخلتموه) أي باب بلدهم (فأنكم غالبون) من غير حاجة إلى القتال فأنا شاهدنا أن قلوبهم ضعيفة وإن كانت أجسامهم عظيمة وانما جزم هذان الرجلان بالغلبة لأنهما كانا جازمين بنبوته موسى فلما أخبرهم موسى بأن الله تعالى أمرهم بالدخول في تلك الأرض قطعاً بأن النصر لهم والغلبة حاصلة في جهتهم (وعلى الله فتوكلوا) في حصول هذا النصر لكم بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فانها غير مؤثرة (إن كنتم مؤمنين) بصحة نبوة موسى ومقرين بوجود الإله القادر مصدق لوعده (قالوا يا موسى انالنا دخلها) أي أرض الجبارين (أبدا ما داموا فيها) أي أرضهم (فأذهب أنت وربك) انما قالوا هذه المقالة على وجه التمرد عن الطاعة أي على وجه مخالفة أمر الله فهم فسقة (فقاتلوا) هم (اناهنا قاعدون) عن القتال (قال) عليه السلام لما رأى منهم عناداً على طريق الحزن والشكوى إلى الله تعالى (رب اني لا أملك الانفسى وأخي) هرون أي لا أملك التصرف ولا ينفذ أمرى إلا في نفسي وأخي وانما قال ذلك تقليلاً لأن يوافقه ويجوز أن يكون المعنى الانفسى ومن يواخيني في الدين (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) أي احكم لنا بما نستحقه واحكم على القوم الخارجين عن طاعتنا بما يستحقونه وهو في معنى الدعاء عليهم (قال) الله يا موسى (فانها) أي الأرض المقدسة (محرمة عليهم) أي ممنوع عليهم من الدخول فيها (أربعين سنة يتيهون في الأرض) أي يتحسرون في البرية وكان طول البرية تسعين فرسخاً وقد تهاوا في تسعة فراعضاً في ثلاثين فرسخاً طولاً وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بي حلفت لأحر من عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدى يوشع وكالب ولا تيهنهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الأيام التي تجسوا سنة أي كانت مدة غيبة النقباء للتجسس أربعين يوماً ولأربعين جيفهم في هذه القفار أي ومات أولئك العصاة فيها وأهلك النقباء العشرة فيها بعقوبات غليظة وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشرفيد خلون تلك الأرض المقدسة اه قال ابن عباس وكلهم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يسيرون كل يوم جادين فإذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلمهم من الشمس وكان عمود نور يطلع بالليل فيضي لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملون ولا تطول شعورهم وهذه الانعامات عليهم مع أنهم معاقبون لما ان عقابهم كان بطريق التأديب وروى ان موسى وهرون كانا معهم ولكن كان ذلك لهما راحة وسلامة كالنار لأبراهيم وللملائكة العذاب عليهم السلام وزيادة في درجتها وعقوبة لهم ومشاهدتهم لها حال العقوبة أبلغ (فلأناس) أي لا تحزن (على القوم الفاسقين) قال مقاتل ان موسى لما دعا عليهم أخبره الله تعالى بأحوال التيهة ثم ان موسى عليه السلام أخبر قومه بذلك فقالوا له لم دعوت علينا وندم موسى على ما عمل فأوحى الله اليه لا تأس على القوم الفاسقين فانهم أحقاه بذلك لنفسهم (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) أي أذكركم يا كرم الخلق لقومك وأخبرهم خبر ابني آدم قابيل وهابيل ملتبساً بالصدق ليعتبروا به وهذه القصة دالة على ان كل ذي نعمة محسود فلما كانت نعم الله على سيدنا محمد أعظم النعم كان أهل الكتاب استخرجوا أنواع المكر في حقه صلى الله عليه وسلم حسداً منهم فكان ذلك هذه القصة تسلية من الله تعالى لرسوله قال محمد بن اسحق ان آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقاءيه ل واخته فلم تجد عليهما وحماً ولا وصلاً ولا طلقاً ولم ترد

ما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تعشاها لخمات بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وقال بعضهم غشي آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وأقليما في بطن ثم هابيل ولبودا في بطن فان حواء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وباريعة لاشيسا فانها وضعت مفردا ورضاعن هابيل وجملة أولاد آدم تسعة وثلثون في عشرين بطننا أولهم قابيل وتوأمته أقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أم المغيث ويتزوج كل من الذكور غير توأمته وأمر الله آدم ان يزوج قابيل لبودا اخت هابيل وينسكع هابيل أقليما اخت قابيل وهي أحسن من لبودا فاذكر ذلك آدم فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فقال له آدم انها لا تحل لك فأبى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمر بك بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا لله قربانا فايكما تقبل قربانه فهو أحق بأقليما وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فأكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلته الطير والسباع فخرجوا من عند آدم ليقربا بالقربان وكان قابيل قرب بصرة من قعر ردى وهابيل قرب كبشاً أحسن وقصد بذلك رضا الله تعالى فوضع اقربا بينهما على جبل ثم دعا آدم فتنزلت نار من السماء فأكلت قربان هابيل وقيل رفع الى الجنة فلم يرل يري فيها الى ان قدى به اسماعيل عليه السلام (اذقربا) أى كل منهما (قربانا) وهو اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة أو صدقة (فتقبل من أحدهما) وهو هابيل (ولم يتقبل من الآخر) وهو قابيل فأضمر لا خيه الحسد الى ان أتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب فأتى قابيل لهابيل وهو في غفلة (قال) لهابيل (لا تقتلنك) فقال هابيل ولم تقتلني قال قابيل لان الله تقبل قربانك ورد قرباني بوتريدان تشكع اختي الحسناء وأذكع أختك الذميمة فيحدث الناس بأذن خير مني ويفتخروا بك على ولدي (قال) هابيل وما ذنبي (انما يتقبل الله من المتقين) أى ان حصول التقوى شرط في قبول القربان (لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك) أى والله لئن باشرت قتلي حسب ما أوعدتني به وتحقق ذلك منك ما أنا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات (انى أخاف الله رب العالمين) في قتلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمحذبن مسلمة ألق كلك على وجهك وكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل (انى أريد أن تبوء بأثمي وأثمك) أى ان تحمل اثم قتلي وأثمك الذى كان منك قبل قتلي كما قاله ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة رضى الله عنهم (فتسكون من أصحاب النار) أى فتصير من أهل النار (وذلك جزاء الظالمين) روى ان الظالم اذا لم يجد يوم القيامة ما يرضى خصمه أخذ من سيئات المظلوم وحمل على الظالم (فطوعت له) أى سهلته (نفسه قتل أخيه فقتله) قال ابن جرير لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدرك كيف يقتله فقتل له ابليس وقد أخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضعه بحجر آخر وقابيل ينظر اليه فعلم منه القتل فوضع قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر روى عن عمرو بن خير الشعاني قال كنت مع كعب الاحبار على جبل ديرة تران فأراني لمعة حراما سائلة في الجبل فقال ههنا قتل ابن آدم أخاه وهذا أثر دمه جعله الله آية للعالمين (فأصبح) أى صار (من الخاسرين) بقتله ديناً ودنياً لانه أسخط والديه وبقي مذموماً الى يوم القيامة ولان له عقاباً عظيماً في الآخرة ولما قتل قابيل هابيل تركه بالعرا ولم يدري ما يصنع به لانه أول ميت من بنى آدم على وجه الارض فقصدته السباع لتأكله فحملته قابيل على ظهره في جراب أربعين يوماً وقيل سنة (فبعث الله غراباً يبحث في الارض) أى يحفر الحفرة بمنقاره ورجليه بعد قتل صاحبه ثم ألقاه فيها وأثار التراب عليه فقتل قابيل ذلك من الغراب (ليريه كيف يواري

سواء أخيه) واللام امامتعلقة ببعث حتما والخمير المستكن طائدا الى الله تعالى أو متعلقة ببعث
 أو ببعث والخمير راجع للغراب وكيف حال من ضمير يوارى العائد الى قابيل كالضميرين البارزين
 وهو معمول ليوارى وجملته معلقة لرؤية البصرية أو العرفانية المتعدية لمفعول قبل تعديتها بهمة
 النقل وبعده لاثنين وحيث ذك كيف في محل المفعول الثاني سادة مسددة والمراد بالسوءة الجسد لقبحه
 بعد موته (قال) أي قابيل (يا وليتا) أي ياهلاكي تعال وهي كلمة تستعمل عند وقوع الداهية
 العظيمة ولفظها لفظ النداء كان الويل غير حاضره فناداه ليحضره أي أيها الويل احضر فهذا وان
 حضورك (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سواءه أخي) أي فأعطى جسداً أخى بالتراب أي
 لما قتل قابيل أخاه تركه بالعراء استخفافاً به ولما رأى الغراب يدفن غراباً ميتاً رقيق قلبه وقال ان هذا
 الغراب لما قتل ذلك الآخر أخفاه تحت الارض أفأكون أقل شفقة من هذا الغراب (فأصبح من النادمين)
 على حمله لهاييل على ظهره سنة لانه لم يعلم الدفن الا من الغراب وعلى قتله لانه لم ينتفع بقتله ولانه لم يخط
 عليه بسببه أبواه واخوته فكان ندمه لاجل هذه الاسباب لانه لم يخط عليه باستخفافه بهاييل بعد
 قتله لانه تركه في العراء فلما رأى ان الغراب يدفن غراباً ميتاً ندم على قساوة قلبه وقال هذا أخى لانه لم يخط
 بلحمي ودمه مختلط بدمي فاذا ظهرت الشفقة من الغراب على غراب ولم تظهر مني على أخى كنت دون
 الغراب في الرحمة والاخلاق الحميدة فكان ندمه لهذه الاسباب لاجل الخوف من الله تعالى فلا ينفعه
 ذلك الندم قيل لما قتل قابيل هاييل هرب الى عدن من أرض اليمن فأتاه ابليس وقال اغماً كات النار
 قربان هاييل لانه كان يخدم النارو يعبدها فان عبدها أيضاً حصل مقصودك فبني بيت نار فعبدها وهو
 أول من عبد النار وروى انه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه
 وكيلاً قال بل قتلته ولذلك اسود جسدي ومكث آدم بعده مائة سنة لم يضحك قط (من أجل ذلك) أي
 المذكور من أنواع المفساد الحاصلة بسبب القتل الحرام وهي حصول خسارة الدين والدنيا وحصول الندم
 والحسرة والحزن في القلب والجوار والمجرور متعلق بكتبنا وهو ابتداء كلام فلا يوقف على اسم الإشارة
 فالوقف على قوله تعالى من النادمين تام هذا عند جمهور المفسرين وأصحاب المعاني ويرى عن نافع انه
 كان يقف على اسم الإشارة ويجعله من تمام الكلام الاول فيثبت الجار والمجرور متعلق بما قبله واسم
 الإشارة هائد على القتل أي من أجل ان قابيل قتل هاييل ولم يوار به بالتراب (كتبنا) أي أوجبنا في
 التوراة (على بني اسرائيل أنه) أي الشأب (من قتل نفساً) واحدة من بني آدم (بغير نفس) أي بغير
 قتل نفس يوجب الاقتصاص (أو فساد في الارض) أي أو بغير فساد يوجب اهدار الدم من كفر أو زنا
 أو قطع طريق وقرأ الحسن بنصب فساد باضمار فعل أي أرعمل فساداً (فكأنما قتل الناس جميعاً) في
 تعظيم أمر القتل العمد العدوان كما ان قتل كل الخلق أمر مستعظم عند كل أحد فالمقصود مشاركة
 الامرين في الاستعظام وكيف لا يكون مستعظماً وقد قال تعالى ومن يقتل مؤمناً متعمداً جزاؤه جهنم
 خالد فيها وغضب الله عليه واعنه وأعد له عذاباً عظيماً (ومن أحيها فكأنما أحيانا الناس) أي ومن
 خلاص نفساً واحدة من المهلكات كالحرق والعرق والجوع والمفرط والبرد والحرام المفرطين قال ابن عباس
 أي وجبت له الجنة بعفونفس كما لو عفا الناس (جميعاً) ولقد جاءتهم (أي بني اسرائيل) رسلاً
 بالبينات أي المعجزات (ثم ان كثير منهم بعد ذلك في الارض) أي بعد مجي الرسل وبعد ما كتبنا عليهم
 نحریم القتل (لمسرفون) في القتل لا يبالون بعظمته فانهم كانوا أشد الناس جراءة على القتل حتى كانوا

يقتلون الانبياء (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أى انما جزاء الذين يخالفون أحكام الله وأحكام رسوله أو انما مكافأة الذين يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله وهم المسلمون (ويسعون في الأرض فساداً) أى يعملون في الأرض مفسدين بالمعاصي وهو القتل وأخذ المال ظلماً (أن يقتلوا) واحد بعد واحد ان قتلوا (أو يصلبوا) ثلاثة أيام بعد القتل والصلاة عليهم وقيل يصلبون احياء ثم يزرع بطنهم برمح حتى يموتوا ان جمعوا بين أخذ المال والقتل (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) أى تقطع مختلفة بأن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ان اقتصر وأعلى أخذ المال من مسلم أو ذمى وكان المقدار بحيث لو قسم عليهم أصاب كلامهم نصاب السرقة (أو ينفوا من الأرض) ان أخافوا السبل قال أبو حنيفة النفي من الأرض هو الحبس وهو اختيار أكثر أهل اللغة قالوا والمحجوس قد يسمى منفياً من الأرض لانه لا ينتفع بشئ من طبيبات الدنيا ولذاتها ولا يرى أحداً من أحبائه فصار منفياً عن جميع اللذات والشهوات والطيبات فكان كالمنفى في الحقيقة وقال الشافعي هذا النفي محمول على وجهين الأول ان هؤلاء المحاربين اذا قتلوا وأخذوا المال فالامام ان أخذهم أقام عليهم الحدود ان لم يأخذهم طلبهم أبداً فكونهم خائفين من الامام هاربين من بلد الى بلد هو المراد من النفي والثاني القوم الذين يحضرون الواقعة ويكثرون جمع هؤلاء المحاربين ويخيفون المسلمين ولكنهم ما قتلوا وما أخذوا المال فان الامام يأخذهم ويعزهم ويحبسهم فالمراد بنفيهم عن الأرض هو هذا الحبس لا غير قال ابن عباس نزلت هذه الآية في قوم هلال بن عوير لانهم قتلوا قوماً من بني كنانة أرادوا الهجرة الى رسول الله ليسلموا فقتلهم وأخذوا ما كان معهم من السلب وقيل نزلت في قوم من عرينة وكانوا غمانيّة نزلوا المدينة مظهرين للإسلام فرضت أبدانهم واصفرت ألوانهم فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة ليشربوا من أبوالها وألبانها فيه محووا فلم يشرّبوا ومحووا قتلوا الراعى مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه يسار النوفى رماقوا الابل وكانت خمسة عشر فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عشرين فارساً أميرهم كرز بن جابر الفهري في طلبهم فحسبهم وأمرهم ففعلت أيديهم وأرجلهم ومهتأ أعينهم بأن أحسب مسامير الحديد وكحل بها أعينهم حتى ذهب ضوءها وتركوا في الحرة حتى ماتوا (ذلك) أى الحد (لهم خزي) أى هوان وفضيحة (في الدنيا) اذ لم تحصل التوبة أما عند حصول التوبة فان هذا الحد لا يكون على جهة الاستخفاف بل يكون على جهة الامتحان (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أى أشد عما يكون في الدنيا لم يتب (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) أى ان ما يتعلق من تلك الأحكام بحقوق الله تعالى يسقط بعد هذه التوبة وما يتعلق منها بحقوق الآدميين لا يسقط فهو هؤلاء المحاربون ان قتلوا انساناً ثم تابوا قبل القدرة عليهم لم كان ولي الدم على حقه في القصاص والعفو الا انه يزول وجوب القصاص بسبب هذه التوبة لا جواز القصاص وان أخذوا مالا وجب عليهم رده ولم يكن عليهم قطع اليد والرجل وان جمعوا بين القتل وأخذ المال فيسقط وجوب القتل ويجوز استيفاءه ويجب ضمان المال وعن علي رضي الله عنه ان الحرب بن بدر جاءه تائباً بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة أما اذا تاب القاطع بعد القدرة فالتوبة لا تنفعه وتقام الحدود عليه وقال الشافعي رحمه الله ويحتمل ان يسقط كل حد لله بالتوبة لان ما عزم المارجم أظهر توبته فلما تم عزمه مازجه مذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هلا تتركتموه وذلك يدل على ان التوبة تسقط عن المكاف كل ما يتعلق بحق الله تعالى وهذا التفصيل انما يكون للمسلم أما ان كان القاطع كافراً سقطت عنه الحدود مطلقاً لان توبته تدرأ عنه العقوبة

قبل القدرة وبعدها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) بترك المنهيات (وابتغوا إليه الوسيلة) بفعل
 المأمورات (وجاهدوا في سبيله) أي في سبيل عبوديته وطريق الاخلاص في معرفته وخدمته
 (لعلكم تفقهون) بنيل مرضاته وبالفوز بكراماته اعلم ان مجامع التكليف محصورة في نوعين أحدهما
 ترك المنهيات وهو المشار إليه بقوله تعالى اتقوا الله وثانيهما ما فعل المأمورات وهو المشار إليه بقوله تعالى
 وابتغوا إليه الوسيلة والمراد بطلب الوسيلة إليه تعالى هو تحصيل مرضاته وذلك بالعبادات والطاعات
 ولما أمر الله تعالى بترك ما لا ينبغي وبفعل ما ينبغي وكان الانقياد لذلك من أسقى الاشياء على النفس
 وأشد هائقا على الطبع لان النفس لا تدعو الا الى المشتهة واللذات المحسوسة أردف ذلك التكليف
 بقوله وجاهدوا في سبيله أي مجاربة أعدائه البارزة والسكينة ثم ان من يعبد الله تعالى فريقان منهم
 من يعبد الله لا لغرض سوى الله وهو المشار إليه بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله ومنهم من يعبد الله للتواب
 مثلاً وهو المشار إليه بقوله لعلكم تفقهون أي تفوزون بالمحسوب وتخلصون عن المكروه (ان الذين كفروا
 لو أن لهم) أي لو ثبت ان لكل واحد منهم (ما في الارض جميعاً) أي من أصناف أموالها وسائر
 منافعها قاطبة (ومثله معه ليفقدوا به) أي ليجعلوا كلا منهما فدية لانفسهم (من عذاب يوم القيامة)
 أي من العذاب الواقع يومئذ (ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) تصريح بعدم قبول الغداء وتصور للذوم
 العذاب فلا سبيل لهم الى الخلاص منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة رأيت
 لو كان لك ملء الارض ذهباً كنت تقف تدعى به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك فأبيت
 (يريدون أن يخرجوا من النار) بتحويل حال الى حال وقيل يتنون الخروج اذا دفعهم لهب النار الى
 فوق ويقصدونه وقيل يكادون يخرجون منها القوة النار ودفعها لهم وقيل يريدون الخروج بقلوبهم كما قرأ
 بعضهم ان يخرجوا بالبناء للفعل (وما هم بخارجين منها ولهم) أي الكافرين خاصة دون عصاة المؤمنين
 (عذاب مقيم) أي دائم لا ينقطع تارة بالبرد وتارة بالحرق وتارة بغيرهما (والسارق والسارقة فاقطعوا
 أيديهما) أي أيمانهم من الكويع كما يدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات
 فاقطعوا أيمانهم لانه صلى الله عليه وسلم أتى بسارق وهو طعمة فأمره بقطع يمينه من الرسغ (جزاء بما
 كسبا) أي لجزاء فعلهما (نكالا) أي للدهانة والذم (من الله) لجزاء مفعول من أجله وعامله
 فاقطعوا ونكالا مفعول من أجله وعامله جزاء على طريقة الاحوال المتداخلة كما تقول ضربت ابني
 تأديباً له احساناً اليه فالتأديب علة للضرب والاحسان علة للتأديب (والله عزيز) في انتقامه (حكيم)
 في شرائعه وتكاليفه (فمن تاب) الى الله تعالى (من بعد ظلمه) أي سرقته (وأصلح) بأن يتوب
 بنية صالحة صادقة وعزيمة صحيحة خالية عن سائر الاغراض (فان الله يتوب عليه) أي يقبل توبته
 تفصلاً منه واحساناً لا رجوعاً عليه (ان الله غفور رحيم) فلا يعذبه في الآخرة ولا يسقط عنه القطع
 بالتوبة بل يقطع على سبيل الامتحان عند الجمهور وقيل يسقط بها الحد وقال الشافعي ان عفا المستحق
 عنه قبل الرفع الى الامام سقط القطع (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) والمالك له أن يتصرف
 في ملكه كيف شاء (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير) فيقدر على التصرف
 الكلي فيهما وفيما فيهما بحسب ما تقتضيه مشيئته تعالى ونحن نعتقد ان المغفرة تابعة للشبهة في حق غير
 التائب (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن
 قلوبهم) أي لا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر وذلك بسبب احتيالهم في استخراج وجوه المكفر في

حق المسلمين وفي مبالغتهم في موالاة المشركين فاني ناصر لك عليهم وكافيلك شرهم وقرأنا نافع يحزنك بضم الياء
 وكسر الزاي وقرئ يسرعون من أمرع والباء متعلقة بقالوا لا بأفواهم قال ابن عباس نزلت هذه
 الآية في حق عبد الله بن أبي وأصحابه وقيل نزلت في عبد الله بن صهر يا (ومن الذين هادوا سماعون
 للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي ان هؤلاء القوم من اليهود لهم صفتان سماع الكذب في
 دين الله وفي طعن محمد صلى الله عليه وسلم من أجبارهم ونقله الى عوامهم وسماع الحق منك ونقله
 لأجبارهم ليحرفوه أي فيكونوا وسائط بينك وبين قوم آخرين والوسائط هم يهود بني قريظة كعب
 وأصحابه والعموم الآخرون هم يهود خيبر فهم لا يقربون مجلسه صلى الله عليه وسلم لبغضهم إياه وتكبرهم
 (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي يضع هؤلاء الأجبار الجلود مكان الرجم والطعن في محمد مكان
 المدح في التوراة (يقولون) أي المحرفون وهم القوم الآخرون للسماعين لهم عند القائهم اليهم
 أقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل (ان أوتيتهم) من جهة محمد (هذا) المحرف من جلد
 المحسن (نخذوه) أي فأقبلوا منه (وان لم تؤتوه فاحذروا) ولا تقبلوا منه قال المفسرون ان رجلاً
 وامرأة من أشرف أهل خيبر زيارتهما بمحسنان وكان حد الزنا في التوراة الرجم فكرهت اليهود
 رجمهما لما لشرفهما فأرسلوهما مع قوم منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم عن
 حكمه في الزانيين وقالوا ان أمركم بالجلد وتسويد الوجه فأقبلوا وان أمركم بالرجم فاحذروا ولا تقبلوا
 فلما سألوا رسول الله عن ذلك نزل جبريل بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام
 اجعل بينك وبينهم ابن صور يا فقال الرسول هل تعرفون شاباً أبيض أعور يسكن فداك يقال له
 ابن صور يا قالوا نعم فقال هو أي رجل فيكم فقالوا هو أعلم يهودي على وجه الأرض بما في التوراة فقال
 فأرسلوا اليه فأتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن صور يا قال نعم قال وأنت أعلم اليهود
 قال كذلك يزعمون فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أترضون به حكماً قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لم أنشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق
 آل فرعون والذي نزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال ابن صور يا
 نعم فوثب عليه سقطة اليهود فقال خفت ان كذبت أن ينزل علينا العذاب ثم سألت رسول الله عن أشياء كان
 يعرفها من علاماته فأجابها عنها فقال ابن صور يا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله النبي الامي العربي
 الذي بشر به المرسلون ثم أمر رسول الله بالزانيين فرجما عندي باب مسجده (ومن برد الله فتنه) أي
 ضلالتة وكفره (فلن تملك) أي تستطيع (له من الله شيئاً) على دفعها (أولئك) أي اليهود
 والمنافقون (الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم) أي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهم ما كهم
 فيهم ما (لهم في الدنيا خزي) أي ذل بالفضيحة للنافقين بظهور نفاقهم بين المسلمين وخوفهم من قتل المسلمين
 إياهم والجزية والافتضاح لليهود بظهور كذبهم في كتمان التوراة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو
 الخلود في النار (سماعون للكذب) الذي كانوا ينسبونه الى التوراة (أكلون للسحت) أي الحرام
 الذي يصل اليهم من الرشوة في الحكم ومهر البغي وعسب الفعل وكسب الحجام وخن السكب وخن الخمر
 وخن الميتة وحلوان الكاهن والاستنجار في المعصية روى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس وأبي
 هريرة ومجاهد (فان جاؤك) متحايكين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات (فاحكم بينهم أو أعرض
 عنهم) ومذهب الشافعي أوجب على حاكم المسلمين أن يحكم بين أهل الذمة اذا تحاكموا اليه لان في أمضاء

حكم الاسلام عليهم ذلهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم أن يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخير الذي في هذه الآية مخصوص بالمعاهدين ولو ترفع اليها ميان في شرب خمر لم تحدهما وان رضيا بحكمنا لانهم لا يعتقدان تحريمها ولو ترفع اليها مسلم وذمي وجب الحكم بينهما اجماعا وكذا الذمي مع المعاهدين (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) أى فانهم كانوا لا يتحاجون اليه صلى الله عليه وسلم الا لطلب الاخف فاذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم اعراضه عنهم وصاروا أعداء له فلا تضره عداوتهم له فان الله يعصمه من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أى بالعدل الذي أمرت به (ان الله يحب المقسطين) أى يشيب العادلين في الحكم (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك) استفهام تهجيب من الله تنبيه من تحكيمهم اياه صلى الله عليه وسلم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال أن الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيهه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو أهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم ثم يعرضون عن حكمه صلى الله عليه وسلم الموافق لكتابهم من بعد التحكيم والرضا بحكمه صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التوراة وقوله تعالى ثم يتولوا معطوف على يحكمونك (وما أولئك) أى البعداء من الله (بالؤمنين) بالتوراة وان كانوا يظهرون الايمان بها ولا يكفون ولا يعتقدون في صحة حكمها وان طلبوا الحكم منك وذلك دليل على أنه لا ايمان لهم بشئ وأن مقصودهم تحصيل منافع الدنيا فقط (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) أى بيان الاحكام والشرائع والتكاليف (ونور) أى بيان للتوحيد والنبوة والمعاد (يحكم بها) أى التوراة (النيبون الذين أسلموا) أى انقادوا للحكم التوراة فان من الانبياء من لم تكن شريعته شريعة التوراة والذين كانوا منقادين لحكم التوراة هم الذين كانوا من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليه السلام وبينهما ألف نبي وكلهم بعثوا باقامة التوراة حتى يحدوا حدودها ويقوموا بفرائضها ويحلوا حلالها ويحرموا حرامها وقال الحسن والزهرى وعكرمة وقتادة والسدي يحتمل أن يكون المراد بالنيبين الذين أسلموا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه حكم على اليهوديين بالرجوع وكان هذا حكم التوراة وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيم ماله ولانه قد اجتمع فيه من خصال الخير ما كان حاصله لا كثيرا لانبياء وقال ابن الانباري هذا رد على اليهود والنصارى لان بعضهم كانوا يقولون الانبياء كلهم يهود أو نصارى فرد الله عليهم بذلك أى فان الانبياء ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين أى منقادين لتكاليف الله تعالى وفي ذلك تنبيه على قبح طريقة هؤلاء اليهود المتأخرين فان غرضهم من ادعاء الحكم بالتوراة أخذ الرشوة واستتباع العوام وتعريضهم بأنهم بعدد واعن الاسلام الذي هو دين الانبياء عليهم السلام (لذين هادوا) متعلق بهكم أى يحكمون بها فيما بين اليهود (والرانيون والاحبار) أى ويحكم بها العلماء المجتهدون لديننا عن الدنيا وسائر العلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين (بما استحفظوا) أى بسبب الذي استحفظوا من جهة النبيين (من كتاب الله) وهو التوراة فان الانبياء سألوا الرانيين والاحبار أن يحفظوا التوراة من التغيير والتبديل وذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في اجراء احكامها من غير اخلال بشئ منها (وكانوا عليه) أى ذلك الكتاب (شهداء) أى كان هؤلاء النبيون والرانيون والاحبار شهداء على أن كل ما في التوراة حق وصدق وأنه من عند الله فحقا كانوا يعصون

أحكام التوراة ويحفظونها عن التحريف والتغيير (فلا تخشوا الناس) أيها اليهود (واخشوني) أي
 أيكم وأن تحرقوا كتابي للنفوس من الناس والمالوك والاشراف فتسقطوا عنهم الحدود لواجبة عليهم
 وتستخف جوارحهم في سقوط تكاليف الله تعالى عنهم فلا تكونوا خائفين من الناس بل كونوا خائفين مني
 ومن عقابي في كتابي الأحكام ونعوت محمد صلى الله عليه وسلم (ولأنشتر وأبأيتي غنا قليلا) أي
 ولا تستبدلوا بآياتي التي في التوراة عرضا قليلا من الدنيا أي كأنهيتكم عن تغيير أحكامي لأجل الخوف
 فكذلك أنماكم عن التغيير والتبديل لأجل الطمع في المال والجاه وأخذ الرشوة فإن كل متاع الدنيا
 قليل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس ومن لم يبين ما بين الله في
 التوراة من نعت محمد وآية الرجم فأولئك هم الكافرون بالله والرسول والكتاب وقال عكرمة أي ومن لم
 يحكم بما أنزل الله منكره بقلبه وجاحده بلسانه فقد كفر أما من عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه
 ذلك إلا أنه حكم بضده فهو ظالم فأسق لتركه حكم الله تعالى (وكتبنا عليهم فيها) أي فرضنا على بني
 إسرائيل في التوراة (أن النفس) مقتولة (بالنفس والعين) مفعولة (بالعين والانف) مجدوع
 (بالانف والأذن) مقطوعة (بالأذن والسن) مقلوعة (بالسن والجروح قصاص) أي ذات
 قصاص إذا كانت بحيث تعرف المساواة كالشفتين والذكروا لأنثيين والقدمين واليمين فإماما لا يمكن
 القصاص فيه من رض في لحم أو كسر في عظم أو جراحة في بطن يخاف منه التلف ففيه إرش وحكومة
 قرأ الكسافي العين والانف والأذن والسن والجروح كلها بالرفع وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو
 بنصب غير الجروح فانه بالرفع وقرأ نافع وعاصم وحزرة بنصب الكل وخبر الجميع قصاص (فن تصدق
 به) أي بالقصاص من المستحقين (فهو) أي التصدق (كفارة له) أي للتصدق يكفر الله تعالى بها
 ذنوبه أي إذا عفا الجروح أو ولي المقتول كان ذلك العفو كفارة للعافي كما قال صلى الله عليه وسلم أي يهز
 أحدكم أن يكون كافي ضمه كان إذا خرج من بيته تصدق بعرضه على الناس وروى عبادة بن
 الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تصدق من جسده بشئ كفر الله تعالى عنه بقدره من
 ذنوبه وقيل إن المجنى عليه إذا عفا عن الجاني صار ذلك العفو كفارة للجاني وسقط عنه ما لزمه فلا يؤاخذ الله
 تعالى بعد ذلك العفو وأما المجنى عليه الذي عفا فاجره على الله تعالى ثم القاتل يتعلق به ثلاثة حقوق حق لله
 تعالى وحق للمقتول وحق للولي فإذا سلم القاتل نفسه طوعا واختيارا إلى الولي فمأفول خوف من الله
 تعالى وتوبة نصوحا سقط حق الله تعالى بالتوبة وحق الأولياء بالاستيفاء أو الصلح أو العفو وبقي حق
 للمقتول يعرضه الله عنه يوم القيامة عن عبده التائب ويصلح بينه وبينه ولو سلم القاتل نفسه اختيارا من
 غير ندم وتوبة أو لم يكن من نفسه بل قتل كرها فيسقط حق الوارث فقط ويبقى حق الله تعالى لانه
 لا يسقطه إلا التوبة ويبقى حق المقتول أيضا ويطلبه في الآخرة لأن القاتل لم يسلم نفسه تائباً ولم يصل
 منه للمقتول شئ (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) بالتعصير في حق النفس لابقاء
 النفس في العقاب الشديد والتدين بترك حكم الله نهاية الظلم وهو الكفر لأنكار نعمة الله تعالى وبجدها
 (وقفينا على آثارهم) أي أتبعنا على آثار النبيين الذين يحكمون بالتوراة (بعيسى بن مريم مصدقا
 لما بين يديه) أي لما قبل عيسى عما أتى به موسى (من التوراة) ومعنى كون عيسى مصدقا للتوراة
 أنه أقرب إليه كتاب منزل من عند الله تعالى وأقرب إليه كان حقاً واجب العمل به قبل ورود النسخ (وآتيناه
 الإنجيل فيه هدى) لاشتماله على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه وبراهين الله تعالى عن الزوجة

والولدوا لمثل والصدوق على النبوة وعلى المعاد (ونور) لانه بيان للاحكام الشرعية ولتفاصيل
 بالتكاليف (ومصدق المابين يديه) أى لما قبل الانجيل (من التوراة) وهذا المنسوب معطوف على محل
 فيه هدى وهو النصب على الحال أى موافقا لما فى التوراة من أصول الدين ومن بعض الشرائع ومن كون
 الانجيل مبشرا بجمع محمد صلى الله عليه وسلم (وهدى) لاشتماله على البشارة بجمعى محمد صلى الله عليه
 وسلم فهو سبب لا يعتد به الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذه المسئلة أشد المسائل احتياجا الى
 البيان فالانجيل يدل دلالة ظاهرة عليها لكثرة المنازعة بين المسلمين واليهود والنصارى فى ذلك
 (وموعظة للآتين) لاشتماله على النصائح والزواجر وانما خص الموعظة بالمتقين لانهم الذين يتفعلون
 بها (واحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن
 الاحكام التى لم تنسخ بالقرآن فان الحكم بالاحكام المنسوخة ليس حكما بما أنزل الله فيه بل هو تعطيل له
 اذ هو شاهد بنسخها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وقرآن جزء ولحكم بكسر
 اللام ونصب الفعل بأن مضمرة بعد لام كي وهو متعلق بمقدراى وآتيناه الانجيل ليحكموا به وقرأ الباقون
 ليحكم بسكون اللام وجرم الفعل بلام الامر (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) أى
 الخارجون عن الايمان ان كان مستهينا به وعن طاعة الله ان كان لا اتباع الشبهوات (وأزلنا اليك
 الكتاب) أى القرآن (بالحق) أى ملتبسا بالصديق والجار والمجرور متعلق بمحذوف وقع حالا من
 الكتاب أو من فاعل أنزلنا ومن الكاف فى اليك (مصدق المابين يديه) أى لما تقدمه (من الكتاب)
 أى من كل كتاب نزل من السماء سوى القرآن (ومهيمننا عليه) أى شاهدنا على الكتب كلها لان
 القرآن هو الذى لا ينسخ ولا يتطرق اليه التبديل والتحريف واذا كان كذلك كانت شهادة القرآن
 على سائر الكتب صدق باقية وقرأ ابن محيصن ومجاهد مهيمنا بفتح الميم الثانية فان القرآن يسان عن
 التحريف والتبديل والحافظ هو الله تعالى (فاحكم بينهم) أى بين جميع أهل الكتاب اذا ترفعوا
 اليك (بما أنزل الله) فان ما أنزل الله اليك وهو القرآن مشتمل على جميع الاحكام الشرعية (ولا تتبع
 أهواءهم عما جاءك من الحق) وعن متعلقة لا تتبع على تضمن معنى تفرح ونحوه أى لا تحرف عما
 جاءك من الحق متبعاً أهواءهم (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) أى لكل واحد من الامم الثلاثة
 أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد جعلنا منكم أيها الامم شريعة وهى العبادة التى أمر الله بها عباده
 ومنهاجا أى طريقا واضحا يودى الى الشريعة فالتوراة شريعة للامة التى كانت من مبعث موسى الى
 مبعث عيسى والانجيل شريعة من مبعث عيسى الى مبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن شريعة
 للوجودين من سائر المخلوقات فى زمنه صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ليس الا والدين واحد وهو
 التوحيد (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) أى جماعة متفقة على شريعة واحدة فى جميع الاعصار
 من غير اختلاف ولا نسخ ولا تحويل أو المعنى لجعلكم ذوى أمة واحدة أى دين واحد (ولكن ليلوكم
 فيما آتاكم) أى ولكن لم يشأ الله أن يجعلكم أمة واحدة بل شاء أن يختبركم فيما أعطاكم من
 الشرائع المختلفة المناسبة للارمنة والجماعة هل تعلمون بما منقادين لله معتقدين أن اختلافها مبنى على
 الحكم اللطيفة والمصالح النافعة لكم أم تتبعون الهوى وتقصرون فى العمل (فاستمقوا الخيرات)
 أى اذا كان الامر كذا كرسار عوا يا أمة محمد الى ما هو خير لكم فى الدارين وابتدروا انتهازا للفرصة
 وحيازة لفضل السبق (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تحتلفون) فى الديان امر

الدين أي فيخبركم بما لا تشكون فيه من الجزاء الفاصل بين الحق والمبطل والموفى والمقصّر في العمل فإن
الامر سوف يرجع الى ما يحصل معه اليقين وذلك عند مجازاة المحسن باحسانه والمسيء باسائه (وأن احكم
بينهم) أي بين أهل الكتاب اذا اتحاكموا اليك (عما أنزل الله) وهذه الجملة معطوفة على الكتاب أي
أنزلنا اليك الكتاب والحكم بينهم وذكر انزال الحكم لتأكيد وجوب امتثال الامر أعلى قوله بالحق أي
أنزلنا اليك الكتاب بالحق وبالحكم وذكر انزال الامر بالحكم بعد الامر الصريح به تأكيداً كيلا يمتنعوا
لمابعده ولأن الآيتين حكمان أمر الله بهما جميعاً لانهم احتسبوا اليه صلى الله عليه وسلم في زنا المحصن ثم
احتسبوا في قتل كان فيهم (ولا تتبع أهواءهم) في عدم قتل الشريف بالوضع وعدم قتل الرجل
بالمرأة (واحذرهم أن يقتنوك) أي يعلوك (عن بعض ما أنزل الله اليك) ويردوك الى أهوائهم
وكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة أدوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا
اليهم الدية كاملة ويقتلون النفس بالنفس ويقفون العيينة بالعين فغير واحكم الله الذي أنزه في
التوراة فها هم يخالفون قال ابن عباس ان كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم
لبعض اذ هبوا بنا الى محمد لعلمنا نقتنه أي نصره عن دينه فأتوه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم قد
عرفت انا أحبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك
فاقض لنا عليهم نؤمن بك فأي ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية فقوله تعالى
أن يقتنوك بدل اشتمال من المفعول أي واحذرهم فنتتهم أو مضاف اليه لمفعول من أجله أي احذرهم
مخافة أن يقتنوك أي يصرفوك عن الحق ويلقوك في الباطل (فان تولوا) أي أعرضوا عن الحكم بما
أنزل الله تعالى وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أي أن يبتليهم بجزء بعض
ذنوبهم في الدنيا وهو أن يسلط عليهم ويعذبهم في الدنيا بالقتل والجلاء والسبي فالقوم جوزوا في الدنيا
ببعض ذنوبهم وذلك كاف في اهلاكهم (وان كثير من الناس) أهل الكتاب وغيرهم (لغاسقون)
أي خارجون عن دائرة الطاعات ومعادن السعادات (أحكم الجاهلية يبعثون) قرأ ابن عامر تبغون
بالتاء على الخطاب وقرأ السلي برفع حكم على انه مبتدأ وقرأ قتادة أبحكم بالياء الجارة بدل الفاء قرئ
لحكم بفتح الفاء والكاف أي أفيطلبون كما حكم الجاهلية وهي اما الملة الجاهلية التي هي متبعة
الهوى الموجبة للدهانة في الاحكام واما أهل الجاهلية قال مقاتل كانت بين قريظة والنضير دماء قبل أن
يبعث الله محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير
أخواننا أبونا واحد وديتنا واحد وكتابتنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلاً اعطونا سبعين وسقاً من تمر
وان قتلنا منهم واحداً أخذوا منا مائة وأربعين وسقاً من تمر وأروش جراحاتنا على النصف من أروش
جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أحكم أن دم القرظي كدم النضري
ليس لاحدهما فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة فغضب بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك
عدو لنا فأنزل الله تعالى هذه الآية (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) فانهم هم الذين يعرفون انه
لا أحد أعدل من الله حكماً ولا أحسن منه بياناً (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء)
أي لا تعمدوا على الاستنصار بهم ولا تعاشرهم ومعاشرة الاحباب روى ان عباد بن الصامت جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتيبرأ عنده من موالاة اليهود فقال عبد الله بن أبي ريثس المنافق لكني
لا أتيبرأ منهم لاني أخاف الدوائر فنزلت هذه الآية وقال السدي لما كانت واقعة أحداث الامر على طائفة

من الناس وتخوفوا ان تدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بغلان اليهودى وأخذ منه أمانا
انى أخاف أن تدال علينا اليهود وقال رجل آخر أنا ألحق بغلان النصراني من أهل الشام وأخذ منه أمانا
فأنزل الله هذه الآية وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن المنذر بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة
حين حاصروهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا لجعل أصبعه في حلقه أى انه يقتلكم
(بعضهم أولياء بعض) أى بعض كل فريق من ذينك الفريقين أولياء بعض آخر من ذلك الفريق
لا من الفريق الآخر (ومن يتولهم منكم) يا معشر المؤمنين (فانه منهم) أى فهو من أهل دينهم فانه
لا يوالى أحدا أحدا الا هو وعنه مراض فاذ ارضى عنه رضى دينه فصار من أهله دينه وهذا على سبيل
المبالغة في الزجر عن اظهار صور الموالاة لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة أولان الموالين كانوا منافقين
(ان الله لا يهدي القوم الظالمين) بموالاة الكفار روى عن أبي موسى الاشعري انه قال قلت لعمر بن
الخطاب ان لي كتابا ن كان نصرانيا فقال مالك قاتلك الله الا اتخذت حنيفا ما سمعت قول الله تعالى يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء قلت له دينه ولى كتابته فقال لا أكرمهم اذا هانهم الله
ولا أعزهم اذا ذلهم الله ولا أدفنيهم اذا بعدهم الله قلت لا يتم أمر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام
والمعنى اجعله في ظنك انه قد مات فمات عمل بعد موته أى فاعمله الآن ميتا واستغن عنه بغيره (فترى الذين
في قلوبهم مرض) بالتناقض ورخاوة العقل في الدين كعبد الله بن أبي ربيعة (يسارعون فيهم) أى
في موادة يهود بني قيناع ونصارى نجران لانهم كانوا أهل ثروة يقرضونهم ويعينونهم على مهماتهم
(يقولون) معتذرين عنها الى المؤمنين (نخشى) أى نخاف خوفا شديدا (أن تصيبنا دأثرة) من دوائر
الدهر كالهزيمة والحوادث المخوفة وتكون الدولة للكفار وتقال الدأثرة في المكره كالجذب والقطط وتقال
الدولة في المحبوب وقال الزجاج أى نخشى أن لا يتم الامر لمحمد في دور الامر كما كان قبل ذلك (فعسى الله
أن يأتي بالفتح) رسول الله على أعدائه وللأسلمين على أعدائهم وباطهار الدين (أو أمر من عنده) بقطع
أصل اليهود أو باخراجهم عن بلادهم وعسى بمنزلة الوعد وهو من الله تعالى واجب (فيصبحوا على
ما أسروا في أنفسهم نادمين) أى فيصبر هؤلاء المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم من ان الدولة
أى الغلبة لا أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يشكون في أمر الرسول ويقولون لا نظن
انه يتم له أمره (ويقول الذين آمنوا) قرأه عاصم وحزمة والكسائي بالرفع مع اثبات الواو كما في مصاحف
أهل العراق على الاستثفاف وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بالرفع مع حذف الواو كما في مصاحف
أهل الحجاز والشام على أن الجملة مستأنفة استأنافا يائيا في جواب سؤال نشأ من قوله تعالى فعسى
الله أن يأتي بالفتح كأن القائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقل يقول الذين آمنوا الخ وقرأ
أبو عمرو بالنصب مع الواو عطف على يصبحوا الأعلى يأتي لان ذلك القول انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور
ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى يقول المؤمنون مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين
كانوا يولونهم ويرجون دولتهم عند مشاهدتهم لانعكاس رجائهم تعريضا بالمخاطبين (أهؤلاء الذين
أقسموا بالله جهد أيمانهم) أى غاية إيمانهم (انهم لعنكم) بالمعونة فان المنافقين حلفوا لليهود
بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم بقوله وان قوتلتم لننصرنكم أو المعنى يقول المؤمنون بعضهم لبعض
مشيرين للمنافقين متجهين من حالهم متجهين بآمن الله عليهم من اخلاص الايمان عند مشاهدتهم
لاظهارهم الميل الى موالاة اليهود والنصارى انهم كانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم انهم معناني ديننا في

السرو من أنصارنا فالآن كيف صاروا موالين لا عدائنا محبين للاختلاط بهم والاعتضاد بهم وهذا
نسب لقراءة الرفع مع اثبات الواو على الاستثناف أما المعنى الأول فهو أنسب لقراءة النصيب ولقراءة الرفع
مع حذف الواو ولقراءة الرفع مع الواو يجعل عطف جملة على جملة والله أعلم (حبطت أعمالهم) أي
بطل ما أظهره ومن الأيمان وبطل كل خير عمله لاجل أنهم الآن أظهروا موالاة اليهود والنصارى
(فأصبحوا خاسرين) في الدنيا والآخرة فاستحقوا اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة (يا أيها الذين آمنوا
من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قرأ ابن عامر ونافع يرتدون بفتح الهمزة
وهذا من السكتات التي أخذ برعنها القرآن قبل وقوعها روى أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشر فرقة
ثلاثة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولى بنو مدلج ورئيسهم ذو الحار وبلقب بالأسود كان له حمار
يقول له قف فيقف وسرفيسير وكانت نساء أصحابه يتعطرون بروث حمارة وكان كاهنا دعي النبوة
فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن وأمرهم بالنهوض إلى حراب
الأسود فقتله فبر وزالديلي على فراشه والثانية بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلة الكذاب ادعى النبوة
في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي بعث أبو بكر خالد بن الوليد في جيش كبير وقتل على يد
وحشى الذي قتل حمزة رضي الله عنه والثالثة بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد ادعى النبوة فبعث
أبو بكر خالد فهزمهم وأفلت طليحة ففهر بنحو الشام ثم أسلم أيام عمر وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي
بكر الأولى فزاره قوم عيينة بن حصن والثانية غطفان قوم قرينة سلمة القشيري والثالثة بنو سليم قوم
النجاة بن عبد الليل والرابعة بنو يربوع قوم مالك بن نويرة والخامسة بعض عجم قوم مجاع بن المنذر وهي
ادعت النبوة وزوجت نفسها مسيلة الكذاب والسادسة كندة قوم الأشعث بن قيس والسابعة بنو بكر بن
وائل بالبحرين قوم الحظم بن زيد فكنى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة في
عهد عمر وهي غسان قوم جبلة بن الأيهم وذلك أن جبلة أسلم على يد عمر وكان يطوف فوطى رجل طرف
ردائه فغضب فلطمه فاشتكى الرجل إلى عمر فغضب له بالقصاص عليه إلا أن يعفو عنه فقال أنا اشتريها
بألف فأبى الرجل فلم ير له يد في الغداء إلى أن بلغ عشرة آلاف فأبى الرجل إلا القصاص فاستنظر عمر
فأنظره ففهر بنو جبلة إلى الروم ردت والمراد بقوم يحبهم ويحبونه كما قال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة
والضحاك وابن جريج هم أبو بكر وأصحابه لأنهم الذين قاتلوا أهل الردة ومعنى يحبهم أي يلهمهم الطاعة
ويشبههم عليها ومعنى يحبونه أي يطيعون لأوامره تعالى ونواهييه (أذلة على المؤمنين) أي عاطفين
عليهم (أعزة على الكافرين) أي شداد عليهم كما قال صلى الله عليه وسلم أرحم أمي بأمي أبو بكر وكان
أبو بكر في أول الأمر حين كان رسول الله في مكة يذب عنه ويلازمه ويخدمه ولا يبالي بأحد من جبابرة
الكفار وشياطينهم وفي وقت خلافته كان يبعث العسكر إلى المرتدين وإلى مانعي الزكاة حتى أنهزموا
وجعل الله ذلك مبدأ لدولة الإسلام (يجاهدون في سبيل الله) أي لنصرة دين الله (ولا يخافون لومة
لأثم) فالواو للعال أي بخلاف المنافقين فانهم كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فن كانوا ياف
الدين فلا يخافون نصرة دين الله بيده ولسانه لومة لأثم وهذا الجهاد مشترك فيه بين أبي بكر وعلى إلا أن
حظ أبي بكر في الجهاد أتم لأن مجاهدة أبي بكر مع الكفار في أول البعث وفي ذلك الوقت كان الإسلام في
غاية الضعف والكفر في غاية القوة وكان يجاهد الكفار ويذب عن رسول الله بغاية وسعه وأما على فإنه
كان جهاده في بدر وأحد وفي ذلك الوقت كان الإسلام قويا وكانت العساكر محتمة فثبت أن جهاد أبي

بكر كان أكل من جهاد على لوجهين لتقدمه على جهاد على في الزمان ولأنه كان وقت ضعف الاسلام
 (ذلك) أي وصف القوم بالحبية والشفقة والقوة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة الواحدة (فضل الله
 يؤتيه من يشاء والله واسع) أي كامل القدرة فلا يهجز عن هذا الموعود (عليم) أي كامل العلم فيمنع
 دخول الخلق في أخباره ومواعيده (انما وليكم الله) أي انما ناصركم ومونسكم الله (ورسوله
 والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) أي منقادون لجميع أوامر الله
 ونواهيها قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال أنابرى إلى
 الله من حلف قريظة والنضير وأولى الله ورسوله والمؤمنين وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن
 سلام وذلك انه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير يريدون
 واقتسموا ان لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة أحدكم ابك بعد المنازل فنزلت هذه الآية فقرأها النبي عليه فقال
 رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين وأوليائه والمراد بالمؤمنين المذكورين عامة المؤمنين والمراد بك هذه
 الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين وقيل المراد أبو بكر وقيل على لما روى ان عبد الله بن سلام قال لما
 نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله أنارأت عليا تصدق بخاتمته على محتاج وهو راكع فنحن نتولاه (ومن
 يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) أي من يتخذهم أولياء في النصرة فانهم جند
 الله وجند الله هم الغالبون على أعدائهم بالحجة فانها مستمرة أبداً ما بالصولة والدولة فقد يغلبون (يا أيها
 الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً أي هخرية (ولعباً) أي فحكة (من الذين أتوا الكتاب
 من قبلكم) أي اليهود والنصارى (والكفار) أي المشركين كعبدة الاوثان (أوليائه) في العون
 والمعنى ان القوم لما اتخذوا دينكم هزواً وهخرية فلا تتخذوهم أحباباً وأنصاراً فان ذلك كالأمر الخارج
 عن العقل والمروءة * روى ان رفاعه بن زيد وسويد بن الحرث أظهرا الايمان ثم نافقا وكان رجال من
 المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية وقرأ أبو عمرو والكسائي والكفار بالجرو يعصده
 قراءة أبي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين أشركوا فهم من جملة المستهزئين أيضاً بخلاف قراءة
 الباقي بالنصب فلا يفيد انهم منهم وانما يسى استفاد ذلك من آية أخرى (واتقوا الله) في موالاتهم (ان
 كنتم مؤمنين) أي حقاً فان قضية الايمان توجب الاتقاء بلا شك (و) أولئك الذين اتخذوا دين المسلمين
 هزواً ولعباً هم الذين (اذناديتهم إلى الصلاة) بالاذان والاقامة (اتخذوها) أي الصلاة والمناداة
 (هزواً ولعباً) أي لما اعتدوا الله ليس فيها فائدة ومنفعة في الدين والدنيا قالوا انها لعب روى الطبراني
 ان نصرانياً بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول أشهدان محمد رسول الله قال أحرقت الله الكاذب فدخل
 خادمه ذات ليلة بنار أهل نيسام فتطايروا في البيت فأحرقوه وأهله وقيل كان المنافقون من اليهود
 يتضاحكوا عند القيام إلى الصلاة تنفير للناس عنها وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان
 دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئاً لم يسمع بمثله فيمضى فان كنت نبياً
 فقد خالفت الانبياء قبلك فن أن لا يصباح كصباح العير فأتق هذا الصوت وهذا الأمر فانزل الله ومن
 أحسن قولاً عن دعا إلى الله الآية وانزل واذناديتهم إلى الصلاة الآية وقد دلت هذه الآية على ثبوت الاذان
 بنص الكتاب العزيز لا بجناس الأصحاب وحده وجملة واذناديتهم إلى الصلاة اتخذوها من الشرط والجواب
 صلة ثانية للوصول إلى الجرو وعن البيانية وفي الحقيقة ان قوله اتخذوها معطوف على أتوا وان قوله اذا
 ناديتهم ظرف له كأنه قيل ومن الذين اتخذوها هزواً ولعباً وقت أذانكم والله أعلم (ذلك) أي الاستهزاء

المذكور (بأنهم قوم لا يعقلون) أى لو كان لهم عقل كامل لعلموا ان خدمة الخالق المنعم بغاية التعظيم لا تكون مهزوة بها فانه أحسن أعمال العباد وأشرف أفعالهم ولذلك قال بعض الحكماء أشرف الحركات الصلاة وأنفع السككات الصيام (قل) يا أشرف الخلق لليهود (يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله) أى ما تكبرهون من أحوالنا إلا الايمان بالله (وما أنزل اليك) أى بالقرآن (وما أنزل من قبل) أى بما أنزل من قبل أنزال القرآن من التوراة والانجيل وسائر الكتب الالهية (وأن أكثركم فاسقون) وقرأ الجمهور أن بفتح الهمزة أى وما تكبرهون من أوصافنا إلا ايماننا بما ذكرنا واعتقادنا بأن أكثركم خارجون عن الايمان بما ذكرنا بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدق به بلا شك وقرأ نعيم ابن مسيرة ان بالكسر على الاستثنا (قل هل أنبشكم بشر من ذلك) أى عما قلتم لمحمد وأصحابه روى انه أتى نفر من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن دينه فقال صلى الله عليه وسلم نؤمن بالله وما أنزل اليك قوله ونحن له مسلمون حين معوا منه صلى الله عليه وسلم ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم فنزلت هذه الآية أى هل أخبركم بما هو شر مما تعتقدونه شرا (مثوبة) أى عقوبة (عند الله) فثوبة تمييز لشر معنى عقوبة للتهكم (من لعنه الله) فمن موصولة بدل من شراى من أبعد الله من رجهته (وغضب عليه) أى مخطط عليهم بانهم ما كهم بعد سنوح البيئات (وجعل منهم القردة) فى زمن داود عليه السلام وهم أصحاب السبت (والخنازير) فى زمن عيسى عليه السلام بعد أن كلهم من المائدة فكفروا وروى أيضا ان المسخين كانوا فى أصحاب السبت لان شبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير (وعبد الطاغوت) أى من أطاع أحدا فى معصية الله كالكهنة وهو معطوف على صلة من كرامة أى وعبدوا الطاغوت كما أفصح على ذلك قراءة ابن مسعود ومن عبدوا الطاغوت وكقراءة الاعمش والنخعي وعبد مبنيا للمفعول وكذا على قراءة عبد بفتح العين وضم الباء على وزن كرم أى صار الطاغوت معبودا من دون الله تعالى ورفع الطاغوت على هاتين القراءتين قال ارجع الى الموصول محذوف فيها أى عبد الطاغوت فيهم أو بينهم وقرأ حمزة عبد الطاغوت بفتح العين وضم الباء ونصب الدال وجر الطاغوت وهو مفرد راد به الكثرة أى بالغ الغاية فى طاعة الشيطان وهو معطوف على القردة كقراءة عابد الطاغوت وعابدى وعبادة وعبيد وعبد بضمين وعبد بوزن كفرة وعبد بفتحين جمع عابد تخدم جمع خادم وقرئ وعبد الطاغوت بجر عبد عطف على من بناء على انه مجرور وعلى انه بدل من شر والسبعية اثنتان أولاها عبد الطاغوت على ان عبد فعل ماض مبنى للفاعل وفيه ضمير عائذ على من وهذه قراءة غير حمزة وثانيهما قراءته وغيرهما قراءات شاذة (أولئك) الملعونون المسوخون (شر مكانا) من المؤمنين لان مكانهم سقر ولا مكان أشد شرا منه أو المعنى أولئك الملعونون المغضوب عليهم المجهول منهم القردة والخننازير العابدون الطاغوت شر مكانا من غيرهم من الكفرة الذين لم يجمعوا بين هذه الخصال الذميمة (وأضل عن سواء السبيل) أى أكثر ضلالا عن الطريق المستقيم قال المفسرون لما نزلت هذه الآية غير المسلمون أهل الكتاب وقالوا يا اخوان القردة والخننازير فينكسون رؤوسهم (واذا جاؤكم قاروا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) نزلت هذه الآية فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الايمان نفاقا فأخبره الله تعالى بشأنهم أنهم يخرجون من مجلسك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يتعلق بقلوبهم شيء مما معوا منك من نصائحك (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وغرضهم من هذا النفاق المبالغة فيما فى قلوبهم من الجد فى المكر

بالمسلمين والعداوة لهم (وترى كثيرا منهم) أي اليهود (يسارعون في الاثم) أي الكذب وكلمة الشرك
(والعدوان) أي الظلم على الناس (وأكلهم السمحت) أي الحرام كالرشا (لبئس ما كانوا يعملون)
أي لبئس شيئا كانوا يعملونه عملهم هذا (لولا) أي هلا (ينهاهم الربانيون) أي العباد (والاحبار)
أي العلماء (عن قولهم الاثم وأكلهم السمحت) مع علمهم بفجورهم وما شاهدتهم لمباشرتهم لهم (لبئس
ما كانوا يصنعون) أي لبئس شيئا كانوا يصنعونه تركهم للنهي عن ذلك والصنع أقوى من العمل لأن
العمل انما يسمى صناعة اذا صار اسخا لجعل جرم العاملين دينا غير راسخ وذنوب التاركين للنهي عن المنكر
ذنبا راسخا ولذلك ذم بهذا خواصهم ولأن ترك الانكار على المعصية اقبح من موقعة المعصية لأن النفس
تلتذ بها لانها مرض الروح وهو صعب شديد لا يكاد يزول ولا كذلك ترك الانكار عليها فيدخل
في هذا الذم كل من كان قادرا على النهي عن المنكر من العلماء وغيرهم وتركه ولذلك قال ابن عباس رضي
الله عنهما هذه الآية أشد آية في القرآن وقال الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها والله أعلم
(وقالت اليهود) قال ابن عباس وعكرمة والضحاك ان الله تعالى قد بسط على اليهود حتى كانوا من
أكثر الناس مالا فلما بعث الله محمدا وكذبوا به ضيق الله عليهم المعيشة فعند ذلك قال فخصاص بن عازورا
وأخرج الطبراني عن ابن عباس أنه قال النبش بن قيس (يد الله مغولة) أي مقبوضة عن العطاء على
على جهة الصفة بالبخل (غلت أيديهم وله وأبعا قالوا) وهذه الكلمات دعاء عليهم والمعنى أنه تعالى
يعلمنا أن ندعو عليهم بهذا الدعاء كما علمنا الاستثناء في قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين
وكما علمنا الدعاء على المنافقين في قوله تعالى فزادهم الله مرضا وعلى أبي لهب في قوله تعالى تبت يدا أبي
لهب حينئذ يكون المعنى دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا أبخل خلق الله تعالى وبغل الأيدي حقيقة
بأن يغفلوا في الدنيا أسارى وتشد أيديهم إلى أعناقهم في نار جهنم ويحبوا إلى النار باغلا لها وقوله ولعنوا
بما قالوا أي عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الآخرة بالنار بسبب قولهم ذلك (بل يدها مبسوطتان) عطف
على مقدر أي ليس الأمر على ما وصفتهموه تعالى به من البخل بل هو تعالى جواد كريم على سبيل الكمال
فان من أعطى يديه من الانسان فعد أعطى على أكمل الوجوه فتثنية اليد مبالغة في الوصف بالجوود
وأيضا ان المراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة فالمعنى ان نعمة الله متتابعة ليست كما دعي من أنها
مقبوضة مختصة وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمته الدنيا والآخرة وقيل على اعطائه كراما وعلى
اعطائه استدراجا فقيل نعمته تعالى نعمة الدين ونعمة الدنيا ونعمة الباطن ونعمت الظاهر أو نعمة
النفع ونعمة الدفع أو نعمة الشدة ونعمة الرخاء (ينفق كيف يشاء) أي يرزق خلقه كما شاء على أي حال
يشاء ان شاء قتر وان شاء وسع (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) أي والله
ليزيدن القرآن علماء اليهود غلوا في الانكار وشدة في الكفر إذ كلما نزلت آية كفروا بها كما ان الطعام
الصالح للأصحاء يزيد المريض مرضا (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) فكل فرقة
من اليهود تخالف الأخرى فلا يكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم فان اليهود فرق فان بعضهم
جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة وكذا النصارى فرق كالملككانية والنسطورية
واليعقوبية والماردانية (كلما أوقدوا نار الحرب أطفاها الله) أي كلما هموا بحاربة أحد رجعوا خائفين
مقهورين وقد أتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بخت نصر
ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطر من الرومي ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط الله

عليهم المسلمين وكلما أرادوا محاربة النبي صلى الله عليه وسلم ورثوا أسبابهم وأورثوا في ذلك من كل صعب ردهم الله تعالى وقهرهم وذلك لعدم اثباتهم (ويسعون في الأرض فسادا) أي ويبحثون في الكيد للإسلام وأهله وأئمة الفتنة بينهم وفي تعويق الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يحب المفسدين) أي والله يعاقب المفسدين في الأرض كاليهود وغيرهم (ولو أن أهل الكتاب) أي أن اليهود والنصارى (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به (واتقوا) مخالفة كتابهم (لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم) فالكتاب لا يدخل الجنة ولا يرفع عنه العقاب ما لم يسلم والإسلام يجب ما قبله (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) أي أقاموا أحكامها وحدودها (وما أنزل إليهم من ربه) من الكتب ككتاب شعيا وكتاب حيقوق وكتاب دانيال وكتاب أرميا وزبور داود لأنهم مكافون بالإيمان بجميعها فكانها أنزل إليهم وأيضا في هذه الكتب ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد بإقامة هذه الكتب الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بما أنزل إليهم من ربه القرآن لأنهم مأمورون بالإيمان به فكانه نزل إليهم من ربه (لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وهذه مبالغ في السعة والخصب لأن هناك فوقا وتحتا والمعنى لا كلوا كلاً متصلاً كثيراً وقيل من نزول القطر ومن حصول النبات وقيل من الأثمار المخررة ومن الزروع المغلة وقيل المراد أن يرزقهم الله الجنان اليابسة النمار فيجتنون ما تهدل من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم هذا في القائلتين يد الله مغولة الذين ضيق عليهم عقوبة لهم (منهم) أي من أهل الكتاب (أمة مقتصدة) أي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وبجير الراهب وأصحابه والنجاشي وأصحابه وسلمان الفارسي وأصحابه (وكثير منهم ساء ما يعملون) من العناد وتحريف الحق والافراط في العداوة وكتمان صفة محمد ككعب بن الأشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيف وسعيد بن عمرو وأبي ياسر وجرى بن أخطب (يا أيها الرسول) أي يا محمد (بلغ ما أنزل إليك من ربك) من غير مبالاة باليهود والنصارى. ومن غير خوف من أن ينالك مكروه أبداً (وان لم تفعل) ما أمرت به من تبليغ جميع ما أنزل إليك من الأحكام وما يتعلق بها (فأبليت رسالتك) أي رسالتك ربك وقرأ ابن عامر ونافع وشعبة رسالتك بجميع تأنيث سالم وقرئ فبليت رسالتك وهذا تنبيه على غاية التهديد (والله يعصمك من الناس) أي الكفار أي يؤمنك من مكر اليهود والنصارى من قتلهم وعن أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسه سعد وحذيفة حتى زلت هذه الآية فأخرج رأسه من قبة آدم وقال انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) أي أنه تعالى لا يمكنهم عمار يدون بك من القتل روى أنه صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة في بعض أسفاره وعلق سيفه عليها فأتاه أعرابي وهوناهم فأخذ سيفه وأخترطه وقال يا محمد من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف من يده وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) من الدين ولا في أيديكم من الصواب (حتى تقيموا التوراة والإنجيل) أي تحافظوا على ما فيهما من دلائل رسالة الرسول وشواهد نبوته فإن أقامتهما انما تكون بذلك وأما مراعاة أحكامهما المنسوخة فليست من أقامتهما في شيء (وما أنزل إليكم من ربكم) أي حتى تراعوا على ما في القرآن بالإيمان به فإن إقامة الجميع لا تحصل بغير ذلك (وليزين كثير منهم ما أنزل إليكم من ربك) وهو القرآن (طغيانا) أي تماديا في الجود (وكفرا) أي ثباتا على الكفر (فلاتأس على القوم الكافرين) أي لاتأسف

عليهم بسبب زيادة طغيانهم وكفرهم ولا بسبب نزول اللعن والعذاب عليهم (ان الذين آمنوا) اي ايماناً
حقاً بموسى وبجمله الانبياء والكتب وما اتوا على ذلك فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (والذين هادوا)
أى دخلوا فى اليهودية (والصابئون) هم قوم من النصارى وهم آئين قولاً من النصارى (والنصارى من
آمن) من هؤلاء الثلاثة (بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً) أى خالصاً فيما بينه وبين ربه وتاب اليهودى
من اليهودية والصابئ من الصابئة والنصارى من النصرانية (فلا خوف عليهم) اذا ذبح الموت
(ولا هم يحزنون) اذا طبقت النار فقلوبه والذين هادوا مبتدأ فالواو لعطف الجمل أولاً لاستئناف وقوله
والصابئون عطف على هذا المبتدأ كقوله والنصارى وقوله فلا خوف عليهم الخ خبر عن هذه المبتدآت
الثلاثة وقوله من آمن يدل بعض من هذه الثلاثة فهو محض ص فالأخبار عن اليهود ومن بعدهم بما ذكر
بشرط الايمان بما ذكر وقوله ان الذين خبران محذوف دل عليه المذكور من خبر هذه الثلاثة وقرئ
والصابئين وقرئ بأياها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وهم من صبو الى اتباع الهوى والشهوات
فى دينهم (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل) أى بالله لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الاحكام
المكتوبة عليهم فى التوراة (وأرسلنا اليهم رسلاً) ذوى عدد كثير ليقرروهم على مراعاة حقوق
الميثاق (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) أى كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لا تحبه
أنفسهم المنهمكة فى النى من الشرائع وميثاق التكليف عصوه وعادوه (فريقاً كذبوا) أى فريقاً من
الرسول كذبوهم كعيسى وموسى ومحمد صلوات الله عليهم (وفريقاً) منهم (يقتلون) كزكريا ويحيى
عليهما السلام وقصدوا أيضاً قتل عيسى وان كان الله منهم عن مرادهم وهم يريدون انهم قتلوه فذكر
التكذيب بلفظ الماضى إشارة مع معاملتهم مع موسى عليه السلام فانهم كذبوه فى كل مقام وتعمدوا على
أوامره لأنه قد انقضى من ذلك الزمان أذوار كثيرة وذكر القتل بلفظ المضارع إشارة الى معاملتهم مع
زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ليكون ذلك الزمان قريباً فكان كالحاضر ومحافظة للفاصلة
(وحسبوا أن لا تكون فتنة) أى ظن بنو اسرائيل أن لا توجد بلاء وعذاب يقتل الانبياء وتكذيبهم
لأنهم كانوا يعتقدون أن كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله لأنهم
اعتقدوا أن النسخ ممتنع على شرع موسى وكانوا يعتقدون أن نبوة أسلافهم تدفع عنهم العقاب الذى
يستحقونه بسبب ذلك القتل والتكذيب (فعموا) عن الهدى (وهو) عن الحق فخالفوا أحكام التوراة
فقتلوا شعياً أو حبسوا أرمياً عليهم السلام فسلط الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهم راسب على بابل
فاستولى على بيت المقدس فقتل من أهله أربعين ألفاً عن يقرأ التوراة وذهب بالبقية الى أرضه فبقوا هناك
دهراً طويلاً على أقصى الذل الى أن أحمدوا توبة صحيحة (ثم تاب الله عليهم) حين تابوا فوجه الله
تعالى ملكاً عظيماً من ملوك فارسى الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بني اسرائيل من أسر بخت نصر
وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم فى الأكَاف فعمره ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا
عليه وقيل لما ورثهم من الملك من جده ألقى الله تعالى فى قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم
دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى
أحسن ما كانوا عليه من الحال (ثم عموا وصموا كثير منهم) فعادوا الى الفساد واجترأوا على قتل زكريا
ويحيى وقصدوا قتل عيسى فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه
خيدرو ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الحيش مذبح قرايينهم فوجد فيه دماً يغلى فسألهم فقالوا دم

قريان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوفاً منهم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً فقالوا
أنه دم يحيى عليه السلام فقال بجمل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب
قومك من أجلك فاهدأ بذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحداً منهم فهدأ (والله بصير بما يعملون) أى
وان دق فيجازيهم به وفق أعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) قيل هم الملكانية
والمارونية منهم القائلون بالاتحاد وقيل هم اليعقوبية خاصة لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولعل
معنى هذا المذهب انهم يقولون ان الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى (وقال المسيح) أى
والحال قد قال المسيح مخاطباً لهم (يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) أى وحدوا الله في العبادة
خالق وخالقكم (انه) أى الشأن (من يشرك بالله) شيئاً في عبادته أو فيما يختص به من صفات
الالهية (فقد حرم الله عليه الجنة) أى فقد منعه الله من دخولها (ومأواه النار) فانها هي المعدة
للمشركين (ومال للظالمين من أنصار) أى ومال لهم من أحد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المبالغة
أو بطريق الشفاعة فقوله تعالى انه من يشرك الى الآية وارد من جهته تعالى لتأكيده مقالة عيسى عليه
السلام ولتقرير مضمونها (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وهم النسطورية والمرقسية وفي
تفسير قولهم طريقان الاول قال بعض المفسرين انهم أرادوا بذلك ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة فعنى
ثالث ثلاثة أى أحد ثلاثة آلهة فكل واحد من هؤلاء انه لانهم يقولون ان الالهية مشتركة بين هؤلاء
الثلاثة قال الواحدى ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة اذ المريد به ثالث ثلاثة آلهة فانه ما من شيتين
الا والله ثالثهما بالعلم اه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والثاني
حكى المتكلمون عن النصارى أنهم يقولون ان الاله جوهر واحد مركب من ثلاثة أقانيم أب وابن وروح
قدس فهذه الثلاثة الاله واحد كما ان الشمس اسم يتناول القصر والشعاع والحسرة وعذو بالآب
الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى
اختلاط الماء بالابن واختلاط الماء بالخمير وزعموا أن الاب والابن والروح والكل الاله واحد
(وما من الاله الا الاله واحد) أى وما فى الوجود من هذه الحقيقة الا فرد واحد أو المعنى وما من الاله لاهل
السموات والارض الا الاله لا ولده ولا شريك له فهو الاله واحد بالذات منزّه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه
(وان لم ينتهوا عما يقولون) أى من هاتين المقالتين وما قرب منهما (ليمن الذين كفروا منهم) أى
لبصيين الذين أقاموا على هذا الدين (عذاب أليم) أى شديد الألم (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه)
أى ألا ينتهون عن تلك العقائد الزائفة والافاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله عن تلك المقالة والعقيدة
ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول أو المعنى أيسمعون هذه الشهادات المكررة
والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقب سماع تلك القوارع الهائلة (والله غفور) لمن تاب وآمن
(رحيم) لمن مات على التوبة (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) أى ما هو الا رسول
من جنس الرسل الذين مضوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بامثالها فليس باله كالرسل الخالية به
فانهم لم يكونوا آلهة فان كان الله أبه الا كهم الابرس وأحيا الموتى على يد عيسى عليه السلام فقد خلق
البحر وأحيا العصار وجعلها حية تسمى على يد موسى عليه السلام وهو أعجب منه وان كان الله خلقه من غير
أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب منه (وأمة صديقة) أى ومأمرة الصديقة أى تلازم
الصدق وتصدق الانبياء وتبالغ في بعدها عن المعاصى وفي إقامة مراسم العبودية كسائر النساء اللاتي

يلزم الاتصاف بذلك فارتبة عيسى الارتبة نبي ومارتبة أمه الارتبة صحابي فن أين لكم أن تصفوهما
 بما لا يوصف به سائر الانبياء وخواص الناس فإن أعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة وأكل
 صفات أمه الصديقية وذلك لا يستلزم لهما الألوهية (كاناياً كلان الطعام) كسائر افراد البشر
 (انظر) يا شرف الخلق (كيف نبين لهم الآيات) أي العلامات بأن عيسى ومريم لم يكونا بالهين
 وبيطلان ما تقولوا عليهما (ثم انظر أفي يؤفكون) أي كيف يصرفون عن استماع الآيات وعن التأمل
 فيها قاله بين لهم الآيات بيانا عجبا واعراضهم عنها أعجب منها (قل أتعبدون من دون الله) أي غيره
 (مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا) وهو عيسى عليه السلام فإن مذهب النصاري أن اليهود صلبوه ومزقوا
 أضلاعه ولما عطش وطلب الماء منهم صبوا الخلل في منخرية ومن كان في الضعف هكذا كيف يعقل أن
 يكون الهافلو كان كذلك لا ممتنة كونه مشغولا بعبادة الله تعالى ومن كان كذلك كان محتاجا اليه في
 تحصيل المنافع ودفع المضار ومن كان كذلك كيف يقدر على ايصال المنافع الى العباد ودفع المضار عنهم وإذا
 كان كذلك كان عبدا كسائر العبيد (والله هو السميع العليم) والمراد من هذه الجملة التهديد أي سميع
 بكفرهم ولما لثمتهم في عيسى واهمه عليهم بضمائرهم وبعقوبتهم (قل يا أهل الكتاب) أي يامعشر اليهود
 والنصارى (لا تغلوا في دينكم غير الحق) أي لا فتجاوزوا الحد في دينكم تجاوزا باطلا فإن الغلو في الدين
 نوعان غلو حق وهو أن يجتهد في تحصيل حجة وتقريرها كما يفعله المتكلمون وغلو باطل وهو أن يتكلف في
 تقرير الشبهة ويتجاوز الحق ويعرض عن الأدلة وذلك الغلو هو رفع النصاري لعيسى فقالوا إنه اله وخفض
 اليهود له فقالوا إنه ابن زنا وأنه كذاب (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) أي لا تتبعوا مذهب قوم قد
 ضلوا من قبلكم عن التوراة والانجيل (وأضلوا كثيرا) من الناس بتأديهم في الباطل (وضلوا عن سواء
 السبيل) أي عن الدين الحق وعن القرآن بسبب اعتقادهم في ذلك الاضلال أنه ارشاد الى الحق (لعن
 الذين كفروا من بني اسرائيل) أي لعن الله تعالى اليهود في الزبور والنصارى في الانجيل (على لسان داود
 وعيسى بن مريم) قاله يهود لعنوا على لسان داود والنصارى لعنوا على لسان عيسى والغريقان من بني
 اسرائيل وهم أصحاب السبت وأصحاب المائة أما أصحاب السبت فهم قوم دأروا بذلك أن أهل ايلة لما
 اعتدوا في السبت بأخذ الخيتان دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فخذهم
 الله قردة وأما أصحاب المائة فانهم لما أكلوا من المائة وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم
 عذب من كفر بعد ما أكل من المائة عذابا لم تعذبه أحد من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت
 فخذوا قردة وخنازير وكانوا خمسة آلاف ليس فيهم امرأة ولا صبي (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي
 ذلك اللعن الغضيب بسبب عصيانهم ومبالغةهم في العصيان (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أي
 كانوا لا يمتنعون عن معاودة منكر فعلوه ولا يتركونه ولا يصدر من بعضهم نهى لبعض عن منكر أرادوا
 فعله روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من رضى عمل قوم فهو منهم ومن كثر سوء قوم فهو
 منهم (لبئس ما كانوا يفعلون) أي أقسم لبئس ما كانوا يفعلونه فعلهم هذا وهو ترك الاصرار على
 منكر فعلوه وترك النهي عنه (ترى كثيرا منهم) أي تبصر كثيرا من أهل الكتاب ككعب بن
 الأشرف وأصحابه (يتولون الذين كفروا) أي يصادقون كفارا أهل مكة أباسفيان وأصحابه بغضا
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين أي فإن كعبا واضرا به خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على
 محاربة النبي صلى الله عليه وسلم (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن مخطئ الله عليهم) أي لبئس شيئا

قدموا من مواليتهم لعبدة الاوثان - لئلا يمعادهم موجب مخطئه تعالى عليهم (وفي العذاب هم خالون)
 أي وخلودهم أبد الآبدين في عذاب جهنم وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها فهي من جملة المخصوص بالذم
 (ولو كانوا) أي أهل الكتاب الذين يوالون المشركين (يؤمنون بالله والنبي) أي نبيهم وهو موسى (وما
 أنزل اليه) من التوراة كما يدعون (ما اتخذوهم) أي ما اتخذ اليهود المشركين (أولياء) لان تحريم
 ذلك متأكد في التوراة في شرع موسى عليه السلام فلما فعلوا ذلك ظهرا انه ليس مرادهم تقرر دين
 موسى بل مرادهم الرياسة فيسعون في تحصيله بأي طريق قدروا عليه، فلهذا وصفهم الله تعالى بالفسق
 فقال (ولكن كثير منهم فاسقون) أي خارجون عن الدين والايان بالله ونبيهم وكتابهم أما البعض
 منهم فقد آمن وفي هذه الآية وجه آخر ذكره القفال وهو أن يكون المعنى ولو كان هؤلاء المتولون من
 المشركين يؤمنون بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم ما اتخذوهم هؤلاء اليهود أولياء وهذا الوجه حسن ليس
 في الكلام ما يدفعه (لتجدن) يا أكرم الخلق (أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)
 من أهل مكة لشدة شليتهم وتضاعف كفرهم وانما كهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم
 عن التحقيق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما خلا يهوديان عسلم الا هما يقتله وقد قال بعضهم
 مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر الى من خالفهم في الدين بأي طريق كان فان قدروا على القتل
 فذلك والا فبغصب المال أو بالسرقة أو بنوع من الحيلة وأما النصاري فليس مذهبهم ذلك بل الايذاء
 حرام في دينهم فهذا وجه التفاوت وذكر الله تعالى ان النصاري ألين عريكة من اليهود وأقرب الى المسلمين
 منهم (وتجدن) يا أشرف الخلق (أقربهم) أي الناس (مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري)
 انما أسند تسميتهم نصاري اليهم دون تسمية اليهود بالاشعار بقرب مودتهم حيث يدعون انهم أنصار الله
 وأدواء أهل الحق وان لم يظهر والاعتقاد حقيقة الاسلام فتسميتهم نصاري ليست حقيقة بخلاف تسمية
 اليهود يهودا فانها حقيقة سواء هو بذلك لكونهم أولاد يهود بن يعقوب أو لكونهم تابوا عن عبادة الجبل
 أو لتحركهم في دراستهم (ذلك) أي لكونهم أقرب مودة للمؤمنين (بأن منهم) أي بسبب انهم
 (قسيسين) أي علماء (ورهبانا) أي عبادا أصحاب الصوامع (وأنهم لا يستكبرون) عن قبول
 الحق اذا فهموه كما استكبر اليهود والمشركون من أهل مكة (ر) انهم (اذا سمعوا) أي القسيسون
 والرهبان الذين آمنوا منهم (ما أنزل الى الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (ترى أعينهم
 تفيض من الدمع) أي تمتلئ من الدمع حتى تفيض أي تسيل (فما عرفوا من الحق) أي من نعت محمد
 صلى الله عليه وسلم في كتابهم أو مما عرفوا بعض الحق الذي هو القرآن دوى ان قريشا تشاورت ان يقتنوا
 المؤمنين عن دينهم فوثب كل قبيلة على من آمن منهم فأذوهم وعذبوهم ومنع الله تعالى رسوله محمد صلى
 الله عليه وسلم بعمه أبي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه أمرهم بالخروج الى
 أرض الحبشة وقال ان بهاملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فخرجوه اليه حتى يجعل الله للمسلمين
 فرجا فخرج اليها سرا أحد عشر رجلا وأربع نسوة منهم عثمان بن عفان وزوجته رقيقة بنت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عتبة
 وأمه أته سهلة ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الاسد وزوجته ام سلمة بنت أمية وعمة مان بن مظعون
 وهامر بن دبيعة وامرأة ليلى وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر وأخذوا سفينة
 بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج بعدهم

جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر إلى أرض الحبشة اثنين وثلاثين رجلاً سوى النساء والصبيان فلما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار قال كفار قريش إن نارك بأرض الحبشة فاهدوا إلى النجاشي واسمعه أحمدة وابعثوا إليه رجلين من ذوي رأيكم لعله يعطيكم من عنده فتقتلونهم عن قتل منكم ببدر فبعث كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة بهدايا إلى النجاشي وبطارقته ليردهم إليهم فدخلوا إليه فقال له أيها الملك إن قد خرج فينا رجلاً زعم أنه نبي وهو قد بعث إليك برهط من أصحابه ليفسدوا عليك قومك فأحببنا أن نخبرك خبرهم وإن قومنا يسألونك إن ترددهم إليهم فقال حتى نسألهم فأمرهم فأحضروا فلما أتوا باب النجاشي قالوا يا سيدي أؤلياء الله فقال إنذروا لهم فرحبا بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين أيها الملك ألا ترى أنهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك ما منكم أن تحيوني بتحيتي قالوا أنا حينئذ بك تحية أهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى واه فقال جعفر بن أبي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم العذراء ويقول في مريم إنها العذراء البتول فأخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذه العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئاً مما أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرأ أو اقرأ جعفر سورة مريم وهناك قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرأ فأنحدرت دموعهم وما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر الطيار من القراءة فقال النجاشي لجعفر وأصحابه اذهبوا فإنتم بأرضي آمنون فرجع عمرو ومن معه خائبين وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار إلى أن علا أمر رسول الله وقهر أعداءه في سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري ليروجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قد هاجرت إليه مع زوجها ومات عنها فأرسل النجاشي إليها جارية اسمها ابرهة فخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرت أم حبيبة بذلك وأذنت لخالد بن سعيد أن يزوجها فأنفذ النجاشي إليها أربع مائة دينار صداقها على يد ابرهة وقالت ابرهة قد صدقت بمحمد وأمنت به وحاجتي إليك أن تقرئني مني السلام قالت نعم وقالت نخرجنا إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وأقت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فقراءت عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد الرسول عليها السلام ووافى جعفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخير ومع جعفر سبعون رجلاً عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلاً من الحبشة وثمانية نفر من رهبان الشام بخير الراهب وأصحابه ابرهة وأشرف وأدريس وعجم وتمام ودريد واعم وكلهم من أصحاب النجاشي فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس إلى آخرها فبكوا وآمنوا وأسلموا وقال ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام (يقولون ربنا آمنا) بما سمعنا مما أنزل على رسولك وشهدنا أنه حق (فاكتبنا مع الشاهدين) أي فاجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا فلما لامهم قومهم بالاسلام فقالوا بتحقيق الإيمانهم (وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وجملة قوله تعالى لا تؤمن حال من الضمير في لنا وجملة لا نطمع حال ثانية منه بتقدير مبدأ أي أي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله وما جاءنا من القرآن والرسول ونحن نطمع في محبة الصالحين ويجوز أن يكون قوله ونطمع حالاً من الضمير في لا تؤمن على معنى أنهم أنكروا على أنفسهم عدم إيمانهم مع أنهم يطمعون في محبة المؤمنين) فأما بهم الله بما قالوا أي جعل الله ثوابهم على قولهم ربنا آمنا مع اخلاص النية ومعرفة الحق أو بسبب ما سألوا

بقولهم فاكتمنا مع الشاهدين كما رواه عطاء عن بن عباس وقرئ قاتاهم الله (جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها وذلك) أي الجنات (جزاء المحسنين) بالإيمان أو المعنى جزاء الذين اعتادوا
الأحسان في الأمور وروى أن هذه الآيات الأربع نزلت في النجاشي وأصحابه (والذين كفروا وكذبوا
بما ياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أي ملازمون لها لا يتفكون عنها دون غيرهم من عصاة المؤمنين وأن
نكثرت بكائهم (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أي لا تعتقدوا تحريم ما أحل
الله لكم ولا تظهروا باللسان تحريمه ولا تجنبوا عند الطيبات اجتنابا يشبه الاجتناب من المحرمات ولا
تلتزموا تحريم الطيبات بنذر أو عين (ولا تعتدوا) أي لا تسرفوا في تناول الطيبات ولا تتجاوزوا أمر الله
بقطع المذاكير (أن الله لا يحب المعتدين) من الحلال إلى الحرام كالمثلة فمن اعتقد تحريم شيء أحله الله فقد
كفرا ما ترك لذات الدنيا والتفرغ بعبادة الله تعالى من غير اضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير فضيلة
مأمور بها نزلت هذه الآية في عشرة نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم أبو بكر الصديق
وعمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعثمان بن مظعون الجهمي ومقداد بن الأسود الكندي وسالم مولى أبي
حذيفة وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وذلك لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم القيامة لأصحابه يوما فبالغ الكلام في الانذار فبكوا واجتمع هؤلاء العشرة في بيت عثمان بن مظعون
وتشاوروا واتفقوا على عزه هم أن يرفضوا الدنيا ويحرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة والمشارب الذبذة
وأن يصوموا النهار ويقوموا الليل وأن لا يناموا على الفرش ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح ويسبحوا
في الأرض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم أني لم أؤمر بذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم ان
لا تنفسم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا واناموا فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأكل اللحم والدم
وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني * وروى أن عثمان بن مظعون أتى النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم فقال ائذن لي في الاختصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منامن خصي ولا من اختصني ان
خصاء أمتي الصيام فقال يا رسول الله ائذن لي بالسياحة فقال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله قال
يا رسول الله ائذن لي في الترهيب قال ان ترهب أمتي الجاوس في المساجد لا تنتظر الصلاة (وكلوا مما
رزقكم الله حلالا طيبا) أي كلوا بعض رزقكم من الله الذي يكون حلالا مستلذا وأصرفوا البقية إلى
الصدقات والخبرات (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) في تحريم ما أحل الله لكم وفي المثلة (لا يؤاخذكم
الله بالغفوي أيمانكم) قد تقدم أن قوما من أصحابه حرموا على أنفسهم المطاعم والملابس واختاروا
الرهانية وحلفوا على ذلك على ظن أنه قربة فلم يأنهاهم الله تعالى عنها قالوا يا رسول الله فكيف نصنع
بإيماننا فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان) أي بتعقيدكم الإيمان
بالقصد إذا حنثتم قرأنا نفع وابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم عقدتم بتشديد القاف وقرأ حمزة
والكسائي وأبو بكر عن عاصم عقدتم بتخفيف القاف وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر عاقدتم بالالف
والتخفيف (فكفارته) أي فكفارة تكثرت الإيمان التي ليست ببلغو (اطعام عشرة مساكين من أوسط
ما تطعمون أهل بيكم) في قدر الطعام وهو ثلث من لكل مسكين فان الإنسان قد يكون قليل الأكل جدا
يكفيه الرغيف الواحد وقد يكون كثيرا لا يكفيه المنوان والمتوسط الغالب يكفيه من الخبز ما يقرب
من المني ثلثا مني من الحنطة إذا جعل دقيقا أو خبزاً فإنه يصير قريبا من المني وذلك كاف في قوت اليوم
الواحد (أو كسوتهم) بأقل ما يملق عليه اسم الكسوة كالأرداء وقيص أو سراويل أو عمامة لكل

مسكين ثوب واحد (أو تحرير رقبة) وتقديم الاطعام على العتق لان المقصود تنبيهه على ان هذه الكفارة
وجبت على التخيير بين هذه الثلاثة ولان الاطعام أسهل لكون الطعام أعم وجودا ولان الاطعام
أفضل لان الحر الفقير قد لا يجد الطعام أما العبد فإنه يجب على مولاه اطعامه وكسوته (فمن لم يجد)
واحدا من هذه الثلاثة (فصيام ثلاثة أيام) ولو متفرقة لما روى ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
على أيام من رمضان أفأقضيها متفرقات فقال صلى الله عليه وسلم رأيت لو كان عليك دين فقضيت الدرهم
فالدرهم أما كان يجزيك قال بلى قال فإنه أحق ان يعفو ويصفح والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وحذثتم (واحفظوا أيمانكم) أى قلوا الايمان
وضنوا بها (كذلك) أى مثل ذلك التبيين لحكم الايمان (يدين الله لكم آياته) أى اعلام شريعته
(لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم (يا أيها الذين آمنوا اغتسلوا اذا كنتم فى الماء) أى الغسل
والانصاب أى الاصنام التى نصبها المشركون ويعبدونها (والازلام) سهام مكتوب عليها خير وشر
(رجس) أى قدر تعاف عنه العقول (من عمل الشيطان) أى من الامور التى يزينها للنفس (فاجتنبوه)
أى الرجس (لعلكم تفلحون) أى لكي تنجوا من العذاب (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة
والبغضاء فى الخمر) اذا صرتم نشاوى كما فعل الاتصاري الذى شجع رأس سعد بن أبي وقاص بلهى الجمل
(والميسر) اذا ذهب مالككم (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) لأن شرب الخمر يورث اللذة الجسمية
والنفس اذا استغرقت فيها غفلت عن ذكر الله وعن الصلاة ولان الشخص اذا كان غالبا فى القمار صار
استغراقه فى لذة الغلبة مانعا من ان يخطر بباله شئ سواه (فهل أنتم منتهون) أى قد بينت لكم مفسد
الخمر والميسر فهل تنتهون عنهما أم أنتم مقيمون عليهما كأنكم لم توعظوا بهذه المواعظ (وأطيعوا الله
وأطيعوا الرسول) فى أمرهما بالاجتناب عن الخمر والميسر (واحدروا) عن مخالفتهم فى التكليف
(فان توليتهم) أى أعرضتم عن طاعتهم ما وعن الاحتراز عن مخالفتهم (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ
المبين) أى الفالحة قامت عليكم والعلل انقطعت لان الرسول قد خرج عن عهدة التبليغ كمال الخروج
وما بقى بعد ذلك الا العقاب وهذا تهديد شديد (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح) أى انهم
(فيما طعموا) من الخمر ومن مال اللعب بالماله (اذا ما اتقوا) أن يكون فى ذلك شئ من المحرمات
أى اذا عملوا الاتقاء (وآمنوا وعلوا الصالحات) أى واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة (ثم
اتقوا) ما حرم عليهم بعد ذلك (وآمنوا) بتحريره (ثم اتقوا) أى استمروا على اتقاء المعاصي (وأحسنوا)
أى اتجروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها (والله يحب المحسنين) روى انه لما نزلت آية تحريم الخمر قالت
المصاحبة ان اخواننا كانوا قد شربوا الخمر يوم أحد ثم قتلوا فكيف حالهم فنزلت هذه الآية وروى أبو
بكر الاصم انه لما نزل تحريم الخمر قال أبو بكر يا رسول الله كيف يا أخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر
وفعلوا القمار وكيف بالغائبين عنا فى البلدان لا يشعرون ان الله حرم الخمر وهم يطعمونها فنزل الله
هذه الآيات (يا أيها الذين آمنوا يبلنواكم الله) أى ليختبرن الله طاعتكم من معصيتكم (بشئ من
الصيد) أى من صيد البر (تناله أيديكم ورماحكم) قال مقاتل بن حبان ابتلاه الله بصيد البر وهم
محرمون عام الحديبية حتى كانت الوحش والطير تغشاهم فى رحالهم فيقيدون على أخذ الطير بالأيدي
والوحش بالرماح وما رأوا مثل ذلك قط فنهاهم الله عنها ابتلاه (ليعلم الله من يخافه بالغيب) أى ليعاملكم
معاملة من يطلب أن يعلم من يخافه حال كون الله تعالى غير مرئى له غائبا عن رؤيته أو يخافه بأخلاص

القلب فيترك الصيد (فن اعتدى) بالتعرض للصيد (بعد ذلك) أي بعد بيان أن ما وقع من الصيد ابتلاء من عند الله تعالى لتمييز المطيع من العاصي (فله عذاب أليم) وهو العذاب في الآخرة والتعزير في الدنيا قال ابن عباس هذا العذاب هو أن يضرب بطنه ويظهره ضربا وجيعا وينزع ثيابه ولما قتل أبو اليسر ابن عمرو صيدا متعمدا بقتله ناسيا لأحرامه أنزل الله تعالى قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) أي محرمون أو داخلون في الحرم (ومن قتله) أي الصيد (منكم متعمدا) أي بقتله مع نسيان الأحرام كما قاله مجاهد والحسن (لجزاء مثل ما قتل من النعم) أي شبهة في الحلقة والتقيد بالتعمد لأن الآية نزلت في المتعمد حيث قتل أبو اليسر حمارا وحش وهو محرم عمدًا ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ ملحق بالعمد فيستوى في محظورات الأحرام العمد والخطأ في جزاء الاتلافات (يحكم به) أي بمثل ما قتل (ذو عدل منكم) أي رجلان صالحان من أهل دينكم فقيهان عدلان فينظران إلى أشبهه الأشياء بالمقتول من النعم فيه كان به قال ميمون بن مهران جاء أعرابي إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال أني أصبت من الصيد كذا وكذا فسأل أبو بكر رضي الله عنه أي بن كعب فقال الأعرابي أتيتك أسألك وأنت تسأل غيرك فقال أبو بكر رضي الله عنه وما أنكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذو عدل منكم فشاورت صاحبي فاذا اتفقتنا على شيء أمرناك به وعن قبيصة بن جابر أنه حين كان محرمًا ضرب ظبيًا فأتى فسأل عمر بن الخطاب وكان يجنبه عبد الرحمن بن عوف فقال عمر لعبد الرحمن ما ترى قال عليه شاة قال وأنا أرى ذلك فقال اذهب فاهد شاة قال قبيصة فخرجت إلى صاحبي وقلت له إن أمير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سأل غيره قال ففاجأني هر وعلا في بالدة وقال أقتل في الحرم وتسفه الحكم قال الله تعالى يحكم به ذو عدل منكم فأنامر وهذا عبد الرحمن بن عوف وقد حكم ابن عباس وعمر وغيرهما بشاة في الحمام وهو كل ما عاب وهدر من الطير كالقمرى والدبسى (هديا بالغ الكعبة) فهديا منصوب على التمييز والمعنى يحكم بالمثل هديا يساق إلى الكعبة أي إلى أرض الحرم فينحر هناك (أو كفارة طعام مساكين) فقوله كفارة عطف على قوله لجزاء أي فعلية جزاء أو كفارة الخ أو عطف على محل قوله من النعم وقوله طعام مساكين عطف بيان لأن الطعام هو الكفارة (أو عدل ذلك) أي أو مثل ذلك الطعام (صياما) فقوله أو عدل عطف على طعام الخ كأنه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم أو طعام مساكين أو صيام أيام بعددهم فحينئذ تكون الجمائلة وصفًا لازمًا للجزاء بقدرية الهدى والطعام والصيام أما الأولان فبلا واسطة وأما الثالث فبواسطة الثالث فيختار الجاني كلام من هذه الثلاثة (ليذوق وبال أمره) أي جزاء ذنبه والوبال في اللغة الثقل وانما سمى الله ذلك وبالًا لأن أحد هذه الثلاثة ثقيل على الطبع لأن في الجزاء بالمثل والاطعام تنقيص المال وفي الصوم إنزال البدن والمعنى أنه تعالى أوجب على قاتل الصيد أحد هذه الأشياء التي كل واحد منها ثقيل على الطبع حتى يحتر زعن قتل الصيد في الحرم وفي حال الأحرام (عفا الله عما سلف) أي لم يؤاخذ الله بقتل الصيد قبل هذا النهي والتحريم لأن قتله إذ ذاك مباح (ومن عاد) إلى قتل الصيد بعد النهي عنه (فينتقم الله منه) أي فهو ينتقم الله منه في الآخرة مع لزوم الكفارة (والله عزيز) أي غالب لا يغالب (ذو انتقام) أي ذو عقوبة شديدة (أحل لكم صيد البحر وطعامه) أي أحل لكم أيها الناس صيد جميع المياه العذبة والمالحة بحرا كان أو نهرا أو غدير أي اصطيدا بصيد الماء والانتفاع به بأكله ولاجل عظامه واسنانه وأحل لكم طعام البحر أي أكله فالصيد كما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما صيد بالحيلة حال حياته والطعام ما يوجد

عما لفظه البحر أو نضب عنه الماء من غير معالجة في أخذه قال الشافعي رحمه الله السمكة الطافية في البحر
محلمة والسمك عنده ما لا يعيش إلا في الماء ولو كان على صورة غير الماء كولد من حيوان البر كالآدمي
والكلب والخنزير فهذا كله حلالا عنده بخلاف ما يعيش في الماء والبر كالسرطان والضفدع والتمساح
والسحفاة وطير الماء وحجة الشافعي القرآن والخبر أما القرآن فهو قوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه
لما عكن أكله يكون طعاما فيحل وأما الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم في حق البحر هو الطهور وماؤه الحلال
ميتته نزلت هذه الآية في قوم من بني مدبج كانوا أهل صيد البحر سأوا النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام
البحر وعما حسر البحر عنه ومعنى قوله وطعامه أي ما حسر عنه البحر وألقاه (متاعا لكم وللسيارة) أي
أحل لكم ذلك لأجل انتفاعكم وللسافرين منكم يتزودونه قديدا فالطير للقيم والمالح للمسافر (وحرم
عليكم صيد البر ما دمتم حرما) أي محرمين أو في الحرم فذهب أبي حنيفة يحل للمعمر أكل ما صاده الحلال
وإن صاده لأجله إذا لم يشر إليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل إحصائه لأن الخطاب للمعمرين فكانه قيل
وحرم عليكم ما صدمتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي وأحمد لا يباح ما صيده فان لحم
الصيد عندهم مباح للمعمر بشرط أن لا يصطاده المحرم ولا يصطاده والحجة فيه ما روى أبو داود في سنته
عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه أو يصطاد لكم
(واتقوا الله الذي إليه تحشرون) لا إلى غيرهم حتى يتوهم الخلاص من أخذه تعالى بالالتجاء إلى غيره
فاخشوه تعالى في جميع المعاصي (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) أي صير الله الكعبة
سببا لحصول الخيرات في الدنيا والآخرة وخلق الدواب في قلوب الناس لتعظيمها حتى صار أهل الدنيا
يأتون إليها من كل فج عميق لأجل التجارة فصار ذلك سببا لاسيماغ النعم على أهل مكة وكان العرب
يتفائلون ويغيرون إلا في الحرم فكان أهل الحرم آمنين على أنفسهم وعلى أموالهم وجعل الله في
الكعبة الطاعات الشريفة والمناسك العظيمة وهي سبب لحط الخطيئات ورفع الدرجات وكثرة
الكرامات وصار أهل مكة بسبب الكعبة أهل الله وخاصته وسادة الخلق إلى يوم القيامة وكل أحد يعظمهم
(والشهر الحرام) أي وجعل الله الشهر الحرام سببا لقوام معيشتهم فإن العرب كان يقتل بعضهم بعضا
في سائر الأشهر ويغير بعضهم على بعض فإذا دخل الشهر الحرام الذي هو ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجبا زال الخوف وقدر وأعلى الأسفار والتجارات وصاروا آمنين على أنفسهم وأموالهم (والهدى)
أي وجعل الهدى سببا لقيام الناس وهو ما يهدي إلى البيت ويذبح هناك ويفرق لحمه على الفقراء فيكون
ذلك نسكا للهدى وقواما لمعيشة الفقراء (والعلائد) أي وجعل الله الأشخاص الذين يتقلدون بلباس
شجر الحرم سببا لآمنهم من العدو فأنهم كانوا إذا رأوا شخصا جعل في عنقه تلك القلادة عرفوا أنه راجع من
الحرم فلا يتعرضون له (ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) أي ذلك التدبير اللطيف
من الجعل المذكور لأجل أن تتفكر وفيه أنه تدبير لطيف فتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في
الأرض فان جعل ذلك لأجل جلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل الوقوع دليل على علمه بما هو في
الوجود وما هو كائن ثم إذا عرفتم ذلك عرفتم أن علمه تعالى صفة قدسية واجبة الوجود فوجب كونه متعلقا
بجميع المعلومات فلذلك قال تعالى (وأن الله بكل شيء عليم) فلا يخرج شيء عن علمه المحيط (اعلموا أن
الله شديد العقاب) لما ذكر الله تعالى أنواع الرحمة ذكر بعد شدة عذابه تعالى لأن الإيمان لا يتم
إلا بالرجاء والخوف كما قال صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا ثم ذكر عقبه ما يدل

على الرحمة دلالة على انها أغلب فقال (وأن الله غفور رحيم) وهذا تنبيه على دققة وهي ان ابتداء الابدان كان لاجل الرحمة والظاهر ان الختم لا يكون الا على الرحمة (ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) أي ان الرسول كان مكلفا بالتبليغ فلما بلغ خرج عن عهدة التكليف وبقي الامر من جانبكم وقد قامت عليكم المحجة فلا عذر لكم من بعد في التقريط وانا عالم بما تبدون وما تكتمون فان خالفتم فاعلموا ان الله شديد العقاب فيؤاخذكم بذلك تقيرا وقطيما وان اطعتم فاعلموا ان الله غفور رحيم (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) فان الحمود القليل من الاعمال والاموال خير من المذموم الكثير منهما والخطاب لكل معتبر قيسل نزلت هذه الآية في رجل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمر كانت تجارقي واني اعتقدت من بيعها ما لا قهسل ينفعني من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم ان أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب (فاتقوا الله) بأن تتحروا وترك الخبيث من الاعمال والاموال ظاهرا وباطنا ولا تختالوا في تركه بالتأويل (يا أولى الابواب) أي أصحاب العقول السليمة (لعلكم تفطنون) أي لعلكم تصيرون فائزين بالمطالب الدنيوية والدينية العاجلة والآجلة (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكن تسوكن) أي ان تظهر لكم تلك الاشياء تحزنكن والمعنى اتركوا الامور على ظواهرها ولا تسألوا عن أحوال مخفية ان تبدلكن تسوكن وما بلغه الرسول اليكم فكونوا منقادين له وما لم يبلغه اليكم فلا تسألوا عنه فان خضتم فيما لا يكلف عليكم فربما جاءكم بسبب ذلك الخوض ما يشق عليكم روى أنس أنهم سألو النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر والمسألة فقام على المنبر فقال سألوني فوالله لا تسألوني عن شيء مادمت في مقامى هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من أبي فقال أبوك حذافة بن قيس وقام آخر فقال يا رسول الله أين أبي فقال في النار وقال سراق بن مالك أو عكاشة بن محصن يا رسول الله الحج علينا في كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مرتين أو ثلاثة فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك أن أقول ذم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكم لكرهتم فاتركوني كوني ما تركتكم فأعماهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم فاذا أمرتكم بشي فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ولما اشتد غضب الرسول صلى الله عليه وسلم قام عمر وقال رضي الله عنه يا رسول الله ربنا بالسلام ديننا وبعده نبينا نعوذ بالله من القتل انا حديث عهد بجاهلية فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية (وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكنم) أي وان تسألوا عن أشياء مستحاجة لاكم الى التفسير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ينزل جبريل بالقرآن ويظهرها حينئذ فالسؤال على قسمين سؤال عن شيء لم يجز ذكره في الكتاب والسنة بوجه من الوجوه فهذا السؤال منهى عنه بقوله تعالى لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكنم تسوكن وسؤال عن شيء نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي فهنا السؤال واجب وهو المراد بقوله تعالى وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكنم فالضمير في عنها يرجع الى أشياء أخر كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فالمراد بالانسان آدم عليه السلام والمراد بالضمير ابن آدم لان آدم لم يجعل نطفة في قرار مكين (عفا الله عنها) أي أمسك الله عن أشياء أي عن ذكرها ولم يكلف فيها شيء وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم عفوت لكم عن صدقة الخيل والريق أي خففت عنكم باسقاطها والمعنى عفا الله عما سلف من مسائلكم التي تغضب رسول

الله صلى الله عليه وسلم فلا تعود والمثلها (والله غفور) لمن تاب (حليم) عن جهلكم (قد سألها
 قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) أي قد سأل أشياء قوم من قبلكم ثم صاروا كافرين بها فان
 قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها وقوم موسى قالوا أنزلنا الله جهرة فصار ذلك وبالاعليهم وبني اسرائيل
 قالوا النبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ثم كفروا وقوم عيسى سألوا المائدة ثم كفروا بها والمعنى
 ان قوم محمد صلى الله عليه وسلم في السؤال عن أحوال الاشياء مشابهون لاولئك المتقدمين في سؤال
 ذوات تلك الاشياء في كون كل واحد من السؤالين فضولا وخوضا فيما لا فائدة فيه فان المتقدمين اغما
 سألوا من الله انخراج الناقة من الحضرة وأنزل المائدة من السماء فهم سألوا نفس الشيء وأما أصحاب محمد
 فهم سألوا عن صفات الاشياء فلما اختلف السؤالان في النوع اختلفت العبارة لكن يشتركان في وصف
 واحد وهو خوض في الفضول وشروع فيما لا حاجة اليه وفي ذلك خطر المفسدة (ما جعل الله من بحيرة
 ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) أي ما أمر الله بذلك فالبحيرة هي الناقة التي تنتج خمسة أبطن في آخرها
 ذكرا فتشقى اذنها ولا تذبح ولا تتركب ولا تحلب ولا تطرد عن ماء ومرعى ولا يجز لها وبر ولا يحمل على
 ظهرها بل تسبب لأهنتهم والسائبة هي البعير المسيية وكان الرجل اذا شقى من مرض أو قدم من سفر أو نذر
 نذرا أو شكر نعمة سبب بغيره أو جعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها والوصيلة فهي الشاة الموصلة وذلك
 أن الشاة اذا ولدت سبعة أبطن عمدوا الى البطن السابع فاذا كان ذكرا ذبحوه فأكله الرجال والنساء
 جميعا وان كان أنثى لم تنتفع النساء منها بشيء حتى تموت فاذا ماتت كان الرجل والنساء يأكلونها جميعا
 وان كان ذكرا أو أنثى قيل وصلت أحافيتر كان مع اخوتها فلا يذبحان وكان للرجال دون النساء حتى
 يموتا فاذا ماتا اشترك في أكلهما الرجال والنساء والحام هو الفحل اذا ركب ولد وله قيل حتى ظهره فلا
 يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ومرعى الى أن يموت حينئذ تأكله الرجال والنساء (ولكن الذين
 كفروا يفترون على الله الكذب) أي ان رؤسائهم عمرو بن لحي وأصحابه يفترون على الله الكذب
 ويقولون أمرنا الله بهذا (وأكثرهم) أي الاتباع (لا يعقلون) ان ذلك افتراء باطل قال المفسرون
 ان عمرو بن لحي الخزاعي كان قد ملك مكة وكان أول من غير دين اسمعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان
 وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحام قال النبي صلى الله عليه وسلم فلقد رأيته في النار يؤذى أهل
 النار برمح قصبه أي معاه (واذا قيل لهم) أي للأكثر الذي هم الاتباع (تعالوا الى ما أنزل الله) من
 الكتاب المبين للحلال والحرام (والى الرسول) الذى أنزل الكتاب عليه لتمييز الحرام من الحلال (قالوا)
 حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا من الدين (أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) والواو والواو الحال
 دخلت عليها همزة الانكار والتقدير كافيهـم دين آباؤهم وقد كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين
 ولا يهتدون للصواب ولسنة النبي فكيف يقتدون بهم (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أي احفظوا
 أنفسكم من ملاسة المعاصي والأصرار على الذنوب (لا يضركم من ضل اذا هتديتم) أي لا يضركم ضلالة من
 ضل اذا هتديتم الى الايمان وبينتم ضلالهم كما قاله ابن عباس وقال عبد الله بن المبارك والمعنى عليكم أهل
 دينكم ولا يضركم من ضل من الكفار وهذا كقوله تعالى فاقتلوا أنفسكم أي أهل دينكم فقوله تعالى
 عليكم أنفسكم أي اقبلوا على أهل دينكم وذلك بأن يعظ بعضهم بعضا ويرغب بعضهم بعضا في الخيرات
 وينفروا عن القبائح والسيئات وهذه الآية أو كذا آية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله
 لا يضركم اما مجزوم على أنه جواب للامر وهو عليكم أنفسكم أو غسي مؤكده وانما ضمت الراء اتباعا للضممة

الضاد المقتضو اليها من الراء المدغمه فان الاصل لا يضر ركم ويؤيده قراءة يضركم بفتح الراء وهو مجزوم
وانما فتحت الراء لاجل الخفة وقراءة من قرأ لا يضركم بسكون الراء مع كسر الضاد وضمها من ضا لا يضر
ويضور وامام فروع على أنه كلام مستأنف في موضع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرأ لا يضركم
بالرفع وبالياء بعد الضاد أي ليس يضركم ضلال من ضل اذا كنتم ثابتين في دينكم (الى الله مرجعكم
جميعا أي رجوعكم ورجوع من خالفكم يوم القيامة (فينبشكم بما كنتم تعملون) في الدنيا من الخير
والشر فيجازيكم عليه (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) أي شهادة ما بينكم من التنازع (اذا
حضر أحدكم الموت) أي اذا ظهر لاحدكم أمارات وقوع الموت (حين الوصية) وهذا بدل من قوله
اذا حضر لان زمان حضور الموت هو زمان حضور الوصية فعرف ذلك الزمان بهذين الامرين الواقعين فيه
أي الشهادة المحتاج اليها عند مشاركة الموت (اثنان ذوا عدل منكم) أي من أهل دينكم يامعشر
المؤمنين (أو آخرا من غيركم) أي غير عادلين من غير أهل دينكم (ان أنتم ضربتم) أي سافرت
(في الارض) فالعدلان المسلمان صالحان للشهادة في الحضر والسفر وشهادة غير المسلمين لا تجوز الا في
السفر (فأصابكم مصيبة الموت) أي لحضرت عندكم علامات نزول الموت وهذا بيان محل جواز
الاستشهاد بغير المسلمين (تحبسونهم من بعد الصلاة) أي تقفونهمما للتخليف من بعد صلاة العصر
كما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما جميع أهل الاديان يعظمون هذا الوقت ويذكرون
الله فيه ويحترزون عن الخلف الكاذب (فيقسمان) أي يحلفان (بالله ان ارتبتم) أي ان شككتم
في شأن آخرين بقولهم ما والله (لان شترى به) أي بالقسم بالله (ثمنا) أي عوضا يسيرا من الدنيا
أي لاناخذ ذلك أنفسنا بدل ما من القسم بالله عوضا من الدنيا (ولو كان ذا قربي) أي ولو كان ذلك العوض
اليسير حياة ذا قربي منا أي لانحلف بالله كاذبين لاجل المال (ولانكنتم شهادة الله) أي لانكنتم
الشهادة التي أمرنا الله تعالى باقامتها واظهارها (انا ذا المن الآثمين) أي انا ان كنا كتمناها حين شذنا من
العاصين (فان عمر على انهمما استحقا الثمنا) أي فان حصل الاطلاع بعد ما حلف الوصيان عن أنهما
استحقا حثنا في اليمين بكذب في قول وخيانة في مال (فآخرا نيقومان مقامهما) أي مقام الشاهدين
الذين هما من غير ملتهمما (من الذين استحق عليهم الاوليان) أي باليمين وبالمال أو الاقربان الى
الميت الوارثان له والاوليان اما بدل من آخران أو من الضمير الذي في يقومان أو صفة لا آخران عند الاخفش
لان النكرة اذا تقدم ذكرها ثم أعيد عليها لذكر صارت معرفة أو خبر لمبتدأ محذوف وهذا على القراءة
المشهورة للجمهور وهو استحق بضم التاء وكسر الحاء بالبناء للعجول وانما وصف الورثة بكونهم استحق
عليهم لانه لما أخذ ما لهم فقد استحق عليهم ما لهم أول كونهم جنى عليهم أما على قراءة خفض وحده وهي
استحق بفتح التاء والحاء بالبناء للفاعل فقوله الاوليان فاعل له والمعنى ان الوصيين اللذين ظهرت
خيانتهم ما همأولى من غيرهما بسبب ان الميت عينهم بالوصاية ولما خاناه في مال الورثة صح ان يقال ان الورثة
قد استحق عليهم الاوليان أي خان في ما لهم الاوليان بالوصية (فيقسمان) أي هذان الآخران (بالله)
بقولهما (لشهادتنا أحق من شهادتهما) أي والله ليمين المسلمين أصدق وأحق بالقبول من عين النصرانيين
(وما اعتدينا) أي ما تجاوزنا الحق فيما ادعينا وفي طلب المال وفي نسبتهمما الى الخيانة (انا ذا المن الظالمين)
أي انا ان اعتدينا في ذلك كما من الظالمين أنفسهم بأقوالها المسخطة الله تعالى وعذابه واتفق المفسرون
على ان سبب نزول هذه الآيات ان نعيم ابن أوس الداري وعدي بن بدار وكانا نصرانيين ومعهما

بديل بن أبي مارية مولى عمرو بن العاص وكان مسلماً مهاجراً خرجوا إلى الشام للتجارة فلما قدموا الشام
مرض بديل فكتب كتاباً فيه نسخة جميع ما معه والقاء فيه ما بين الاقشة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم أوصى
اليهما وأمرهما أن يدفعا متاعه إلى أهله ومات بديل فأخذ من متاعه انا من فضة فيه ثلثمائة منقال
منقوش بالذهب ولما رجعا دفع باقي المتاع إلى أهله ففتشوا فوجدوا الصحيفة وفيها ذكر الاناء فقالوا التميم
وعدي أين الاناء فقال لا ندري والذي دفع اليه نادى فعناء اليكم فرفعوا الواقعة إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا الآية ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العصر ودعا تميمي وعدياً فاستخلفهما عند المنبر ولما خلفا خلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ولما
طالت المدة أظهر الاناء فبلغ ذلك بني سهم فطالبوه ما فقالا كنا قد اشتريناه منه فقالوا ألم نقل لكم
هل باع صاحبنا شيئاً فقلتما لا فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر لكم فكنتمنا لذلك فرفعوا القصة إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى قوله فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب أبو ربيعة
السهميان خلفاً بالله بعد العصر فدفع الرسول صلى الله عليه وسلم الاناء اليهما وإلى أولياء الميت وكان تميم
الداري يقول بعد اسلامه صدق الله ورسوله أنا أخذت الاناء فأقرب إلى الله تعالى (ذلك أدنى أن يأتوا
بالشهادة على وجهها) أي ذلك الطريق الذي بيناه أقرب إلى أن يؤدي الشهود الشهادة على طريقها
الذي يحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفاً من العذاب الآخروي (أو يخافوا أن ترد أيمان
بعد أيمانهم) أي أو أقرب إلى أن يخافوا أن ترد أيمانهم بعد أيمان المدعين لا نقلا بالدعوى بأن صار
المدعى عليه مدعياً للملك وصار المدعى مدعياً عليه فلذا ألزمتهم اليمين والمعنى أو لم يخافوا عذاب الآخرة بسبب
اليمين الكاذبة بل يأتوا الشهادة على غير وجهها ولكنهم يخافون الافتضاح على رؤس الاشهاد بإبطال
أيمانهم والعمل بأيمان الورثة فينزحوا عن الخيانة المؤدية إليه فأى الخوفين وقع حصل المقصود الذي هو
الاثمان بالشهادة على وجهها (واتقوا الله) في أن تخونوا في الامانات (واسمعوا) مواعظ الله أي اعملوا
بما أو طيعوا الله فيها (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي الخارجين عن الطاعة إلى ما ينفعهم في
الآخرة (يوم يجمع الله الرسل) وهو يوم القيامة فيوم يدل اشتغال من مفعول اتقوا أو ظرف ليهدي
والمعنى لا يهديهم إلى الجنة (فيقول) لهم مشيراً إلى خروجهم عن عهد الرسالة (ماذا أجبت) أي أي
اجابة أجابكم بها أمكم حين دعوتهم في دار الدنيا إلى توحيدى وطاعتي أهى اجابة قبول أو اجابة رد
(قالوا) تفويضاً للامر إلى العدل الحكيم العالم وعلماء منهم ان الادب في السكوت والتفويض وان قولهم
لا يفيد خيراً ولا يدفع شراً (لا علم لنا) أي لانك تعلم ما أظهر وما أضررنا ونحن لانعلم الا ما أظهر والنا
فعلمنا فيهم أنفهم علمنا ولا ان الحاصل عندنا من أحوالهم هو الظن وهو معتبر في الدنيا لان الاحكام في
الدنيا مبنية على الظن واما الاحكام في الآخرة فهي مبنية على حقائق الاشياء وبواطن الامور ولا عبرة
بالظن في القيامة فلهذا السبب قالوا لا علم لنا (انك أنت علام الغيوب) أي فانك تعلم ما أجابوا وأظهروا
لنا وما لم نعلمه مما أضررنا في قلوبهم وقرئ شاذ اعلام الغيوب بالنصب اما على الاختصاص أو على
النداء أو على انه بدل من اسم ان والكلام قد تم يقوله تعالى انك أنت أي أنت متصف بصفاتك السنية (اذ
قال الله) بدل من يوم يجمع الله ويجوز ان يكون موضع اذ رفعاً بالابتداء على معنى ذلك اذ قال الله (يا عيسى
ابن مريم اذ كن نبياً عليك وعلى والدك اذ أيدتك بروح القدس) أي اذ كررنا على عليك اذ طهرت أمتك
واصطفيتها على نساء العالمين وقويتك بجبريل لتنبئ الخلق (تسكلم الناس في المهد) أي طفلاً بقولك

اني عبد الله الآتية (وكهلا) أي اذا أنزله الله تعالى الى الارض أنزله وهو في صورة ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو
 السكهل فيقول لهم اني عبد الله كما قال في المهد (واذ علمتكم الكتاب) أي الكتابة وهي الخط (والحكمة)
 أي العلوم النظرية والعلوم العملية (والتوراة والانجيل) وذكر الكتابين اشارة الى الاسرار التي
 لا يطالع عليها أحد الا كبار الانبياء عليهم السلام فان الاطلاع على أسرار الكتب الالهية لا يحصل الا
 لمن صار ربانيا في أصنام العلوم الشرعية والعقلية الظاهرة التي يبحث عنها العلماء (واذ تخلق من)
 الطين كهية الطير) أي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير (باذني) أي بأمرى (فتنفخ فيها) أي
 في الهيئة المصورة فالغدير راجع للكاف وهي دالة على الهيئة التي هي مثل هيئة الطير (فتكون
 طيرا باذني) أي فتصير تلك المصورة خفاشات طير بين السماء والارض بارادتي (وتبرئ الاكهم) أي
 الاعمي المطموس البصر (والابرص باذني) أي بأمرى وارادتي وقد رقي (واذ تخرج الموتى من
 قبورهم احياء) (باذني) أي بفعلتي ذلك عند دعائك وعند قولك للميت اخرج يا ذن الله من قبرك (واذ
 كففت بني اسرائيل عنك) أي منعت اليهود الذين أرادوا قتلك عن مطلوبهم بك (اذ جثتهم بالبينات)
 بما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما ياء كلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك فأل للجنس (فقال الذين
 كفروا منهم ان هذا الامحرمين) قرأ حمزة والكسائي هنا وفي هود والصف ويونس ساحر بالالف
 أي ما هذا الرجل وهو عيسى الساحر ظاهر وقرأ ابن عامر وعاصم في يونس فقط بالالف والباقيون مخرج
 بكسر السين وسكون الحاء أي ما هذا الذي جاء به عيسى من الخوارق أو ما هذا أي عيسى الامحرمين وهذا
 على سبيل المبالغة أو على حذف مضاف روى ان عيسى عليه السلام لما أظهر هذه المعجزات العجيبة
 قصد اليهود قتله فخلصه الله تعالى منهم حيث رفعه الى السماء (واذا أوجيت الى الحوارين) أي
 الانصار أي ألهمت القصارين وهم اثنا عشر رجلا في قلوبهم وأمرتهم في الانجيل على لسانك (أن
 آمنوا بي ورسولي) والمعنى أي آمنوا بوجداني في الألوهية ورسالة رسولي عيسى (قالوا آمنا)
 بوجدانيته تعالى ورسالة رسوله (واشهد) أنت يا عيسى (بأننا مسلمون) أي مخلصون في ايماننا (اذ قال
 الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك) قرأ الجمهور بالياء على الغيبة أي هل يفعل ربك
 والمقصود من هذا السؤال تقرير ان ذلك المطلوب في غاية الظهور كمن يأخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر
 السلطان على اشباع هذا او يكون غرضه منه ان ذلك أمر جلي لا يجوز لعاقل ان يشك فيه فكذا ههنا وقرأ
 الكسائي تستطيع بناء الخطاب لعيسى وربك بالنصب على التعظيم وبادغام اللام في التاء وهذه
 القراءة مروية عن علي وابن عباس وعن عائشة أي هل تستطيع ان تسأل ربك (أن ينزل علينا مائدة
 من السماء قال) عيسى لشعوب قل لهم (اتقوا الله) في اقتراح معجزة لم يسبق لها مثال بعد
 تقدم معجزات كثيرة (ان كنتم مؤمنين) بكونه تعالى قادرا على ازال المائدة فلعلمكم تتركون شكرها
 فيعذبكم فقال لهم ذلك شععون (قالوا نريد أن نأكل منها) أكل تبرك أو أكل حاجة وتطمع (وتطمئن
 قلوبنا) بكمال قدرته تعالى لحصول علم المشاهدة مع علم الاستدلال (ونعلم أن قد صدقتنا) أي ونعلم علما
 يقينيا أنه قد صدقتنا في دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا في قولك انا اذا ههنا ثلاثين يوما لا نسأل الله
 تعالى الا أعطانا (ونكون عليهما من الشاهدين) لله بكمال القدرة ولك بالنبوة وهذه معجزة سماوية
 وهي أعظم وأعجب فاذا شاهدناها كما عليهما من الشاهدين نشهد عليهما عند الذين لم يحضروها
 من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقيننا ويؤمن بسببها كفارهم (قال عيسى

ابن مريم) أى لما رأى ان لهم غرضاً صحيحاً فى ذلك فقام واغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأ طأ رأسه
 وغض بصره وقال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة) أى طعاماً (من السماء تكون لنا عيداً الاولنا
 وآخرنا) أى نتخذ اليوم الذى تنزل فيه المائدة عيداً نعظمه نحن ومن يأتى بعدنا ونزلت يوم الأحد فاتخذ
 النصارى عيداً وانما أسند العيد الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها والمعنى يكون يوم نزولها
 عيداً لاهل زماننا ولن بعدها لى نعبدك فيها (وآية منك) أى دلالة على وحدانيتك وكمال قدرتك
 وحقبة نبوة رسولك (وارزقنا) أى اعطنا ما سألناك (وأنت خير الرازقين قال الله انى منزلها) أى
 المائدة (عليكم) وقرأ ابن مامر وعاصم منافع منزلها بالتشديد والباقون بالتخفيف (فن يكفر بعد)
 أى بعد نزولها (منكم فانى أعذبه عذاباً لا أعذبه) أى انى أعذب من يكفر تعذيباً لا أعذب مثله ذلك
 التعذيب (أحد من العالمين) روى ان عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء بس صوفاً ثم قال اللهم انزل
 علينا الخ فزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهـم ينظرون اليها حتى سقطت بين
 أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة
 وعقوبة وقال لهم ليقم أحسنكم عملاً يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شععون رأس
 الحوارين أنت أولى بذلك فقام عيسى وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين
 فاذا هـمة مشوية بلا شوك ولا فلوس تسيل دسها وعند رأسها ملح وعند ذنبها خـل وحولها من ألوان
 ما خلا الكرات واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثمانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى
 الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شععون يا روح الله من طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال
 ليس منهما ولا كنه شئ اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا مما سألتم وأشكروا يمددكم الله ويردكم من فضله
 فقال الحواريون لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا ممة احبى باذن الله فاضطربت ثم قال لها
 عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا وقالوا بعد النزول والاكل هذا من حرمين
 فسبح الله منهم ثلاث مائة وثلاثين رجلاً باقوا اليهم مع نسائهم ثم أصبحوا خنازير يسعون فى الطرقات
 والكناسات وياً كلون العذرة فى الحشوش ولما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بككت وجعلت
 تطيف به وجعل يدعوهم باسمائهم واحداً بعدوا واحداً فبكون ريشير ون برؤسهم ولا يقدرون على
 الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا (واذ قال الله) يوم القيامة (يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس)
 فى الدنيا (اتخذونى واحى الهين من دون الله) أى غيره أراد الله تعالى بهذا السؤال ان يقر عيسى على
 نفسه بالعبودية فيسمع قومه ويظهر كذبهم عليه انه أمرهم بذلك فذكر هذا السؤال مع علمه تعالى ان
 عيسى لم يقل ذلك اغالتو بيج قومه (قال) أى عيسى وهو برعد (سبحانك) أى انزهت تنزيهاً لا تقابل
 من ان أقول ذلك (ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق) أى ما كان ينبغى ان أقول ما ليس بجائز لى (ان
 كنت قلت) لهم (فقد علمته) وهذا مبالغة فى الادب وفى اظهار الذل فى حضرة ذى الجلال وتغويض
 الامور بالكلية الى الكبير المتعالى (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) أى تعلم ما عندى ومعلومى
 ولا أعلم ما عندك ومعلومك (انك أنت علام الغيوب) عن العباد (ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن
 اعبدوا الله ربى وربكم) وان مفسرة اللهام الراجع للقول المأمور به والمعنى ما قلت لهم فى الدنيا الا قولاً
 أمرتنى به وذلك القول هو ان أقول لهم اعبدوا الله ربى وربكم (وكنتم عليهم شهداء) على ما يفعلون
 (مادم فيهم) أى مدة دواى فيما بينهم (فلما توفيتنى) أى رفعتنى من بينهم الى السماء (كنت

أنت الرقيب عليهم) أي الحافظ لا محالهم المراقب لا حوالهم (وأنت على كل شيء شهيد) وعالم بصير
 (أن تعذبهم فأنهم عبادك) وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك (وان تغفر لهم فأنك أنت العزيز)
 أي القادر على ما تريد (الحكيم) في كل ما تفعل لا اعتراض لأحد عليك فإن عذبت فعادل وان
 غفرت ففضل وعدم غفران الشريك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لاذنه ومقصود عيسى عليه
 السلام من هذا الكلام تفويض الامور كلها الى الله وترك الاعتراض عليه بالكلية لانه يجوز في مذهبنا
 من الله تعالى ان يدخل الكفار الجنة وان يدخل العباد النار لان الملك مله ولا اعتراض لأحد عليه
 (قال الله هذا) أي يوم القيامة (يوم ينفع الصادقين صدقهم) في الدنيا في امور الدين قرأ الجمهور يوم
 بالرفع وقرأ نافع يوم بالنصب أي هذا القول واقع يوم الخ (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
 أبدا رضى الله عنهم) أي عن الصادقين بطاعتهم له (ورضوا عنه) بالثواب والكرامة (ذلك)
 الرضوان (الفوز العظيم) فالجنة بما فيها بالنسبة الى رضوان الله كالعدم بالنسبة الى الوجود وكيف
 لا والجنة مرغوب الشهوة والرضوان صفة الحق وأي مناسبة بينهما (لله ملك السموات والارض وما
 فيهن وهو على كل شيء قدير) أي ان كل ما سوى الله تعالى من الكائنات والاجساد والارواح ممكن
 لذاته موجود بايجاده واذا كان الله موجودا كان ما كاله واذا كان ما كاله كان له تعالى أن يتصرف
 في الكل بالامر والنهي والثواب والعقاب كيف أراد فصيح التكليف على أي وجه أراد الله تعالى
 ولما كان الله مالك الملك فله بحكم المالكية ان ينسخ شرع موسى ويضع موضعه شرع محمد فطل قول
 اليهود بعدم نسخ شرع موسى ثم ان عيسى ومريم داخلان فيما سوى الله فهو كائن بتكوين الله تعالى
 وثبت كونهما عبيدين لله مخلاوقين له فظهر بهذا التقرير ان هذه الآية برهان قاطع في صحة جميع العلوم
 التي اشتملت هذه السورة عليها

*(سورة الانعام مكية الاست آيات فانها مدنيات وهي قوله قل تعالى الى آخر الآيات الثلاث وهو
 لعلكم تتقون وقوله تعالى وما قدرنا الله الى قوله تعالى وكنتم عن آياته تستكبرون
 وهي مائة وخمس وستون آية وعدد كلماتها ثلاثة آلاف واثنان وخمسون كلمة
 وعدد حروفها اثنا عشر ألفا وأربعمائة واثنان وعشرون حرفا)*

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور) والمدح
 أعم من الحمد لان المدح للعاقل ولغير العاقل فكما يمدح العاقل على أنواع فضائله كذلك يمدح الأولو لحسن
 شكله والياقوت على نهاية صفاته وصفاته والحمد لا يحصل الا للفاعل المختار على ما يصدر منه من الاحسان
 والحمد أعم من الشكر لان الحمد تعظيم الفاعل لاجل ما صدر عنه من الانعام واصلا اليك أو الى غيرك
 والشكر تعظيمه لاجل انعام وصل اليك وحصل عندك والمقصود من هذه الآية ذكر الدلالة على وجود
 الصانع والفرق بين الجعل والخلق ان كلا منهما هو الانشاء والابداع الا ان الخلق مختص بالانشاء
 التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية والجعل عام له كما في هذه الآية الكريمة ولا تشريعي أيضا كما في
 قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية وجمع الظلمات دون النور لكثرة محالها اذ ما من جرم الا وله ظل
 والظل هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار وهذا اذا حمل على الكيفيتين المحسوستين
 بحس البصر وان حمل النور على نور الاسلام والايان واليقين والنبوة والظلمات على ظلمة الشرك

والكفر والنفاق فنقول لان الحق واحد والباطل كثير وتقدم الظلمات على النور لان الظلمة عدم النور عن الجسم الذي يقبله وعدم المحدثات متقدم على وجودها (ثم الذين كفروا برهم يعدلون) أى يشركون به غيره وهذه الجملة امام معطوفة على قوله الحمد لله والباء متعلقة بكفروا فيكون يعدلون من العدول ولا مفعول له والمعنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه لانه تعالى ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا برهم يميلون عنه في كفرون بنعمته أو متعلقة بيعدلون وهو من العدول ويوضع الرب موضع الضمير العائد اليه تعالى والمعنى انه مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار شؤنه العظيمة الخاصة به ثم هؤلاء الكفرة يسوون به غيره في العبادة التي هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد وامام معطوف على قوله خلق السموات والباء متعلقة بيعدلون وقدمت لاجل الفاصلة وهي اما معنى عن ويعدلون من العدول والمعنى ان الله تعالى خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه ثم الذين كفروا يعدلون عن ربهم الى غيره أو للتعدية ويعدلون من العدول وهو التسوية والمعنى انه تعالى خلق هذه الاشياء العظيمة الذي لا يقدر عليها أحد سواه ثم انهم يعدلون به جماد لا يقدر على شئ أصلا فيكون المفعول محذوفا وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح آيات قدرته تعالى (هو الذي خلقكم من طين) أى ان الله خلق جميع الانسان من آدم وآدم كان مخلوقا من طين فلهذا السبب قال هو الذي خلقكم من طين أى من جميع أنواعه فلذلك اختلفت ألوان بني آدم وعجنت طينتهم بآل الماء العذب والمخ والمرف فلذلك اختلفت اخلاقهم وأيضاً ان الانسان مخلوق من المني والمني اغيايتولد من الاغذية وهي اما حيوانية أو نباتية فحال الحيوانية كالحال في كيفية تولد الانسان فبقي أن تكون الاغذية نباتية فثبت ان الانسان مخلوق من الاغذية النباتية ولا شك أنها متولدة من الطين فثبت ان كل انسان متولد من الطين وقال المهدوي ان الانسان مخلوق ابتداء من طين لخبر ما من مولود يولد الا ويذرع على النطفة من تراب حفرة وأياما كان الانسان فقيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء ما لم يشم رائحة الحياة قط كان على احياء ما قارنهامدة أظهر قدرة (ثم قضى أجلا) أى خصص الله موت كل واحد بوقت معين وذلك التخصيص تعلق مشيئته تعالى بإيقاع ذلك الموت في ذلك الوقت (وأجل مسمى) أى حدد معين لبعثكم جميعاً من البرزخ (عنده) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى قضى لكل أحد أجلين أجلا من مولده الى موته وأجلا من موته الى مبعثه فان كان براتقيا رصولا للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث وقال حكاه الاسلام ان لكل انسان أجلين أحدهما الآجال الطبيعية والثاني الآجال الاخترامية فالآجال الطبيعية هي التي لو بقي ذلك المزاج مصوتا من الاعراض الخارجية لانتهت مدة بقائه الى الوقت الفلاني والآجال الاخترامية هي التي تحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق ولدغ الحشرات وغيرها من الامور المعضلة (ثم أنتم تموتون) أى ثم بعد ظهور مثل هذه الحجة الباهرة أنتم أيها الكفار تنكرون صحة التوحيد للصانع أو ثم بعد ما شهدتمكم في أنفسكم من الشواهد ما يقطع الشك بالكلية أنتم أيها الكفار تستبعدون وقوع البعث ومن قدر على الابتداء فهو على الاعادة أقدر فالآية الارلى دليل التوحيد والثانية دليل البعث (وهو الله في السموات وفي الارض) أى وهو الذي اتصف بالخلق هو المعبود في السموات والارض والمتصرف فيهما (يعلم مكرم) في الغلوب من الدواعي والصوارف (وجهركم) في الجوارح من الاعمال (ويعلم ماتكسبون) أى مكتسبكم أى ما تستحقون على فعلكم من الثواب والعقاب (وماتأتيهم من آية من

آيات ربهم الا كانوا معرضين) أى ما يظهر للكفار من آية من الآيات التكوينية التي يجب فيها النظر التي من حملتها لاثبات شؤنه الدالة على وحدانيته تعالى الا كانوا معرضين عن تأمل تلك الدلائل تاركين للنظر المؤدى الى الايمان بكونها وهذه الآية تدل على ان التقليد باطل والتأمل في الدلائل واجب ولو لا ذلك لما ذم الله المعرضين عن التفكير في الدلائل أو المعنى ما ينزل الى أهل مكة آية من الآيات القرآنية الا كانوا كاذبين بتلك الآية ومن الاولى مزيدة لاستغراق الجنس الذي يقع في النفي والثانية للتبعيض وهي مع مجرور هاء صفة لآية (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) أى فقد كذب أهل مكة بالمعجزات كأنشقاق القمر بمكة وانفلاقه فلقين فذهبت فلقه وبقيت فلقه أو بالقرآن أو بمحمد صلى الله عليه وسلم (فسوف يأتيهم أنبياء ما كانوا يستهزؤن) أى سوف يأتيهم أخبار كونهم مستهزئين بذلك الحق يوم يدرى يوم أحد ويوم الأحزاب (المير واكم أهلكم من قبلهم من قرن) أى ألم يعرف أهل مكة بعائنة الآثار في أسفارهم للتجارة الى الشام في الصيف والى اليمن في الشتاء وبسماع الأخبار كم أمة أهلكم من قبل زمان أهل مكة كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب وفرعون وغيرهم (مكناهم في الارض ما لم تكن لكم) أى أعطينا أولئك الجماعة من البسطة في الأجساد والامتداد في الاعمار والسعة في الاموال والاستظهار بأسباب الدنيا ما لم تعطكم يا أهل مكة (وأرسلنا السماء) أى المطر (عليهم مدرارا) أى متتابعاً كلما اجتاجوا اليه (وجعلنا الانهار تجري من تحتهم) أى من تحت بساطتهم ووزوعهم وشجرهم (فأهلكناهم بقرونهم) بتكذيبهم الانبياء و بكونهم باعوا الدين بالدنيا (وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) أى أحدثنا من بعدهم هلاك كل قرن قرناً آخرين بدلا من الهالكين وهذا تنبيه على ان اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا ولا يتعاطم على الله هلاكهم وخلق بلادهم منهم فإنه تعالى قادر على ان ينشئ مكانهم قوما آخرين يعمرهم ببلادهم (ولو أنزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاصحار مبين) أى ولو نزل الكتاب من السماء دفعة واحدة عليك يا أشرف الخلق كما سألك عبد الله بن أبي أمية الخزرجي أصحابه في صحيفة واحدة فقرأوه عيانا ولمسوه لطمعنوا فيه وحملوه على انه مخرفة وقالوا انه سحر وقال ابن اسحق والقائلون بالاقوال الآتية زعمه بن الاسود والنضير بن الحرث بن كلدة وعبد بن عبد يعوث وأبي بن خلف والعاص بن وائل كما أخرجه ابن أبي حاتم (وقالوا ولا أنزل عليه ملك) أى هلا أنزل على محمد ملك يخبرنا بصدقه في دعوى النبوة ويشهد له بما يقول والمعنى ان منكري النبوات يقولون لو بعث الله الى الخلق رسولا لوجب ان يكون ذلك الرسول واحدا من الملائكة لان علومهم أكثر وقدرتهم أشد ومهابتهم أعظم وامتيارهم عن الخلق أكمل ووقوع الشبهات في نبوتهم أقل فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة من وجهين الاول قوله تعالى (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر) أى لفرغ من هلاكهم أى لو أنزل الملك على هؤلاء الكفار فرجهم لم يؤمنوا وذا لم يؤمنوا وجب اهلاكهم بعذاب الاستئصال حينئذ ما أنزل الله تعالى الملك اليهم لئلا يستحقوا هذا العذاب وأيضا أنهم اذا شاهدوا الملك ذهقت روحهم من هول ما يشاهدون وذلك ان آدمي اذا رأى الملك فاما ان يراه على صورته الاصلية أو على صورة البشر فلن يدرى على صورته الاصلية لم يبق الادعى حيا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل على صورته الاصلية غشى عليه وان جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كضيف إبراهيم وإصياق لوط وخم داود وغير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما خلف من عداهم من العوام وأيضا اذا رأى من الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم

وذلك محل بصحة التكليف وان رآه على صورة البشر فلا يتفاوت الحال سواء كان هو في نفسه ملكا
 أو بشرا أو أيضا انزال الملك يقوى الشبهات لان كل معجزة ظهرت عليه مردوها وقالوا هذا فعلك فعلته
 باختيارك أو قدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القوة والعلم لفعلنا مثل ما فعلته (ثم لا ينظرون) أى
 لا يجهلون بعد نزول الملك طرفه عين وكلمة ثم للتنبيه على ان عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة
 الشدة أشد من نفس الشدة وأشق والثاني قوله تعالى (ولو جعلناه ماء كالجعلناه رجلا) أى ولو جعلناه
 الرسول ملكا لجعلناه الملك على صورة الرجل لان البشر لا يستطيعون ان ينظروا الى الملائكة في صورهم
 التي خلقوا عليها ولو نظر الى الملك ناظر من الآدمي لصعق عند رؤيته (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أى
 ولو صورنا الملك رجلا لصار فعلنا نظير الفعلهم في التلبس واغما كان ذلك تلبسا لان الناس يظنون انه
 بشر مع انه ليس بشرا واغما كان فعلهم تلبسا لانهم يقولون لقومهم انه بشر مثلكم والبشر لا يكون رسولا
 من عند الله تعالى واذا كان الامر كذلك فلم يقدم طلب نزول الملك لانه لو نزل لم الملك لنزل على صورة
 رجل لعدم استطاعتهم لمعاينة هيكله ولان الجنس الى الجنس أميل فيقولوا له ما أنت الا بشر مثلنا ويقولوا
 انا لانرضى برسالة هذا الشخص فيعود سؤالهم ويستمررون يطلبون الملك فلا تنقطع شبهتهم فنزول الملك
 لا يفيدهم شيئا بل يزدادون في الحيرة والاشتباه وأيضا ان طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعة
 البشر وربما لا يعذرونهم في الاقدام على المعاصي (ولقد استهزى برسل من قبلك) أى وبالله لقد
 استهزى برسل أولى شأن خطير وذوى عدد كثير كاثنين من زمان قبل زمانك وهذه الآية تسلية لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم أى تحقيق لضيق قلب رسول الله عند سماعه من القوم الذين قالوا ان رسول الله
 يجب أن يكون ملكا من الملائكة ووعيد أيضا لاهل مكة (لحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا يستهزئون)
 أى فداروا حاط بالذين سخروا من أولئك الرسل عليهم السلام العذاب الذي يستهزئون به وينكرونه فان
 الكفار كانوا يستهزئون بالعذاب الذي كان يخوفهم الرسول بنزوله أو المعنى فاحاط بجن استهزأ بالشرائع من
 الرسل عقوبة استهزأهم بالرسول المندرج في جملة الرسل (قل) يا أكرم الرسل لاهل مكة (سيروا في
 الارض) أى قل لهم لا تغتروا بما وجدتم من الدنيا وطيباتها ووصلتم اليه من لذاتها وشهواتها بل سيروا في
 الارض لتعرفوا حقيقة ما أخبركم الرسول عنه من نزول العذاب على الذين كذبوا الرسل في الازمنة السالفة (ثم
 انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أى ثم تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستئصال فانكم
 عند السير في الارض والسفر في البلاد لا بد وان تشاهدوا تلك الآثار فكميل الاعتبار ويقوى الاستبصار
 (قل) يا أشرف الخلق لاهل مكة (لمن ما في السموات والارض) أى لمن الكائنات جميعا خلقوا وملكوا
 وتصرفوا فان أجابوك فذلك والا (قل لله) لانه لا جواب غيره (كتب على نفسه الرحمة) أى أوجب على
 نفسه ايجاب الفضل والكرم والرحمة لامة محمد صلى الله عليه وسلم بتأخير العذاب وقبول التوبة (لجميعكم
 الى يوم القيامة) أى والله ليجمعكم في القبور محشورين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وسائر
 معاصيكم أو ليجمعكم الى المحشر في يوم القيامة فالجميع يكون الى المكان لا الى الزمان (لا ريب فيه) أى
 في الجمع (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) أى ان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك
 في التقليد وترك النظر أدى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان وان سبق قضاء الله
 بالحسran هو الذي حملهم على الامتناع من الايمان بحيث لا سبيل لهم اليه أصلا (وله ما سكن في الليل
 والنهار) أى له تعالى كل ما حصل في الزمان سواء كان متحركا أو ساكنا (وهو السميع العليم) فيسمع

نداه المحتاجين ويعلم حاجات المضطرين (قل أغير الله أتخذوليا) أي قل يا أشرف الخلق أغير الله أجعله
 معبودا (فاطر السموات والأرض) وعن ابن عباس ر قال ما عرفت فاطر السموات حتى أتاني أعريبان
 يختصمان في بئر فقال أحدهما للآخر فطرتهما أي ابتدأتها وقرئ فاطر السموات بالجرصة لله أو بدل منه
 بدل المطابق وبالرفع على أنه هار هو والنصب على المدح وقرأ الزهري فطر السموات (وهو يطعم ولا يطعم)
 أي وهو الرزق لغيره ولا يرزقه أحد ويقال ولا يعان على التزييق (قل) يا أكرم الخلق لكفارته كة
 (اني أمرت) أي من حضرة الله تعالى (أن أكون أول من أسلم) فإنه صلى الله عليه وسلم سابق أمته
 في الاسلام وقيل لي يا محمد (ولا تكون من المشركين) أي في أمر من أمور الدين (قل اني أخاف ان
 عصيت ربي) بمخالفة أمره ونهيه أي عصيان كان (عذاب يوم عظيم) أي عذابا عظيما في يوم عظيم
 وهو يوم القيامة (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه) قرأ أبو بكر عن عاصم وحزمة والكسائي يصرف
 بفتح الياء وكسر الراء والمفعول محذوف والتقدير من يصرف ربي عنه يومئذ العذاب فقد أنعم عليه والباقون
 يصرف بالبناء للمفعول والمعنى أي شخص يصرف العذاب عنه ذلك اليوم العظيم فقد أدخله الله الجنة
 (وذلك الفوز المبين) أي وذلك الرحمة الفوز الظاهر وهو الظفر بالمطوب (وان عيسى الله بضر فلا
 كاشف له الا هو) أي وان يصبك الله ببليّة أيها الانسان كمرض وفقر ونحو ذلك فلا رافع له الا هو وحده
 (وان عيسى بخير) أي وان ينزل الله بك خيرا من صحة وغنى ونحو ذلك فلا راد له غيره (فهو على كل شيء
 قدير) روي عن ابن عباس انه قال أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة أهداه له كسرى فركبها بمجبل
 من شعر ثم أردفني خلفه ثم سار بي ميلا ثم التفت الي فقال يا غلام فقلت ليبيك يا رسول الله فقال احفظ الله
 يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخا يعرفك في الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا
 استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلاق أن يفعلوا بما لم يقضه الله لك لم يقدروا
 عليه ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله عليكم ما قدر واعليه فان استطعت أن تجعل بالصبر مع اليقين
 فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر وان مع الكرب
 فريحا وان مع العسر يسرا (وهو الفاعل فوق عباده) بالقدرة والقوة وهذا الاشارة الى كمال القدرة (وهو
 الحكيم الخبير) فان أفعاله تعالى محكمة آمنة من وجوه الخلل والفساد وانه تعالى عالم بما يصح أن
 يخبر به وهذا الاشارة الى كمال العلم اه روي ابن عباس أن رؤساء أهل مكة قالوا يا محمد ما وجد الله غيرك
 رسولا وما نرى أحدا يصدر عنك وقد سألنا اليهود والنصارى عنك فزعموا انه لا ذلك عندهم بالنبوة
 فأرنا من يشهدك بالنبوة فأنزل الله تعالى قوله هذا (قل) يا أشرف الخلق لهم (أي شيء أكبر شهادة)
 من الله كي يقرروا بالنبوة وان أكبر الاشياء شهادة هو الله تعالى فان اعترفوا بذلك فذاك والا (قل الله
 شهيد بيني وبينكم) بأن رسوله وهذا القرآن كلامه وهو مبرز لانكم فهماء بلغاء وقد عجزتم عن
 معارضته فاذا كان مجهزا كان اظهر الله اياه على وفق دعواي شهادة من الله على كوني صادق في دعواي
 (وأوحى الى هذا القرآن لا نذركم به ومن بلغ) أي أنزل الله الى جبريل بهذا القرآن لا خوفكم يا أهل مكة
 بالقرآن ولا خوف به من بلغ اليه القرآن من الثقلين عن يأتي بعدى الى يوم القيامة (أنسكم) يا أهل
 مكة (لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) وهي الاصنام التي كنتم تعبدونها تقولون انهم بنات الله
 فان شهدوا على ذلك (قل) لهم (لا أشهد) أي بما تذكرونه من اثبات الشركاء (قل انما هو اله
 واحد) أي بل انما أشهد أن الله لا اله الا هو (وانني بري بما تشركون) أي من اشراككم بالله تعالى

في العبادة الاصنام قال العلماء المستحب لمن أسلم ابتداءً أن يأتي بالشهادتين ويتبرأ من كل دين سوى
 دين الإسلام ونص الشافعي على استحباب ضم التبري إلى الشهادة لأن الله تعالى لما صرح بالتوحيد قال
 وإنني بريء مما تشركون (الذين آتيناهم الكتاب) وهم علماء اليهود والنصارى الذي كانوا في زمن
 النبي صلى الله عليه وسلم (يعرفونه) أي يعرفون محمدًا من جهة السكاين بصفته المذكورة فيهما (كما
 يعرفون أبناءهم) بصفاتهم فأنهم كذبوا في قولهم أن لا نعرف محمدًا لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم
 لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال له عمران الله أنزل على نبيه عكة هذه الآية فكيف هذه المعرفة
 قال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما عرف ابني ولأننا أشد معرفة بمحمد مني بابني فقال عمر
 كيف ذلك فقال أشهد أنه رسول الله حقاً ولا أدري ما تضع النساء (الذين خسروا أنفسهم فهم
 لا يؤمنون) ومعنى هذا الخسران كما قاله جمهور المفسرين أن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلاً في الجنة
 ومنزلاً في النار فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة ولاهل النار منازل أهل
 أهل الجنة في النار (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) أي لا أحد أحرأ من اختلق على الله كذباً
 كقول كفار مكة هذه الاصنام شركاء لله والله تعالى أمرنا بعبادتها وقولهم إن الملائكة بنات الله ثم قولهم
 أمرنا الله بتحريم البصائر والسواائب وكقول اليهود والنصارى حصل في التوراة والإنجيل أن هاتين
 الشريعتين لا يتطرق إليهما النسخ ولا ييجي بعدهما نبى (أو كذب بآياته) أي قدح في معجزات محمد
 صلى الله عليه وسلم وأنكر كون القرآن معجزة قاهرة بينة (أنه لا يفلح الظالمون) أي لا يظفرون
 ببطالهم في الدنيا والآخرة بل يبقوا في الحرمان والحذلان (ويوم نحشرهم جميعاً) أي كافة الناس وهو
 يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا) خاصة على رؤس الاشهاد للتوبيخ (أين شركاؤكم) أي آلهتكم كم
 التي جعلتموها شركاء لله تعالى (الذين كنتم ترعمون) أي ترعونها شركاء وانها شفعاؤكم عند الله
 قال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب (ثم لم تكن فتنتهم) أي اقتنائهم بالآوثان (الأن قالوا
 والله ربنا ما كنا مشركين) أي لم تكن عاقبة اقتنائهم بشركهم إلا براهم منهم فلففهم انهم ما كانوا
 مشركين ومثاله أن ترى إنساناً يحب عارياً مذموم الطريقة فاذا وقع في محنة بسببه تبرأ منه قراً ابن
 عامر وابن كثير وحفص عن عاصم ثم لم تكن بالثناء الفوقية وفتنتهم بالرفع وقرأ حمزة والكسائي لم يكن
 بالياء التحتية وفتنتهم بالنصب وقرأ حمزة والكسائي ربنا بنصبه على النداء أو المدح والباقون بالكسر
 (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) بانكار صدور الاشراك عنهم في الدنيا (وضل عنهم ما كانوا
 يفترون) أي وكيف زال عنهم افتراؤهم بعبادة الاصنام فلم تغن عنهم شيئاً وذاك انهم كانوا
 يرجون شفاعتها ونصرتهم الههم (ومنهم من يستمع إليك) أي وبعض من أهل مكة من يستمع الى كلامك
 حين تتلوا القرآن (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) أي وقد القينا على قلوبهم
 أغطية كثيرة كراهة أن يفقهوا ما يستمعونه من القرآن وفي آذانهم سمعاً من سمعاً
 فمهل ان يفقهوه مفعول معه بحذف المضاف أو مفعول لفعل مقدر أي منعناهم ان يفقهوه بمجموع القدرة
 على الايمان مع الداعي اليه بوجوب الفعل فالكفر من الله تعالى وتكون تلك الداعية الجادة الى الكفر
 كننا للقلب عن الايمان ووقر السمع عن استماع دلائل الايمان (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أي
 وان يشاهدوا كل آية من الآيات القرآنية بسماعها كقروا بكل واحدة منها لاجل ان الله تعالى
 جعل على قلوبهم أكنة (حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا) أي بلغوا بتكذيبهم الآيات

الى انهم اذا جاؤا اليك يجادلونك (ان هذا الاساطير الاولين) أى ما هذا الذى يقول محمد الاخرافات
الاولين وكذبهم أى ان هذا الكلام من جنس سائر الحكايات المكتوبة للاولين واذا كان هذا كذا
فلا يكون مجزأ خارقا للعادة وجملة قوله تعالى يقول الذين كفروا تفسير لقوله يجادلونك أى يناكرونا
قال ابن عباس رضى الله عنهما حضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن حرب والوليد بن
المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأميرة وأبي ابنا خلف والحارث بن عامر وأبو جهل
واستمعوا الى القرآن فقالوا للنضر وكان كثير الاخبار للقرون الماضية يا أباقتيبة ما يقول محمد قال
ما أدرى ما يقول لكنى أراه يحرك شفقتيه ويتكلم بأساطير الاولين كالذى كنت أحدثكم به عن اخبار
القرون الاولى فقال أبو سفيان انى أرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا أى لا تقر بشئ من هذا فانزل
الله تعالى هذه الآية (وهم ينهون عنه) وأولئك الكفار ينهون الناس عن استماع القرآن لئلا يقفوا على
حقيقته فيؤمنوا به (وينأون عنه) أى ويتباعدون عنه بأنفسهم تأكيد انهم (وان يهلكوا لأنفسهم)
أى وما يهلكون بما فعلوا من النهى والنأى لأنفسهم بأقوالها الاشد العذاب (وما يشعرون) انهم
يهلكون أنفسهم ويذهبونها الى النار بما يفعلون من الكفر والمعصية (ولو ترى اذ وقفوا على النار) أى
ولو تبصر حالهم حين يوقفون على النار وهم يعاينونها رأيت سوء حالهم أو المعنى ولو تبصرهم حين يحسبون
فوق النار على الصراط وهى تحتهم رأيت سوء منقلبهم أو المعنى ولو صرفت فكرك الصحيح لان تدبر حالهم
حين يدخلونها لزدت يقينا وقرى اذ وقفوا بالبناء للفاعل أى ولو تراهم حين يكونون فى جوف النار
وتكون النار محيطة بهم ويكونون غائضين فيها العرفوا مقدار عذابها وانما صرح على هذا التقدير ان يقال
وقفوا على النار لانها دركات وطبقات بعضها فوق بعض فيصعب هناك معنى الاستعلاء (فقالوا يا ليتنا
نزد) الى الدنيا لنؤمن (ولا نكذب بآيات ربنا) أى يا آيات الناطقة بأحوال النار وأهوالها الآمرة
باتقائها (ونكون من المؤمنين) بها كى لا نرى هذا الموقف قرأ ابن عامر وأبو بكر رفع نكذب ونصب
نكون أى ولا يكون من الكاذبين مع كوننا من المؤمنين وقرأ حمزة وحفص عن عاصم بنصبهما والتقدير
يا ليتنا لنأخذ وانتفاء تكذيب بآيات ربنا وكون من المؤمنين فهذه الاشياء الثلاثة متحدة بقيد الاجتماع
وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير والكسائي رفعهما واتفقوا على الرفع فى قوله نرد والمعنى انهم والرد الى
دار الدنيا وعدم تكذيبهم بآيات ربهم وكونهم من المؤمنين أو المعنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكاثنين من
المؤمنين فيكون تمنى الرد مقيدا باتين الحالتين (بل بدأهم ما كانوا يخفون من قبل) أى ليس التمنى
الواقع منهم لاجل كونهم راغبين فى الايمان بل لانه ظهروا لهم فى موقفهم ما كانوا يخفونه فى الدنيا من
تكذيبهم بالنار فان التكذيب بالشئ اخفاه بلا شك أى فلنوقفهم منها ومن العقاب الذى عاينوه قالوا
ما قالوا (ولوردوا ليعادوا لما نهوا عنه) أى ولوردهم الله تعالى من موقفهم ذلك الى الدنيا كما سألوا
وغاب عنهم ما شاهدوه من الاحوال لم يحصل منهم فعل الايمان وترك التكذيب بل كانوا يستمرون على
الكفر والتكذيب (وانهم لكاذبون) فى تمنيههم وعدهم بفعل الايمان وترك التكذيب فان دينهم
الكذب لانه قد جرى عليهم قضاء الله تعالى فى الازل بالشرك (وقالوا) أى كفار مكة (ان هى الا
حياتنا الدنيا) أى ما حياتنا الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها (وما نحن بمبعوثين) بعد ان فارقنا هذه
الحيات وليس لنا بعد هذه الحيات ثواب وعقاب (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) أى حبسوا عند ربهم
لاجل السؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدي سيده للعقاب رأيت أمرا عظيما أو المعنى وقفوا على جزاء

ربهم أى على ما وعدهم ربهم من عذاب الكافرين وثواب المؤمنين وعلى ما أخبرهم به من أمر الآخرة
 (قال أليس هذا) أى البعث بعد الموت والثواب والعقاب (بالحق قالوا بلى وربنا) انه لحق وذلك
 اقرار مؤكداً باليمين لا انجلاء الامر غاية الانجلاء وهم يطمعون فى نفع ذلك الاقرار وينكرون الاشرار
 فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم وبهدمكم
 فى الدنيا بالبعث بعد الموت (قد خسروا الذين كذبوا بآيات الله) أى أنكروا البعث والقيامة (حتى اذا
 جاءتهم الساعة بغتة) أى انهم كذبوا ذلك الى ان ظهرت القيامة باغتة فلا يعلم أحد متى يكون مجيئها فى أى
 وقت يكون حصولها (قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فىها) أى يا دامتنا على تفريطنا فى تحصيل الزاد
 للساعة فى الدنيا (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) أى والحال انهم يحملون ثقل ذنوبهم عليهم
 أى انهم يماسون عذاب ذنوبهم بمقاساة ثقل ذلك عليهم فلا يفارقهم ذنوبهم وقال قتادة والسدى ان
 المؤمن اذا خرج من قبره استقبله شئ هو أحسن الاشياء صورة وأطيبها ريحاً ويقول أنا عملك الصالح طال
 ما ركبتك فى الدنيا فأركبني فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً أى ركبنا وان الكافر اذا
 خرج من قبره استقبله شئ هو أقبح الاشياء صورة وأخبثها ريحاً فيقول أنا عملك الفاسد طال ما ركبتني فى
 الدنيا فأنا أركبك اليوم فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (الاسماء ما يرون) أى
 ببس شيئاً يحملونه آثامهم (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) أى وما اللذات والمستحسنات الحاصلة فى هذه
 الدنيا الا فرج يشغل النفس مما تنتفع به وباطل يصرف النفس عن الجسد فى الامور الى الهزل (وللدار
 الآخرة) أى الجنة أو التمسك بعمل الآخرة أو نعيم الآخرة (خير للذين يتقون) من المعاصي والكبائر
 وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة باضافة دار الى الآخرة (أفلا تعقلون) وقرأ أنافع وابن عامر وحفص بالتاء على
 الخطاب أى قل لهم ألا تتفكرون أيها المخاطبون فلا تعقلون ان الدنيا فانية والآخرة باقية وقرأ الباقر
 بالياء على الغيبة أى أيعفل الذين يتقون فلا يعقلون ان الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار فيعملون لما
 ينالون به الدرجة الرفيعة والنعيم الدائم فلا يفكرون فى طلب ما يوصل الى ذلك (قد نعلم انه ليحزنك الذين
 يقولون) انهم لا يؤمنون بك ولا يقبلون دينك وشريعتك أو يقول انك ساحر وشاعر وكاهن ومجنون
 قرأ أنافع ليحزنك بصم الياء وكسر الزاى والباقر بفتح الياء وضم الزى (فانهم لا يكذبونك) قرأ أنافع
 والكسائى بسكون الكاف والباقر بفتحها وتشديد الذال أى لا يجدونك كاذباً لانهم يعرفونك بالصدق
 والامانة ولا ينسبونك الى الكذب بالاعتقاد واللسان (ولكن الظالمين بآيات الله يجهلون) أى
 ولكن يجهلون حقيقة نبوتك ورسالتك والمعنى انهم يقولون فى كل معجزة انهم يحسرونها وينكرون دلالة
 المعجزة على الصدق على الاطلاق أو المعنى ان القوم ما كذبوك وانما كذبوني لانك رسولى كقول السيد
 لعبد رقد أهانه بعض الناس أيها العبد انه ما أهانك وانما أهانتى والمقصود تعظيم الشأن لانفى الاهانة
 عن العبد ونظيره قوله تعالى ان الذين يباعدونك انما يباعدون الله * روى ان الحرب بن عامر من
 من قريش قال يا محمد والله ما كذبتنا قط ولكان اتبعناك نتخطف من أرضنا فمحن لا يؤمن بك لهذا
 السبب * وروى ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا أبا الحكم اخبرني عن محمد أصادق هو أم
 كاذب فانه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله ان محمد الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنوقصى
 باللواء والسقاية والحجابه والنبوة فماذا السائر قريش فنزلت هذه الآية وعن علي بن أبي طالب ان أبا جهل
 قال للنبي صلى الله عليه وسلم اننا لكاذبون فأنك عندنا لصادق ولكان كذب ما جئتنا به فنزلت هذه

الآية (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا وحتى أتاهم نصرنا) أى ولقد كذب
الرسل قومهم كما كذب قومك فصبروا على تكذيبهم وايدأثم لهم حتى أتاهم النصر بهلاك قومهم فاصبر
يا أشرف الخلق كما صبروا وتظفركم وظفروا بل أنت أولى بالتزام الصبر لأنك مبعوث إلى جميع العالمين (ولا
مبدل لسلطات الله) بالنصرة فإن وعد الله أياك بالنصر حق وصدق ولا يمكن تطرق الخلف والتبديل
إليه (ولقد جاءك من نبي المرسلين) أى خبرهم في القرآن كيف كذبهم قومهم وكيف أنجيناهم
ودمرنا قومهم (وان كان كبير عليك اعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفعاً في الأرض أو سلباً في السماء
فتأتيهم بآية) أى وان كان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن وأحببت أن
تجيبهم إلى ما سألوه فإن قدرت أن تتخذ من هذا تنفذ فيه إلى جوف الأرض أو مصعداً ترتقي فيه إلى السماء
فتأتيهم بآية مما اقترحوه عليك من تحت الأرض أو من فوق السماء فلتفعل وعن ابن عباس رضي الله
عنهما أن الحرف بن عامر بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا
يا محمد أتينا بآية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل فأننا نصدق بك فأبى الله أن يأتيهم بآية مما اقترحوه
فأعرضوا عنه صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لشدة حرصه على ايمان قومهم فنزلت هذه الآية والمقصود
من هذا الكلام ان يقطع الرسول طمعه عن ايمانهم وان لا يتأذى بسبب اعراضهم عن الايمان
واقبالهم على الكفر وهذا دليل على مبالغة حرصه صلى الله عليه وسلم على اسلام قومه إلى حيث
لو قدر على ان يأتي بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لفعل رجاء ايمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى) أى ولو شاء الله تعالى جمعهم على الهدى لجمعهم عليه بأن يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولو كان
لم يشأ لعدم صرف اختيارهم إلى جانب الهدى مع تمكنهم التمام منه في مشاهدتهم الايات الداعية إليه
(فلا تكونن من الجاهلين) أى فلا تكونن بالميل إلى اتيان اقتراحاتهم من الجاهلين بعدم تعلق مشيئته
تعالى بإيمانهم لعدم توجههم إليه لخروج الايمان عن الحكمة المؤسسة على الاختيار أو المعنى ولا تجزع
على اعراضهم عنك ولا يشتد تحزنك على تكذيبهم بك فإن فعلت ذلك فتقارب حالك من حال الجاهلين
الذين لا صبر لهم (انما يستجيب الذين يسمعون) أى انما يقبل دعوتك إلى الايمان الذين يسمعون
ما يلقي اليهم سمع تفهم وانما يطيعك من يعقلون الموعظة دون الموتى الذين هؤلاء منهم (والموتى يبعثهم
الله ثم إليه يرجعون) أى والموتى يبعثهم الله بعد الموت ثم يوقفون بين يديه للحساب والجزاء فالله تعالى هو
القادر على احياء قلوب هؤلاء الكفار بحياة الايمان وانت لا تقدر عليه (وقالوا) أى كفار مكة حرث بن
عامر وأصحابه وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأمية وأبى ابن خلف والنضر بن الحارث (لولا نزل
عليه آية من ربه) أى هلا أنزل على محمد من ربه معجزة دالة على نبوته مثل فلق البحر واطلال الجبل
واحياء الموتى وانزال الملائكة واسقاط السماء كسفها (قل) لهم يا أكرم الرسل (ان الله قادر على
أن ينزل آية) أى ان يوجد خوارق للعادة كما طلبوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى لا يدرون ان
في تنزيلها قلعا لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار وان الله تعالى لو أعطاهم ما طلبوه من
المعجزات القاهرة فإن لم يؤمنوا عند ظهورها لاستحقاق عذاب الاستئصال ولم يبق لهم عذر ولا علة كما هو
سنة الله فاقتضت رحمة الله صونهم عن هذا البلاء فما أعطاهم هذا المطلب رحمة منه تعالى عليهم وان
كانوا لا يعلمون كيفية هذه الرحمة (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم)
أى وما من دابة تمشي في الأرض أو تسبح في الماء ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو

الاطوائف أمثالكم في ابتغاء الرزق وتوقى المهالك وفي أنهم اتعرف ربها وتوحدوه وفي أنها يفهم بعضها عن
 بعض وفي أنها تبعث بعد الموت للحساب روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قتل عصفورا
 عبثا جاء يوم القيامة يعرج الى الله يقول يا رب ان هذا قتلني عبثا لم يتفع بي ولم يدعني آكل من خشاش
 الأرض وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقتص للعباد من القرناء والمقصود من هذه الآية
 الدلالة على كمال قدرته تعالى وشهول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه تعالى قادر على أن ينزل
 آية (ما فرطنا في الكتاب من شيء) أي ما تركنا في القرآن شيئا من الأشياء المهمة أي أن القرآن واف
 ببيان جميع الاحكام فليس الله على الخلق بعد ذلك تكليف آخر وان القرآن دل على أن الاجماع وخبر
 الواحد والقياس حجة في الشريعة فكل ما دل عليه أحد هذه الاصول الثلاثة كان ذلك في الحقيقة موجودا
 في القرآن روى أن ابن مسعود كان يقول مالي لا ألعن من لعنه الله في كتابه فقرأت امرأة جميع القرآن
 فأثته فقالت يا ابن أم عبد تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم أجده فيه لعن الواشعة والمستوشعة فقال لو تلوته
 لوجدته قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وان مما آتانا به رسول الله أنه قال لعن الله الواشعة
 والمستوشعة وذكرا أن الشافعي كان جالسا في المسجد الحرام فقال لا تسألوني عن شيء الا أجبتكم فيه
 من كتاب الله تعالى فقال رجل ما تقول في المحرم اذا قتل الزنبيو فقال لا شيء عليه فقال أين هذا من كتاب
 الله فقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بستي وسنة الخلفاء
 الراشدين من بعدى وقال عمر رضي الله عنه للمعمر قتل الزنبيو روى أن أبا العفيف قال للنبي صلى
 الله عليه وسلم اقض بيننا بكتاب الله فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا قضين بيننا بكتاب الله
 ثم قضى بالجلد والتغريب على العفيف وبالرجم على المرأة وهذا يدل على أن كل ما حكم به النبي صلى الله
 عليه وسلم هو عين كتاب الله لانه ليس في نص الكتاب ذكر الجلد والتغريب (ثم الى ربهم يحشرون) فان
 الله تعالى يحشر الدواب والطيور يوم القيامة بمجرد الارادة ومقتضى الالهية وروى أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاء الجاه من القرناء قال المغضرون
 انه تعالى بعد توفير العوض عليها يجعلها ترابا وعند هذا يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا (والذين كذبوا
 بآياتنا) التي هي من القرآن (صم) لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها أساطير الاولين
 (وبكم) لا يقدررون على أن ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوة الرسول بها (في الظلمات) أي
 في ضلال الكفر والجهل والعناد فلا يهتدون سبيلا (من يشاء الله يضلله) أي من يشاء الله اضلاله
 يخلق الله الضلال فيه ويمتعه على الكفر فيصل يوم القيامة عن طريق الجنة وعن وجدان الثواب (ومن
 يشاء يجعله على صراط مستقيم) أي ومن يشاء أن يجعله على طريق يرضاه وهو الاسلام يجعله عليه
 ويهدى اليه ويمتعه عليه فلا يضل من مشى اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه (قل أرايتكم ان آتاكم
 عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين) أي قل يا أكرم الرسل لكفار مكة
 يا أهل مكة اخبروني ان آتاكم عذاب الله في الدنيا كالغرق أو الخسف أو المسخ أو نحو ذلك أو آتاكم
 العذاب عند قيام الساعة أترجعون الى غير الله في دفع ذلك البلاء أترجعون فيه الى الله تعالى ان كنتم
 صادقين في ان أصنامكم آلهة فأجيبوا سؤالي أو المعنى ان كنتم قوما صادقين فأخبروني ألهام غير الله
 تدعون الخ (بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) أي انكم لا تترجعون في طلب دفع البلية
 الا الى الله تعالى فيكشف الضر الذي من أجله دعوتكم بمحض مشيئته (وتنسئون ما تشركون) أي

وتتركون الاصنام ولا تدعونهم لعلكم أنهن لا تضر ولا تنفع (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذوا بالأسساء والضراء) أي وبأنه لقد أرسلنا إلى أمم كثيرة كائنة من زمان قبل زمانك رسلاً فخالفوهم فعاقبناهم بشدة الفقر والخوف من بعضهم والأمراض والأوجاع (لعلهم يتضرعون) أي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتذلل ويتوبوا إليه من كفرهم ومعاصيهم (فلولا) أي فهلا (اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيين لهم الشيطان ما كانوا يعبدون) من الكفر والمعاصي أي فلم يؤمنوا حين جاءهم عذابنا ولكن ظهر منهم الكفر ووسوس لهم الشيطان أن حال الدنيا هكذا تكون شدة ثم نعمة فلم يخطر وابتالهم أن ما أصابهم من الشدائد ما أصابهم إلا لاجل علمهم الفاسد (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) أي فلما أنهم كفوا في المعاصي وتركوا ما وعظوا به من الشدائد فتحنا عليهم فنون النعماء على منهاج الاستدراج (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) أي حتى إذا أطمأنوا بما قنع لهم وبطروا بأن ظنوا أن الذي نزل بهم من الشدائد ليس على سبيل الانتقام من الله وأن تلك الحيرات باستحقاقهم نزل بهم عذابنا فجأة ليكون عليهم أشد وقعاً (فأذا هم مبلسون) أي محزونون غاية الحزن منقطع رجاؤهم من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي قطع غاية المشركين أي استؤصلوا بالهلاك بسبب ظلمهم بمقاومة المعاصي مقام الطاعات (والحمد لله رب العالمين) على استئصالهم بالنكال فإن هلاك الكفار والعصاة من حيث أنه تخليص لاهل الأرض من شؤم عقابهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستحقة للحمد (قل أرأيتم أن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من الله غير الله يأتىكم به) أي قل يا أكرم الخلق لاهل مكة يا أهل مكة أخبروني أن أزال الله سمعكم وأبصاركم وعقولكم أي فرد من الآلهة الثابتة بزعيمكم غير الله يأتىكم بذلك الذي أزيل (انظر) يا أكرم الرسل (كيف نصرف الآيات) أي كيف نكررهما متغيرة من نوع إلى نوع آخر فتارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب تارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين فكمل واحد يقوى ما قبله في الإيصال إلى المطلوب (ثم هم يصدفون) أي يعرضون عن تلك الآيات وثم لاستبعاد اعراضهم عنها يذكرونها على الوجوه المختلفة (قل أرأيتمكم) أي أخبروني يا أهل مكة (إن أتاكم عذاب الله) أي عذابه الخاص بكم (بغتة) أي فجأة بأن يجيئهم من غير سبق علامة تدلهم على مجيئ ذلك العذاب (أو جهرة) بأن يجيئهم مع سبق علامة تدل عليه فالعذاب وقع بهم وقد عرفوه حتى لو أمكنهم الاحتراز عنه لتحزوا منه (هل يهلك الا القوم الظالمون) أي هل يهلك بذلك العذاب غيركم عن الاستحقاق (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين) بالثواب على الطاعات (ومنذرين) بالعقاب على المعاصي ولا قدرة لهم على اظهار المعجزات بل ذلك مفوض إلى مشيئة الله تعالى (فن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي فن قبل قول المرسلين وأتى بعمل القلب الذي هو الايمان وبعمل الجسد الذي هو الاصلاح فلا خوف عليهم من العذاب الذي أنذروه ودينسوا بأكابر أو آخره ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل (والذين كذبوا بآياتنا) وهي ما ينطق به الرسل عند التبشير والانتذار ويبلغونه إلى الأمم (يعسهم العذاب) أي يصيبهم العذاب الذي أنذروه (بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم وخروجهم عن الطاعة (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم أني ملاءن أن أتبع الاماني حتى إلى) واعلم أن الكفار يطلبون من رسول الله أن يوسع خيرات الدنيا وأن يخبر عما يقع في المستقبل من المصالح والمصاير وطعنوا فيه في أكل

الطعام والمشي في السوق وفي تزوجه للنساء فأمر الله تعالى أن ينسئ عن نفسه أمورا ثلاثة تواضع الله تعالى واعترافه بالعبودية وان يقول لهم اغابعت مبشرا ومنذرا ولا أدعي كوني موصوفا بالقدرة اللائقة بالله تعالى وان خزان الله مفوضة الى تصرفيها كيف ما أشاء وأعطيكم منها ما تريدون ولا أدعي كوني موصوفا بعلم الله تعالى فاخبركم بما تريدون ولا أدعي اني ملك - حتى تكلفوني من الخوارق للعادات ما لا يطيق به البشر وحتى تعدوا عدم اتصافي بصفات الملائكة قاذحاني أمري فتسكرون قولي وتبعدون أمري وما أخبركم من غيب الابوحى من الله أنزله على (قل) لهم (هل يستوى الاعمى والبصير) أى هل يكونان سواء من غير ضرورة فان قالوا نعم كابر واخس وان قالوا لا قيل فن تسع هذه الآيات الجليات فهو البصير ومن أعرض فهو الاعمى (أفلا تتذكرون) أى ألا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه نزلت هذه الآية من قوله قل لا أقول لكم في أبى جهل وأصحابه الحرث وعبيته (وأذنبه الذين يخافون أن يحشروا) الحد بهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلمهم يتقون) أى وأذنب يا أشرف الرسل بما أوحى اليك من يجوزون الحشر ويرجى منهم التأثر بالتخويف غير منصورين بقرب ولا مشفوعا لهم من جهة أنصارهم على زعمهم من غير الله تعالى سواء كانوا جازمين بأصل الحشر كالمؤمنين العاصين وأهل الكتاب المتردين في شفاعه آبائهم الانبياء وبعض المشركين المعترفين بالبعث المتردين في شفاعه الاصنام أو متردين في أصل الحشر وفي شفاعه الآباء والاصنام معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون أن يكون حقا فيهلكوا الكي ينتهوا عن الكفر والمعاصي واما المنكرون للحشر بالكيفية والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم أو بشفاعة الاصنام فهم خارجون عن أمر بانذارهم (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) أى الذين يعبدون ربهم بالصلاة الحس أو يذكرون ربهم طرفي النهار (يريدون وجهه) أى يريدون بذلك محبة الله تعالى ورضاه أى مخلصين في ذلك روى انه جاءه الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين كعمار بن يامر وصهيب وبلال وخباب وابن مسعود وسلمان الفارسي ومهجع وعامر بن فهيرة قلميأرا وهم حوله حقروهم وقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس وأبعدت عنك هؤلاء ورأيتهم جبا بهم لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبي ما نابطارد المؤمنين قالوا فانحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنتسحى أن ترانا مع هؤلاء الا عبد فاذا نحن جنبناك فاقهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فكتب لنا عليك بذلك كتابا فأتى بالصهيفة ودعا عبد اليك فتنزل جبريل بهذه الآية فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصهيفة وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم عبد لمبايعنا محمدا فنزل الله تعالى هذه الآية وروى أن ناسا من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من الاشراف له صلى الله عليه وسلم اذا صلينا فآخر هؤلاء فليصلوا خلفنا فنزلت هذه الآية (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) فتطردهم فتكون من الظالمين) أى ما عليك من حساب رزق هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي شيء فقلهم وتبعدهم ولا من حساب رزقك عليهم شيء وانما الرزق لهم ولك هو الله تعالى فدعهم يكونوا عندك ولا تطردهم فتكون من الظالمين لنفسك بهذا الطرد ولهم لانهم استحقوا مزيدا للتقريب وقيل ان الكفار طعنوا في ايمان أولئك الفقراء وقالوا يا محمد انهم انما اجتمعوا عندك وقبلوا دينك لانهم يجدون بهذا السبب ما كولا ولملبوسا عندك والافهم

فأرغون عن دينك فقال الله تعالى ان كان الامر كما يقولون فما يلزمك الا اعتبار الظاهر وان كان له - م
باطن غير مرضي عند الله فحسابهم عليه لا يمتنع لهم لا يتعدى اليك كما أن حسابك عليهم لا يتعدى اليهم
(وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أي ومثل ذلك الفتون المتقدم فتنا بعض هذه الامة ببعض وكل أحد مبتلى
بضده فأولئك الكفار رؤساء الاغنياء كانوا يحسدون فقراء الصحابة على كونهم سابقين في الاسلام
مسارعين الى قبوله فقالوا لودخلنا في الاسلام لوجب علينا أن ننقاد لهؤلاء الفقراء المساكين وان نعترف
لهم بالتبعية فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك واعتزوا على الله في جعل أولئك الفقراء رؤساء في
الدين وأما فقراء الصحابة فكانوا يرون أولئك الكفار في الراحة والمسرات والطيبات والخصب والسعة
فكانوا يقولون كيف حصلت هذه الاحوال لهؤلاء الكفار وبالجملة فصفت الكمال مختلفة متفاوتة محبوبة
لذا تم توزيعها على الخلق فلا يجتمع في انسان واحد البتة فكل أحد يحسد صاحبه على ما آتاه الله من
صفات الكمال (ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) بالايان بالله ومتابعة الرسول وغرضهم بذلك
انكار وقوع المن رأسا وهذه اللام كي والتقدير ومثل ذلك الفتون فتنا يقولوا هذه المقالة امتحاننا
وقيل انها لام الصبر والمعنى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليصبروا أوليس كروا فكان عاقبة أمرهم
ان قالوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا قال تعالى رد عليهم (أليس الله بأعلم بالشاكرين) لنعمه حتى
تستبعدوا انعامه عليهم وفي هذا الاستفهام التقريرى اشارة الى أن الضعفاء عارفون بحق نعم الله تعالى
في تنزيل القرآن وفي التوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك وتعريض بان القائلين بتلك المقالة
بعزل من ذلك كله (واداجاك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) قيل نزلت هذه الآية في أهل
الصفة الذين سأل المشركون رسول الله عليه السلام طردهم فآكرمهم الله تعالى بهذا الاكرام فان الله
تعالى نهي رسوله أولا عن ايعادهم ثم أمره بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه في الدنيا والرحمة في الآخرة
(كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي أوجب على ذاته المقدسة الرحمة بطريق الفضل والكرم تبشيرهم
بسعة رحمته تعالى وبنبيل المطالب (أنه من عمل منكم سوءاً) أي ذنباً (بجهالة) بتعمد بسبب الشهوة
وكان جاهلاً بمقدار ما يستحقه من العقاب وما يفوته من الثواب (ثم تاب من بعده) أي نعم من بعده عمل
العصية (وأصلح) عمله بالتوبة منه تداركاً وعزماً على أن لا يعود اليه أبداً (فأنه) أي الله (غفور)
بسبب ازالة العقاب (رحيم) بسبب ائصال الثواب الذي هو النهاية في الرحمة (وكذلك نفصل الآيات)
أي كما فصلنا لك في هذه السورة دلالة على صحة التوحيد والنبوة والقضاء والقدر فكذلك نفصل لك حججنا
في تقرير كل حق ينكره أهل الباطل (ولتستبين سبيل المجرمين) قرأنا فاعلموا بالتأنيب خطاب للنبي
وسبيل بالنصب أي ولتستوضح أنت يا محمد سبيل المشركين فتعاملهم بما يليق بهم وقرأ حزقيا والكسائي
وأبو بكر عن عاصم يستبين بالياء وسبيل بالرفع والباقون بالتاء وسبيل بالرفع وقوله وليستبين عطف على
المعنى كأنه قيل ليظهر الحق وليتضح سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل (قل) يا أشرف الخلق للصبرين
على الشرك (اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أي اني نهيت في القرآن عن عبادة
ما تعبدونه من دون الله وهو الاصنام (قل لا أتبع أهواءكم) في عبادة الاحجار وهي أخس مرتبة من
الانسان بكثير فانهم كانوا يخشون تلك الاصنام وانما يعبدونها ابتغاءاً على محض الهواه لا على سبيل الحجة
فان اشتغال الاشرف بعبادة الاخس أمر يدفعه صريح العقل (قد ضللت اذا) أي ان اتبعت أهواءكم
(وما أنا من المهتدين) أي ما أنا في شيء من الهدى حين أكون في عدادهم (قل اني بينة) أي حجة

واضح تفصيل بين الحق والباطل وهي الوحى (من ربى) فى انه لا معبود سواه (وكذبتم به) أى برى
حيث أشركتم به غيره (ما عندى ما تستعجلون به) أى من العذاب أى ليس أمره بمفوض الى غير الاول
نافية وما الثانية موصولة وسبب نزول هذه الآية أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب
عليهم بسبب هذا الشرك وكان النضر بن الحرث وأصحابه يستعجلونه بقوله متى هذا الوعدان كنتم
صادقين بطريق الاستهزاء أو بطريق الإلزام على زعمهم فقال تعالى قل يا أشرف الخلق ليس ما تستعجلونه
من العذاب الموعود فى القرآن وتتعجلون تأخره ذريعة الى تكذيبه فى حكمى وقد رتبى حتى أجي به
وأظهر لكم صدقه (إن الحكم الا لله) أى ما الحكم فى نزول العذاب تعجلاً وتأخيراً الا لله (يقض الحق)
قرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقض بالصاد المشددة وضم القاف أى ينهى الحق ويقول الحق لا كل ما أخبر
الله به فهو حق وقرأ الباقر يقض بسكون القاف وكسر الصاد بغير ياء لستقوطها فى اللفظ أى يقضى
القضاء الحق أو يصنع الحق لأن كل شئ صنعه الله فهو حق (وهو خير الفاصلين) أى أفضل القاضين
(قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمرينى وبينكم) أى قل يا أكرم الرسل لو أن فى قدرتى
ما تطلبون به قبل وقته من العذاب الذى ورد به الوعيد بأن يكون أمره مفوضاً الى من الله تعالى لفصل
ما بينى وبينكم بأن نزل عليكم ذلك عقاب استعجالكم بقوله كم متى هذا الوعد واسترحت (والله أعلم
بالظالمين) أى أعلم بحال المشركين وبأنهم مستحقون للإمهال بطريق الاستدراج فوقع بالنضر بن
الحرث العذاب الذى سأل فقتل صبراً يوم بدر (وعنده مفاتيح الغيب) أى علم الغيب لأن المفاتيح هى التى
يتوصل بها الى ما فى الخزائن فمن علم كيف يفتحها ويتوصل بها الى ما فيها فهو عالم أو المعنى وعنده تعالى
خاصة خزائن الغيب أى قدرة كاملة على كل المسكنات من المطر والنبات والثمار ونزول العذاب (لا يعلمها
الا هو) أى لا يعلم مفاتيح الغيب بنزول العذاب الذى تستعجلون به الا هو فالعذاب ليس مقدوراً الى حتى
أعجله لكم ولا معلوماً لى حتى أخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلماً (ويعلم ما فى البر
والبحر) من الموجودات مفصلة على اختلاف أجناسها وأنواعها وتكثر أفرادها وانما قدم ذكر البر
لأن الانسان قد شاهد أحوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والمفاوز والجبال والتلال والحيوان
والنبات والمعادن وأما البحر فاعلموا أنه أرحز كره لأن احاطة العقل بأحواله أقل لكن الحس يدل على ان
عجائب البحر أكثر وأجناس المخلوقات أعجب وان طول البحر وعرضه أعظم (وما تسقط من ورقة)
من الشجر والنجم (لا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) أى وما
حبة ملقاة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس من كل شئ الا فى علم الله تعالى فاذا سمع الانسان ان الحبة
الصغيرة الملقاة فى مواضع متسعة يبقى أكبر الاجسام مخفياً فيها وان الماء والنبات والحى وخلافها لا تخرج
عن علم الله تعالى صارت هذه الامثلة منبهة على معنى قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو وقيل
والمراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ انما كتب هذه الاحوال فى اللوح المحفوظ لتقف الملائكة على
نفاذ علم الله تعالى فى المعلومات فيكون فى ذلك عبرة تامة للملائكة الموكنين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون
به ما يحدث فى صحيفة هذا العالم فيجدونه موافقاً له (وهو الذى يتوفاكم بالليل) أى يغميكم فى الليل وانما
ضح اطلاق لفظ الوفاة على النوم لأن ظاهر الجسد صار معطلا عن بعض الاعمال عند النوم كما ان جملة
البدن صارت معطلة عن كل الاعمال عند الموت فحصل بين النوم والموت مشابة من هذا الاعتبار (ويعلم
ما جرحتم بالنهار) أى يعلم ما كسبتم من أعمال الجوارح فى النهار (ثم يبعثكم فيه) أى يوقظكم فى

النهار (ليقضى أجل مسمى) أى لى يتم أجل معين عند الله لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتجاوز أحد ما عين له طرفة عين (ثم اليه مرجعكم) أى رجوعكم بالموت (ثم ينشئكم بما كنتم تعملون) أى ينجزكم بمجازاة أعمالكم التى كنتم تعملونها فى الليل والنهار من الخير والشر (وهو القاهر فوق عباده) أى وهو الغالب المتصرف فى أمور عباده يفعل بهم ما يشاء أيجاز أو أعدم أو أحياء وإماتة وإنباء وتعذيبا إلى غير ذلك فالمكآت كلها مقهورة تحت قهر الله تعالى مسخرة تحت تسخير الله تعالى (ويرسل عليكم حفظة) أى ملائكة يحفظون أعمالكم ويكتبونها فى صحائف تقرأ عليكم يوم القيامة على رؤس الشهداء (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) أى حتى إذا انتهت مدة أحدكم وانتهى حفظ الحفظة وجاءه أسباب الموت قبضه ملك الموت وأعوانه (وهم) أى هؤلاء الرسل (لا يفرطون) أى لا يؤخرون الميت طرفة عين وقرئ بسكون الفاء أى لا يجاوزون ما حدد لهم بزيادة أو نقصان (ثم ردوا إلى الله) أى ثم رد جميع البشر بعد البعث بالحشر إلى حكم الله وجزائه فى موقف الحساب وقيل المعنى ثم يرد أولئك الملائكة فانهم يعوون كما يعوت بنو آدم (مولاهم الحق) أى مالكمهم الذى لا يقضى إلا بالعدل (إلا له الحكم) يومئذ صورة ومعنى (وهو أمرع الحاسدين) يحاسب جميع الخلائق فى أقصر زمان لا يشغله كلام عن كلام ولا حساب عن حساب وفى الحديث أن الله تعالى يحاسب الكل فى مقدار حلب شاة أى وذلك لأنه تعالى لا يحتاج إلى فكر وعسد (قل) يا كرم الخلق لسكفار مكة (من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) أى من شدائد هما الهائلة التى تبطل الحواس وتدهش العقول (تدعونه) والضمير عائذ لمن وهذه الجملة فى محل نصب على الحال إما من مفعول ينجيكم أى من ينجيكم منها داعين إياه راما من فاعله أى من ينجيكم منها مدعوا من جهةكم (تضرعا وخفية) أى تدعونه دعاء إعلان وإخفاء أو تدعونه متضرعين ومخلصين بقلوبكم قائلين (لئن أنجيتنا من هذه) أى الأهوال والشدائد (لنكونن من الشاكرين) أى من المؤمنين المداومين على الشكر لاجل هذه النعمة وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر خفية بكسر الخاء والباقون بالضم وعلى هذا الاختلاف فى سورة الاعراف وقرأ الامش وخيفة بكسر الخاء فبعده الياء الساكنة من الخوف أى مستكينا أو دعاء خوف والآية تدل على أن الإنسان يأتى عند حصول الشدائد بأمور أحدها الدعاء وثانيها التضرع وثالثها الإخلاص بالقلب وهو المراد من قوله وخيفة ورابعها التزام الشدائد بالشكر وهو المراد من قوله لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وقرأ عاصم وحزقوال كسائى لئن أنجيتنا على المغاية وينجيكم بالتشديد فى الموضعين والباقون لئن أنجيتنا على الخطاب وينجيكم بالتشديد والتخفيف وحجة من قرأ على المغاية أن ما قبل لفظ أنجيتنا هو تدعونه وما بعده وهو قل الله ينجيكم منها مذكور بلفظ المغاية ولا يحتاج فى هذه القراءة على ضمائر نحو تقولون فالأضمار خلاف الأصل وحجة من قرأ على مخاطبة قوله تعالى فى آية أخرى لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (قل الله ينجيكم منها) أى الله وحده ينجيكم من شدائد البر والبحر (ومن كل كرب) أى غم سوى ذلك (ثم أنتم) يا أهل مكة بعدما تشاهدون هذه النعم الجليلة (تشركون) بعبادته تعالى غيره الذى عرفتم أنه لا يضر ولا ينفع ولا تفنون بعهدكم (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كالطير كما فعل بقوم نوح والنجارة كما رمى بها أصحاب الفيل وقوم لوط والصيحة أى صرخة جبريل التى صرخها على قوم صالح والريح كما فى قوم هود (أو من تحت أرجلكم) كالرجفة وغرق فرعون وخسف قارون (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) أى يخلط أمركم خلطا اضطراب

• جعلكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة متتابعة لآمام فإذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضا (انظر كيف نصرف الآيات) أي نكرر هامتغيرة من حال الى حال (لعلهم يفتقرون) أي كي يفتقروا على جليلة الامر فيرجعوا هم عليه من العناد (وكذب به قومك وهو الحق) أي وكذبوا بالعذاب والحال انه الواقع لا بد وان ينزل بهم أو المعنى وكذب قريش بالقرآن وهو الكتاب الصادق في كل ما نطق به وفي كونه منزلا من عند الله (قل لست عليكم بوكيل) أي قل يا أكرم الرسل لهؤلاء المكذبين لست عليكم بمحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلائل انما أنا منذروا والله هو المجازي لكم بأعمالكم (الكل نبأ مستقر) أي لكل خبر بخبره الله تعالى وقتا يحصل فيه من غير تأخير أو المعنى لكل قول من الله من الوعد والوعيد استقرار حقيقة منه ما يكون في الدنيا ومنه ما يكون في الآخرة (وسوف تعملون) أي ولا بد ان يعلموا ان الامر كما أخبر الله تعالى عنه عند ظهوره (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) أي وإذا رأيت أيها السامع الذين يستهزؤن بآياتنا فارتك محاسنهم كي يشرعوا في حديثهم في غير آياتنا أي في غير الاستهزاء بالقرآن ونقل الواحدى ان المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن فشتوا واشتهزوا فامرهم الله بترك مجالسة المشركين (واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى من القوم الظالمين) أي وان يشغلك الشيطان فتنسى النهى فتجالسهم فلا تقعد معهم بعد تذكر النهى (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون) قال ابن عباس قال المسلمون ان كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن قناعهم لما قدرنا على ان نجالس في المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فنزلت هذه الآية أي ما على الذين يتقون قبايح أعمال الخائضين بما يحاسبون عليه من آثامهم شيء ولكن تذكر لعلهم يحاسبون الخوض حياء أو نحوه وقوله تعالى ذكرى معطوف على محل شيء وهو رفع على انه مبتدأ مؤخر أو اسم ما ومن مريدة للاستغراق ومن حسابهم حال من شيء (وذر الذين اتخذوا دينهم لهما ولها وغرتهم الحياة الدنيا) أي أعرض عن الذين نصرروا الدين ليمتسكوا بها الى أخذ المناصب والرئاسة وغلبة الخصم وجمع الاموال ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تقم لهم في نظرك وزنا وانما نصرروا الدين للدنيا لاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا أي اطمانوا بها فلاجل استيلاء حب الدنيا على قلوبهم اعرضوا عن حقيقة الدين واقتصر واعلى تزين الظواهر ليمتسكوا بها الى حطام الدنيا واذا تأملت في حال أكثر الخلق وجدتهم موصوفين بهذه الصفة وداخلين تحت هذه الحالة والله أعلم والمحقق في الدين هو الذي ينصر الدين لاجل انه قام الدليل على انه صواب (وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت) أي ذكرهم بمقتضى الدين مخافة احتباسهم في نار جهنم بسبب جنائياتهم لعلهم يخافون (ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) أي ليس للنفس من غير الله ناصر ولا شفيع يمنع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) أي وان تغد تلك النفس بكل فداء لا يقبل منها حتى لو جعلت الدنيا بأسرها فدية من عذاب الله لم تنفع (أولئك الذين أفسدوا عما كسبوا لهم شرابا من حميم وعذاب ألیم بما كانوا يكفرون) أي أولئك المتخذون دينهم لهما ولها والمفكرون بالحياة الدنيا هم الذين حبسوا في جهنم بما كسبوا في الدنيا لهم شراب من ماء مغلى يتجر جرف بطونهم وتقطع به امعاؤهم وعذاب ألیم ينارتشتمل بأبدانهم بسبب كفرهم المستمر في الدنيا (قل اندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونزدع على أعقابنا بعد اذ هانا الله) أي قل يا أكرم الرسل لهؤلاء المشركين الذين دعوا الى دين آباءهم كعينة وأصحابه أن عبد متجاوزين

عبادة الله الجامع لجميع صفات الألوهية ما لا يقدر على تفهيمنا في الدنيا والآخرة أن عبدناه ولا على ضرفا
 فيهما إذا تركناه ونزد إلى الشرك بعد أذهانا الله إلى الإسلام وأنقذنا من الشرك وأنما يقال لكل من
 أعرض عن الحق إلى الباطل أنه رجع إلى خلف ورجع على عقبيه لأن الأصل في الإنسان هو الجهل ثم
 إذا تم كامل حصل له العلم فإذا رجع من العلم إلى الجهل مرة أخرى فكان له رجع إلى أول مرة (كالذي
 استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى اثننا) أي فيكون مثلنا كالذي استنزله
 الشياطين من الموضع العالي إلى الوهدة السافلة العميقة في قعر الأرض آثمها عن الجادة لا يدري ما يصنع
 وللنازل إلى الوهدة المظلمة عينيه وأصحابه رقعة وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يدعونه إلى الطريق
 المستقيم يقولون ائتنا إلى الجادة والغيالان ينزلونه إلى السافلة المظلمة فبقى متحيرا أين يذهب وهذا المثل في
 غاية الحسن وذلك لأن الذي يهوى من المكان العالي إلى الوهدة العميقة يهوى إليها مع الاستدارة على نفسه
 كما أن الحجر حال نزوله من الأعلى إلى الأسفل ينزل على الاستدارة وذلك يدل على كمال التردد والتحير فعند
 نزوله لا يعرف أنه يسقط على موضع يكثربلاؤه بسبب سقوطه أو يقل فاذا اعتبرت مجموع هذه الأحوال
 علمت أنك لا تجد مثالا للتحير المترددا لحادث أحسن ولا أكمل من هذا المثال (قل إن هدى الله) الذي
 هدانا إليه وهو الإسلام (هو الهدى) الكامل النافع الشريف وما عدا ضلال محض وغى بحت (وأمرنا
 لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوا) أي قل وأمرنا بأن نخلص العبادة لرب العالمين لأنه المستحق
 للعبادة وقل أقيموا الصلاة واتقوا الله تعالى في مخالفة أمره والمقصود من ذكر هذين النوعين من الخطأ
 تنبيه على الفرق بين حالي الكفر والإيمان فإن الكافر بعيد فائب والمؤمن قريب حاضر فيخطب الكافر
 بخطاب الغائبين لأنه كالأجنبي الغائب فيقال له وأمرنا لنسلم لرب العالمين وإذا أسلم وأمن صار كالقريب
 الحاضر فيخطب بخطاب الحاضرين ويقال له وأقيموا الصلاة واتقوا (وهو الذي إليه تحشرون) أي
 تجمعون يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم (وهو الذي خلق السموات والأرض) وما فيهما (بالحق) أي
 قائما بالحق لا عابثا (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) أي وأمره المتعلق بكل شيء يريد خلقه حين
 تعلقه به هو المعروف بالحقيقة والمراد من هذا الأمر التنبيه على نفاذ قدرته ومشيئته في تكوين الكائنات
 وهذا بيان أن خلقه تعالى للسموات والأرض ليس عما يتوقف على مادة ولا مدة بل يتم بمحض الأمر
 التكويني من غير توقف على شيء آخر أصلا والمراد بالقول كلمة كن تخيل لأن سرعة قدرته تعالى أقل
 زمنا من زمن النطق بكن (وله الملك يوم ينفخ في الصور) أنما أخبر الله عن ملكه يومئذ لأنه لا منازع
 له يومئذ فإن الملوك اعترفوا بأن الملك لله الواحد القهار والصور قرن ينفخ فيه أسرافيل نفختين نفخة الصعق
 أي الموت ونفخة البعث للحساب (عالم الغيب والشهادة) أي عالم ما غاب عن العباد وما علمه العباد وقوله
 تعالى وله الملك يدل على كمال القدرة وقوله عالم الغيب والشهادة يدل على كمال العلم (وهو الحكيم الخبير)
 فالحكيم هو المصيب في أفعاله والخبير هو العالم بحقائق الأشياء من غير اشتباه (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر)
 وهو في التوراة تارح فلائبي إبراهيم اسمان آزر وتارح بن ناحور وأسلم أن جميع نسب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مطهر من عبادة الأصنام مادام النور المهدى في أصلابهم أما بعد انتقاله منهم فتجوز عليهم عبادة
 الأصنام وغيره من سائر أنواع الكفر (أنتخذ أصناما آلهة) أي أنتجعل لنفسك أصناما آلهة فتعبد
 أصناما شتى صغيرا وكبيرا ذكرًا وأنثى (إني أراك وقومك في ضلال مبين) أي إني أراك يا أبا وتقومك
 في ضلال عن الحق بين في الاتفاق على عبادة الأصنام (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض

وليكون من الموقنين) أى كما أرى بنا إبراهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف ما كان قومه عليه من عبادة الأصنام نزيه ملكوت السموات والأرض من وقت طفوليته ليراهن ما يتوسل بها إلى معرفة جلال الله تعالى وقدره وعلوه وعظمته وليصير زمان بلوغه من البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى لأن مخلوقات الله وإن كانت متناهية في الذوات والصفات فهي غير متناهية من جهات دلالتها على الذوات والصفات كما نقل عن امام الحرمين أنه يقول معلومات الله تعالى غير متناهية ومعلوماته في كل واحد من تلك المعلومات غير متناهية أيضاً وذلك لأن الجوهر الفردي يمكن وقوعه في احيان لانهاية لها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لانهاية لها على البدل وكل تلك الاحوال التقديرية دالة على حكمة الله وقدرته وإذا كان الجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ كذلك فكيف القول في ملكوت الله تعالى فثبت ان دلالة ملك الله تعالى على سموات عظمتهم وعزته غير متناهية وحصول المعلومات التي لانهاية لها دفعة واحدة في عقول الخلق محال حينئذ لا طريق الى تحصيل تلك المعارف الا بان يحصل بعضها عقب بعض وهذا هو المراد من قول الحق: *بين السفر الى الله له نهاية وأما السفر في الله فانه لانهاية له والله أعلم (فلما جن) أى أظلم (عليه الليل) في السرب (رأى كوكبا) وهى الزهرة وهى في السماء الثالثة (قال هذاربي) مجازاً مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب (فلما أفل) أى غرب (قال لأحب الآفلين) أى لأحب الارباب المعتقدين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجين بالاستتار (فلما رأى القمر بازغا) أى مبتدئاً في الطلوع اترغروب الكوكب (قال هذاربي) هذا أكبر من الاول حكاية لقول الخصم الذين يعبدون الكواكب (فلما أفل قال ثن لم يهدني رب) الى حضرت الحق (لا كون من القوم الضالين) فان شيئاً مما رأيته لا يليق بالربوبية (فلما رأى الشمس بازغة) أى مبتدئة في الطلوع (قال هذاربي هذا أكبر) من الاول والثاني (فلما أفلت) أى هوى (قال) مخاطباً للكل صاعداً بالحق بينهم (يا قوم اني برى عما تشركون) بالله من الاجرام المحدثه المحتاجة الى محدث اعلم أن أكثر المفسرين ذكروا أن ملك ذلك الزمان وهو غروذن كنعان رأى رؤيا كان كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء وعبرها المعبرون بأنه يولد غلام يمازعه في ملكه فأمر ذلك الملك بفتح كل غلام يولد في هذه السنة فحبلت أم إبراهيم به وما أظهرت حملها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف ووضعت إبراهيم فيه وسدت الباب بمحجر فجاء جبريل عليه السلام ووضع أصبعه في فيه فصبه فخرج منه رزقه وكان يتعهد جبريل عليه السلام فكانت الام تأتبه أحياناً وترضعه وبقى على هذه الصفة حتى كبر وعقل وعرف ان له رباً فأسأل الام فقال لها من ربى فقالت أنا فقال ومن ربك قالت أبوك فلما أتاه أبوه آزر فقال يا أبتا من ربى قال أمك قال فمن رب أمى قال أنا قال فمن ربك قال ملك البلد غروذن فعرف إبراهيم جهلها وبرهما فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من باب ذلك الغار ليرى شيئاً يستدل به على وجود الرب تعالى فرأى النجم الذي هو أضوء النجوم في السماء فقال هذاربي الى آخر القصة وابتدأ إبراهيم من المشركين توجه الى منشي هذه المصنوعات فقال (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض) أى انى وجهت طاعتي وصرفت وجه قلبي للذى أخرج السموات والأرض الى الوجود (حنيفاً) أى مائلاً عن كل معبود دون الله تعالى (وما أنا من المشركين) فى شئ من الافعال والاقوال (رجاهه قومه) أى خاصه وهى في آلهتهم وخوفهم بها روى أنه لما شب إبراهيم جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها له ليبيعها فيذهب بها وينادى من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بآبائه عليه ذهب بها الى نهر وضرب فيه رؤسها وقال*

لها شر بي استهزأه بقومه حتى فشا فيهم استهزأوه بما قالوا له احذروا الاصنام فانما تخافون أن تمسك بغيره بل أو
جنون بعبيل أياها فذلك قوله تعالى وحاجه قومه (قال) أي ابراهيم لهم (أتعجبون في الله) أي
أتعجبونني في وحدانية الله (وقد هذان) لدينه فمكيف التفت الى حجتكم العلية وكلما تكلم الباطلة
(ولا أخاف ما تشركون به) من الاصنام لان الخوف انما يحصل عن يقدر على النفع والضرر والاصنام
جمادات لا قدرة لها على النفع والضرر فكيف يحصل الخوف منها (الا أن يشاء ربى شياً) أي لا أخاف
معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا أن يشاء ربى شيئاً من المكر ويصيني من
جهتها كان يحبسها ويحكمها من ايصال المنفعة والمضرة الى أو من تزع المعرفة من قلبي فأخاف مما تخافون
وسع ربى كل شئ علماً) فانه هلام الغيوب فلا يفعل الا الصلاح والحكمة في تقدير أن يحدث من مكره
الذي يافذك لانه تعالى عرف وجه الصلاح والخير فيه لا لاجل انه عقوبة على الطعن في الهية الاصنام
(أفلا تتذكرون) ان نفي الشركاء عن الله تعالى لا يوجب زول العذاب واثبات التوحيد له تعالى لا يوجب
استحقاق العقاب أو المعنى أتعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات لا تضر ولا تنفع فلا
تتذكرون أنها غير قادرة ولا تتعظون فيما أقول لكم من النبي (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون
أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً) أي وكيف أخاف الاصنام التي لا قدرة لها على النفع والضرر
وأنتم لا تخافون من الله أشرككم بالله ما يمنع حصول الحجة فيه أو ما لم يرد الأمر به أي وكيف أخاف أنا
ما ليس في حيز الخوف أصلاً وأنتم لا تخافون فأناله ما هو أعظم المخوفات وهو أشرككم بالله الذي لا يعاقل
ذاته وصفاته شئ في الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته (فأي الفريقين أحق بالامن) أي
ما لكم تنكرون على الامن في موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن في موضع الخوف فأي
الفريقين من الموحدين والمشركين أحق بالامن من معبود أحد الفريقين (ان كنتم تعلمون) من
أحق بذلك فأخبروني فلم يجيبوا فأجاب الله ما سأله عنهم فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
أولئك لهم الامن) أي الفريق الذين آمنوا ولم يخلطوا ايمانهم بشرك لم يثبتوا الله شريكاً في العبودية
أولئك لهم الامن من العذاب (وهم مهتدون) الى الصواب ومن عداهم في ضلال ظاهراً والله تعالى
شرط في الايمان الموجب للامن عدم الظلم أي عدم النفاق بالايان وأما الفاسق فهو مؤمن فوعيد
الفاسق من أهل الصلاة يحتمل أن يعذبه الله وأن يعفو عنه فالامن زائل والخوف حاصل فلم يلزم من عدم
الامن القطع بمحصل العذاب والله أعلم (وتلك) أي ما احتج به ابراهيم على قومه (حجتنا آتيناها)
أي ألهمناها (ابراهيم على قومه) متعلق بحجتنا (نرفع درجات من نشاء) قرأ عاصم وحمة
والكسائي بغير إضافة أي نرفع من نشاء رفعه في رتب عظيمة عالية من العلم والحكمة والمنزلة وقرأ الباقر
بالإضافة (ان ربك) يا أكرم الرسل (حكيم) في كل ما فعل من رفع وخفض (عليم) بحال من
يرفعه أي ان الله يرفع درجات من يشاء بمقتضى حكمته وعلمه فان أفعاله تعالى منزهة عن العيب (وهبنا
له) أي لابراهيم لصلبه (امحق ويعقوب) من امحق (كلا هدينا) أي كل واحد من ابراهيم وامحق
ويعقوب أرشدنا الى النبوة والرسالة (ونوحاً هدينا من قبل) أي من قبل ابراهيم (ومن ذريته) أي
وهدينا من ذريته نوح (داود وسليمان وأيوب) هو ابن أموص من أسباط عيص بن امحق (ويوسف
وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين) أي ونجزي المحسنين المذكورين جزاءً كأننا مثل ذلك الجزاء
على احسانهم وهو الايتان بالاعمال الحسنة على حسن الوصف في المقارن لحسنها الذاتي وقد فسر النبي صلى

الله عليه وسلم بقوله الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك (ورزكريا) ابن أذن
(ويحيى) ابنه (وعيسى) بن مريم بنت عمران (والياس) بن ياسين بن فحماص بن عيزار بن
هرون بن عمران (كل) أى كل واحد من أولئك المذكورين (من الصالحين) أى من السكاملين
في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي (واهميل) بن ابراهيم (واليسع) بن أحطوب
ابن الجوز قرأ حمزة والكسائي واليسع بشدة اللام وسكون الياء والباقون واليسع بلام واحدة
ساكنة وبفتح الياء (ويونس) بن متى (ولوطا) بن هاران أخى ابراهيم (وكلد) من هؤلاء
الانبياء (فضلنا على العالمين) فهم يفضلون على الملائكة والاولياء واعلم أن الله تعالى
خص كل طائفة من الانبياء بنوع من الكرامة والفضل فمنهم أصول الانبياء واليههم يرجع
حسبهم جميعا وهم نوح و ابراهيم واسحق ويعقوب ثم المراتب المعتمدة عند جمهور الخلق بعد النبوة
الملك والسلطان والقدرة وقد أعطى الله داود وسليمان من هذا الباب نصيبا عظيما ثم المرتبة
الثالثة البلاء الشديد والمحنة العظيمة وقد خص الله أيوب بهذه الخاصية والمرتبة الرابعة من كان
مستجما لها نين الخالتين وهو يوسف فإنه نال البلاء الكثير في أول الامر ثم أعطاه الله النبوة مع
ملك مصر والمرتبة الخامسة من فضائل الانبياء قوة المعجزات وكثرة البراهين والمهاجبة العظيمة والاصولة
الشديدة وذلك في حق موسى وهرون والمرتبة السادسة الزهد الشديد والاعراض عن الدنيا وترك مخالطة
الخلق وذلك كما في حق زكريا ويحيى وعيسى والياس ولهذا السبب وصفهم الله بأنهم من الصالحين ثم
ذكر الله بعد هؤلاء من لم يبق له فيما بين الخلق اتباع وهم اسماعيل واليسع ويونس ولوط والله أعلم
(ومن آباؤهم وذرياتهم واخوانهم) وهذا ما عطف على كلا فالعامل فيه فضلنا ومن تبعه ضية أو على نوحا
فالعامل فيه هدينا ومن ابتدائية والمفعول محذوف أى وهدينا بالنبوة والاسلام من آباؤهم جماعات
كثيرة آدم وشيث وادريس وهود وصالح ومن ذرياتهم جماعات كثيرة وأولاد يعقوب ومن اخوانهم
جماعات اخوة يوسف (واجتبتناهم) أى اصطفتناهم بالنبوة والرسالة (وهديناهم الى صراط
مستقيم) أى الى معرفة التوحيد وتنزيه الله تعالى عن الشرك (ذلك) أى معرفة الله بوحدانيته
(هدى الله) أى دين الله فان الايمان لا يحصل الا بخلق الله تعالى (يهدي به من يشاء من عباده) وهم
المستعدون للهداية في الارشاد (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) أى ولو أشرك هؤلاء الانبياء
لحبط عنهم مع فضلهم وعلو درجاتهم أعمالهم المرضية وعبادتهم الصالحة فكيف بمن عداهم والمقصود من
هذا الكلام تقرير التوحيد وابطال طريقة الشرك (أولئك) أى الانبياء الثمانية عشر (الذين
آتيناهم الكتاب) أى أعطيناهم فهما تاما لما في الكتاب وعلما محيطا بأسراره (والحكم) فان الله
تعالى جعلهم حكاما على الناس نافذى الحكم فيهم بحسب الظاهر (والنبوة) فيقدرون بها على
التصرف في ظواهر الخلق كالسلاطين وفي بواطنهم وأرواحهم كالعلماء (فان يكفربها) أى بهذه
الثلاثة (هؤلاء) أى كفار قريش (فقدو كتابها) أى وفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها (قوما
ليسوا بها بكافرين) أى يجاحدين في وقت من الاوقات وهم الانصار وأهل المدينة (أولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده) أى أولئك الذين قصصناهم من النبيين هداهم الله بالاخلاق الحسنى فباخلاقتهم
الشريفة اقتده واستدل بهذه الآية بعض العلماء على ان محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع
الانبياء وذلك لان جميع الصفات الحميدة كانت متفرقة فيهم فأمر الله تعالى رسوله سيدنا محمدا صلى الله عليه

وسلم أن يقتدى بهم بأمرهم في جميع صفات الكمال التي كانت متفرقة فيهم فيلزم أنه صلى الله عليه وسلم حصلها ومتى كان الأمر كذلك وجب أن يقال أنه صلى الله عليه وسلم أفضل منهم بكلية ثم فكان نوح صاحب تحمل الأذى من قومه وكان إبراهيم صاحب كرم وبذل مجاهدة في الله تعالى وكان اسحق ويعقوب صاحبي صبر على البلاء والمحن وكان داود وسليمان من أصحاب الشكر على النعمة وكان أيوب صاحب صبر على البلاء وكان يوسف جامع بين الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد في الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع (قل) يا أشرف الخلق لأهل مكة (لأأسألكم عليه) أي القرآن (أجرا) من جهنكم (إن هو إلا ذكرى للعالمين) أي ما القرآن إلا عظة للعن والانس من جهته تعالى (وما قدرنا الله حق قدره) أي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) روى أن مالك ابن الصيف وهو من أحبار اليهود ورؤسائهم جاء في مكة يخاضع النبي صلى الله عليه وسلم لم وكان رجلا مهينا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله تعالى يبغض الحبر السمين فقال نعم وكان يحب اخفاء ذلك لكن أقر لاقسام النبي عليه فقال له النبي أنت جبر سين وقد سمعت من الأشياء التي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب مالك بن الصيف ثم التفت إلى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فلما سمع قومه تلك المقالة قالوا ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت هذا قال أغضبتني محمد فقلت له فقالوا وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق فعزلوه من الحبرية وعن رياستهم لاجل هذا الكلام وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف (قل) لهم (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس) أي حال كون الكتاب ظاهرا جليا في نفسه وهاديا للناس من الضلالة (تجعلونه قراطيس تبدونهم وتخفون كثيرا) أي تضعون الكتاب في ورقات مفرقة فجعلوه أجزاء نحو نيف وثمانين جزءا ففعلوا ذلك ليمكنوا من اخفاء من أرادوا اخفاءه فيجعلون ما يريدون اخفاءه على حدة ليمكنوا من اخفاءه قرأ ابن كثير وأبو عمر وبياه الغيبة في الأفعال الثلاثة والباقيون بتساء الخطاب (وعلمتم) أيها اليهود من الأحكام وغيرها (ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) من قبل نزول التوراة وقيل المراد من قوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم أن التوراة كانت مشتملة على البشارة بمقدم محمد واليهود قبل مقدمه صلى الله عليه وسلم كانوا يقرؤن تلك الآيات وما كانوا يفهمون معانيها لم يبعث الله محمدا فظهر أن المراد من تلك الآيات هو مبعثه صلى الله عليه وسلم (قل الله) أي قل يا أكرم الرسل المنزل لهذا الكتاب هو الله تعالى (ثم نذرهم في خوضهم يلعبون) أي ثم أتركهم في باطلهم الذي يخوضون فيه يسخرون فانك إذا أقت الحجة لم يبق عليك من أمرهم شيء البتة (وهذا كتاب أنزلناه) أي وهذا القرآن كتاب أنزلناه بالوحى على لسان جبريل (مبارك) أي كثير خيره دائم منفعة يبشر بالمغفرة ويزجر عن العصية (مصدق الذي بين يديه) أي موافق للكتب التي قبله في التوحيد وتنزيه الله والدلالة على البشارة والندارة (ولنتذرا أم القرى) قرأ شعبة لينذر على الغيبة أي لينذر الكتاب والمباثون ولنتذرا بالخطاب أي ولنتذرا يا أكرم الرسل أهل مكة مهيت أم القرى لأنها قبله أهل الدنيا ولا نهام موضع الحج وهي من أصول عبادات أهل الدنيا فيجتمع الخلق إليها كاجتماع الأولاد إلى الأم فلما اجتمع أهل الدنيا فيها بسبب الحج فيلزم أن يحصل فيها نواع التجارات

وهي من أصول المعيشة فلهذا السبب سميت مكة أم القرى (ومن حولها) أي من أهل جسيم بلاد العالم
(والذين يؤمنون بالآخرة) أي بالوعد والوعيد والثواب والعقاب (يؤمنون به) أي بالكتاب (وهم
على صلاتهم يحافظون) فإن الايمان بالآخرة يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك يحمل على
المحافظة على الصلاة وتخصيصها بالذكرا لأنها أشرف العبادات بعد الايمان بالله فلم يقع اسم الايمان على
شي من العبادات الظاهرة إلا على الصلاة قال تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم ولم يقع
اسم الكفر على شيء من العاصي إلا على ترك الصلاة قال صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد
كفر (ومن أظلم من افترى على الله كذبا) نزل هذا في مسيلة الكذاب صاحب اليمامة وفي الاسود
العنسي صاحب صنعاء فانهما كانا يدينان النبوة والرسالة من عند الله تعالى على سبيل الكذب (أو قال
أوحى إلى ولم يوح إليه شيء) روى ان عبد الله بن سعد بن أبي مروح كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فلمّا نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين أملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما بلغ قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله أحسن
الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت الآية اكتمها كذلك فسل عبد الله وقال ان كان محمد
صادقا فقد أوحى إلى مثل ما أوحى إليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع بعد ذلك إلى الاسلام
فأسلم قبل فتح مكة حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصر الظهران (ومن قال سأ نزل مثل ما أنزل الله)
كما ادعى النضر بن الحارث معارضة القرآن فانه قال في شأن القرآن انه من أساطير الاولين وكل أحد
يمكنه الاتيان بمثله وقال لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى
على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لان خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم (ولو ترى اذ الظالمون في
مغرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون
على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) أي ولو ترى يا أشرف الخلق الظالمين وقت كونهم
في شدائد الموت في الدنيا والملائكة باسطوا أيديهم اقبحوا أرواحهم قائلين لهم أخرجوا أنفسكم من
هذه الشدائد وخلصوها من هذه الآلام هذا الوقت تجزون العذاب الذي يقع به الهوان الشديد بسبب
الافتراء على الله والتكبر على آيات الله لرأيت أمرا فظيما أو المعنى ولو ترى الظالمين اذا صاروا إلى أنواع
الشدائد والتعذيبات في الآخرة فادخلوا جهنم والملائكة باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب مبكّتين لهم
قائلين أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب الشديد هذا الوقت تجزون العذاب المشتمل لأهانة بسبب
كونكم قائلين قولاً غير الحق وكونكم مستكبرين عن الايمان بآيات الله لرأيت أمرا عظيما (ولقد
جئتمونا) للحساب (فرادى) عن الاهل والمال والجاء (كما خلقناكم أو مرة) أي مشبهين
ابتداء خلقكم حفاة غرلابهم ما أي ليس معهم شيء (وتركتم) بغير اختياركم (ما حولناكم) أي
أعطيناكم من الاموال (وراء ظهوركم) في الدنيا اما اذا صرف الاموال إلى الجهات الموجبة لتعظيم
أمر الله وللشفقة على خلق الله فمات كها وراه ظهره بل قدمها لتلقاه وجهه (وما ترى معكم شفعاءكم
الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أي وما ترى معكم أصنامكم التي زعمتم انها شركاء الله في استحقاق عبادتكم
(لقد تقطع بينكم) قرأ نافع وحفص عن عاصم والكسائي بالنصب أي لقد تقطع الشركة بينكم
والباقون بالرفع أي لقد تقطع وصلكم فالبين اسم يستعمل للوصل والفراق فهو مشترك بينهما كالجنون
للأسود والابيض (وضل) أي ضاع (عنكم ما كنتم تزعمون) ان الاصنام شفعاءكم (ان الله

فالق الحب) أى شاق جميع المحبوب من الخنطة وغيرها (والنوى) وهى التى فى داخل القمار أى
 فاذا وقعت الحبة أو النواة فى الأرض الرطبة ثم مر عليها مدة أظهر الله تعالى فى تلك الحبة أو النواة من
 أعلاها شقة أو من أسفلها شقة آخر فيخرج من الحبة ورق أخضر ومن النواة شجرة صاعدة فى الهواء
 ويخرج منها عروق هابطة فى الأرض (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى يخرج من
 النطفة بشر أحياء ومن البيضضة فروخا حية ومن الحب اليابس نباتا غضا ومن الكافر مؤمنا ومن العاصى
 مطيعا وبالعكس (ذلكم الله فأنى تؤفكون) أى ذلكم الله المدبر الخالق النافع الضار المحيى المميت
 فمن أين تكذبون فى إثبات القول بعبادة الأصنام وقيل المراد الانكار على تكذيبهم بالحشر والنشر
 فالمعنى أنكم لما شاهدتم أنه تعالى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ثم شاهدتم أنه تعالى
 أخرج البدن الحى من النطفة الميتة مرة واحدة فكيف تستبعدون أن يخرج البدن الحى من ميت
 التراب الرميم مرة أخرى (فالق الاصباح) أى فالق ظلالة الاصباح بنور الاصباح وذلك لأن
 الافق من الجانب الغربى والشمالى والجنوبى ملأه من الظلمة وانما ظهر النور فى الجانب الشرقى
 فكان الافق كأن بجراء ملأه من الظلمة ثم انه تعالى شق ذلك البحر المظلم بأن أجرى جردولا من
 النور فيه (وجعل الليل سكنا) أى يستريح فيه الخلق من التعب الحاصل فى النهار قرأ عليهم وحمة
 والكسافى على صيغة الماضى والباقون على صيغة اسم الفاعل (والشمس والقمر حسبانا) أى
 قدر الله تعالى حركة بقدر معين من السرعة والبطء بحيث تتم الدورة فى سنة وقدرة حركة القمر بحيث يتم
 الدورة فى شهر وبهذا المقادير تنتظم مصالح العالم فى الفصول الأربعة وبسببها يحصل ما يحتاج اليه من
 فصح القمار وحصول الفلات (ذلك تقدير العزيز العليم) أى حصول هذه الاحوال لا يمكن الا بقدرة
 كاملة متعلقة بجميع المحركات وبعلم نافذ فى جميع المعلومات من السكيات والجزئيات فليس حصول
 حركات اجرام الافلاك بصفاتها المخصوصة بالطبع وانما هو بتخصيص الفاعل المختار (وهو الذى جعل
 لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) أى وهو الذى خلق لكم النجوم لاهتدائكم بها فى
 مشتهات الطرق اذا سافرتكم فى بر أو بحر ولا استدلالكم بها على معرفة القبلة وعلى معرفة أوقات الصلاة
 (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) أى قد بينا العلامات الدالة على قدرتنا وحدانيتنا لقوم يتأملون
 فيستدلون بالمحسوس على المعقول وينتقلون من الشاهد الى الغائب أى فان هذه النجوم كما يستدل بها على
 الطرقات فى ظلمات البر والبحر فكذلك يستدل بها على معرفة الصانع الحكيم وكمال قدرته وعلمه (وهو
 الذى أنشأكم من نفس واحدة) أى الذى خلقكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام (فستقر
 ومستودع) قرأ ابن كثير وأبو عمرو فستقر بكسر القاف والباقون بفتحها وأما مستودع فهو بفتح
 الدال لا غير فالمعنى على الأول فنسلكم مستقروا ومنكم شئ مودع فى الصلب وهو النطفة وعلى الثانى
 فلكم مكان استقرار وهو الارحام ومكان استيداع وهو نفس الاصلاب والفرق بين المستقر والمستودع
 ان المستقر ما يمكن على قرب الزوال والمستودع ما كان على قرب الزوال فان النطفة تبقى فى صلب الاب
 زمانا قصيرا والجنين يبقى فى رحم الام زمانا طويلا ولما كان المكث فى بطن الام أكثر من المكث فى صلب
 الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وقيل ان المستقر صلب الاب والمستودع رحم
 الام لان النطفة حصلت فى صلب الاب قبل حصولها فى رحم الام لحصول النطفة فى الرحم من فعل الرجل
 مشبه بالوديعة وحصولها فى الصلب لا من جهة الغير وقال أبو مسلم الاصبهانى أن تقدير الآية هو الذى

أنشأكم من نفس واحدة فنسبكم ذكر ومنكم أنثى وانما عبر عن الذكر بالمستقر لان النطفة انما تنشأ في
صلبه وتستقر فيه وانما عبر عن الانثى بالمستودع لان رحمها شبيه بالمستودع لتلك النطفة (قد فصلنا
الآيات) أي قدينا العلامات الدالة على قدرتنا من تفاصيل خلق البشر (لقوم يعقون) أي يدقون
النظر فان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف صنعة وان الاستدلال
بالانس أدق من الاستدلال بالنجوم في الآفاق لظهورها (وهو الذي أنزل من السماء ماء) أي وهو
الله الذي خلق هذه الاجسام في السماء ثم ينزلها الى السحاب ثم من السحاب الى الارض (فأخرجنا
به) أي بسبب الماء (نبات كل شيء) من الاشياء التي تنمو من أنواع النجم والشجر (فأخرجنا
منه) أي النباتات (خضرا) أي زرها والمراد من هذا الخضرا العود الاخضر الذي يخرج أولا في القمم
والشعر والذرة والارز ويكون السنبل في أعلاه (فخرج منه) أي من ذلك الخضرا (حبام تراكبا)
بعضه على بعض في سنبلة واحدة (ومن النخل من طلعها) أي كبرانها قبل أن ينشق عن الاغريض
(قنوان) أي عراجين تدلت من الطلع (دانية) أي قريبة من القاطف يناله القاطم والقاعد (وجنات
من أعناب) قرأها صم بالرفع وهي قراءة على أي ومن الكرم جنات من أعناب والباقون بالنصب والتقدير
وأخرجنا بالماء بساكنين من أعناب (والزيتون والزمان) أي شجرهما والاحسن أن ينتصباعلى
الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم (مشتبها وغير متشابه) أي ان هذه الفواكه قد تكون
متشابهة في اللون والشكل مع أنها تكون مختلفة في الطعم واللذة وقد تكون مختلفة في اللون والشكل مع
أنها تكون متشابهة في الطعم واللذة وأيضا بعض حبات العنقود من العنب متشابهة وبعضها غير متشابه
فانك اذا أخذت العنقود ترى جميع حباته نضيجة حلوة طيبة الاحبات مخصوصة منها بقيت على أول
حالتها من الخضرة والجوضة والعفوصة (انظروا) أيها المخاطبون نظرا اعتبار (الى غره) أي غر كل
واحد مما ذكره حمزة والكسائي بضم الناء والميم وقرأ أبو عمرو وبضم الناء وسكون الميم والباقون بفتح
الطاء والميم (اذا أغمر) أي اذا خرج غره فتجدوه مشبها لا يكاد ينتفع به (وينعه) أي وانظروا الى
حال نضجه وكما له فتجدوه قد صار قويا جامعا لنافع جمته (ان في ذلكم) أي في اختلاف الالوان وهو
ما أمر بالنظر اليه (آيات) أي عظيمة دالة على وجود القادر الحكيم ووجدته (لقوم يؤمنون) أي
لمن سبق في حقه قضاء الله بالايمان فأما من سبق له قضاء الله بالكفر لم ينتفع بهذه الدلالة البتة أصلا
(وجعلوا لله شركاء الجن) أي قال المجوس ان الله تعالى وابليس اخوان شريكان فانه تعالى خالق
الناس والدواب والانعام وابليس خالق السباع والحيات والعقارب وقالوا كل ما في هذا العالم من
الخيرات فهو من برزدان وجميع ما فيه من الشرور فهو من أهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا (وخلقهم)
أي وقد علموا ان الله خلقهم فان أكثر المجوس معترفون بأن ابليس ليس بقديم بل هو حادث وانما كان
ابليس أصلا لجمع الشرور والآفات والمفاسد والقبائح وقد سلموا أن اله العالم هو الخالق لما هو أصل
الشرور والقبائح والمفاسد ثم ان في المجوس من يقول أنه تعالى تفكر في علامة نفسه واستعظمها الخمل
نوع من العجب فنشأ الشيطان عن ذلك العجب ومنهم من يقول شك في قدرة نفسه فنشأ من شكه الشيطان
فهو لا معترفون بأن أهرمن محدث وان محدثه هو الله تعالى فقوله تعالى وخلقهم اشارة الى هذا المعنى
والضمير عائذ الى الجن (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) قرأ نافع خرقوا بتشديد الراء والجمهور بتخفيفها
وقرأ ابن عباس بالحاء المهملة والفاء وتخفيف الراء وابن عمر كذلك الا أنه شدد الراء أي كذبوا في الله حيث

وصفوا له تعالى بثبوت البنين والبنات مصاحبين لجهل حقيقة ما وصفوه فالذين أثبتوا البنين النصارى
وقوم من اليهود حيث قال النصارى المسيح ابن الله واليهود عزير بن الله والذين أثبتوا البنات العرب الذين
يقولون الملائكة بنات الله فلو عرفوا أن الاله يجب أن يكون واجب الوجود لذاته لا تمتنعوا أن يثبتوا له
تعالى البنين والبنات فإن الولد دل على كونه منفصلا من جزء من أجزاء الوالد وذلك انما يكون في مركب
يمكن انفصال بعض أجزائه وذلك في حق الفرد الواجب لذاته محال فمن عرف حقيقة الاله استحال أن
يقول له تعالى ولد (سبحانه) نزه الله ذاته بنفسه عما لا يليق به (وتعالى) أى تقدر (عما يصفون)
بأن له تعالى شريكا وولدا فالنسيج يرجع الى قول المسيح والتعالى يرجع الى صفته الذاتية التي حصلت له
تعالى سواء سمجه تعالى مسيح أم لا (بديع السموات والارض) والمعنى أن الله تعالى أخرج عيسى الى
الوجود من غير سبق الالب والنطفة كما أنه تعالى خلق السموات والارض من غير سبق مادة ومدة فلو لم
من مجرد كونه تعالى مبدءا لأحداث عيسى كونه تعالى والد له عليه السلام لم من كونه تعالى مبدءا
للسموات والارض كونه تعالى والد الاله ما وذلك باطل بالاتفاق فثبت أن مجرد كونه تعالى مبدءا لعيسى
لا يقتضى كونه والد له (أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) أى من أين يكون له تعالى ولد والحال ليس
له زوجة أى لأن الولد لا يصح الا من كانت له زوجة وشهوة وينفصل عنه جزء ويحتبس ذلك الجزء في
باطن تلك الزوجة وهذه الاحوال انما تثبت في حق الجسم الذى يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة
والسكون والشهوة واللذة وكل ذلك محال على خالق العالم (وخلق كل شئ) أى من أين يكون له
ولد والحال أنه تعالى خلق جميع الاشياء فان تحصيل الولد بطريق الولادة انما يصح في
حق من لا يقدر على التكوين دفعة واحدة فمن كان قادرا على تكوين كل المحدثات فاذا أراد أحداث
شئ قال له كن فيكون ومن كان صفته هكذا امتنع منه أحداث شخص بطريق الولادة (وهو بكل شئ
عليم) أى فان علم الله ان في تحصيل الولد نفعه تعالى وكما لا وجب حصول الولد قبل ذلك وهذا يوجب
كون ذلك الولد أزليا وهو محال وان علم انه ليس له تعالى في تحصيل الولد ازدياد مرتبة في الالهية ولا كمال
حال فيها رجب ان لا يجد نه البتة في وقت من الاوقات وأيضا الولد انما يحدث بقضاء الشهوة وهو
يوجب اللذة وهي مطلوبة لذاتها فوجب ان يعلم الله ان تحصيل تلك اللذة يدعو الى تحصيلها قبل ذلك
الوقت فوجب ان يحصل تلك اللذة في الازل فلم يزل كونه الولد أزليا وذلك محال فثبت عدم صحة الولد عليه
تعالى (ذالكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه) واسم الاشارة راجع الى الاله الموصوف بما تقدم
من الصفات واسم الجلالة خبر أول ربكم خبر ثان لا اله الا هو خبر ثالث خالق كل شئ خبر رابع
والغناء في قوله فاعبدوه لمجرد السببية من غير عطف أى ثبت ان الاله العالم فرد صمد منزوع عن الشريك
والنظير والضد والاولاد وذلك الجامع لهذه الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة مالك أمركم
لا شريك له في ذلك خالق ما كان وما يكون فاعبدوه ولا تعبدوا أحدا غيره وللعلماء في اثبات التوحيد طرق
كثيرة ومن جملتها هذه الطريقة وتقريرها من وجوه الاول ان يقال البصانع الواحد كاف في كونه
المسأل العالم ومديره وما زاد على الواحد فالقول فيه متكافى لانه لم يدل الدليل على ثبوته لانه يلزم اما
اثبات آلهة لانهاية لها وهو محال أو اثبات عدد معين مع انه ليس ذلك العدد أولى من سائر الاعداد وهو
محال أيضا واذا كان القسمان باطلين لم يبق الا القول بالتوحيد والثاني ان يقال ان الاله القادر على
كل الممكنات العالم بكل المعلومات كاف في تدبير العالم فلو قدرنا الهان يا فاما ان يكون فاعلا أولا فان كان

فاعلا صار مانعا لا يخرج عن تحصيل مقدوره وذلك يوجب كون كل واحد منهما سببا للجزء الآخر وهو محال وان لم يكن فاعلا كان ناقصا معطلا وذلك لا يصلح للالهية والثالث ان يقال ان الاله الواحد لا بد وان يكون كاملا في صفات الالهية فلو فرضنا الها ثانيا فاما ان يكون مشاركا للاول في جميع صفات الكمال أولا فان كان مشاركا في ذلك فاما ان يكون متميزا عن الاول أولا فان لم يكن متميزا عنه بأمر من الامور لم يحصل الاثنية وان امتاز بصفات الكمال لم يكن جميع صفات مشتركا فيه بينهما وان امتاز بغير صفات الكمال فذلك نقصان فثبت بهذه الوجوه الثلاثة ان الاله الواحد كاف في تدبير العالم وابعاده وان الزائد يجب نفيه (وهو على كل شيء وكيل) أي حافظ فيجب ان يعلم كل مكلف انه لا حافظ الا الله ولا مصلح للهمات الا الله لحيث ان مصلح طمعه عن كل ما سواه ولا يرجع في مهم من المهمات الا اليه ويقال أي كفيل بأرزاق خلقه (لا تدركه الابصار) أي لا نزاه الابصار في الدنيا هو تعالى يراه المؤمنون في الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فالتشبيه واقع في تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح لا في تشبيه المرئي بالمرئي واتفق الجمهور انه صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقال الحسنى هي الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله وروى ان الصحابة اختلفوا في ان النبي صلى الله عليه وسلم هل رأى الله تعالى ليلة المعراج أولا ولم يكفر بعضهم بعضا بهذا السبب وما نسبته الى الضلالة وهذا يدل على انهم كانوا مجمعين على انه لا امتناع عقلا في رؤية الله تعالى وقيل المعنى لا تحيط به تعالى الابصار في الدنيا ولا في الآخرة لعدم انحصاره (وهو يدرك الابصار) أي والله تعالى مدرك لحقيقة الابصار (وهو اللطيف) فيلطف عن أن تدركه الابصار (الحبير) أي العالم بكل لطيف فلا يلطف شيء عن ادراكه وقيل انه تعالى لطيف بعباده حيث يشئ عليهم عند الطاعة ويأمرهم بالتوبة عند المعصية ولا يقطع عنهم كثرة رحمته سواء كانوا مطيعين أو عصاة وقيل انه تعالى لطيف بهم حيث لا يأمرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم بما هو فوق استحقاقهم (قد جاءكم بصائر من ربكم) أي جاءكم آيات القرآن كاثنة من ربكم وسميت تلك الآيات بصائر لانها أسباب لحصول الانوار للقلوب قوله تعالى قد جاءكم الآية استئناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم (فمن أبصر فلنفسه) أي فمن اهتدى بآيات القرآن فآمن فنفع اهتدائه لنفسه (ومن عمى فعليها) أي ومن ضل عنها بأن كفر بها فضره ضلالته وكفره على نفسه (وما أنا عليكم بحفيظ) أي لا أعمالكم وانما أنا منذر والله تعالى هو الذي يحفظ أعمالكم ويمجازيكم عليها (وكذلك نصرف الآيات) أي مثل ذلك الايات البديع تأتي بالآيات متواترة حالا بعد حال لتلزمهم الحجة (وليقولوا درست) قرأه ابن كثير وأبو عمر بالالف وفتح التاء أي ليقول بعضهم أي ذا كرت يا محمد أهل الاخبار الماضية فيزداد كفرا على كفروهم فيثبتنا لبعضهم فيزداد ايمانا على ايمان وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظهر آيات القرآن فجماجمما والكفار كانوا يقولون ان محمدا يضم هذه الآيات بعضها الى بعض يتفكر فيها ويصطفا آية فآية ثم يظهرها ولو كان هذا بوحى نازل اليه من السماء فلم يأت بهذا القرآن دفعة واحدة كما كان موسى عليه السلام أتى بالتوراة دفعة واحدة أي فان تكرير هذه الآيات حالا بعد حال هي التي أوقعت الشك للقوم في ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما يأتي بهذا القرآن على سبيل المدارس مع التفكير والمذاكرة مع أقوام آخرين وقرأ ابن عامر درست بفتح السين وسكون التاء أي هذه الاخبار التي تلوها علينا قد انعمت وتكررت على الاسماع كقولهم أساطير الاولين وقرأ الباقر درست بدون الالف وسكون السين وفتح التاء أي حفظت وأتقنت بالدرس أخبار

الاولين كقولهم أساطير الاولين اكتبها فهي تملئ عليه بكروا أصيلا (ولئيبينه) أى الآيات (لقوم يعلمون) وهم أولياء الله الذين هداهم الى سبيل الرشاد (اتبع ما أوحى اليك من ربك) أى ألزم العمل بما أنزل اليك من ربك ولا يصرد لك القول سبيلا الفتور في تبليغ الرسالة والدعوة (لا اله الا هو) يجب طاعته ولا يجوز الاعراض عن تكاليفه (وأعرض عن المشركين) أى اترك في الحال مقابلتهم فيما يأتونه من سفه واعدل الى الطريق الذي يكون أقرب الى القبول وأبعد عن التغليظ والتنفير (ولو شاء الله) عدم اشراكهم (ما أشركوا) أى لا تلتفت يا أشرف الخلق الى سفاهات هؤلاء الكفار الذين قالوا لك انما جعنت هذا القرآن من مذاكرة الناس ولا يثقلن عليك كفرهم فانالوا ردنا ازالة الكفر عنهم لقد رنا ولكنا تركناهم مع كفرهم فلا ينبغي ان تشغل قلبك بكلماتهم (وما جعلناك عليهم حفيظا) أى رقيباً من جهتنا نحفظ أعمالهم عليهم (وما أنت عليهم بوكيل) أى وما أنت يا كرم الرسل حافظ عليهم من جهتهم فتدبر مصالحهم وتقوم بأمورهم وتكفل أرزاقهم (ولا تسبوا الذين يدهون من دون الله فيسموا الله عدوا بغير علم) أى ولا تسبوا أيها المؤمنون من يعبدون الاصنام من حيث عبادتهم لا الهتهم كأن تقولوا اتبنا لكم ولم تعبدون الاصنام مثلاً فيسموا رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوزا عن الحق الى الباطل بجهالة منهم بما يجب عليهم فان الهابة متى شتموهم كانوا يشتمون رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى أجرى شتم الرسول بحجى شتم الله تعالى لان الكفار كانوا مقرين بالله تعالى وكانوا يقولون انما حسنت عبادة الاصنام لتصير شفعا لهم عند الله تعالى أو المعنى ولا تسبوا الاصنام الذين كان المشركون يعبدونهم فيسموا الله للظلم بغير علم لانهم جهلة بالله تعالى لان بعضهم كان قائلين بالدهر ونفى الصانع قال قتادة كان المؤمنون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل اه وانما هو اعن سب الاصنام وان كان مباحا لما ينشأ عن ذلك من المفساد وهو سب الله وسب رسوله فظاهر الآية كان نهياعن سب الاصنام وحقيقتها النهي عن سب الله تعالى لانه سبب لذلك وفي ذلك دلالة على ان الطاعة اذا أدت الى معصية رابحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر (كذلك) أى مثل ترين عبادة الاصنام للمشركين (زينا لكل أمة) أى لاهم الكفرة (معلمهم) أى شرهم وفسادهم باحداث ما يحملهم عليه فان المعاصي هم قاتلة تدبر زنت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات فانها مع كونها أحسن الاحسن قد ظهرت عندهم بصورة مكرهه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمسكاره وحفت النار بالشهوات وفي هذه الآية دلالة على تكذيب القدرية والمعترلة حيث قالوا لا يحسن من الله تعالى خلق الكفرة وترتيبهم (ثم الى ربهم مرجعهم) بالبعث بعد الموت (فينبئهم بما كانوا يعملون) في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم فأعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة بصورة الحقيقة المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان أعمالهم ما ذافعبر عن اظهارها بصورة الحقيقة بالاعخبارها ما ان كلامهم ما سبب للعلم بحقيقتها كما هي (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى أقسم كفار مكة بالله غاية ايمانهم (لئن جاءتهم آية) أى مجهزة كما طلبوا (ليؤمنن بها) أى قالوا لسيدنا رسول الله ان هذا القرآن كيفما كان أمره فليس من جنس المعجزات البتة ولو انك يا محمد جئتنا بمجهزة قاهرة لا منابك وحلفوا على ذلك وقال محمد بن كعب القرظي قالت قریش يا محمد انك تخبرنا ان موسى ضرب الحجر بالعصا فانفجر الماموان عيسى أحيى الميت وابن صالحا اخرج الناقة من الجبل فأتينا بآية لنصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذى تحبون

فقالوا ان تجعل لنا الصفا ذهبا وحلفوا الثن فعل ليمتبعونه أجمعون فقام صلى الله عليه وسلم يدعوا لهما
جبريل فقال ان شئت كان ذلك واثن كان فلم يصدقوا ليعذبهم الله وان تركهم تاب الله على بعضهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب على بعضهم فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل اغيا الآيات عند الله)
أي انه تعالى هو المختص بالقدرة على أمثال هذه الآيات دون غيره (وما يشعركم) أي أي شيء يعلمكم
أيها المؤمنون بأيمانهم أي لا تعلمون ذلك (أنها اذا جاءت لا يؤمنون) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وانها بكسر
الهمزة على الاستثناف والباقون بالفتح فهي بمعنى لعل ويقوى هذا الوجه قراءة أبي لعلها اذا جاءت هم
لا يؤمنون (ونقلب أقدتكم وأبصارهم) أي وما يشعركم اننا قلب أقدتكم عن ادراك الحق فلا
يفهمونه ونقلب أبصارهم عن اجتلاء الحق فلا يبصرونه (كالم يؤمنوا به) أي بما جاء صلى الله عليه وسلم
من الآيات (أول مرة) أي فلا يؤمنون عند نزول مقترحهم لو نزل كالم يؤمنوا عند نزول الآيات
السابقة على اقتراحهم كانشقاق القمر (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) أي نتركهم في ضلالهم متحيرين
لانهدبهم هداية المؤمنين (ولو أنزلنا اليهم الملائكة) كما طلبوا فشهدوا على ما أنكروا (وكلمهم
الموت) من القبور كما طلبوا بأن محمد رسول الله والقرآن كلام الله (وحشرنا عليهم كل شيء قبلا)
قرأ أصم وحزمة والكسائي بضمه أي وجمعنا على المستهزئين زيادة على ما اقترحوه كل شيء من أصناف
المخلوقات كالسباع والطيور كفلا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم أو المعنى وحشرنا عليهم كل شيء من نوعا
نوعا من سائر المخلوقات وقرأ أنانع وابن عامر قبلا بكسر القاف وفتح الباء أي حال كون الكفار معانين
للأصناف (ما كانوا يؤمنوا) بمحمد والقرآن (الا ان يشاء الله) إيمانهم أي ولو أظهر الله جميع
تلك الاشياء الهيبة الغريبة لهؤلاء الكفار فإيمانهم لا يؤمنون في حال من الاحوال الداعية الى الايمان
الا في حال مشيئة تعالى لا إيمانهم (ولكن أكثرهم يجهلون) أي ان الكفار لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا ولكن
أكثر المسلمين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئة تعالى لا إيمانهم فيتمنون
مجيئها طمعا فيما لا يكون قال ابن عباس المستهزون بالقرآن كانوا خمسة الوليد بن المغيرة المخزومي
والعاصي بن وائل السهمي والاسود بن عبد قيس الزهري والاسود بن المطلب والحريث بن حنظلة ثم انهم
أتوا الرسول صلى الله عليه وسلم في رهط من أهل مكة وقاراه أرنالملائكة يشهدوا بأنزل رسول الله
أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسالهم أحق ما تقول أم باطل أو اثنتا بالله والملائكة قبلا أي كغيا على صحة
ماتدعيه فنزلت هذه الآية (وكذلك) أي كما جعلنا المستهزين عدوا لك (جعلنا لكل نبي عدوا وشياطين
الانس والجن) أي جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا واردة من الانس والجن فيا طين الانس أشد عدوا من
شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح استعان على اغوائه بشيطان الانس
ليقتنه وازافة شياطين بمعنى من البيانية وهي بدل من عدوا وهو مفعول أول قدم على الثاني مسارعة الى
بيان العداوة (يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) أي يلقي شياطين الجن الى شياطين الانس
تزيين القول بالباطل لكي يغروا به الانس (ولو شاء ربك) عدم تزيين القول لاجل الغرور (ما فعلوه)
أي تزيين القول المتعلق بأسرك خاصة (فذرهم وما يفترون) أي اترك الكفرة المستهزين واقترأهم
بأنواع المكاييد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة (ولتصفي اليه أقدته الذين لا يؤمنون
بالآخرة) أي ولكي تميل الى هذا الزخرف قلوب الذين لا يؤمنون بالبعث بعد الموت (وليرضوه) أي هذا
الزخرف لانفسهم (وليقرءوا ما هم مقترفون) أي وليكتبوا بسبب ارتضاهم له ما هم مكتسبون من

الاثم فيعاقبوا عليها (أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا) أي قل لهم أأميل الى
 زخارف الشياطين فأطلب حكما غير الله يحكم بيننا والحال انه تعالى أنزل اليكم القرآن وأنتم أمة
 أمية لا تدرون ما تأتون وما تذررون مبينافيه الحق والباطل فلم يبق في أمور الدين شيء من الابهام فأي
 حاجة بعد ذلك أي الحكم وهو الحاكم عند أهل اللغة واحد لكن بعض أهل التأويل قال الحكم أكل
 من الجاهل لان الحكم لا يحكم الا بالحق والحاكم قبيح رولان الحكم من تكرر منه الحكم والحاكم
 يصدق بكرة (والذين آتيناهم الكتاب) أي التوراة والانجيل والزبور (يعلمون أنه) أي القرآن
 (منزل من ربك) ملتبسا (بالحق) قرأ ابن عامر وحفص منزل بتشديد الزاي والباقون بسكون النون
 (فلا تكونن من الممترين) أي من الساكنين في ان علماء أهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق وانه
 منزل من عند الله (ومنت كملت ربك صدقا وعدلا) أي كفي القرآن من جهة صدقه في اخباره ومن جهة
 عدله في أحكامه وكفي في بيان ما يحتاج المكفون اليه الى قيام القيامة علماء وعملاء في كونها مهجزة دالة
 على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قرأ طاصم وحزمة والكسائي كلمة على التوحيد دون ألف والباقون بألف
 على الجمع وترسم بالتاء المجرورة على كل من قراءة الجمع وقراءة الافراد وكذا كل موضع اختلف فيه
 القراء جمعوا وافرادا (لا مبدل لكلماته) أي لا أحد يبدل شأن القرآن بما هو أصدق وأعدل ولا بما
 هو مثله (وهو السميع العليم) بالمقال والاعمال (وان تطع أكثر من في الارض) أي وان تطع يا أشرف
 الخلق كفارا للناس فيما يعتقدهونه من احقاق الباطل وابطال الحق (يضلوك عن سبيل الله) أي عن
 الطريق الموصل الى الله (ان يتبعون الا الظن) أي ما يتبعون في اثبات مذهبهم الارجوعهم الى تقليد
 أسلافهم وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم مقتدون (وان هم الا يخرسون) أي
 يكذبون فاررؤساء أهل مكة منهم أبو الاحوص مالك بن عوف الجمهري وبديل بن ورقاء الخزاعي وجليس
 ابن ورقاء الخزاعي قالوا للمؤمنين ان ما ذبح اته خير مما تذبحون أنتم بسكا كمينكم وروى أن المشركين
 قالوا للنبي اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا أنت ترعهم أن ما قتلت أنت وأصحابك
 حلال وما قتلها الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم
 بالمهتدين) أي فان هؤلاء الكفار كاذبون في ادعاء اليقين والله عالم بكونهم متحيرين في سبيل الضلال
 تأثمين في أودية الجهل أي فانك اذا عرفت ذلك ففوض أمرهم الى خالقهم لانه عالم بالمهتدى والضلال
 فيجازي كل واحد بما يليق بعمله (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه من كل ما كان من المؤمنين) وهذا أمر
 متفرع من النهي عن اتباع المضلين وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم ترعهمون انكم تعبدون الله فما
 قتله الله أحق ان تأكلوه مما قتله موه أنتم فقال الله للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم
 الله عليه وهو المذكي ببسم الله خاصة لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط أو مع اسمه تعالى أو مات حتف أنفه
 (ومالكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم) أي وأي سبب حاصل لكم في
 أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وان تأكلوا من غيره والحال انه قد بين لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل
 لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه فهذا وان كان متأخرا في التلاوة فلا يمنع ان يكون هو المراد
 لان التأخر في هذا قليل وأيضا التأخر في التلاوة لا يوجب التأخر في النزول أو بقوله تعالى في أول
 سورة المائدة حرمت عليكم الميتة الآية لان الله تعالى علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في
 الترتيب لافي النزول (الا ما اضطررتم اليه) أي الاما دعيتكم الضرورة الى أكله بسبب شدة المجاعة

عاصم عليكم فهو حلال لكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ببناء فصل وحرم للفعل ونافع وحفص
عن عاصم ببنائهم ما للفاعل وحزرة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ببناء الفعل الاول للفاعل وبناء الثاني
للفعل (وان كثيرا) من الذين يناظر ونسكهم في احلال الميتة ويقولون لما حصل ما تذبحونه أنتم فبان
يحل ما يذبحه الله أولى وهم أبو الاحوص وأصحابه أو عن اتخاذ الجاهل والسواقي وهو عمرو بن لحي فمن دونه
من اضرابه فانه أول من غير دين اسماعيل (ليضلون) قرأ عاصم وحزرة والكسائي بضم الياء والباقون
بفتحها (بأهوائهم) أي بسبب اتباعهم شهواتهم (بغير علم) أي ملتبسين بغير علم مأخوذ من الشريعة
(ان ربك هو أعلم بالمعتدين) أي الذين تجاوزوا الحق الى الباطل (وذروا ظاهر الاسم وباطنه) أي
اتركوا الاهلان بالزنا والاستمرار به وأهل الجاهلية يعتقدون حل السرمنه وقال ابن الانباري أي
وذروا الانثى من جميع جهاته (ان الذين يكسبون الانثى في الدنيا) (سيجزون) في الآخرة (بما
كانوا يفترون) أي يكسبون ان لم يتوبوا وأراد الله عقابهم أما اذا تاب المذنب من الذنب توبة صحيحة لم
يعاقب واذا لم يتب فهو في مشيئة الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه بفضله (ولانما كلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه) وهو الميتة وما ذبح على ذكر الاصنام (وانه) أي الاكل مما لم يذكر اسم الله بغير ضرورة أو ان
ما ذكر عليه اسم غير الله (لفسق) أي خروج عما يحل وأجمع العلماء على ان أكل ذبيحة المسلم التي
ترك التسمية عليها لا يفسق وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذكركم الله مع المسلم سواء قال أو لم
يقول ويحمل هذا الذكركم على ذكر القلب (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) أي ان ابليس
وجنوده وسوسوا الى المشركين أو المعنى ان مرادة المجوس من أهل فارس كتبوا الى مشركي قريش وذلك
لما نزل تحريم الميتة معهم المجوس فسكتبوا الى قريش ان محمد أو أصحابه يزعمون انهم يتبعون أمر الله ثم
يزعمون ان ما يذبحونه حلال وما يذبحه الله حرام فوقع في نفس ناس من المسلمين من ذلك شيء فأنزل الله تعالى
هذه الآية (ليجادلوكم) في أكل الميتة (وان أطعمتموهم) في استحلال الميتة (انكم لشركون) قال
الرجاج وهذا دليل على ان كل من أحل شيئا محرم الله تعالى أو حرم شيئا أحل الله تعالى فهو مشرك
وانما سمى مشركا لانه أثبت ما كماله الله تعالى وهذا هو الشرك (أو من كان ميتا فأحييناه) أي أو
من كان كافرا فهديناه الى الايمان (وجعلنا له نورا) عظيما وهو نور الوحي الالهي (يعشي به) أي
بسببه (في الناس) أي فيما بين الناس آمننا من جهتهم (كن مثله) أي صفته (في الظلمات) أي
ظلمات الكفر والطغيان وهي البصيرة (ليس بخارج منها) أي من تلك الظلمات فاذا دام الكافر في
ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت تلك الظلمات كالصفة الذاتية يعسر ازالته اعنه وانما جعل الكفر
موتانا جهل والجهل يوجب الخيرة فهو كالموت الذي يوجب السكون والكافر ميتا لانه لا يهتدي الى شيء
كالجاهل (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) أي مثل تزيين المؤمنين بالايمان والنور زين من
جهة الله بطريق الخلق ومن جهة الشياطين بطريق الزخرفة للكافرين ما استمروا على عمله قال زيد بن
أسلم والضحك نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب وأبي جهل وقال عكرمة نزلت في عمار بن ياسر وأبي
جهل وقال ابن عباس ان أبا جهل رعى النبي صلى الله عليه وسلم بفرت فأخبر بذلك حمزة هند قدومه من صيد
والقوس بيده وهو لم يؤمن يومئذ فعمد الى أبي جهل وجعل يضرب رأسه بالقوس فقال له أبو جهل وقد
تضرع اليه يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به سفيه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة أنتم أسفه الناس
تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فأسلم حمزة

يومئذ فنزلت هذه الآية (وكذلك) أي وكما جعلنا في مكة صناديد هارث وساء ليكر وافئها (جعلنا في كل قرية) من سائر القرى (أ كابر مجرميها) وأ كابر مفعول ثان ومجرميها مفعول أول والظرف لغو وهو متعلق بنفس الفعل قبله أي جعلنا في كل بلدة فساقتها عظيمة (ليكر وافئها) أي ليفعلوا المكرو فيها وهذا دليل على أن الخير والشر بإرادة الله وانما جعل المجرمين أ كابر لانهم أقدر على الغدر والمكر وترويح الباطل على الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله أنه جعل في كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقتهم أ كابرهم وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر يصرفون الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولون لكل من يقدم هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا مكرهم (وما يكفرون إلا بأنفسهم) أي وما يجسئ شرمكرهم إلا بهم (وما يشعرون) بذلك أصلاً بل يزعمون أنهم يكفرون بغيرهم (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله) أي وإذا جاءتهم مشركى العرب الوليد بن المغيرة وعبد ياليل وأبامسعود الثقفي آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتخبرهم بضييعهم قالوا لن نصدقك حتى يوحى اليك أو يأتيك جبريل فيخبرنا أنك رسول الله وأنك صادق قال تعالى رد عليه -م (الله أعلم حيث يجعل رسالته) أي الله أعلم من يليق بإرسال جبريل إليه لأمر من الأمور وهذا اعلام بأنهم لا يستحقون ذلك التشريف وهذا المعنى قول الحسن ومنقول عن ابن عباس وقيل معنى الآية وإذا جاءتهم آية على صدق النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن برسالته أصلاً حتى نؤتي نحن من الوحي والنبوة مثل آيات رسل الله قال تعالى أنه تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها وأنتم لستم أهلاً لها ولأن النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصاً لمن عنده حسد ومكر وغدر وقرأ حفص وابن كثير رسالته على التوحيد والباقون على الجمع ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلاتين وهذا دعاء عظيم يدهى به بينهما وهو اللهم من الذي دعاك فلم تجبه ومن الذي استجارك فلم تجره ومن الذي سألك فلم تعطه ومن الذي استعان بك فلم تعنه ومن الذي توكل عليك فلم تسكه يا غوث يا غوث يا غوث بك أستغيث أغثنى يا غوث واهدني هداية من عندك واقض حوائجنا واشف مرضانا واقض ديوننا واغفر لنا ولا بائنا ولا ما تنابح القرآن العظيم والرسول الكريم برحمته يا أرحم الراحمين (سيصيب الذي أجرموا) أي أشركوا وليد أو أفعابه بقولهم لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله (صفار) أي حقارة (عند الله) أي في الآخرة فلاحا كم فيها ينفذ حكمه سواء (وعذاب شديد بما كانوا يكفرون) أي بسبب مكرهم بقولهم ذلك وحسد هم للنبي وتكذيبهم له (فمن يرد الله أن يهديه) أي يرشده لدينه (يشرح صدره) أي قلبه (للاسلام) أي لقبول الاسلام (ومن يرد أن يضله) أي يتركه كافراً (يجعل صدره) أي قلبه (ضيقاً) كضيق الزج في الرمح قرأه ابن كثير ساكنة الياء والباقون مشددة الياء مكسورة (حرجاً) قرأه نافع وأبو بكر عن عاصم بكسر الراء أي شديد الضيق والباقون يفتحها أي مثل المواضع الكثيرة الأشجار المشتمكة التي لا طريق فيها فلا يصل اليها راعية ولا وحشية (كأنما يصعد في السماء) أي كأنه يكاف الصعود إلى السماء قرأه ابن كثير ساكنة الصاد وقرأه أبو بكر عن عاصم بتشديد الصاد وبالالف والباقون بتشديد الصاد والعين بغير ألف ومعنى الآية فمن يرد الله أن يهديه قوياً في قلبه ما يدعو إلى الإيمان بأن اعتقد أن نفعه زائد وخيره راجع ورجحه ظاهر فالطبعه اليه وقويت رغبته في حصوله وحصل في القلب استعداد شديد لتخصيله ومن يرد أن يضله ألقى في قلبه ما يصرفه عن الإيمان ويدعوه إلى الكفر بأن اعتقد أن شر

الايمان زانم وضرره راجع فعظمت النفر عنه فان الكافر اذا دهي الى الاسلام شق عليه جدا كانه قد
 كلف ان يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك او المعنى كان قلب الكافر يصعد الى السماء تكبرا عن قبول
 الاسلام (كذلك) أى مثل جعل الله صدرهم ضيقا (يجعل الله الرجس) أى يسلط الله الشيطان
 (على الذين لا يؤمنون) أى فى قلوبهم (وهذا) أى كون الفعل متوقفا على الداعي الحاصل من الله
 تعالى (صراط ربك) أى لان العلم بذلك يؤدى الى العلم بتوحيد الله (مستقيما) فكل فعل العباد
 بقضاء الله تعالى وقدره (قد فصلنا الآيات) أى قد ذكرنا فافصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها
 بالآخر (لقوم يذكرون) فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان أو شرا بقضاء الله تعالى
 لانه لا يترجح أحد طرفي الممكن على الآخر الا لمرجح وهو الله تعالى (لهم دار السلام) أى للتذكير
 دار الله المنزهة عن النقائص وهى الجنة (عند ربهم) أى انهم مودة عنده تعالى موصوفة بالشرف الى
 حيث لا يعرف كنهها غيره تعالى (وهو وليهم) أى متكفل لهم بجميع مصالحهم فى الدين والدنيا
 (بما كانوا يعملون) أى بسبب أعمالهم الصالحة (ويوم يحشرهم جميعا) قلنا (يامعشر الجن)
 وقرأ حفص بالباء أى يوم يحشر الله الخلق جميعا يقول يا جماعة الشياطين (قد استكثرتم من الانس)
 أى قد أكثرتم من اغواء الانس (وقال أولياؤهم من الانس) أى وقال الذين أطاعوا الشياطين الذين
 هم الانس (ربنا استمع بعضنا لبعض) فاستمتع الانس بالشياطين هو أن الشياطين كانوا يذلون
 الانس على أنواع الشهوات والذات والطيبات ويسهلون تلك الامور عليهم واستمتع الشياطين بالانس
 هو ان الانس كانوا يطيعون الشياطين فيما يأمرونهم به وينقادون لحكمهم (وبلغنا الذى أجبنا
 لنا) أى أذكرنا وقت موتنا الذى عينته لنا (قال) تعالى (النار منكم) أى منزلكم يا جماعة الجن
 والانس (خالدين فيها) أى فى النار من ذنبعثون (الا ما شاء الله) من مقدار حشرهم من قبورهم
 ومن مقدار محاسبتهم (ان ربك حكيم عليم) أى فيما يفعله من ثواب وعقاب وسائر وجوه المجازاة
 (وكذلك) أى مثل تمكين الشياطين من اضلال الانس (نولى بعض الظالمين) من الانس (بعضا)
 آخر منهم (بما كانوا يكسبون) أى بسبب كون ذلك البعض مكتسبا للظلم قال على رضى الله عنه
 لا يصلح للناس الا أمر عا دل أو جائز فأنكروا قوله أو جائز فقال نعم يؤمن السبيل ويمكن من إقامة
 الصلوات وحج البيت وروى عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى اذا أراد بقوم خيراولى أمرهم خيارهم
 واذا أراد بقوم شراولى أمرهم شرارهم وروى أن أبا ذر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الامارة فقال له
 انك ضعيف وانها لامانة وهى فى القيامة خزي وندامة الا من أخذها بحتمها وأدى الذى عليه فيها
 (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) والعصم ان الرسل انما كانت من الانس خاصة وقد قام
 الاجماع على ان النبي صلى الله عليه وسلم مرسل للانس والجن والمراد برسل الجن هم الذين معهموا القرآن
 من النبي صلى الله عليه وسلم ثم ولوا الى قومهم من ذرين فالمراد بالرسل ما يعمر رسل الرسل فأن الله تعالى انما
 بكت الكفار بهذه الآية لانه تعالى أزال العذر وأزاح العنة بسبب انه تعالى أرسل الرسل الى الكل
 مبشرين ومنذرين فاذا وصلت البشارة والندارة الى الكل بهذا الطريق فقد حصل ما هو المقصود من
 ازالة العذر وازالة العلة (يقصون عليكم آياتي) أى ينلون عليكم مع التوضيح (وينذرونكم لقاء
 يومكم هذا) أى ويخوفونكم لقاء عذابى فى يومكم هذا وهو يوم الحشر الذى عاينوا فيه ما أعد لهم من
 فاني العتوبات الهائلة (قالوا) عند ذلك التوبيخ الشديد (شهدنا على أنفسنا) ان الرسل أتونا قد

بلغوا الرسالة وأنذرونا عذاب يومنا هذا وانما وقعوا في ذلك الكفر بسبب انهم (غرتهم الحياة الدنيا) أي اغتروا من الدنيا بما في الزهرة والنعيم (وشهدوا) في الآخرة (على أنفسهم أنهم كانوا) في الدنيا (كافرين) فهم وان بالغوا في عداوة الانبياء والطعن في شرائعهم ومهزاتهم أقروا على أنفسهم بالكفر في عاقبة أمرهم (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها فافلون) أي شهداءهم على أنفسهم بالكفر ثابت لا تنتفاه كون ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم فعلوه قبل ان ينهبوا على بطلانه برسول وكتاب أو المعنى ارسال الرسل ثابت لان الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى ملتبسين بظلم وهم فافلون عن تبليغ الرسل وعن أمرهم ونهيهم (ولكل درجات مما عملوا) أي لكل عامل من الجن والانس مراتب من أعمالهم صالحة كانت أو سيئة (وماربك بغافل عما يعملون) أي فلا يترك شيئا مما يستحق كل عامل من الفريقين من الجزاء فيجزى كلا بما يليق به من ثواب أو عقاب وقرأ ابن عامر وحده تعملون على الخطاب (وربك الغني ذو الرحمة) أي ان تخصيص الله المطيعين بالثواب والمذنبين بالعذاب ليس لاجل انه تعالى محتاج الى طاعة المطيعين أو ناقص بعصية المذنبين فانه تعالى غني لذاته عن جميع العالمين ومع كونه تعالى غنيا فان رحمته عامة كاملة ومن رحمته تعالى على الخلق ترتيب الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ومن رحمته تعالى ارسال الرسل وعدم استئصالهم بالهلاك بذنوبهم في وقت واحد (ان يشاء يذهبكم) أيها العصاة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) أي ويوجد من بعد اذهابكم خلقا آخر يخلفا للجن والانس فتخصيص الرحمة بهؤلاء ليس لاجل انه لا يمكنه اظهار رحمته الا بخلق هؤلاء (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أي وينشئ الله انشاء كائنا كانت انفسكم من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم في العصيان أي فكما ان الله تعالى قادر على تصوير هذه الاجسام بهذه الصورة الخاصة كذلك قادر على تصويرهم بصورة مخالفة لها (انما توعدون) من مجيئ الساعة (لآت) أي واقع لا بد لانهم كانوا ينكرون القيامة وكل ما تعلق بالوعود من الثواب والعقاب فهو آت لا محالة (وما أنتم بمعجزين) أي لستم بخارجين عن قدرتنا وحكمتنا (قل) يا أشرف الخلق لكفار قريش (يا قوم اعملوا على مكانتكم) أي على أقصى إمكانكم واستطاعتكم واثبتوا على حالتكم من الكفر والعداوة (اني عامل) بما أمرت به من الثبات على حالتكم من الاسلام والمصاهرة فسوف تعملون من تكون له عاقبة الدار) أي فسوف تعرفون أي أحد الفريقين له العاقبة المحمودة وهي الاستراحة واطمئنان خاطر ونحن أم أنتم وذلك حاصلة الجنة وقرأ حمزة والكسائي من يكون بالياء (انه) أي الشأن (لا يفلح الظالمون) أي لا يفوز الكافرون بظالمهم البتة فلا يخرجون من عذاب الله تعالى (وجعلوا لله مما نذرنا من الحث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزرعهم وهذا شركائنا ما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) أي عين كفار مكة لله مما خلقه من الحث والانعام وكذا من الثمار وسائر أموالهم نصيبا يصرفونه الى الضيقات والساكنين ونصيبا من ذلك لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون ذبايح عندها فقالوا هذا الله بكذبهم في جهة انه تعالى يستحق ذلك من جهتهم لافي وجه التقرب اليه وهذا الآلهتنا ثم ان رأوا ما عينوه الله أزكى بدلوه بما لآلهتهم فاعطوا نصيب الله لاسدنة الاصنام وان رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لآلهتهم يصرفوه للساكنين بل يصرفون لاسدنة وكان اذا أصابهم قط استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفروا ما جعلوه لآلهتهم ولم يأكلوا منه فاذا هلك ما جعلوه لها أخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون كذلك فيما جعلوه لها وان سقط مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني

عن هذا وان سقط عما جعلوه للاوثان في نصيب الله أخذوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير
(سواء ما يحكون) أى بشئ الذى يحكون حكمهم من انهم رجوا جانب الاصنام على جانب الله ومن انهم
جعلوا شيئا غير الله تعالى مع ان الله تعالى الخالق للجميع ومن انهم أحدثوا الحكم من قبل أنفسهم ولم
يشهد بصحته عقل ولا شرع (وكذلك) أى مثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة الاموال بين
الله والآلهة (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) بوأد اناتهم ونحز كورهم (شركاؤهم) أى
أولياؤهم من الشياطين ومن السدنة قرأ العامة زين مبنيا للفاعل وقتل نصبا على المفعولية وأولادهم
خفضا بالاضافة وشركاؤهم رفعا على الفاعل أى وهكذا زينهم شياطينهم مثل أولادهم فأمر وبأن يادوا
بناتهم خشية الفقر والسبي وبأن ينحروا ذكورهم لألهتهم فكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف
بالله اثنى ولله كذا من الذكور لينحرن أحدهم كالحلف عبد المطلب لينحرن عبد الله وقرأ ابن عامر وحده
زين مبنيا للمفعول وقتل رفعا على الفاعلية وأولادهم نصبا على المفعولية وشركاؤهم خفضا على اضافة المصدر
الى فاعله أى زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم وهذه القراءة متواترة صحيحة فقد قرأ ابن عامر
على ابي الدرداء واثلة ابن الاسقع وفضالة بن عبيد ومعاوية بن أبى سفيان والمغيرة المخزومي وقرأ أيضا على
عثمان وولده في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيردوهم) أى يهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم
دينهم) أى وليخلصوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام أى ليدخلوا عليهم الشرك في
دينهم لأنهم كانوا على دين اسمعيل فهذا الذى أتاهم بهذه الارضاع الفاسدة أراد أن يزيلهم عن ذلك الدين
الحق واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة (ولو شاء الله ما فعلوه)
أى ما فعل كثير من المشركين قتل الأولاد بدفن البنات في حياتهم ونحز الأولاد كور الاصنام (فذرهم
وما يفترون) أى فاتركهم وكذبهم في قولهم ان الله يأمرهم بقتل أولادهم فان فيما شاء الله تعالى حكما
بالغة وذلك دليل على أن كل ما فعله المشركون فهو عبثية الله تعالى (وقالوا) أى المشركون الذين
قسموا نصيب آلهتهم أقساما ثلاثة (هذه) أى التى جعلناها لآلهة (أنعام وحوت) أى زروع
(حجر) أى محرمة (لا يطعمها الا من نشأ) أى لا يأكل هذه الانعام والحوت الا خدما الاوثان
والرجال دون النساء (يرزقهم) أى قاروا ما ذكروا ملتبسين بكذبهم ومن غير حجة (و) هذه (أنعام
حوت ظهورها) وهى البحائر والسواذب والحوامى والوصائل (و) هذه (أنعام لا يذكرون اسم الله
عليها) اذا ركبت واذا حملت واذا ذبحت ونسبوا ذلك التقسيم الى الله تعالى (افترأ عليه) وهذا ما
مفعوله وعامله قالوا أو حال من ضميره أو مصدر مؤكده لا قولهم ذلك هو الافتراء (سيجزىهم بما
كانوا يفترون) أى ان الله سيكافئهم بسبب تقواهم عليه (وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) أى ما ولد من البحائر والسواذب حلال
للذكور خاصة ومحرم على جنس أزواجنا وهى الاناث وما ولد منها ميتا كله الرجال والنساء جميعا
(سيجزىهم وصفهم) أى سيوصل الله لهم جزاء ذنبهم وهو وصفهم بالتكليل والتحريم فالواصف بذلك حمرو
ابن الحى وقدر آله النبي صلى الله عليه وسلم في جهنم بجر قصبه من دبره وكان يعلمهم تحريم الانعام (انه
حكيم) فى التكليل والتحريم (عليم) فى وصفهم بذلك (قد خسرا الذين قتلوا أولادهم) بالوأد للبنات
وبالنحز للذكور (سفهوا بغير علم) وهم بريئة ومضروا أمثالهم من العرب وبنو كنانة لا يفعلون ذلك
وسبب هذا الحسر ان لان الولد نعمة عظيمة من الله على العبد فاداسعى في ابطاله استحقق الام العظيم فى

الدنيا لان الناس يقولون قتل ولده خوفا من أن يأكل طعامه والعقاب العظيم في الآخرة وسيبه خفة العقل لان قتل الولد انما يكون للخوف من الفقر والقتل أعظم ضررا منه والقتل ناجز والفقر موهوم وهذه السفاهة انما نشأت من الجهل الذي هو أعظم المنكرات وقرأ أبو عمرو وابن عامر بتشديد التاء (وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قدضلو او ما كانوا مهتدين) فان تجريم الحلال من أعظم أنواع المجاعة لانه يمنع نفسه تلك المنافع ويستحق بسبب ذلك المنع أعظم أنواع العقاب أو ان الجراءة على الله أعظم الذنوب وهم قدضلو اعن الرشد في مصالح الدين ومنافع الدنيا ولم يحصل لهم الاهتداء قط (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) أي وهو الذي خلق بساتين مرفوعات على ما يحملها من العروش والساق وملقيات على وجه الارض ويقال معروشات أي وهو ما غرسه الناس في البساتين وغير معروشات وهو ما أنبتته الله في الجبال والبراري (و) أنشأ (النخل والزروع) أي جميع الحبوب التي يقتات بها (مختلفا كله) أي مختلفا لما ياكل من كل منها في الهيئة والطعم (والزيتون والرمان) أي أنشأ شجرهما (متشابه وغير متشابه) في اللون أو الطعم (كلوا من ثمره) أي ثمر كل واحد من ذلك (إذا أثمر) ولوقبل النضج وقرأ حمزة والكسائي برفع التاء والميم من ثمره (وأتوا حقه يوم حصاده) وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وطاسم بفتح الحاء أي أعزموه على ابتاء الزكاة لسكل من الزروع والثمار يوم الحصاد ولا تؤخره عن أول وقت يمكن فيه الابتاء وانما يجب اخراج الزكاة بعد التصفية والجفاف والامر بابتائهم يوم الحصاد لئلا يؤخر عن وقت امكان الاداء وليعلم أن وجوبها بالادراك ولو في البعض لا بالتصفية والمعنى وأتوا حق كل وجب يوم الحصاد بعد التصفية وفائدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب بنفس الزرع وادراكه وانما يجب يوم حصاده وحصوله في يده مالكة لا فيمات تلف من الزرع قبل حصوله في يده مالكة وهذا يقتضي وجوب الزكاة في الثمار كما قاله أبو حنيفة وتقتضي ثبوت حق في القليل والكثير فالعشر واجب في القليل والكثير كما قاله أبو حنيفة (ولا تسرفوا) أي لا تتجاوزوا الحد في الاعطاء والجل حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وتعطوا كله وروى أن ثابت بن قيس بن شماس عم دالي خمسمائة نخلة فخذها ثم قسمها في يوم واحد ولم يدخل منها الى منزله شيئا فأنزل الله هذه الآية ولا تسرفوا وقد جاء في الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول (انه لا يحب المسرفين) فكل مكلف لا يجب الله تعالى فهو من أهل النار (و) أنشأ (من الانعام حمولة) أي ما يحمله الاثقال (وفرشا) أي ما يفرش للذبح أو ما ينسج من وبره وصوفه وشعره للفرش (كلوا مما رزقكم الله) أي كلوا بعض ما رزقكم الله وهو ما أحل الله لكم من الحرث والانعام (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي ولا تسلكوا الطريق الذي يسوقه لكم الشيطان بتحريم الحرث والانعام (انه) أي الشيطان (لكم عدو مبين) أي ظاهر العداوة فقد أخرج آدم من الجنة وقال لا تحزنك ذريته الا قليلا (ثمانية أزواج) أي أصناف أربعة ذكور من كل من الابل والبقر والغنم وأربعة أناث كذلك وهذا بدل من حمولة وفرشا (من الضأن اثنين) بدلا من ثمانية أزواج أي أنشأ من الضأن زوجين الكبش والنخبة (ومن المعز اثنين) أي وأنشأ من المعز زوجين التيس والعنز (قل) لهم اظهروا الانقطاع عنهم عن الجواب (الذكريين) من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس (حرم) أي الله تعالى كما ترمعون أنه هو المحرم (أم الانثيين) وهما النخبة والعنز (أمما اشتملت عليه أرحام الانثيين) أي أمما حملت عليه أناث النوعين حرم الله تعالى ذكرها كان أو أنثى (نبؤوني بعلم) أي اخبروني بعلم ناشئ عن طريق الاخبار من الله بأنه حرم ما ذكر (ان كنتم

صادقين) في دعواكم ان الله حرم بحيرة أو سائبة أو وصيلة أو حاماً (ومن الابل اثنين) أى وان شأمن الابل
اثنين الجمل والناقة (ومن البقر اثنين) ذكر أو أنثى (قل أذكركم حرم أم الانثيين أم ما اشتملت عليه
أرحام الانثيين) من ذينك النوعين (أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) أى بل أكنتم حاضرين
حين أمركم الله بهذا التحريم والمراد هل شاهدتم الله حرم هذا ان كنتم لا تؤمنون برسول فانكم لا تقرون
بنبوة أحد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله تعالى (فإن أظلم عن أفترى على
الله كذباً) أى لا أحد أظلم عن تعمد على الله كذباً بنسبة التحريم اليه قال المحققون اذا ثبت ان من افترى
على الله الكذب في تحريم مباح استحق هذا الوعيد الشديد فن افترى على الله الكذب في مسائل
التوحيد ومعرفة الذات والصفات والنبوات والملائكة ومباحث المعاد كان وعيده أشد وأشق (ليضل
الناس) عن دين الله (بغير علم) حال من فاعل يضل أى ملتبساً بغير علم بما يؤدى بهم اليه أو حال من
فاعل افترى أى افترى عليه تعالى جاهلاً بصدور التحريم عنه تعالى أى فن افترى عليه تعالى جاهلاً بصدور
التحريم عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه كان أظلم ظالمات ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه
لم يصدر عنه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يهدي أولئك المشركين أى لا ينقلهم من ظلمات
الكفر الى نور الايمان (قل لا أجد فيما أوحى الى محرماً على طاعم يطعمه) أى قل يا أشرف الخلق لهؤلاء
الجهلة الذين يحكمون بالحلال والحرام من عند أنفسهم لا أجد في القرآن طعاماً محرماً من المطاعم التي
حرمتموها على آكل يأكله من ذكر أو أنثى (الا ان يكون ميتة) قرأ ان كثير وحمة تكون بالتأنيث ميتة
بالنصب على تقدير الا ان تكون المحرم ميتة وقرأ ابن عامر تكون بالتأنيث ميتة بالرفع على معنى الا ان
توجد ميتة أو الا ان تكون هناك ميتة وقرأ الباقر يكون بالتذكير ميتة بالنصب أى الا ان يكون ذلك
المحرم ميتة وعلى قراءة ابن عامر يكون ما بعده ما عطفوا على أن يكون الواقعة مسنة ثمانية أى الاحداث ميتة
(أو دماء مسفوها) أى جارياً كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد (أو لحم خنزير فانه) أى الخنزير
(رجس) أى نجس فكل نجس يحرم أكله (أو فسقا) أى ذبيحة خارجة عن الحلال (أهل لغير الله به) أى
ذبح على اسم الاصنام (فن اضطر) أى فن أصابه الضرورة الداعية الى أكل الميتة (غير باع) في ذلك
على مضطر مثله (ولا عاد) أى متجاوز قدر الضرورة وهو الذي يسد الرق (فان ربك غفور رحيم) أى
فلا يؤاخذ ربك بالآكل من ذلك لانه مبالغ في المغفرة والرحمة (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) أى
وحرمنا على اليهود كل ذى مخالب وبرش (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) وهو شحم الكرش
والسكلى (الا ما حلت ظهورهما) أى الا الشحم الذى حلت ظهورهما (أو الحوايا) أى أو الا الشحم الذى
حلتها المباعر (أو ما اختلط بعظم) أى أو الا شحماً مختلطاً بعظم مثل شحم الالية فانه متصل بالعصعص
فتلخص ان الذى حرم عليهم من الشحوم هو شحم الكرش والسكلى وان ما عدا ذلك حلال لهم (ذلك
جزيناهم ببغيهم) أى ذلك التحريم عاقبتناهم بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء وأخذهم الربا وأكلهم
أموال الناس بالباطل (وانا الصادقون) فى الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم بسبب بغيهم وهم
كاذبون فى قولهم حرم ذلك اسرائيل على نفسه بلا ذنب منافحن مقتدون به (فان كذبوك) أى فان
كذبك اليهود فى الحكم المذكور أو كذبك المشركون فى ادعاء النبوة والرسالة وفى تبليغ هذه الاحكام
(فقل لهم) ربكم ذور رحمة واسعة (فلذلك لا يحجل عليكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه
امهال لا اجمال (ولا يرد بأسه) أى عقابه اذا جاء وقته (عن القوم المجرمين) الذين كذبوك فيما

تقول وقيل المعنى نور حقه واسعة للطيعين وذوباس شديد للعجبرين (سيقول الذين أشركوا) عنادا
لا اعتذارا عن ارتكاب هذه القبائح (لو شاء الله) عدم اشراكنا وعدم تحريمنا (ما أشركنا ولا آباؤنا ولا
حرمنا من شيء) ففعلنا حق مرضى عند الله تعالى ولولا انه تعالى رضى ما نحن فيه لحال بيننا وبينه
(كذلك كذب الذين من قبلهم) أى مثل ما كذب هؤلاء فى أن الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب
كفار الامم الماضية أنبياءهم فكل من كذب نبيا قال الكل بعيشة الله تعالى فهذا الذى أنافيه من الكفر
انما حصل بعيشة الله تعالى فلم يعنى منه وفى قراءة بتخفيف كذب أى مثل كذبهم فى قولهم ان ما فعلوه
حق مرضى عند الله تعالى كذب من قبلهم فى ذلك (حتى ذاقوا بأسنا) أى عذابنا الذى أنزلنا عليهم
بتكذيبهم الرسل وبكذبهم فى قولهم ان الله أمرنا بالشرك (قل) هؤلاء المشركين (هل عندكم من علم)
أى بيان على ماتقولون من تحريم ما حرمت ومن ان الله راض بشرككم (فتخرجوه) أى فتظهروه
(لنا) كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم (ان تتبعون الا الظن) أى ما تتبعون فيما أنتم عليه الا الظن
الباطل الذى لا يغنى من الحق شيئا (وان أنتم الا تخفون) أى وما أنتم فى ذلك الا تكذبون على الله تعالى
(قل لله الحجة البالغة) أى قل لهم ان لم تكن لكم حجة فله الحجة الواضحة التى تقطع هذا المجروح وترى
الشك عن من نظرفيها وهى ازال الكتب وارسال الرسل (فلو شاء) هدايتكم جميعا الى الحجة البالغة
(لهذاكم أجمعين) ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض (قل) يا أكرم الرسل لهم (هلم شهداءكم
الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أى احضر واقدوتكم الذين ينصرون قولكم ان الله حرم الذى حرموه
(فان شهدوا) بعد حضورهم بأن الله حرم ذلك (فلا تشهد معهم) أى فلا تصدقهم فيما يقولون بل بين
لهم فساد لان السكوت قد يشعر بالرضا (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا باآتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة
وهم يرميهم يعدلون) أى ان وقع منهم شهادة فاعناها بتابع الهوى فلا تتبع أنت أهواءهم فهم كذبوا
القرآن ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت ويجعلون لله تعالى عديلا (قل) يا أكرم الرسل لمن سألك أى
شيء حرم الله وهم مالك بن عوف وأصحابه (تعاوا أتله ما حرم ربكم عليكم) فى الكتاب الذى أنزل على
(أن) مفسرة لفعل التسلاوة (لا تشركو به) أى ربكم (شيئا) من الاشارة (وبالوالدين) أى
واحسنوا بهما (احسانا) ولم يقل لله ولا نسيئوا الوالدين لان مجرد تلك الاساءة اليهما غير كاف فى
قضاء حقوقهما (ولا تقتلوا اولادكم من املاق) أى من خوف الفقر وقروا كلوا يدفنون البنات احياء
فبعضهم للغيره وبعضهم لحوف الفقر وهذا هو السبب الغالب فى من تعالى فساد هذه العلة بقوله (نحن
نرزقكم واياهم) أى اولادكم (ولا تقربوا الفواحش) أى الزنا (ما ظهر منها وما بطن) أى ما يفعل
منها علانية فى الحوانيت كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو عادة اشرافهم
وجمع الفواحش للنهى عن أنواعها ولذلك ذكر ما يدل عنها بدل اشتمال وتوسيط النهى عن الزنا بين
لنهى عن قتل الاولاد والنهى عن القتل مطلقا لانه فى حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا فى حكم الاموات
او قد قال صلى الله عليه وسلم فى حق العزل ذاك وأدخني (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله) قتلها بكونها
معصومة بالاسلام أو بالعهد (الا بالحق) أى الا قتلا ملتبسا بالحق وهو ان يكون القتل القصاص أو
للردة أو للزنا بشرطه (ذلكم) أى التكاليف الخمسة (وصاكم به) أى أمركم به ربكم أمرا مؤكدا
(لعلكم تعقلون) أى لعلكم تعقلوا فوائدها هذه التكاليف فى الدين والدنيا (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي
أحسن) أى الا بالحصلة التى هى أحسن لليتم كحفظه وتحصيل الربح به (حتى يبلغ أشده) أى قوته

مع الرشد ومبدؤه من البلوغ وانتهاءه الى الثلاثة والثلاثين (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) أى أنتموا
الكيل بالكيل والوزن بالميزان بالعدل من غير نقصان من المعطى ومن غير طلب الزيادة من صاحب
الحق (لأنكلف نفساً) عند الكيل والوزن (الأوسعها) أى الاطاعتها فى الايفاء والعدل فإن
الواجب فى ايفاء الكيل والوزن هو التقدير الممكن فى ايفائهما أما التحقيق فغير واجب (واذا قلتم
فاعدلو ولو كان ذا قربي) أى ولو كان القول على ذى قرابة منكم فاذا دعاه شخص الى الدين وأقام الدليل
عليه ذكر الدليل لمخضاع الزيادة بالفاظ معتادة واذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فلا ينقص
عن القدر الواجب ولا يزيد فى الايذاء والايحاش واذا حكى الحكايات فلا يزيد فيها ولا ينقص عنها واذا
بلغ الرسالات عن الناس فيجب ان يؤديها من غير زيادة ولا نقصان واذا حكم فيجب أن يحكم بالعدل وان
يسوى فى القول بين القريب والبعيد وذلك لطلب رضا الله تعالى (وبعهد الله أوفوا) أى أنتموا ما عهدتم
الله عليه من الأيمان والنذور وغيرهما (ذلكم) أى التكليف الاربعة (وصاكم به) أى أمركم به
أمرامؤكدا (لعلكم تذكرون) ولما كانت التكليف الخمسة فى الآيات الاولى أموراً ظاهرة مما يجب
تفهمها ختمت بقوله تعالى لعلكم تعلمون ولما كانت هذه التكليف الاربعة غامضة لا يفهمها من
الاجتهاد فى الفكر حتى يقف على موضع الاعتدال ختمت بقوله تعالى لعلكم تذكرون وحاصل ما ذكر
فى هاتين الآيتين من المحرمات تسعة أشياء خمسة بصيغ النهى وأربعة بصيغ الأمر وتوول الاوامر
بالنهي لأجل التناسب وهذه الاحكام لا تختلف باختلاف الأسم والاعمار (وأن هذا) أى
الذى بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام (صراطى) أى دينى (مستقيماً) أى لا اعوجاج
فيه قرأ ابن عامر وأن هذا بفتح الهمزة وسكون النون فأصلها وانه هذا قالها ضمير الشأن والحديث وهو اسم
ان والجملة التى بعده خبره وقرأ حمزة والكسائى وان بكسر الهمزة وتشديد النون فالتقدير اتل ما حرم واتل
ان هذا بمعنى أقل وقرأ الباقون بفتح الهمزة وتشديد النون والتقدير واتل عليكم ان هذا صراطى
مستقيماً (فاتبعوه) أى هذا الصراط (ولا تتبعوا السبل) المخالفة لدين الاسلام (فتفرق بكم عن
سبيله) أى فتميل بكم هذه السبل عن سبيل الله الذى لا عوج فيه وهو دين الاسلام وعن ابن مسعود
قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن
شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها (ذلكم) أى اتباع دين الله (وصاكم
به) فى الكتاب (لعلكم تتقون) اتباع سبل الكفر والضلالات (ثم آتينا موسى الكتاب) أى ثم بعد
تعدد المحرمات وغيرها من الاحكام انى أخبركم انا أعطينا موسى التوراة (تماماً) أى لأجل تمام
نعمتنا (على الذى أحسن) أى على من أحسن العمل بأحكامه كما يدل عليه قراءة عبد الله على الذين
أحسنوا وقرأ يحيى بن يعمر بالرفع مجذوف المبتدأ أى على الذى هو أحسن ديناً كقراءة من قرأ مثلاً
ما بعوضة بالرفع (وتفصيلاً لكل شئ) أى وليبيان كل ما يحتاج اليه فى الدين فيدخل فى ذلك بيان نبوة
سيدنا محمد (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لعلهم يلقاها) أى لعلهم يؤمنون (أى لى يؤمن
بنوا اسرائيل بلى ما وعدهم الله به من ثواب وعقاب (وهذا) أى الذى تلوت عليكم (كتاب) أى
قرآن (أنزلناه) اليكم بلسانكم (مبارك) أى كثير النافع ديناً ودنياً لا يتطرق اليه الشسخ
(فاتبعوه) أى فاتبعوا يا أهل مكة ما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام (واتقوا) لعلكم ترحمون (أى
اتقوا مخالفتي على رجاء الرحمة (أن تقولوا) أى أنزلناه كراهة أن تقولوا يوم القيامة (انما أنزل الكتاب)

وهو التوراة والانجيل (على طائفتين من قبلنا) وهم اليهود والنصارى (وإن كانوا عن دراستهم لغافلين) أي وإنه كنّا عن قراءتهم لجاهلين فلا ندري ما في كتابهم إذ لم يكن بلغتنا والمراد بهذه الآيات اثبات الحجّة على أهل مكة بأنزال القرآن على سيدنا محمد كي لا يقولوا يوم القيامة إن التوراة والانجيل أنزل على اليهود والنصارى ولا نعلم ما فيهما فقطع الله عذرهم بأنزال القرآن عليهم بلغتهم (أو تقولوا) أي لا عذر لكم في القيامة بقولكم (لو أنّا أنزل علينا الكتاب) كما أنزل على اليهود والنصارى (لكنّا أهدي منهم) أي أصوب ديناً منهم وأسرع أجابة للرسول منهم (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدي ورحمة) أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم قرآن من ربكم فإنه بيان فيما يعلم بمعناه وهو هدي فيما يعلم بمعناه وعقل وهو نعمة في الدين (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أي لا أحد أحرأ على الله عن كذب بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم ومال عن ذلك (ستجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) أي شدته (بما كانوا يصدفون) أي بسبب اعراضهم (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة) أي ما ينتظر أهل مكة إلا أحده هذه الأمور الثلاثة أي فلا يؤمنون بك إلا إذا جاءهم أحد هذه الأمور وقرأ أحزّة والكسافي على التذكير (أو يأتي ربك) أي بحسب ما اقترحوا بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وهم كانوا كفاراً واعتقاد الكافر ليس بحجة وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت أقبص أرواحهم وبآيات الله تعالى آيات كبريآته بمعنى آيات القيامة كلها وقيل المعنى أو يأتي ربك يوم القيامة بلا كيف (أو يأتي بعض آيات ربك) أي بعض علامات ربك الدالة على قرب الساعة وهي عشرة وهي العلامات الكبرى وهي الدجال والدابة وخسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان وطلوع الشمس من مغربها وأجوج وازول عيسى ونار تخرج من عدن تسوق الناس إلى المحشر (يوم يأتي بعض آيات ربك) وهو طلوع الشمس من مغربها (لا ينفع نفساً) كافرة (إيمانها لم تكن آمنت من قبل) أي قبل آيات بعض الآيات (أو) نفساً مؤمنة عاصية توبتها لم تكن (كسبت في إيمانها خيراً) حكم الإيمان والعمل الصالح حين طلوع الشمس من المغرب حكم من آمن أو عمل عند الغرّة وذلك لا يفيد شيئاً أمام من كان يومئذ مؤمناً مذنباً فتأب أو صغيراً أو مولوداً بعد ذلك فإنه ينفع توبتهم وإيمانهم وعملهم كما قاله ابن عباس وروى عن ابن عباس أنه قال لا تزال الشمس تجري من مطلعها إلى مغربها حتى يأتي الوقت الذي جعله الله غاية لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن القمر من أين يطلع فلا يؤذن له ما في حجبسان مقدار ثلاث ليالٍ للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف مقدار حبسهما الا قليل من الناس وهم أهل الأوراد وحمل القرآن فينادي بعضهم بعضاً فيجتمعون في مساجدهم بالنفوس والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فينبئ الناس كذلك إذ نادى مناد إلا أن باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما ويتصايح أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادهما وتضع كل ذات حمل حملها وأما الصالحون والابرار فانهم يتفعهم بكأؤهم يومئذ يكتب لهم عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكأؤهم يومئذ يكتب عليهم حسرة قال عمر بن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وما باب التوبة يا رسول الله فقال يا عمر خلق الله بالتوبة جهة المغرب فهو من أبواب الجنة له مصراعان من ذهب مكلاّن بالدر والجواهر ما بين المصراع إلى المصراع مسيرة أربعين عاماً لا يركب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلقه الله تعالى إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس وانقضاء من مغاربهم ما لم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحاً من لدن آدم إلى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة في ذلك

الباب قال أبي بن كعب يارسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدينا فقال يا أبي
 ان الشمس والقمر يكسبان بعد ذلك ضوء النار ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس
 بعد ذلك فيطهون على الدنيا ويعمر ونهار يجرون فيها الانهار ويغرسون فيها الاشجار وينون فيها
 البنيان ثم تمكث الدنيا بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة السنة منها بقدر شهر والشهر
 بقدر جمعة والجمعة بقدر يوم واليوم بقدر ساعة ويتمتع المؤمنون بعد ذلك أربعين سنة لا يتمنون شيئا الا
 أعطوه حتى تتم أربعون سنة بعد الدابة ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن ويبقى الكفار يتهاجون
 في الطرق كالهائم حتى ينسكع الرجل المرأة في وسط الطريق يقوم واحد عنها وينزل واحد وأفضلهم من
 يقول لو تخيتم عن الطريق لكان أحسن وروى عن أنس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير في هذه الامة قردة وخنازير وتطوى الدواوين وتحف الاقلام
 لا يراد في حسنة ولا ينقص من حسنة ولا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا
 (قل انتظروا) ما تنتظرونه من اتيان أحد الامور الثلاثة (انما منتظرون) لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء
 العاقبة والمراد بهذا ان المشركين انما يعملون قردة في الدنيا فاذا ما قوا وظهرت الآيات لم ينفعهم الايمان
 وحلت بهم العقوبة اللازمة أبدا (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) أى أحرابا في الضلالة (لست منهم في
 شيء) أى لست من البحث في تفريقهم فأنت منهم بري وهم منك برآء ولست من قتالهم في هذا الوقت في شيء
 (انما أمرهم الى الله) أى يدبره كيف يشاء يؤاخذهم في الدنيا متى شاء ويأمرهم بقتالهم اذا أراد (ثم ينبئهم
 بما كانوا يفعلون) أى ثم يظهر الله لهم يوم القيامة على رؤس الاشهاد ويعلمهم أى شيء شنيع كانوا
 يفعلونه في الدنيا ويرتب عليه ما يليق به الجزاء والمراد بهؤلاء المغرقيين الخوارج كما أخرجه ابن أبي حاتم
 من حديث أبي امامة وهم أصحاب البدع والاهواء كما أخرجه الطبراني من حديث عائشة وقال قتادة هم
 اليهود والنصارى كما أخرجه عبد الرزاق وكما أخرج ابن أبي حاتم عن السدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم
 افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الواحدة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين
 فرقة كلهم في الهاوية الواحدة واستثناء الواحد من فرق اهل الكتابين انما هو باعتبار ما قبل النسخ
 وأما بعده فالكل في الهاوية وان اختلفت أسباب دخولهم وسبب تفرق أمتي على ثلاث وسبعين
 فرقة كلهم في الهاوية الواحدة رواه أبو داود والترمذي والحاكم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بالالف
 أى باینوا بأن ترسكووا بعض دين آبائهم والباقيون فرقوا ما تشديد أى اختلفوا في دينهم كما اختلف
 المشركون بعضهم بعد دون الملائكة ويرحمون أنهم بنات الله وبعضهم يعبدون الاصنام ويقولون
 هؤلاء شفعاؤنا عند الله وبعضهم يعبدون الكواكب (من جاء بالحسنة) أى من جاء يوم القيامة
 بالاحمال الحسنة من المؤمنين (فله عشر أمثالها) أى فله جزاء عشر أمثالها وهذا أقل ما وعد من
 الاضعاف فالمراد بالعشرة الاضعاف مطلقا لا التحديد وقد جاء أوعد بسبعين ووسبع مائة وبغير حساب
 ولذلك قيل المراد بذكر العشريين الكثرة لا الحصر في العدد الخاص (ومن جاء بالسيسة) أى بالاعمال
 السيئة (فلا يجزى الا مثلها) أى الاجزاء السيئة الواحدة ان جوزى (وهم لا يظلمون) أى
 لا ينقصون من ثواب طاعتهم ولا يرادون في عقاب سيئاتهم (قل) يا أشرف الخلق للمشركين الذين يدعون
 انهم على ملّة ابراهيم من أهل مكة واليهود والنصارى (انني هداني ربي الى صراط مستقيم) أى أرشدني
 ربي بالوحى وبما نصب من الآيات التكوينية في الانفس وفي السموات والارض الى طريق حق (دينا

قيعا) أى لا عوج فيه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبفتح القاف وكسر اليااء مشددة والباقيون بكسر
 القاف وفتح اليااء مخففة وهو مصدر كالصغر والكبر والحول والشبع أى ديننا ذا قيم أى صدق (ملة إبراهيم
 حنيفا) أى ما ثلأ عن الضلالة إلى الاستقامة (وما كان من المشركين) وقوله تعالى ديننا بدل من محل
 صراط لان محله النصب على انه مفعول ثان أو مفعول لفعل مقدر والتقدير الزموا ديننا وقوله تعالى ملة
 إبراهيم عطف ببيان لدينا وحنيفا حال من إبراهيم وكذا وما كان فهو عطف حال على أخرى (قل ان
 صلاتي) أى الصلوات الخمس (ونسكى) أى ذبيحتي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله تعالى فصل
 ربك وانحر أو المعنى وكل ما تقربت به إلى الله تعالى فان معنى الناسك من صفاته نفسه من دنس الآثام
 (ومحياى وعماتى) أى وما أنا عليه فى حياتى وما أكون عليه عند موتى من الايمان والطاعة (لله رب
 العالمين) أى ان صلاتى رسالتى عباداتى وحياتى وعماتى كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه
 وحكمه (لا شريك له) فى الخلق والتقدير (وبذلك) أى وبهذا التوحيد (أمرت وأنا أول المسلمين)
 أى المستسلمين لقضاء الله وقدره فانه صلى الله عليه وسلم أول من أجاب ببلى يوم العهد لسؤال الله تعالى
 ألست بربكم والمعنى وأنا أول المنتقدين لله من أهل ملتي وهذا بيان لمسار عقه صلى الله عليه وسلم إلى
 الامتثال بأمر الله (قل) يا أشرف الرسل للكفار الذين قالوا لك ارجع إلى ديننا (أغير الله أبغى ربا) أى
 أعبد ربا غير الله (رهوب كل شئ) أى والحال ان الله رب كل شئ مع ان الذين اتخذوا ربا غير الله أقروا
 بان الله خالق الاشياء كما قال تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون وأصناف المشركين أربعة
 عبدة الاصنام فهم معترفون بأن الله هو الخالق للسموات والأرض وللانعام بأسرها وعبدة الكواكب
 فهم معترفون بأن الله خالقها والقائلون بيزدان وأهزم من فهم معترفون بأن الشيطان محدث وان محدثه هو
 الله والقائلون بأن المسيح ابن الله والملائكة بناته فهم معترفون بأن الله خالق الكل واذا ثبت هذا فنقول
 العقل الخالص يشهد بأنه لا يجوز جعل الربوب شريكا للرب وجعل المخلوق شريكا للخالق (ولا تكسب كل
 نفس ذنبا) (الاعليها) أى الاحالة كونه مستعليا عليها بالضرورة أو حالة كونه مكتوبا عليها لا على غيرها
 (ولا ترزوا رزوا رزوا أخرى) أى ولا تحمل نفس آثمة ولا غير آثمة اثم نفس أخرى فلا تحمل نفس طائفة
 أو خاصية ذنب غيرها وانما قيد فى الآيات بالوازرة موافقة لسبب النزول وهو ان الوليد بن المغيرة كان يقول
 للمؤمنين اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم (ثم إلى ربكم) أى إلى مالك أموركم (مرجعكم) أى
 رجوعكم يوم القيامة (فينبئكم) يومئذ (بما كنتم فيه تختلفون) من الاديان فى الدنيا (وهو الذى
 جعلكم خلائف الارض) أى جعلكم يخلف بعضكم بعضا فى الارض (ورفع بعضكم) فى الشرف
 والرزق (فوق بعض درجات) كثيرة متفاوتة لجعل الله منهم الحسن والقبيح والغنى والفقر والشريف
 والوضيع والعالم والجاهل والقوى والضعيف واطهار هذا التفاوت ليس لاجل الهز والجهل والجنل
 فانه تعالى منزّه عن ذلك وانما غولاجل الامتحان وهو المراد من قوله (ليبلوكم فيما آتاكم) أى
 ليعاملكم معاملة المختبر فيما أعطاكم من الجاه والمال والفقرا بكم يشكر وأيكم يصبر وهو أعلم بأحوال
 عبادهم والمراد من الابتلاء هو التكليف ثم ان المكلف اما أن يكون مقصرا فيما كلف به أو موفرا فيه
 فان كان مقصرا كان نصيبه من التخويف قوله تعالى (انذركم سريع العقاب) لمن كفر به ولا يشكره
 ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب وان كان المكلف موفرا فى الطاعات كان نصيبه من
 الترغيب قوله تعالى (وانه لغفور رحيم) لمن راعى حقوق ما أعطاه الله تعالى كما ينبغى عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال أنزلت على سورة الانعام جملة واحدة يتبعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح
والتمحيد فنقرأ الانعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بمدد كل آية من سورة
الانعام يوما وليلة

﴿سورة الاعراف مكية وآياتها مائتان وست آيات وكلما تها ثلاثة آلاف وثلاثمائة
وخمس وعشرون كلمة وحروفها أربعة عشر ألفا وثلاثمائة وعشرة أحرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم المص) قيل هي حروف مقطعة اسم تقرأ الله بعلمها وهي سره تعالى في كتابه
العزبز (كتاب) أي هذا قرآن (أنزل اليك) أي ان الملك انتقل به من العلو الى أسفل (فلا يكن في
صدرك حرج منه) أي فلا يكن فيك شك من هذا الكتاب في كونه كتابا نزل اليك من عنده تعالى
أو المعنى لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغ هذا الكتاب مخافة أن تقصر في القيام بحقه أو مخافة أن يكذبوك
(لتنذره) أي بهذا الكتاب الكافرين (وذكرى للؤمنين) فان النفوس البشرية على قسمين نفوس
جاهلة غريقة في طلب اللذات والشهوات ونفوس شريفة مشرقة بالانوار الالهية فبعنة الرسل في حق
القسم الاول تخويف وفي حق القسم الثاني تنبيه (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أي من كتابه وسنة
رسوله (ولا تتبعوا من دونه) أي من غير ربكم (أولياء) من الشياطين والكهان فيحملوكم على
البدع والاهواء وقيل الضمير للوصول مع حذف المضاف في أولياء أي ولا تتبعوا من دون ما أنزل أبا طيل
أولياء وقرأ مالك بن دينار ولا تتبعوا (قليلا ما تذكرون) أي تذكروا قليلا أو زمانا قليلا تذكرون
وما يزيد للتوكيد قرأ ابن عامر يتذكرون بالياء والتاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالتاء
وتخفيف الذال والباقون بالتاء وتشديد الذال (وكم من قرية أهلكناها) أي كثير من أهل قرية أردنا
أهلكها (لجأها) أي لجأ أهلها (بأسنا) أي عذابنا (بياتا) أي نائمون في الليل كافي قوم لوط
(أو هم قائلون) أي نائمون في نصف النهار أو مستريحون فيه من غير نوم كافي قوم شعيب والمعنى جاءهم
العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم اشارة تدلهم على نزول ذلك العذاب فكأنه قيل الكفار لا تغتروا
بأسباب الأمن والراحة والفراغ فان عذاب الله اذا وقع وقع دفعة من غير سبق اشارة فلا تغتروا باحوالكم
(فما كان دعواهم) أي استغاثتهم برحمهم واعترافهم بالجناية (اذ جاءهم بأسنا) أي عذابنا في الدنيا
(الأن قالوا انا كنا ظالمين) فأقروا على أنفسهم بالشرك والاساءة حيث لم يتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم
وذلك حين لم ينفعهم الاعتراف والندامة والمختار عند النحويين أن يكون محال أن قالوا رفعنا بكان
ودعواهم نصبا بدليل تذكير كان كقوله تعالى فما كان جواب قومه إلا أن قالوا وقوله تعالى فكان
عاقبتهم ما أنهم في النار وقوله تعالى وما كان حجتهم إلا أن قالوا (فلنسألن الذين أرسل اليهم) أي فلنسألن
في موقف الحساب الامم قاطبة قائلين ماذا أجبت المرسلين (ولنسألن المرسلين) قائلين ماذا أجبت
وذلك للرد على الكفار اذا أنكروا التبليغ بقولهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فاذا أثبت الرسل انهم لم يصدر
منهم تقصير البتة فيتضاعف اكرام الله تعالى في حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير
ويتضاعف أسباب الخزي والاهانة في حق الكفار لما ثبت أن جميع التقصير كان منهم (فلنقصن
عليهم) أي المرسلين والامم لما سكتوا عن الجواب (يعلم) أي فلنخبرهم بما فعلوا اخبارا ناشئا عن علم
منا (وما كنا غائبين) عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من أحوالهم (والوزن) أي وزن

الاعمال (يومئذ) أي كل يوم اذ يسأل الله الامم والرسل (الحق) أي العدل أو المعنى والوزن يوم
اذ يكون السؤال والقص هو الحق فالحق اما صفة للوزن أو خبر له ويومئذ اما ظرف له أو خبر له (فمن ثقلت
موازينه) بسبب ثقل الحسنات في الميزان (فأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بالنجاة والثواب (ومن
خفت موازينه) بسبب خفة الحسنات في الميزان أو بسبب الاعمال التي لا اعتداد بها في الوزن (فأولئك
الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) أي فأولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا
أنفسهم بسبب تكذيبهم بآياتنا والقائمة في وضع ذلك الميزان ان يظهر ذلك الرجحان لاهل القيامة فان
كان ظهور الرجحان في طرف الحسنات ازداد سروره بسبب ظهور فضله وكمال درجته لاهل القيامة وان
كان بالضد فزيد احرزته وخوفه في موقف القيامة ثم اختلفوا في كيفية ذلك الرجحان فبعضهم قال يظهر
هناك نور في رجحان الحسنات وظلمة في رجحان السيئات وآخرون قالوا بل يظهر رجحان في الكفة قال
العلماء الناس في الآخرة ثلاث طبقات متقون لا كبار لهم وكفار ومخلطون وهم الذين يأنون بالكبائر فأما
المتقون فان حسناتهم توضع في الكفة النيرة وصغائرهم لا يجعل الله لها وزنا بل تكفر صغائرهم باجتنابهم
الكبائر وتثقل الكفة النيرة ويؤمرهم الى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وأما الكافران
يوضع كفرهم في الكفة المظلمة ولا توجد له حسنة توضع في الكفة الاخرى فتبقى فارغة فيأمر الله تعالى بهم
الى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وأما الذين خلطوا الحسنات بهم وتضع في الكفة النيرة وسيئاتهم
في الكفة المظلمة فيكون لكبارهم ثقل فان كانت الحسنات أثقل ولو بصوابة دخل الجنة وان كانت
السيئات أثقل ولو بصوابة دخل النار الا ان يعفو الله وان تساوى كان من أصحاب الاعراف هذا ان
كانت الكبائر فيما بينه وبين الله واما ان كان عليه تبعات وكان له حسنات كثيرة جدا فانه يؤخذ من
حسناته فيرد على المظلوم وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فيحمل على الظالم من أوزار من
ظلمه ثم يعذب على الجميع (ولقد مكناكم في الارض) أي جعلنا لكم يا بني آدم فيها مكانا وأقدرناكم على
التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معاش) أي وجوه المنافع وهي على قسمين ما يحصل بخلق الله تعالى
ابتداء مثل خلق الثمار وغيرها وما يحصل بالاكساب وكلاهما بفضل الله وتمكينه فيكون السهل انعاما
من الله تعالى وكثرة الانعام توجب الطاعة (قليل ماتشكرون) تلك النعمة ونعم الله على الانسان كثيرة
فلا انسان الا ويشكر الله تعالى في بعض الاوقات على نعمه وانما التفاوت في ان بعضهم يكون كثير
الشكر وبعضهم يكون قليل الشكر (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أي خلقنا اباكم آدم طينا وغير
مصور ثم صورناه أحسن تصوير وتحسن هذه السكينة لان آدم أصل البشر (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)
ممجود تعظيم (فسجدوا) أي الملائكة بعد الامر (الابليس) فانه أبو الجن كان مفردا مستورا
بأوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في قوله تعالى للملائكة الخ (لم يكن من الساجدين)
لآدم (قال) تعالى لابليس (ما منعك أن تسجد) أي ما صرفك الى أن لا تسجد كما قال القاضي
ذكر الله المع وأراد الداعي فكأنه تعالى قال مادعاك الى أن لا تسجد لآدم لان مخالفة أمر الله تعالى حالة
عظيمة يتوجب منها ويسأل عن الدعى اليها (اذ أمرتك) والمشهور أن كلمة لا لتأكيد معنى النفي في
منعك والالاستفهام للتوبيخ ولاظهار كفر ابليس واذ منصوب بتسبيح أي ما منعك من السجود
في وقت أمرى اياك به (قال) ابليس (أنا خير منه) أي انما لم اسجد لآدم لاني خير منه (خلقتني
من نار) فهي أغلب أجزائي (وخلقت من طين) أي وهو أغلب أجزائه فالنار أفضل من الطين لان

النار مشرقة علوية لطيفة يابسة مجاورة لجواهر السموات والطين مظلم سفلى كثيف بعيد عن مجاورة السموات والمخلوق من الافضل لافضل وقد اخطأ ابليس طريق الصواب لان النار فيها الخفة والارتفاع والاضطراب واما الطين ففساد الرزاق والحلم والتثبت وايضا فالطين سبب للحياة من انبات النبات والنار سبب لهلاك الاشياء والطين سبب جمع الاشياء والنار سبب تفرقها (قال تعالى) (فاهبط منها) أى من الجنة وكانوا في جنة عدن فيها خلق آدم وأخرج من زمرة الملائكة المعززين (فياكون لك) أى قايين بكى لك (أن تتكبر فيها) أى في الجنة أو في زمرة الملائكة (فأخرج انك من الصاغرين) أى من الأدلاء (قال أنظرني) أى لا تعنني (اليوم يبعثون) أى آدم وذريته وهو وقت النفخة الثانية وأراد ابليس ان يأخذ ثاره منهم باغوائهم وان ينجم من الموت لاستحالة بعثه بعد البعث ولانه قد تم عند النفخة الاولى (قال) تعالى (انك من المنظرين) أى من الموحلين الى النفخة الاولى فيموت كغيره (قال) ابليس (فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم) أى فبسبب اغوائك اياي لأجلهم أقسم بعزتك لأقعدن لآدم وذريته دينك الموصل الى الجنة وهودين الاسلام (ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم) أى فأشككهم في صحة البعث والقيامة والحساب وألقى اليهم ان الدنيا قديمة لا تنفي (وعن أيما نهم وعن شهاثلهم) أى افترهم عن الحسنات وأقوى دواعيهم في السيئات ونقل عن شقيق انه قال ما من صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الاربع فيقول من قد احمى لا تحف فان الله غفور رحيم فأقرأوا في لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ومن خلفي يحوفني من وقوع أولادي في الفقر فأقرأوا ما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويأتيني بالثناء من قبل عيني فأقرأوا والعاقبة للمتقين ويأتيني بالترغيب في الشهوات من قبل شمالي فأقرأوا وحيل بينهم وبين ما يشتهون والحاصل ان الشيطان لا يترك جهة من جهات الوسوسة الا ويلقيها في القلب ويروي ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع كونه مستوليا عليه من هذه الجهات الاربع فأوحى الله تعالى اليهم انه بقي للانسان جهتان الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق في الدعاء على سبيل الخضوع أو وضع جبهته على الارض على سبيل الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة (ولا تجدا أكثرهم شاكرين) أى مطيعين وانما قال هذا لانه رأى منهم ان مبدء الشر متعدد ومبدء الخير واحد وذلك انه حصل للنفس قوة واحدة تدعو النفس الى عبادة الله تعالى وطلب السعادات الروحية وهي العقل وتسع عشرة قوة تدعوها الى الذات الجسمية والطبيبات الشهوانية الخمسة منها هي الحواس الظاهرة وخمسة اخرى هي الحواس الباطنة واثنان الشهوة والغضب وسبعة هي القوى الكامنة وهي الجاذبة والماسكة والمهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة اكمل من استيلاء القوة الواحدة فيلزم القطع بأن أكثر الخلق يكون طالعين لهذه الذات البدنية معرضين عن معرفة الحق ومحبة (قال اخرج منها) أى من الجنة ومن صورة الملائكة (مذهوما) أى محقورا (مدحورا) أى مبعدا من كل خير (لمن تبعك منهم) أى ولد آدم (لأما لان جهنم منكم) أى منك ومنهم (أجمعين) ففي اللام ومن في قوله تعالى لمن تبعك وجهان فالأظهر ان اللام لام التوطئة لقسم محذوف ومن شرطية في محل رفع مبتدأ ولأما لان جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده والوجه الثاني ان اللام لام الابتداء ومن موصولة وتبعك صلتهما وهي في محل رفع مبتدأ ولأما لان جواب قسم محذوف ذلك القسم وجوابه في محل رفع خبرا مبتدأ

والتقدير للذي تبعك منهم والله لا ملأ أن جهنم منكم والعائد من الجملة القسمية الواقعة خبرا عن المبتدأ متضمن في قوله منكم لأنه لما اجتمع ضمير غيبة وخطاب غلب الخطاب وروى عنه عن طائفة من تبعل بكسر اللام على أنه خبر لا ملأ والمعنى لمن تبعل هذا الوعيد وهذه الآية تدل على أن جميع أصحاب البدع والضلالات يدخلون جهنم لأن كلهم متابعون لابليس والله أعلم (ويا آدم اسكن) هذه القصة معطوفة على قوله تعالى للملائكة اسجدوا أي وقلنا لآدم يا آدم اسكن أو معطوفة على اخرج أي وقال يا آدم اسكن بعد أن أهبط ابليس وأخرجهم من الجنة (أنت وزوجك الجنة) قال ابن اسحق خلقت حواء قبل دخول آدم الجنة والمعنى أي أدخل فيها قال ابن عباس وغيره خلقت في الجنة بعد دخول آدم فيها لأنه لما أسكن الجنة مشى فيهما مستوحشا فلما نام خلقت من ضلعه الفهرى من شقه اليسر ليأنس بها والمعنى أترن في الجنة (فكلام من حيث شئتما) أي فكلام من ثمار الجنة في أي مكان شئتما الا كل فيه وفي أي وقت شئتما (ولا تقر يا هذه الشجرة فتسكونا من الظالمين) أي فتصير من الضارين لانفسكما (فوسوس لهما الشيطان) أي ففعل ابليس الوسوسة لاجلها (ليبدى لهما ما وروى عنهما من سوءاتهما) أي ليظهر لهما ما ستر عنهما بلباس النور أو يباي الجنة من عورتها فاللام امال للعاقبة لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهم ما وانما كان قصده ان يحملهما على المعصية فقط أولع به فظهر العورة كناية عن زوال الجاه فان غرضه من العاء تلك الوسوسة الى آدم ذهاب منصبه وروى ان ابليس بعدما صار ملعونا مطرودا من الجنة رأى آدم وحواء في طيب عيش ونعمة ورأى نفسه في مذلة ونقمة فحسدهما فهو أول حاسد ثم أراد أن يدخل الجنة ليووسوس لهما فتعنه الخزانة فجلس على باب الجنة ثلاثمائة سنة من سنى الدنيا وهي بقدر ثلاث ساعات من ساعات الآخرة فلقى آدم مرارا كثيرة ورغبه في أكل الشجرة بطرق كثيرة فلجل المداومة على هذا التوهم أثر كلامه في آدم عليه السلام (وقال) أي ابليس لآدم وحواء (ما نهاكم عن هذه الشجرة) أي عن الأكل منهما (الا أن تكونا ملكين) أي الا كراهة ان تكونا ملكين في عدم الشهوة وفي القدرة على الطيران والتشكل وفي قراءة شاذة ملكين بكسر اللام (أو تكونا من الخالدين) أي الذين لا يموتون ولا يخرجون من الجنة أصلا (وقاسمهما) أي حلف لهما (اني لكم الناصحين) في حلفي لكم (فدلاهما بغرور) أي فخدعهما بزخرف من القول الباطل حتى أكل قليلا قصدا الى معرفة طعم ذلك الفهر الغلبة الشهوة لا لكونهما صديقين ابليس (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما) أي فلما تناولا من ثمر تلك الشجرة يسير المعرفة طعمه ظهر لكل منهما قبل نفسه وقبل صاحبه ودبره وزال غنهما ثوبهما وزال النور عنهما (وطفا يخضعان عليهما من ورق الجنة) أي وجعل لا يرتقان على عورتهم من ورق التين للاستحياء (وناداهما ربهما) يا آدم ويا حواء (ألم أنهيكم عن تلك الشجرة) أي عن الأكل من ثمر هذه الشجرة (و) ألم (أقل لكم ان الشيطان لكاعد ومبين) أي ظاهر العداوة حيث أبى السجود كما حكى الله تعالى هذا القول في سورة طه بقوله فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزو جاك الآية وروى انه تعالى قال لآدم ألم يكن فيها كهنتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لا هيطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كذا أهبط وعلم صنعة الحد يد وأمر بالحرث فحرث وسقى بماء ودرس وذرى وعجن وخبز (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) أي ضررناها بما ألغى أمرنا وطاعة عدونا (فكل من أكل الشجرة التي نهيتنا عن الأكل منها وانما استترف آدم بكونه ظالما لأنه ترك الأولى فان

هذا الذنب صدر عنه قبل النبوة بطريق النسيان ولان القصد بذلك القول هضم النفس ونهج الطاعة على
 الوجه الاكل (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) أى من المغبونين بالعقوبة (قال)
 تعالى (اهبطوا) يا آدم وحواء وابليس الى الارض فهبط آدم بسرديب جبيل فى الهند وحواء بجدة
 وابليس بالابلة بضم الحسمة والموحدة وبتشديد اللام جبيل بقرب البصرة (بعضكم لبعض عدو)
 فالعداوة ثابتة بين آدم وابليس وذرية كل منهما (ولكنكم فى الارض مستقرون) أى مكان عيش وقبر
 (ومتاع) أى اتفان (الى حين) أى الى انقضاء آجالكم (قال) تعالى (فيها) أى الارض
 (تحيون) أى تعيشون مدة حياتكم (وفيها تموتون) وتدفنون (ومنها تخرجون) الى المبعث
 للجزاء قرأ حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء وكذلك فى الروم والزخرف والجاثية وقرأ ابن
 عامر هنا وفى الزخرف كذلك وفى الروم والجاثية بضم التاء وفتح الراء والباقيون بضم التاء فى الجميع
 (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا) أى قد خلقنا لكم بأسباب نازلة من السماء
 لباسين من قطن وغيره لباسا يغطى عوراتكم من العرى ولباسا ينسكم فان الزينة غرض صحيح
 وروى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة رجال فى النهار والنساء فى الليل ويقولون لا نطوف بشيأ
 عصين الله تعالى فنزلت هذه الآية تذكريا لبعض النعم لاجل امتثال أمر الله تعالى بالحذر من قبول
 وسوسة الشيطان فى قوله تعالى لا يفتنكم الشيطان والمقصود من ذكر قصص الانبياء حصول العبرة
 لمن يسمعها (ولباس التقوى ذلك خير) وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بنصب لباس عطف على لباسا أى
 وأنزلنا عليكم لباس التقوى وهو الايمان كما قاله قتادة والسدى وابن جريج أو العمل الصالح كما قاله ابن
 عباس أو السمى الحسن كما قاله عثمان بن عفان أو خشية الله كما قاله ابن الزبير أو الحياء كما قاله معبد
 والحسن ذلك أى اللباس الثالث خير لصاحبه من اللباسين الاولين لانه يستتر من فضائح الآخرة وقرأ
 الباقيون ولباس التقوى بالرفع على الابتداء وخبره ذلك خير والمعنى واللباس الناشئ عن التقوى وهو
 اللباس الاول أو هو الملبوسات المعدة لاجل اقامة نحو الصلاة ذلك خير لانه لبس المتواضع (ذلك) أى
 انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على قدرته وعظيم فضله وعظيم رحمته على عباده (لعلهم يذكرون)
 أى فيعرفون عظيم النعمة فى ذلك اللباس (يا بنى آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) أى
 لا يخرجكم الشيطان عن طاعتي بفتنته فتمنعوا من دخول الجنة أخرجكم مثل أخرج أبويكم من الجنة
 بفتنته بأمره لهما بمخالفة أمرى فيمنعنا من سكنى الجنة (ينزع عنهما لباسهما) بغير ورده وكان اللباس
 من ثياب الجنة أو من نور (ليريهما سوآتهما) أى ليرى آدم سوأة حواء وترى هى سوأة آدم (انه)
 أى الشيطان (يراكم هو وقييله) أى أصحابه أو من كان من نسله (من حيث لا ترونهم) اذا
 كانوا على صورهم الاصلية لكن قد يكونون مرئيين فى بعض الاحيان لبعض الناس دون بعض وقال
 مجاهد قال ابليس جعل لنا أربع نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فى (انا جعلنا
 الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) أى اناصرنا الشياطين قرناء للذين لا يؤمنون بحمد والفرآن مسطين
 عليهم (واذا فعلوا) أى العرب (فاحشة) كعبادة الاصنام وكشف العورة فى الطواف (قالوا) جوابا
 للناهى عنهما علين بفعل الفاحشة بأمرين (وجدنا عليها) أى على هذه الاشياء (آباءنا) فاعتقدنا انها
 طاعات واقتدينا بهم فيها (والله أمرنا بها) فان أجدادنا انما كانوا يفعلونها بأمر الله تعالى بها
 (قل) لهم يا أكرم الرسل (ان الله لا يأمر بالفحشاء) فان عادته تعالى جارية على الامر بحسن الاعمال

والحث على نقائص الحصال (أتقولون على الله مالا تعلمون) أى انكم ما سمعتم كلام الله مشافهة
ولا أخذتموه عن الانبياء لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله مالا تعلمون (قل أمر
ربي بالقسط) أى بالتوحيد بلا اله الا الله (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) أى واستقبلوا بوجوهكم
القبلة عند كل صلاة (وادعوه) أى اعبدوا الله بآتيان أعمال الصلاة مخلصين له الدين) أى
الطاعة (كما بدأكم تعودون) أى كما أوجدكم الله بعد العدم بعيدكم بعده احياء يوم القيامة فيجازيكم على
أعمالكم (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) أى ثبت الضلالة عليهم في الازل والجملة
الفعليتان في محل نصب على الحال من فاعل بدأكم وفريقا الثانى منصوب بفعل مقدر موافق في المعنى
مذكور المفسر أى بدأكم حال كونه تعالى هاديا فريقا للايمان ومضلا فريقا ويجوز ان تكون الجملة
الفعليتان في محل نصب على النعت لفريقا وفريقا وهذان على الحال من فاعل تعودون والعائد على
المنعوت محذوف أى فريقا هداهم الله وفريقا حق عليهم الضلالة ويؤيد هذا الاعراب قراءة أبى بن كعب
تعودون فريقين فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله)
فقبلوا مادعوهم اليه ولم يتأملوا في التمييز بين الحق والباطل (ويحسبون) أى يظن أهل الضلالة
(أنهم مهتدون) يدين الله ودلت هذه الآية على ان كل من شرع في باطل فهو مستحق للدم سواء حسب
كونه هدى أو لم يحسب ذلك (يا بنى آدم خذوا زينتكم) أى البسوا ثيابكم التى تستر عوراتكم (عند
كل مسجد) أى عند كل وقت طواف وصلاة (وكلوا) من اللحم والدسم (واشربوا) من اللبن (ولا
تسرفوا) بالتعدى الى الحرام أو بتحريم الحلال أو بالافراط في الطعام (انه لا يحب المسرفين) أى انه
تعالى لا يرتضى فعلهم قال ابن عباس ان أهل الجاهلية من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار
والنساء بالليل وكانوا اذا وصلوا الى مسجد منى طرحو ثيابهم وأتوا المسجد عراة وقالوا لا نطوف في ثياب
أصنافها الذنوب ومنهم من يقول نفعل ذلك تغاؤلا حتى نتعري عن الذنوب كما تعري ناعن الثياب وكانت
المرأة منهم تتخذ سترًا تعلقه على حقوبها تستتر به عن قرين فانهم كانوا لا يفعلون ذلك وكانت بنو عامر
لا يأكلون في أيام حجهم من الطعام الا قوتا ولا يأكلون لحما ولا دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون
يا رسول الله نحن احق ان نفعل ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء الجاهلة
من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة والذين يحرمون على أنفسهم في أيام الحج اللحم والدسم (من حرم زينة
الله) من الثياب (التي أخرج) الزينة (لعباده) من النبات كالقطن والسكان ومن الحيوان كالحرير
والصوف من المعادن كالدرع (ر) من حرم (الطيبات من الرزق) أى المستلذات من الماء كل والمشرب
(قل هي) أى الزينة والطيبات ثابتة (الذين آمنوا) بطريق الاصاله (في الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لانه
يشركهم فيها المشركون (خالصة) لهم (يوم القيامة) أى لا يشاركونهم فيها غيرهم قرأنا فخالصة بالرفع على
انه خبر بعد خبر آخر خبر المبتدأ ومحذوف أى وهي خالصة والباقيون بالنصب حال من الضمير المستكن
في الخبر (كذلك نفصل الآيات) أى مثل هذا التبيين نبين سائر الاحكام (لقوم يعلمون) ان الله واحد
لا شريك له فأحوا وحلاله وحرموا حرامه (قل) للمشركين الذين يتجردون من ثيابهم في الطواف والذين
يحرمون أكل الطيبات (انما حرم من الفواحش) أى الزنا (ما ظهر منها وما بطن) أى جهرها وسرها
(الأنثى) أى شرب الخمر (والمنجى) أى الظلم على الناس (بغير الحق) فالقتل والقهر بالحق فليس
بالحق (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) أى وان تسووا بالله في العبادة معبود ليس على ثبوته

حجة (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) بالاحاد في صفاته والافتراء عليه من التحريم والتحليل فالجنايات
 محصورة في خمسة أنواع أحدها الجنايات على الانساب وهي المردة بالفواحش وثانيها الجنايات على
 العقول وهي المشار اليها بالاثم وثالثها الجنايات على النفوس والاموال والاعراض واليه الاشارة
 بالبغي ورابعها الجنايات على الاديان وهي من وجهين اما الطعن في توحيد الله تعالى واليه الاشارة بقوله
 تعالى وان تشركوا بالله واما القول في دين الله من غير معرفة واليه الاشارة بقوله تعالى وان تقولوا على الله
 ما لا تعلمون وهذه الاشياء الخمسة اصول الجنايات واما غير هافهي كالغروع (ولكل أمة) كذبت
 رسولها (أجل) أي وقت معين لهلاكها (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) أي
 فاذا جاء وقت هلاكهم لا يتركون بعد الاجل طرفة عين ولا يهلكون قبل الاجل طرفة عين فالجزاء
 مجموع الامرين لا كل واحد على حدته والمعنى ان الوقت المحدود لا يتغير (يا بني آدم اما يا تنسكم رسل
 منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي يا بني آدم ان يأتكم
 رسول من جنسكم بني آدم يبين لكم أحكامي وشرائعي فمن اتقى كل منهي واتقى تكذيبه وأصلح عمله
 بأن يأتى كل أمره فلا يخاف في الآخرة من العذاب ولا يحزن على ما فاته في الدنيا أما حزنه على عقاب
 الآخرة فيرتفع بما حصل له من زوال الخوف (والذين كذبوا بآياتنا) التي يجي بها رسولنا
 (واستكبروا عنها) أي امتنعوا من قبولها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يعوتون ولا
 يخرجون اما الفاسق من أهل الصلاة فلا يبق محمدا في النار لانه ليس موصوفا بذلك التكذيب والاستكبار
 (فمن أظلم) أي أعظم ظلما (من افترى على الله كذبا) أي كاثبات الشريك والولد اليه تعالى وازافة
 الاحكام الباطلة اليه تعالى (أو كذب بآياته) كإنكار كون القرآن كتابا نازلا من عند الله تعالى
 وإنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (أولئك ينالهم) في الدنيا (نصيبهم من الكتاب) أي مما كتب
 لهم من الارزاق والاعمار (حتى اذا جاءتهم رسلنا) أي ملك الموت وأعوامه (يتوفونهم) أي حال
 كونهم قابضين أرواحهم (قالوا) لهم (ايها كنتم تدعون من دون الله) أي أين الآلهة التي كنتم
 تعبدهونها في الدنيا ادعوها لتدفع عنكم ما نزل بكم (قالوا ضلوا) أي غابوا (عنا) أي لا ندري
 مكانهم (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) أي وأقر واعند الموت بأنهم كانوا في الدنيا عابدين لما
 لا يستحق العبادة أصلا ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين لانه من طوائف
 مختلفة أوفى أوقات مختلفة (قال) تعالى يوم القيامة (ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن
 والانس في النار) أي ادخلوا في النار فيما بين الامم الكافرة الذين تقدم زمانهم زمانكم من هذين
 النوعين (كلما دخلت أمة) أي أكل دين في النار (لعنت أختها) في الدين وهي التي تلبست بذلك
 الدين قبلها فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين
 والمجوس المجوس (حتى اذا داركوا) أي اجتمعوا (فيها) أي النار (جميعا) وادرك بعضهم
 بعضا واستقر معه (قالت أراهم لأولاهم) أي قال آخر كل أمة لأولها (ربنا هؤلاء) أي الاولون
 (أضلونا) عن دينك باخفاء الدلائل الباطلة (فأتهم عذابا ضعفا من النار) أي عذبهم مثل عذابنا
 مرتين (قال) تعالى لهم (لكل) منهم ومنكم (ضعف) فكل ألم يحصل له يعقبه ألم آخر الى غير
 نهاية فالآلام متزايدة من غير نهاية اما القادة فلكفروهم واصلحهم واما الاتباع فلكفروهم وتقليدوهم
 (ولكن لا تعلمون) قرأ أبو بكر عن حاصم بالغيبة أي ولكن لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر

والباقون بالناء على الخطاب ولكن لا تعلمون أيها السائلون ما السكل فريق منكم من العذاب أو المعنى
 ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك (وقالت أولاهم لا خراهم) مخاطبة لها حين سمعوا جواب
 الله تعالى لهم (فما كان لكم علينا من فضل) في الدنيا أي أنا وإياكم متساوون في الضلال واستحقاق
 العذاب لأنكم كفرتم اختيارا لا أنا حملناكم على الكفر اجبارا فلا يكون عذابنا ضعفا (فذوقوا العذاب
 بما كنتم تكسبون) أي تقولون وتعملون في الدنيا وهذا يحتمل أن يكون من كلام القادة للتابع وان
 يكون من قول الله تعالى للجميع (ان الذين كذبوا بآياتنا) أي بالدلائل الدالة على أصول الدين
 (واستكبروا عنها) أي ترفعوا عن الإيمان بها (لا تفتح لهم أبواب السماء) أي لا تفتح لأعمالهم ولا
 لدعائهم ولا لشيء مما يريدون به طاعة الله ولا روادهم (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) أي
 كما يستحيل دخول الذئب من الأبل في خرق الأبرة يستحيل دخول الكفار الجنة ويقال حتى يدخل القلس
 الغليظ وهو الحبل الذي تشد به السفينة في خرق الأبرة وكل ثقب ضيق فهو سم (وكذلك تجزي المجرمين)
 أي وتجزي المشركين جزاء مثل جزاء المكذبين المستكبرين من عدم فتح أبواب السماء وعدم دخولهم
 الجنة وانما يدخلون النار بهذه الصفات (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) أي الذين كذبوا
 واستكبروا ومن جهنم فراش من تحتهم ومن فوقهم أغطية وهذه الآية أخبار عن احاطة النار بهم من كل
 جانب فلم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف (تنبيه) تنوين غواش عوض من الياء المحذوفة على
 الصحيح فان الاعلال بالحذف مقدم على منع الصرف فاصلة غواش بتنوين الصرف فاستثقلت الضمة على
 الياء محذفت فاجتمع ساكن الياء والتنوين محذفت الياء ثم لوحظ كونه على صيغة مفاعل في الاصل
 محذوف تنوين الصرف خفيف من رجوع الياء فيحصل الثقل فأتى بالتنوين عوضا عن غواش المنون
 ممنوع من الصرف لان تنوينه تنوين عوض كما علمت وتنوين الصرف قد حذف وانما كان الراجح تقديم
 الاعلال لان سببه ظاهر وهو الثقل وسبب منع الصرف خفي وهو شبهة الفعل (وكذلك تجزي الظالمين)
 أي كجزاء المذكور للمكذبين المستكبرين تجزي الكافرين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات
 تكافؤ نفسا الاوسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أي والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا
 بما جاءهم به من شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا تكلف نفسا
 الا ما يسهل عليها من الاعمال وما يدخل في قدرتها ولا يضيق فيه عليها وقوله تعالى لا تكلم نفسا الاوسعها
 اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها
 خالدون وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لانه من جنس ما قبله فانه بيان ان ذلك العمل
 غير خارج عن قدرتهم وتمييزه على ان الجنة مع عظم قدرها يتوصل اليها بالعمل السهل من غير تحمل
 الصعب (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي صفينا طباعهم من الاحقاد التي كانت لبعضهم على
 بعض في دار الدنيا ودرجات أهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقصان فآله تعالى أزال الحسد عن قلوبهم
 حتى ان صاحب الدرجة النازلة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة (تجزي من تحتهم الانهار) أي تجزي
 في الآخرة من تحت سرورهم أنهار الخمر والماء والعسل واللبن زيادة في لذتهم وسرورهم (وقالوا) اذا
 بلغوا الى منازلهم أو الى عين الحيوان (الحمد لله الذي هدانا لهذا) أي للعمل الذي ثوابه هذا المنزل
 وهذه العين التي تجزي من تحتنا (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) أي لولا هداية الله لنا وجوده
 ما هتدينا الى الإيمان والعمل الصالح قرأ ابن عامر ما كنا بغيره واو كافي مصاحف أهل الشام وذلك لانه

جار مجرى التفسير لقوله هذان هما عين الآخر وجب حذف الحرف العاطف (لقد
 جاءت رسلنا بالحق) هذا اقسام من أهل الجنة قالوا ذلك حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا تبجيها
 بما نالوه أى والله لقد جاءت رسل ربنا فى الدنيا بالحق أى ما أخبرونا به فى الدنيا من الثواب صدق فقد حصل
 لنا عيانا (ونودوا) أى نادتهم الملائكة عند رؤيتهم الجنة من مكان بعيد (أن تلك الجنة التى وعدتكم الرسل بها فى الدنيا فان مفسرة لما فى النداء وكذا فى سائر المواضع الخمسة) أو رثمتوها
 بما كنتم تعملون) أى أعطيتكموها بسبب أعمالكم الصالحة فى الدنيا فالجنة ومنزلها لا تنال الا برحمة
 الله تعالى فاذا دخلوها بأعمالهم فقد ورثوها برحمته ودخلوها برحمته إذا عملهم رحمة منه لهم وتفضل منه
 عليهم (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) تبجيها بحالهم وتنديعيا لأصحاب النار وذلك بعد استقرارهم
 فى محالهم (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا) على السنة رسله من الثواب على الايمان به وبرسله وعلى
 طاعته (حقا فهل وجدتم) يا أهل النار (ما وعد ربكم) من العذاب على الكفر (حقا قالوا) أى
 أهل النار مجيبين لأهل الجنة (نعم) قرأ الكسافى نعم بكسر العين فى كل القرآن (فأذن مؤذن)
 قيل هو اسرافيل وقيل جبريل (بينهم) أى نادى مناد أسمع الفريدين (أن لعنة الله على الظالمين
 الذين يصدون عن سبيل الله) أى يمنعون الناس من قبول الدين الحق نارة بازجر والقهر وأخرى بسائر
 الخيل قرأ نافع وأبو عمرو وطاسم أن لعنة بتخفيف الراء ورفع لعنة والباقون بالتشديد وبالنصب
 (ويمنعونها عوجا) أى يطلبون السبيل معوجة بالقاء الشكوك فى دلائل الدين الحق (وهم بالآخرة)
 أى بالبعث بعد الموت (كافرون) أى جاحدون (وبينهما) أى بين الجنة والنار وبين أهلها
 (حجاب) أى سور (وعلى الاعراف) أى على ذلك السور المضروب بين الجنة والنار (رجال) قيل
 هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وقيل هم قوم قتلوا فى سبيل الله وهم عصاة لا بائسهم وقيل هم قوم كان
 فيهم عجب وقيل هم قوم كان عليهم دين فهذه الاقوال تدل على أن أصحاب الاعراف اقوام يكونون فى الدرجة
 النازلة من أهل الثواب وقيل انهم الاشراف من أهل الثواب قيل انهم الانبياء وانما أجلسهم الله على
 ذلك المكان العالى تمييزا لهم على سائر أهل القيامة وقيل انهم الشهداء وهم شهداء الله على أهل الايمان
 والطاعة وعلى أهل الكفر والمعصية فهم يعرفون أن أهل الثواب وصلوا الى الدرجات وأهل العقاب وصلوا
 الى الدرجات كما قال تعالى (يعرفون كلا) من أهل الجنة وأهل النار زيادة على معرفتهم يكونهم فى
 الجنة وكونهم فى النار (بسيماهم) أى بعلامتهم التى أعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده وقيل
 ان أصحاب الاعراف كانوا يعرفون المؤمنين فى الدنيا بظهور علامات الايمان والطاعات عليهم ويعرفون
 الكافرين فى الدنيا أيضا بظهور علامات الكفر والفسق عليهم فاذا شاهدوا أولئك الاقوام فى محفل
 القيامة ميزوا البعض عن البعض بتلك العلامات التى شاهدوها عليهم فى الدنيا (ونادوا) أى رجال
 الاعراف (أصحاب الجنة) أى حين رأوهم (أن سلام عليكم) يا أهل الجنة وهذا بطريق التحيمة
 والدعاء أو بطريق الاخبار بنجاتهم من المسكاره (لم يدخلوها) حال من فاعل نادوا (وهم يطمعون)
 حال من فاعل يدخلوها أى لم يدخل رجال الاعراف الجنة وهم فى وقت عدم الدخول طامعون وقيل قومه لم
 يدخلوها مستأثف لانه جواب سؤال سائل عن رجال الاعراف فقال ما صنع بهم فقيل لم يدخلوها ولكنهم
 يطمعون فى دخولها وقال مجاهد أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون
 لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة وليرى غيرهم شرفهم وفضلهم والمراد من هذا الطمع طمع يقين أى

وهم يعلمون انهم سيدخلوا الجنة (واذا صرفت أبصارهم) أى رجال الاعراف بغير قصد (تلقاهم أصحاب النار) أى الى جهنم (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) أى كلما وقعت أبصار أصحاب الاعراف على أهل النار تضرعوا الى الله تعالى فى أن لا يجعلهم من زمرة منهم والمقصود من جميع هذه الآيات التخويف عن التقليد الردى (ونادى أصحاب الاعراف رجالا) كانوا عظماء فى الدنيا من أهل النار (يعرفونهم بسيماهم قالوا) أى أصحاب الاعراف لهم وهم فى النار يا وليد بن المغيرة ويا أباجهل بن هشام ويا أمية بن خلف ويا ابن خلف الجمعي ويا أسود بن عبد المطلب ويا سائر الرؤساء (ما أغنى عنكم جمعكم) أى أى شئ دفع عنكم جمعكم فى الدنيا من المال والخدم والاتباع (وما كنتم تستكبرون) عن قبول الحق وعلى الناس المحقين وقرئ تستكبرون أى من الاموال والجنود ثم زادوا على هذا التكبى بقولهم (أهولاء) الضعفاء الذين عذبهم فى الدنيا كصهيب وبلال وسلمان وخباب وعمار وأشباهم (الذين أقسمتم) أى حلفتم فى الدنيا بامعشر الكفار (لا ينالهم الله برحمة) أى لا يدخلهم الله الجنة وقد دخلوا الجنة على رغم أنوفكم وقد قيل للذين أقسمتم على عدم دخولهم الجنة (ادخلوا الجنة) بفضل الله فهذا من بقية كلام أصحاب الاعراف فهو خبر ثان عن اسم الإشارة أى أهولاء قد قيل لهم ادخلوا الجنة فظهر كذبكم فى أقسامكم ويدل على ذلك قراءة ثان شاذتان ادخلوا بالبناء للمفعول ودخلوا وعلى هاتين القراءتين تقع هذه الجملة خبرا والتقدير دخلوا الجنة مقولا فى حقهم (لا خوف عليكم) من العذاب (ولا أنتم تحزنون) وقيل ان أصحاب الاعراف لما قالوا لاهل النار ما قالوا قال لهم أهل النار ان دخل هؤلاء فأنتم لم تدخلوا الجنة فلما عيرهم بذلك قيل لاهل الاعراف ادخلوا الجنة وقيل يقال لأصحاب الاعراف ادخلوا الجنة الخ بعد أن حبسوا وشاهدوا أحوال الفريقين وقالوا لهم ما قالوا وعلى هذا فالمراد بأصحاب الاعراف المقصرون فى العمل (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا) أى ألقوا علينا من الماء أو عمار رزقكم الله) من ثمار الجنة وهذا الكلام يدل على حصول العطش الشديد والجوع الشديد لهم وعن أبى الدرداء ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يزاد عذابهم فيستغيثون فيغيثون بضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ثم يستغيثون فيغيثون بطعام ذى غصة ثم يذكرون الشراب ويستغيثون فيدفع اليهم الحميم والصديد فيقطع ما فى بطونهم ويستغيثون الى أهل الجنة كما فى هذه الآية ويقولون لما لك ليقتض علينا بك فيجيئهم بعد ألف عام ويقولون ربنا أخرجنا منها فيجيئهم بقوله تعالى اخسوا فيها ولا تكلمون فعند ذلك يبأسون من كل خير ويأخذون فى الزفير والشهيق (قالوا) أى أهل الجنة (ان الله حرمهم على الكافرين) أى منعهم من طعام الجنة وشرابها قال ابن عباس رضى الله عنهما لما صار أصحاب الاعراف الى الجنة طمع أهل النار بالفرج بعد اليأس فقالوا يا رب ان لنا قرايات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون الى قراياتهم فى الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر أهل الجنة الى قراياتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فتنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم فينادى الرجل أياه وأخاه فيقول يا أبى ويا أخى قد احترقت بشدة حرجهم أفض على من الماء فيقال لهم أجيئوهم فيقولون ان الله حرمهم على الكافرين (الذين اتخذوا دينهم هوا) أى باطلا (ولعبا) أى فرحا فالله صرف لهم الى ما لا يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به (وغرثهم الحياة الدنيا) أى شغلهم بالطمع فى طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه ونيل الشهوات (فالיום) أى

يوم القيامة (ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) أي نتركهم في عذابهم تركاً مثل تركهم العمل للقاء يومهم هذا أو المعنى نعاملهم معاملة من نسي فنتركهم في النار لأنهم أعرضوا بآياتنا والمراد من هذا النسيان أنه تعالى لا يجب دعاءهم ولا يرحمهم (وما كانوا بآياتنا يجحدون) أي ولو كانوا من منكرين بآياتنا أنهم من عندنا وذلك يدل على أن حب الدنيا مبدأ كل آفة وقد يؤدي إلى الضلال والكفر (ولقد جئناهم) أي هؤلاء الكفار (بكتاب) أي بقرآن أنزلناه عليك يا أكرم الرسل (فصلناه على علم) أي ميزناه مشتملاً على علم كثير وفصل كثير مختلف وقد نظم بعضهم الأنواع التسعة في قوله حلال حرام محكم متشابه * بشير نذير قصة عظيمة مثل

وقرأ الجحدرى وابن محيص بالاضداد المهمة أي فصلناه على غيره من الكتب السماوية عالمة بفضله (هدى ورحمة) أي هادياً من الضلالة إلى الرشاد ودارحة (لقوم يؤمنون) به (هل ينظرون إلا تأويله) أي ما ينتظر أهل مكة إذ لا يؤمنون إلا عاقبة ما وعدوا به في القرآن من حلول العذاب بهم يوم القيامة (يوم يأتي تأويله) أي يوم يأتي عاقبة ما وعد لهم في القرآن وهو يوم القيامة (يقول الذين نسوه) أي أعرضوا عنه (من قبل) أي من قبل إتيان ما يؤول إليه أمره وهو صدقه بما أخبر به والمعنى أن هؤلاء الذين تركوا الإيمان بالقرآن في الدنيا يقولون يوم القيامة (قد جاءت رسل ربنا بالحق) وكذبناهم أي أنهم أقرروا يوم القيامة بأن ما جاءت به الرسل من ثبوت البعث والنشور والحشر والقيامة والثواب والعقاب كل ذلك كان حقاً (فهل لنا من شفاعة فيشفعوا لنا) من العذاب اليوم (أو نرد) إلى الدنيا (فنعمل غير الذي كنا نعمل) أي لما رأوا أنفسهم في العذاب قالوا لا طريق لنا إلى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الشديد إلا أحد هذين الأمرين وهو أن يشفع لنا شفيع فلاجل تلك الشفاعة يزول هذا العذاب أو أن يردنا الله تعالى إلى الدنيا حتى نوحده الله تعالى بدلائل الكفر ونطيعه بدلائل المعصية وقرئ شاذاً بنصب نرداً ما عطف على يشفعوا والمسؤول أن يكون لهم شفاعة لأحد من الأمرين إما الدفع العذاب أو الرد إلى الدنيا وإما بناء على أن أو بمعنى إلى أي فالمطلوب أن يكون لهم شفاعة للرد إلى الدنيا فقط وقرئ شاذة برفع فنعمل أي فنحن نعمل في الدنيا غير ما كنا نعمل فيها (قد خسروا أنفسهم) بذهاب الجنة ولزوم النار (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي وذهب عنهم دعوى نفع الشريك فانهم كانوا يدعون أن الأصنام التي كانوا يعبدونها شركاء الله تعالى وشفعواؤهم عنده يوم القيامة (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) والمقصود من هذا الكلام أنه تعالى وإن كان قادراً على إيجاد جميع الأشياء دفعة واحدة لكنه جعل لكل شيء حداً محدوداً ووقتماً مقدراً فلا يدخله في الوجود إلا على ذلك الوجه فهو تعالى وإن كان قادراً على إيصال الثواب إلى المطيعين في الحال وعلى إيصال العقاب إلى المذنبين في الحال إلا أنه يؤخرهما إلى أجل معلوم مقدّر فهذا التأخير ليس لأجل أنه تعالى أهمل العباد بل لأنه تعالى خص كل شيء بوقت معين لسابق مشيئته وهذا معنى قول المفسرين من أنه تعالى إنما خلق العالم في ستة أيام ليعلم عباده الرفق في الأمور والصبر فيها ولاجل أن لا يحمل المكلف تأخر الثواب والعقاب على ترك العمل (ثم استوى على العرش) أي حصل له تعالى تدبير الخلق لوقات على ما أراد أي بعد أن خلق السموات والأرض استوى على عرش الملك والجلال وصح أن يقال أنه تعالى إنما استوى على ملكه بعد خلق السموات والأرض يعني أنه إنما ظهر تصرفه في هذه الأشياء وتدبيره لها بعد خلق السموات والأرض وذلك لأن العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك

يقال تل عرش السلطان أى انتقض ملكه وفسدواذا استقام له ملكه واطرد أمره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه هذا ما قاله القفال ونظير هذا قولهم للرجل الطويل فلان طويل النجاد وللرجل الذى يكثر الضيافة فلان كثير الرماد وللرجل الشيخ فلان اشتعل رأسه شيئا وليس المراد فى شئ من هذه الالفاظ اذها على ظواهرها وانما المراد منها تعريض المقصود على سبيل السكينة فكذلك هنا فالمراد بذكر الاستقرار على العرش هو نفاذ القدرة وجرى ان المشيئة والواجب علينا ان نقطع بكونه تعالى منزها عن المكان والجهة ولا نخوض فى تأويل هذه الآية على التفصيل بل نقوض علمها الى الله تعالى (يغشى الليل النهار) أى يأتى بالليل على النهار فيغشيه واللفظ يحتمل العكس أيضا وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وطاهم فى رواية حفص يغشى بتخفيف الشين وهكذا فى الرعد وقرأ حمزة والكسائي وطاهم بـ واية أبى بكر بالتشديد وكذا فى الرعد وقرأ حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح ياء يغشى ونصب الليل ورفع النهار أى يدرك النهار الليل (يطلبه حثينا) أى يطلب كل من الليل والنهار الآخر طلبا سريريا فأخبر الله تعالى بما فى تعاقب الليل والنهار من المنافع العظيمة والفوائد الجليلة فان بتعاقبهما يتم أمر الحياة وتكمل المنفعة والمصلحة (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أى مذللات لطلوع وغروب ومسيرة ورجوع بأذنه وقرأ ابن عامر برفع الاربعة على الابتداء والخبر والباقيون بنصب الثلاثة عطفًا على السموات ونصب مسخرات على الحال من هذه الثلاثة (ألا اله الخلق) أى المخلوقات (والأمر) أى التصرف فى الكائنات وفى هذه الآية رد على من يقول من أهل الضلال ان للشمس والقمر والكواكب تأثيرات فى هذا العالم (تبارك الله رب العالمين) أى أكثر خير الله مالا العالمين وتعالى بالوحدانية فى الألوهية (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) أى متذللين ومسرين والتضرع اظهار ذل النفس قال الشيخ محمد بن عيسى الحكيم الترمذى ان كان خائفا على نفسه من الرباء فالأولى اخفاء العمل صونا لعمله عن البطلان وان كان قد بلغ فى الصفا وقوة اليقين الى حيث صار آمنا عن شائبة الرباء كان الأولى فى حقه الاظهار لتحصل فائدة الاقتداء به (انه لا يجب المعتدين) أى المجاوزين بترك هذين الأمرين التضرع والاختفاء أى انه تعالى لا يشبهه البتة ولا يحسن اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يجب المعتدين (ولا تفسدوا فى الأرض) أى كفساد النفوس بالقتل وقطع الاعضاء وفساد الاموال بنحو الغصب وفساد الاديان بالكفر والبدعة وفساد الانساب بسبب الاقدام على نحو الزنا وبسبب القذف وفساد العقول بنحو تناول المسكرات (بعد اصلاحها) بسبب ارسال الانبياء وانزال الكتب وقيل بعد اصلاح الله تعالى اياها بالمطر والخصب فان الله تعالى يمسك المطر ويهلك الحرث بعاصيكم (وادعوه خوفا وطمعا) أى ذوى خوف نظر الى قصور أعمالكم وعدم استحقاقكم مطلوبكم وذوى طمع نظر الى سعة رحمتهم وفور فضله واحسانه وهذه الآية بيان فائدة الدعاء ومنفعته ففائدة الدعاء أحد هذين الأمرين أما الآية الأولى فهى بيان شرط صحة الدعاء وهى لا بد ان يكون الدعاء مقرونا بالتضرع وبالاخفاء والداعى لا يكون داعيا الا اذا كان خائفا من وقوع التقصير فى بعض الشرائط المعتبرة فى قبول ذلك الدعاء وطامعا فى حصول تلك الشرائط بأسرها ومعنى قوله تعالى خوفا وطمعا أى حال كونكم جامعين فى نفوسكم بين الخوف والرجاء فى كل أعمالكم فلا تقطعوا انكم أديتم حق ربكم وان اجتهدتم (ان رحمة الله قريب من المحسنين) بالقول والفعل ومن

الاحسان ان يكون الدعاء مقرونا بالخوف والطمع وكل من حصل له الاقرار والمعركة كان من المحسنين
 كالصبي اذا بلغ وقت الضحوة وآمن بالله ورسوله واليوم الآخر ومات قبل الوصول الى الظهور وكصاحب
 الكبيرة من أهل الصلاة (وهو الذي يرسل الريح بشرايين يدي رحمته) أي قدام المطر قرأ ابن كثير
 وحزرة والكسائي الريح على لفظ الواحد والباقون الريح على الجمع قرأ عاصم بشرا بضم الباء الموحدة
 وسكون الشين جمع بشير أي مبشرات وقرئ بفتح الباء بمعنى باشرات وقرأ حمزة والكسائي نشر بالنون
 المفتوحة وبسكون الشين بمعنى ناشرة للسحاب أو بمعنى منشورة فكان الريح كانت مطوية فأرسلها الله
 منشورة بعد انطوائها وهي كناية عن اتساعها وقرأ ابن طامر بضم النون واسكان الشين وقرأ الباقر بضم
 النون والشين جمع نشور مثل رسل ورسول أي مفرقة من كل جانب أو طيبة ليننة تنشر السحاب والريح
 هواء متحرك ينة ويسرقة وهي أربعة الصبا وهي الشرقية فتحرك السحاب والدبور وهي الغربية تفرقه
 والشمال التي تهب من تحت القطب الشمالي تجتمعها والجنوب وهي التي تكثر ارسال المطر وعن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور والجنوب من ريح الجنة (حتى اذا أقلت
 سحابا تقالا) أي حتى اذا رفعت هذه الريح سحابا ثقيلا بالماء (سقناه) أي السحاب (البلد ميت)
 أي الى مكان لا نبات فيه لعدم الماء (فأنزلناه) أي في ذلك البلد (الماء فأخرجناه) أي بذلك الماء
 أو في ذلك البلد (من كل الثمرات) فالله تعالى انما يخلق الثمرات بواسطة الماء وقال أكثر المتكلمين
 ان الثمار غير متولدة من الماء بل الله تعالى اخرج عادته بخلق النبات ابتداء عقب اختلاط الماء بالتراب
 (كذلك يخرج الموق) أي كما يخلق الله النبات بواسطة المطر فكذلك يحيي الله الموق بواسطة مطر ينزله
 على تلك الاجسام الرمية وروى انه تعالى يطر على اجساد الموق فيما بين النفثتين مطرا كالمني أربعين
 يوما وانهم يصرون عند ذلك أحياء وقيل المعنى انه تعالى كما أحيى هذا البلد بعد خرابه فأثبت فيه الشجر
 وجعل فيه الثمر فكذلك يحيي الموق ويخرجهم من الاجداث بعد ان كانوا أمواتا والمقصود من هذا
 الكلام اقامة الدلالة على ان البعث والقيامة حق (لعلكم تذكرون) أي لكي تعتبروا أيها المنكرون
 للبعث وتذكروا ان القادر على احياء هذه الارض بالاشجار المزينة بالازهار والثمار بعد موتها قادر
 على ان يحيي الاجساد بعد موتها (والبلد الطيب) أي المكان الذي ليس بسجنة (يخرج نباته باذن
 ربه) أي بإرادة ربه وتيسيره كذلك المؤمن يؤدي ما أمر الله طوعا وبطيبة النفس (والذي خبت) أي
 المكان السجنة (لا يخرج) أي نباته (الانكدار) أي يتعب وكذلك المنافق لا يؤدي ما أمر الله
 الا كرها بغير طيبة النفس وقيل المراد ان الارض السجنة يقل نفعها ومع ذلك ان صاحبها لا يتركها بل
 يتعب نفسه في اصلاحها طمعانه في تحصيل ما يليق به من المنفعة فالطلب للنفع العظيم في الدار الآخرة
 بالمسقة في أداء الطاعات أولى من طلب هذا النفع اليسير بالمسقة العظيمة (كذلك) أي مثل ذلك
 التصريف (نصرف الآيات) أي نكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله تعالى في تفكيرهم فيها (لقد
 ارسلنا نوحا الى قومه) واسم نوح عبد الغفار وهو ابن لمكان متوشلح بن أخنوخ وسمى نوحا ما لدعوته
 على قومه بالهلاك أولا رجعت ربه في شأن ولده كنعان أولا انه مريبك مجذوم فقال له اخسايا قبيح فأوحى
 الله اليه اعبتني أم عبث الكاب فكثرت نوحه على نفسه لذلك (فقال يا قوم اعبدوا الله) أي اعبدوه وحده
 (ما لكم من اله) أي من مستحق للعبادة (غيره) قرأ الكسائي بالجر على انه نعت لاله باعتبار لفظه
 والباقون بالرفع صفة له باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء أو الفاعلية وقرئ بالنصب على الاستثناء

بمعنى مالكم من اله الاياه (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أى انى أعلم ان العذاب ينزل بكم اما فى
 الدنيا أو فى الآخرة ان لم يقبلوا ذلك الدين (قال الملا من قومه) أى قال الكبراء الذين جعلوا أنفسهم
 أعداء الانبياء (النزال) يانوح (فى ضلال مبين) فى المسائل الاربع وهى التكليف والتوحيد
 والنبوة والمعاد (قال يا قوم ليس بى ضلالة) أى ليس بى نوع من أنواع الضلالة البتة (ولكنى رسول
 اليكم) من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي (قرأ أبو عمرو وبسكون الباء) (وأصح لکم) فتبليغ
 الرسالة هو ان يعرفهم أنواع تكاليف الله وأقسام أوامره ونواهيه والنصيحة هى ان يرغبهم فى الطاعات
 ويحذرهم عن المعاصى بأبلغ الوجوه (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى انكم ان عصيتم أمره عاقبكم فى
 الدنيا بالطوفان وفى الآخرة بعقاب شديد خارج عما تتصوره عقولهم (أو عجبت ان جاءكم كذ من ربكم
 على رجل منكم) أى أأستبعدتم وعجبت من ان جاءكم كذ من مالكم أموركم على لسان رجل من
 جنسكم أى فانهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة
 (لينذركم) أى لاجل ان يخوفكم عاقبة الكفر والمعاصى (ولتتقوا) عبادة غير الله (ولعلكم
 ترحمون) أى ولكي ترحموا فلا تعذبوا وهذا الترتيب فى غاية الحسن فان المقصود من البعثة الانذار
 والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا ينبغى والمقصود من التقوى الفوز بالرحمة فى دار الآخرة (فكذبوه)
 أى نوحا فى ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف من الله وأصروا على ذلك التكذيب تلك المدة المتطاولة
 (فانجيناهم والذين معه فى الفلك) من الغرق والعذاب وكان من محبوه فى الفلك أربعين رجلا وأربعين
 امرأتهم نوحا عليه السلام صنع السفينة بنفسه فى عامين وكان طولها ثلاث مائة ذراع وعرضها
 خمسين وسماها ثلاثين وجعل لها ثلاث بطون فحمل فى أسفلها الدواب والوحوش وفى وسطها الانس وفى
 أعلاها الطير وركبها فى عاشر رجب ونزل منها فى عاشر المحرم (وأغرقوا الذين كذبوا بآياتنا) أى برسولنا
 نوح بالطوفان (انهم كانوا قواة اعمىين) عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد (والى عاد اناهم)
 أى وأرسلنا الى عاد الاولى واحدا منهم فى النسب لافى الدين (هودا) أما عاد الثانية وهم غودف قوم صالح
 وبينهم مائة سنة (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره أفلا تتقون) أى أتغفلون
 فلا تتقون عذاب الله تعالى فانكم تعرفون ان قوم نوح لما يتقوا الله ولم يطيعوه نزل بهم ذلك العذاب
 الذى اشتهر خبره فى الدنيا (قال الملا) أى الرؤساء (الذين كفروا من قومه) وانما قال هنا الذين
 كفروا من قومه لان الملا من قوم هود كان فيهم من آمن ومن كفر فمن آمن منهم مرثدين أسعد أسلم وكان
 يكتم ايمانه بخلاف الملا من قوم نوح فكلمهم أجمعوا على ذلك الجواب فلم يكن أحدا منهم مؤمنا فى أول
 دعائهم الى الايمان (النزال فى سفاهة) أى انا نتيقنك يا هود متمكنا فى خفة عقل حيث فارقت دين
 آباءك فان هود انما هم عن عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل (وانا لنظنك من
 الكاذبين) فى ادعاء الرسالة (قال يا قوم ليس بى سفاهة) أى ليس بى شئ مما تنسبونى اليه (ولكنى
 رسول من رب العالمين) أى فانه فى غاية من الرشد والصدق (أبلغكم رسالات ربي) بالامر والنهي
 (وانا لكم ناصح) أى أحذركم من عذاب الله وادعواكم الى الايمان والتوبة (أمين) أى موقوف على
 رسالة ربي وهذا رد لقولهم وانا لنظنك من الكاذبين فكان هودا قال لهم كنت قبل هذه الدعوى أمينا
 فيكم ما وجدتم منى غدرا ولا مكررا ولا كذبا واعترفتم لى بكوفى أمينا فكيف تستبقونى الآن الى الكذب
 (أو عجبت ان جاءكم كذ من ربكم) أى أأستبعدتم وعجبت من ان جاءكم نبوة (من ربكم على رجل منكم) أى

على لسان آدمي مثلكم (لينذرکم) أي لينذرکم عاقبة ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي (واذكروا
 اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) بأن أورتكم أرضهم وديارهم وأموالهم وما يتصل بهامن المنافع
 والمصالح أو جعلكم ملوكا في الأرض فان شدا بن عاد عن ملك معمورة الأرض من رمل عاجل الى شجر
 عمان (وزادكم في الخلق) أي في الناس (بسطة) وهي مقدار ما تبلغه يد الانسان ففضلا وعلى أهل
 زمانهم بهذا القدر أو المراد انهم متشاركون في القوة والشدة ولان بعضهم يكون ناصر للبعض الآخر وزال
 العداوة والخصومة من بينهم فلما خصهم الله تعالى بهذه الأنواع فصع ان يقال انهم زادوا في الخلق بسطة
 قرأ نافع والبرقي وشعبة والكسائي بالصاد وأبو عمرو وهشام وقتيل وحفص وخلف بالسين وابن ذكوان
 وخلا ديهما (فأذكروا آلاء الله) أي نعماء الله عليكم وأعمالوا عملها ليليق بتلك الانعامات (لعلكم
 تفهون) أي لكي تفهموا من الكروب وتفوزوا بالمطالوب (قالوا) مجيبين عن تلك النصائح العظيمة
 (أجبتنا) يهود (لنعبد الله وحده) أي لنخصه بالعبادة (ونذر) أي نترك (ما كان يعبد آباؤنا)
 من الأصنام (فأتناجياتعدنا) أي بما تهددنا من العذاب بقولك أفلاتتقون (ان كنت من الصادقين)
 في أخبارك ينزل العذاب وغرضهم بذلك القول اذ الميأتهم هو بذلك العذاب ظهر للقوم كونه كاذبا
 (قال) أي هو (قد وقع عليكم من ربكم رجس) أي رين على قلوبكم عقوبة منه لكم بالخذلان لالفكم
 الكفر (وغضب) أي عذاب (أتجادلونني في أسماء) عارية عن المسمى (هيتقوها) أي سميت بها
 (أنتم وآباؤكم) أصناما فانهم سمو الأصنام بالالهة مع ان معنى الالهية فيها معدوم (مازل الله بها)
 أي بعبادتها (من سلطان) أي برهان لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وان الأصنام
 لو استحققت العبادة كان استحقاقها يجعله تعالى اما بانزال آية أو نصب دليل وقوله تعالى ما نزل الله بها
 من سلطان عبارة عن خلوص ذاهبهم عن الحجية والبينة (فانتظروا) ما يحصل لكم من عبادة هذه الأصنام
 وهو ما تطلبونه بقولكم فأتناجياتعدنا (اني معكم من المنتظرين) لما يحصل بكم (فأتناجيناها) أي هوذا
 (والذين معه) في الدين (برحمة) عظيمة (منا) أي من جهةنا (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا)
 أي استأصلنا الذين كذبوا برسولنا هوذا (وما كانوا مؤمنين) أي ما أبقينا أحدا من الذين لا يؤمنون
 فلو علم الله انهم سيؤمنون لابقاهم وقصتهم ان عاد أقوم كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد
 ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم أصنام ثلاثة يعبدونها سموا أحدها هودا والآخر هباء
 فبعث الله تعالى اليهم هودا وكان من أفضلهم حسبا فكذبوه فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى
 جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلا طلبوا من الله الفرج عند البيت الحرام وأهل مكة اذ ذال العماليق
 أولاد عمليق بن لاو ذبن سام بن نوح عليه السلام وسيدهم معار ية بن بكر فلما توجهوا الى البيت الحرام
 وهم سبعون رجلا من أمان لهم منهم قيل بن عذرومر ثدبن سعد نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهرة مكة
 خارجا عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
 قيتنا معاوية اسم احدهما ورده والاخرى جرادة فلما رأى معاوية ذهولهم باللهو عما قدموا له أحرته ذلك وقال
 قد هلك أخوالي وأصهارى واستحي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك لاقينتين
 فقالتا قل شعرا تغنيهم به لا يدرون من قاله وهو قول هؤلاء الثلاثة

ألا يا قيسل ويحك قم فبهينم * لعل الله يسفيننا غمما
 فيسقى أرض عادان عادا * قد أمسوا لا يبينون الكلاما

من العطش الشديد فليس ترجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما

ومعنى فهمهم أى أخف الدعاء والغمام هنا المطر فلما غنتابه زعجهم ذلك وقالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا القومكم فقال لهم مرتدين سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقاكم وأظهروا سلامه فقالوا المعايير احبس عنا مرتدا لا يقدم معنا كفة فانه قد اتبع دين هو ووترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى محاببات ثلاث بيضاء وحرارة وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيسل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم بسهى وادى المغيث فاستبشر وابها وقالوا هذا عارض عطرنا لجانهم منهار يبع عقيم وهي باردة ذات صوت شديد لا مطر فيها وكانت ابتداء محيها في صبيحة الاربعاء في الحادى والعشرين من شوال في آخر الشتاء و حضرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا وروى عن على رضى الله عنه أن قبر هود بحضر موت في كتيب أحر (والى ثمود أخاهم) أى وأرسلنا الى ثمود أخاهم فى النسب لا فى الدين (صالحا) و ثمود قبيلة أخرى من العرب سموها باسم أبيهم الاكبر وهو ثمود بن غابر بن ارم بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى واد القرى (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالككم من اله غيره قد جاءكم بينة) أى شاهدة بنبوتى وهى الناقة (من ربكم) خلقها بلا واسطة (هذه ناقة الله لكم آية) أى علامة على رسالة الله وازافة الناقة الى الله لتعظيمها وتخصيصها كما يقال بيت الله أو لانها مالك لها غير الله أو لانها حجة الله على القوم ووجه كونها آية لخروجها من الجبل لا من ذكر وأنثى ولكمال خلقتهما من غير تدريج وناقة الله عطف بيان لهذه أو مبتدأ ثان ولكم خبر عامل فى آية فى نصيبها على الحال ويجوز أن يكون عامل الحال معنى التنبيه أو معنى الإشارة وجملة قوله هذه ناقة الله لكم آية فى محل رفع بدل من قوله بينة لانها مفسرة وجازا بدال جملة من مفرد لانها فى معناه (فذروها) أى فازكوها (تأكل فى أرض الله) فى الحجر أى الناقة ناقة الله والارض أرض الله فآثر كوها تأكل فى أرض ربها مائتا كل فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من أنباتكم (ولا تمسوها بسوء) أى ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوا منها شيئا من أنواع الاذى اكراما لآية الله تعالى (فياخذكم عذاب أليم) أى بسبب اذاها (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) أى فلما أهلك الله هادى و ثمود بلادها و خلفوهم فى الارض وكثروا وعمرروا اعمارها طولا (وبوأكم فى الارض) أى أنزلكم فى أرض الحجر بين الحجاز والشام (تتخذون من سهولها قصورا) أى تبنيون من سهولة الارض قصورا بجماعة ملون منها من الزهص والابن والآجر للصيف وسهيت القصور بذلك لقصور الفقراء عن تحصيلها وجبهم عن نيلها (وتتخذون الجبال بيوتا) أى وتتقنون فى الجبال بيوتا للشتاء وذلك لطول أعمارهم فان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم فكان عمر واحد منهم ثلاث مائة سنة الى ألف سنة كقوم هود (فأذكروا آلاء الله) أى نعمة الله عليكم بقولكم فأنكم متنعمون مترفهون (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) أى ولا تعملوا فى الارض شيئا من أنواع الفساد (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا من آمن منهم) أى قال الجماعة الذين تكبروا عن الايمان بصالح السالكين الذين آمنوا به فقوله تعالى لمن آمن منهم بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل وضمير منهم راجع لقومه أى قالوا المؤمنون الذين استردلوهم بطريق

الاستهزاء بهم (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) اليكم (قالوا) انما أرسل به مؤمنون) أى
 نحن مصدقون بما جاء به صالح (قال الذين استكبروا) عن امتثال أمر ربهم وهو الذى أوصله الله
 اليهم على لسان صالح بقوله فذروها تأكل فى أرض الله (انما الذى آمنتم به كافرين ففعلوا الناقة) أى
 قتلها قدار بن سالف بأمرهم فى يوم الاربعاء فقال لهم صالح ان تصبحوا غدا حمر اصفرا
 ثم ان تصبحوا فى يوم الجمعة حمر اثم ان تصبحوا يوم السبت سودا ثم يصبحكم العذاب يوم الاحد (وعتوا عن
 أمر ربهم) أى ارتفعوا فاقابوا عن قبول أمر ربهم الذى أمرهم صالح (وقالوا) استهزاء (يا صالح انما نابعنا
 تعدنا) أى من العذاب (ان كنت من المرسلين) فانهم كذبوا صالحا فى قوله ولا تمسوها بسوء فياخذكم
 عذاب أليم (فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء (فأصبحوا فى
 دارهم جاثين) أى فصاروا فى بلدتهم خامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول
 العذاب من غير اضطراب ولا حركة روى أنه تعالى لما أهلك عادا أقام عمود مقامهم وطال عمرهم وكثر
 تنعمهم ثم عصوا الله وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا وكان منهم قطالبه وبه بالمعجزة فقال ماتريدون
 فقالوا اتخرج معنا فى عيدنا ونخرج أصناما فتنسأل الهك ونسأل أصنامنا فاذا ظهر أثر دعائك اتبعناك وان
 ظهر أثر دعائنا اتبعتنا فخرج معهم ودعوا أوثانهم فلم يجيبهم ثم قال سيديهم جندع بن عمرو وأصالح عليه
 السلام وأشار الى صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لتلك الصخرة كاتبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة
 كبيرة جوفاء وبراء فان فعلت ذلك صدقناك فأخذ صالح عليهم الموائيق أنه ان فعل ذلك آمنوا فقبلوا
 فصلى ركعتين ودعا الله تعالى فتمحضت تلك الصخرة كما تمحض الحامل ثم انفرجت عن ناقة عشر
 جوفاء وبراء وكانت فى غاية الكبر ثم نجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع ورهط من قومه وأراد
 أشراف عمود أن يؤمنوا به فنهاهم ذؤاب بن عمرو والحباب صاحباً وأوثانهم ورباب بن صمير كاهنهم فكثت
 الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترده غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها فى البئر فما
 ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تفرج بين رجليها فيهلون ماشا واحتى تحتلى أو أيهم فيشربون ويدخرون
 وكانت اذا وقع الحرتصيفت بظهر الوادى فيهرب منها أنعامهم واذا وقع البرد تشتت بطن الوادى فتهرب
 مواشيهم فشق ذلك عليهم وزينت عقربها لهم امرأتان عنيزة وصدقة لما أضرت به من مواشيهم
 فقعرها وهاو اقموا الجهاوط بخوة فرقى ولدها جبلاسمى بقارة فرغانا لانا وقال صالح عليه السلام
 لهم أدركوا الغصيل عسى أب يرفع عنكم العذاب فلم يقدر واعليه وانفتحت الصخرة بعد رغانه فدخلها
 فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم مسمرة واليوم الثالث وجوهكم
 مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فانجاء الله تعالى الى أرض فلسطين
 ولما كان اليوم الرابع واشتد الحمى تحنطوا بالصبر وتكفوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء
 ورجفة من الأرض فتقطعت قلوبهم وهلكوا (فتولى عنهم) أى خرج صالح من بينهم قبل موتهم
 (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونهضت لكم) أى بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعى ولكن
 لم تقبلوا منى ذلك كما قال (ولكن لا تحبون الناصحين) أى لم تطيعوا الناصحين بل تمروا على عداوتهم
 وروى أن صالحا خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم
 قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار (ولوطا) أى وأرسلنا لوطا ابن هاران الى قومه أى فأرسله الله تعالى
 الى أهل سدوم وهى بلد بمصر (اذ قال لقومه) أى وقت قوله لهم فأرسله اليهم لم يكن فى أول وصوله

اليهم (أتأتون الفاحشة) أى أتفعلون اللواط (ما سبقكم بها) أى بهذه الفاحشة (من أحد من العالمين) قال محمد بن اسحق كانت لهم غمار ورقى لم يكن فى الارض مثلهافقة صدهم الناس فأتوهم فعرض لهم ابليس فى صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتهم منهم فأبوا فألح عليهم فقصدهم فاصابوا غلبا ناسانا فاستحكم فيهم ذلك (انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) أى انكم لتأتون أذبار الرجال مجرد الشهوة لا للولد ولا للالفة متجاوزين فروج النساء اللاتي هن محال الاشتباه وقرأتنا فع وحفص عن عاصم انكم بهمزة واحدة مكسورة على الخبر المستأنف وهو بيان لتلك الفاحشة وقرأ ابن كثير بهمزتين بدون ألف بينهما وبتسهيل الثانية وأبو عمر وكذلك لكنه ادخل الالف بينهما وهشام بتحقيق الممزتين بينهما مد والباقيون بتحقيقهما من غير مد بينهما على الاصل وهذا الاستفهام معناه الانتكار (بل أنتم قوم مسرفون) أى تجاوزون الحلال الى الحرام وأنتم قوم عادتكم الزيادة فى كل عمل (وما كان جواب قومه الا أن قالوا) أى ما كان جوابا من جهة قومه شئ من الاشياء فى المرة الاخيرة من مررات المحاورة بينهم وبينهم الا قولهم لبعضهم الآخرين المباشرين لتلك الامور معرضين عن مخاطبة لوط عليه السلام (أخرجوهم) أى لوطا وابنتيه زعورا وريثا (من قريبتكم) سدوم (انهم أناس يتطهرون) أى يتنزهون عن أذبار الرجال قالوا ذلك على سبيل السخرية بلوط وأهله وعلى سبيل الافتخار بما هم فيه (فأنجيناه) أى لوطا (وأهله) وهم بنتاه (الامراته) الكافرة وامهها واهله (كانت من الغابرين) أى الباقين فى ديارهم فهلكت فى العذاب مع الهالكين فيها لانها تسرا الكفر موالية لاهل سدوم وأما لوط فخرج مع بنتيه من أرضهم وطوى الله له الارض فى وقته حتى نجا ووصل الى ابراهيم وهو فى فلسطين (وأمرنا عليهم مطرا) أى وأرسلنا عليهم ارسالا المطر أجرأ حروقا مهجونا بالكبريت والنار قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام وأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعوا بالحجارة وقيل المعنى وأنزلنا على الحار جين من المداين الخمسة حجارة من السماء معللة عليها اسم من يرمى بها وروى أن تاجر منهم كان فى الحرم فوقف الحجر له أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه (فانظر كيف عاقبة المجرمين) أى فانظر يا من يتأتى منه النظر كيف أمطر الله حجارة من طين مطبوخ بالنار متتابع فى النزول على من يعمل ذلك العمل المخصوص وكيف أسقط مدائنهم مقلوبة الى الارض (والى مدين أخاهم) أى وأرسلنا الى أولاد مدين ابن ابراهيم عليه السلام أخاهم فى النسب لافى الدين (شعيبا) ابن ميكيل وقيل شعيب ابن ثوبان مدين بن ابراهيم (قال) لقومه وهم أهل كفرو وبخس للمكيال والميزان (يا قوم اعبدوا الله) وحده (ما لكم من اله غيره قد جاءكم بينة) أى معجزة (من ربكم) دالة على رسالة الله وعلى صدق ما جئت به ومن معجزات شعيب أنه دفع عصاه الى موسى وتلك العصا حاربت التنين وأنه قال لموسى ان هذه الاغنام تلد ولادافها سواد فى أوائلها وبياض فى آخرها وقد وهبتها لمنك فكان الامر كما أخبر عنه وأنه وقع على يد عصا آدم عليه السلام فان جميع ذلك كان قبل استنباء موسى عليه السلام وقيل ان المراد بالبينة نفس شعيب عليه السلام (فأوفوا الكيل والميزان) أى أتموا كيل المكيال ووزن الميزان (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أى ولا تنقصوا حقوق الناس بجميع الوجوه كالغصب والسرقة وأخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الاموال بطريق الخيل وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا يكسبوه كما يفعل أمراء الجور (ولا تفسدوا فى الارض) بالمعاصي (بعدا صلاحها) بعدا أصلها

الله بتكثير النعم فيها قال ابن عباس كانت الارض قبل أن يبعث الله شعيبا رسولا تعمل فيها المعاصي
 وتستحل فيها المحارم وتسفل فيها الدماء فذلك فسادها فلما بعث الله شعيبا ودعاهم الى الله صلحت الارض
 وكل نبي يبعث الى قومه فهو صلاحهم وحاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى اصلين أحدهما التعظيم
 لامر الله ويدخل فيه الاقرار بالتوحيد والنبوة وثانيهما الشفقة على خلق الله ويدخل فيه ترك البخس
 وترك الافساد (ذلكم) أي هذه الامور الخمسة (خير لكم) مما أنتم فيه في طلب المال لان الناس
 اذا علموا منكم الوفاء والصدق والامانة رغبوا في المعاملات معكم فكثرت أموالكم (ان كنتم مؤمنين)
 أي مصدقين لي في قولي هذا (ولانة عدوا بكل صراط توعدون) أي ولا تجلسوا على كل طريق فيه
 عمر الناس تهددون من مر بكم من الغرباء فكانوا قطع طريق و كانوا مكاسين (وتصدون عن سبيل الله
 من آمن به) أي وتصرفون عن دين الله من آمن بالله (وتبغونها عوجا) أي وتطلبون سبيل الله
 معوجة بالقاء الشكوك والشبهات فكانوا يجلسون على الطرق ويقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب
 ارجع لا يقتلك عن دينك فان آمنت به قتلناك وجملة الافعال الثلاثة التي هي توعدون وتصدون
 وتبغونها أحوال أي لا تقعدوا موعدين وصادين وباغين (واذكروا) نعمة الله عليكم (اذ كنتم قلة لا)
 بالعدد (فكثركم) بالعدد قيسل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرحى الله تعالى في نسلهما
 بالبركة فكثروا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) أي كيف صار آخر امر المشركين قبلكم
 بالهلاك بتكذيبهم رسلهم (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به) من الشرائع والاحكام
 (وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) أي فانظروا أيها المؤمنون والكافرون (حتى يحكم الله بيننا) جميعا
 من مؤمن وكافر باعلام درجات المؤمنين وبأظهار هوان الكافرين (وهو خير الحاكمين) أي انه تعالى
 حاكم عادل منزله عن الجور (قال الملا الذين استكبروا من قومه) أي قال الجماعة الذين أنفوا من
 قبول قوله وبالغوا في العتو (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) والظرف متعلق
 بالانحراج لا بالايان أي والله لنخرجنك واتباعك من مدين (أولتعودن في ملتنا) أي أولتصيرن
 الى ملتنا (قال أولو كنا كارهين) أي قال شعيب أتصيروننا في ملتكم وان كنا كارهين للدخول فيها
 (قد افترينا على الله كذبا) عظيم ما حيث نزع من الله تعالى ندا (ان عدنا) أي ان دخلنا (في ملتكم
 بعد ان نجانا الله منها) أي من ملتكم (وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) أي وما يجوز
 لنا أن ندخل في ملتكم الا أن يأمر الله بالدخول فيها وهيئات ذلك (وسع ربنا كل شيء علما) أي رعا
 كان في علمه تعالى حصول ما ننا في هذه القرية من غير أن نعود الى ملتكم بل الله يجعلكم مقهورين تحت
 أمرنا ذليلين خاضعين تحت حكمنا (على الله توكلنا) أي في أن يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان
 (ربنا افق بيننا وبين قومنا بالحق) أي ياربنا احكم بيننا بالعدل (وأنت خير الفاتحين) أي الحاكمين
 أو المعنى اظهر أمرنا حتى ينفع ما بيننا وبينهم بأن تنزل عليهم عذابا يميز به الحق من المبط (وقال
 الملا الذين كفروا من قومه) أي وقال الرؤساء من قوم شعيب للسفلة (لئن اتبعتم شعيبا) في دينه
 (انكم اذا لحاسرون) في الدين وفي الدنيا لانه ينعكم من أخذ الزيادة من أموال الناس وعند هذا المقال
 كل حالهم في الضلال والاضلال فاستحقوا الاهلاك (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة المهلكة
 (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي فصاروا في مساكنهم خامدين ساكنين بلا حياة (الذين كذبوا شعيبا
 كأن لم يغفوا فيها) أي الذين كذبوا شعيبا استوصلوا بالمرّة وصاروا كأنهم لم يقيموا في قريتهم أصلا أي

عوقبوا بقولهم لنخرجنك يا شعيب و الذين آمنوا معك من قريتنا وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا
لادخول بعده أبدا (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) دينا وديادون الذين اتبعوه فانهم
الرايحين في الدارين (قتولهم عنهم) أي خرج شعيب من بينهم قبل الهلاك وقال الكلبي ولم يعذب
قوم نبي حتى أخرج من بينهم (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالاتي بالامر والنهي) (ونصحت لكم)
أي حذرتكم من عذاب الله ودعوتكم الى الايمان والتوبة وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين
وكان يتوقع منهم الاستجابة للايمان فلما ان نزل بهم ذلك الهلاك العظيم بوجود علاماته كعبس الريح
عنهم سبعة أيام حصل في قلبه الحزن من جهة القرابة والمجاورة وطوا الألفة ثم عزى نفسه وقال (فكيف
آسى) أي أحزن حزنا شديدا (على قوم كافرين) لانهم هم الذين أهلكوا أنفسهم بسبب اصرارهم
على الكفر وقيل قال شعيب ذلك اعتذارا من عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد أعذرت اليكم في الا بلاغ
والنصيحة بما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصيحتي فكيف آسى عليكم والمراد انهم لم يسموا مستحقين
بأن يأسى الانسان عليهم وقرأ يحيى بن وثاب فكيف آسى بامالتين (وما أرسلنا في قرية من نبي)
فكذبته أهلها (الا أخذنا أهلها) أي عاقبناهم (بالأساء) أي الشدة في أحوالهم كالخوف وضيق
العيش (والضراء) أي الامراض والاولجاع (لعلهم يضرعون) أي كي يتذللوا وينقادوا لله تعالى
(ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي ثم أعطيناهم السعة والعفة بدل ما كانوا فيه من البلاء والمرض
لان ورود النعمة في المال والبدن يدعوا الى الاشتغال بالشكر (حتى عفوا) أي كثروا في أنفسهم
وأموالهم (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) كما أصابنا وهذه عادة الزمان في أهله فرة يحصل فيهم
الشدة والكد ومرة يحصل لهم الرخاء والراحة فصبروا على دينهم ففحن مثلهم نفتدى بهم وليست عقوبة
من الله بسبب ما نحن عليه من الدين والعمل فلما لم ينقادوا بالشدة وبالرخاء ولم ينتفعوا بذلك الامهال
أخذهم الله بغتة أينما كانوا كما قال تعالى (فأخذناهم) بعد ذلك (بغته) أي فجاءة بالعذاب (وهم
لا يشعرون) أي وقت نزول العذاب ولا يخطر ببالهم شيء من المكارة (ولوا أهل القرى) الذين
أهلكناهم (آمنوا) بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر (واقفوا) ما نهى الله عنه (لفتحنا
عليهم بركات من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات والثمار والمواشي وحصول الامن والسلامة
وقرأ ابن عامر لفتحنا بتشديد التاء للتكثير (ولكن كذبوا) ذلك ولم يتقوا ما حرمه الله (فأخذناهم)
بالجدوبة والعذاب (بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصي (أفأمن أهل القرى) أي أبعد ذلك
أمن أهل القرى (أن يأتيهم بأسنا) أي عذابنا (بياتا) أي ليلا (وهم نائمون) أي غافلون عن
ذلك (أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا نضحي) أي نهارا (وهم يلعبون) أي يشتغلون بما ينفعهم
وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر يسكون الواو (أفأمنوا مكر الله) أي عذاب الله (فلا يأمركم الله الا
القوم الخاسرون) وهم الذين لا يعرفون دينهم لغفلتهم فلا يخافونه وسمى العذاب مكر النزول بهم من
حيث لا يشعرون (أولم يهد للذين يرفثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) قرأ
الجمهور يهد بالياء من تحت أي أولم يبين للذين يرفثون أرض مكة من المتقدمين ويسكنونها من بعد هلاك
أهلها تعذيبنا يا هم بسبب ذنوبهم لو شئنا ذلك كما عذبنا من قبلهم وفاعل يهد مصدر مؤول من ان وما في
خيرها ان نزل يهد منزلة اللازم والا ففعوله محذوف والتقدير أولم يوضح للوارثين أرض مكة من بعد هلاك
أهلها عاقبة أمرهم ان الشأن لو نشاء الاصابة أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين

كما أهلكنا المورثين (ونطبع على قلوبهم - م) أي إن لم نهلكهم بالعقاب نطبع على قلوبهم - م (فهم
 لا يسمعون) أي لا يقبلون موعظة من أخبار الأمم المهلكة والمراد أمة لاهللك وأما الطبع على القلب
 لأن الالهلاك لا يجتمع مع الطبع على القلب فإذا أهلك شخص يستحيل أن يطبع على قلبه وإنما يحصل
 الطبع حال استمراره على الكفر فهو يكفر أولاً ثم يصير مطبوعاً عليه في الكفر ولم يكن هذا التقرير منافياً
 لعمدة عطف قوله ونطبع على أصبناهم (تلك القرى) وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم
 شعيب (نقص عليك) يا كرم الرسل (من أنبأها) كيف أهلكنا وأغناخص الله أنبأ هذه القرى
 لأنهم أغتروا بطول الأمهال مع كثرة النعم فتوهّموا أنهم على الحق فذكروا الله تعالى تنبيهاً لقوم محمد صلى
 الله عليه وسلم ليحترزوا عن مثل تلك الأعمال (ولقد جاءهم رسلهم بالبينات) أي وباللغة لهداية كل أمة من
 تلك الأمم المهلكة أنبياءهم الذين أرسلوا إليهم بالمعجزات الواضحة الدالة على صحة رسالتهم الموجهة للإيمان
 (فما كانوا يؤمنوا بها كذبوا من قبل) أي فبعد رؤية المعجزات ما كان أولئك الكفار ليؤمنوا بالشرائع
 التي كذبوها قبل رؤية تلك المعجزات والمعنى كانت كل أمة من أولئك الأمم في زمن الجاهلية يتسامعون
 بكلمة التوحيد من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالهم بعد مجيئ نبيهم الذي أرسل إليهم كحالهم قبل ذلك
 كان لم يبعث إليهم أحد (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) أي مثل ذلك الذي طبع الله على قلوب
 كفار الأمم الحالية يطبع على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم أن لا يؤمنوا أبداً (وما وجدنا لأكثرهم
 من عهد) أي وما وجدنا أكثر الناس على إيمان كما قاله ابن مسعود أو على عهد أول وهو الذي هادهم الله
 وهم في صلب آدم حيث قال ألتبر بكم قالوا بلى فلما أقر وأبرو بية الله تعالى في علم المذنب خالفوا ذلك في
 هذا العالم صار كانه ما كان لهم عهد (وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) أي وإن الشأن والحديث وجدنا أكثر
 الأمم في عالم الشهادة خارجين عن الطاعة صارفين عن الدين (ثم بعثنا من بعدهم) أي من بعد انقضاء
 الرسل المذكورين أو من بعده هلاك الأمم المحكية (موسى يا أيها) التسع الدالة على صدقه (إلى فرعون)
 واسمه قابوس وقيل اسمه الوليد بن مصعب بن ريان وكان ملكه أربع مائة سنة وثمان مائة وعشرين
 سنة ولم ير في تلك المدة مكر وهاقط من وجع أو حذى أو جوع ولو حصل له ذلك لما ادعى الربوبية
 (وملئه) أي عظماء قومه (فظلموا بها) أي بتلك الآيات أي وضعوا الإنكار في موضع الإقرار
 ووضعوا الكفر في موضع الإيمان وذلك ظلم منهم على تلك الآيات الظاهرة (فأنظر) أيها المخاطب
 بعين عقلك (كيف كان عاقبة المفسدين) وكيف فعلنا بهم (وقال موسى يا فرعون انى رسول) اليك والى
 قومك (من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) وقرأنا قع على بتشديد الياء لتحقيق
 مستدأ وخبره ما دخلت عليه أن أى واجب على ترك القول على الله إلا بالحق والباقيون بعد اللام والمعنى
 أنا ثابت بأن أقول على الله إلا الصدق وقرأ أبى بأن لا أقول بالباء وقرأ عبد الله والاهمشر أن لا أقول بدون
 حرف جر (قد جئتكم ببينة) أي مجهزة شاهدة على رسالتى (من ربكم فأرسل معى بنى إسرائيل) أي
 لخلهم حتى يذهبوا معى إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم مع أمواهم فكان فرعون عاملهم معاملة
 العبيد في الاستخفاف (قال) أي فرعون (ان كنت جئت بآية فأت بها) أي ان كنت جئت بآية
 من عندهم أرسلتك فأحضرها عندي ليثبت صدقك (ان كنت من الصادقين) في دعواك انك رسول
 (فأتني) موسى (عصاه فإذا هي ثعبان) أي حية ضخمة صفراء ذكر (مبين) أي ظاهر لا يشك في كونه
 ثعباناً روى أنه لما ألقاها صارت ثعباناً أشعر فاغرافاه بين لحبيه ثم انون ذراعاً وضع لحبيه الأسفل على

الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه فمخوف فرعون ليبتلعه فوثب فرعون عن سريره هاربا وأحدث
 وانهمز الناس من رده حين فأت منهم خمسة وعشرون ألفا فصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذي أرسلتك خذ
 وأنا أومن بك وأرسل معك بنى إسرائيل فأخذه فعادهسى (وتزع يده) أى أخرجهما من طوق قبضه (فاذا
 هى بيضاء) بياض نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس (للتأخرين قال الملائمة من قوم فرعون) أى الرؤساء
 منهم وهم أصحاب مشورته (أن هذا) أى موسى (لساحر عليم) أى حاذق بالسحر فأنهم قالوا ذلك مع فرعون
 على سبيل التشاور (يريد أن يخرجكم من أرضكم) أى من أرض مصر (فاذا أتوا من) قالوا الفرعون
 خدمه ولا كابر فإن الاتباع يفوضون الأمر والنهى إلى المخدوم والمتبوع أولا ثم يذكرون ما حضر في
 خواطرهم من المصلحة بقولهم أرحه وأخاه قال تعالى (قالوا أرحه) فيه ست قراءات ثلاثة بإثبات الهمزة التي
 بعد الجيم وهى كسر الهاء من غير اشباع لابن ذكوان عن ابن عامر وضمها كذلك لابي هريرة وياشباع
 حتى يتولد من النقة واو على الأصل لابن كثير وهشام عن ابن عامر وثلاثة بحذف الهمزة وهى سكن الهاء
 وصلا ووقفا لعاصم وحمزة وكسر الهاء من غير اشباع لقانون وبه حتى يتولد منها ياء نافع والكسائي
 وررش أى آخر أم موسى ولا تجعل في أمر بحكمكم والمراد أنهم حاولوا معارضة ميجزته بسحرهم ليكون ذلك
 أقوى في إبطال قول موسى (وأخاه) هرون (وأرسل في المداين حاشرين) أى وأرسل في مداين صعيد مصر
 شرط يحشرون اليك ما فيها من السحرة وكان رؤساء السحرة ومهرتهم في أقصى مداين الصعيد يقولون
 (بكل ساحر عليم) أى ما هرب السحر وقرأ حمزة والكسائي بحار كما اتفقوا عليه في سورة الشعراء (وجاء
 السحرة فرعون) بعدما أرسل الشرط في طلبهم (قالوا ان لنا لأجرا) على الغلبة قرأ نافع وابن كثير
 وحفص عن عاصم أن بهمزة واحدة والباقيون بهمزتين وأدخل أبو عمر الألف بينهما (ان كنا نضيق الغالبين)
 لموسى (قال نعم) وقرأ الكسائي بكسر العين (وانكم لمن المقربين) أى نعم لكم الاجر ولكم المنزلة
 الرفيعة عندي زيادة على الاجر أى فاني لا أقصر بكم على الثواب بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة اني
 أجعلكم من المقربين إلى الله منزلة (قالوا يا موسى امان تلقى) عصاك أولا (واما أن نكون نحن
 الملقين) ما معننا من الجبال والعصى أولا فلما راعوا حسن الأدب حيث قدموا ذكر موسى عليه السلام
 رزقهم الايمان بركة رعاية هذا الادب (قال) موسى مریدا لابطال ما أتوا به من السحر وازراء شأنهم
 (ألقوا) ما تلقون (فلما ألقوا) عصيا وجبالا (سحر وأعين الناس) أى صرفوها عن ادراك
 حقيقة ما تخيلوا أحوال العجيبة مع ان الأمر في الحقيقة ما كان على وفق ما تخيلوه قيل انهم أتوا بالجبال
 والعصى ولطخوا تلك الجبال بالزئبق وجعلوا الزئبق في دواخل تلك العصى فلما أثر تسخير الشمس
 فيها تحركت والتوى بعضها على بعض وكانت كثيرة جدا فالناس تخيلوا انها تتحرك وتلتوى باختيارها
 وقدرتها (واستربوهم) أى بالقوا في تخويف عظيم للأموام من حركات تلك الجبال والعصى وخاف
 موسى ان يتفرقوا قبل ظهور ميجزته فكان خوفة لأجل فزع الناس واضطرابهم عاروا من أمر تلك
 الحيات وليس خوفة لأجل سحرهم لانه كان على ثقة من الله تعالى انهم لم يغلبوه وهو قال لهم (وجاؤا
 بسحر عظيم) في باب السحر وعند السحرة وان كان حقيرا في نفسه قيل كانت الجبال والعصى حمل
 ثلاثمائة بعير وذلك اهم ألقوا حبالا غلاظا وأخشا باطويلا فاذا هي حيات رأى مال الجبال قد ملأت
 الوادي يركب بعضها بعضا وكانت سعة الأرض ميلا في ميل فصارت كلها حيات (وأوحينا إلى موسى
 أن ألق عصاك) ولما ألقى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى سدت الأفق ثم فتحت فكها فكان

ما بين فكيفها ثمانين ذراعا وابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيههم فلما أخذها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت في أطيم أصلا كما قال تعالى (فأذا هي تلقف) أي تلقم (ما يافكون) أي الذي يقلبونه عن الحق إلى الباطل (فوقع الحق) أي فظهر الحق مع موسى (وبطل ما كانوا يعملون) أي واضع عمل ما عملوه من السحر وسبب هذا الظهور أن السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحر البقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت ثبت أن ذلك حصل بخلق الله تعالى لآجل السحر (فغلبوا) أي فرعون وقومه (هنالك) أي في المكان الذي وقع فيه سحرهم (وانقلبوا صاغرين) أي صاروا ذليلين مهوتين (وألقى السحرة ساجدين) أي خروا وسجدوا لله تعالى أي فمن مرة سجدوا لهم كأنهم ألقوا قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية وبلغ ذنب الحية وراء البحر ثم فتحت فاهما ثمانين ذراعا فكانت تبتلع حبالهم وعصيههم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع ففرعوا ووقع الزحام فأت منهم خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت في يده عصي كما كانت فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه ليس بسحره فعند ذلك خروا ساجدين (قالوا آمنوا رب العالمين) قال فرعون إياي تعنون قالوا لا بل (رب موسى وهارون) ولما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله تعالى في الحال وجعلوا ذلك السجود شكرا لله تعالى على الفوز بالإيمان والمعرفة وعلامة على انقلا بهم من الكفر إلى الإيمان وأظهرا الخضوع والتذلل لله تعالى فكانهم جعلوا ذلك السجود الواحد علامة على هذه الأمور الثلاثة على سبيل الجمع وأولئك القوم كانوا عاقلين بحقيقة السحر فلما وجدوا مهزلة موسى خارجة عن حد السحر علموا أنها أمر الهى فاستدلوا بها على أن موسى نبي صادق من عند الله تعالى فلاجل كمالهم في علم السحر انتقلوا من الكفر إلى الإيمان فإذا كان حال علم السحر كذلك فما ظنك بكمال حال الإنسان في علم التوحيد (قال فرعون آمنتم به) أي رب موسى وهرون واختلف القراء في هذا الحرف هنا وفي طه وفي الشعراء فإن القراء في ذلك على أربع مراتب الأولى قراءة الاخوين وأبي بكر عن عاصم وهي تحقيق الهمزتين في السور الثلاث من غير ادخال ألف بينهما وهو استقحام انكار وأما الالف الثالثة فالكلي يقرؤها كذلك وهي فاء الكلمة يجب قلبها ألفا لكونها بعد همزة مفتوحة وأما الأولى فصحفة ليس الا والثانية قراءة حفص وهي آمنتم بهمزة واحدة بعدها ألف والثالثة قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر والبرقي عن ابن كثير وهي تحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين بين والرابعة قراءة قبل عن ابن كثير فقرأ في هذه السورة حال الابداء آمنتم بهمزتين أو لا همزة حقيقة والثانية مسهلة بين بين وألف بعدها قراءة البرقي وحاصل الوصل يقرأ قال فرعون وآمنتم بأبدال الأولى واو وتسهيل الثانية بين بين وألف بعدها وقرأ في سورة طه كقراءة حفص وفي سورة الشعراء كقراءة البرقي (قبل أن آذن لكم) أي بغير أن آذن لكم (إن هذا المكرم كرمه في المدينة لتخرجوا منها أهلها) أي إن إيمان هؤلاء حيلة احتلتوها مع مواطاة موسى في مصر قبل أن تخرجوا إلى الميعاد وإن غرضهم بذلك إخراج القوم من مصر وإبطال ملكهم وهاتان شبهتان ألقاهما فرعون إلى امهاع عوام القبط لينزعهم بهما عن الإيمان بنبوة موسى عليه السلام (فسوف تعلمون) ما أفعل بكم (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي من كل شق طرفا (ثم لا صلبنكم) أي ألقاكم بمدود أي يديكم لتصير على هيئة الصليب أو حتى يتقاطر صليبكم وهو الدهن الذي فيكم (أجمعين قالوا) أي السحرة (إنا إلى ربنا منقلبون) أي رأوا جوعن بالموت بلا شئ سواه كان يقتلك أولاف يحكم بيننا وبينك وإنا إلى ربنا نارغبون (وما ننقم ضالا إلا أن آمنا بآيات ربنا الما جاءتنا) أي ما تعيب علينا إلا إيماننا بآيات ربنا أو ما لنا عندك

ذنب تعدبنا عليه الا لايانا يا^٢ يا ربنا حين جاءتنا (ربنا افرغ علينا صبرا) اى صب علينا صبرا
 كاملا تاما عند القطع والصلب لكي لا ترجع كفارا (وتوفنا مسلمين) اى مخلصين على دين موسى
 قيل فعل فرعون ما توعدهم به وقيل لم يقع من فرعون ذلك بل استجاب الله تعالى لهم الداء في قولهم وتوفنا
 مسلمين لانهم سألوه تعالى ان يكون توفيتهم من جهته تعالى لا يقتل فرعون (وقال الملا من قوم فرعون) له
 لما خلى سبيل موسى (اتذر موسى وقومه) من بني اسرائيل (ليفسدوا في الارض) اى ليفسدوا
 على الناس في ارض مصر بتغيير دينهم واعلم ان فرعون بعد وقوع هذه الواقعة كان كلما رأى موسى
 خافه أشد الخوف فلهذا السبب لم يتعرض له الا ان قومه لم يعرفوا ذلك فملوه على اخذه وحبسه (ويذكر
 وآ لهلك) اى مجبوداتك بكسر اللام جمع اله وقرأ ابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأنس وعلي بن
 أبي طالب والاهلك بفتح اللام ومده اى وعبادتك وقرأ العامة بنصب يذكرك عطفا على يفسدوا وأجواب
 الاستفهام بالوار وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة بالرفع عطفا على أنذرا واستثنافا أو حالا وقرئ بالسكون
 (قال) فرعون لما يقدر على موسى أن يفعل معه مكروها والخوف منه (سنقتل أبناءهم) اى أبناء بني
 اسرائيل ومن آمن بموسى صغارا كما قتلناهم أول مرة وقرأ نافع وابن كثير سنقتل بفتح النون وسكون
 القاف والباقون بضم النون وفتح القاف وتشديد التاء (ونستحي نساءهم) اى ونتركهن أحياء للخدمة
 (وانافوقهم قاهرون) كما كنا وهم مقهورون تحت أيدينا وانما نترك موسى وقومه من غير حبس لعدم
 التفاتنا اليهم لالهز ولا خوف واختلاف المفسرون فمنهم من قال كان فرعون يفعل ذلك ومنهم من قال
 لا يفعل ذلك لعدم قدرته لقوله تعالى ألقا ومن اتبعك الغالبون (قال موسى لقومه) بني اسرائيل حين
 تضجروا من قول فرعون على سبيل التسلية لهم (استعينوا بالله) على فرعون وقومه (واصبروا) على
 ما هممت من أقاريله الباطلة (ان الارض) اى ارض مصر (لله يورثها من يشاء من عباده) وقرأ
 الحسن يورثها بفتح الواو وتشديد الراء المكسورة للتكثير وقرئ يورثها بفتح الراء مبنيا للفعول (والعاقبة)
 اى الجنة أو فتح البلاد والنصر على الاعداء (المتقين) اى الذين أنتم منهم فمن اتقى الله تعالى فآله يعينه
 في الدنيا والآخرة وقرأ ابن مسعود بنصب العاقبة عطفا على الارض فالاسم معطوف على الاسم والخبر على
 الخبر فهو من عطف المفردات (قالوا) اى بنو اسرائيل لموسى لما همعوا تهدد فرعون بالقتل للأبناء
 مرة ثانية (أوذينا) من جهة فرعون (من قبل أن تأتينا) بالرسالة (ومن بعدما جئتنا) رسولا
 قالوا ذلك استكشافا لكيفية وعد موسى اياهم بزوال تلك المضار هل هو في الحال أولا لا كراهة لمجي
 موسى بالرسالة (قال) اى موسى مسلما لهم حين رأى شدة جزعهم عما شاهدوه من فعل فرعون (عسى
 ربكم أن يهلك عدوكم) الذى توعدكم بأعادة فعله (ويستخلفكم في الارض) اى يجعلكم خلفاءه في
 ارض مصر بعد هلاك أهلها (فينظر كيف تعملون) اى فيرى سبحانه وتعالى كيف تعملون في طاعته
 وهذا حث لهم على التمسك بطاعة الله تعالى فآله تعالى يرى وقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازى
 عباده على ما يعلم منهم في الازل وانما يجازيهم على ما يقع منهم (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) اى
 باحتباس المطر والجوع (ونقص من الثمرات) اى ذهب الثمرات باصابة العاهات (لعلهم يذكرون)
 اى كي يقفوا على أن ذلك لاجل معاصيهم وينزحوا عما هم عليه من العتو والعتاد (فاذا جاءتهم الحسنة)
 اى الخصب والسعة في الرزق والسلامة (قالوا لنا هذه) اى نحن مستحقون من كثرة نعمنا على العادت
 التي جرت (وان تصيبهم سيئة) اى جدوبة وشدة وبلاء (يطيروا) اى يتشاهوا (بموسى ومن

معه) من المؤمنين أى يقولوا انما أصابنا هذا الشر بشؤم موسى وقومه (أذا غاطاثرهم) أى حظهم
 (عند الله) أى كل ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله تعالى وبتقديره وقيل المعنى انما جاءهم الشر
 بقضاء الله تعالى وحكمه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتناول ولا يتطير وأصل الغال الكلمة الحسنة
 كانت العرب مذهبها فى الغال والطيرة واحد فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم الغال وأبطل الطيرة (ولكن
 أكثرهم لا يعلمون) أن ما يصيبهم من الله تعالى (وقالوا) أى آل فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام
 (مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فإنا نكفر لك بعمومنين) أى أى شئ تظهره لآينا من علامة من عند ربك
 لتصرفنا عما نحن عليه من الدين بذلك الشئ فإنا نحن لك بصدقين بالرسالة وكان موسى رجلا حديدا فعند
 ذلك دعا عليهم فاستجاب الله له فقل تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) أى الماء من السماء فدخل
 بيوت القبط وقاموا فى الماء الى تراقيهم ودام ذلك عليهم سبعة أيام من سبت الى سبت ولم يدخل ذلك الماء
 بيوت بني إسرائيل مع انها كانت فى خلال بيوت القبط فاستغاثوا بفرعون فأرسل الى موسى فقال اكشف
 عنا العذاب فقد صارت مصر يجرى واحد فان كشفت هذا العذاب آمانا بك فأزال الله عنهم المطر وأرسل
 الريح فجفت الارض وخرج من النبات ما لم يروا مثله قط فقالوا هذا الذى جر عنا منه خير لنا لكالم نشعر
 فلا والله لا نؤمن بك ولا ترسل معك بنى إسرائيل فتمسكتوا العهد (و) أقاموا شهرا فى عافية فأرسل الله
 تعالى عليهم (الجراد) فأكل زرعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم ونباتهم ففزعوا الى موسى فدعا
 موسى عليه السلام فأرسل الله تعالى ريحا فآلقتهم فى البحر بعدما أقام عليهم سبعة أيام من سبت الى سبت
 فنظر أهل مصر الى ما بقى من زرعهم فقالوا هذا الذى بقى يكفينه ولا نؤمن بك (و) أقاموا شهرا فى عافية
 فأرسل الله عليهم (القمل) أى الجراد الصغير بلا أجنحة من سبت الى سبت فلم يبق فى أرضهم عود أخضر
 الا أكله فصاحوا ودعا موسى فأرسل الله عليه ريحا حارة فأحرقته وآلقتهم فى البحر وقرأ الحسن والقمل
 يفتح القاف وسكون الميم وهو المعروف وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كتيب أعقر فصر به موسى بعصاه
 فصارت قلا فأخذت فى ابشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم فصرخوا وفزعوا الى موسى فدعا فرفع
 الله عنهم القمل وقالوا قد تيقنا اليوم انك ساحر حيث جعلت الرمل دواب وعزة فرعون لا نؤمن بك أبدا
 (و) أقاموا شهرا فى عافية فأرسل الله تعالى عليهم (الضفادع) فخرج من البحر مثل الليل الدامس ووقع فى
 الثياب والاطعمة فكان الرجل منهن يسقط وعلى رأسه ذراع من الضفادع فصرخوا الى موسى وحلفوا
 لئن رفعت عنا هذا العذاب لنؤمن بك فدعا الله تعالى فأما الضفادع وأرسل عليها المطر فاحتملها الى البحر
 بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من سبت الى سبت ثم أظهروا الكفر (و) أقاموا شهرا فى عافية فأرسل
 الله عليهم (الدم) فصارت مياه قلوبهم وأنهارهم دما فلم يقدروا على الماء العذب حتى بلغ منهم الجهد وبنو
 إسرائيل يجدون الماء العذب الطيب وكان فرعون وأشراف قومه يركبون الى أنهار بنى إسرائيل فجعل
 يدخل الرجل منهم النهر فاذا اغترف الماء صار فى يده دما ومكثوا سبعة أيام فى ذلك لا يشربون الا الدم فقال
 فرعون لموسى عليه السلام لئن رفعت عنا العذاب لاصدق لك ولترسلن معك بنى إسرائيل مع أموالهم
 (آيات مفصلات) أى مبینات لا يخفى على كل عاقل ان هذه الخمسة من آيات الله التى لا يقدر عليها غيره
 ومفرقات بعضها من بعض بزمان لا يمكن أحوالهم أيقبلون الحجة أو يستمرون على التقليد وكان كل عذاب
 يبقى عليهم أسبوعا من سبت الى سبت وبين كل عذابين شهر (فاستكبروا) عن الإيمان بها وعن
 عبادة الله (وكافوا قوما مجرمين) أى مصرين على الذنب (ولما وقع عليهم الرجز) أى كالماتزل عليهم

العذاب من الاقواع الخمسة (قالوا) في كل مرة (يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي بما أعلمك به وهو كشف العذاب عنا ان آمننا أو المعنى أقسمنا به عند الله عندك وهو النبوة (اثن كشفت عنا الرجز) أي لئن رفعت عنا العذاب الذي نزل علينا (لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل) أي مع أموالهم (فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل) أي خدمعين (هم بالغوه) لا بد وهو وقت اهلاكم بالغرق في اليم (اذا هم ينكبون) أي فلما رجعنا عنهم العذاب فأجثوا فكث العهد من غير تأمل وتوقف ثم عند حلول ذلك أجل لا تزال عنهم العذاب بل نهلكهم به (فانتقمنا منهم) أي فلما بلغوا الاجل الموقت أهلكناهم (فأغرقناهم في اليم) أي البحر الملح والغاة تفسد يرية (بأنهم كذبوا بآياتنا) التمع الدالة على صدق رسولنا (وكأنواعها) أي تلك الآيات (خافلين) أي معرضين غير ملتفتين اليها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بقتل آبائهم وأخذ الجزية منهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة وهم بنو اسرائيل (مشارك الارض) أي ارض الشام ومصر (ومغارها) (التي باركنا فيها) بالخصب وسعة الارزاق وبالنييل (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل) أي ومضى وعده تعالى عليهم (بما صبروا) أي بسبب صبرهم على الشدائد فن قابل البلاء بالصبر وانتظار النصر فمن الله له الفرج ومن قابله بالجزع وكله الله اليه (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) ففرعون سم كان ويصنع خبيرا كان مقدم أي وخر بنا الذين كان فرعون يصنعه من المدائن والقصور (وما كانوا يعرشون) أي يرفعون من الشجر والكروم أو ما كانوا يرفعونه من البنيان كمرح هامان وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الراء والباقون بكسرهما (وجاوزنا بني اسرائيل البحر) مع السلامة بأن فلق الله البحر عند ضرب موسى البحر بالعصا روى ان موسى عبر بهم يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله تعالى فرعون وصاحبه شكر الله تعالى (فأتوا) أي فروا (على قوم يعكفون على أصنام لهم) أي يواظبون على عبادة أصنام لهم وكانت تماثيل على صور البقر وهم من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم وقرأ حمزة والكسافي بكسر الكاف والباقون بالضم (قالوا) عندما شاهدوا أحوالهم (يا موسى اجعل لنا الها) أي عين لنا تماثيل نتقرب بعبادتها الى الله تعالى (كألهم آلهة) يعبدونها (قال) موسى (انكم قوم تجهلون) فلا جهل أعظم عما ظهر منهم فانهم قالوا ذلك بعدما شاهدوا المهزة العظمى (ان هؤلاء) أي القوم الذين يعبدون تلك التماثيل (متبرهاهم فيه) أي مهلك ما هم فيه من الدين أي ان الله يهدم دينهم عن قريب ويحطم أصنامهم (وباطل ما كانوا يعبدون) من عبادتها أي فلا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا دفع ضرر (قال) موسى (أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين) أي أأطلب لكم غير الله معبودا والحال انه تعالى وحده فضلكم على عالى زمانكم بالاسلام أو فضلكم على العالمين بتخصيصكم بنعم لم يعطها غيركم كالتخصيص بتلك الآيات القاهرة فانه لم يحصل مثلها لاحد من العالمين وان كان غيرهم فضلاهم بسائر الخصال مثاله رجل تعلم علما واحدا وآخر تعلم علوما كثيرة سوى ذلك العلم فصاحب العلم الواحد فضل على صاحب العلوم الكثيرة بذلك الواحد وفي الحقيقة ان صاحب العلوم الكثيرة مفضل على صاحب العلم الواحد والمعنى أأمركم ان تعبدوا ربنا يتخذو يطلب بل الاله هو الذي يكون قادرا على الابداء واعطاء الحياة وجميع النعم (واذ أنجبناكم من آل فرعون) أي واذا كروا وقت انجائنا ياكم من فرعون وقومه بأهلاكم بالكلية وقرأ ابن عامر أنجبكم بحذف الياء والنون (يسومونكم سوء العذاب) أي يعطونكم أشد العذاب

يقولون أبناءكم صفارا (ويستحيون نساءكم) أي يستخدمون نساءكم كبارا (وفي ذلكم) أي
 الانجاء (بلاء من ربكم عظيم) أي نعمة عظيمة من ربكم ويقال وفي ذلكم العذاب بليّة عظيمة من
 ربكم (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) روى أن موسى وهو عصر
 وعدي بنى إسرائيل إذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون
 وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكتاب الذي وعده بنى إسرائيل
 فأمره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها وهي شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك بعود
 خروب فقالت الملائكة كنا نשמ من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشر
 ذي الحجة وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فكانت فتنة بنى إسرائيل في
 تلك العشر التي زادها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام (وقال موسى لأخيه هرون) عند ذهابه إلى
 الجبل للنداء (اخلفني) أي كن خليفتي (في قومي) وراقبهم فيما يأتون وما يذرون (وأصلح)
 أمور بنى إسرائيل وأمرهم بعبادة الله تعالى وهي صلاحهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) أي ومن
 دعاك منهم إلى طريق المفسدين بالمعاصي فلا توافقهم (ولما جاء موسى ليقاتنا) أي ليعادنا في مدين في
 يوم الخميس يوم عرفة فكلّمه الله تعالى فيه من غير واسطة أعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر
 (وكلّمه ربه) أي أزال الحجاب بين موسى وبين كلامه فسمعه من كل جهة (قال رب أرني أنظر إليك)
 أي أرني ذاتك بأن تمكّنني من رؤيتك فأراك (قال) تعالى له (لن تراني) أي لن تقدر أن تراني في
 الدنيا يا موسى (ولكن انظر إلى الجبل) في مدين (فإن استقر مكانه فسوف تراني) أي فإن استقر
 الجبل مكانه لرؤيتي فلعلك تراني والرؤية متأخرة عن النظر لانه تقلب الحدقة السليمة جهة المرقى التماسا
 لرؤيته والرؤية الإدراك بالباصرة بعد النظر (فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا) أي فلما أظهرت عظمته تعالى
 لجبل زبير جعله مكسورا قبل أن يجبل زبير أعظم جبل في مدين فانه صار ستة أجبل فوق ثلاثة منها
 بالمدينة وهي أحدو ورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور ونبير وحراء أي أسرار الله تعالى ملائكة
 السماء السابعة يحمل عرشه فلما بدأ نور العرش انصدع الجبل من عظمة الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي
 دكا بالمد أي مستويا بالارض وقرأ ابن وثاب دكا بضم الدال وبالقصر جمع دكا أي قطعا (وخر موسى
 صعقا) أي مغشيا عليه من هول ما رآه من النور (فلما أفاق) من غشيقته (قال سبحانك) أي
 تنزيها لك عن أن ترى في الدنيا (تبت إليك) من الجراءة على السؤال بغير إذن منك (وأنا أول المؤمنين)
 أي المقرين بأنك لا ترى في الدنيا الكل إلا نبيا وقد ثبتت الرؤية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء
 على الصحيح أو يقال وأنا أول المؤمنين بأنه لا يجوز السؤال منك إلا بأذنك (قال) تعالى له (يا موسى
 اني أصطفيتك) أي فضلتك (على الناس) أي بنى إسرائيل (برسالاتي) أي بكتب التوراة
 وقرأ نافع وابن كثير برساتي بالافراد أي تبليغ رسالتي (وبكلامي) أي وبكلامي معك بغير
 واسطة (لهذا آتيتك) أي فأعمل ما أعطيتك من الرسالة أي الوحي (وكن من الشاكرين) أي
 واشتغل بشكر الفوز بهذه النعمة وهو القيام بالواجب والعمل ولا يضيق قلبك بسبب منعك الرؤية
 (وكتبنا له في الألواح) أي وكتبنا لموسى في ألواح التوراة (من كل شيء) يحتاج إليه موسى وقومه في
 دينهم من الحلال والحرام والمحسن والمقبح (موعظة وتفصيل لكل شيء) بدل من قوله تعالى من كل
 شيء باعتبار محله وهو النصب أي كتبنا له كل شيء من المواظ التي توجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن

المعصية ومن شرح أقسام الاحكام (لتحذرها) أى فقلنا العمل بهذه الاشياء (بقوة) أى بجديونية صادقة (وامر قومك ياخذوا بأحسنها) أى التوراة أى يعملوا بحكمها ويؤمنوا بعقوباتها وقال بعضهم الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح وأحسن هذه الثلاثة الواجبات والمندوبات (سأريكم دار الفاسقين) أى سأدخلنكم الشام بطريق اليراث وأريكم منازل الكافرين الذين كانوا متواطفين فيها من الجسارة والعمالة لتعتبروا بها فلا تفسقوا مثل فسقهم وقرى سأورثكم بالثاء المثلثة (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) أى سأزيل الذين يتكبرون في الارض بالدين الباطل عن ابطال آياتي بأهلاكمهم على يد موسى وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات فلا يقدر على منع موسى من تبليغها ولا على منع المؤمنين من الايمان بها أى وانما يرى بنو اسرائيل دار الفاسقين بعد هلاكهم (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أى وان يشاهدوا كل معجزة كفر وبكل واحدة منها (وان يروا سبيل الرشدة) أى الدين الحق والخير (لا يتخذوه سبيلا) أى لا يسلكوا سبيله وقرأ حمزة والكسائي الرشدة بفتح الراء والشين والباء قون بضم الراء وسكون الشين وروى عن ابن عامر بضمين وقال أبو عمرو بن العلاء الرشدة بضم وسكون الصلاح في النظر وبفتحتين الاستقامة في الدين (وان يروا سبيل النقي) أى الضلال (يتخذوه سبيلا) أى يختارونه مسلكا لأنفسهم (ذلك) أى تكبرهم وعدم ايمانهم بشئ من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشدة واقبالهم التام الى سبيل النقي (بانهم كذبوا بآياتنا) أى حاصل بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدال على بطلان اتصافهم بالقبائح (وكانوا عتافا فلين) أى وكانوا جاحدين بها (والذين كذبوا بآياتنا) أى بآياتنا (واقامه الآخرة) أى وبلغاتهم الآخرة التي هي موعد الجزاء (حبطت أعمالهم) أى حسناتهم التي لا تتوقف على نية كصلة الارحام واطاعة الملهوفين وان نفعتهم في تخفيف العذاب لكن التخفيف لا يقال له ثواب (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أى ما يجزون في الآخرة الا على ما كانوا يعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجيلا) أى صاغ موسى السامري المتناق وهو من بني اسرائيل من بعد ان طلق سيدنا موسى عليه السلام الى الجبل عجيلا من ذهب (جسدا) أى هذا البدل لدفع قوتهم ان صورة عجل منقوشة على حائط مثلا (له خوار) أى صوت وقرأ على رضى الله عنه جوار بالميم والهمزة أى صياح قيل ان بني اسرائيل كان لهم عبيد يتزينون فيه ويستعبرون من القبط الحلي فلما أغرق الله القبط بقيت تلك الحلي في أيدي بني اسرائيل وصارت ملكا لهم فجمع السامري تلك الحلي وكان رجلا مطاعا فيهم صاغ السامري عجلا وأخذ كفاه من تراب حافر قبر جبريل عليه السلام فألقاه في جوف ذلك العجل فأنقلب العجل وظهر منه الحمار مرة واحدة فقال السامري هذا الحكم واله موسى (ألم يروا) أى ألم يعلم قوم موسى (أنه) أى العجل (لا يكلمهم) بشئ (ولا يهديهم سبيلا) بوجه من الوجوه (اتخذوه) أى عبدوه (وكانوا ظالمين) لأنفسهم حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى واشتغلوا بعبادة العجل (ولما سقط في أيديهم) أى لما اشتد ندمهم على عبادة العجل وسقط مبنى للمجهول وأصل الكلام سقطت أفواههم على أيديهم فني بمعنى على وذلك من شدة الندم فان العادة ان الانسان اذا ندم بقلبه على شئ عض بضمه على أصابعه فسقطت افواه على الأيدي لازم للندم فاطلق اسم اللازم وأريد الملزوم على سبيل الكتابة (ورأوا أنهم قد ضلوا) أى تبينوا ضلالهم تبيننا كأنهم أبصروهم بعيونهم بحيث تيقنوا ضلالهم بعبادة العجل (قالوا) أى قال بعضهم لبعض

(لئن لم يرتدوا يفرنا) فيعذبنا (لنكونن من الخاسرين) بالعقوبة وقرأ حمزة والكسائي ببناء الخطاب في الفعلين حكاية لدعائهم وينصب ربنا على النداء (ولما رجع موسى الى قومه) من مناجاته (غضبان) على قومه لاجل عبادتهم الجبل (أسفا) أى حزينا لان الله تعالى قتلهم (قال) بشما خلفتموني من بعدى) أى بشما لم تقم مقامى وكنتم خلفاى من بعد ان طلاقى الى الجبل وهذا الخطاب اما لعبدة الجبل من السامري من أشياعه أى بشما خلفتموني حيث عبدتم الجبل مكان عبادة الله تعالى واما الهرون والمؤمنين معه أى بشما خلفتموني حيث لم تمنعوه من عبادة غير الله تعالى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بشما خلفتمونيها من بعدى خلافتكم هذه (أعجلتم أمر ربكم) أى أعجلتم وعد ربكم من الأربعين فلم تصبروا له وذلك أنهم قدروا ان موسى لما رأت على رأس الثلاثين ليلة فقدمت فانهم عدوا عشرين يوما لبلياليها أربعين (وأتى الألواح) أى وضع الألواح التوراة في موضع ليتفرغ لما قصده مكانة قومه فلما فرغ عاد اليها فأخذها بعينها (وأخذ برأس أخيه) أى بشعر رأس هرون (يجره اليه) أى الى نفسه لا على سبيل الالهانة بل ليستكشف منه كيفيته تلك الواقعة (قال) هرون (ابن أم) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن قاصم بكسر الميم هنا وفي طه والباقون بفتحها في السورتين (ان القوم استضعفوني) أى وجدوني ضعيفا (وكادوا يقتلونى) لاني نهيتهم عن عبادة الجبل (فلا شئت من الأعداء) أى فلا يسر الأعداء أصحاب الجبل بما تفعل بي من المكروه (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أى ولا تظن أنى واحد من الذين عبدوا الجبل مع براى مني منهم وانما قال هرون تلك المقالة لانه يخاف أن يتوهم جهال بني اسرائيل أن موسى عليه السلام غضبان عليه كما انه غضبان على عبدة الجبل (قال) موسى (رب اغفر لي) فيما أقدمت على أخى هرون من هذا الغضب (ولا تخ) في تركه التشديد على عبدة الجبل (وأدخلنا في رحمتك) أى جنتك بزيادة الانعام بعد غفران ما سلف منا (وأنت أرحم الراحمين) فأنت أرحم بنا منا على أنفسنا (ان الذين اتخذوا الجبل) أى عبدوه واستمروا على عبادته كالسامري وأشياعه (سينالهم غضب) عظيم كائن (من ربهم) في الآخرة (وذلة في الحياة الدنيا) وهى الاغتراب والسكنة المنتظمة لهم ولا ولادهم جميعا والذلة التى اختص بها السامري هو الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس ويرى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك وادامس أحدهم أحدا غيرهم مما جميعا في الوقت (وكذلك نجزي المفترين) أى الكاذبين على الله والمعنى أن كل مفتر في دين الله فجزاؤه غضب الله والذلة في الدنيا قال مالك بن أنس ما من مبتدع الا يجد فوق رأسه ذلة لار المبتدع مفتر في دين الله (والذين هملوا السيات) أى التى من جملتها عبادة الجبل (ثم تابوا) عن تلك السيئات (من بعدها) أى من بعد عملها (وآمنوا) ايمانا صحيحا بالله تعالى بأن صدقوا بأنه تعالى لا اله غيره ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى (ان ربك) أى يا أفضل الخلق (من بعدها) أى من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان (لغفور) للذنوب وان عظمت وكثرت (رحيم) أى مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخرية أى من أتى بجميع السيئات ثم تاب فان الله يغفره له وهذا من أعظم ما يفيد البشارة للذنبين (ولما سكت) أى زال (عن موسى الغضب) باعتذار أخيه وتوبة القوم وقرئ سكن بالنون وأسكت بالتاء مع الهـ مزعة على أن الفاعل هو الله تعالى وأخوه (أخذ الألواح وفي نسختها) أى وفي المكتوب فيها من الألواح المحفوظ (هدى) أى بيان للحق (ورحمه) للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح (لذين هم لهم رهبون) اللام الاولى متعلق بمحذوف هو صفة لرحمة والثانية لتقوية

عمل الفعل المؤخر (واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا) روى أن موسى اختار من اثني عشر سبطاً ستة فصاروا اثنين سبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لن قعد منكم مثل آخر من خرج ففقد كالب ووشع وذهب مع الباقيين وأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم يخرج بهم إلى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخرجوا سجداً فسمعوا تعالى يكلم موسى بأمره وينهاه ثم أذن كشف الغمام فأقبلوا إلى موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة أي لن نصدقك في أن الأمر بما سمعنا من الأصربة لي أنفسهم هو الله تعالى حتى نراه فأخذتهم رجفة الجبل فأتوا يوماً وإيلة تنبيهه اختار يتعدى إلى اثنين ثانیهما محرورين ثم يحدف حرف الجر ويوصل الفعل إلى المحرور وسبعين مفعول أول (قلما أخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة (قال) موسى (رب لو شئت أهلكتهم من قبل) أي من قبل خروجهم إلى الميقات (واي) معهم قاله تسليم لقضاء الله تعالى أي أنا كما مستحقين للإهلاك ولم يكن من موافقة الإعدام مشيئتك إياه (أهلككم بما فعل السفهاء منا) أي ظن موسى أن أهلكهم الله بعبادة قومه الجهل وقال هذا على طريق السؤال وقال المبرد هو استغفام استعطاف أي لا تهلككم بسبب فعل عباد الجهل (إن هي الا فتنتك) أي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء الا محنتك بأن أوجدت في الجهل خوارق اغوايه وأسمعتهم كلامك فافتنتوا بذلك حتى طمعوا فيما فوق ذلك (تضل بها) أي بتلك الفتنة (من تشاء) اضلاله فلا يهتدي إلى التثبت (وتهدي من تشاء) هدايته إلى الحق فلا يتزلزل في أمثاله فيقوى بها إيمانه (أنت ولينا) أي أنت القائم بأمورنا الدنيوية والآخرية (فاغفر لنا) ما قارفناه من المعاصي (وارحمنا) بأفاعة آثار الرحمة الدنيوية والآخرية علينا (وأنت خير الغافرين) لأنك تغفر ذنوب عبادك لا لغرض بل لمحض الفضل والكرم أما غيرك فأنما يتجاوز عن الذنب إما طلباً للثواب الجزيل أو للشنا الجليل أو دفعاً للريبة الخسيسة عن القلب (واكتب لنا) أي أثبت لنا (في هذه الدنيا حسنة) أي نعمة وطاعة (وفي الآخرة) أي واكتب لنا في الآخرة حسنة وهي الجنة (أنا هدنا إليك) أي رجعنا عما صنعنا من العصية التي جئناك للاعتذار عنها (قال) تعالى (عذابى أصيب به من أشاء) وليس لاحد على اعتراض لأن الكل ملكى وقرأ الحسن من أساء فعل ماض من الأساء واختار الشافعى هذه القراءة (ورحمى وسعت كل شيء) أي إن رحمته في الدنيا سعت الكل وأما في الآخرة فرحمته مختصة بالمؤمنين كما أشار تعالى إليه بقوله تعالى (فسأكتبها) أي فسأثبتها في الآخرة (للذين يتقون) أي الكفر والمعاصي (ويؤتون الزكاة) أي يعطون زكاة أموالهم (والذين هم بآياتنا) أي دلائل وحدانيتنا وقدرتنا (يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) أي الذي لم يمارس القراءة والكتابة ومع ذلك قد جمع علوم الأولين والآخرين (الذي يجدر به) أي يلحقون اسمه ونعته (مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) الذين تعبد بهما بنو إسرائيل (بأمرهم بالمعروف) أي بالتوحيد وبمكارم الأخلاق وبر الوالدين وصلة الأرحام (وينهاهم عن المنكر) أي عبادة الأوثان والقول في صفات الله بغير علم والكفر بما أنزل الله على النبيين وقطع الرحم وعقوق الوالدين (ويحل لهم الطيبات) أي الأشياء المستطابة بحسب الطبع فكل ما تستطيه النفس ويستلذه الطبع فهو حلال الدليل منفصل (ويحرم عليهم الخبائث) أي كل ما يستخبئه الطبع وتستغذره النفس فكل ما يستخبئه الطبع حرام الدليل منفصل وعلى هذا فرع الشافعى تحريم بيع الكلب لأنه روى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الكلب خبيث

وخبيث غنه واذا ثبت أن غنه خبيث ثبت أن يكون محرماً ما وانحر محرمة لانها رخص والرجس خبيث باطباق
 أهل اللغة عليه والخبيث حرام (و يضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) أي تخفف عنهم
 ثقلهم والشدائد التي كانت في عباداتهم كقطع أثر البول من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السب
 وقتل النفس في التوبة وتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وعن عطاء كانت
 بنو اسرائيل اذا قاموا الى الصلاة لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم تواضعاً لله تعالى فعلى هذا
 القول الاغلال غير مستعارة أي وكانت هذه الاغلال في شريعة موسى عليه السلام فلما جاء محمد صلى الله
 عليه وسلم نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بعث بالحنيفية السمحة وقرأ ابن عامر
 وعده أصارهم على الجمع (فالذين آمنوا به) أي بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم لم من اليهود كعبداً لله بن
 سلام وأصحابه (وعزروه) أي أعانوه بمنع أعدائه منه (ونصروه) على أعدائه في الدين بالسيف
 (واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي واتبعوا القرآن الذي أنزل مع نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان نبوته
 ظهرت مع ظهور القرآن وعبر عنه بالنور الدال على كونه مظهر للحقائق (أولئك هم المفلحون) أي
 الفائزون بالمطلوب في الدنيا والآخرة الناجون من السخط والعذاب لا غيرهم من الأمم (قل يا أيها
 الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والارض) الذي (لا اله الا هو يحيي ويميت) واعلم
 أن هذه الدعوى وهي دعوى رسول الله لا تظهر فائدتها الا بتفري ر أصول ثلاثة أولها اثبات أن للعالم لها
 حيا عالماً قادراً والذي يدل عليه ما في قوله تعالى الذي له ملك السموات والارض لانه بقدرة عدم حصول
 مؤثر للعالم في وجوده أو بقدرة كون المؤثر موجبا بالذات لافاعلا بالاختيار لم يصح القول ببعثة الانبياء
 عليهم السلام وثانيها اثبات أن اله العالم واحد منزه عن الشريل والصد والند واليه الاشارة بقوله تعالى
 لا اله الا هو لانه اذا لم يثبت كون اله تعالى واحداً لم يكن ارسال الرسل وانزال الكتب جائزاً لانه بتقدير
 كون الهين للعالم يجوز أن يكون الانسان الذي يدعوهم رسول أحدهما مخلوقاً لله الثاني فإيجاب الطاعة
 على اله الذي لم يخلقه ظلم وباطل وثالثها اثبات انه تعالى قادر على الحشر والنشر والبعث والقيامة واليه
 الاشارة بقوله تعالى يحيي ويميت لانه تعالى لما أحيأ ولا ثبت كونه تعالى قادراً على الأحياء ثانياً ويكون
 قادراً على إيصال الجزاء لانه بتقدير عدم ثبوت الاعادة كان الاشتغال بالطاعة والاحترار عن المعصية
 عبثاً ولو لم يثبت القول بصحة هذه الاصول الثلاثة ثبت أنه يصح من الله تعالى ارسال الرسل ومطالبة
 الخلق بالتكاليف لان الخلق كلهم عبيده تعالى ولذلك قال تعالى (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي)
 الذي يؤمن بالله وكلماته) واعلم أن هذا اشارة الى المجزات الدالة على كون محمد نبياً حقا ومجزات
 رسول الله كانت على نوعين الاول المجزات التي ظهرت في ذاته المباركة وأجلها أنه صلى الله عليه وسلم كان
 رجلاً آمياً لم يتعلم من أستاذ ولم يطالع كتاباً ولم يتفق له مجالسة أحد من العلماء ومع ذلك فتح الله عليه باب
 العلم وأظهر عليه القرآن المشتمل على علوم الاولين والآخرين فظهر هذه العلوم العظيمة على من كان
 صفته آمياً من أعظم المجزات والثاني المجزات التي ظهرت من مخرج ذاته مثل انشقاق القمر ونسوع
 الماء من بين أصابعه وهي تسمى بكلمات الله تعالى لانها لما كانت أمراً غريبة خارقة للعادة تسمى بكلمات
 الله كما أن عيسى عليه السلام لما كان حدوثه امر غريباً مخالفاً للعتاد سماه الله تعالى كلمة وقال ابن عباس
 ومعنى كلماته بالجمع كتابه وهو القرآن وان قرئ وكلمته بالافراد كان معناه عيسى وهذا تنبيه على ان من
 لم يؤمن به لم يعتد بإعلانه وتعرض باليهود ولما ثبت بالدلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ذكر الله الطريق

الذي به يمكن معرفة شرعه بالتفصيل وهو الرجوع الى أقواله وأفعاله فقال (واتبعوه) أي في كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين (لعلكم تهتدون) أي وجاء لاهتدائكم الى المطلوب (ومن قوم موسى أمة) أي جماعة (يهدون بالحق) أي يدعون الناس الى الهداية بالحق (وبه) أي بالحق (يعدلون) في الأحكام الجارية فيما بينهم فقيل هم اليهود الذين كانوا في زمان الرسول وأسلموا مثل عبد الله بن سلام وابن صوريا وقيل انهم قوم مشوا على الدين الحق الذي جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف في زمن تفرق بني اسرائيل واحداهم البدع وقال السدي وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما كفروا وقتلوا الانبياء بقي سبط من جملة الاثني عشر فاصنعوا وسألوا الله تعالى أن ينقذهم منهم ففخ الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين عند مطلع الشمس الى نهر رملي يسمى أردن وهم اليوم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا عما) أي فرقنا بني اسرائيل اثنتي عشرة فرقة لانهم كانوا من اثني عشر رجلا من أولاد يعقوب وميزنا بعضهم من بعض أسباطا قائم مقام قبيلة وهو تمييز أو بدل من اثنتي عشرة وأعمال بدل من أسباطا أي وصيرناهم أعمالا ن كل سبط كان أمة عظيمة (وأوحينا الى موسى اذا استسقاء قومه) حين استولى عليه العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم باستسقاء موسى لهم (أن اضرب بعصاك الحجر) الذي معك (فانبعثت) أي فضرب فانبعثت (منه اثنتا عشرة عينا) بعدد الاسباط (قد علم كل أناس) أي كل سبط (مشر بهم) أي عينهم الخاصة بهم (وظلنا عليهم الغمام) في التيه من حر الشمس تسير الغمام يسيرهم وتسكن باقامتهم وتضي لهم في الليل مثل السراج (وأزلنا عليهم المن) وهوشى حلوا كان ينزل عليهم مثل الثلج من الفجر الى طلوع الشمس ويأخذ كل انسان صاعا (والسلوى) أي الطير السمان يتخفيف اليم وبالقصر وتسوقه الريح الجنوب عليهم فيذبح كل واحد منهم ما يكفيه وهو عوت اذا جمع صوت الرعد فيلهم الله تعالى أن يسكن جزائر البحر التي لا يكون فيها مطر ولا رعد الى انقضاء أوانهم ما فيخرج من الجزائر ويتشر في الارض وخاصيته ان كل لحه يلين القلوب القاسية (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أي وقتلناهم كلوا من مستلذاته من المن والسلوى والمعنى قصر أنفسهم على ذلك المطعوم وعلى ترك غيره فامتنعوا من ذلك وشتموا وسألوا غير ذلك (وما ظاونا) بقبالة تلك النهم بالسفران (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بخالفهم ما أمر ربه (واذ قيل لهم) أي اذ كريا أكرم الرسل لبني اسرائيل وقت قوله تعالى لا سلافهم (اسكنوا هذه القرية) أي قرية الجبارين قوم من بقية هادريسهم عوج بن عنق أي قال الله تعالى على لسان موسى لهم اذا خرجتم من التيه اسكنوا بيت المقدس أو قال لهم على لسان يوشع بعد خروجهم من التيه اسكنوا أريحا (وكلوا منها) أي القرية (حيث شئتم) ومتى شئتم (وقولوا حطة) أي أمرك حطة لنفوسنا (وادخلوا الباب) أي باب القرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها (مجددا) شكرنا على اخراجهم من التيه (نغفر لكم خطيئاتكم) وقرأ نافع وابن عامر تغفروا بالتاء المضمومة وقرأ نافع خطيئاتكم بجمع السلامة وابن عامر خطيئته كم على التوحيد والباقون تغفرونون مفتوحة وأبو عمرو خطاياكم بجمع التكسير والباقون خطيئاتكم بجمع السلامة وفي قراءة يغفروا بالياء فعلى هذا لا يقرأ خطايا بالافراد وعلى التاء لا يقرأ خطايا (سنزيد المحسنين) بالطاعة في احسانهم (فبدل الذين ظلموا منهم) وهم أصحاب الخطيئة (قولا غير الذي قيل لهم) أي غير الذي أمر لهم بالذي أمرهم من التوبة وقالوا ما كان حطة خنطة وروى انهم دخلوا زاحفين على ادبارهم استخفافا بأمر الله

تعالى واستهزأهم (فأرسلنا عليهم) عقب ما فعلوا من غير تأخير (رجزاً من السماء) أى عذاباً
كثافاً منها وهو الطاعون (بما كانوا يظلمون) أنفسهم لانهم خرجوا عن طاعة الله تعالى روى انه مات
منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) أى واسأل
يا أشرف الخلق اليهود المعاصرين لك سؤال تقرير عن خبر أهل المدينة التي كانت قريبة من بحر القلزم
وهي ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هي قرية يقال لها مقنايين مدين وعينونا وسبب نزول هذه الآية ان
اليهود قالوا لم يصدر من بنى اسرائيل كفروا لمخالفة للرب فأمر الله تعالى أن يسألهم عن حال أهل هذه
القرية في زمن داود عليه السلام تقرير عافاتهم يعتقدون انه لا يعلمه أحد غيرهم فذكر الله لهم قصة أهل تلك
المدينة فبهتوا وظهر كذبهم (اذ يعدون في السبت) أى يجاوزون حد الله تعالى بأخذ الحيتان يوم السبت
وقد نها عنه (اذ تأتاهم حيثما هم يوم سبتهم) أى يوم تعظيمهم لامر السبت بالتجرد للعبادة (شرعاً)
أى ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل (ويوم لا يسبتون) وقرئ شاذة بضم الباء وقرأ على رضى
الله عنه بضم الياء من الر باعى وعن الحسن البناء لأفعل أى لا يدخلون في السبت (لا تأتاهم) قال ابن
عباس ومجاهدان اليهود أمروا باليوم الذى أمرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاههم
الله به وحرم عليهم الصيد فيه وأمروا بتعظيمه فاذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون اليها في
البحر فاذا انقضى السبت ذهبوا وما تعودوا الا في السبت المقبل (كذلك) أى مثل ذلك البلاء (نبأهم)
أى نعاملهم معاملة من يجتبرهم (بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم (واذ قالت أمة منهم) أى
أى جماعة من أهل القرية من صلاتهم الذين ركبوا الصعب في موعظة أولئك الصيادين حتى أيسوا
من قبولهم لاقوام آخرين لا يقلعون عن وعظهم رجاء للنفع وطمعاً في فائدة الانذار (لم تعظون قوماً الله
مهلكهم) أى مخزهم في الدنيا (أو معذبهم عذاباً شديداً) فى الآخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من
الفسق (قالوا) أى الواعظون (معذرة) قرأ حفص عن عاصم بالنصب أى وعظناهم لاجل
المعذرة والباقون بالرفع أى وعظتنا معذرة (الى ربكم) لئلا ننسب الى نوع تغريط في النهي عن
النكر (ولعلمهم يتقون) أى ورجاء لان يتقوا بعض التقاة (فلما نسوا ما ذكروا به) أى فلما تركوا
ما وعظوا به بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ أصلاً (ألمجينا الذين ينهون عن سوء) أى عن
أخذ الحيتان يوم السبت وهم الفريقان المذكوران (وأخذنا الذين ظلموا) بأخذ الحيتان ذلك اليوم
(بعذاب بئيس) أى شديد وقرأ أبو بكر بيش على وزن ضيغ وابن عامر بيش بوزن حذر (بما كانوا يفسقون)
أى أخذناهم بالعذاب بسبب الفسق الذى هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم فالباء آن متعلقان بأخذنا
(فلما عتوا عما نهوا عنه) أى فلما أبوا عن ترك ما نهوا عنه (فلما هم كونا قردة خاسئين) أذلاء بعداء عن
الناس (واذ تأذن ربك لبيعن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم) أى يذيقهم (سوء العذاب) أى
واذكر يا أكرم الرسل اذا علم الله أسلاف اليهود على السنة أنبيائهم ان لم يؤمنوا بأنبيائهم ان يسلط
عليهم من يقاثلهم الى ان يسلموا أو يعطوا الجزية وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأمتة (ان ربك لسريع
العقاب) اذا جاء وقته لمن عصاه فيعاقبهم في الدنيا أما قبل مجي وقت العذاب فهو شديد الحلم (وانه لغفور
رحيم) لمن تاب من الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام (وقطعناهم في الارض أعما) أى فرقنا
اليهود الذين كانوا قبل زمن النبي صلى الله عليه وسلم في الارض فرقا كثيرة حتى لا تكون لهم شوكة فلا
يوجد بلد الا وفيه طائفة منهم (منهم الصالحون) وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم أو الذين وراة

نهر الرمل (ومنهم دون ذلك) أى ومنهم من ثبت على اليهودية وخرج من الصلاح (وبلونا هم بالحسنات)
 أى بالنعم والخصب والعافية (والسيئات) أى بالجدوبة والشدة (لعلهم يرجعون) أى لكي يرجعوا عن
 معصيتهم إلى طاعة ربهم فإن كل واحد من الحسنات والسيئات يدعو إلى الطاعة بالترغيب والترهيب
 (خلف من بعدهم خلف) أى جاء من بعدهم هؤلاء الذين وصفناهم بطل سوء (ورثوا الكتاب) أى أخذوا
 التوراة من أسلافهم (ياخذون عرض هذا الأدنى) أى متاع الدنيا على تحريف الكلام في صفة محمد صلى
 الله عليه وسلم وفي الأحكام وهم يستحقون ذلك الذنب (ويقولون سيغفرو لنا وإن يأتهم عرض مثله
 يأخذوه) أى ويقولون لا يؤاخذنا الله تعالى وإن يأتهم متاع مثل ما أتاهم أمس يأخذوه لحرصهم على
 الدنيا ولا يستمتعون منه أو المعنى أنهم يمتنون المغفرة من الله تعالى والحال أنهم مصررون على الذنب غير
 تائبين عنه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق) أى ألم يؤخذ عليهم ميثاق كائن
 في التوراة أن لا يقولوا على الله إلا الصدق وقد منعوا فيها عن تحريف الكتاب وتغيير الشرائع لأجل أخذ
 الرشوة وللمعنى فقيهه اقترأه على الله تعالى ففيها من ارتكب ذنبا عظيما فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة وإن لا
 يقولوا عطف بيان للميثاق (ودرسوا ما فيه) أى ذكروا ما في الكتاب لأنهم قرؤوه أو ذكروا ما أخذ
 عليهم لذلك وهذا عطف على ورثوا أو على ألم يؤخذ فإن المقصود من الاستفهام التقريرى إثبات ما بعد
 النفي والمعنى قد أخذ عليهم الميثاق ودرسوا ما في ذلك الميثاق (والدار الآخرة) أى الجنة (خير للذين
 يمتقون) عقاب الله من تلك الرشوة الخبيثة (أفلا تعقلون) إن الدنيا فانية والآخرة باقية وقرأنا نافع
 وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب التفاتا لهم ويكون المراد إعلاما بتمامهاى الغضب وتشديد التوبيخ
 أو يكون خطا بهذه الامة أى أفلا تعقلون حالهم والباقون بالياء على الغيبة مراعاة لها في الغمائر
 السابقة (والذين يحسبون) قرأه أبو بكر عن طاصم بسكون الميم والباقون بفتحها وتشديد الميم
 (بالكتاب) أى والذين يعملون بما في الكتاب (وأقاموا الصلاة) واقفا أقربت بالذكريانها أعظم
 العبادات بعد الإيمان (أنا لا نضيع أجر المصلين) وهذه الجملة خبر للوصول إلى الربط حاصل بلفظ
 المصلين لأنه قائم مقام الضمير لا سيما فيه الألف واللام فانها تكفى في الربط عند الكوفيين وقيل الخبر
 محذوف والتقدير منا بون يقوله تعالى أنا لا نضيع اعتراض وهذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه
 (ولم يؤخذوا الجبل فوقهم كأنه ظلة) أى واذا ذكر يا أممرف الخلق إذ قلنا الجبل الذى سمع موهى عليه كلام
 ربه وأعطى الألواح وجعلناه فوق رؤسهم كأنه سقيفة (وظنوا أنه واقع بهم) إن لم يقبلوا أحكام
 التوراة: (خذوا ما آتيناكم بقوة) أى وقتنا لهم إلهوا بما أعطيناكم بجد على أحفلك كما ليغفر (واذا ذكروا
 ما فيه) من الثواب والعقاب ويقال لحفظوا ما فيه من الأمر والنهى ويقال لعملوا بما فيه من التللال
 والحرام (لعلكم تتقون) أى راجعين أن تنتظموا في سلك المتقين (واذا أخذ ربك من بنى آدم من
 ظهورهم ذرياتهم) وقرأنا نافع وأبو عمرو وابن طاهر على الجضع والباقون على التوحيد أى وإذا ذكر يا أممرف
 الخلق لليهود حين أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم (وأشهدهم على أنفسهم) تذاك (ألم
 نرى بكم قالوا لى شهدنا) وذكري هذه الآية يجزى مجزى تقرير المحبة على جميع المكلفين والمقصود من
 ذكرها هنا الاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس كافة ومنعهم عن التقليد
 وحملهم على الاستدلال وفي تفسير هذه الآية طريقان طريق السلف وطريق الخلف فطريق السلف
 إن الله تعالى لما خلق آدم أخرج أولاده من آدم كالأزمنة ظهره أى من جسام شعر ظهره اذ تحت كل شعرة

تعبه دقيقة يقال لها سم مثل سم الحياط في النفوذ فتخرج الذرة الضعيفة منها كما يخرج الصبيان من
العرق السائل ثم أخرج من هذا الذر الذي أخرج من آدم ذريته ذرائع أخرج من الذر الآخر ذريته ذرا
ثم أخرج من الذر الآخر ذريته ذرا وهكذا إلى آخر النوع الانساني والمحصرا لجميع قدام آدم ونظر لهم بعينه
وخلق الله تعالى فيهم العقل والفهم والنطق وجعل الذر المسلم أبيض والكافر أسود وخاطب الجميع
بقوله تعالى ألسنت بر بكم فقال الجميع بلى أي أنت ربنا ثم أعاد الجميع إلى ظهر آدم ويجب اعتقاد إخراج
الذرية من ظهر آدم كما شاء الله ومعنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم الخ أي استنطقهم
بربوبيته تعالى فأقروا بذلك وقال الحكيم الترمذي إن الله تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة منه
تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم وتجلي للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى مطيعين مختارين فنفعهم إيمانهم وطريق
الحلف إن الله تعالى أخرج الذرية وهم الأولاد من أصلاب آبائهم وذلك لإخراجهم من كلوا نطفة
فأخرجها الله تعالى في أرحام الأمهات وجعلها علة ثم مضى ثم جعلهم بشر أسويا وخلقها كاملا ثم
أشهدهم على أنفسهم بعبادته فيهم من دلائل واحدانيته ومجائب خلقه وغرائب صنعه فبالأشهاد
صاروا كأنهم قالوا بلى وإن لم يكن هناك قول باللسان فمحصل هذه الطريقة أنه لا إخراج ولا قول ولا
شهادة بالفعل وإنما هذا كله على سبيل المجاز التمثيلي فشبه حال النوع الانساني بعد وجوده بالفعل
بصفات التكليف من حيث نصب الأدلة له الدالة على ربوبيته الله المقتضية لأن ينطق ويقر بعبادتها
بأخذ الميثاق عليه بالفعل بالاقرار بما ذكره حينئذ فعنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بر بكم
أي ونصب الله لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بعد نزلة من قبل
لهم ألسنت بر بكم قالوا بلى فنزل عليهم من العلم ما وعدهم من منزهة الأشهاد والاعتراف على طريقة
التخيل والله أعلم بحقيقة الحال (أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا فافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا
من قبل) وقرأ أبو عمرو وبالياء على الغيبة والباقيون بالتاء وفي قوله تعالى شهدنا قولان فقيل أنه من كلام
الملائكة وذلك لأنهم لما قالوا بلى قال الله تعالى للملائكة أشهدوا فقالوا شهدنا عليهم لثلاثين قولاً قررنا
أو ثلاثين قولاً أيها الكفرة أو شهدنا عليهم كراهة أن يقولوا وقيل أنه من بقية كلام الذرية أي وأشهدهم
على أنفسهم بكذا وكذا لثلاثين قولاً يوم القيامة عند ظهور الأمر أنا كنا عن واحدانية الربوبية لا نعرفه أو
كراهية أن يقولوا ذلك وعلى هذا التقدير فلا يجوز الوقف عند قوله شهدنا ولا يحسن على بلى وقوله أو
تقولوا معطوف على أن يقولوا والمعنى أن القصد من هذا الأشهاد لثلاثين قولاً الكفار إنما أشركنا لأن
آباؤنا أشركوا من قبل زماننا فقلنا هم في ذلك الشرك وقال الحلف معنى هذه الآية أنا نصبنا هذه الدلائل
وأظهرناها للعقول كراهية أن يقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا فافلين فأنهينا عليهم منبه أو كراهية أن
يقولوا إنما أشركنا على سبيل التقليد لا بسبب الأدلة على التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم في
الاعتراف عنه والاعبال على الاقتداء بالآباء كما قالوا (وكنادريتهم بعدهم) لا تعذر على الاستدلال
بالدليل (أفهل كننا جماع) المنطوق من آياتنا المضلين فالأخذة إنما هي عليهم والمعنى لا يمكنهم الاحتجاج
بذلك لأنه قامت الحجة عليهم يوم القيامة لأخبار الرسل أيهم بذلك الميثاق في الدنيا فن أنكره كان معاندا
ناقضا لله يهدول منتهى الحجة ولا تسقط الحجة بنسبائهم بعد أخبار الرسل (وكذلك تفصل الآيات ولعلمهم
يرجعون) أي مثل ما بينا خبر الميثاق في هذه الآية تبين سائر الآيات ليتدبروها فيرجعوا إلى الحق
ويعرضوا عن الباطل (واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فانسخط منها فأتبعه الشيطان فكان من

الغاوين) أى واتل يا أكرم الخلق على اليهود خبر الذى آتيناك علوم الكتب القديمة والتصرف بالامم
 الاعظم وهو أحد علماء بني اسرائيل فكان يدعو به حيث شاء فحجاب به من ما طاب في الحال وكان بحيث
 اذا نظر رأى العرش وكان في مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمنعين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث كان
 أول من صنف كتابا ان ليس للعالم صانع وهذا معنى فانسلخ منها أى انسلخ من تلك الآيات انسلاخ الحية
 من جلدها بان كفر بها فأدركه الشيطان فصار من زمرة الضالين قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد
 رحمهم الله تعالى نزلت هذه الآية في بلتم بن باعورا وذلك لان موسى عليه السلام قصد بلده الذى هو فيه
 وغزا أهله وكانوا كفارا فطلبوا منه ان يدعو على موسى عليه السلام وقومه وكان محجاب الدعوة وعنده
 اسم الله الاعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه منه حتى دعا عليه فاستجيب له ووقع موسى وبني اسرائيل
 في التيه بطائفة فقال موسى يارب باى ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاه بلم فقال كما سمعتم دعاءه على
 فاسمع دعائى عليه ثم دعا موسى عليه ان ينزع منه اسم الله الاعظم والايمان فسطه الله عما كان عليه ونزع
 منه المعرفة فخرجت من صدره كحماة بيضاء (ولو شئت انرفعناه بها) أى ولو شئت انرفعناه للعمل بتلك
 الآيات فكان يرفع منزلته بواسطة تلك الاعمال الصالحة (ولكنه أخذ الى الارض) أى مال الى الدنيا فأثر
 الدنيا الدنية على المنازل السنية (واتبع هواه) فى ايثار الدنيا معرضا عن تلك الآيات الجلية (فثله كمثل الكلب
 ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) أى صفة بلم كصفتى الكلب فى حاتى التعب والراحة فهذا الكلب ان
 شدة عليه لهث وان تركه أيضا لهث لاجل ان ذلك الفعل القبيح طبيعة أصلية له فكذلك هذا الحريص الضال
 ان وعظمته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال لاجل ان ذلك الضلال طبيعة ذاتية له واللهث ادلاع اللسان
 بالتنفس الشديد أى فالكلب دائم اللهث سواء أزعجته بالطرد العنيف أو تركته على حاله بخلاف سائر
 الحيوانات فانه لا يحتاج الى التنفس الشديد الا عند التعب (ذلك) أى المثل السبي (مثل القوم الذين
 كذبوا بآياتنا) وهم اليهود حيث أوتوا فى التوراة ما أوتوا من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وبشروا
 الناس باقتراب مبعثه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة (فاقصص القصص) أى
 فاقصص يا أكرم الرسل على قومك قصص الذين كذبوا أنبياءهم (لعلهم يتفكرون) أى يتعظون
 (سواء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى سواء مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجج عليها
 وعلمهم بها (وأنفسهم كانوا يظلمون) معطوف على كذبوا داخل معه فحكم الصلة أى الذين جمعوا بين
 التكذيب فى آيات الله وظلم أنفسهم خاصة وقرأ الجحدرى سواء مثل القوم (من يهدى الله فهو المهتدى)
 أى من يخلق الله فيه الاهتداء فهو المهتدى لدينه بآيات الياه وصلا ووقفا عند جميع القراء لثبوتها فى
 الرسم بخلاف ما فى الكهف والاسراء (ومن يضل) أى بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة
 لصرف اختياره جهتها (فأولئك) الموصوفون بالضلالة (هم الخاسرون) أى السكاملون فى الخسران
 فى الدنيا والآخرة فالهداية والضلالة من جهة الله تعالى وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية
 فى حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه سوى كونها دواعى الى صرف العبد اختياره جهة تحصيله
 كسائر أفعال العباد (ولقد ذرأنا) أى خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها)
 بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيل الفهم فلههم وصف أحوال من كثيرا قلوب فاعل به (ولهم أعين
 لا يبصرون بها) شيئا من المبصرات ابصارا اعتبارا (ولهم آذان لا يسمعون بها) أى شيئا من المسموعات
 سماع تأمل فلا يفقهون بقلوبهم ولا يبصرون بأعينهم ولا يسمعون بأذانهم ما يرجع الى مصالح الدين

(أولئك) أى الموصوفون بالأوصاف المذكورة (كالأنعام) فى انتفاء الشعور (بل هم أضل) من الأنعام لأنها تعرف صاحبها وتطيعه وهؤلاء الكفار لا يعرفون ربهم ولا يطيعونه وفى الخبر كل شئ أطوع لله من ابن آدم (أولئك هم الغافلون) عما أعد الله لأوليائه من الثواب ولأعدائه من العقاب (ولله الأسماء الحسنى) أى الأسماء التى هى أحسن الأسماء وأجلها للدلالة على أحسن المعاني وأشرفها (فادعوه بها) أى قسموه بتلك الأسماء (وذروا الذين يلمدون فى أسمائه) أى واجتنبوا الذين يميلون فى شأن أسمائه الله تعالى عن الحق إلى الباطل أما بأن يسهوه تعالى بما لا اذن فيه من كتاب وسنة أو بما يوهم معنى فاسد فلا يجوز أن يقال لله تعالى يا سمحى ولا يا عاقل ولا يا طيب ولا يا قهيب ولا يجوز أن يقال لله تعالى يا نجى يا أبا المكارم يا أبيض الوجه لأن أسمائه الله تعالى توقيفية أى تعليمية من الشرع لا اصطلاحية وقوله تعالى والله الأسماء الحسنى فادعوه بها يدل على أن الإنسان لا يدعوه إلا بتلك الأسماء الحسنى وهذه الدعوة لا تنأت إلا إذا عرف معنى تلك الأسماء وعرف بالدليل أنه الهاور باخا لقاموصوفاً بتلك الصفات الشريفة فإذا عرف بالدليل ذلك لم يفتضح أن يدعو به بتلك الأسماء والصفات ثم إن لتلك الدعوة شرائط كثيرة منها أن يستحضر الأمرين عزرة الربوبية وذلة العبودية فهناك يحسن ذلك الدماء ويعظم موقع ذلك الذكر وقرأ حمزة يلمدون بفتح الياء والحاء وواقفه عاصم والكسائى فى النحل (سيجزون) فى الآخرة (ما كانوا يعملون) وهذا تهديد لمن الخد فى أسمائه الله تعالى (ومن خلقنا أمة) أى طائفة كثيرة (يهدون بالحق) أى يهدون الناس ملتبسين بالحق ويدلونهم على الاستقامة (وبه يعدلون) أى وبالحق يحكمون فى الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجوزون فيها (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أى والذين كذبوا بآياتنا التى هى معيار الحق وهو القرآت سنقر بهم إلى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك لأنهم كلما أوتوا بجرم فحق الله عليهم باباً من أبواب النجاة والخير فى الدنيا فزادوا بطرا وانهم ما كفى الفساد ويتدرجون فى المعاصى بسبب ترادف تلك النعم ثم يأخذهم الله تعالى دفعة واحدة على غرهم أغفل ما يكون (وأمل لهم) أى أمهلهم وأطيل مدة أعمارهم (ان كيدى متين) أى ان استدراجى قوى لا يدافع بقوة ولا بحيلة وسمى العذاب كيداً لأن ظاهره احسان ولطفه وباطنه خذلان وقهر (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة) أى أ كذبوا بآياتنا ولم يتفكروا ليس بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم حالة قليلة من الجنون والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم للإعلام بأن طول مصاحبته صلى الله عليه وسلم عما يطعمهم على تراهته صلى الله عليه وسلم عن شائبة جنون فنانا قيسة اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجملة فى محل نصب معمولة ليتفكروا (ان هو الا تفر مبین) أى ما هو الا رسول مخوف مظهر لهم فى التخويف ببلغة يعلمونها (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ) أى أ كذبوا بها ولم ينظروا فطرأمل فيه ما يدل عليه السموات والأرض من عظم الملك وكمال القدرة وفى ما خلق الله فيهما من جليل ودقيق ليدلهم ذلك على العلم بواحداً نية الله تعالى وبساتر شؤنه التى ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها فان كل فرد من أفراد الأكوان دليل لا تخفى على الصانع المجيد وسبيل واضح إلى التوحيد (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) أى وفى أن الشأن عسى أن يكون أجلهم قد اقترب أى لعلمهم عوتون عن قريب فالهسم لا يسارعون إلى التدبر فى الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية فهل كوا على الكفر ويصبروا إلى النار (فبأى حديث بعده يؤمنون) أى فبأى كتاب بعد القرآن يؤمنون إذ لم يؤمنوا به أى لأنهم اذالم

يؤمنوا بهذا القرآن مع ما فيه من هذه التنبيهات الظاهرة فكيف يرضى منهم الايمان بغيره (من يضل الله فلا هادي له) فان اعراضهم عن الايمان لا ضلال الله اياهم (ويذرهم في طغيانهم) أي ضلالهم (يعمّهون) أي يعميرون وقرآنهم وابن كثير وابن هاشم ونذرهم بالنون والرفع على طريقة الالتفات وأبو عمرو وبالياء والرفع وحزرة والكسائي وبالياء والجزم وقد روى الجزم بالنون عن نافع وأبي عمرو في الشواذ (يسألونك) يا أشرف الخلق سؤال استهزاء (عن الساعة) أي عن وقت القيامة منهم عمل بن أبي قشير وشمويل بن زيد والساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة على حين غفلة من الخلق أولان حساب الخلق يقضى فيها في ساعة واحدة أو لانها مع طولها في نفسها ساعة واحدة عند الخلق (أيان مرساها) أي متى حصولها (قل انما علمها عند ربّي) أي انه تعالى قد انفرده بحيث لم يخبر به أحد من ملائكة مقرب أو نبى مرسل (لا يجليها لوقتها) أي لا يظهر أمرها الذي تسألونني عنه في وقتها المعين (الاهو) أي لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاعلام الا هو (ثقلت في السموات والارض) أي ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين على أهل السموات والارض فلم يعلم أحد من الملائكة المقربين والانبياء المرسلين متى وقوعها (لا تأتاكم الا بغتة) أي فجأة على غفلة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تغيب الناس فالرجل يصلح موضعه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (يسألونك كأنك حفي عنها) أي يسألونك عن كنه ثقل الساعة مشها حالك عندهم بحال من هو بالغ في العلم بها وحقيقة العلم كأنك مباليغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم بها (قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي لا يعلمون السبب الذي لاجله أخفيت معرفة وقتها المعين عن الخلق (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله) أي أنا لا أدعي علم الغيب ان أنا الانذير وبشير ونظيره قوله تعالى في سورة يونس ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل وقيل ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا أخبرك ربك بالرخص والغلاء حتى نشترى ففريج بالارض التي تجذب لترتحل الى الارض الحصبة فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق جاءت ريح في الطريق ففرت الدواب منها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بعوت رفاعه بالمدينة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال صلى الله عليه وسلم انظر واين ناقتي فقال عبد الله بن أبي مع قومه ألا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت الرجل بالمدينة ولا يعرف أين ناقتة فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قالوا اكيت وكيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعاق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فانزل الله تعالى قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله أي ان يفعل بي من النعم والضر (ولو كنت أعلم الغيب) أي جلب منافع الدنيا ودفع مضراتها (لا استكثر من الخير) أي لحصلت كثير من الخير بترتيب الاسباب (وما مستني السوء) لا احترازي عنه باجتناّب الاسباب (ان أنا الانذير) من النار (وبشير) بالجنة (لقوم يؤمنون) بالجنة والنار (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) حواء خلقها الله من ضلع آدم من غير أذى (ليسكن اليها) أي ليستأنس بها (فلما اتفقاها) أي جامعها (حملت حملا خفيفا) في مبادئ الامر (فرت به) أي فاستمرت بالحمل على سبيل الخفة وكنت تقوم وتعدو وتغشى من غير ثقل (فلما أثقلت) أي صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها (دعوا الله ربهما) أي آدم وحواء (لئن آتيتنا صالحا) أي ولد اسويا مثلنا (لنكونن من الشاكرين)

لنعمائكم (فلما آتاهما صالحا) أى ولدا آدميا مستوى الأعضاء خاليا عن العوج والعرج (جعلنا له) تعالى (شركاء فيما آتاهما) أى في تسمية ما آتاهما من الولد قيل لما آتاهما ذلك الولد السوى الصالح عزما على أن يجعللاه وقفا على خدمة الله وطاعته وعبوديته على الإطلاق ثم بدأهما في ذلك فتارة كانوا يتفعون به في مصالح الدنيا ومنافعها وتارة كانوا يأمرونه بخدمة الله وطاعته وهذا العمل وإن كان مناقرة وطاعة إلا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين وقيل لما نقل الولد في بطنها آتاهما إبليس في صورة رجل وقال ما هذا يا حواء أنى أخاف أن يكون كلبا أو بهيمة وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك فيقتلك أو ينشق بطنك تخافت حواء وذكرت ذلك لآدم عليه السلام فلم ير إلا فيهم من ذلك ثم آتاهما وقال إن سألت الله أن يجعله صالحا حسبو يا مثلك ويسهل خروجه من بطنك تسميه عبدا للحرث وكان اسم إبليس في الملائكة لحرث فآدم وحواء سميا ذلك الولد بعبدا للحرث تنبيهها على أنه إنما سلم من الآفات ببركة دعاء هذا الشخص المسمى بالحارث فلما حصل الاشتراك في لفظ العبد لا حرم صار آدم عليه السلام معاتباً في هذا العمل بسبب الاشتراك الحاصل في مجرد لفظ العبد وهذا لا يقدر في كون الولد عبد الله من جهة كونه مخلوقه ولا ناقداً كزنا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين (فتعالى الله عما يشركون) قيل إن المشركين كانوا يقولون إن آدم عليه السلام كان يعبد الأصنام ويرجع في طلب الخير ودفع الشر إليها فذكر تعالى قصة آدم وحواء وذكر أنه تعالى لو آتاهما ولد أسوأ صالحا لاستقلوا بشكر تلك النعمة ثم قال تعالى فلما آتاهما صالحا جعلاه شركاء فقوله تعالى جعلاه شركاء ورد بمعنى الاستفهام على سبيل الإنكار والتبديد والتقدير فلما آتاهما صالحا جعلاه شركاء فيما آتاهما ثم قال تعالى فتعالى الله عما يشركون أى تكون أى تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وينسبونه إلى آدم (أي يشركون) بالله تعالى في العبادة (ملا يخلق شيئا) ومن حق المعبود أن يكون خالق العابد والعبد غير خالق لأفعاله لأن من كان خالقا كان الها فلو كان العبد خالقا لفعال نفسه كان الها ولما كان ذلك باطلا علمنا أن العبد غير خالق لأفعاله نفسه (وهم) أى الأصنام (يخلقون) فهى منخوطة أو المعنى والكافرون مخلوقون فلو تفكروا في ذلك لآمنوا ولا يشركون بالخالق شيئا (ولا يستطيعون) أى الأصنام (لهم) أى لعبدتهم (نصرأولا أنفسهم ينصرون) أى إن الأصنام لا تنصرون أطاعها ولا تدفع عن أنفسها كروها فإن من أراد كسر هالم تقدر على دفعه عنها والمعبود يجب أن يكون قادرا على إيصال النفع ودفع الضرر وهذه الأصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل عبادتها (وان تدعوهن إلى الهدى لا يتبعوكم) أى وان تدعوا يا معشر الكفار الأصنام إلى أن يهدوكم إلى الحق لا يجيبوكم كما يجيبكم الله (سواء عليكم أَدْعَوْهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ) أى مستوعبكم في عدم الافادة دعاءكم لهم وسكوتكم فلا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم عن حكم الجمادية (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) أى إن الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الأصنام وتسمونهم آلهة مماثلة لكم من حيث أنهم أعمالوكة لله تعالى مسخرة لأمراء عاجزة عن النفع والضرر (فادعوهن) في جلب نفع أو كشف ضرر (فليست يجيبواكم إن كنتم صادقين) في ادعائها آلهة ومستحقة للعبادة (ألهم أرجل يحشون بها أم لهم أيدي يطشون بها) أى بل ألهم أيدياً خذون بها ما يريدون وأخذ (أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها) وقد قرئ أن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم على أعمال إن النافية عمل ما العجازية أى ما الذى تدعون من دونه تعالى عبادا أمثالكم بل أدنى منكم فيكون قوله تعالى ألهم أرجل الخ تقرير

لنفي المماثلة باثبات النقصان (قل ادعوا شركاءكم) قال الحسن ان مشركي أهل مكة كانوا يخوفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهتكم فقال الله تعالى له قل يا أكرم الرسل لهم ادعوا آل هتكم واستعينوا بهم في عدواني (ثم كيدوني) أي اعملوا أنتم وألهتكم في هلاكى وبالغوا في تهمة ما تقدر ون عليه من مكر (فلا تنظرون) أي اعملوا أنتم وألهتكم في كيدى ولا تؤجلون فاني لا أبالي بكم وبآلهتكم لا اعتمادى على حفظ الله تعالى (ان ولي الله الذي نزل الكتاب) أي ان ناصرى هو الله الذي أنزل الكتاب المشغل على هذه العلوم العظيمة النافعة (وهو يتولى الصالحين) أي ينصرهم فلا تضرهم عداوة من عاداهم وروى ان عمر بن عبد العزيز ما كان يدخر لولاده شيئاً ف قيل له في ذلك فقال ولدى اما ان يكون من الصالحين أو من المجرمين فان كان من الصالحين فوليه الله ومن كان الله له ولياً فلا حاجة له الى مالى وان كان من المجرمين فقد قال تعالى قلن أكون ظهير للمجرمين ومن رده الله لم اشتغل باصلاح مهماته (والذين تدعون من دونه) أي والذين تعبدونهم من دون الله تعالى من الاصنام (لا يستطيعون نصركم) في أمر من الامور (ولا أنفسهم ينصرون) أي يمنعون عما يرايدهم فكيف أبالي بهم (وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا) أي وان تدعوا أيها المشركون تلك الاوثان الى أن يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم لا يجيبوا دعاءكم فضلاً عن المساعدة لانهم أموات غير احياء (وتراهم ينظرون اليك) أي وترى يا أثرى الخلق الاصنام يشبهون الناظرين اليك لانهم مصورون بالعين والانف والاذن (وهم لا يبصرون) أي والحال انهم غير قادرين على الابصار لانهم أموات غير احياء (خذ العفو) أي اقبل المسور من أخلاق الناس من غير تجسس لئلا تتولد العداوة أو المعنى خذ ما تيسر من المال فما أتوك به نخذه ولا تسأل عما وراء ذلك (وأمر بالعرف) أي باظهار الدين الحق (وأعرض عن الجاهلين) من غير عماراة ولا مكافأة قال عكرمة لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا قال يا محمد ان ربك يقول هو ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عنه واذا أثبت من حرمك فقد أثبت بالمعروف واذا عفوت عن ظلمك فقد أعرضت عن الجاهلين أو ما ينزغك من الشيطان ترغ فاستعذ بالله) أي ان يصيبنك وسوسة من الشيطان فالتهجى اليه تعالى في دفعه عنك (انه ميسع عليم) أي انه تعالى ميسع باستعاذتك بلسانك (عليم) بما في ضميرك من استحضار معاني الاستعاذة فالقول اللسانى بدون المعارف القلبية عديم الفائدة والاثر وروى أنه لما نزلت تلك الآية السكرية قال صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب متحقق فنزل قوله تعالى واما ينزغك من الشيطان ترغ (ان الذين اتقوا) أي اتصقوا بوقاية أنفسهم عما يضرها (اذا مسهم طائف من الشيطان) أي اذا أصابهم وسوسة من الشيطان وغضب (تذكروا) ما أمرهم الله به من ترك امضاء الغضب ومن أن الانسان اذا أمضى الغضب كان شريكاً للسابع المؤذية والحيات القاتلة وان تركه واختار العفو كان شريكاً لكبار الانبياء والاولياء ومن أنه ربما انقلب ذلك الضعيف قوياً قادراً على الغضب حينئذ يثبته من على اسوأ الوجوه أما اذا عفا كان ذلك احساناً منه الى ذلك الضعيف (فاذا هم مبصرون) أي اذا حضرت هذه التذكريات في عقولهم في الحال يحصل الخلاص من وسوسة الشيطان ويحصل الانكشاف فينتهون عن المعصية (واخوانهم دونهم في النفي) أي واخوان الشياطين من الكفار يقوون الشياطين في الضلال وذلك لان شياطين الانس اخوان لشياطين الجن فشياطين الانس يضلون الناس فيكون ذلك تقوية منهم لشياطين الجن على الاضلال (ثم لا يقصرون) أي لا ينكف

الغافرون عن الضلال والمغفون عن الاضلال (واذا لم تأتهم) أى أهل مكة (بآية) كما طلبوا
(قالوا لولا اجتبيتهما) أى هلا جمعتهما من تلقاء نفسك تقول فانهم يزعمون ان سائر الآيات كذلك أو هلا
اقترحتهم على الهلك ان كنت صادقاً في ان الله يقبل دعاءك ويحبب التماسك وعنده هذا أمر الله رسوله
أن يذكر الجواب الشافي بقوله تعالى (قل انما أتبع ما يوحى الى من ربي) أى ليس لى أن أقترح على
ربي في أمر من الأمور وانما انتظر الوحي فكل شئ أكرمني به قلته والافال واجب السكوت وترك
الاقتراح فعدم الايمان بالمعجزات التي اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القرآن على وفق دعواه
صلى الله عليه وسلم معجزة باهرة فاذا ظهرت هذه المعجزة الواحدة كانت كافية في تصحيح النبوة فكان طلب
الزيادة من باب التعمت فذكر الله تعالى في وصف القرآن ثلاثة بقوله تعالى (هذا) أى القرآن
(بصائر من ربكم) أى بمنزلة البصائر للقلوب فيه تبصر الحق وتذكر الصواب (وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون) بالقرآن فالقرآن في حق أصحاب العلم اليقين وهم الذين وصلوا الى درجات المستدلين هدى وفي حق عامة المؤمنين رحمة (واذا
قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) وهذا خطاب مع الكفار عند قراءة الرسول عليهم السلام القرآن في
مسلك الاحتجاج بكونه معجزاً على صدق نبوته فانهم قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون
فأمرهم بالاستماع حتى يمكنهم الوقوف على مافى القرآن ولذا قال تعالى (لعلكم ترحمون) أى لعلكم
تطلعون على مافى القرآن من دلائل العجائب فتؤمنوا بالرسول فتصيروا مرحومين (واذ كرر ربك في
نفسك) أى اذ كرر بك عارفاً بعاني الاذكار التي تقولها بلسانك مستحضر الصفات السكال والعز والعلو
والجلال والعظمة وذلك لان الذكر باللسان اذا كان عارياً عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة (تضرعاً
وخيفة) أى متضرعاً وخائفاً مافى تقصير الأعمال أو في الحاجة أو في أنه كيف يقابل نعمة الله التي
لا حصر لها بالطاعة الناقصة والاذا ذكراً بالقاصرة (ودون الجهر من القول) أى متوسطين الجهر
والمخافتة بأن يذكر الشخص ربه على وجه يسمع نفسه (بالغدو والآصال ولا تسكن من الغافلين) والمعنى
أن قوله تعالى بالغدو والآصال دل على أنه يجب أن يكون الذكراً خاصاً في كل الاوقات وقوله تعالى
ولا تسكن من الغافلين يدل على أن الذكراً القلبي يجب أن يكون دائماً وأن لا يغفل الانسان لحظة واحدة
عن استحضار جلال الله بقدر الطاقة البشرية وتحقيق القول أن بين الروح والبدن علاقة عجيبه لان كل
أثر حصل في جوهر الروح نزل منه الى البدن وكل حالة حصلت في البدن صعدت منه تتأرجح الى الروح
ألا ترى ان الانسان اذا تخيل الشئ الحامض ضرر سسنه واذا تخيل حالة مكر وهمة وغضب مخن بدنه
فهذه آثار تنزل من الروح الى البدن واعلم أن قوله تعالى واذا كرر بك في نفسك وان كان ظاهراً خطاباً مع
النبي صلى الله عليه وسلم الا أنه عام في حق كل المكلفين ولكل أحد درجة مخصوصة بحسب استعداد
جوهر نفسه الناطقة (ان الذين عند ربك) أى ان الملائكة مع غاية طهارتهم وبرائتهم عن بواعث
الشهوة والغضب وحوادث الحقد والحسد (لا يستكبرون عن عبادته) بل يؤدونها بحسب ما أمروا به
(ويسبحونه) أى ينزهونه تعالى عن كل سوء (وله يسجدون) أى لا يسجدون لغير الله تعالى
فالتسبيح يرجع الى المعارف والعلوم والسجود يرجع الى أعمال الجوارح وهذا الترتيب يدل على أن
الاصل في العبودية أعمال القلوب ويتفرع عليها أعمال الجوارح والله أعلم

﴿سورة الانفال مدنية غير قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾

فانهزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وآياتهاست وسبعون وكمالاتها ألف ومائة وقلاتون وحر وفها خمسة آلاف ومائتان وأربع وتسعون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال) أى يسألك يا أشرف الخلق أصحابك منهم - هم سعد بن أبي وقاص أو قرابتك عن الغنائم يوم بدر وسميت الغنائم أنفالا لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحصل لهم الغنائم ولانها عطية من الله تعالى زائدة على الثواب الاخرى للجهاد (قل الانفال لله والرسول) أى قل يا أشرف الخلق حكم الانفال يوم بدر مختص به تعالى بقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم كيف أمر به من غير أن يدخل فيه رأى أحد (فاتقوا الله) فى أخذ الغنائم واتركوا المنازعة فيها (وأصلحوا ذات بينكم) أى أصلحوا الحال فيما بينكم بترك النزاع وتسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله (وأطيعوا الله ورسوله) فى أمر الصلح وارضوا بما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان كنتم مؤمنين) فالإيمان لا يتم حصوله الا بالتزام هذه الطاعة فاحذروا للخروج عنها (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أى انما الكاملون فى الإيمان فزعت قلوبهم لمجرد ذكر الله من غير أن يذكر هناك ما يوجب الفرع من صفاته وأفعاله استعظاما له تعالى وقال أصحاب الحقائق الخوف على قسمين خوف العقاب وخوف العظمة والجلال أما خوف العقاب فهو للعصاة وأما خوف الجلال والعظمة فهو لائزول عن قلب أحد من المحققين سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلًا وكل من كان أعرف بجلال الله كان هذا الخوف فى قلبه أكمل (واذاتليت عليهم آياته) أى الله التى هو القرآن (زادتهم إيماناً) أى يقيننا بقول الله (وعلى ربهم يتوكلون) أى ويعتمدون بالسكينة على فضل الله وينقطعون بالسكينة عما سوى الله (الذين يقيمون الصلاة) أى يتمون الصلاة الخمس بحقوقها (وعمارزقناهم - ينفقون) أى ويؤدون زكاة أموالهم (أولئك) أى الموصوفون بالصفات الخمس (هم المؤمنون حقاً) أى إيماناً حقاً لانهم حققوا إيمانهم بضم الأعمال القلبية والقلبية اليه (لهم درجات عند ربهم) فتراتب السعادات الحاصلة فى الجنة كثيرة ومختلفة (ومغفرة) بأن يتجاوز الله عن سيئاتهم وقال العارفون هي إزالة الظلمات الحاصلة بسبب الاشتغال بغير الله (ورزق كريم) قال هشام ابن عروة هو ما أعد الله لهم فى الجنة من لذائذ الماء كل والمشارب وهناء العيش (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لسكرهون) أى انهم رضوا بهذا الحكم فى الانفال وان كانوا كارهين به كما أخرجك ربك من المدينة بسبب حق يظهر وهو علو كلمة الاسلام والنصر على أعداء الله والحال أن فريقا من المؤمنين لسكرهون الخروج للقتال لقلة العدد والمعنى الانفال ثابتة لله ثبوتاً بالحق كما خرجك من بيتك بالمدينة بالحق أى بالوحى وذلك ان غير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم - أبو سفيان وعمر بن العاص وعمر بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأنجسهم تلقى العير لكثرة الحسير وقلة القوم فلما خرجوا وبلغوا وادى دقران وهو قريب من الصفراء نزل عليه صلى الله عليه وسلم جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي أصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب اليكم أم النغير وهو اسم عسكر مجتمع فقالوا بل العير أحب اليانا من لقاء العدو وفتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل أى بجميع أهل مكة ومضى الى بدر فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم فقام عند ذلك أبو بكر وعمر فاحسنا في القول ثم قام سعد بن عباد فقال انظر امرئك فامض فوالله
 لو سرت الى عدن ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو يا رسول الله امض كما امرك الله
 فانما معك حيث ما أحببت لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
 ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما فقاتلون ما دامت عين منا تطرف فتبسم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ثم قال أشير واعلى أيها الناس فقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق
 لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وانا
 لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال صلى الله عليه وسلم سير واعلى بركة الله وابشروا فان الله قد
 وعدني احدي الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم (يجادلونك في الحق) تلقى النغير
 (بعد ما تبين) أي بعد اعلام انهم يمتصرون أي نما توجها ووجداهم هو قولهم ما كان خروجننا الا
 نغير وهذا ذكرتنا القتال لتناهبه وكان ذلك لكرهتهم القتال (كأنما يساقون الى الموت وهم
 ينظرون) أي مشبهين بالذين يساقون بالعنف الى القتل والحال انهم ينظرون الى أسباب الموت (واذ
 يعدكم الله احدي الطائفتين أنها لكم) أي واذا كروا وقت أن يعدكم الله بأن احدي الطائفتين العير
 أو العسكر مختصة بكم تسلطون عليها تسلط الملاك وتصرفون فيهم كيف شئتم (وتودون) أي وتحبون
 (أن غير ذات الشوكة) أي القوة (تكون لكم) وهو العير اذ لم يكن فيها الا ربعو فارسا ورئيسهم أبو
 سفيان وذات الشوكة وهي العسكر وهم ألف مقاتل ورئيسهم أبو جهل (ويريد الله أن يحق الحق) أي
 يثبت النصر على الاعداء (بكلماته) أي بأسباب النصر من أوامره تعالى للملائكة بالامداد (ويقطع
 دابر الكافرين) والمعنى أنتم تريدون سفساف الامور وهو العير للفوز بالمال والله تعالى يريد معاليها
 بأن تتوجهوا الى النغير لما فيه من اعلاء الدين الحق واستئصال الكافرين (ليحق الحق) أي ليظهر
 الشريعة ويقوى الدين (ويبطل الباطل) أي وليظهر بطلان الباطل بتقوية رؤساء الحق وقهر
 رؤساء الباطل (ولو كره المجرمون) أي المشركون ذلك الاظهار (اذ تستغيثون ربكم) أي تطلبون
 منه الغوث كان يقولوا ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا أي فرج عنا قال ابن عباس
 حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف
 والى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف استقبل القبلة ومد يده وهو يقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك
 هذه العصابة لا تعبد في الارض ولم يزل كذلك حتى سقط رداؤه فبكر ثم التزمه ثم قال كفا يا بني
 الله مناشدك ربك فانه سيمجز لك ما وعدك فنزلت هذه الآية واذا تستغيثون بقل من اذ يعدكم معمول
 لعامله ويجوز أن يكون العامل في اذ هو قوله تعالى ويبطل الباطل (فاستجاب لكم أني معكم) أي
 معينكم (بألف من الملائكة مردفين) وقرأ عيسى بن عمرو ويروى أيضا عن أبي عمر واني بكسر الهمزة
 على اضماء القول أو على اجراء استجاب مجرى قال والعامه على فتح الهمزة بتقدير حرف الجر وقرأ نافع
 وأبو بكر عن عاصم ويري عن قنبل أيضا مردفين بفتح الدال أي ان الله أردف المسلمين بهم وأيدهم
 بهم بمعنى ان الملائكة كانوا مقدمة الجيش أو ساقاتهم والباقيون بكسرها أي متتابعين يأتي بعضهم اثر
 بعض وروى أنه نزل جبريل بخمسمائة وقاتل بهما في عين العسكر وفيه أبو بكر ونزل ميكايل بخمسمائة
 قاتل بها في يسار الجيش وفيه على (وما جعله الله الا بشري) أي وما جعل أمدادكم بازال الملائكة

عيانا للبشرى لكم بانكم تنصرون (ولتطمئن به) أى بالامداد (قلوبكم) كما كانت السكينة
 لبني اسرائيل كذلك (وما النصر الا من عند الله) لان عند غيره أى ان الله ينصركم أيها المؤمنون
 فتقوا بنصره ولا تتكلموا على قوتكم (ان الله عزيز) أى قاهر لا يقهر (حكيم) فيما ينزل من
 النصره فيضعها في موضعها (اذ يغشاكم النعاس أمانة منه) أى يجعل الله النعاس مغطيا لكم أمانا من
 خوف العدو من الله تعالى واذ بدل ثان من اذ يعدكم قال الزجاج محلها نصب على الطريفة والمعنى وما
 جعله الله الا بشرى في ذلك الوقت قرأ العامة يغشاكم بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين وقرأ نافع بضم
 الياء وسكون الغين والفاعل في الوجهين هو الله تعالى وقرأ أبو عمرو وابن كثير يغشاكم بفتح الياء والشين
 وسكون الغين والنعاس فاعل أى اذ يلقي عليكم النوم الخفيف أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم
 وحصول النوم لهم في وقت الخوف الشديد يدل على زوال الخوف (وينزل عليكم من السماء ماء) قرأ
 ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون (ليطهركم به) من الاحداث وفي الخبر ان المشركين سبقوا الى موضع
 الماء وطعموا لهذا السبب أن تكون لهم الغلبة وعطش المؤمنون وخافوا من أن يأتهم العدو في تلك الحالة
 وأكثرهم احتملوا وموضعهم كان رملا تغوص فيه الارجل ويرتفع منه الغبار الكثير وكان الخوف
 في قلوبهم شديدا بسبب كثرة العدو وكثرة الهتهم فلما أنزل الله ذلك المطر صار ذلك دليلا على حصول
 النصره وعظمت النعمة به (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أى وسوسته روى أنهم لما ناموا واحتلم
 أكثرهم تمثل لهم ابليس وقال أنتم ترغمون انكم على الحق وأنتم تصالون على الجنابة وقد عطشتم ولو
 كنتم على الحق لما غلبوكم على الماء فأنزل الله تعالى المطر حتى جرى الوادي واتخذ المسلمون حيصا
 واغتسلوا وتلبسوا بالصلوات حتى ثبتت عليه الاقدام (وليربط على قلوبكم) أى ليحفظ قلوبكم بالصبر
 (ويثبت به) أى الماء (الاقدام) على الرمل فقد روى على المشى عليه كيف أرادوا (اذ يوحى ربك
 الى الملائكة أنى معكم) فانه تعالى أوحى الى الملائكة انى مع المؤمنين (فتبت والذين آمنوا) أى
 فانه رويهم وبشروهم بالنصره وقدر وى أنه كان الملك يتشبه بالرجل الذى يعرفونه بوجهه فيأتى ويقول
 انى سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا عليه نالنكشفن ويعشى بين الصفتين فيقول ابشروا فان الله
 تعالى ناصركم (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) أى المخافة من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه
 (فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) أى فاضربوا رؤوسهم واضربوا أطراف الاصابع
 أى اضربوهم في جميع الاعضاء من أعاليها الى أسافلها كيف شئت لان الله تعالى ذكر الاشرف
 والاخص فهو اشارة الى كل الاعضاء (ذلك) أى لقاءهم الخزي من الوجوه الكثيرة (بأنهم شاقوا الله
 ورسوله) أى خالفوهما فى الاوامر والنواهي (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) أى
 ومن يخالفهما فان الله يعاقبه فى القيامة وهو شديد العقاب فالذى نزل بهم فى ذلك اليوم قليل بالنسبة لما
 أعد الله لهم من العقاب فى القيامة (ذلكم) أى الامر ذلكم فالحطاب للكفرة (فذوقوه) فى الدنيا (وأن
 للكافرين عذاب النار) والمعنى حكم الله ذلكم من أن ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار
 لكم آجلا (يا أيها الذين آمنوا اذقيتم الذين كفروا زحفا) أى مثل الزاحفين على أدبارهم فى بطن السير
 لاجتماعهم (فلا تولوهم الادبار) أى لا تجعلوا ظهوركم على إيلهم بل قابلوهم وقاتلوهم مع قتلهم (ومن
 يولهم يومئذ) أى يوم اللقاء (دبره الا متحرفا للقتال) بأن يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه (أو متحيزا
 الى فئة) أى متجهيا الى جماعة أخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل معهم العدو (فقدباء) أى رجع

(بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير) والفرار من الزحف من أكبر الكبائر إذا لم يزد العدد على الضعف (فلم تقتلواهم) أنتم بقوتكم (ولكن الله قتلهم) لتسلطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم أي فلم تؤثر قوتكم في قتلهم ولكن التأثير لله (ومارميت) يا أكرم الرسل (أذرميت) أي ومارميت في الحقيقة وقت رميت التراب إلى وجوه المشركين (ولكن الله رمى) أي أوصل رميك إليهم روى أنه لما طلعت قريش من الحقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائهم ونفخهم ها يكذبون رسولك اللهم أني أسألك ما وعدتني فنزل إليه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمع قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه اعطني قبضة من التراب من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شأهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وقرأ ابن عامر رخصة والكسائي ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بكسر النون مخففة ورفع اسم الحلالة (وليبيلى المؤمنين منه بلا حسنا) أي ولينعم الله عليهم من رمى التراب نعمة عظيمة بالنصر والغنية والثواب وهذا معطوف على قوله تعالى ولكن الله رمى (إن الله سميع) لاستغاثتهم (عليهم) بأحوال قلوبهم الداعية إلى الإجابة (ذلكم) أي الأمر ذلكم أي البلاء الحسن (وأن الله موهن كيد الكافرين) معطوف على ذلكم وقرأ حفص عن عاصم موهن كيد بالاضافة وسكون الواو وقرأ ابن عامر والكوفيون بعدم الاضافة ونافع وابن كثير وأبو عمر وكذلك لكن مع فتح الواو وتشديد الهاء أي والأمر أن الله مضعف صبيح الكافرين (أن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) وأن تنتهوا فهو خيرos لكم وأن تعودوا نعدولن تغنى عنكم فتتكم شيأولو كثرت) قال الحسن ومجاهد والسدى وهذا خطاب للكفار على سبيل التهكم بهم وقال السدى أن المشركين لما أرادوا الخروج إلى بدر أخذوا أستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين واهدى الفقتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين والمعنى أن تستنصروا أيها الكفار لأعلى الجندين فقد جاءكم النصر لأعلاهما وقد زعمتم أنكم الأعلى فالتهمكم في المجيأ أو فقد جاءكم الهزيمة فالتهمكم في نفس الفتح وأن تنتهوا عن قتال الرسول وعداوته وتكذيبه فهو خيرos لكم في الدين بالخلاص من العقاب والفوز بالثواب وفي الدنيا بالخلاص من القتل والأسر والنهب وأن تعودوا إلى القتال نعدوا إلى تسلط المسلمين على قتلكم ولن تدفع عنكم جماعتكم شيأ من الضرر ولو كثرت وقيل هذا خطاب للمؤمنين والمعنى أن تستنصروا أيها المؤمنون فقد جاءكم النصر وأن تنتهوا عن المنازعة في أمر الانفال وعن طلب الغداء على الأمرى فهو خيرos لكم وأن تعودوا إلى تلك المنازعة نعدوا إلى ترك نصرتكم ثم لا تنفعكم كثرتكم (وأن الله مع المؤمنين) قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم وأن يفتح الهمزة وهو خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أن الله مع الكاملين في الأيمان (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) في الإجابة إلى الجهاد وإلى ترك المال إذا أمره بتركه (ولا تولوا عنه) أي ولا تعرضوا عن الرسول أي عن قبول قوله وعن معونته في الجهاد (وأنتم تسمعون) دعاء إلى الجهاد (ولا تكونوا كالذين قالوا) بالسنتهم (سمنا وهم لا يسمعون) أي أنا قبلنا تكاليف الله تعالى والحال أنهم يقولونهم لا يقبلونها (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) أي أن شر كل حيوان في حكم الله تعالى من لا يسمع الحق ولا ينطق به ولا يفقد أمر الله تعالى قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم بدر وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا لسمعهم) أي لو حصل

في بني عبد الدار خير لا سمعهم الله الحجاج والمواظع سمع تفهم (ولو أسمعهم) بعد أن علم أنه لا خير فيهم
 (لتولوا) عنها ولم ينتفعوا بها (وهم معرضون) أي والحال أنهم مكذبون بما قيل ان الكفار سألوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحيي لهم قصي بن كلاب وغيره من أمواتهم ليخبروهم بمحنة نبوته صلى
 الله عليه وسلم فبين الله تعالى أنه لو علم فيهم خير أو هو انتفاعهم بقوله هؤلاء الأموات لا حياهم الله تعالى
 حتى يسمعوا كلامهم - ولكنه تعالى علم منهم أنهم لا يقولون أحى لنا قصي فإنه كان شيخا مباركا حتى يشهد
 لك بالنبوة فنؤمن بك الأعلى سبيل الغناد والتعنت وأنه لو أسمعهم الله كلام قصي وغيره لتولوا عن قبول
 الحق على أدبارهم ولا عرضوا عما سمعوه بقلوبهم - (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم
 لما يحْيِيكم) أي اجيبوا الله والرسول بحسن الطاعة إذا دعاكم الرسول إلى ما فيه سبب حياتكم الأبدية
 من الإيمان أو القرآن أو الجهاد وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب أبي
 ابن كعب وهو في الصلاة فدعا فجهل في صلاته ثم جاء فقال صلى الله عليه وسلم ما منعت عن اجابتي قال
 كنت في الصلاة قال ألم تخبر فيها أوحى إلى استجبوا لله وللرسول فقال لا جرم لا تدعوني إلا أجيبك
 (واعلموا) يا معشر المؤمنين (أن الله يحول بين المرء وقلبه) أي يحول بين المرء وبين ما يريد بقلبه فإن
 الأجل يحول دون الأمل فكأنه تعالى قال بادروا إلى الأعمال الصالحة ولا تعتمدوا على ما يقع في قلوبكم
 من توقع طول البقاء فإن ذلك غير موثوق به وقال مجاهد المراد من القلب هنا العقل أي فإن الله يحول بين
 المرء وعقله والمعنى فبادروا إلى الأعمال وأنتم تعتدون فأنكم لا تأمنون زوال العقل والله يحول بين المرء
 والكافر وطاعته ويحول بين المرء المطيع ومعصيته والقلب يبد الله بقلبه كيف يشاء وكان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ولا يستطيع المرء أن يؤمن ولا أن
 يكفر إلا بأذن تعالى (وأنه) أي واعلموا أن الشأن (إليه) أي الله تعالى (تخشرون) في الآخرة
 فيجزىكم بحسب مراتب أعمالكم فسارعوا إلى طاعة الله ورسوله (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
 منكم خاصة) أي واحذروا فتنة أنزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة بل تتعدى إليكم جميعا وتصل إلى
 الصالح والطالح وحذر تلك الفتنة بالنهي عن المنكر فالواجب على كل من رآه يزيله إذا كان قادرا على
 ذلك فإذا سكنت عليه فكلهم عصاة هذا بفعله وهذا برضاه وقد جعل الله تعالى الرضا بمنزلة العامل
 فانتظم في العقوبة وعلامة الرضا بالمنكر عدم التألم من الخلل الذي يقع في الدين بفعل المعاصي فلا يتحقق
 كون الإنسان كارها له إلا إذا تألم لفقدانه أو ولده فكل من لم يكن هذه الحالة فهو راض بالمنكر فتممه
 العقوبة والمصيبة بهذا الاعتبار (واعلموا أن الله شديد العقاب) ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر
 سببه والمعنى الزموا الاستقامة خوفا من عذاب الله تعالى (واذكروا) يا معشر المهاجرين (إذا أنتم
 قليل) في العدد في أول الإسلام (مستضعفون في الأرض) أي مهجورون في أرض مكة (تخافون
 أن يخطفكم الناس) تخافون إذا خرجتم من البلدان تأخذكم مشركو العرب بسرعة لشدة عداوتهم
 لكم ولقرىهم منكم (فآوكم) أي نقلكم إلى المدينة فصرتم آمنين من كفار مكة (وأيدكم بنصره)
 أي قواكم بنصرته يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) أي من الغنائم وهي كانت محرمة على من كان
 قبل هذه الأمة (لعلكم تشكرون) هذه النعم العظيمة (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول)
 في الدين وفي الإشارة إلى بني قريظة أن لا تنزلوا على حكم مسعدين معاذ (وتخونوا أماناتكم) فيما
 بينكم (وأنتم تعلمون) أن ما وقع منكم خيانة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم حاصر يهود

بني قريظة خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار فسألوه صلى الله عليه وسلم الصلح كما صلح بني
 النضير على أن يسيروا إلى أخوانهم في أذرعات واريحان الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 يعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا بالبالة وهو رفاع بن عبد المنذر
 نستشيره في أمرنا وكان منافعها لهم لأن ماله وعياله عندهم فأرسله إليهم فقالوا يا أبا البالة ما ترى لنا أن نزل
 على حكم سعد بن معاذ فينا فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقة أي حكم سعد هو القتل فلا تفعلوا فكان ذلك منه
 خيانة لله ورسوله (واعلموا أن غنا أموالكم وأولادكم فتنة) أي محنة من الله تعالى ليلبواكم فيهم فلا
 يحملنكم حبه على الخيانة كأي لبابة لأنه يشغل القلب بالدنيا ويصيره حجاباً عن خدمة المولى (وأن الله
 عنده أجر عظيم) فإن سعادات الآخرة خير من سعادات الدنيا لأنها أعظم في الشرف وفي المدة لأنها تبقى
 (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) أي تجة مما تخافون في الدارين (ويكفر عنكم
 سيئاتكم) أي يسترها في الدنيا (ويغفر لكم) أي يرزقكم في الآخرة (والله ذو الفضل العظيم) على
 عباده بالمغفرة والجنة (واذ يكره الذين كفروا) أي واذكري يا أشرف الخلق وقت احتياهم بك في
 إيصال الضرر والهلاك (ليثبتنك) أي ليسجننك أو ليثبتنك بالوفاق كما قرئ لي قيدوك (أو يقتلونك)
 بسيوفهم (أو يخرجوك) من مكة (ويعكرون) أي يريدون هلاكك يا أكرم الرسل (ويعكر الله)
 أي يرد مكرهم عليهم وذلك بأن آخر جهنم إلى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا ما لقوا
 (والله خير الماكرين) أي أقواهم فكل مكر يبطل في مقابلة فعل الله تعالى قال المفسرون إن مشركي
 قريش عرفوا ما أسلمت الانتصار أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر فاجتمع نفر من كبار قريش في
 دار الندوة أي في الدار التي يقع فيها الاجتماع للتحديث ورؤسهم عتبة وشيبة بناربيعة وأبوسفيان
 وطعيمة بن عدى وجبير بن مطعم والحارث بن عامر والنضر بن الحارث وأبو الجحترى بن هشام وزمعة بن
 الأسود وحكيم بن حزام وأبو جهل وأمية بن خلف ونبيهة ومنبه بن الحجاج ودخل عليهم إبليس في صورة
 شيخ وقال أنا من أهل نجد وتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمرو بن هشام قيدوه
 وسدوا باب البيت غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه حتى يهلك كما هلك من قبله من المشركين فقال إبليس
 لا مصلحة فيه لأنه يغضب له قومه فتسفل فيه الدماء فقال أبو الجحترى بن هشام أخر جوه عنكم تسريحوا
 من أذاه لكم فقال إبليس لا مصلحة فيه لأنه يجمع طائفة على نفسه ويقا تلكنهم بهم وقال أبو جهل الزأى أن
 نجتمع من كل قبيلة رجلًا فيضربوه بأسيا ففهم ضربة واحدة فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل فلا يقوى
 بنو هاشم على محاربة قريش كلها فيرضون بأخذ الديعة فقال إبليس هذا هو الرأى الصواب فأوحى الله تعالى
 إلى نبيه بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن له في الهجرة إلى المدينة وأمر علياً أن يبيت في مضجعه
 وقال له تسبح ببردتي فإنه لن يخلص إليك أمر تذكره وهم المشركون بالولوع عليه صلى الله عليه وسلم
 فصاحت امرأته من الدار فقال بعضهم لبعض والله أنها السببة في العرب أن يتحدثوا عنا نأتسوزنا الحيطان
 على بنات العم وهتكنا محرمتنا وبناتنا مترصدين على الباب ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 الباب وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه فأخذ قبضة من تراب ونثره على رؤسهم كلهم ومضى هو وأبو بكر إلى
 الغار فلما أصبحوا سارا إلى مضجعه صلى الله عليه وسلم فأبصر وأعليا فقالوا له وأين صاحبك فقال
 لا أدري فاقترضوا أثره فلما بلغوا الغار رأوا على بابهم نسيج العنكبوت فقالوا لو دخله لم تنسج العنكبوت
 على بابك فكش فيه ثلاثاً من اللبالي ثم قدم المدينة (واذا تتلى عليهم آياتنا) أي القرآن (قالوا قد سمعنا)

ما قال محمد صلى الله عليه وسلم (لنشأ اقلنا مثل هذا ان هذا الأساطير الاولين) أى ما هذا القرآن
الاما كتب الاولون من القصص روى أن النضر بن الحرث خرج الى الحيرة بلدة بقرب الكوفة تاجرا
واشترى أحاديث قليلة ودمنة وكان يقدم مع المستهزين وهو منهم فيقرأ عليهم أساطير الاولين كالفرس
والروم وكان يزعم انهم مثل ما ذكره محمد من قصص الاولين واسناد القول الى الكل مع أن القائل هو
النضر لما انه كان رئيسهم وقاضيه وهو الذى يقولون بقوله ويأخذون برأيه (واذ قالوا اللهم ان كان
هذا) أى الذى يقوله محمد صلى الله عليه وسلم (هو الحق) بالنصب خبر كان ودخلت هو للفصل (من
عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) عقوبة على انكارنا (أو اثنتا بعذاب أليم) غير الحجارة قاله
النضر استهزاء وقد أمره المقداد يوم بدر فقتله النبي صلى الله عليه وسلم أو قاله أبو جهل وقد ذبحه ابن مسعود
يوم بدر (وما كان الله لمعذبهم وأنت فيهم) أى لا يفعل الله هؤلاء الكفار عذاب الاستئصال مادام
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حاضر معهم تعظيما له وأيضا ان عادة الله مع جميع الانبياء المتقدمين لم
يعذب أهل قرية الا بعد أن يخرج رسولهم منها كما كان فى حق هود وصالح ولوط (وما كان الله لمعذبهم
وهم يستغفرون) أى وما كان الله لمعذب هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون يستغفرون لانه صلى الله عليه
وسلم لما خرج من مكة بقى فيها لم يستطع الهجرة من مكة من المسلمين (وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم
يصدون عن المسجد الحرام) أى ولا مانع من اهلاك الله لهم بعدما خرجت من بينهم وحالهم يمنعونك
والمسلمين عن الطواف ببيت الله يوم الحديبية (وما كانوا أولياءه) أى والحال انهم ما كانوا أولياءه
المسجد وهذا رد لقولهم نحن ولاية البيت والحرم فنصد من نشأ وندخل من نشأ (ان أولياءه الا المتقون)
أى ما أولياءه المسجد الا الذين يتحرزون عن المنكرات كما كانوا يفعلونه عند البيت من المكاء والتصدية
ومن كانت هذه حاله لم يكن وليا للمسجد الحرام بل هم أهل لان يقتلوا بالسيف ويحاربوا (ولكن أكثرهم
لا يعلمون) انه لا ولاية لهم عليه (وما كان صلاتهم) أى عبادتهم (عند البيت الأمكاه) أى صغيرا
(وتصدية) أى تصفيقا أى ما كان شئ مما يعبدونه عبادة الالهذين الفعلين قال ابن عباس كانت قريش
يطوفون بالبيت عراة مشبكين بين أصابعهم يصغرون فيها ويصفقون بأحدى اليدين بالآخرى (فذوقوا
العذاب) أى عذاب السيف يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم (ان
الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أى عن دينه قاله قاتل والسكبي نزلت هذه الآية
فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من كبار قريش أبى جهل وأصحابه يطعم كل واحد منهم كل يوم
يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت فى ابى سفيان وكان استأجر ليوم أحد ألفين من الاحابيش
سوى من استباحش من العرب وانفق فيهم أربعين أوقية والاقية اثنان وأربعون مثقالا وأخرج ابن اسحق
عن مشايخه انها نزلت فى أبى سفيان ومن كان له فى العير من قريش تجارة (فسينفقونها) أى أموالهم
(ثم تكون) أى الاموال (عليهم حسرة) أى ندامة لغواتها وفوات قصدهم من نصرتهم على محمد (ثم
يغلبون) آخر الامر (والذين كفروا) أى أصروا على الكفر أبوجهل وأصحابه (الى جهنم يحشرون)
أى يساقون يوم القيامة (ليميز الله الخبيث من الطيب) أى ليميز الله الفريق الخبيث من الكفار من
الفريق الطيب من المؤمنين واللام متعلقة بحشرون أو يغلبون أو المعنى ليميز الله نفقة الكافر على عداوة
محمد من نفقة المؤمن فى جهاد الكفار كاتفاق أبى بكر وعثمان فى نصره الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة
والكسائي ليميز بضم الياء الاولى وفتح الميم وتشديد الياء المكسورة (ويجعل الخبيث بعضه على بعض)

أى ويجعل الطريق الخبيث بعضه على بعض (فيركه) أى فيجمعه (جميعاً) لغرط ازدحامهم (فيجعله)
 أى يطرحه (في جهنم) وقيل المعنى يضم الله تعالى تلك الأموال الخبيثة بعضها إلى بعض فيلقمها في جهنم
 ويعذبهم بها (أولئك) أى الذين كفروا (هم الخاسرون) أى الكاملون في الغبن (قل للذين
 كفروا) أبى سفيان وأصحابه أى قل يا أشرف الخلق لأجلهم (أن ينتهوا) عن الكفر وعداوة الرسول
 صلى الله عليه وسلم (ينغفر لهم ما قد سلف) من الذنوب قال صلى الله عليه وسلم الإسلام يجب ما قبله
 (وان يعودوا) إلى الكفر ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم أى وان يرتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه
 ويرجعوا إلى الكفر وقتال النبي تنتقم منه بالعذاب (فقد مضت سنة الأولين) أى لأنه قد سبقت سيرة
 الأولين الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتدمير كما جرى على أهل بدر (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
 الدين كله لله) أى قاتلوا كفار أهل مكة لئلا توجد فتنة حتى يخرج المسلمون إلى الحبشة وتوامرت قريش
 أن يقتلوا المؤمنين بمكة عن دينهم حين بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وليكون
 الدين كله لله في أرض مكة وما حولها لا يعبد غيره (فان انتهوا) عن الكفر وسائر المعاصي بالتوبة
 والإيمان (فان الله بما يعملون بصير) أى عالم لا يخفى عليه شيء يوصل إليهم ثوابهم (وان تولوا) عن
 التوبة والإيمان (فاعلموا) يا معشر المؤمنين (أن الله مولاكم) أى حافظكم ورافع البلاء عنكم
 (نعم المولى) أى الولي بالحفظ (ونعم النصير) لا يغلب من نصره وكل من كان في حماية الله تعالى كان
 آمناً من الآفات مصوناً عن المخوفات والمعنى وان تولوا عن الإيمان فلا تخشوا بأسهم لان الله مولاكم
 (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة) أى واعلموا يا معشر المؤمنين أن الذي أصبتموه كائناً من شيء
 قليلاً كان أو كثيراً فواجب ان لله خمسة بمعنى انه تعالى أمر بقسمته على هؤلاء الخمسة فذكر الله للتعظيم
 وقوله ان لله خمسة خير مبتدأ محذوف أى فكون خمسة لله واجب وهذه الجملة خبر لان (والرسول) أما
 بعد وفاته فيصرف سهمه إلى مصالح المسلمين عند الشافعي وقال أبو حنيفة سهمه ساقط بسبب موته وقال
 مالك هو مفقوض إلى الامام (ولذى القربي) أى ولقرباة النبي صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم
 وبنى المطلب دون من عداهم من أغنيائهم وقضائهم يقسم الخمس بينهم للذكر مثل حظ الانثيين
 (واليتامى) أى الذين مات آباؤهم وهم فقراء غير يتامى بنى عبد المطلب (والمساكين) أى ذوى
 الحاجة من المسلمين (وابن السبيل) أى المحتاج في سفره ولا معصية بسفره (ان كنتم آمنتم بالله وما
 أنزلنا على عبدنا) محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة والفتح (يوم الفرقان) أى يوم بدر
 به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بأنزلنا أو بآمنتم (يوم التقى الجمعان) أى الفريقان من المسلمين
 والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان أو منصوب بالفرقان والمعنى ان كنتم آمنتم بالله وبالنزل على محمد يوم
 بدر فاعلموا أن خمس الغنمة مصروفة إلى هذه الوجوه الخمسة فاقطعوا أطماعكم عنه واقنعوا بالاحساس
 الاربعة (والله على كل شيء قدير) يقدر على نصر القليل على الكثير (اذا أنتم بالعدوة الدنيا) وهو بدل
 ثان من يوم الفرقان أى اذا أنتم كائنون في شط الوادى القربى من المدينة (وهم بالعدوة القصوى)
 أى المشركون في شفير الوادى البعدى منها (والركب أسفل منكم) أى العير التي خرجوا
 لها التي يقودها أبوسفيان وأصحابه كائنون بمكان أسفل منكم على ساحل البحر على ثلاثة أميال من
 بدر (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة على القتال (لاختلفتم في الميعاد) أى لخالف بعضكم بعضاً في
 الميعاد هيبة منهم لكثرتهم وقتلتكم (ولكن) جمع الله بينكم على هذه الحال بغير ميعاد (ليقض الله

أمر (كان مفعولا) أى ليعضى أمرا كان مفعولا فى علمه وهو النصر والغنيم للنبى وأصحابه والهزعة والقتل لا يجهل وأصحابه ويكون استيلاء المؤمنين على المشركين مجزة دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) وهو بدل من ليعضى أى ليموت من مات عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة شاهد بها لئلا يكون له حجة ومعدرة أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بينة (وان الله لسميع) لدعائكم (عليم) بحاجتكم وضعفكم فاصلح مهمكم (أذير يريكم الله فى منامك) قبل يوم بدر (قليل) مع كثرتهم فأخبر بذلك أصحابه فقالوا رؤيا لنبى حق فصار ذلك تشجيعا للمؤمنين (ولو أراكم كثير الفشلتم) أى ولو أراكم الله المشركين كثيرا لذكرته للقوم ولو سمعوا ذلك لجبنوا (ولتنازعتم فى الأمر) أى اختلفتم فى أمر القتال وتفرقت أراؤكم فى الفرار والثبات (ولكن الله سميع) أى سلمكم من المخالفة فيما بينكم (انه عليم بدات الصدور) أى بالخطرات التى تقع فى القلوب من الصبر والجزع والجراة والجنب ولذلك دبر مآدبر (وأذير يكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا) أى وأذير يصرم أيها المؤمنون أيهم قليلا حتى قال ابن مسعود لمن فى جنبه أترأهم سبعين فقال أراهم مائة وهم فى نفس الأمر ألف تصديقاً لرواية الرسول صلى الله عليه وسلم ولترداد جراءة المؤمنين عليهم (ويفللكم فى أعينهم) حتى قال أبو جهل انما أصحاب محمد أكلة جزور أى قليل يشبعهم جزور واحد فلا تقتلوهم واربطوهم بالحبال وقل الله عدد المؤمنين فى أعين المشركين قبل التحام الحرب لئلا يبالغ الكفار فى تحصيل الاستعداد والحذر فيصير ذلك سبيلا لانكسارهم فلما التحم القتال أرى الكفار المسلمين مثلى الكفار وكانوا ألقافراً والمسلمين قدراً لفين ليهابوا وتضعف قلوبهم (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) أى ليصير ذلك سبيلا لاستيلاء المؤمنين عليهم (والى الله ترجع الامور) بالبناء للمفعول أى ترد للفاعل أى تصير ويصرف الله الامور كلها كيفما يريد ولا تجرى على ما يظنه العبيد (يا أيها الذين آمنوا اذلقم فئمة فائبتوا) أى اذا حاربتم جماعة من الكفرة فجدوا فى المحاربة ولا تنهزموا (واذكروا الله كثيرا) بالقلب واللسان فى أثناء القتال ومن الذكر ما يقع حال القتال من التكبير (لعلكم تفلحون) أى تفوزون بمرامكم من النصر والثوبة (وأطيعوا الله ورسوله) فى أمر القتال غيره (ولا تنازعوا) أى لا تختلفوا فى أمر الحرب (فتفشلوا) أى فتجبنوا (وتذهب ريحكم) أى شدتكم (واصبروا) على شدة الحرب (ان الله مع الصابرين) بالنصرة والكلام (ولا تكونوا) فى الاستكبار والفخر (كالذين خرجوا من ديارهم) مكة لحماية العير (بطرا) أى شديد المرح (ورثاء الناس) أى ولثاء الناس عليهم بالشجاعة والسباحة وذلك ان قريشا خرجوا من مكة لحفظ العير فلما بلغوا بحفة أتاهم رسول أبى سفيان وقال ارجعوا الى مكة فقد سلمت عيركم فأبوا الا اظهار آثار الجلالة وأيضا لما وردوا بالحفة بعث الحفاف السكافى الى أبى جهل وهو صديق له بهذا يامع ابن له فلما أتاه قال ان أبى يقول لك ان شئت ان أمذك بالرجال أم دتلك وان شئت ان أرحف اليك بن معى من قرابتى فعلت فقال أبو جهل قل لا ييك جزاك الله خيرا ان كنا نقاتل الله كما يرغم محمد مدفوا الله مالنا بالله من طاقة وان كنا نقاتل الناس فوالله ان بنا على الناس لقوة والله ما ترجع عن قتال محمد حتى نرديدا فنشرب فيها الخمر وتغزق علينا القيان وننحر الجزور فى بدر فيثني الناس علينا بالشجاعة والسباحة وقد بدل لهم الله شرب الخمر بشرب كأس الموت وبدل ضرب الجوارى على نحو الدفوف بنوح الناضحات وبدل نحر الجزور بنحر رقابهم حيث قتل منهم سبعون وأسر سبعون واعلم ان النعم اذا كثرت من الله تعالى على

العبد فان صرفها الى مرضاته تعالى وعرف انهم من الله تعالى فذالك هو الشكر وامان توصل به الى
المغفرة على الاقران والمغالبة بالكثرة على اهل الزمان فذالك هو البطر (ويصدون عن سبيل الله) أى
ويمنعون الناس من الدخول في دين الله وهذا معطوف على بطر او اغاذ كرا بطر والرياء بصيغة الاسم
والصد بصيغة الفعل لان ابا جهل ورهطه كانوا يجبولين على المغفرة والرياء واما صدهم عن سبيل الله فافغا
حصل في الزمان الذى ادعى سيدنا محمد النبوة (والله بما يعملون محيط) أى والله عالم بما فى دواخل
القلوب وهذا كالتهديد عن التصنع فان الاشارة بما أظهر من نفسه ان الحامل له الى ذلك الفعل طلب
مرضاته الله تعالى مع انه لا يكون الامر في الحقيقة كذلك (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) أى واذا ذكر
وقت تز بين الشيطان أعمالهم في معاداة المؤمنين وخر وجهم من مكة فان المشركين حين أرادوا المسير
الى بدر خافوا من بنى بكر بن كنانة لانهم كانوا اقتتلوا منهم واحدا فلم يأمنوا ان يأتوهم من وراءهم فتصور لهم
ابليس بسورة سراقبة بن مالك بن جعشم وهو من بنى بكر بن كنانة وكان من أشرافهم في جند من
الشياطين ومعه راية (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) أى لا غالب عليكم اليوم من بنى
كنانة ومن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (واى جار لكم) أى حافظكم من مضرهم (فلما تراءت
الفتتان) أى التقى الجمعان جمه المؤمنين وجمع الكافرين بحيث رأت كل واحدة الاخرى ورأى
ابليس نزول الملائكة من السماء (نكص على عقبيه) أى رجع الى خلفه هاربا (وقال انى برى
منكم) فكان ابليس في صف المشركين وهو آخذ بيد الحارث بن هشام فقال له الحارث الى أين أتترك
نصرتنا في هذه الحالة قال ابليس (انى أرى ما لاترون) وأرى جبريل بين يدي النبي صلى الله عليه
وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ولم تروه ودفع ابليس في صدر الحارث و (انى أخاف الله) ان يهلكنى
بتسليط الملائكة على وقيل لما رأى ابليس الملائكة ينزلون من السماء خاف ان يكون الوقت الذى أنظر
اليه قد حضر فقال ما قال اشفاقا على نفسه (والله شديد العقاب) قاله الشيطان بسط العذرة وحينئذ
فهو تعليل أو هو مستأنف من محض كلامه تعالى تهديد ابليس (اذ يقول المنافقون) وهم قوم من الاوس
والخزرج (والذين في قلوبهم مرض) أى شاك وهم قوم من قريش أسلموا ولم يقوا سلامهم في قلوبهم ولم
يهاجروا منهم عتبة بن ربيعة وقيس بن الوائلى وأبو قيس بن الفاكه والحارث بن زمة وعدى بن أمية والعاص
ابن منبه والعامل في اذنين أو اذ كرمقدرا (غرهؤلاء) أى محمد وأصحابه (دينهم) فانهم خرجوا وهم ثلاث
مائة وثلاثة عشر يقاتلون ألف رجل وما ذاك الا انهم اعتمدوا على دينهم وقال هؤلاء لما خرج قريش
لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مع قوم منافان كان محمد في كثرة خرجنا اليه وان كان في قلة أقنا
في قومنا فلم يخرجوا مع قريش ورأوا قلة المسلمين وكثرة الكفار رجعوا للكفر وقالوا ذلك القول وقتلوا
جميعا مع المشركين يوم بدر ولم يحضره منافق في بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم الا واحد هو عبد الله بن أبي
(ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) أى ومن يعول على احسان الله ويثق بفضله ويسلم أمره الى الله
فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شيء يحكم يوصل العذاب الى أعدائه والرحمة الى أوليائه (ولو ترى
اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) أى ولورأيت يا أشرف الخلق الكفرة حين يتوفاهم الملائكة في بدر
(يضربون وجوههم وأدبارهم) يقولون لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أى النار لانه كان مع
الملائكة مقامع وكلما ضربوا بها التهب النار منها في الاجزاء وجواب لو محذوف أى رأيت أمر فظيما
لا يكاد يوصف (ذلك) العذاب (بما قدمت أيديكم) أى بسبب ما عملت أيديكم من الكفر والمعاصي

(وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من جهتهم (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم) أي عادة كفار قريش فيما فعلوه من الكفر وما فعل بهم من العذاب كعادة آل فرعون وقوم نوح وعاد واهلهم من الكفر والعناد في ذلك (كفروا بآيات الله) أي أنكروا الدلائل الالهية وهذه الجملة تفسر لدأب كفار قريش (فأخذهم الله بذنوبهم) أي بسبب ذنوبهم (إن الله قوي) بالأخذ (شديد العقاب) أي إذا عاقب (ذلك بأن الله لم يكن مغيرا نعمته أنعمها على قوم حتى يغير وأما بآبائهم) أي تعذيب الكفرة بما قدمت أيديهم بسبب أن الله لم يكن مغيرا نعمته أنعم بها عليهم كالتعقل وإزالة الموانع حتى يغيروا أحوالهم فإذا صرّفوا تلك النعمة إلى الفسق والكفر فقد غيروا نعمة الله تعالى على أنفسهم فاستحقوا تبديل النعم بالنقم والمنع بالحقن (وأن الله سميع عليم) أي وبسبب أنه تعالى يسمع ويعلم جميع ما يتون وما يذرون (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم) أي حتى يغيروا وأما بآبائهم تغييرا كائننا كتغيير الأمم الماضية (كذبوا بآيات ربهم) أي كذب آل فرعون ومن قبلهم بأنه تعالى ربهم وأنعم عليهم فأنكروا دلائل الترتيب والاحسان مع كثرتها وتواليها عليهم كما كذب أهل مكة ذلك (فأهلكناهم بذنوبهم) أي أهلكنا بعضهم بالرجعة وبعضهم بالحسف وبعضهم بالمجاعة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف (وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) أي وكل من الفرق المكذبة كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والمعصية ولأنبيائهم بالكذب ولستأثر الناس بالأيذاء والايحاش فأنه تعالى اغتأبهم بسبب ظلمهم اللهم اهلك الظالمين وطهر وجهه الأرض منهم فلا يقدر أحد على دفعهم إلا أنت فادفع يا قهار يا جبار يا منتقم (إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أي إن شر الخلق في حكم الله وعلمه الذين أصروا على الكفر فهم لا يرجي منهم إيمان (الذين طاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) أي من مرات المعاهدة قال ابن عباس هم قريظة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهديهم ودين قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح في يوم بدر ثم قالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدتهم مرة ثانية فنقضوا العهد أيضا وساعدوا معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فخالقهم على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهم لا يتقون) عن نقض العهد (فأما تنقظهم في الحرب فشردهم من خلفهم لعلهم يذكرون) أي إن تظفرن هؤلاء الكفار الذين ينقضون العهد في أثناء الحرب فافعل بهم فعلا من القتل والتعذيب يفرق بسببهم من خلفهم من أهل مكة واليمن أي إذا فعلت بقريظة العقوبة فرقت شمل قريش إذ يخافون منك أن تفعل بهم مثل ما فعلت بحلفائهم وهم قريظة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرقهم في ذلك الوقت ففرقا غنيما موجباً للاضطراب (وأما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء) أي وإن تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد بآمارات ظاهرة فاطرح إليهم عهدهم على طريق ظاهر مستورا بأن تعلمهم قبل حربك أي أنهم أنك قطع ما بينك وبينهم من الوصلة حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء ولا تبادرهم بالحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك (إن الله لا يحب الخائنين) في العهود والحاصل أن ظهرت الخيانة بآمارات ظاهرة من غير أمر مستفيض وجب على الإمام أن ينبذ إليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك كما في قريظة فأنهم عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا بأبغیان ومن معه من المشركين إلى مظاهرهم عليه صلى الله عليه وسلم وأما إذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به

فلا حاجة للامام الى نبذ العهد و اعلامهم بالحرب بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة فانهم لما نقضوا العهد بقتل خراعتهم في ذمة النبي صلى الله عليه وسلم وصل اليهم جيش النبي صلى الله عليه وسلم عبر الظهران وذلك على اربع فراسخ من مكة (ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا) قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم بالياء التحتية أى ولا يحسبن الذين كفروا من قرينش أنفسهم فانوا من عذابنا بهر بهم يوم يذرو قرأ الباقر بالتاء الفوقانية على مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم أى ولا تحسبن يا أشرف الخلق الذين كفروا الذين خلصوا منكم في بدر فأتين من عذابنا (انهم لا يجزون) أى انهم بهذا الفرار لا يجزون الله من الانتقام منهم اما بالقتل في الدنيا واما بعذاب النار في الآخرة وقرأ ابن عامر أنهم يفتح الهمزة على التعليل (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) قيل انه لما اتفق لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قصة بدر انهم قصدوا الكفار بلا آلة أمرهم الله تعالى ان لا يعودوا والمثله فقال وأعدوا الخ أى هيثوا الحراب الكفار ما استطعتم من كل ما يتقوى به في الحرب من كل ما هو آلة للجهاد ومن الخيل المربوط سواء كان من الفحول أو من الاناث وروى انه كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واثاث الخيل عند الميقات والغارات (ترهبون به) أى بذلك الأعداد وقرئ تخزون (عدوا الله وعدوكم) وهم كفار مكة (وآخرين من دونهم) أى من غير كفار مكة من الكفرة (لا تعلمونهم) على ما هم عليه من العداوة أى فان تكثير آلات الجهاد كإيرهاب الأعداء الذين نعلم كونهم أعداء كذلك يرهب الأعداء الذي لا نعلم انهم أعداء سواء كانوا مسلمين أو كفارا (الله يعلمهم) لا غيره (وماتنقوا من شئ) قل أو جل (في سبيل الله) أى في طاعة الله في الجهاد وفي سائر وجوه الخيرات (يوفى اليكم) أى لا يضيع الله في الآخرة أجره ويجهل عوضه في الدنيا (وأنتم لا تظنون) أى لا تنتقصون من الاجر (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) أى وان مال الكفار للصالح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد فاقبله وقرأ أبو بكر عن عاصم للسلم بكسر السين وقرئ فأجنح بضم النون (وتوكل على الله) أى فوض الامر فيما عقدته معهم الى الله ليكون عوناً لك على السلامة ولكي ينصرك عليهم اذا نقضوا العهد (انه) تعالى (هو السميع) لما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع (العليم) بنياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحورهم (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله) أى وان يريدوا الكفار بالصالح خديعتك لتكف عنهم فاعلم ان الله كافيك من شرورهم وناصرك عليهم (هو الذى أيدك بنصره) أى قوال بنصره في سائر أيامك (وبالمؤمنين) من المهاجرين والانصار (وألّف بين قلوبهم) لو أنفقت مافى الارض جميعاً ما ألّف بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم أى ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى قوم تكبرهم شديد حتى لو لطم رجل من قبيلة لطمه قاتل عنه قبيلته حتى يذركوا ناره ثم انهم انقلبوا عن تلك الحالة حتى قاتل الرجل أخاه وأباه وابنه واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصاراً أيضاً كانت الحصومة بين الاوس والخزرج شديدة والمحاربة دائمة ثم زالت الضغائن وحصلت اللفة فزاله تلك العداوة الشديدة وتبدلها بالمحبة القوية مما لا يقدر عليها الا الله تعالى وصارت تلك معجزة ظاهرة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (انه) تعالى (عزيز) أى قاهر يقلب القلوب من العداوة الى الصداقة (حكيم) أى يفعل ما يفعله مطابقاً للصحة (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أى كفاك الله وكفى اتباعك ناصراً أو المعنى كفاك الله والمؤمنون وهذه الآية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال فالمراد بالمؤمنين هنا أهل غزوة بدر وهم المهاجرون

والانصار وقيل نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله عنه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) أي بالغ في حثهم عليه (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) أي ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين (واب يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) وانما وجب هذا الحكم عند حصول الشروط منها ان يكون المؤمن شديدا لعضائه قويا جلدًا ومنه ان يكون قوي القلب شديدا للبأس شجاعا غير جبان ومنه ان يكون غير متحرف الا لقتال أو متحيزا لفئة فعند حصول هذه الشروط وجب على الواحد ان يثبت للعشرة (بأنهم قوم لا يفقهون) متعلق بيغلبوا في الموضعين أي بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون امتثالًا بأمر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضائه وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واثارة العدو وانهم يعتمدون على قوتهم والمسلمون يستعينون برهيم بالتضرع ومن كان كذلك كان النصر أليق به (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) في البدن أو في معرفة القتال لافي الدين (فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله) أي بإرادته وهذه الآية دلت على ان ذلك الشرط مفقود في حق هذه الجماعة فلم يثبت ذلك الحكم وعلى هذا التقدير لم يحصل النسخ البتة فقد أنكر أبو مسلم الاصفهاني النسخ (والله مع الصابرين) أي ان العشرين ان قدروا على مصابرة المائتين بقي ذلك الحكم وان لم يقدروا على مصابرتهم فالحكم المذكور هناك زاهل وهذا يدل على صحة مذهب أبي مسلم (ما كان لنبي أن يكون له أمرى حتى يثنى في الارض) أي ما ينبغي لنبي ان يكون له أسرى من الكفار حتى يقوى ويغلب بل اللاتق قتلهم (تريدون) أيها المؤمنون (عرض الدنيا) أي متاع الدنيا الذي هو الفداء (والله يريد الآخرة) أي انما رضي الله ما يفضي الى السعادات الآخروية المصونة عن الزوال (والله عزيز) يغلب أولياءه على أعدائه (حكيم) يعلم ما يليق بكل حال كما أمر بالاثخان ونهى عن أخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخبر بين أخذ الفداء وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) أي لولا انه تعالى حكم في الازل بالعفو عن هذه الواقعة لاصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء عذاب شديد (فكلوا مما غفتم حلالا طيبا) أي قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غفتم حال كونه حلالا مستلذزا روى انهم أمسكوا عن الغنائم في بدر ولم يعدوا أيديهم اليها فنزلت هذه الآية (واتقوا الله) في مخالفة أمره ونهيه في المستقبل (ان الله غفور رحيم) في الحالة الماضية من استباحة الفداء قبل ورود الاذن من الله تعالى فيه (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى) قرأ أبو عمر ومن الأسارى بضم الهمزة وفتح السين بعدها ألف وبالألف أي من الذين اسرتوهم وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) أي ايمانًا وعزمًا على طاعة الله ورسوله في جميع التكليف وتوبة عن الكفر وجميع المعاصي (يؤتاكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء (ويغفر لكم) ما سلف منكم قبل الايمان (والله غفور) لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) بأهل طاعته وروى أن العباس كان أسيرًا يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجه اليطيم الناس فكان أحد العشرة الذين ضمنوا الطعام لمن خرجوا من مكة الى بدر فلم تبلغه النبوة حتى أسروا وأخذ ذلك العشرون منه فقال العباس كنت مسلما الا أنهم أكرهوني فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فانه يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا قال العباس

فكلمت رسول الله أن يرد ذلك الذهب على فقال صلى الله عليه وسلم أما شئ خرجت به تستعين به عليه نأقلا
قال العباس وكلفني الرسول فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال
العباس يا محمد تتركني أتكفف قريشاً ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الذهب الذي
دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لهما ما أدري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي
حادث فهذا المال لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقتم فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال صلى الله
عليه وسلم أخبرني به ربي قال العباس أنا أشهد أنك صادق أشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله والله
لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتاباً في أمرك فأما اذا أخبرني بذلك
فلأريب وأمر ابني أخيه عقيلاً ونوفل بن الحرث فأسلما قال العباس فأبدلني الله خيراً عما أخذ مني ولي
الآن عشرين عبداً كلهم تاجر يضرب بمال كثير أذناهم يضرب بعشرين ألفاً وأعطاني زمزم وما أحب
أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي وروى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم مال البحرين ثمانون ألفاً فتوضأ الصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه
ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأنا أرجو المغفرة (وان يريدوا) أي الأمرى (خيانتك)
أي بنقض العهد فاعلم أنه سيكنك منهم فانه صلى الله عليه وسلم كلما أطلقهم من الأسر عهدهم معهم أن
لا يعودوا إلى محاربتة صلى الله عليه وسلم وإلى معاهدة المشركين بالعون عليه صلى الله عليه وسلم (فقد
خانوا الله من قبل) أي من قبل هذا بما أقدموا عليه من محاربة الرسول يوم بدر (فأمكن منهم) أي
أقدر المؤمنين عليهم قتلاً وأسراً في بدر (والله عليم) أي ببواطنهم (حكيم) يفعل كل ما يفعله
حسب ما تقتضيه حكمته البالغة (ان الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وهاجروا) من مكة إلى المدينة
حب الله تعالى ورسوله (وجاهدوا بأموالهم) بأن صرفوها إلى السلاح وأنفقوها على المحاربة
(وأنفسهم) بمباشرة القتال وبالخوض في المهالك (في سبيل الله) أي في طاعة الله (والذين آووا)
أي أنزلوا المهاجرين منازلهم (ونصروا) لهم على أعدائهم يوم بدر (أولئك) أي الموصوفون بما ذكر
(بعضهم أولياء بعض) أي يكونون يداً واحدة على الأعداء ويكون حب كل واحد لا يخرج جارا يجري حبه
لنفسه (والذين آمنوا) بمحمد والقرآن (ولم يهاجروا) من مكة إلى المدينة (مالكم من ولايتهم)
أي من تعظيمهم (من شئ حتى يهاجروا) فلو هاجر والحصل الاكرام والاحلال وقرأ حمزة من ولايتهم
بكسر الواو والباقون بالفتح (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)
أي ان قطع التعظيم بين تلك الطائفة ليس كما في حق الكفار بل هؤلاء لو استعانوكم في الدين على
المشركين فواجب عليكم أن تعاونوهم عليهم الا على قوم منهم بينكم معاهدة فانه لا يجوز لكم نقض
عهدهم بنصرهم عليهم اذا الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) فلا تخالفوا أمره كي لا يحل
بكم عقابه (والذين كفروا وبعضهم أولياء بعض) أي في النصرة فان كفار قريش كانوا في غاية العداوة
لليهود فلما ظهرت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم تعاروا على ايذائه ومحاربتة والمشركون واليهود
والنصارى لما اشتروا في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم صارت هذه الجهة سبباً لانضمام بعضهم إلى
بعض وقرب بعضهم من بعض وتلك العداوة لمحض الحسد لا لأجل الدين لان كل واحد منهم كان في نهاية
الانكار لدين صاحبه (الاتفعلوه تكن فتنه في الارض وفساد كبير) أي ان لم تفعلوا ما أمرتكم به من
التواصل بين المسلمين ومن قطع المحبة بينهم وبين الكفار تحصل فتنه في الارض ومفسدة عظيمة فان

المسلمين لو اختلطوا بالكفار في زمان ضاع المسلمون وقلة عددهم وزمان قوة الكفار وكثرة عددهم فرعا
صارت تلك الخاططة سبباً لالتحاق المسلم بالكفار وان المسلمين لو كانوا متفرقين لم يظهر منهم جمع عظيم
فيمصر ذلك سبباً لجرأة الكفار عليهم (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آمنوا وناصروا
أولئك هم المؤمنون حقا) فאלله تعالى ذكرهم أولاً للتيبين حكمهم وهو اكرام بعضهم بعضاً ثم ذكرهم
ههنا للبيان تعظيم شأنهم وعز وجلتهم وأنهم من ثلاثه أو جهوهى وصفهم بكونهم محققين محققين في
طريق الدين لأن من لم يكن محققاً في دينه لم يفارق الأهل والوطن ولم يبدل النفس والمال ولم يكن في هذه
الاحوال من المتسارعين (لهم مغفرة) تامة عن جميع الذنوب والتبغات (ورزق كريم) ثواب حسن
في الجنة (والذين آمنوا من بعد) أى بعد الهجرة الأولى وهو هؤلاء هم التابعون بأحسان (وهاجروا)
من مكة الى المدينة بعد المهاجرين الأولين (وجاهدوا معكم) فى بعض مغازيكم (فأولئك منكم) أى
من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار فى السر والعلانية (وأولوا الارحام) أى ذوالالقربات (بعضهم
أولى ببعض) آخر منهم فى التوارث من الجانب (فى كتاب الله) أى فى حكم الله الذى بينه
فى كتابه بالسهم المذكورة فى سورة النساء (ان الله بكل شئ عليم) فالعالم بجميع المعلومات لا يحكم
الا بالصواب

﴿سورة التوبة مدنية وقد قيل الايتين آخرها فانها مكيان وآياتها مائة وثلاثون
وعدد كلماتها ألفان وأربع مائة وسبع وتسعون وحر وفها عشرة آلاف وثمانائة
وسبعة وثمانون والصحيح ان التسمية لم تكتب لان جبريل عليه السلام
ما نزل بها فى هذه السورة قاله القشيري﴾

(براهمة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) أى هذه براهمة من جهة الله تعالى ورسوله واصالة
الى الذين عاهدتم من المشركين فالله قد أذن فى معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعاهدهم ثم ان المشركين نقضوا العهد فأوجب الله النبذ اليهم فخطب المسلمون بما يحذرهم من
ذلك وقيل اعلوا أن الله ورسوله قد برأنا عاهدتم من المشركين (فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر) أى
سيروا أيها المشركون كيف شئتم آمنين من القتل والقتال فى هذه المدة من يوم النحر روى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم أراد أن يجمع سنة تسع فقبل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال
لا أحب أن أجمع حتى لا يكون ذلك فبعث أبابكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقم للناس الحج وبعث معه
أربعين آية من صدر براءة ليقراها على أهل الموسم ثم بعث بعده علياً على ناقته العصابة ليقرا على الناس
صدر براءة وأمره أن يؤذن بحكمة ومنى وعرفة ان قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل
شرك ولا يطوف بالبيت عريان فسار أبو بكر أميراً على الحاج وعلى ابن أبي طالب يؤذن ببراءة فلما كان
قبل يوم التروية بيوم قام أبو بكر رضى الله عنه فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم وأقام للناس
الحج والعرب فى تلك السنة على معاهدتهم التى كانوا عليها فى الجاهلية من أمر الحج حتى اذا كان
يوم النحر قام على ابن أبي طالب رضى الله عنه فأذن فى الناس بالذى أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة
وقال على بعثت بارب لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى
مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون

بعد عامهم هذا في الحج فقال المشركون لعل عند ذلك يبلغ بن عمك اننا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس
بيننا وبينه عهد الاطعن بالرمح وضرب بالسيوف ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة
الوداع (واعلموا انكم غير معجزى الله) أى واعلموا يا معشر الكفار ان هذا الامهال ليس لعجز بل للطف
ليتوب من تاب أى اعلموا انى امهلتكم وأطلقت لكم فافعلوا كل ما أمكنكم فعلمه من اعداد الآلات
وتحصيل الاسباب فانكم لا تعجزون الله بل الله يعجزكم (وأن الله مخزى الكافرين) أى مذلهم في الدنيا
بالقتل والاسر وبالآخرة بالعذاب (وأذان من الله ورسوله الى الناس) أى وهذا اعلام صادر من الله
ورسوله واصل الى الناس (يوم الحج الاكبر) وهو يوم العيد لان فيه تمام معظم أفعال الحج ولان الاعلام
كان فيه (أن الله يرى من المشركين) الناقضين للعهد (ورسوله) بالرفع باتفاق السبعة فهو معطوف
على الضمير المستتر في يرى (فان تبتم) من الشرك (فهو خير لكم) أى فالتوب خير لكم في الدارين
لاشر (وان قوليت) أى أعرضت عن المتاب من الشرك (فاعلموا) يا معشر المشركين (أنكم غير
معجزى الله) أى غير فائتين من عذاب الله فان الله قادر على انزال أشد العذاب بهم (وبشر الذين كفروا
بعذاب أليم) أى اخبرهم بالقتل بعد أربعة أشهر فالبشارة على سبيل الاستهزاء كما يقال اكرامهم الشتم
وتحيتهم الضرب (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا) من شروط الميثاق ولم يضرركم
قط وقرى بالضاد المجمة أى لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقص (ولم يظاهروا) أى لم يعاونوا (عليكم
أحدا) من أعدائكم (فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم) الى وقت أجلهم تسعة أشهر والمعنى لا تعلموا
الناكثين للعهد فوق أربعة أشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين
في المسارعة الى قتالهم بل أتوا اليهم عهدهم ولا تجعلوا الوافين كالغادرين وهم بنو ضميرة حتى من كناية
أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر فانهم ما غدروا
من هذين الوجهين (ان الله يحب المتقين) عن نقض العهد فان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى
وان التسوية بين الوافى والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) أى
فاذا خرج الاشهر التي حرم الله القتل والقتال فيها وهى من يوم النحر الى العاشر من ربيع الآخر (فاقتلوا
المشركين) الناكثين خاصة (حيث وجدتموهم) أى فى حل أو حرم أو فى شهر حرام أو غيره (وخذوهم)
أى اوسروهم (واحصروهم) أى امنعوهم من اتيان المسجد الحرام ومن التعلب في البلاد (واقعدوا
لهم) أى لاجلهم خاصة (كل مرصد) أى فى كل عمر يسلكونه لئلا ينبسطوا فى البلاد (فان تابوا)
من الشرك وآمنوا بالله (وأقاموا الصلاة) أى أقروا بالصلوات الخمس (وآتوا الزكاة) أى أقروا
بإداء الزكاة (خلوا سبيلهم) أى فآتروهم ولا تعرضوا لهم بشئ من ما ذكر (ان الله غفور رحيم)
لن تاب من الكفر والغدر (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) أى وان سألك
أحد من المشركين الذين أمرت بقتالهم ان تأمنه بعد انقضاء مدة السياحة فأمنه حتى يسمع قراءتك لكلام
الله ويطلع على حقيقة ما تدعوا اليه ومنقل عن ابن عباس انه قال ان رجلا من المشركين قال لعل بن أبى
طالب ان أردنا أن نأتى الرسول بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله أو لحاجة أخرى فهل نقتل فقال
على لافان الله تعالى قال وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله (ثم بلغه مأمنه)
أى ثم أوصله الى ديار قومه التي يأمنون فيها على أنفسهم وأموالهم ثم بعد ذلك يجوز قتالهم وقتلهم (ذلك)
أى اعطاء الامان (بأنهم قوم لا يعلمون) أى بسبب انهم قوم لا يفقهون ما لا يعلن وما حقيقة ما تدعوه

اليه فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى معهم معذرة أصلا (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) أى لا ينبغي أن يبقى للمشركين عهد عند الله وعند رسوله وهم ينقضون العهد الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) أى لكن الذين عاهدتم من المشركين عند قرب أرض الحرم يوم الحديبية وهم المستثنون من قبل هذا الاستثناء فقد استثنوا في قوله تعالى سابقا الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا الخ وهم بنو كاذة وبنو ضرة فتربصوا أمرهم ولا تقتلوههم (فاستقاموا لكم فاستقيموا لهم) أى فأي زمان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله أو المعنى فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم (ان الله يحب المتقين) عن نقض العهد وقد استقام صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوه بأعانتهم بنى بكر وهم كنانة حلفاؤهم على خراعة حلفائه صلى الله عليه وسلم روى أنه عدت بنى بكر على بنى خزاعة في حال غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاونتهم قريش بالسلاح حتى وقد عمر بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنه

لاهم انى ناشد محمدا * حلف أينما وأبيلك ألا تلتدا
ان قريشا خلفوك الموعدا * ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا ومجدا

فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم أنصركم (كيف وان يظهر واعليكم) أى وحالهم انهم ان يقدروا عليكم (لا يرقبوا فيكم) أى لا يحفظوا فيكم (الا) أى قرابة (ولا ذمة) أى عهد والمعنى كيف لا تقتلوههم وهم ان يغلبوكم لا يحفظوا في شأنكم قرابة ولا ضما بابل يؤذوكم ما استطاعوا (يرضونكم بأفواههم وتابى قلوبهم) أى تنسركم قلوبهم ما يفيد كلامهم أى فانهم يقولون بألسنتهم كلاما حلو لطيبا والذى فى قلوبهم بخلاف ذلك فانهم لا يظهرون الا الشر والايذاء ان قدر واعليه (وأكثروهم فاسقون) أى ناقضون للعهد مذمومون عند جميع الناس وفي جميع الاديان (اشترى بآيات الله غنما قليلا) أى تركوا آيات الله الآمرة بالاستقامة في كل أمر وأخذوا بهما شيئا يسيرا من الدنيا لاجل تحصيل الشهوات وذلك ان أباسفيان بن حرب أطمع حلفاءه وترك حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وحملتهم تلك الاكلة على نقض العهد فنقضوا العهد الذى كان بينهم بسبب تلك الاكلة (فصعدوا عن سبيله) أى عن دينه أو عن سبيل البيت الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه (انهم ساء ما كانوا يعملون) أى ساء ما كانوا يعملونه ماضى من صدهم عن سبيل الله ومأمعه (لا يرقبون) أى لا يحفظون (فى مؤمن الا) أى قرابة (ولا ذمة) كقولك مع ابدال الضمير بمؤمن لان الاول وقع جوابا لقوله تعالى وان يظهر واو الثانى وقع خبرا عن تقبيح حالهم أو هذا خاص بالذين اشترى والذى بهم أبو سفيان وأطعمهم وأشباهم من اليهود وغيرهم (وأولئك هم المعتدون) أى المجاوزون في الظلم والشرارة (فان تابوا) من مساوى أعمالهم (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى أقرروا بحكمهم ما عزموا على اقامتها (فإخوانكم) أى فهم إخوانكم (فى الدين) أى لهم مالكم وعليهم ما عليكم فعام لوهم معاملة الاخوان (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) أى نبين الآيات لقوم يعلمون ما فيها من الاحكام (وان نكثوا أيمانهم) أى عهدهم التى بينكم وبينهم (من بعد عهدهم) أن لا يقتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم (وطعنوا فى دينكم) أى عابوا دينكم بالكذب وتقبيح الاحكام (فقاتلوا أئمة الكفر) أى قاتلوا الكفار بأسرهم فانهم صاروا بذلك ذوى تقدم فى الكفر احقاء بالقتل والقتال (انهم لأيمان لهم) أى

انهم لا عهد لهم على الحقيقة لانهم لا يعدون نقضها محذورا وهم لما لم يفوا بها صارت ايمانهم كأنها ليست
 بايمان وان أجروها على ألسنتهم وقرأ ابن عامر لا ايمان لهم بكسر الهمزة أى لا تعطوهم أمانة بعد ذلك أبدا
 فيكون الايمان مصدرا بمعنى اعطاء الامان فهو ضد الاخافة (لعلهم ينتهون) أى لئلا يكون غرضكم في
 مقاتلتهم سببا في انتهاهم عما هم عليه من الكفر والطعن في دينكم والمعاونة عليكم (ألا) أى هـ لا
 (تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) بعد عهد الحديبية باعانة بنى بكر على خزاعة (وهو ما باخراجه الرسول)
 أى باخراجه من مكة لكن لم يخرجوه بل خرج باختياره باذن الله فى الهجرة أو من المدينة لقصد قتله
 (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال يوم بدر لانهم حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدًا ومن معه أو
 بدؤا بقتال خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لان اعانة بنى بكر عليهم بالسلاح قتال معهم فالاعانة على
 القتال تسمى قتالا (أتخشونهم) أى أتخافون أيها المؤمنون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم (فأله
 أحق أن يخشوه) فى ترك أمره (ان كنتم مؤمنين) ودلت هذه الآية على ان المؤمن ينبغي ان يخشى ربه
 وأن لا يخشى أحدا سواه (فأتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) بالقتل تارة والامر أخرى واغتنام الاموال ثالثا
 (ويخزهم) حيث شاهدوا أنفسهم مقهورين فى أيدي المؤمنين ذليلين (وينصركم عليهم) أى
 يجعلكم جميعا غايبين عليهم أجمعين فانكم تنفعون بهذا النصر (ويشف صدور قوم مؤمنين) عن لم
 يشهد القتال وهم خزاعة بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من أهلها أذى كثيرا فبعثوا الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب وكان شفعا صدورهم من راحة
 الانتظار فانه الموت الاحمر (ويذهب غمظ قلوبهم) من بنى بكر فان من طال تأذيه من خصمه ثم ممكنه
 الله منه على أحسن الوجوه كان سروره أعظم (ويتوب الله على من يشاء) من بعض أهل مكة كابي
 سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو فقام أسلموا يوم فتح مكة وحسن اسلامهم (والله
 عليم) بكل ما يفعل فى ملكه (حكيم) أى مصيب فى أفعاله وأحكامه (أم حسبتم أن تتركوا وما يعلم
 الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أى بل أ حسبتم ان
 يترككم الله بدون تكليفكم بالقتال الذى سئمتموه والحال انه لم يصدر الجهاد عنكم خالبا عن النفاق
 والرياء والتودد الى الكفار وابطال ما يخالف طريقة الدين والمقصود من هذه الآية بيان ان المكلف فى
 هذه الواقعة لا يتخلص عن العتاب الا عند حصول أمرين الاول ان يصدر الجهاد عنهم والثانى ان يأتى
 بالجهاد مع الاخلاص فان المجاهدة يجب اهدوا باطنه خلاف ظاهره وهو الذى يتخذ الوليعة من دون الله
 ورسوله والمؤمنين المخلصين أى وهو الذى يطلع الكافر على الاسرار الخفية والمقصود بيان انه ليس
 الفرض من ايجاب القتال نفس القتال فقط بل الفرض ان يؤتى به لانقياد أمر الله تعالى وحكمه ليظهر
 به بذل النفس والمال فى طلب رضوان تعالى حينئذ يحصل به الانتفاع (والله خير بما تعملون) من
 موالاة المشركين وغيرها فيجازيكم عليه فيجب على الانسان ان يبالغ فى أمر النية ورعاية القلب (ما كان
 للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) أى ما صح للمشركين ان يعمرُوا المسجد
 الحرام بدخوله والعود فيه وخدمته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ومسجد الله على الواحد والباقيون مساجد
 على الجمع وانما جمع المساجد الحرام لانه قبله المساجد كلها وامامها ثم شهداتهم على أنفسهم بالكفر انهم
 أقرُوا بعبادة الاوثان وتكذيب القرآن وانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان أبو ان يقولوا نحن كفار
 (أولئك) الذين يدعون عمارة المسجد الحرام وما يضاهيهما من أعمال البر مع ما بهم من الكفر (حبطت

أهلهم) التي يقتغرون بها بما قارنهما من الكفر فصارت هبما منثورا (وفي النار هم خالدون) لكفرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أسير العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فغيروه بكفره بالله وقطيعة الرحم وأغلظ على عليه القول فقال العباس تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسنا فقال له على ألكم محاسن قال نعم نحن أفضل منكم أنالنعمر المسجد الحرام ونحبب الكعبة أي نخدمها ونسقي الحجيج ونفك العاني أي الأسير فنزلت هذه الآية (انما يعمر مساجد الله) أي انما يصح ان يعمر المساجد عمارة يعتد بها (من آمن بالله) لان المساجد موضع يعبدون الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله لا يبنى موضعا يعبد الله فيه (واليوم الآخر) لان الاشتغال بعبادة الله لا تفيد الا في القيامة فمن أنكر القيامة لم يعبد الله ومن لم يعبد الله لم يبن بناء لعبادة الله تعالى (وأقام الصلاة) فان المقصود الاغظم من بناء المساجد اقامة الصلوات (وآتى الزكاة) وانما اعتبر اقامة الصلاة وابتاء الزكاة في عمارة المسجد لان الانسان اذا كان مقيما للصلاة فانه يحضر في المسجد فتهصل عمارة المسجد بذلك المسجد واذا كان مؤتيا للزكاة فانه يحضر في المسجد طوائف الفقراء والمساكين لطلب أخذ الزكاة فتحصل عمارة المسجد بذلك الحضور (ولم يخش الا الله) في باب الدين بأن لا يختار على رضا الله تعالى رضا غيره (فعسى أولئك) المنعوتون بتلك النعوت الجميلة (أن يكونوا من المهتدين) الى مطالبهم من الجنة وما فيها وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ألف المسجد ألفه الله تعالى وعنه صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايان (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) أي في طاعة الله يوم بدر أي أ جعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام في الفضيلة وعلو الدرجة كن آمن بالله الخ ويقوى هذا التأويل قراءة عبد الله بن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام قال ابن عباس ان عليا لما أغلظ الكلام على العباس قال العباس ان كنتم سبقتهمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنتم عمر المسجد الحرام ونسقى الحاج فنزلت هذه الآية (لا يستون) أي الفريقان (عند الله) في الفضل (والله لا يهدي القوم الظالمين) لانفسهم فانهم خلقوا للايمان وهم رضوا بالكفر (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم أعظم درجة عند الله) أي الذين جمعوا بين هذه الصفات الثلاثة أعلى رتبة وأكثر كرامة عند الله ممن لم يجمع بينها (وأولئك) المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة (هم الفائزون) بسعادة الدنيا والآخرة (يشرهم) أي هؤلاء المؤمنين المهاجرين المجاهدين (ربهم برحمة منه ورضوان) أي برحمة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم من قبل الله تعالى وذلك هو حد الثواب (وجنات لهم فيها نعيم) أي منافع خالصة عن المكدرات (مقيم) أي دائمة غير منقطعة (خالدين فيها) أي الجنات (أبدا) أي لا يخرجون منها (ان الله عنده أجر عظيم) لما وصف الله المؤمنين بثلاث صفات الايمان والهجرة والجهاد بالنفس والمال قابلهم على ذلك بالتبشير بثلاث وبدأ بالرحمة التي هي النجاة من النيران في مقابلة الايمان وثني بالرضوان الذي هو نهاية الاحسان في مقابلة ترك الاوطان ثم ثلث بالجنات التي هي المنافع العظيمة في مقابلة الجهاد الذي فيه بذل النفس والاموال وانما خصوا بالاجر العظيم لان ايمانهم أعظم الايمان (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وخوانكم أولياء) أي بطانة تفشون اليهم أسراركم (ان استحبوا الكفر) أي اختاروه (على الايمان ومن يتولهم منكم) في الدين (فأولئك) المتولون (هم الظالمون) أي فهو مشرك مثلهم لانه رضي بشرهم والرضا بالكفر كفر كما ان الرضا بالنسق فسق قيل

ان الله تعالى لما أمر المؤمنين بالتقربى عن المشركين قالوا كيف يمكن المقاطعة التامة بين الرجل وابنه
 وأمه وأخيه فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الآباء والاولاد والاخوان واجب بسبب الكفر (قل ان كان
 آباؤكم وأبناءؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أى أهلكم الذين تدنون الذين تعاشرونهم وقرأ أبو
 بكر عن عاصم وعشيرة اتكم بالجمع (وأموال اقترفتكموها) أى اكتسبتموها (وتجارة) أى امتعة
 اشترىتموها للتجارة والربح (تخشون كسادها) أى عدم رواجها (ومساكن ترضونها) أى منازل
 تهبطكم الاقامة فيها (أحب اليكم من الله ورسوله) بالحب الاختيارى (وجهاد فى سبيله) أى
 طاعته (فتربصوا) نزلت هذه الآية لما قال جماعة من المؤمنين يا رسول الله كيف يمكن البراءة منهم
 بالكلية وان هذه البراءة توجب انقطاعا عن آباءنا واخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا وهلاك أموالنا
 وخراب ديارنا فبين الله تعالى انه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليلبى فى الدين تسليمنا وذكرا انه ان
 كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة فى سبيل الله فتربصوا عما
 تحبون (حتى يأتى الله بأمره) وهى عقوبة عاجلة أو آجلة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أى
 الخارجين عن طاعته الى معصيته (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) وهى مشاهد الحرب كوقعات
 بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة (ويوم حنين) أى اذ كروا يوم قتالكم هو اذن فى
 حنين فهو اذن قبيلة حليمة السعدية وحنين واديينه وبين مكة ثمانية عشر ميلا وذلك لما فتح رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مكة وقد بقيت أيام من شهر رمضان خرج فى شوال فى تلك السنة وهوسنة ثمان
 متوجهها الى حنين لقتال هوازن وثقيف (اذ أعجبتكم كثرتكم) وهم اثنا عشر ألفا عشرة من المهاجرين
 والانصار الذين فتحوا مكة والغان من الطلقاء وهم الامراء الذين أخذوا يوم فتح مكة وأطلقوا وهم أسلموا
 بعد فتحها فى هذه المدة الدسيرة وبين هوازن وثقيف أربعة آلاف ومعهم أمداد سائر العرب فلما التقوا قال
 رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الانصارى لن تغلب اليوم من قلة أى من أجلها افتخاروا بكثرتهم أى
 نحن كثرون ولا تغلب فأحرزت هذه الكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلم تغن عنكم شيئا) أى فلم
 تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الدفع أى فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين
 (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) أى اذ كنتم لشدة الخوف صاقت عليكم الارض فلم تجدوا فيها موضعا
 يصلح لفراركم عن عدوكم (ثم وليتم مدبرين) أى منهزمين من الله وقال البراء بن عازب كانت هوازن
 رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا وأكبيننا على الغنائم فأسست قبلونا بالسهام وانكشف المسلمون عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا حمزة العباس وهو أخذ بلحام بغلته وابن عمه أبو
 سفيان بن الحرث وهو أخذ بركابه وهو صلى الله عليه وسلم يركض بغلته الشهباء نحو الكفار لا يبالي وهو
 يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم قال للعباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا
 صيتا لجعل ينادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فجاء المسلمون حين سمعوا صوته عنقا
 واحدا وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفاهم من الحمى فرماهم بها وقال شاهدت الوجوه فما زال
 أمرهم مدبرا وحدهم كليبلا حتى هزمهم الله تعالى ولم يبق منهم يومئذ أحد الا وقدمت ثلاث عيناه من ذلك
 التراب فذلك قوله تعالى (ثم أنزل الله سكينته) أى رحمته التى يحصل بها سكون وثبات وأمن (على
 رسوله وعلى المؤمنين) واعلم انه لما شق الاعراض عن مخالطة الآباء والابناء والاخوان والازواج وعن
 الاموال والمساكن على القلوب مشقة عظيمة ذكر الله تعالى ما يدل على ان من ترك الدنيا لاجل الدين فانه

يوصله الى مطلوبه من الدنيا أيضا وضرب الله تعالى لهذا مثلاً وذلك ان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في واقعة حنين كانوا في غاية الكثرة والقوة فلما أعجبوا بكثرة جيشهم صاروا منهزمين ثم في حال الانهزام لما
 تضرعوا الى الله قواهم به حتى هزموا عسكر الكفار وذلك يدل على ان الانسان متى اعتمد على الدنيا فانه
 الدين والدنيا ومتى أطاع الله ورجح الدين على الدنيا أتاه الدين والدنيا على أحسن الوجوه فكان ذكر هذا
 تسلياً لأولئك الذين أمرهم الله بمقاطعة الآباء والأبناء والأموال والمساكن لاجل مصلحة الدين ووعدا
 لهم على سبيل الرمز بأنهم ان فعلوا ذلك فالله تعالى يوصلهم الى أقاربهم وأموالهم على أحسن الوجوه
 (وأُنزل) من السماء (جنود الم تروها) أي بأبصاركم وهم الملائكة عليهم البياض على خيول بلق
 لتقوية قلوب المؤمنين بالقائه الخواطر الحسنة في قلوبهم والقائه الرعب في قلوب المشركين (وعذب الذين
 كفروا) بالقتل والامروهم قوم مالك بن عوف الدهماني وقوم كنانة بن عبد ديايل الثقي (وذلك)
 التعذيب (جزاء الكافرين) في الدنيا لكفرهم (ثم يتوب الله من بعد ذلك) أي ما جرى عليهم من الخذلان (على
 من يشاء) ان يتوب عليه منهم أي يوافقهم للاسلام (والله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن آمن وعمل صالحاً روى
 ان ناساً منهم جازا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس
 وابر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا فقال صلى الله عليه وسلم ان عندي ما ترون اني خير
 القول أصدقه اختاروا ما ذرأ فيكم ونساءكم وأما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئاً وهي مفاتيح
 آياهم من الذراري والنساء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين
 الذراري والأموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئاً فن كان بيده أسير وطابت نفسه ان يرد فشاؤه أي فيلزم شأنه
 ومن لا فليعطنا وليكن فرضا علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيهم مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال صلى الله عليه
 وسلم انا لا تدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعوا اليه العرفاء انهم قد رضوا
 ولم تقع غنيمة أعظم من غنيتهم فقد كان فيهما من الأبل اثنا عشر ألفاً ومن الغنم ما لا يحصى عدداً
 ومن الامرى ستة آلاف من نسائهم وصبيانهم وكان فيها غير ذلك (يا أيها الذين آمنوا اغنوا المشركون
 نجس) أي ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس (فلا يقربوا المسجد الحرام) أي جميع
 الحرم (بعد عامهم هذا) وهي السنة التي حصل فيها الفداء بالبراءة من المشركين وهي السنة
 التاسعة من الهجرة ولما امتنع المشركون من دخول الحرم وكانوا يتجهرون ويأتون مكة بالطعام
 وكانت معاش أهل مكة من التجارات تخافوا الفقر وضيق العيش وذكروا ذلك لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى قوله (وان خفتن عيلة) أي فقرا بسبب منع الكفار (فسوف يغنيكم الله
 من فضله) أي عطائه من وجه آخر (ان شاء) فأرسل الله تعالى السماء عليهم مدراراً أغزى بها خيرهم وأكثر
 ميرهم وأسلم أهل جدة وحنين وصنعاء وتبالة وجرش فحملوا الطعام الى مكة وكفاهم الله الحاجة عما كانوا
 يخافون الى مبايعة الكفار فأغناهم بالفيء والجزية (ان الله عليم) بأحوالكم وبمصالحكم (حكيم) فلا
 يعطى ولا ينزع الا عن حكمة وصواب لا فرغ من الكلام على مشركي العرب بقوله تعالى براءة من الله
 الى هنا أخذ يتكلم على أهل الكتابين فقال (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) فاليهود
 يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول وهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد
 ويعتقدون أن أهل الجنة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينعفون وهم يكذبون أكثر الانبياء
 (ولا يجرمون ما حرم الله ورسوله) أي لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوها وأتوا بأحكام كثيرة

من قبل أنفسهم (ولا يدينون دين الحق) أى لا يعتقدون مصداق الدين الاسلام الذى هو الدين الحق (من الذين أوتوا الكتاب) التوراة والانجيل وهم اليهود والنصارى قال مجاهد نزلت هذه الآية حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزى بعد نزولها غزوة تبوك (حتى يعطوا الجزية) أى حتى يقبلوا أن يعطوا ما يعطى المعاهد على عهد (عن يد) أى عن غنى فلا تجب الجزية على الفقير العاجز أو عن انعام عليهم لأن ترك أرواحهم عليهم بقبول الجزية منهم نعمة عظيمة (وهم صاغرون) أى أذلاء منقادون لحكم الاسلام (وقالت اليهود) سلام من مشكم وفعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف أوفى خاص بن عازوراء (عزير بن الله) وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت الذى فيه التوراة وأنساهم التوراة ومحاها من قلوبهم فتضرع عزير الى الله تعالى ودعا أن يرد اليه التوراة فيبينما هو يصلى مبتهلا الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت التوراة اليه فأعلم قومه وقال يا قوم قد أتانى الله التوراة وورد هاعلى فتعلموا منه عن ظهر لسانه ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما فى التابوت فوجدوا مثله فقالوا ما جمع الله التوراة فى صدر عزير وهو غلام الا لأنه ابنه (وقالت النصارى المسيح ابن الله) روى ان أتباع عيسى كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وعثمان سنة يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود وكان فى اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرناو النار مصرنا فكن من مغبون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فأنى سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم أتى الى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عدوكم بولص قد نوديت من السماء انه ليست لك توبة حتى تنتهر وقد ثبت فأدخله النصارى الكنيسة ومكث سنة فى بيت فيها ولم يخرج منه حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنهم ثم انه عهد الى أربعة رجال اسم واحد نسطور والآخر يعقوب والآخر ملكان والآخر من أهل الروم فعلم نسطور ان عيسى ومريم والله ثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس بإنسان وانه ابن الله وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال عيسى وعلم رجلا آخر من الروم وعلمه اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه الله ثم دعا كل واحد منهم فى الخلوة وقال له أنت خليفة فى فادع الناس لما علمت وأمره ان يذهب الى ناحية من البلاد ولقد رأيت عيسى فى المنام ورضى عني وأنى غدا أذبح نفسى لرضا عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه فتفرقوا ودعوا الناس الى مذاهبهم واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله (ذلك) أى ما صدر عنهم (قولهم بأفواههم) أى مجردا عن برهان وهو فارغ من معنى معتبر (يضاهون) أى يشبهون فى الشناعة (قول الذين كفروا من قبل) أى من قبلهم أى يشابه قول اليهود والنصارى قول المشركين الملائكة بنات الله وقول أهل مكة اللات والعزى ومناة بنات الله كما قالت اليهود عزير بن الله وكذلك قال بعض النصارى المسيح ابن الله وقال بعضهم شريكه وقال بعضهم هو الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة (قاتلهم الله) دعاء عليهم بالهلاك أو تعجب من شناعة قولهم (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل حتى يجعلوا لله ولدا وهذا التعجب راجع الى الخلق لأن الله تعالى لا يتعجب من شيء (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) أى اتخذ اليهود

علماءهم من ولد هارون واتخذ النصارى علماءهم من أصحاب الصوامع أرباباً من دون الله بأن أطاعوهم في
تحریم ما أحله الله تعالى وتحلیل ما حرّمه أو بالسجود لهم (والمسيح ابن مريم) أى اتخذ هذه النصارى رباً
معبوداً بعدما قالوا انه ابن الله (وما أمروا) أى والحال أن هؤلاء الكفار ما أمروا في التوراة والانجيل
(ألا يعبدوا الها واحداً) عظيم الشأن هو الله تعالى (لا اله الا هو) صفة ثانية لالهها (سبحانه عما
يشركون) أى تنزه الله تعالى عن أن يكون له شريك في التكليف وفي كونه معبوداً ومسجوداً وفي
وجوب نهاية التعظيم والاجلال (يريدون) أى رؤساء اليهود والنصارى (أن يطفئوا نور الله) أى
دلائل الله المنيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد أى يريدون أن يردوا القرآن فيما
نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد ومن الشرائع من أمور الحل والحرم (بأفواههم) أى
بأقوالهم الباطلة (ويأبى الله) أى لا يريد (الا أن يتم نوره) بأعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام
(ولو كره الكافرون) وجواب لو محذوف أى ولو كره الكافرون تمام نوره لأتته ولم يبالي بكرهاتهم (هو
الذى أرسل رسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (بالهدى) أى ملتبساً بالقرآن (ودين الحق) أى
دين الاسلام (ليظهره على الدين كله) أى ليعلى الله دين الاسلام على الاديان كلها وهو أن لا يعبد الله
الا به فان المسلمين قد قهروا اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد الشام وما والاها
الى ناحية الروم والغرب وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا عباد الاصنام على كثير من بلادهم مما يلي
الترك والمهند فثبت ان الذى أخبر الله عنه في هذه الآية قد حصل وكان ذلك اخباراً عن الغيب فكان مهجراً
وروى عن أبي هريرة أنه قال هذا وعدم من الله بأنه تعالى يجعل الاسلام فالبا على جميع الاديان وتتمام
هذا انما يحصل عند خروج عيسى فلا يبقى أهل دين الا دخلوا في الاسلام (ولو كره المشركون) ذلك
الاطهار والوصف بالشرك بعد الوصف بالكفر للدلالة على انهم ضلوا الكفر بالرسول الى الكفر بالله
(يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار) أى علماء اليهود (والرهبان) أى علماء النصارى
(ليأكلون أموال الناس بالباطل) أى ليأخذون الاموال من سفلتهم بطريق الرشوة في تخفيف الاحكام
والمساحة في الشرائع (ويصدون عن سبيل الله) أى لانهم يمنعون عن متابعة الاخيار من الخلق
والعلماء في ذلك الزمان في المسلك المقرر في التوراة والانجيل وفي زمان محمد صلى الله عليه وسلم كانوا
يبالغون في المنع عن متابعة صلى الله عليه وسلم في منجبه الهه بجميع وجوه المكر والخداع (والذين
يكتزون الذهب والفضة) أى يجمعونها (ولا ينفقونها في سبيل الله) أى ولا يخرجون من جملة كل
واحد منهم ما سواه كانت آنية أو دنائير ودراهم ما وجب اخراجه عن تلك الجملة من الزكاة والكفارات
ونفقة الحج والجمعة وما يجب اخراجه في الدين والحقوق ونفقة الاهل والعيال وضمنان المتلفات وأروش
الجنائيات (فبشرهم بعذاب أليم) أى فأخبرهم يا أشرف الخلق بعذاب أليم هو مذكور في قوله تعالى
(يوم يحصى عليها في نار جهنم) أى يوم توقد على تلك الاموال التي هي الذهب والفضة نار ذات حر شديد في
نار جهنم (فتكوى بها) أى فتحرق بتلك الاموال (جباهاهم) أى جهة امامهم كلها (وجنوبهم)
من اليمين واليسار (وظهورهم) يقال لهم (هذا) أى الكنى (ما كنزتم) أى جزاء ما جمعتم من
الاموال (لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكذبون) أى فذوقوا جزاء ما كنتم تمنعون حقوق الله تعالى في أموالكم
(ان عدة الشهور) القمرية التي تؤدي فيها الزكاة وعليها يدور ذلك الاحكام الشرعية (عند الله)
أى في حكمه (اثنا عشر شهراً) وأيام هذه الشهور ثلاثمائة وخمسة وخمسون يوماً والسنة الشمسية ثلاثمائة

وخمسة وستون يوما وربيع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام وربيع يوم فسبب
 هذا النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل آخر فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة
 في الصيف (في كتاب الله) أي في اللوح المحفوظ (يوم خلق السموات والارض) وهذه الظروف
 الثلاثة أبداً البعض من البعض والتقدير اربعة الشهور اثنا عشر شهراً عند الله في كتاب الله يوم خلق
 السموات أي منذ خلق الله الاجرام والازمنة أي ان ذلك العدد ثابت في علم الله وفي كتاب الله من أول ما خلق
 الله تعالى العالم (منها) أي من تلك الشهور الاثني عشر (أربعة حرم) هي ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم
 ورجب (ذلك) أي عدة الشهور (الدين القيم) أي الحساب الصحيح (فلا تظلموا فيهن) أي
 في الاربعة الحرم (أنفسكم) بآتيان المعاصي فإنه أعظم وزراً كآتيانها في الحرم وقال ابن عباس فلا
 تظلموا في الشهور الاثني عشر أنفسكم وذلك منع الانسان عن آتيان الفساد في جميع العمر (وقاتلوا
 المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) أي قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم في جميع الاشهر
 كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة وكونوا عباد الله متوفقين في مقاتلة الأعداء (واهلوا أن الله مع
 المتقين) أي مع أوليائه الذين يخشونه في أداء الطاعات واجتناب المحرمات (انما النسيء) أي انما
 تأخير حرمة شهر الى شهر آخر (زيادة في الكفر) لان ضم هذا العمل الى الأنواع المتقدمة من الكفر
 زيادة في الكفر (يضل به الذين كفروا) قرأ حفص وحزمة والكسائي يضل بالبناء للفعل والباسقون
 بفتح الياء على البناء للفاعل وقرأ أبو عمر وفي رواية من طريق ابن مقسم ويعقوب من العشرة بضم الياء
 وكسر الضاد والمعنى حيث يضل بهذا التأخير الذين كفروا تابعتهم والآخذين بأقوالهم (يحلونه عاماً)
 أي يحلون التأخير عاماً وهو العام الذي يريدون أن يقاتلوا في المحرم (ويحرمونه عاماً) أي ويحرمون
 التأخير عاماً آخر وهو العام الذي يتركون المحرم على تحريره وسبب هذا التأخير ان العرب كانت تعظم
 الاشهر الاربعة وكان ذلك شريعة ثابتة من زمان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وكانت عامة معاشهم
 من الصيد والفارة والحروب فشق عليهم ان يكتثوا ثلاثة أشهر متواليه وقالوا ان توالى ثلاثة أشهر حرم
 لا نصيب فيها شيئاً لهلكنا كانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم (ليواطوا)
 أي ليوافقوا (عدة ما حرم الله) من الاشهر الاربعة (فيحلوا ما حرم الله) بخصوصه قال ابن عباس
 رضي الله عنهما انهم ما أحلوا شهر من الحرام الا حرموا مكانه شهر من الحلال ولم يحرموا شهر من الحلال
 الا أحلوا مكانه شهر من الحرام لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم اربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى قال
 الكلبي أول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن نعلبة وكان يقوم ويخطب في الموسم ويقول ان
 صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار وزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا
 الازجة وأغاروا وقيل هو جنادة بن عوف السكافي وكان مطاعاً في الجاهلية كان يقول على جبل في الموسم
 بأعلى صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت
 عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلس قال قائلهم ومننا من اسمي الشهر قلس وعن ابن
 عباس رضي الله عنهما أول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف (زين لهم سوء أعمالهم) قال
 ابن عباس أي زين الشيطان لهم هذا العمل حتى حسبوا هذا القبيح حسناً (والله لا يهدي القوم
 الكافرين) أي لا يرشدهم الى دينه لما سبق لهم في الازل انهم من أهل النار (يا أيها الذين آمنوا
 ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انا قلتم الى الارض) أي أي شيء ثبت لكم من الاعذار حال

كونكم متناقلين ومشتبهين الاقامة في ارضكم في وقت قول الرسول لكم اخرجوا الى الغزو في طاعة الله
 روى ان هذه الآية نزلت في غزوة تبوك مكان على طرف الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة ويقال
 لها غزوة العسرة وغزوة الفاحشة وكانت في رجب في السنة التاسعة من الهجرة بعد رجوعه صلى الله عليه
 وسلم من الطائف الى المدينة وسببها ما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان هرقل جمع أهل الروم
 وأهل الشام وانهم قدموا مقدماتهم الى اللقاء فأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بالجهاد وبعث الى مكة
 وقبائل العرب وحض أهل الغنى على النفقة والحمل في سبيل الله وهي أخرج غزواته لجهز عشان عشرة
 آلاف وأنفق عليها عشرة آلاف دينار غير الابل والحيل وهي تسعمائة بعير ومائة فرس وغير الزاد وما
 يتعلق بذلك وأول من جاء بالنفقة أبو بكر فجاء بجميع ماله أربعة آلاف درهم وجاء عمر بنصف ماله وجاء
 ابن عوف بمائة أوقية وجاء العباس بمال كثير وكذا طلحة والاعنياء وبعث النساء بكل ما يقدرن
 عليه من حليهن فلم تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وهم ثلاثون ألفا وكانت الحيل عشرة
 آلاف فرس خلف على المدينة محمد بن مسلمة الانصاري وتحلف عبد الله بن أبي ومن كان معه من المنافقين
 بعد ان خرجوا الى ثنية الوداع وكان من تحلف عشر قبائل وانما تباطأ الناس في خروجهم للقتال لشدة
 الزمان في حفظ وضيق عيش ولبعد المسافة والحاجة الى الاستعداد الزائد على ما جرت به العادة في سائر
 الغزوات ولشدة الحر في ذلك الوقت ولها بة عسكر الروم ولا دراك الثمار في المدينة في ذلك الوقت فاقتضى
 اجتماع هذه الاسباب تناقل الناس عن ذلك الغزو (أرضيتهم بالحياة الدنيا) وغرورها (من الآخرة)
 أي بدل نعيم الآخرة (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) أي فما التمتع بلذات الدنيا في مقابلة
 نعيم الآخرة الا قليل لان سعادة الدنيا بالنسبة الى سعادة الآخرة كالقطرة في البحر وترك الخير الكثير
 لاجل السرور القليل سفه (الاتنفر وايعذبكم) الله (عذابا أليما) أي ان لم تخرجوا الى ما طلب الخروج
 منكم اليه يهلككم الله بسبب فطيع هائل كتميط وقصوه (ويستبدل قوما غيركم) أي يأتي بعد
 أهلاككم بدلكم يقوم مطيعين مؤثرين للآخر على الدنيا كأهل اليمن وأبناء فارس (ولا تضروه
 شيئا) أي لا يضر الله جلوسكم شيئا لانه غنى عن العالمين ولا يضر الرسول تناقلكم في نصرة دينه أصلا
 لان الله عصمه من الناس (والله على كل شيء قدير) فيقدر على نصرته ودينه ولو من غير واسطة (الا
 تنصروه فقد نصره الله اذا خرجته الذي كفر واتاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله
 معنا) أي ان لم تنتصر واحمد الله الذي قد نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد اذ جعله كفار مكة
 مثل المضطر الى الخروج حيث أذن له صلى الله عليه وسلم في الخروج حين هو باقتله حال كونه أحد
 اثنين والاخر أبو بكر الصديق اذ هما في الغار يقول محمد صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق
 لا تحزن ان الله معيننا وكان الصديق قد حزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعلى نفسه فقال له
 يا رسول الله اذا ما انا فاننا رجل واحد واذا ما انت هلكت الامة والدين روى ان قريشا ومن بمكة من
 المشركين تعاقدا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره الله تعالى ان يخرج أول الليل الى الغار
 وخرج هو وأبو بكر أول الليل الى الغار وأمر صلى الله عليه وسلم عليا ان يضطجع على فراشه لينعم السواد
 من طلبه حتى يبلغ الى ما أمر الله به فلما وصل الى الغار دخل أبو بكر فيه أولا يلتمس ما فيه فقال له النبي
 صلى الله عليه وسلم مالك فقال بأبي أنت وأمي الغار ماوى السباع والحوام فان كان فيه شيء كان بي لابل

وكان في الغار جحر فوضع عقبه عليه لئلا يغترج ما يؤذي الرسول فلما طلب المشركون الاثر وقرىوا بكى أبو
 بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تحزان الله معنا بنصره لجعل يسبح
 المومع عن خده وروى لما دخل الغار بعث الله تعالى حماة من قباضة في أسفله والعنكبوت نسجت
 عليه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يرون أحدا (فأنزل الله
 سكينة) أي أمنت التي تسكن عندها القلوب (عليه) أي على صاحبه صلى الله عليه وسلم أبي بكر
 الصديق (وأيد) أي أعانه صلى الله عليه وسلم (بجنود لم تروها) وهم الملائكة النازلون يوم بدر
 والاحزاب وحنين وهذه الجملة معطوفة على جملة نصرته الله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) أي
 جعل الله يوم بدر كلمة الشرك سافلة حقيرة (وكلمة الله) أي قوله لا اله الا الله (هي العليا) أي الغالبة
 الظاهرة (والله عزيز) أي قاهر غالب (حكيم) أي لا يفعل الا الصواب (انفروا خفافا وثقالا)
 أي اخرجوا مع نبيكم الى غزوة تبوك خفافا في الخروج لشطاطكم له وثقالا عنه لشدته عليكم
 (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) أي جاهدوا في طاعة الله بما أمكن لكم اما بكمالهما
 أو بأحدهما (ذلكم) أي الجهاد (خير لكم) أي خير عظيم في نفسه لكم (ان كنتم تعلمون)
 أن الجهاد خير فبادروا اليه (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك) أي لو كان مادعوا اليه متاعا
 قريب المنال سهل المأخذ وسفرا متوسطا بين القريب والبعيد لاتبعوك في الخروج الى تبوك طمعا في
 تلك المنافع (ولكن بعدت عليهم الشقة) أي المسافة التي تقطع عشقة فتخلفوا عن الجهاد بسبب انهم
 كانوا يستعظمون غزوال روم فكانوا كالأيسين من الفوز بالغنمة (وسيجلفون) أي المتخلفون عن
 الغزو عند رجوعك من تبوك وهم عبد الله بن أبي وجحب قيس ومعتب بن قشير وأصحابهم قائلين
 (بالله لو استطعنا) بالزاد والراحلة (لخرجنا معكم) الى غزوة تبوك (يهلكون أنفسهم) بسبب
 الحلف الكاذب فإن الايمان الكاذبة توجب الهلاك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اليمن الغموس تدع
 الديار بلاقع (والله يعلم انهم لكاذبون) في ايمانهم لانهم كانوا مستطيعين الخروج (عفا الله عنك)
 يا أشرف الخلق ما وقع منك من ترك الاولى والاكمل (لم أذن لهم) أي لاى سبب أذنت لهم في التخلف
 (حتى يتبين لك الذين صدقوا) في اعتذارهم بعدم الاستطاعة من جهة المال أو من جهة البدن (وتعلم
 الكاذبين) في ذلك قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرف المناقعة يومئذ حتى
 نزلت سورة براءة (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي
 ليس من عادة المؤمنين الخلف أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فضلا عن أن يستأذنوك في التخلف عنه
 وكان الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لانستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد فان ربنا تدبنا
 اليه مرة بعد أخرى فأى فائدة في الاستئذان وانجأهم معه بأموالنا وأنفسنا وكانوا بحيث لو أمرهم الرسول
 بالعود لشق عليهم ذلك (والله عليم بالمتقين) الذين يسارعون الى طاعته (انما يستأذنك الذين
 لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي انما يستأذنك يا أشرف الخلق في التخلف عن الجهاد من غير عذر
 المناقون فانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا (وارتابت قلوبهم) أي شككت قلوبهم في الدين (فهم
 في ريبهم يترددون) أي فهم حال كونهم في شكهم المسـتقر في قلوبهم يتخيرون لاعم الكفار ولا مع
 المؤمنين (ولو أرادوا الخروج) الى الغزو معك (لاعدوا له) أي للخروج (عدة) أي أهبة من
 الزاد والراحلة والسلاح (ولكن كره الله ان يبعثهم) أي ولكن لم يرض الله نهوضهم للخروج معك

(فنبطهم) أى حبسهم بالكسل (وقيل أقعدوهم القاعددين) أى تخلفوهم المتخلفين والقائل
الشیطان بوسوسته أو بعضهم لبعض أو هو أمر النبي بذلك أمر توبيخ أو القاء الله تعالى كراهة الخروج
في قلوبهم فلا قول بالفعل لا من الله ولا من النبي (لو خرجوا فيكم) أى معكم (ما زادوكم الا خبالا) أى
فسادا (ولا وضعوا خلاصكم) أى ولساروا على الابل وسطكم ولا مرعوا بينكم بالنمائم (يبغونكم
الفتنة) أى يطلبون لكم ما تفتنون به بالقاء الرعب في قلوبكم وبافساد نياتكم (وفيكم سمعون لهم)
أى فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين (والله عليم بالظالمين) لانفسهم بسبب نفاقهم ولغيرهم بسبب
أنهم سعوا في القاء غيرهم في وجوه الآفات (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أى من قبل واقعة تبوك كما فعل
عبد الله بن أبي يوم أحد حيث انصرف مع أصحابه عن النبي صلى الله عليه وسلم (وقلبوا لك الامور) أى
اجتهدوا في الحيلة عليك وفي ابطال أمرك (حتى جاء الحق) أى استمر هؤلاء المنافقون على آثاره
الفتنة وتنفير الناس عن قبول الدين حتى جاء النصر الهلبي وكثر المؤمنون (وظهر أمر الله) أى غلب
دينه بظهوره لاسباب التي تقوى شرع محمد صلى الله عليه وسلم (وهم كارهون) أى والحال انهم
كارهون لمجيء هذا الحق وظهور أمر الله (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني) أى ومن المنافقين وهو
الجد بن قيس من يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لي في القعود في المدينة ولا توقعني في الائم بأن لا تأذن
لي فانك ان منعني من القعود وقعت بغير اذنك وقعت في الائم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما
نجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الاصر فأى في جهاد ملوك الروم فقال
الجد يا رسول الله قد علمت الانصار أني مغرم بالنساء فلا تفتني بينات الاصر واني أخشى ان رأيتهن لا أصبر
عنه ولكنني أعينك بما فاتركني (ألا) أى تنهوا (في الفتنة سقطوا) أى انهم في عين الفتنة
وقعوا فان أعظم أنواع الفتنة الكفر بالله ورسوله والتمرد عن قبول التكليف وهم خائفون من نزول
آيات في بيان نفاقهم (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أى جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وقيل ان
اسباب تلك الاطاعة حاصلة في الحال فكأنهم في وسطها لانهم كانوا محرومين عن كل السعادات وانهم
اشتهروا بين الناس بالنفاق والطعن في الدين وقصد الرسول بكل سوء وكانوا يشاهدون ان دولة الاسلام
أبدا في الترقى وكانوا في أشد الخوف على انفسهم وأولادهم وأموالهم (ان تصيبك حسنة تسوهم) أى
ان تصيبك في بعض الغزوات حسنة من ظفر أو غنيمة أو انقياد بعض ملوك الأطراف يحزنهم ذلك (وان
تصيبك في بعض الغزوات مصيبة) أى شدة وان صغرت (يقولوا) متبجعين برأيهم (قد أخذنا
أمرنا) أى حذرنا بالاعتزال عن المسلمين والتخلف عنهم والمداراة مع الكفرة (من قبل) أى من قبل
هذه المصيبة (ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم (وهم فرحون) بما أصابك من المصيبة
وبسلامتهم منها (قل) يا أشرف الخلق للمنافقين بيانا بطلان اعتقادهم (لن يصيبنا الا ما كتب الله
لنا) أى لن يصيبنا خير ولا شر ولا رخاء ولا شدة ولا خوف ولا أمن الا وهو مقدر علينا مكتوب عند الله
فاذا صرنا مغلوبين صرنا مستحقين للاجر العظيم وان صرنا غالبيين صرنا مستحقين للثواب في الآخرة وفزنا
بالمال الكثير والثناء الجميل في الدنيا (هو) أى الله (مولانا) يحسن منه التصرف في العالم كيف
شاء فان أوصل الى بعض عبده أنواعا من المصائب فانه يجب الرضا بها (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)
أى فالواجب على المؤمن ان يفوض أمره الى الله وأن يرضى بفعله تعالى وأن يطمع من فضله تعالى ورحمته
(قل) يا أشرف الخلق للمنافقين (هل تر بصون بنا الا احدي الحسينين) أى ما تنتظرون بنا الا احدي

الحالتين الشريقتين النصر والشهادة وذلك لان المسلم اذا ذهب الى الغزو فان صار مغلوبا مقتولا فاز
 بالاسم الحسن في الدنيا وهي الرجولية والشوكة وبالثواب العظيم الذي أعد الله للشهداء في الآخرة وان
 صار قاتلا فاز في الدنيا بالمال الحلال والاسم الجميل وفي الآخرة بالثواب العظيم (ونحن نتربص بكم)
 احدى الحالتين الخبيستين اما (ان يصيبكم الله بهذاب من عنده) كأن ينزل عليكم صاعقة من السماء
 كما نزلت على عاد وثمود (أو) بهذاب (بأديننا) وهو القتل على الكفر أى ان المنافق اذا قعد في
 بيته كان مذموما منسوبا الى الجبن وضعف القلب والرضا بأمر يشاركه فيه النسوان والصبيان والعاجزون
 ثم يكون أبدا خائفا على نفسه وولده وماله وان أذن الله في قتله وقع في القتل والاسر والنهب مع الذل وان
 مات انتقل الى العذاب الدائم في الآخرة (فتربصوا) بنا احدى الحالتين الشريقتين (انامعكم متربصون)
 وقوعكم في احدى الحالتين الخبيستين (قل) يا أشرف الخلق لهذا المنافق وأمثاله وهذه الآية نزلت
 في الجدين قيس حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لي في القعود وهذا الى أعينك به (أنفقوا)
 أموالكم (طوعا) أى من غير الزام من الله ورسوله (أو كرها) أى الزام منها ومضى الزام اكراها
 لان الزام المنافقين بالانفاق كان شاقا عليهم كالاكرام وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي النساء والاحقاف
 كرها بضم الكاف وقرأ عاصم وابن عامر في الاحقاف بالضم من المشقة وفي النساء والتوبة بالفتح من
 الاكرام والباقون بفتح الكاف في جميع ذلك (ان يتقبل منكم) والامر هنا بمعنى الخبر أى نفقتكم
 غير مقبولة سواء كانت طوعا أو كرها (انكم كنتم قوما فاسقين) أى منافقين فانهم كافرون في الباطن
 (وما منهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوات الا وهم كسالى) أى
 لا يأتونها في حال من الاحوال الا حال كونهم متشاغلين فان هذا المنافق ان كان في جماعة صلى وان كان
 وحده لم يصل لانه لا يصلى طاعة لأمير الله وانما يصلى الى خوفا من مذمة الناس (ولا ينفقون الا وهم
 كارهون) أى لا رغبة لهم فانهم لا ينفقون لغرض الطاعة بل رعاية للمصلحة الظاهرة حتى انهم كانوا يعدون
 الانفاق مغراما بينهم (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) والمراد بهذا الخطاب جميع المؤمنين والمعنى ولا
 تعجبوا بأموال المنافقين وأولادهم (انما يريد الله ليغذبنهم بها) أى بالاموال والاولاد (في الحياة
 الدنيا) وسبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلهما فاذا
 حصل ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد النغم والخوف بسبب المصائب الواقعة فيهما وهم
 اعتقدوا أنه لا سعادة الا في هذه الخيرات العاجلة فالمال والولد عذاب على المنافق في الدنيا دون المؤمن
 لانه علم أنه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا (وترهق أنفسهم وهم كافرون) أى يريد الله أن يخرج
 أرواحهم والحال أنهم كافرون فيكون عذابهم في الآخرة أشد العذاب (ويحلفون بالله انهم لمنكم) أى
 يحلف المنافقون للمؤمنين اذا جالسوهم أنهم على دينكم (وما هم منكم) أى ليسوا على دينكم
 (ولكنهم قوم يفرقون) أى يخافون القتل فأظهروا الايمان وأسرؤا النفاق (لويجدون مجأ) أى
 حرا يلمشون اليه تحصنا منكم من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أى كهوف في الجبل
 يخفون فيها أنفسهم (أو مدخلا) أى مريات تحت الارض كالأباريندسون فيه (لولوا) أى لصرفوا
 وجوههم (اليه) أى الى أحد هذه الوجوه الثلاثة التي هي شر الامكنة (وهم يجمعون) أى يسرعون
 اسراعا لا يرد وجوههم شيئا لشدة تآذيه من الرسول ومن المسلمين (ومنهم) أى المنافقين أبى الاحوص
 وأصحابه (من يلزك) أى من يعيبك سرا (في الصدقات) قالوا لم يقسم بيننا بالسوية والله ما يعطيها

محمد الامن أحب ولا يؤثرها الا هو. فنزلت هذه الآية (فان أعطوا منها) أى الصدقات قدر ما يريدون
 في الكثرة (رضوا) بالقسمة (وان لم يعطوا منها) قدر ما يريدون (اذا هم يسخطون) أى يفاخثون
 السخط فان رضاهم ومخطهم لطلب النصيب لا لاجل الدين (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله)
 من الصدقات وطابت نفوسهم وان قل (وقالوا احسبنا الله) أى كفانا ذلك (سيؤتينا الله من فضله
 ورسوله) أى سيغنيننا الله من فضله برزقه فيعطينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما أعطانا اليوم
 (انا الى الله) أى الى طاعته واحسانه (راغبون) لكان ذلك أعود عليهم ونقل أن عيسى عليه
 السلام مر يقوم يذكر الله تعالى فقال ما الذى يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال أصبتم
 ثم مر على قوم آخرين يذكر الله تعالى فقال ما الذى يحملكم عليه فقالوا الرغبة في الثواب فقال
 أصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسألهم فقالوا لا نذكر الخوف من العقاب ولا الرغبة في الثواب
 بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بعرفته وتشريف اللسان بالفاظ الدالة على
 صفات قدسه وعزته فقال أنتم المحبون المحققون (اغما الصدقات للفقراء والمساكين) أى اغما الزكوات
 مصروفة للفقراء وهم المحتاجون الذين لا يجدون شيئا ولا يسألون الناس وهم أهل صفة مسجدر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وكانوا نحو أربعين ألفا منهم الطوافون الذين يسألون الناس كما
 قاله ابن عباس ومن سأل وجد فكان المسكين أقل حاجة (والعاملين عليها) وهم السعاة لجباية الصدقة
 وهو لا يعطون من الصدقات بقدر أجور أعمالهم وهو قول الشافعي وعبد الله بن عمر وابن زيد وقال مجاهد
 والصحابة يعطون الثمن من الصدقات (والأولفة قلوبهم) وهم أصناف صنفت دخولوا في الاسلام
 ونيتهم ضعيفة فيثألفون ليثبتوا وآخرين لهم شرف في قومهم يطلب بتألفهم اسلام نظرائهم وأثبت الشافعي
 والاصحاب سهم هذين الصنفين وصنف يراد بتألفهم ان يجاهدوا من يليهم من الكفار أو من مائى الزكاة
 ويقبضوا زكاتهم وهذان في معنى الغزاة والعاملين وعلى هذا فيسقط سهم المؤلفة بالكلية لكن يجوز
 صرفه اليهما كما أفتى به الماوردي (وفي الرقاب) أى وفي فلك الرقاب فسهمهم موضوع في المكاتبين
 ليعتقوا به كما هو مذهب الشافعي والليث بن سعد أو موضوع لعتق الرقاب يشتري به عبيد فيعتقون كما هو
 مذهب مالك وأحمد وإسحق وقال الزهري سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين من المسلمين ونصف
 يشتري به رقاب عن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة (والغارمين) أى المديونين في
 طاعة الله (وفي سبيل الله) ويجوز الغازی ان يأخذ من مال الزكاة وان كان غنيا كما هو مذهب
 الشافعي ومالك وإسحق وأبي عبيد وقال أبو حنيفة وصاحبا لا يعطى الغازی الا اذا كان محتاجا ونقل
 القفال عن بعض الفقهاء انهم أجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتي وبناء
 الحصون وعمار المساجد لان قوله تعالى في سبيل الله عام في الكل (وابن السبيل) وهو الذى يريد
 السفر في غير معصية فيجوز عن بلوغ سفره الا بعونه ويصرف مال الزكاة الى الاصناف الاربعة
 الاول حتى يتصرفوا فيه كما شاؤوا وفي الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات
 الحاجات المعتبرة في الصفات التي لاجلها استحقوا سهم الزكاة ومذهب أبي حنيفة انه يجوز صرف
 الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف فقط كما هو قول عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وقال
 الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية كما هو قول عمر وعكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز
 (فريضة من الله) أى فرض الله الصدقات هؤلاء فريضة والمقصود من هذا التأكيد تحريم اخراج

الزكاة عن هذه الاصناف (والله عليم) فيعلم بمقادير المصالح (حكيم) لا يشرع الا ما هو الا صواب
 الاصالح (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن) روى ان جماعة من المنافقين حذام بن خالد
 وياس بن قيس وسهال بن يزيد وهبيد بن مالك والجلال بن سويد وديعة بن ثابت ذكر والنبي صلى
 الله عليه وسلم بما لا ينبغي من القول ثم قالوا ان كان ما يقول محمداً حقاً فتحن شر من الخير وكان عندهم
 غلام يقال له عامر بن قيس ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا
 ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقههم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول
 اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو اذن انه صلى الله
 عليه وسلم ليس له ذكاه بل هو سليمان القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء
 المنافقين (أذن خير لكم) قرأهم في رواية الأعمش وعبد الرحمن عن أبي بكر عنه أذن خير من فوعين أي
 ان كان صلى الله عليه وسلم كما تقولون انه أذن فاذن يقبل منكم خير لكم من ان يكذبكم والباقيون بالاضافة
 أي هو أذن خير لا أذن شر أي يصدقكم بالخير لا بالكذب ثم بين الله كونه صلى الله عليه وسلم اذن خير بقوله
 (يؤمن بالله) لما قام عنده من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) أي ويرضى لهم ويصدقهم لما علم فيهم من الخلوص
 (ورحمة للذين آمنوا منكم) أي وهو رفق بالذين أظهروا الايمان منكم حيث لا يكشف أسرارهم وقرأ
 حمزة ورحمة بالجر عطفاً على خير وقرأ ابن عامر ورحمة بالنصب علة لمحذوف أي ويأذن لكم رحمة (والذين
 يؤذون رسول الله) بقولهم هو اذن ونحوه (لهم عذاب أليم) في الدنيا والآخرة (يخلفون بالله لكم ليرضوكم)
 أي انهم حلفوا على انهم ما قالوا ما حكي عنهم ليرضوا المؤمنين بيمينهم (والله ورسوله أحق أن يرضوه)
 أي والحال انه تعالى ورسوله أحق بالارضاء منكم وكان من الواجب أن يرضوهما بالاخلاص والتوبة
 والمتابعة وإيفاء حقوقه صلى الله عليه وسلم في باب الاجلال مشهداً ومغيباً لا باتيانهم بالايمان الفاجرة
 (ان كانوا مؤمنين) فليرضوا الله ورسوله بالطاعة فانهما أحق بالارضاء (ألم يعلموا) أي أولئك
 المنافقون جلاس وأصحابه (أنه) أي الشأن (من يجادل الله) أي من يخالف الله (ورسوله فان
 له نار جهنم) أي لحق أن له نار جهنم أي فكون نار جهنم له أمر ثابت (خالد أفيها ذلك) أي العذاب
 الخالد (الجزى العظيم) أي الندم الشديد وهي غرات نفاقهم (يحذرون أن تنزل عليهم
 سورة تنبيههم بما في قلوبهم) أي يخاف المنافقون أن تنزل في شأنهم سورة تزيح ما كانوا يخفونه من
 أسرارهم اذاعة ظاهرة فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال فكانت السورة تنبيههم بها
 وهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه
 ويستهزؤن به (قل استهزؤا) أي افعلوا الاستهزاء بمحمد والقرآن (ان الله مخرج ما تحذرون)
 أي فان الله مظهر ما تحذرون من انزال السورة (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) قال
 الحسن وقتادة لما سار الرسول الى تبوك قال المنافقون بينهم أترأى يظهر على الشام وبأخذ حصونها
 وقصورها هيئات فغضب جوعه صلى الله عليه وسلم فدعاهم وقال أنتم القائلون بكذا وكذا فقالوا
 ما كان ذلك بالجدي في قلوبنا وانما كنا نتحدث ونضحك فيما بيننا (قل أبالله) أي بتكليف الله
 (وآياته) أي وبالقرآن وبسائر ما يدل على الدين (ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (كنتم نستهزون
 لا تعتذروا) أي لا تذكروا هذا العذر في دفع هذا الجرم (قد كفرتم بعد ايمانكم) أي قد ظهر كفركم
 للمؤمنين بالطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ان كنتم عندهم مسلمين (ان نفع عن طائفة منكم نعتب

طائفة) قرأ عاصم نعى ونعذب بالنون مبنيا للفاعل وطائفة بالنصب والباقيون يعف بالياء وتعذب
 بالتاء بالبناء للمفعول وطائفة يرفع روى أن الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة وهو جهر بن حير
 والاثنان طائفة وهما وديع بن جذام وجذب بن قيس فالذى عفى عنه جهر بن حير لانه كان فحشا معهم ولم
 يستهزئ معهم فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه وقال اللهم انى لا أزال أسمع آية تقشعر منها الجلود وتحقق
 منها القلوب اللهم اجعل وفائى قتلا فى سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فأصيب يوم القيامة
 فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه (بأنهم كانوا مجرمين) أى مستقرين على النفاق والاستهزاء فأوجب
 التعذيب (المنافقون) وكانوا ثلاثمائة (والمناققات) وكن مائة وسبعين (بعضهم من بعض) أى
 متشابهون فى صفة النفاق والأفعال الخبيثة (يأمرون) أى يأمر بعضهم بعضا (بالنكر) أى بالكفر
 والمعاصي (وينهون عن المعروف) أى عن الإيعان والطاعة (ويقبضون أيديهم) عن كل خير
 من زكاة وصدة وانفاق فى سبيل الله (نسوا الله) أى تركوا أمر الله (فسيهم) أى خازاهم بتركهم
 من رحمة (ان المنافقين هم الفاسقون) أى الكاملون فى الفسق الذى هو الانسلاخ من كل خير (وعد
 الله المنافقين والمنافقات والكفار) أى المجاهرين بالكفر (نار جهنم خالدين فيها) فالنار الخالدة من
 أعظم العقوبات (هى حسبهم) أى تلك العقوبة كافية لهم ولا شئ أبلغ منها ولا يمكن الزيادة عليها
 (ولعنهم الله) أى أهانهم الله بالذم لمحقا بتلك العقوبة (ولهم عذاب مقيم) غير النار كالزهرير وكفا ساة
 تصب النفاق فى الدنيا اذ هم دائمون فى حذر من أن يطلع المسلمون على نفاقهم (كالذين من قبلكم) أى
 فعلكم أيها المنافقون كفعل الكفار الذين كانوا قبلكم فى الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض
 الأيدي عن الخيرات (كانوا أشد منكم قوة) فى الأبدان (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم)
 أى فتمتعوا بمدة بنصيبتهم من لذات الدنيا (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) أى
 فأنتم أيها المنافقون استمتعتم بنصيبتكم استمتاعا كما استمتع الكفار الذين من قبلكم بحظوظهم
 الحسية من الشهوات الفانية (وخضتم كالذى خاضوا) أى وتلبستم بتكذيب الانبياء فى السر
 وبالمكر والغدر بهم كالتلبس الذى تلبسوا به من تكذيب انبياء الله والغدر بهم (وأولئك) الموصوفون
 بالأفعال الذميمة (حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) أى بطلت حسناتهم بسبب الفقر والافتقار من
 العزالي الذل ومن القوة الى الضعف وبسبب الموت وفى الآخرة بسبب أنهم يعاقبون أشد العقاب (وأولئك
 هم الخاسرون) حيث أتعبوا أنفسهم فى الرد على الانبياء فما وجدوا منه الا قوات الخيرات فى الدنيا
 والآخرة والاحصول العقاب فى الدنيا والآخرة (ألم يأتهم) أى المنافقين (نبا الذين من قبلهم قوم
 نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات) أى المنقلبات التى جعل الله على القرى ساقطها
 (أتتهم رسلهم بالبينات) أى المعجزات فكذبوهم فجعل الله هلاكهم والله أهلك قوم نوح بالغرق وعادا
 قوم هود بارسال الريح العقيم وثمرود قوم صالح بارسال الصيحة والصاعقة وقوم ابراهيم بالهدم وسلب النعمة
 عنهم وبتسليط البعوضة على دماغ غمرو ووقوم شعيب بالظلة أو بالرجفة وقوم لوط بالحسف وبجعل على
 أرضهم ساقطها وبامطار الحجارة وانما ذكر الله تعالى هذه الطوائف الستة لان آثارهم باقية وبلادهم
 قريبة من بلاد العرب وهى الشام والعراق واليمن فكانوا يعرفون أخبار أهلها (فما كان
 الله ليظلمهم) بايصال العذاب اليهم لانهم استحقوه بسبب أفعالهم القبيحة (ولكن كانوا أنفسهم
 يظلمون) بالكفر وتكذيب الانبياء (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) بسبب المشاركة

في الاستدلال والتوفيق والمهداية (يأمرهم بالمعروف) أي بالإيمان بالله ورسوله واتباع أمره
 (وينهون عن المنكر) أي الشرك والمعاصي (ويقيمون الصلاة) أي المفروضة بإتمام الأركان
 والشروط (ويؤتون الزكاة) الواجبة عليهم (ويطيعون الله ورسوله) في كل أمر ونهي في السر
 والعلانية (أولئك) الموصوفون بهذه الصفات (سيرهم الله) أي يفيض عليهم آثار رحمته والسير
 للتوكيد والمبالغة (إن الله عزيز) أي لا يئمن من مراده في عباده من رحمة أو عقوبة (حكيم) أي مدبر
 أمر عباده على ما يقتضيه العدل والصواب (وعده الله المؤمنين والؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار)
 أي تجري من تحت شجرها ومساكنها أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها ومساكن طيبة) وهي
 قصور من اللؤلؤ والبرجد والياقوت الأحمر (في جنات عدن) وهي أبيسى أماكن الجنات وأسنائها
 وقال عبد الله بن عمر إن في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كل
 باب خمسة آلاف حوراء لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد (ورضوان من الله أكبر) مما هم فيه إذ عليه
 يدور فوز كل خير وسعادة وروى أنه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
 أعطينا ما لم نعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال
 أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا وقرأ أشعبة ورضوان بضم الراء والباقون بالكسر (ذلك) أي
 المذكور من الأمور الثلاثة (هو الفوز العظيم) لا ما يطلبه المنافقون والكفار من التمتع بطيبات الدنيا
 (يأياها النبي جاهد الكفار) أي المجاهدين بالسيف (والمنافقين) أي الساترين كفرهم بظهور الإسلام
 باظهار الحجج لا بالسيف لنطقهم بكلمتي الشهادة (واغلظ عليهم) أي أشد على كلال الغريفة بالفعل
 والقول (ومأواهم جهنم وبئس المصير) هي وهذه الجملة مستأنفة لبيان عاقبة أمرهم (يخلفون الله
 ما قالوا وقد قالوا لكفر) بتوافقهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم وطعنهم على نبوته (وكفروا
 بعد إسلامهم) أي أظهروا الكفر وجأهروا بالحرب بعد أن أظهروا الإسلام (وهو بما لم ينالوا) روى
 أن المنافقين هم أبقته صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من تبوك وهم خمسة عشر رجلا قد اتفقوا على أن
 يدفعوه صلى الله عليه وسلم عن راحلته ليقع في الوادي فيموت فأخبره الله بعبادته فلما وصل إلى العقبة
 التي بين تبوك والمدينة نادى مناديه بأمره أن رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد غيره
 واسلكوا يا معشر الجيش بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس بطن الوادي وسلك النبي
 العقبة وكان ذلك في ليلة مظلمة فجاء المنافقون وتلقوا وسلكوا العقبة وكان النبي قد أمر عمر بن الخطاب
 أن يأخذ بزمام ناقته ويقودها وأمر حذيفة أن يسوقها من خلفها فيبينما النبي يسير في العقبة ازدحم
 المنافقون فنفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم فلو أمد برين وعلموا أنه اطلع على مكرهم فأنخطوا
 من العقبة مسرعين إلى بطن الوادي واختلطوا بالناس فصار حذيفة يضرب الناقة فقال له النبي هل عرفت
 أحدا منهم قال لا فانهم كانوا متلثمين واليلة مظلمة قال هل علمت مرادهم قال لا قال النبي أنهم مكرروا
 وأرادوا أن يسروا معي في العقبة فزعموني عنها وإن الله أخبرني بهم وبمكرهم فلما أصبح جمعهم وأخبرهم
 بما مكروا به فخطبوا بالله ما قالوا بتكذيب النبي ونسبه إلى التصنع في ادعاء الرسالة ولا أرادوا فكتة فانزل
 الله تعالى هذه الآية (ومانتعوا الآن أغناهم الله ورسوله من فضله) أي وما أنكروا على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم شيئا من الأشياء إلا أغناهم الله تعالى إياهم من فضله فان هؤلاء المنافقين كانوا قبل قدوم
 النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضللك من العيش لا يركبون الخيل ولا يجرزون الغنم وبعد قدومه

أخذوا الغنائم وفازوا بالأموال ووجدوا الدولة وقتل الجلاس مولى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يديه اثني عشر ألفا فاستغنى وذلك يوجب عليهم أن يكون محبين له صلى الله عليه وسلم مجتهدين في بذل
 النفس والمال لأجله فعملوا بضد الواجب فوضعوا موضع شكره صلى الله عليه وسلم أن كرهوه وعابوه
 (فان يتوبوا) من النفاق كما وقع للجلاس بن سويد فانه تاب وحسنت توبته (يك) أى التوب (خيرا
 لهم) في الدارين (وان يتولوا) أى يعرضوا عن التوبة (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا) بقتلهم
 وسبي أولادهم وأزواجهم واغتنام أموالهم لانه لما ظهر كفرهم بين الناس صاروا مثل أهل الحرب فيحمل
 قتالهم (والآخرة) بالنار وغيرها من أفاتين العقاب (ومالهم في الأرض) مع سعتها (من ولي) أى
 حافظ (ولانصير) ينقذهم من العذاب (ومنهم) أى المنافقين (من عاهد الله لئن آتانا من فضله
 لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلاوا به وتولوا) بأجرهم على العهد (وهم معرضون)
 يقولونهم عن أوامر الله تعالى (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) أى فأورثهم البخل نفاقا مما سكتنا في قلوبهم أى
 فارتدوا عن الاسلام وصاروا منافقين (الى يوم يلقونه) أى الى يوم موتهم الذى يلقون فيه جزاء عملهم وهو
 يوم القيامة (بما أخلفوا الله ما وعده) أى بسبب اخلافهم الله الوعد من التصديق والصلاح (وبما
 كانوا يكذبون) أى وبسبب كونهم مستمرين على الكذب في وعدهم روى أن ثعلبة بن حاطب كان صحابى
 الاسلام في ابتداء أمره وصار منافقا في آخر أمره وكان ملازما لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
 لقب بحمامة المسجد ثم رآه النبي صلى الله عليه وسلم يسرع الخروج من المسجد عقب الصلاة فقال له رسول
 الله صلى الله عليه وسلم مالك تفعل فعل المنافقين فقال انى افتقرت لى ولا امرأتى ثوب أجى به للصلاة ثم
 اذهب فارتفعه لتلبسه وتصلى به فجاء ثعلبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله أن
 يرزقنى مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم آتاه بعد ذلك
 فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة والذى نفسى بيده لو
 أردت أن تسير الجبال معى ذهباً وفضة لسارت ثم آتاه بعد ذلك وقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا
 والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه فداهاله فأخذ غنما فأنمت كما ينمو الدود
 حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادى من أوديتها فجعل يصل إلى الظهر والعصر مع رسول الله ويصلى في غنمه
 باقى الصلوات ثم غت وكثرت فتباعد من المدينة حتى ترك الصلوات الا الجمعة ثم غت وكثرت حتى تباعد
 وترك الجمعة فاذا كان يوم الجمعة يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار ثم سأل رسول الله عنه فأخبر بخبره
 فقال يا ويح ثعلبة ثلاثا فنزل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة فتبع صلى الله عليه وسلم اليه رجلين من بنى
 سليم ومن بنى جهينة وكتب لهما السنان الصدقة وقال لهما سرا على ثعلبة بن حاطب خذ صدقته فأتياه
 وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما ما هذه الا الجزية أو أخت الجزية تعلم يدفع الصدقة
 فأنزل الله تعالى هذه الآية فقبل له قد أنزل فيك كذا وكذا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله أن يقبل
 صدقته فقال ان الله منعى من قبول ذلك فجعل يحشو التراب على راسه فقال صلى الله عليه وسلم قد قلت لك
 خسا طعنتى فرجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى أبا بكر بصدقته فلم يقبلها اقتداء
 بالرسول صلى الله عليه وسلم ثم جاء بها الى عمر أيام خلافته فلم يقبلها فلما ولي عثمان آتاه بها فلم يقبلها
 وهلك ثعلبة في خلافة عثمان وانما امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ تلك الصدقة لان المقصود
 من الاخذ غير حاصل في ثعلبة مع نفاقه لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وترزقهم بها (ألم يعلموا)

أى المنافقون (أن الله يعلم سرهم) وهو ما ينطوي عليه صدورهم (ونجواهم) وهو ما يفاوض به بعضهم بعضاً فيما بينهم (وأن الله علام الغيوب) أى ما قاب عن الخلق (الذين يلزون المطّوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم) أى ويطعنون على الذين لا يجدون إلا طاقتهم (فيصرفون منهم) أى ويهزؤون بالفريق الأخير بقلة الصدقة (سخر الله منهم) وهذه الجملة خبر للوصول وقال الأصم أى قبل الله من هؤلاء المنافقين ما أظهره من أعمال البر مع أنه لا يثيبهم عليها فكان ذلك كالسخرية وقال ابن عباس فتح الله لهم في الآخرة باباً إلى الجنة (ولهم عذاب أليم) قال ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحث على أن يجمعوا الصدقات فجاءه عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وجاءهم بنحو ذلك وجاء عاصم بن عدى الأنصاري بسبعين وسقامن عمرو جاء عثمان بن عفان بصدقة عظيمة وجاء أبو عقيل عبد الرحمن بن تيمان بصاع من تمر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فقال المنافقون على وجه الطعن ما جاءوا بصدقاتهم إلا رياءً وسمعةً وأما أبو عقيل فإنه جاء بصاع ليذكرهم مع سائر الأكارب والله غني عن صاعه فأمر الله تعالى هذه الآية (استغفر لهم أولاً تستغفر لهم) روى أنه لما نزلت آيات المقدمة في المنافقين وظهر نفاقهم للمؤمنين جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون وقالوا يا رسول الله استغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سأستغفر لكم واشتغل بالاستغفار لهم فنزلت هذه الآية فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغفار وهذا الأمر تخميره صلى الله عليه وسلم في الاستغفار وتركه ومعناه ما أخبر باستواء الأمرين أى إن شئت فاستغفروهم وإن شئت فلا تستغفروهم فاستغفاركم لهم وعدمه سواء (ألا تستغفروهم سبعين مرة قلن يغفر الله لهم) وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبع مائة في التكثير الاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنها العدد بأسره فإن عدة مراتبه سبعة أحاد عشرات مئين أحاد ألوف عشرات ألوف مئين ألوف أحاد ألوف الألوف والسبعون عند العرب غاية مستقصاة لانه عبارة عن جمع السبعة عشر مرات والسبعة عدد شريف لأن عدد السموات والأرض والبحار والأقاليم والنجوم والأيام والأعضاء هو هذا العدد (ذلك) أى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار (بأنهم كفروا بالله ورسوله) أى بسبب كفرهم بالعدم الاعتداد بالاستغفار (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أى فإن تجاوزهم عن الحدود مانع من الهداية (فرح المخلفون) أى الذين تركهم النبي الله صلى الله عليه وسلم (بعقدهم) أى في المدينة (خلاف رسول الله) أى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار إلى تبوك للجهاد وأقاموا في المدينة (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) فإن في المجاهدة اتلاف النفس والمال (وقالوا) لاخوانهم أو للمؤمنين تشييطا لهم عن الجهاد ونهباً عن المعروف (لا تنفروا في الحر) أى لا تخرجوا إلى الجهاد في الحر الشديد (قل) تجهيلاً لهم (نار جهنم) التي ستدخلونها بما فعلتم (أشدحوا) عما تحذرون من الحر المعتاد وتحذرون الناس منه (لو كانوا يفقهون) أن بعد هذه الدار دار أخرى وأن بعد هذه الحياة الدنيا حياة أخرى (فليضحكوا قليلاً وليسكبوا كثيراً) وهذا الخبر بأنه ستحصل لهم هذه الحالة ورد بصيغة الأمر أى أنهم وإن فرحوا وضحكوا وطول أعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة إلى بكائهم وحزنهم في الآخرة لأن الدنيا بأسرها قليلة وعقابهم في الآخرة دائمة لا ينقطع (جزاء بما كانوا يكسبون) في الدنيا من النفاق (فإن رجعت الله) من غزوة تبوك (إلى طائفة منهم) أى المنافقين في المدينة (فاستأذنوك للخروج) معك إلى غزوة أخرى بعد غزوة تبوك

(فقل) لهم يا أشرف الخلق (لن تخرجوا معي أبدا) في سفر من الأسفار (ولن تقاتلوا معي عدوا) من
الاعداء (أنكم رضيتم بالعودة) عن الغزو (أول مرة) وهي غزوة تبوك (فأقعدوا) عن الجهاد
(مع الخالفين) أي النساء والصبيان والرجال العاجزين (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على
قبره) أي لا تقف عليه للدفن أو للدعاء فإنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له
(أنهم كفروا بالله ورسوله) أي لأنهم استمروا على الكفر بالله ورسوله في السرمدة حياتهم (وماتوا
وهم فاسقون) أي مقردون في الكفر بالكذب والخداع والمكر عن ابن عباس رضي الله عنهما
أنه لما اشتكى عبد الله بن أبي بن سلول عاهة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منه أن يصلي عليه إذا
مات ويقوم على قبره ثم أنه أرسل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه قيصة ليكفن فيه فأرسل إليه
القميص الفوقاني فردّه وطلب منه الذي يلي جلده ليكفن فيه فأرسله إليه فقال عمر رضي الله عنه لم تعط
قيصك للرجس النجس فقال صلى الله عليه وسلم إن قيصى لا يغني عنه من الله شيئا فلعل الله أن يدخل به
ألفافي الإسلام وكان المنافقون لا يفارقون عبد الله فإنه رأسهم فلما رأوه يطلب هذا القميص ويرجوا أن
ينفعه أسلم منهم يومئذ ألف فلما مات عبد الله جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه هاشم عبد الله فإنه كان
من فضلاء الصحابة وأصدقهم أسلاما وأكثرهم عبادة وأشرحهم صدرا يعرفه صلى الله عليه وسلم فقال
لعبد الله صل عليه وادفنه فقال يا رسول الله إن لم تصل عليه لم يصل عليه مسلم فقام صلى الله عليه وسلم ليصلي
عليه فقام عمر فقال بين رسول الله وبين القبلة لئلا يصلي عليه فنزلت هذه الآية فامتنع صلى الله عليه وسلم
من الصلاة عليه وانقاد القميص إليه تطييبا للقلب ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي وأكرامه لأنه كان
من الصالحين ولأن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا يبدل لم يجد له قيصا وكان
رجلا طويلا فكساه عبد الله بن أبي قيصة بأمره صلى الله عليه وسلم (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما
يريد الله) بختيعة بالأموال والأولاد (أن يعذبهم بها في الدنيا) بكاذبهم الشدائد في شأنها (وترحق
أنفسهم وهم كافرون) أي فموتوا كافرين بأشتغالهم بالتمتع بها (وإذا أنزلت سورة) من القرآن
مشتملة على الأمر (أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك) في التخلف عن الغزو (أو لولا الطول
منهم) أي ذوو السعة في المال والقدرة على الجهاد بالبدن من رؤساء المنافقين عبد الله بن أبي وجندب
قيس ومعتب بن قيس (وقالوا ذرنا) يا محمد (نكن مع القاعد) أي من الضعفاء من الناس
والساكنين في البلد بغير عذر (رضوا بأن يكون من الخولاف) أي مع النساء اللائي يلزمن البيوت
(وطبع على قلوبهم) أي منعت من حصول الإيمان (فهم) بسبب ذلك (لا يفقهون) أي لا يفهمون
أسرار حكمة الله في الأمر بالجهاد (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي إن
تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو فقد توجّه اليه من هو خير منهم وأخلص نية واعتقادا (وأولئك لهم
الحسرات) أي منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة (وأولئك هم
المفطون) أي المتخلصون من السخط والعذاب (أعد الله لهم) أي هيأ لهم في الآخرة (جنات تجري
من تحتها الأنهار خالدين فيها) أي مقيمين في الجنة (ذلك) أي نيل الكرامة العظمى (الفوز العظيم)
الذي لا فوز وراءه (وجاء) اليك يا أشرف الخلق (المعذرون) أي الذين أتوا بأعذار كاذبة وتكفّروا
بهذا بباطل (من الأعراب) أي من بني غفار (ليؤذن لهم) بالتخلف عن غزوة تبوك فلم يعذرهم
الله (وقعد) عن الجهاد بغير إذن (الذين كذبوا الله ورسوله) في ادعائهم الإيمان وهم منافقوا

الاعراب الذين لم يجهشوا الى الرسول ولم يعتذروا (سيصيب الذين كفروا منهم) أى المعذرين لا من أسلم
 منهم (عذاب أليم) فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار (ليس الضعفاء) كالسيوخ (ولا على
 المرضى) من الشباب (ولا على الذين لا يجحدون ما ينفقون) فى الجهاد من الزاد والراحلة لغفرهم
 كزينة وجهينة وبني عذرة (حرج) أى اثم فى التخلف عن الجهاد (اذانهم والله ورسوله) أى
 آمنوا بهما وأطاعواهما فى السر والعلن (ما على المحسنين من سبيل) أى ليس عليهم طريق الى ذمهم
 (والله غفور رحيم) ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من
 الدمع حزناً أن لا يجددوا ما ينفقون) أى وليس على من أتوك يسألونك أن تحملهم الى غزوة تبوك ثم
 خرجوا من عندك ليكون لعدم وجدان ما ينفقون فى الجهاد سبيل فى لومهم ولذلك سموا البكائين وهم
 سبعة من الانصار معقل بن يسار ومخير بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن صير وثعلبة بن عفة
 وعبد الله بن مغفل وعبد الله بن زيد فانهم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نذرتنا الخروج فاحملنا
 على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوصة فنغزمعك فقال صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحملكم عليه
 فتولوا وهم يبيكون لحمل العباس منهم اثنين وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذى جهزه وهو ألف
 وحمل يامين بن عمر والنضري اثنين (انما السبيل) بالعبادة (على الذين يستأذنونك) فى التخلف
 (وهم أغنياء) أى قادرون على أهبة الخروج معك (رضوا بأن يكونوا مع الخولاف) أى رضوا بالدناءة
 والانتظام فى جملة النساء (وطبع الله على قلوبهم فهم) لاجل ذلك الطبع (لا يعلمون) ما فى الجهاد
 من منافع الدين والدنيا (يعتذرون) أى هؤلاء المنافقون وهم يضعون عثمان رجلاً (اليكم) فى
 التخلف (اذار جمعتم) من غزوة تبوك (اليهم) بالاعذار الباطلة (قل) يا أشرف الخلق لهم
 (لا تعتذروا) بما عندكم من المعاذير (لن تؤمن لكم) أى لن نصدقكم فيما تقولون من العلل أبداً
 (قد نبأنا الله من أخباركم) أى قد أعلمنا الله بعض أحوالكم بما فى ضمائركم من الخبث والنفاق
 والمكر (وسيرى الله عملكم ورسوله) أى وسيقع عليكم معلوماً لله ورسوله هل تبقون على نفاقكم
 أم تتوبون منه (ثم تردون) يوم القيامة (الى عالم الغيب والشهادة) للجزاء عما ظهر منكم من الاعمال
 (فمن ينشكم) عند وفكم بين يديه (بما كنتم تعملون) فى الدنيا أى فيجازيكم عليه (سيحلفون بالله
 لكم إذا انقلبتم اليهم) أى اذار جمعتم اليهم من تبوك انهم معذرون فى التخلف (لتعرضوا
 عنهم) أى لتعرضوا عن ذمهم اعراض الصفع (فأعرضوا عنهم) اعراض المقت وترك الكلام
 قال مقاتل قال النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم (انهم رجس)
 أى ان خبث باطنهم رجس روحاني فكما يجب على الانسان الاحتراز عن الارجاس الجسدية يجب
 الاحتراز عن الارجاس الروحانية حذراً من ان يميل طبع الانسان الى الاعمال القبيحة (وما أواهم
 جهنم) أى وكفتهم النار توخيها فلا تتكلفوا أنتم فى ذلك (جزاء بما كانوا يكسبون) فى الدنيا من فنون
 السيئات (يحلفون لكم لترضوا عنهم) بالخلاف وتستدعوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم (فان رضوا عنهم
 فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أى فان رضيت أيها المؤمنون عنهم بما حلفوا لكم فلا يفعهم
 رضاكم لان الله ساخط عليهم ولا أثر لرضاكم لكون ارادتكم مخالفة لارادة الله تعالى وذلك لا يجوز
 (الاعراب) أى جنس أهل البدو (أشد كفرا ونفاقاً) من أهل الحضرة وتحشمهم واستيلاء الهواء
 الحار اليابس عليهم وبعدهم عن أهل العلم (وأجد أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) أى

أحق بأن لا يعلموا مقادير التكليف والاحكام (والله عليم) بما في قلوب خلقه (حكيم) فيما قرض من فرائضه (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مخرما) أي من الأعراب أسد وغطفان من يعتقدان الذي ينفقه في سبيل الله خسران لأنه لا ينفق إلا رياء وخوفاً من المسلمين لا لوجه الله (ويترصد بكم الدوائر) أي ينتظر أن تقلب الأمور عليكم بعون الرسول وإن يعملوا عليكم المشركون فيتمخلص مما ابتلى به من الانفاق (عليهم دائرة السوء) أي عليهم يدور السلام والحزن فلا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم ودينه إلا ما يحزنهم (والله سميع) لقولهم عند الانفاق من كلام لا خير فيه (عليم) بنياتهم الفاسدة (ومن الأعراب) مزينة وجهينة وأسلم (من يؤمن بالله واليوم الآخر) في السر والعلانية (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) أي ويؤخذ لنفسه ما ينفقه في سبيل الله سبيلاً لحصول القربات إلى الله في الدرجات وسبباً لحصول دعوات الرسول فإنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو المتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم (ألا) أي تنبهوا (إنها) أي أن نفقتهم (قربة لهم) إلى الله في الدرجات (سيد خلهم الله في رحمته) أي جنته وهذا تفسير للقربة ووعد لهم بأحاطة رحمته الواسعة كما أن قوله تعالى والله سميع عليم تهديد للذين عقب الدعاء عليهم والسيئين للدلالة على تحقق الوقوع (إن الله غفور) لسيئاتهم (رحيم) بهم حيث وقفهم لهذه الطاعات وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أسلم وغفار وشي من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من عجم وأسدين خزعية وهو أوزن وغطفان (والسابقون الأولون) أي في الهجرة والنصرة (من المهاجرين) هم الذين صلوا إلى القبليتين وشهدوا بدرًا كما قاله ابن عباس (والانصار) وهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر والعقبة الثانية وكانوا اثني عشر رجلاً والعقبة الثالثة وكانوا سبعة من رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمر (والذين اتبعوهم) أي الفريقين (بأحسن) وهم الذين يذكرون المهاجرين والانصار بالجنة والرحمة والدعاء لهم ويذكرون محاسنهم (رضى الله عنهم) لأعمالهم وكثرة طاعاتهم (ورضوا عنه) لما أفاض عليهم من نعمه الجليلة في الدنيا والآخرة والسابقون مبتدأ وخبر جملة رضي الله عنهم (وأعد لهم) في الآخرة (جنان تجري تحتها الأنهار) وقرأ ابن كثير من تحتها بكلمة من كما في سائر المواضع وعلى هذا الزم صلة الميم في المواضع الثلاثة والباقيون بغير كلمة من وقع انتباه (خالد في فيها أبداً) أي من غير انتهاء (ذلك) أي الرضوان والجنات (الفوز العظيم) أي النجاة الوافرة (وعن حواكم) أي حول بلدكم (من الأعراب منافقون) وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار وكانوا نازلين حول المدينة (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) أي من أهل المدينة كعبد الله بن أبي وأصحابه من ثبتوا على النفاق ولم يتوبوا عنه (لا تعلمهم) أي لا تعلم نفاقهم مع قوة خاطرهم وصفاء نفسهم لشدة إبطان الكفر وإظهار الإخلاص (فمن نعلمهم) أي فمن نعلم سرايرهم التي في ضمائرهم (سنذنبهم مرتين) بعذاب الدنيا بجميع أقسامه وعذاب القبر (ثم يردون) في الآخرة (إلى عذاب عظيم) هو النار المؤبدة (وآخرون) أي ومن أهل المدينة قوم آخرون أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعه ابن حزام (اعترفوا بذنوبهم) أي أقروا بذنوبهم وأظهروا الندامة على التخلف (خلطوا أعمالهم) وهو خروجهم مع الرسول إلى سائر الغزوات (وأخسر سياً) وهو تخلفهم عن غزوة تبوك أي خلطوا كل واحد من العمل الصالح العمل السيئ بالآخر (عسى الله أن يتوب عليهم) أي ثبت أن يقبل الله توبتهم (إن الله غفور رحيم) يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه (خادم أموالهم صدقة) أي لما أظهروا

التوبة عن تخلفهم عن غزوة تبوك وهم أقروا بان السبب المؤدى لذلك التخلف حبهم للأموال أمر الله
رسوله ان يأخذ منهم الزكوات الواجبة عليهم فكانه قيل لهم اغياظهم رحمة قولكم في ادعاء هذه التوبة
لواخرجتم الزكاة الواجبة بانشرح قلب لان الدعوى اغياضهم عليها الامتحان فعند الامتحان يكرم
الرجل أو يهان فان أدوا تلك الزكوات عن طيبة النفس ظهر كونهم صادقين في تلك التوبة والافهم
كاذبون (تطهرهم) أى تطهرهم أنت أيها الأخذ بأخذها منهم عن نجاسة الذنوب (وتركيهم بها)
أى ترفعهم بتلك الصدقة حسنتهم الى مراتب المخلصين وثنى عليهم عند اخراجها الى الفقراء وتجعل
النقصان الحاصل بسبب اخراج قدر الزكاة سببا لزيادة البركة (وصل عليهم) أى ادع لهم قال الشافعي
رضي الله عنه والسنة للإمام اذا أخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق ويقول آجرك الله فيما أعطيت وبارك
لك فيما أبقيت وجعله لك طهورا (ان صلاتك سكن لهم) أى ان دعائك يوجب طمأنينة قلوبهم
(والله مهيئ) لقولهم (علم) بنياتهم قرأهم حمزة والكسائي وحفص عن عاصم صلاتك على التوحيد والباقون
صلواتك على الجمع (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) أى ألم يعلموا ذلك
التائبون قبل توبتهم وصدقته ان الله يقبل التوبة العجيبة عن عباده المخلصين ويقبل الصدقات
الصادرة عن خلوص النية (وأن الله هو التواب الرحيم) أى وألم يعلموا انه تعالى المنفرد ببلوغ الغاية
القصوى من قبول التوبة وايصال الرحمة (وقل اعمروا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أى
وقل يا أشرف الخلق اعمروا ما تشاؤون من الاعمال فسيرى الله عملكم خيرا كان أو شرا ويراه رسوله
باطلاع الله اياه على أعمالكم ويراها المؤمنون بقذف الله تعالى في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض
المفسدين فان لعملكم في الدنيا حكما وفي الآخرة حكما ما حكمه في الدنيا فانه يراه الله والرسول والمسلمون فان
كان طاعة حصل منه الثناء العظيم في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وان كان معصية حصل منه اللوم
العظيم في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة وهذا ترغيب عظيم للطيعين وترهيب عظيم للذنبين وفي
الحسب لو أن رجلا عمل في محضرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان (وستردون) بعد
الموت (الى عالم الغيب والشهادة) والمراد من الرد تعريف عقاب الخزي والفضيحة (فينبئكم بما
كنتم تعملون) في الدنيا أى فيعرفكم أحوال أعمالكم من خير وشر فيجازيكم عليها لان المجازاة من
الله تعالى في الآخرة لا تحصل الا بعد التعريف ليعرف كل أحد ان الذى وصل اليه عدل لا ظلم (وآخرون
مرجون) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم مرجئون همزة مضمومة بعدها
واو ساكنة والباقون مرجون بدون تلك الهمزة أى ومن أهل المدينة قوم من المتخلفين غير المعترفين
مؤخرون عن قبول التوبة (لامر الله) أى لحكمه قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية في
كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار فنزل قوله تعالى
وآخرون مرجون لامر الله فوقف الرسول أمرهم بعد نزول هذه الآية خمسين ليلة بقدر مدة التخلف اذ
كانت غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمسين ليلة ونهى الناس عن مجالستهم وأمرهم باعتزال
نساءهم وأرسالهن الى أهاليهن لانه لما تمتعوا بالراحة في المدينة مع تعب غيرهم في السفر عوقبوا بسببهم
تلك المدة فلما مضى خمسون يوما نزلت توبتهم بقوله تعالى لقد تاب الله على النبي وبقوله تعالى وعلى
الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت (اما يعذبهم وما يتوب عليهم) وهذه الجملة في
محل نصب على الحال أى ومنهم هؤلاء اما معذبين واما متوب باعليهم هؤلاء القوم كانوا ناديين على تأخيرهم

عن الغزو ولم يحكم الله بكونهم تائبين بل قال اما يعذبهم واما يتوب عليهم فلعلمهم خافوا من أمر الرسول
 ياذاثم أو خافوا من الحيلة والفضيحة وعلى هذا التقدير فتوبتهم غير صحيحة فاستمر عدم قبول التوبة الى
 أن سهل أحوال الخلق في قدحهم ومدحهم عندهم فعند ذلك ندموا على المعصية لنفس كونها
 معصية وعند ذلك صحت توبتهم وكلمة اما للشك بالنسبة لاعتقاد العباد والمراد منه ليكن أمرهم على الخوف
 والرجاء فبعل أناس يقوارن هلكوا اذ لم ينزل الله لهم عذرا واناس يقولون عسى الله أن يغفر لهم فالتناس
 مختلفون في شأنهم فصاروا عندهم مرجئين لامر الله تعالى (والله عليم) عبا في قلوب هؤلاء المؤمنين
 (حكيم) فيما يحكم فيهم وفيما يفعل بهم (والذين اتخذوا مسجدا ضارا) أي ومنهم الذين بنوا مسجدا
 وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين لاضرار أهل مسجد قبا (وكفرا) أي ولتقوية الكفر بالطعن على
 النبي صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام (وتفريقا بين المؤمنين) الذين كانوا يصلون في مسجد قبا أي
 لكي يصل طائفة من المؤمنين في ذلك المسجد فيؤدي ذلك الى اختلاف السكامة (وارصادا لمن حارب الله
 ورسوله) أي انتظارا لابي طار الراهب الفاسق (من قبل) متعلق باتخذوا أي اتخذوا ذلك المسجد
 من قبل أن ينافق بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك وكان أبو طار قد تنصر في الجاهلية وترهب
 أي لبس المسوح وطلب العلم فلما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة عاد ادلانه زالت رياسته وقال للنبي صلى
 الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم ولم يرزل يقاتله صلى الله عليه وسلم الى يوم
 حنين فلما انهزم تهاون خرج هاربا الى الشام وأرسل الى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة
 وسلاح وابنوا الى مسجد قبا فأتى من عنده بجند فأخرج محمدا وأصحابه من المدينة
 فبنوا هذا المسجد الى جنب مسجد قبا وانتظر واجي أبي عامر ليعلم في ذلك المسجد (وليخلفن
 أن أردنا الا الحسن) أي قالوا الرسول صلى الله عليه وسلم ما أردنا بيننا هذا المسجد الا الحسن الى
 المؤمنين وهو الرقيق بهم في التوسعة على أهل الضعف والعللة والهز عن الذهاب الى مسجد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم (والله يشهد انهم كاذبون) في خلفهم (لا تقم فيه أبدا) أي لا تصل في ذلك المسجد
 أبدا روى لما قل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك نزل بذي أوان وهو موضع قريب من
 المدينة فأما المنافقون وسألوهم اتيان مسجدهم فنزلت عليه صلى الله عليه وسلم هذه الآية فدعا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن وحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا
 المسجد الظالم أهله فادموه واحرقوه ففعلوا ذلك وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل ذلك الموضع
 مكان كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر الفاسق بالشام بقنسرين غريبا وحيدا (المسجد
 أسس على التقوى) أي بني أصله على طاعة الله تعالى وذكره (من أول يوم) من أيام تأسيسه فقد أسس
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قبا وصلى فيه أيام مقام بقباء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء
 والخميس وخرج صبيحة الجمعة فدخل المدينة (أحق أن تقوم فيه) أي أن تصل في ذلك المسجد (فيه)
 أي في هذا المسجد (رجال يحبون أن يتطهروا) من الاحداث والجنابات والنجاسات وسائر النجاسات
 وهم بنو عامر بن عوف الذين بنوه (والله يحب المطهرين) أي يرضى عنهم روى ابن خزيمة عن عويمر
 ابن ساعدة أنه صلى الله عليه وسلم أتاهم في مسجد قبا فقال ان الله تعالى قد أحسن عليكم الشاة في
 الطهور في قصة مسجدكم فها هذا الطهور الذي تطهرون به أي الذي تحصلون الطهارة بسببه قالوا والله
 يا رسول الله ما نعلم شيئا الا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أديبارهم من الغائط فغسلنا كما

غسلاوا في حديث رواه البزار فقالوا في جواب سؤاله لهم تتبع الحجارة يا انا فقال هو ذاك فعليكموه
 (أقن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) أى أبعد ما علم حالهم من أسس بنيان دينه على قاعدة
 قوية هي الخوف من عقاب الله والرغبة في ثوابه (خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) أى أم من
 أسس بنيان دينه على طرف مسيل متصدع وهو كفر بالله وضرار بعباد الله (فأنهار به في نار جهنم) أى
 فسقط المسيل صاحباه أى للتؤسس في قعر نار جهنم أى مثل الضلال مثل شفا جرف هار من أودية
 جهنم فكان قريب السقوط ولو لكونه على طرف جهنم كان إذا أنهار فأنهار في قعر جهنم وقرأنا نافع
 وابن عامر أسس مبنيا للمفعول وبنيانه بالرفع نائب الفاعل (والله لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يغفر
 للمنافقين ولا ينجيهم (لا يزال بنياهم الذى بنوا ريمة في قلوبهم) أى لا يزال مسجدهم سبب شك في
 الدين لأن المنافقين عظم فرحهم ببناء مسجد الضرر فلما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل
 ذلك عليهم وازداد بغضهم له وازداد ارتياحهم في نبوته وعظم خوفهم منه في جميع الاوقات وصاروا
 مرتابين في أن رسول الله هل يخلى سبيلهم أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم (الأن تقطع قلوبهم) وقرأ
 ابن عامر وحفص عن عاصم وحزمة بفتح التاء والطاء المشددة والباقون بضم التاء مبنى للمجهول وعن
 ابن كثير بفتح الطاء وسكون القاف على الخطاب وقلوبهم بالنصب أى الآن تجعل قلوبهم قطعاً
 بالسيف وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب إلى أن تقطع وأبو حيوة كذلك لأنه قرأ بضم التاء وفتح
 القاف وكسر الطاء مشددة على الخطاب للرسول وقلوبهم بالنصب وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم
 بالبناء للمجهول وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على الخطاب والمعنى أن هذه الريمة باقية في قلوبهم أبداً
 ويعتون على هذا التناق والابغنى إلى بدليل القراءة الشاذة (والله عليم) بأحوالهم (حكيم) في
 الأحكام التي يحكم بها عليهم (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
 يقاتلون في سبيل الله) وهذا استئناف لبيان البيع الذي يستلزمه الشراء كأنه قيل كيف يبيعون
 أنفسهم وأموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله أى يمدلون أنفسهم وأموالهم في طاعة الله والمؤمن
 متى قاتل في سبيل الله حتى يقتله كافر وأنفق ماله في سبيل الله فله يأخذ من الله في الآخرة الجنة جزاء لما
 فعل وهو تسليم المبيع من النفس والأموال (فيقتلون ويقتلون) قرأ حمزة والكسائي بتقديم المبنى
 للمفعول على المبنى للفاعل والباقون بعكسه فعنى تقديم الفاعل على المفعول أنهم يقتلون الكفار ولا
 يرجعون عنهم إلى أن يصير وامقتواين وأما تقديم المفعول على الفاعل فالمعنى أن طائفة كبيرة من المسلمين
 وإن صاروا مقتولين لم يصرد ذلك رادعاً للباقيين عن المقاتلة بل يبقون بعد ذلك مقاتلين مع الأعداء قاتلين لهم
 بقدر الامكان (وعدا عليه حقاً) أى وعدهم الله وعداً ثابتاً على الله (في التوراة والانجيل والقرآن
 ومن أوفى بعهده من الله) أى لا أحد أوفى بعهده من الله تعالى (فاستبشروا) أى فافرحوا وافياة الفرح
 (ببيعكم الذى بايعتم به) أى ببهادكم الذى فزتم به بالجنة (وذلك) أى الجنة التى هى ثمن بذل النفس
 والأموال (هو الفوز العظيم) أى فلا فوز أعظم منه (الثابون) وهو رفع على المدح أى هم
 الثابون من كل معصية كما يدل عليه قراءة عبد الله بن معود وأبي والاعمش الثابون بالياء إلى قوله تعالى
 والحافظين أماناً نصبا على المدح أو جرافة للمؤمنين ويجوز أن يكون الثابون رفعا على الب ل من الواو في
 يقاتلون واعلم أن التوبة المقبولة اغتاتحصل باجماع أربعة أمور أولها احتراق القلب عند صدور
 المعصية ثانياً الندم على ما مضى ثالثاً العزم على الترتك في المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على

هذه الامور الثلاثة طلب رضا الله تعالى وعبوديته فان كان غرضه من هادفع مذمة الناس وتحصيل مدحهم أو لغرض آخر من الاغراض الدنيوية فليس بتائب ولا بد من رد المظالم الى أهلها ان كانت (العابدون) قال ابن عباس رضي الله عنهما الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم (الحامدون) أي الذين يقومون بحق شكر الله تعالى على نعمه ديناً وديار يجعلون اظهار ذلك عادة لهم (السائقون) أي الصائمون اقول صلى الله عليه وسلم سياحة أمتي الصيام وقال عكرمة أي طلاب العلم فانهم ينتقلون من بلد الى بلد (الراكون الساجدون) أي المصلون الصلوات الخمس (الأمرون بالمعروف) أي بالايان والطاعة (والناهون عن المنكر) أي عن الشرك والمعاصي (والحافظون لحدود الله) أي لتكاليف الله المتعلقة بالعبادات وبالعاملات (وبشر المؤمنين) الموصوفين بهذه الصفات بالجنة (ما كان للنبي) أي ماجاز لمحمد صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي) أي ذوي قرابات لهم (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) أي أهل النار بأن ماتوا على الكفر وسبب نزول هذه الآية استغفار ناس لا بائتهم الذين ماتوا على الكفر روى عن علي رضي الله عنه أنه قال سمعت رجلاً يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت أتستغفر لابويك وهما مشركان قال أليس قد استغفر ابراهيم لآبيه فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقول ما كان للنبي والذين آمنوا الآية فروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان المسامون يستغفرون لا بائتهم المشركين حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لا مواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للاحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله (وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها ياء) أي الا لاجل موعدة وعدها ابراهيم آياه بقوله لا استغفرن لك أي لا طلبين مغفرة لك بالتوفيق للايمان فانه يعفو ما قبله (فلما تبين له أنه عدو لله) أي انه مستمر على الكفر ومات عليه (تبرأ منه) أي ترك الاستغفار له أي ان ابراهيم استغفر لآبيه ما كان حياً فلما مات أمسك عن الاستغفار له وروى ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال لما مرض أبو طالب أتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال المسلمون هذا محمد يستغفر لعمة وقد استغفر ابراهيم لآبيه فاستغفروا لقربائهم من المشركين فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا الآية ثم أنزل وما كان استغفار ابراهيم لآيه وروى ابن جرير عن عمرو بن دينار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال استغفر ابراهيم لآبيه وهو مشرك فلا يزال استغفر لآبي طالب حتى ينهائي عنه ربي فقال أصحابه لنستغفرن لا بائنا كما استغفر النبي لعمة فأنزل الله ما كان للنبي الآية الى قوله تعالى تبرأ منه فظهر بهذه الاخبار ان الآية نزلت في استغفار المسلمين لا قاربهم المشركين لآبي طالب لان هذه السورة كلها مدنية نزلت بعد تبوك وبينها وبين موت أبي طالب نحو اثني عشر سنة وأيضاً ان عم ابراهيم آزر كان يتخذ أصناماً آلهة ولم ينقل عن أبي طالب انه اتخذ أصناماً آلهة أو عبد سجراً أو نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن عبادة ربه وانما هو ترك النطق بالشهادتين لخوف حسبة لا للعناد للاسلام أو ترك بعض الواجبات ومع ذلك قلبه مشحون بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم ومثل هذا ناج في الآخرة على مقتضى ديننا فلا يليق بالحكمة ولا بمحاسن الشريعة الغرام ولا بقواعد الاثمة من أهل الكلام أن يكون هو آزر عم ابراهيم في رتبة واحدة فان أباطال ربه صلى الله عليه وسلم صغيراً أو آواه كبيراً ونصره وعززه ووقره وذب عنه ومدحه وصي باتباعه وأما ما روى ان علياً ضحك على المنبر ثم قال ذكرت قول أبي طالب ظهر علينا وأنا أصلي ببطن نخلة فقال ماذا صنعتان قد عاد النبي الى الاسلام فقال ما بالذي تقول من بأس ولا سكن والله لا يعملوني استي أبداً

فهذا في أول الاسلام قبل ان تفرض الصلاة وقد أقر بأنه لا بأس بالتوحيد وابتداء عن صلاة النفل لا يدل على
 إياهم عن التوحيد وليس في حديث عمرو بن دينار السابق دلالة قطعية على شركه وأما قوله صلى الله عليه
 وسلم استغفر ابراهيم لآبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لآبي طالب فهذا يمكن ان يكون معناه أن ابراهيم
 استغفر لآبيه مع شركه فكيف لا أستغفر أنا لآبي طالب مع خطيئته دون الشرك فلا أزال أستغفر له حتى
 ينهاني عنه ربي ولم ينهني صلى الله عليه وسلم بل نهى عن الاستغفار للمشركين لا لخصوصهم كما صرح به إذا ما
 روى عن قتادة ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن الاستغفار لآبائهم فقال والله
 اني لاستغفرن لآبي أى لعمى كما استغفر ابراهيم لآبيه فأزال الله ما كان للنبي والذين آمنوا الآية فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم أمرت أن لا أستغفر لمن كان كافرا فبقوله صلى الله عليه وسلم اني لاستغفرن لآبي ولم يقل
 أمرت أن لا أستغفر له بل قال لمن مات مشركا جواب لسؤال أصحابه مع إشارة خفية الى ان عمله يكن مشركا
 والله أعلم (ان ابراهيم لاواه) أى كثير الدماء والتضرع (حليم) أى صبور على المحنة (وما كان الله ليضل قوما
 بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) أى ما يجب ان يحترزوا عنه أى لما نزل المنع من الاستغفار للمشركين
 خاف المؤمنون من المؤاخذه بما صدر عنهم منه قبل المنع وقد مات قوم منهم قبل النهي من الاستغفار فوقع
 الخوف في قلوب المسلمين على من مات منهم انه كيف يكون حالهم فأزال الله تعالى ذلك الخوف عنهم بهذه الآية
 وبين انه تعالى لا يؤاخذهم بعمل الابدان يبين لهم انه يجب عليهم ان يحترزوا عنه أى وما كان الله ليقتضي
 عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لو تارككم المشركين بعد ان رزقكم الهداية وفقكم للايمان به وبرسوله
 حتى يبين لكم بالوحى ما يجب الاحتراز عنه من محظورات الدين فلا تنزجر واعمى انهم عنه (ان الله بكل
 شىء عليم) فيعلم حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فيبين لهم ذلك (ان الله له ملك السموات
 والارض) من غير شريك له فيه (يحى ويميت وما لكم من دون الله من ولى) أى متولى الامور
 (ولا نصير) أى لما أمر الله بالبراءة من الكفار بين ان له ملك السموات والارض فاذا كان هو ناصرا
 لكم فهم لا يقدر ان على اضراركم أى انه لكم ان صرتم محرومين عن معاونتهم فالله الذى هو المالك
 للسموات والارض والمحى والمحيى ناصركم فلا يضركم ان ينقطعوا عنكم والواجب عليكم ان تنقادوا
 لحكم الله وتكليفه - لسكونه الحكم ولا كونكم عبيد له (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
 الذين اتبعوه في ساعة العسرة) أى في الزمان الذى صعب الامر عليهم جدا في السفر الى تبوك وكانت لهم
 عسرة من الزاد وعسرة من الظهر وعسرة من الحر وعسرة من المسافر بما مص الثمرة الواحدة جماعة
 يتناولونها حتى لا يبقى من الثمرة الا النواة وكان معهم شىء من شعر مسوس فكان أحدهم اذا وضع اللقمة
 في فيه أخذ أنفه من ثمن اللقمة وكان العسرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم وكانوا قد خرجوا
 في قية شديدة وأصابهم فيه عطش شديد حتى ان الرجل لينخر بعيره فيعصر فرثه ويشربه أى لقد عفى الله
 عن النبي في اذنه للمنافقين في التخلف عنه - في غزوة تبوك وهو شىء صدر عنه من باب ترك الافضل لانه
 ذنب بوجع عقابا وعفى الله على المهاجرين والانصار من الوسواس التى كانت تقع في قلوبهم في ساعة
 العسرة كما قال تعالى (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) أى من بعد ما قرب ان ماتميل قلوب
 بعضهم الى أن يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الغزو والحرس ولم ترد الميل عن الدين ورجعوا في
 قلوب بعضهم ان لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منها (ثم تاب الله عنهم) أى عفى الله عنهم
 ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية لم يصبروا واندماوا على ذلك اللهم (انه هم رؤوف

(رحيم) فلا يجعلهم مالا يطيقون من العبادة ويوصل اليهم المنافع (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) أى
 وتاب الله على الثلاثة الذين آخر وافى قبول التوبة عن الطائفة الاولى ابن لبابة وأصحابه وهؤلاء الثلاثة
 كعب بن مالك الشاعر وهلال بن أمية الذى نزلت فيه آية اللعان ومرارة بن الربيع (حتى اذا ضاقت
 عليهم الارض بما رحبت) أى آخر أمرهم الى ان ضاقت الارض عليهم مع سعتها بسبب مجانبته
 الاحباب ونظر الناس لهم بعين الالهانة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معرضا عنهم ومنع المؤمنين من
 مكائهم وأمرهم باعتزال أزواجهم وبقوا على هذه الحالة خمسين يوما (وضاقت عليهم أنفسهم) أى
 ضاقت قلوبهم اذ ارجعوا الى أنفسهم لا يطمثون بشئ بسبب تأخير أمرهم من قبول التوبة (وظنوا
 أن لا ملجأ من الله الا اليه) أى علموا انه لا ملجأ لاحد من مخطئه تعالى الا اليه بالتضرع (ثم تاب عليهم)
 أى ثم وفقهم للتوبة الصحيحة المقبولة (ليتوبوا) أى ليحصدوا التوبة (ان الله هو التواب الرحيم)
 ولما نزلت هذه الآية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هجرته وهو عند دأمة سلمة فقال الله أكبر قد أنزل
 الله عذرا أصحابنا فلما صلى الفجر ذكر ذلك لأصحابه وبشرهم بأن الله تاب عليهم فانطلقوا الى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ولا عليهم منازل فيهم فقال كعب توبت الى الله تعالى ان أخرج مالى صدقة فقال لا قلت
 فنصفه قال لا قلت فثلثه قال نعم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فى مخالفة أمر الرسول (وكونوا مع
 الصادقين) أى مع الرسول وأصحابه فى الغزوات ولا تكونوا جالسين مع المنافقين فى البيوت وقرئ
 شاذة من الصادقين فعلى هذا نفع بمعنى من أى كونوا ملازمين الصدق روى ان واحدا جاء الى النبي صلى
 الله عليه وسلم وقال انى رجل أريد ان أؤمن بك انى أحب الخير والزنا والسرقة والكذب والناس
 يقولون انك تحرم هذه الاشياء ولا طاعة لى على تركها بأمرها فان قنعت منى بترك واحد منها آمنت بك
 فقال صلى الله عليه وسلم أترك الكذب فقبل ذلك ثم أسلم فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم عرضوا
 عليه الخمر فقال ان شربت وسألنى الرسول عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت أقام الحد على
 فتركها ثم عرضوا عليه الزنا فجاء ذلك الحاطر فتركه وكذا فى السرقة فتأب عن الكل فعاد الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقال ما أحسن ما فعلت لما منعتنى عن الكذب انسدت أبواب المعاصي على (ما كان
 لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب) أى ما جاز لاهل دار الهجرة ومن حولهم من سكان البوادي
 (أن يتخلفوا عن رسول الله) اذ ادعاهم وأمرهم لانه تتعين الاجابة والطاعة لرسول الله وكذلك
 غيره من الولاة والائمة زائدوا وعينوا (ولا يرجعوا بأنفسهم عن نفسه) أى ليس لهم ان يكرهوا
 لانفسهم ما يرضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانفسهم (ذلك) أى وجوب المشايعة لرسول الله
 (بأنهم لا يصيبهم ظمأ) أى شدة عطش (ولا نصب) أى تعب (ولا خصاصة) أى مجاعة شديدة
 يظهر بها ضمور البطن (فى سبيل الله) أى فى طريق دينه (ولا يطؤون) أى لا يدوسون
 بأرجلهم وحوافر خيولهم واخفاف بعيرهم (موطنا) أى دوسا (يغيظ الكفار) أى يغيضهم بذلك
 (ولا ينالون من عدو نبلا) أى شيئا من الأسرا أو قتلا أو هزيمة (الا كتب لهم به) أى بكل واحد من
 الامور الخمسة (هل صالح) مستوجب للثواب ومن قصه طاعة الله كان جميع حركاته وسكناته
 حسنة مكتوبة عند الله (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى لا يترك ثوابهم (ولا ينفقون نفقة صغيرة
 ولو تمر أو علاقة سوط (ولا كبيرة) كما أنفق عثمان فى جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أى ولا
 يجاوزون مسلكا فى سيرهم (الا كتب لهم) أى الا كتب الله لهم ذلك الاتفاق والسير فى الذهاب

والرجوع (ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون) أي ليجزئهم الله على أحسن أعمالهم وهو الواجب
والمندوب دون المباح أو ليجزئهم الله جزاءه هو أحسن من أعمالهم وهو الثواب فالأحسن صفة عملهم على
المعنى الأول وصفة الجزاء على الثاني (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) أي ما استقام لهم أن ينفروا
جميعاً نحو غزو وطلب علم فإنه يخل بأمر المعاش هذه الآية أما كلام لا تعلق له بالجهاد وأما من بقية أحكام
الجهاد (قلوا لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون
فعلى الأول يقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة إلى حضرة الرسول ليتفقهوا في الدين بل ذلك غير واجب
وغير جائز وليس حال النفقة كحال الجهاد معه صلى الله عليه وسلم الذي يجب أن يخرج فيه كل من لا عذر له
فهو لا نفر من كل فرقة من فرق الساكنين في البلاد طائفة إلى حضرة الرسول ليتفقهوا في الدين ويعودوا إلى
أوطانهم فينذروا قومهم لكي يحذرون عقاب الله تعالى بامتنال أمره واجتناب نهيهِ وعلى هذا التقدير
فكون المراد وجوب الخروج إلى حضرة الرسول للتعليم لأنه يحدث كل وقت تكليف جديد أما في زماننا
فقد صارت الشريعة مستقرة فإذا أمكنه تحصيل العلم في الوطن لم يكن السفر واجباً وعلى الاحتمال الثاني
يقال إن النبي لما بالغ في الكشف عن عيون المنافقين في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المسلمون والله
لا نتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية بعثها فلما قدم الرسول المدينة من تبوك وأرسل
السرايا إلى الكفار نفر المسلمون جميعاً إلى العز ورتبوا النبي وحده في المدينة فترأت هذه الآية فالمعنى
لا يجوز للمؤمنين أن ينفروا جميعاً ويتركوا النبي بل يجب أن ينقسموا قسمين طائفة تنفر إلى الجهاد وقهر
الكفار وطائفة تكون مع رسول الله لتعلم العلم والفقه في الدين لأن أحكام الشريعة كانت تتجدد شيئاً بعد
شيء والمالكون يحفظون ما تجدد فأذا قدم الغزاة علموا ما تجدد في غيبتهم وبهذا الطريق يتم أمر الدين
والمعنى فهلا نفر من كل فرقة من المقيمين مع رسوله الله طائفة إلى جهاد العدو ليتفقه المقيمين في الدين
بسبب ملازمتهم خدمة الرسول وليخبروا قومهم الخارجين إلى الجهاد إذا رجع الخارجون من جهادهم
إليهم بما حصلوا في أيام غيبته من العلوم لكي يحذرون معاصي الله تعالى عند ذلك التعليم (يا أيها الذين
آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) أي لما أمرهم الله بقتال المشركين كافة أرشدتهم إلى الطريق
الأصوب الأصح وهو أن يبدأ بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد وبهذا الطريق
يحصل الغرض من قتال المشركين كافة فإن أمر الدعوة وقع على هذا الترتيب فإن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قاتل أولاً قومه ثم انتقل منهم إلى قتال سائر العرب ثم إلى قتال أهل الكتاب وهم قريظة والنضير
وخيبر وفدك ثم انتقل إلى غز الروم والشام فكان فتحه في زمن الصحابة ثم انهم انقلبوا إلى العراق
(وليجدوا فيكم غلظة) أي شدة عظيمة وشجاعة (واعلموا أن الله مع المتقين) أي معيّنهم بالنصرة على
أعدائهم والمراد أن يكون الأقدام على الجهاد بسبب تقوى الله لا بسبب طلب المال والجاه (وإذا ما أنزلت
سورة) من سور القرآن والحال أن المنافقين ليسوا حاضرين مجلس نزولها وليس في السورة قضية
لهم (فإنهم من يقول) أي فن المنافقين فريق يقول لا صحابة استهزاء بالقرآن والمؤمنين (أيكم زادته
هذه) السورة (إيماناً) قال تعالى تعييناً حالهم (فأما الذين آمنوا) بالله تعالى وبعما جاء من هذه (فزادتهم)
أي هذه السورة (إيماناً) بانضمام إيمانهم بعما فيها بإيمانهم السابق لأنهم يقرأون عند نزولها بانها حق
من عند الله (وهم يستبشرون) بنزولها لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية (وأما الذين في قلوبهم
مرض) أي نفاق وسوء عقيدة (فزادتهم) أي هذه السورة (رجساً إلى رجسهم) عقيدة باطلة

مضمومة الى عقيدتهم الباطلة فانهم كانوا مكذبين بالسورة النازلة قبل ذلك والآن صاروا مكذبين بهذه
السورة الجديدة فقد انضم كفرا الى كفروا بهم كانوا في العداوة والاستنباط وجوه المكر والآن ازدادت
تلك الاخلاق الذميمة بسبب نزول هذه السورة الجديدة (وماتوا وهم كافرون) وهذه الحالة أقبح من الحالة
الاولى فان الاولى ازدياد الجاسة وهذه مداومة الكفر وموتهم عليه (أولايرون) أي المنافقون
فلا استغفاهم للتوبيع وقرأ حمزة بالتاء على الخطاب للمؤمنين فلا استغفاهم للتجيب أي ألا ينظرون ولا يرون
(أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين) أي أنهم يبتلون بأفانين البليات مرارا كثيرة من المرض
والجوع ومن اظهار الفضيحة على نفاقهم وعلى تخلفهم من الغزو (ثم لا يتوبون) من نفاقهم (ولا هم
يذكرون) بتلك الفتنة الواجبة للتوبة وقوله تعالى ثم لا يتوبون وما بعده عطف على لا يرون داخل تحت
الانكار والتوبيخ على قراءة الجمهور وعطف على يفتنون على قراءة حمزة (واذا ما أنزلت سورة) فيها بيان
حالهم وكانوا حاضرين مجلس نزولها (نظر بعضهم الى بعض) أي تغامروا بالعيون يدبرون الهرب
ليخلصوا عن تأذي سماعها يقولون بطريق الإشارة (هـ-ل يراكم من أحد) من المسلمين ان قتم من
المجلس (ثم انصرفوا) جميعا عن مجلس نزول الوحي خوفا من الافتضاح أو غير ذلك (صرف الله قلوبهم)
عن الايمان وعن استماع لقرآن (بانهم قوم لا يفقهون) لسوء الفهم وعدم التدبر (لقد جاءكم)
أيها العرب (رسول) عظيم الشأن (من أنفسكم) أي من جنسكم بشر عربي قرشي مثلكم وقرى
بفتح الفاء أي من أشرفكم وأفضلكم قيل هذه قراءة فاطمة وعائشة رضي الله عنهما (عزيز عليه ما عنتم)
أي شاق شديد على هذا الرسول ما أنتم فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب (حريص عليكم) في
ايمانكم وصلاح حالكم فهو شديد الرغبة على ايصال الخيرات اليكم في الدنيا والآخرة (بالمؤمنين) أي
بجميعهم (رؤف رحيم) فهو تعالى شديد الرحمة بالطائعين منهم يريد الانعام على المذنبين (فان تولوا)
أي فان أعرض هؤلاء المنافقون والكفار عن الايمان والتوبة وناصبوك للعرب (فقل حسبي الله)
أي يكفيني الله فهو ثقتي (لا اله الا هو) أي لا حافظ ولا ناصر الا هو (عليه توكلت) أي وثقت
(وهو رب العرش) أي السرير (العظيم) فان جعل صفة للرب فعني العظمة هي وجوب الوجود
والتقدس عن الجمية والاجزاء وكمال العلم والقدرة والتميز عن ان يتمثل في الاوهام وتصل اليه الافهام وان
جعل صفة للعرش فعني العظمة كبر الجرم واتساع الجوانب ووجود العرش أمر مشهور والكفار معه
من اسلافهم أو من اليهود والنصارى

(سورة يونس مكية الا قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم
بالمفسدين فانهم امدنية لانها نزلت في اليهود مائة وتسع آيات وكلما تألف وتماغنا
واثنتان وثلاثون كلمة وحروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم) أي تلك الآيات الجاصلة في سورة الر هي آيات
ذلك الكتاب المحكم الذي لا يمحوه الماء ولا يغيره كرو الدهر (أكان للناس) أي لاهل مكة (عجبا
أن أوحينا) أي ابجأنا (الى رجل منهم) أي من أهل مكة (أن أنذر الناس) أي انه أي الشأن
قولنا أنذر الناس أي خوف جميع الناس كافة بالقرآن فان أهل مكة كانوا يقولون ان الله تعالى ما وجد
رسولا الى خلقه الا يتيم أبي طالب (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) أي بان لهم منزلة

رقيقة عند ربهم (قال الكافرون) أي المتجهمون (ان هذا الساحر منين) قرابن كثير وطامع
 وحزة والكسافي بصيغة اسم الفاعل أي ان الكافرين لما جاءهم رسول منهم فأنذروهم وبشرهم قالوا
 متجهمين ان هذا الذي يدعي انه رسول وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ساحر ظاهر والباقون لسحر
 بكسر السين ومكون الحاء أي ان هذا القرآن لكذب ظاهر ووصف الكفار القرآن بكونه سحرا يدل على
 عظم القرآن عندهم من حيث تعذر عليهم فيه المعارضة فأرادوا به ان الكلام ان القرآن كلام من خرف
 حسن الظاهر ولكنه باطل في الحقيقة وهذا ذم له أو أرادوا به انه لكلام فصاحتهم وتعذر مثله جار مجرى
 السحر وهذا مدح له وانما لم يؤمنوا به عنادا (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام)
 أي مقدار ستة أيام معلومة (ثم استوى على العرش) وهو الجسم المحيط بسائر الاجسام والمعنى
 ثم تصرف الله في ملكه وليس معناه انه تعالى خلق العرش بعد خلق السموات والارض لان تكوين
 العرش سابق على تخليق السموات والارضين بدليل قوله تعالى وكان عرشه على الماء بل المراد انه تعالى
 لما خلق السموات والارض واستدارت الافلاك والكواكب وجعل بسبب دورانها الفصول الاربعة
 في هذا الوقت قد حصل وجود هذه المخلوقات وهذا ملك الله تعالى وهذا انما حصل بعد تخليق السموات
 والارض فصح ادخال حرف يفيد التراخي على الاستواء على العرش والله أعلم بمراده (يدبر الامر) أي
 يقدر على الوجه الاكمل أمر ملكوت السموات والارض (ما من شفيع الا من بعد اذنه) أي ان الله
 تعالى ينفرد في التدبير فان تدبيره تعالى للاشياء لا يكون بشفاعته شفيع ولا يستجري أحد ان يشفع اليه
 في شيء الا بعد اذنه تعالى ولا يدخل أحد في الوجود الا بعد ان قال تعالى له كن حتى كان (ذلكم الله
 ربكم فاعبدوه) فان العبادة لا تصلح الا له وهو المستحق لجميع العبادات لاجل انه هو المنعم بجميع النعم
 (أفلاتنكرون) فالتفكر في مخلوقات الله تعالى واجب والاستدلال بها على عزته تعالى وعظمته وجلالاته
 أعلى المراتب (اليه) تعالى (مرجعكم جميعا) بالبعث فلا حكم الا حكمه ولا نافذ الا أمره (وعدا الله حقا)
 أي وعدهم الله بالرجوع اليه وعدها حق ذلك الوعد حقا (انه يبدأ الخلق) ليأمرهم بالعبادة ثم
 يعيدهم (ثم يعيده) من العدم بالبعث (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أي بعد لهم والمراد
 به هنا الايمان وهذا تنبيه على ان المقصود بالذات من الابدال والاعادة هو الاثابة وايصال الرحمة وأما
 عقاب الكفرة فكأنه دأب ساقه اليهم سوء اعتقادهم وسوء أفعالهم (والذين كفروا لهم شراب من حميم)
 أي ماء حار قد انتهى حره (وعذاب ألیم) أي بالغ في الایلام (بما كانوا يكفرون) أي بسبب كفرهم
 (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) أي الذي خلق الشمس ذات ضياء والقمر ذات نور فبالذات
 ضوءه وبما بالعرض نور فنور القمر مستفاد من الشمس (وقدره منازل) أي جعل للقمر وهياله منازل
 وهي ثمانية وعشرون منزلا وأسماءها الشرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهقعة والذراع
 والنثرة والطرف والجبهة والذبرة والصرفة والعواء والسهاك والغفر والزباني والاكليل والقلب والشولة
 والنعام والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر
 وبطن الحوت فينزل القمر كل ليلة في واحد منها على تقدير مستو من ليلة المسهل الى الثامنة والعشرين
 فاذا كان في آخر منازل له دق واستقوس ثم لا يرى ايلتين أو ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس في
 كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما (لتعلموا) باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل (هدد السنين والحساب)
 أي حساب الاوقات فيمكنكم ترتيب مهمات المعاش من الزراعة والحراثة ومهمات الشتاء والصيف

(ما خلق الله ذلك) أى المذكور من الشمس والقمر على تلك الاحوال (الا بالحق) أى الاعلى وفق
الحكمة ومطابقة المصلحة فى أمور المعاملات والعبادات (يفصل الآيات) أى يذكر هذه الدلائل
الباهرة واحدا عقب آخر مع البيان (لقوم يعلمون) الحكمة فى ابداع الكائنات فستدلون بذلك على شئون
مبدعها من الوحدة انية وكمال القدرة والعلم وفى قوله تعالى يفصل قراءتان قراءة ابن كثير وأبو عمرو وحفص
عن عاصم بالياء والباقون بالنون (ان فى اختلاف الليل والنهار) أى فى تعاقبهما وفى تفاوتهما بازدياد
وانقاص أوفى تفاوتهما بحسب الامكنة فى الطول والقصر (وما خلق الله فى السموات والارض) من
أنواع الموجودات (لآيات) دالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته (لقوم يتقون)
وخص الله تعالى العلامات بالمتقين لان الداعى الى التدبير والنظر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من
العاقبة (ان الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يطمعون فى ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر (ورضوا
بالحياة الدنيا) أى استغرقوا فى طلب الذات الجسمانية (واطمأننوا بها) أى سكنوا فى الاشتغال
بطلب لذات الدنيا (والذين هم عن آياتنا) أى دلائل وحدانيتنا الظاهرة فى الاكوان (خافلون) أى
لا يتفكرون فيها أصلا (أولئك) أى الموصوفون بتلك الصفات (ما واهم النار بما كانوا يكسبون)
أى من الاعمال القلبية ومن أنواع المعاصي والسيئات (ان الذين آمنوا) أى شغلوا قلوبهم وأرواحهم
بتحصيل المعرفة (وعملوا الصالحات) أى شغلوا جوارحهم بالخدمة فعينهم مشغولة بالاعتبار وأذنه
مشغولة بسماع كلام الله تعالى ولسانهم مشغول بذكر الله وجوارحهم مشغولة بنور طاعة الله (يهدىهم
ربهم بإيمانهم) أى يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على ايمانهم وأعمالهم الصالحة (تجرى من تحتهم
الانهار فى جنات النعيم) أى انهم يكونون جالسين على سرر مرفوعة فى البساتين والانهار تجري من
بين أيديهم (دعواهم فيها سبحانك اللهم) أى اشتغال أهل الجنة بتقديس الله تعالى وتعبيده والثناء
عليه لاجل ان سعادتهم فى هذا الذكر (وتحيتهم فيها سلام) أى تحية بعضهم لبعض تكون بالسلام
وتحية الملائكة لهم بالسلام (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) أى ان أهل الجنة لما عاينوا ما هم
فيه من السلامة عن الآفات والخافات علموا أن كل هذه الاحوال السنية انما كانت باحسان الله تعالى
عليهم فاشتغلوا بالثناء على الله فقالوا الحمد لله رب العالمين وانما وقع الختم على الحمد لان الاشتغال بشكر
النعمة متأخر عن رؤية تلك النعمة والمعنى أنهم اذا دخلوا الجنة وما ينو اعظمه الله ووجدوا فيها النعم
العظيمة وعرفوا أنه تعالى كان صادقا فى وعده اياهم بتلك النعم مجدوه تعالى ونعتوه بنعوت الجلال فقالوا
سبحانك اللهم أى نسبحك عن الخلق فى الوعد والكذب فى القول وعما لا يليق بحضرتك العلية ولما
حياهم الله والملائكة بالسلامة عن الآفات والغور بأنواع الكرامات أثنوا عليه تعالى بصفات الأكرام
(ولو يهمل الله للناس الشراستجاء لهم بالخير لقضى اليهم أجلهم) أى ولو يهمل الله لهم العذاب عند
استجاءهم به تهجيلا مثل تهجيله لهم كشف السداد عند استجاءهم به لا ميتوا وأهلكوا بالمرّة وما أمهلوا
طرفة عين وقرأ ابن عامر لقضى بفتح القاف والضاد وأجلهم بالنصب وقرأ عبد الله لقضينا اليهم أجلهم
(فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون) أى فنترك الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء مع تمردهم
فى ضلاتهم يهيمون فى شأنهم (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه
ضره لم كان لم يدعنا الى ضره) وهذه الآية بيان ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل
الشكر عند وجدان النعماء فاذا مسه الضر أقبل على التضرع والدعاء مضطجعا أو قاعدا أو قائما مجتهدا

في ذلك الدعاء طالباً من الله تعالى إزالة تلك المحنة وتبديلها بالمنحة فإذا كشف الله تعالى عنه بالعافية
أعرض عن الشكر ولم يتذكر ذلك الضر ولم يعرف قدر الانعام وصار بمنزلة من لم يدع الله تعالى للكشف
ضره فالواجب على العاقل أن يكون صابراً عند نزول البلاء شاكراً عند الفوز بالنعمة وأن يكون كثير
الدعاء والتضرع في أوقات الراحة والرفاهية حتى يكون مجاب الدعوة في وقت المحنة وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال من سره أن يستجاب له عند الكرب والشدة فليكثر الدعاء عند الرخاء (كذلك
زين للسرفين ما كانوا يعملون) أي هكذا زين لمن بذل العقل والفهم والحواس لاجل لذات الدنيا وهي
خسيسة جد في مقابلة سعادات الدار الآخرة ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكروا الدعاء والالتفات
في الشهوات والسكاف مقحمة للدلالة على زيادة تخامة المشار إليه (ولقد أهلكنا القرون) أي الامم (من
قبلكم) أي من قبل زمانكم يا اهل مكة مثل قوم نوح وهاد وأشباههم (ما ظلموا) أي حين فعلوا
الظلم بالكذب (وجاءتهم رسالتهم بالبينات) أي بالمعجزات الدالة على صدقهم (وما كانوا يؤمنوا)
أي وقد علم الله منهم أنهم يصرون على الكفر (كذلك) أي مثل ذلك الإهلاك الشديد الذي هو
الاستئصال بالمرّة (فنجزي القوم المحرمين) أي نجزي كل طائفة مجرمين لا شراكمهم لا أولئك المهلكين في
الجرائم التي هي تكذيب الرسول (ثم جعلناكم) يا اهل مكة (خلائق في الارض من بعدهم) أي
من بعد إهلاك أولئك القرون (لننظر كيف تعملون) أي لنعاملكم معاملة من يطلب العلم بما
يكون منكم من خير أو شر فنجازيكم على حسب عملكم (واذا تتلى عليهم) أي اهل مكة الوليد بن
الخنزومي والعاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحارث بن الحنظلة
(آياتنا) الدالة على بطلان الشرك (بينات) أي ظاهرة في دلالتها على وحدانيته نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يرجون في لقائنا خيراً على طاعة لانهم لا يؤمنون
بالبعث بعد الموت (انتم بقرآن غير هذا) أي بكتاب آخر على غير ترتيب هذا الكتاب (أو يله) بأن
تجعل مكان آية العذاب آية رحمة ومكان الحرام حلالاً ومكان الذم مدحاً وانما قالوا ذلك على سبيل السخرية
كقولهم لوجهتنا بقرآن آخر أو بدلت هذا القرآن لا منابك أو على سبيل التجربة حتى أنه صلى الله عليه
وسلم لو فعل ذلك علموا أنه كذاب في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله (قل) لهم (ما يكون لي
أن أبدله من تلقاء نفسي) أي ما يستقيم لي أن أغيره من قبل نفسي (ان أتبع الا ما يوحى الي) أي
ما أتبع في شيء مما أفعل وأترك الا ما يوحى الي في القرآن من غير تغييره في شيء أصلاً (انني أخاف ان
عصيت ربي) بالاعراض عن اتباع الوحي (عذاب يوم عظيم) وهو يوم القيامة (قل لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولا أدراكم به) أي قل يا أشرف الخلق للذين طلبوا منك تغيير القرآن لو شاء الله عدم تلاوتي
للقرآن عليكم بأن لم ينزل علي ولم يأمرني بتلاوته ما تلوته عليكم وما أعلمكم به بواسطتي وقرأ الحسن ولا
أدرؤكم به أي ولا أجعلكم بتلاوته عليكم خصماً قدروني بالجدال وتكذبوني وقرأ ابن عباس ولا
أظن تكلم به وعن ابن كثير ولا أدراككم بلام التأكيد التي تقع في جواب لو أي ولا أعلمكم به على لسان
غيري فانه حق لا محيص عنه ولو لم يرسلني الله به لارسل غيري به (فقد لبثت فيكم عمراً) أي فقد مكثت
فيما بينكم مقدار أربعين سنة تحفظون أحوالي طراً (من قبله) أي قبل أن يوحى الي هذا القرآن لم
أتكم بشيء (أفلا تعقلون) أي ألا تدبرون فلا تقولون ان القرآن ليس من تلقاء نفسي ووجه هذا
الاحتجاج ان أولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول عمره الى ذلك الوقت

وهملوا أحواله وانه كان أميا لم يطالع كتابا ولم يتلمذ لاستاذ ثم بعد أربعين سنة جاءهم بهذا الكتاب
 المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الأحكام والآداب والفصاحة ما عجز العلماء
 والفصحاء عن معارضته وكل من له عقل سليم يعلم ان هذا القرآن لا يحصل إلا بالوحى من الله تعالى (فن
 أظلم عن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) أى انى لم أفتقر على الله كذبا بل كذب عليه فى قولى ان
 هذا القرآن من عند الله ولولم يكن من عند الله بحيث افترىته على الله لما كان فى الدنيا أحد أظلم على نفسه
 منى فاذا أنكرتم ذلك فقد كذبتم بآيات الله فثبت كونكم أظلم الناس على أنفسكم (انه لا يفلح المجرمون)
 أى لا ينجو من عذاب الله المشركون (ويعبدون) أى هؤلاء المشركون (من دون الله ما لا يضرهم)
 فى الدنيا والآخرة (ولا ينفعهم) فيهما رهوا الاصنام كان همل الطائفة يعبدون اللات وأهل مكة
 يعبدون عزى ومناة وهبل وأسافا وثالثة (ويقولون هؤلاء) الاولثان (شفعوا عند الله) أى فانهم
 يزعمون أنهم شفع لهم فى الدنيا فى اصلاح معاشهم لانهم كانوا لا يعتقدون بعنا بعد الموت أو تشفع لهم فى
 الآخرة أن يعيشوا لانهم كانوا شاكين فى البعث (قل) تبكي تالهم (أننبئون الله بما لا يعلم فى السموات
 ولا فى الارض) أى أنخبرون الله بالذى لم يعلمه الله وهو شفاعاة الاصنام واذ لم يعلم الله شيئا استحال وجود
 ذلك الشئ لانه تعالى لا يعزب عن علمه شئ (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى عن شركائهم الذين
 يعتقدونهم شفعاءهم عند الله وقرأ حمزة والكسائي تشركون بالتاء على الخطاب (وما كان الناس الا
 أمة واحدة) أى كانوا على دين الاسلام من لدن آدم الى أن قتل قابيل هابيل (فاختلفوا) بأن كفر
 بعضهم وثبت آخرون على دين الاسلام (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى لولا انه تعالى أخبر بأنه يبقى
 التكليف على عباده وان كانوا كافرين (لغضى بينهم) بهيكل الحساب والعقاب لكفرهم لما كان ذلك
 سبيلا زال التكليف وكان ابقاؤه أصلح أخر الله العقاب الى الآخرة (فيما فيه يختلفون) أى فى الدين الذى
 اختلفوا بسببه (ويقولون) أى كفار مكة (لولا أنزل عليه) أى هلا أنزل على محمد عليه السلام (آية) أخرى
 سوى القرآن (من ربه) دالة على صدق ما يقول كما كان أصالح من الناقة ولموسى من العصا (فقل) لهم
 فى الجواب (انما الغيب لله) أى ان ما اقترحتموه وزعمتم أنه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله هو من
 الغيوب المختصة بالله تعالى لا علمى عليه (فانتظروا) نزوله (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم
 لا جرائكم على جهود آيات القرآنية واقترح غيرها (واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم
 اذالهم مكر فى آياتنا) أى ان مشركى أهل مكة عادتهم اللجاج والعناد لانه تعالى سلط عليهم القحط سبع
 سنين حتى كادوا يهلكوا فأنزل الله الامطار النافعة على أراضهم حتى أخصبت البساتين وعاس الناس
 بعد ذلك ثم انهم أضافوا تلك المنافع الجليلة الى الانواء والكواكب أو الاصنام واذ كان كذلك فمتقدرون ان
 يعطوا ما سألوا من انزال ما اقترحوه فانهم لا يؤمنون بل يبقون على كفرهم (قل الله أسرع مكررا) أى
 أن هؤلاء الكفار لما قابلوا نعمة الله بالكفر فأنه تعالى قابل مكرهم بمكر أشد من ذلك وهو اهلا كههم يوم
 بدر وحصول الفضيحة والحزى فى الدنيا وعذاب شديد يوم القيامة بمعنى الوصف بالاسرع عية أنه تعالى
 قضى بعقابهم قبل تدبيرهم مكايدهم والمكر من الله تعالى اما الاستدراج أو الجزاء على المكر أى اخفاء
 الكيد (ان رسلنا) الذين يحفظون أعمالكم (يكتبون ما تكمرون) أى مكركم ويعرض عليكم ما فى
 بواطنكم الخبيث يوم القيامة (هو الذى يسيركم فى البر) مشاة وركبانا (والبحر) وقرآن عامر
 ينشركم بنون ساكنة فشين مججمة مضمومة أى يبسطكم (حتى اذ كنتم فى الفلك) أى السفن

(وجرين) أى السفن (بهم) أى بالذين فيها (بريح طيبة) موافقة للقصد (وفرحوا بها) أى
بتلك الريح فرحاً تاماً (جاءتها) أى تلت تلك الريح الطيبة (ريح عاصف) أى شديد أزعجت
سفينتهم (وجاءهم الموج) العظيم الذى أرجف قلوبهم (من كل مكان) أى ناحية (وظنوا أنهم
أحيط بهم) أى ظنوا القرب من الهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) أى من غير أن يشركوا معه
تعالى شيئاً من آلهتهم أى وهم مقرون بواحدنية الله وربو بيته لاجل علمهم بأنه لا ينجيهم من ذلك إلا الله
تعالى فيكون إيمانهم جارياً مجرى الإيمان الاضطرابى قائلين والله (لئن أنجيتنا من هذه) الشدائد
(لنسكن من الساكرين) لنعم لك (فلما أنجاهم) من هذه البلية العظيمة (إذا هم يبغون فى
الأرض بغير الحق) أى يترقون فى الفساد والجوراء على الله تعالى بالكفر والمعاصي (يا أيها الناس
اغنا بغيركم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) قرأ الاكثرون متاع بالرفع فبغيركم مبتدأ ومتاع خبره وأعلى
أنفسكم خبره ومتاع خبر مبتدأ محذوف أى ان ظلم بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا وهى مدة
حياتكم لا بقاء لها وأن الظلم لبعضكم كائن عليكم فى الحقيقة لا على الذين تظلمون عليهم وهو منفعة
سريعة الزوال وقرأ حفص عن عاصم بنصب متاع على أنه مصدره وكذا فعل مقدر أى تتمتعون متاع
أو مصدر وقع موقع الحال أى متمتعين بالحياة الدنيا (ثم اليانما رجعكم) بعد الموت (فنبشكم بما كنتم
تعملون) فى الدنيا من البغى أى قصد الاستعلاء بالظلم فنجازيكم على أعمالكم (اغنا مثل الحياة الدنيا
كما أنزلنا من السماء فاختلط به نبات الأرض) أى لانه إذا نزل المطر ينبت بسببه أنواع كثيرة من
النبات وتكون تلك الأنواع مختلطة (غمايا كل الناس والانعام) من البقول والزرور والحشيش
(حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) أى حتى إذا جعلت الأرض آخذة لباسها من كل نبات (وازينت)
بجميع الألوان الممكنة فى الزينة حمرة وخضرة وصفرة وذهبية وبياض (وظن أهلها) أى أهل
النبات الموجود فى الأرض (أنهم قادرون عليها) أى على تحصيل ثماره وعلى حصاده (أناها) أى
نبات الأرض (أمرنا) بهلاكها بنار أو برد أو ريح (ليلا أو نهاراً فجعلناها) أى نبات الأرض
(حصيداً) أى شبيهاً بالقلوع فلا شئ على الأرض (كان لم تغن بالأمس) أى كان تلك النباتات
لم تكن قائمة على ظهر الأرض فى الزمن الماضى والمعنى ان هذه الحياة الدنيا التى يتتفع بها المرء مثل
النبات الذى لما عظم الرجاء فى الانتفاع به وقع اليأس منه بالهلاك والتهمك بالدنيا إذا نال منها بغيته أتاه
الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذتها (كذلك) أى مثل ذلك التفصيل (نفضل الآيات)
أى نبين الآيات القرآنية فى فناء الدنيا (لقوم يتفكرون) ويقفون على معانيها (والله يدعو إلى دار
السلام) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مثلى ومثلكم شبه سيد بنى داراً ووضع مائدة وأرسل
داعياً فن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ورضى عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم يأكل
ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار دار السلام والمائدة الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من يوم تطلع فيه الشمس الا ويجنبها ملكان يناديان بحيث يسمع
كل الخلائق لا الثقلين أيها الناس هلموا إلى ربكم والله يدعو إلى دار السلام (ويهدى من يشاء إلى
صراط مستقيم) أى إلى اجابة تلك الدعوة (للذين أحسنوا) أى أتوا بالمأمور به واجتنبوا المنهيات
(الحسنى وزيادة) أى نضرة الوجوه ورؤية الله تعالى وعن ابن عباس أن الحسنى هى الحسنة
والزيادة عشر أمثالها وعن على الزيادة غرقمة من لواؤة واحدة (ولا يرهق) أى لا يعلو (وجوههم)

(قتر) أى سواد (ولاذلة) أى أثرهوان (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أى دائمون بلا
 انتقال (والذين كسبوا السيئات) أى الكفر والمعاصي (جزاء سيئة بمثلها) من غير زيادة بعدل
 الله تعالى (وترهقهم ذلة) أى ويعلو أنفسهم ذلة عظيمة (ما لهم من الله من عاصم) أى ما لهم عاصم
 من عذاب الله . (كأنما أغشيت وجوههم قطعان الليل مظلمة) أى كأن الوجوه ألبست سوادا من
 الليل لقرط سوادها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشهم جميعا) أى نحشر الكل حال
 اجتماعهم لا يتخلف منهم أحد وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا) أى ثم نقول للشركين من
 بينهم (مكانكم أنتم وشركاؤكم) أى الزموا أنتم ومن عبدتموه من دون الله مكانكم حتى تسألوا وتنتظروا
 ما يفعل بكم (فزيلنا بينهم) أى قباعدنا بين المشركين ومعبوداتهم بعد الجمع في الموقف وتبره شركاؤهم
 منهم ومن عبادتهم (وقال شركاؤهم) لهؤلاء المشركين (ما كنتم إيانا تعبدون) بأمرنا وأرادتنا أنما
 كنتم تعبدون أهواءكم وشياطينكم الذين أغووكم فانها الآمرة لكم بالإشراك (فكفى بالله شهيدا
 بيننا وبينكم أن كنا عن عبادتكم لغافلين) أى أنا كنا عن عبادتكم لجاهلين لا عملها ولا ترضى بها
 (هنالك) أى في ذلك المقام أوفى ذلك الوقت (تباوكل نفس ما أسلفت) بالتأه والباء على القراءة
 المشهورة أى تذوق كل نفس سعة عيدة أو شقية ما قدمت من عمل فتعلم نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي
 تباو بتائين أى تقرأ كل نفس في صحيفة أعمالها ما قدمت من خير أو شر أو تبسع ما أسلفت لأن عملها هو
 الذى يهديها إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار وقرأ عاصم نبالوكل نفس بالنون والباء ونصب كل أى
 تختبر كل نفس بسبب اختبار ما أسلفت من العمل أى نفعل بما فعل المختبر أو المعنى نصيب بالبلاء الذى هو
 العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر (وردوا والله مولاهم الحق) أى أعرض الذين
 أشركوا عن المولى الباطل ورجعوا إلى المولى الحق وأقروا بالوحيته بعد أن كانوا في الدنيا يعبدون غيره
 وردوا إلى حكمه (وضل عنهم) أى ضاع عنهم في الموقف (ما كانوا يفترون) أى يدعون أن معبوداتهم
 آلهة وانها تشفع لهم (قل) لأولئك المشركين (من يرزقكم من السماء والأرض) أى رزقا مبتدأ
 منهما (أمن يملك السمع والأبصار) أى بل من يستطيع خلق السماع والأبصار ومن يحفظهما من
 الآفات وعن على رضى الله تعالى عنه كان يقول سبحان من بصر بشحم وأسمع بعظم وأنطق بلحم (ومن
 يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى ومن يقدر أن يخرج الإنسان من النطفة والطارئ
 من البيضة وان يخرج النطفة من الإنسان والبيضة من الطائر (ومن يدبر الأمر) أى من يدبر أحوال
 العالم جميعا (فسيقولون الله) أى ان الرسول إذا سألهم عن مدبر هذه الأحوال كانوا يعرفون الله وهم
 الذين قالوا في عبادتهم الأصنام أنها تقر بنا إلى الله وأنها تشفع عند الله وكانوا يعلمون أنها لا تنفع ولا تضر
 فعند ذلك قال الله تعالى لرسوله (قل) عند ذلك تبكى عليهم (أفلا تتقون) أى تعملون ذلك فلا تتقون ان
 تجعلوا هذه الأوثان شركاء لله في العبودية مع اعترافكم بأن كل الخيرات في الدنيا والآخرة إنما تحصل من
 رحمة الله وبأن هذه الأوثان لا تنفع ولا تضر البتة (فذلكم الله) أى فمن هذه قدرته ورحمته هو الله (ربكم
 الحق) أى الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه (فماذا بعد الحق الا الضلال) أى ليس غير الحق الا الضلال
 أى فإذا ثبت ان عبادة الله حق ثبت ان عبادة غيره من الأصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما (فأنى
 تصرفون) أى فكيف تعملون من التوحيد إلى الإشراك وعبادة الأصنام (كذلك) أى مثل صرفهم عن
 الحق بعد الإقرار به (حقك كلمة ربك) أى حكمه (على الذين فسقوا) أى خرجوا عن حد الصلاح (أنهم

لا يؤمنون) بدل من كلمة بدل كل من كل (قل هل من شركائكم) أى هل من الأصنام التي أثبتتم
 شركتها لله في استحقاق العبادة (من يبدؤ الخلق) أى ينشئ المخلوقات من العدم (ثم يعيده) في القيامة
 الجزاء ولما لم يقدر وأعلى الجواب أمر الله رسوله أن ينوب عنهم في الجواب فقال (قل الله يبدؤ الخلق ثم
 يعيده فأنى تؤفكون) أى فكيف تقلبون من الحق إلى الباطل (قل هل من شركائكم من يهدي إلى
 الحق) أى إلى ما فيه صلاح أمركم فإن أدنى مراتب العبودية هداية المعبود لعباده إلى ذلك (قل الله
 يهدي للخطى) دون غيره وذلك بنصب الأدلة وإرسال الرسل وإزالة الكتب والتوفيق للنظر (أفمن
 يهدي إلى الحق) وهو الله تعالى (أحق أن يتبع) أى حقيق أن يطاع ويعبد (أمن لا يهدي إلا أن يهدي)
 أى أم من لا ينتقل إلى مكان إلا أن ينتقل إليه لأن الأصنام خالية عن الحياة والقدرة والمعنى أمن لا
 يهتدى في حال من الأحوال إلا في حال هدايته تعالى له وهذا حال أشرف شركائهم من الملائكة والمسيح
 وعزير عليهم السلام وقرأ ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع أم من لا يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد
 الدال وقرأ عاصم وخفض بفتح الياء وكسر الهمزة وتشديد الدال وقرأ حماد ويحيى بن آدم عن أبي بكر عن
 عاصم بكسر الياء والهاء وقرأ حمزة والكسائي يهدي ساكنة الهمزة (فألكم) أى أى شئ ثبت لكم في
 اتخاذكم هؤلاء شركاء لله تعالى فإنهم عاجزون عن هداية أنفسهم فكيف يمكن أن يهدوا غيرهم (كيف
 تحكمون) أى كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله شركاء (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً) أى ما يتبع
 أكثرهم في معتقداتهم إلا ظناً واهياً أما بعضهم فقد يتبعون العلم فيقفون على بطلان الشرك لكن
 لا يقبلون العلم عناداً وفي ذلك دليل على أن تحصيل العلم في الأصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير
 جائز (إن الظن لا يغني من الحق) أى عن العلم (شياً) من الأغناء في العقائد (إن الله عليم بما يفعلون)
 من الاتباع للظنون الفاسدة والأعراض عن البراهين القاطعة (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون
 الله) أى وما صح أن يكون هذا القرآن المشحون بغفون الجميع الناطقة ببطلان الشرك وحقية التوحيد
 مفترى من الخلق (ولكن تصديق الذي بين يديه) أى ولكن كان القرآن تصديق الذي قبله من
 الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء قبله (وتفصيل الكتاب) أى وتفصيل جميع العلوم العقلية والنقلية
 الذي عمتنع حصوله في سائر الكتب (لأريب فيه) أى منتفياً عنه الريب (من رب العالمين) أى كأننا
 من رب العالمين (أم يقولون افتراء) أى أيقرون بالقرآن بل يقول كفار مكة اختلق محمد صلى الله عليه
 وسلم القرآن من تلقاء نفسه (قل) لهم اظهروا البطلان مقالهم الفاسدة (فأتوا بسورة مثله) أى إن
 كان الأمر كما تقولون فأتوا بسورة مثل القرآن في الفصاحة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء
 فإنكم مثلي في العربية والفصاحة وأشد غرمانى في النظم والعبارة (وادعوا) للمعاونة (من استطعتم)
 دعاءه (من دون الله) أى من سائر خلق الله (إن كنتم صادقين) فى أنى افتريته (بل كذبوا بما لم
 يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) أى بل كذبوا بما لم يدرك علمهم به مسرعين فى ذلك من غير أن يتدبروا فيه
 ولم يبلغ أذهانهم معانيه الرائقة المنبثة عن علوشانه (كذلك) أى مثل ذلك التكذيب من غير تدبر
 (كذب الذين من قبلهم) ما كذبوا من المهجرات التي ظهرت على أيدي أنبيائهم (فانظر) يا أشرف
 الخلق (كيف كان عاقبة الظالمين) فإنهم طلبوا الدنيا وتركوا الآخرة فلما ماتوا فاتهمم الدنيا والآخرة
 فبقوا فى الخسار العظيم (ومنهم) أى ومن هؤلاء المكذبين (من يؤمن به) أى القرآن عند الاحاطة
 بعلمه أى أما يعتقد بحقيقة القرآن فقط بأن يصدق به فى نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند وما سمي مؤمناً به

ويُتوب عن الكفر (ومنهم من لا يؤمن به) أي بأن لا يصدق به في نفسه لفرط غباوته أو لسخافة عقله
وعجزه عن تخليص علوم عن مخالطة الظنون أو بآيات عوت على كفره وهم المستمرون على اتباع الظن من
غير انقياد للحق (وربك أعلم بالمفسدين) أي بالمصرين على الكفر من المعاندين والشاكين (وان
تكذبوك) أي أصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة بالتحدي (فقل) لهم (لي عمل) من الايمان
وجزاء ثوابه (ولكم عملكم) من الشرك وجزاء عقابه (أنتم ريثون عما عمل وأناب في عما تعملون) أي
لا تؤاخذون بعمل ولا تؤاخذ بعملكم (ومنهم) أي من هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) عند
قراءتك القرآن وتعليمك الشرائع (أفأنت تسمع الصم) أي أنت تقدر على السماع الصم (ولو كانوا
لا يعقلون) أي ولو انضم الى صممهم عدم عقلهم (ومنهم من ينظر اليك) أي من يعين دلائل صدقك
(أفأنت تهدي العمى) أي أعقب ذلك أنت تهديهم (ولو كانوا لا يبصرون) أي لا يستبصرون
بقلوبهم ولا يعتبرون (ان الله لا يظلم الناس شيئا) أي بسلب حواسهم وعقولهم (ولكن الناس
أنفسهم يظلمون) بافساد الحواس والعقول وتقويت منافعها عليها فان الفعل ماثوب اليهم بسبب
الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم وتقدير الشقاوة عليهم لا يكون ظلما منه تعالى لانه يتصرف
في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالما (ويوم يحشرهم
كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) أي وأنذر المشركين المنكرين للبعث يوم يحشرهم في الموقف مشبهين
من لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعمها الا مقدار ساعة من النهار فان عاقبة الكافر خالصة دائمة مقرونة
بالاهانة ولذات الدنيا مع خساستها لم تكن خالصة بل كانت مخلوطة بالهمومات الكثيرة وكانت تلك اللذات
مغلوبة بالمؤامرات والآفات وكانت لم تحصل الا في بعض الاوقات أما الآخرة فهي سرمدية لا تنقطع
البته ونسبة عمر جميع الدنيا الى الآخرة الابدية اقل من الجزء الذي لا يتجزأ بالنسبة الى ألف ألف عالم مثل
العالم الموجود في قلوب الخيرات الحاصلة بسبب الحياة العاجلة والآفات الحاصلة للكافر وجدت اقل
من اللذة بالنسبة الى جميع العالم (يتعارفون بينهم) أي يوجب بعضهم بعضا فيقول كل فريق للآخر
أنت أضللتني يوم كذا وزينت لي الفعل الفلاني من القبائح (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا
مهتمين) أي قد هلكوا بتكذيبهم بالبعث بعد الموت وضلوا وما كانوا عارفين لطريق النجاة وهذه شهادة
من الله تعالى على خسرانهم (واما زينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فاليوم يرجعهم) أي وان
أريناك بعض العذاب الذي نعدهم به بأن نجعله لهم في حياتك في الدنيا فتراهم وان توفيناك قبل نزول
العذاب بهم فأنك ستراه في الآخرة لان العذاب لا يفوتهم بل تنزله بهم في الآخرة (ثم الله شهيد على
ما يفعلون) أي ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرى ثمة أي هناك (ولكل أمة) من الامم الماضية
(رسول) يبعث اليهم بشرية خاصة مناسبة لاجوالهم ليدعوهم الى الحق (فاذا جاء رسوله) قبلهم
ما أرسل اليهم فكذبوه وصدقه بعضهم (قضى بينهم بالقسط) أي بالعدل أي فصل بينهم وحكم
بهلاك المكذبين وبنجاة الرسول ومن صدقه (وهم لا يظلمون) في ذلك القضاء بتعذيبهم لانه يجرمهم
(ويقولون) أي قال كل أهل دين لرسولهم على وجه التكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبرهم
من نزول العذاب للاعداء (متى هذا الوعد) الذي تعدنا بنزول العذاب (ان كنتم صادقين) في انه
يأتينا (قل) يا أشرف الخلق لقومك الذين استهزلوا نزول العذاب على طريقة الاستهزاء والانكار
(لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا) أي لا أقدر على دفع ضر ولا جلب نفع لنفسي (الاماشاء الله) أي

ولكن ما شاء الله من ذلك كل شيء (لكل أمة أجل) أي وقت معين خاص بهم (إذا جاء أجلهم) أي وقت هلاكهم (فلا يستأخرون) عن ذلك الأجل (ساعة) أي شيئاً قليلاً من الزمان (ولا يستقدمون) عليه (قل أرايتم أن آتاكم عذابه بيئاً أو نهراً ما إذا يستجبل منه المجرمون) أي قل للذين يستجبلون العذاب أخبروني عن عذاب الله أن آتاكم وقت اشتغالكم بالنوم أو عند اشتغالكم بمشاغلكم أي شيء يستجبلون من عذاب الله وليس شيء من العذاب يستجبله عاقل إذا العذاب كله من المذاق موجب لنفار الطبع منه (أنتم إذا ما وقع آمنتم به) أي أبعد ما وقع العذاب بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان (الآن) تومنون بالعذاب (وقد كنتم به) أي بالعذاب (تستجبلون) أي تكذبون فإن استجبلهم كان على جهة التكذيب والانكار (ثم قيل) يوم القيامة على لسان ملائكة العذاب (الذين ظلموا) أي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق (ذوقوا عذاب الخلد) أي عذاب المؤلم على الدوام (هل تجزون) في الآخرة (الابما كنتم تكسبون) في الدنيا من أصناف الكفر والمعاصي وهذا استثناء مفرغ والجار والمجرور مفعول ثان لتجزون والاول قائم مقام الفاعل (تنبيه) أين ما ذكر الله تعالى العذاب ذكر هذه العلة كأن سائلاً يقول يا رب العزة أنت الغني عن الكل فكيف يليق برحمتك هذا التشديد فهو تعالى يقول ما أنا ما عاملته بهذه المعاملة ابتداء بل هذا وصل اليه جزاء على عمله الباطل (ويستنبئونك) أي يستخبرونك يا أشرف الخلق والقائل حيي بن أخطب لما قدم مكة بطريق الاستهزاء والانكار (أحق هو) أي ما تعدنا من نزول العذاب علينا في الدنيا وما تعدنا من البعث والقيامة (قل) لهم في الجواب هذه الامور الثلاثة غير ملتفت الى استهزائهم (أي ورب) فاي من حروف الجواب بمعنى نعم في القسم خاصة كما ان هل يعني قد في الاستفهام خاصة (انه) أي العذاب الموعود (لحق) أي ثابت (وما أنتم بمجزيين) لمن وعدهم بالعذاب ان ينزله عليكم (ولو أن لكل نفس ظلمت) وهو لاحق بكم بالشرك أو غيره من أنواع الظلم ولو مرة (ما في الارض) أي ما في الدنيا من الاموال (لافتدت به) أي لغادت بما في الدنيا نفسها من عذاب الله (وأسرؤا الندامة لما رأوا العذاب) أي أخفوا الندامة على ترك الايمان حين عابوا العذاب فلم بقدروا على ان ينطقوا بشيء لشدة الاهوال وقطاعة الحال (وقضى بينهم) أي بين الظالمين بالشرك وغيره (بالقسط) أي بالعدل (وهم) أي الظالمون (يظلمون) فيما فعل بهم من العذاب (ألا ان الله ما في السموات والارض) أي ما وجد فيهما (ألا ان وعد الله حق) أي ان جميع ما وعد الله به ثابت لا بد أن يقع ووعدته تعالى مطابق للواقع (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي غافلون عن هذه الدلائل (هو يحيى ويميت) في الدنيا (واليه ترجعون) بعد الموت للجزاء (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) أي قد جاءكم كتاب فيه بيان ما ينفع المكلف وما يضره ودواء للقلوب وهدى الى الحق ورحمة للمؤمنين بانجائهم من الضلال الى نور الايمان وتخلصهم من دركات النيران الى درجات الجنان والحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير الظاهر عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الباطن عن العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى اشارة الى ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة والرحمة اشارة الى بلوغ الكمال (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) أي فليفرحوا بتلك النعم لان حيث هي هي بل من حيث انها بفضل الله وبرحمته الله قال الصديقون من فرح بنعمة الله من حيث انها تلك النعمة فهو مشركاً ما من فرح بنعمة الله من حيث انها من الله كان فرحه بالله وذلك غاية الكمال ونهاية السعادة

وقال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من أهله (هو) أي المذكور من فضل الله ورحمته (خير مما يجمعون) من الدنيا لان الآخرة أبقى وقرأ ابن طاهر بالتاء على الخطاب واما فليفرحوا فبالياء التحتية عند السبعة ولا يقرؤه بالتاء الفوقية الا يعقوب من العشرة كما هو مروي عن زيد بن ثابت والمعنى فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار (قل أرايتم) أي أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) أي الذي خلقه الله لكم من حرث وانعام (لجعلتم منه حراما وحلالا) أي لحكمتم بأن بعض الرزق حرام وبعضه حلال مع كون كلمة حلالا (قل الله أذن لكم) قل تأ كيد الامر بالاستخيار أي أخبروني الله أمركم بذلك الحكم فأنتم عمدة ما لون بأمره تعالى (أم على الله تفترون) أي أم لم يأنزل لكم في ذلك بل على الله تكذبون بنسبة ذلك اليه (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) أي أي شيء ظنهم يوم عرض الافعال والاقوال أيحسبون انهم لا يستأثرون عن افترائهم أولا يجازون عليه ولا جل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفي أشد العذاب لان معصيتهم أشد الماصي (ان الله لنوفضل على الناس) باعطاء العمل وارسال الرسل وانزال الكتب واما لهم على سوء أفعالهم (ولكن أكثرهم لا يشكرون) تلك النعم فلا يستعملون العقل في التأمل في دلائل الله تعالى ولا يقبلون دعوة أنبياء الله تعالى ولا ينتفعون باستماع ~~كتب~~ الله (وما تكون) يا أشرف المخلوق (في شأن) أي أمر من أمور الدنيا (وما تسألونه) أي الشأن (من قرآن ولا تعملون من عمل) أي أي عمل كان (الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون) أي تشرعون (فيه) أي في ذلك المذكور (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء) أي ولا يغيب عن علم ربك ما يساوي في الثقل غلة صغيرة أو هباء في دائرة الوجود وقرأ الكسائي بكسر الزاي (ولا أصغر من ذلك) أي الذرة (ولا أكبر الا في كتاب مبين) أي في لوح محفوظ وقرأ حمزة بالرفع على الابتداء والخبر والباقيون بالنصب على ان لا نافية للجنس وما بعدها اسمها وخبرها (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم) في الدارين من حقوق مكروه (ولا لهم يحزنون) من فوات مطلوب (الذين آمنوا) بكل ما جاء من عند الله تعالى (وكانوا يتقون) والتقوى هنا التجنب عن كل اثم والتزهد عن كل ما يشغل السر عن الله تعالى والتبتل اليه تعالى بالكلية وهذا تفسير للأولياء (لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فالبشري في الدنيا محبة الناس لهم وذكرهم اياهم بالثناء الحسن والرؤيا الصالحة وبشري الملائكة لهم عند الموت وفي الآخرة تلقى الملائكة اياهم مبشرين بالفوز والكرامة وبياض الوجوه واعطاء الصحف بايمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات (لا تبديل لكلمات الله) أي لا حلف في أقواله (ذلك) أي حصول البشري لهم في الدارين (هو الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه (ولا يحزبك قولهم) أي لا تحزن بما يتفوهون به في شأنك مما لا خير فيه ولا تبال بتكذيبهم وتشاؤهم في تدبيره لا كل وإبطال أمرك وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي (ان العزة لله جميعا) أي ان القوة جميعا لله فهو يعملك منهم وينصرك عليهم حتى تكون أقوى منهم (هو السميع العليم) أي يسمع ما يقولون في حقل ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافؤهم بذلك (ألا ان الله من في السموات ومن في الارض) من الملائكة والنفلين واذا كان هؤلاء في ملكه تعالى فالجمادات أحق أن لا تكون شركاء له تعالى (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) أي وما يتبع الذين يعبدون من دون الله آلهة شركاء فآلهة مفعول يدعون وشركاء مفعول يتبع (ان يتبعون الا الظن) أي ان المشركين ما اتبعوا شريك الله تعالى انما اتبعوا شيئا ظنوا مشريكا لله تعالى (وانهم الا يخرون) أي

ما هم الا يكذبون فيما ينسبونه اليه تعالى ويقدر ان معبوداتهم شركاء (هو الذي جعل
 لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرام) أي هو الذي صير لكم الليل مظلماً لتستريحوا فيه من تعب النهار
 والنهار مضياً لتتدوا به في حوائجكم بالأبصار ولتتحرروا فيه لمعاشكم (ان في ذلك) أي الجعل
 (لآيات) أي لعبرات (لقوم يسمعون) مواظب القرآن فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه الاشياء كلها
 هو الله المنفرد بالوحدانية في الوجود (قالوا) أي كفار مكة (اتخذ الله ولداً) أي الملائكة بنات الله
 (سبحانه) قال تعالى ذلك تنزيهاً لنفسه عما نسبوه اليه وتجييماً من كلتهم الحقا (هو الغني) عن كل
 شيء في كل شيء (له ما في السموات وما في الأرض) من ناطق وصامت ملكا وخلقاً (ان عندكم من
 سلطان هذا) أي ما عندكم حجة بهذا القول الباطل (أتقولون على الله ما لا تعلمون) أي أنتم تنسبون
 اليه تعالى ما لا يجوز نسبته اليه تعالى جهلاً منكم (قل ان الذين يقولون على الله الكذب لا يفلحون) أي
 لا يصلون الى مقاصدهم وكل من قال في ذات الله تعالى وصفاته قولاً بغير علم وبغير حجة بينة كان دخلاً في
 هذا الوعيد (متاع في الدنيا ثم اليها مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد عما كانوا يكفرون) أي حياتهم
 متاع قليل في الدنيا ثم لا بد من الموت وعند الموت لا بد من الرجوع الى الله وعند هذا الرجوع لا بد وأن
 يذيقهم الله العذاب الشديد بسبب كونهم كافرين فأين هم من الفلاح (واتل عليهم) أي المشركين
 (نبأ نوح) أي خبره مع قومه الذين هم أشباه قومك في العناد ليصير داعياً الى مفارقة الانكار للتوحيد
 والنبوة (اذ قال لقومه) وهم بنو قاييس (يا قوم ان كان كبر) أي ثقل (عليكم مقامي) أي مكثي
 فيكم مدة طويلة (وتد كبرى) أي وعظي اياكم (بآيات الله) أي بحجته (فعلى الله توكلت) أي
 فوضت أمري الى الله (فاجمعوا أمركم) أي فاعزموا على أمركم الذين تريدون بي من السعي في اهلاكي
 (وشركاءكم) أي وادعوا من يشاركوكم في الدين والقول وأدعوا أولادكم التي سميتموها بالآلهة
 وتقدير ادعوا هو كما في مصحف أبي ويصح أن يكون وشركاءكم مفهوماً معه من الضمير في فاجمعوا
 وقرأ الحسن وجماعة من القراء بالرفع عطفاً عليه (ثم لا يكن أمركم عليكم غمعة) أي خفياً وليكن
 ظاهراً (ثم اقضوا لي) أي أدوا لي ذلك الأمر الذي تريدون بي ونفذوه الى (ولا تنظرون) أي لا تغمضون
 بعد اعلامكم اياي ما اتفقتم عليه (فان توليتم فاسألتكم من أجر) أي ان أعرضتم عن نصيحتي فلا ضير
 علي لاني ما سألتكم بمقابلته وعظي من أجر تؤدونه الى حتى يؤدي ذلك الى أعراضكم (ان أجرى الاعلى
 الله) أي ما ثوابي على التذكير الاعلى عليه تعالى يثيبني به أمتي أو توليتم (وأمرت أن أكون من المسلمين)
 أي واني مأمور بالاستسلام لكل ما يصل الى منكم لاجل هذه الدعوة (فكذبوه) أي استمروا على
 تكذيب نوح بعد ما بين لهم المحجة (فنجينا من معه في الفلك) أي السفينة من المسلمين من الغرق
 وكانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة (وجعلناهم) أي أصحاب نوح (خلائف) من الهالكين
 بالغرق فسكنون في الأرض (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر) يا أشرف الخلق
 (كيف كان عاقبة المنذرين) أي كيف صار أمر الذين أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا (ثم بعثنا من بعده
 رسلاً الى قومهم) كان منهم هود وصالح واراھيم ولوط وشعيب (لخاؤهم بالبينات) أي لجهلهم كل رسول
 قومه المخصوصين به بالمعجزات الدالة على صدق ما قالوا (فما كانوا يؤمنوا بها كذبوا به من قبل) أي
 فما كانوا يصدقوا بما كذبوا به من أصول الشرائع التي أجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اليهم اليها من
 قبل محبي رسلكم أي كانت حالهم بعد مجي الرسل كحالهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم أحد (كذلك)

أى مثل ذلك الطبع (نطبع على قلوب المعتدين) أى المتجاوزين عن الحدود فى كل زمن (ثم بعثنا من بعدهم) أى من بعد أولئك الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) أى وأشرف قومه (بآياتنا) أى التسع اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين وطمس الاموال (فاستكبروا) أى فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما أى ادعوا الكبر من غير استحقاق (وكانوا قوما مجرمين) أى ذوى آثام عظام فلذلك اجترأوا على الاستهانة برسالة الله تعالى (فلما جاءهم الحق من عندنا) وهو العصا واليد البيضاء (قالوا) من فرط عنادهم (ان هذا) أى الذى جاء به موسى (لسحر مبین) أى ظاهر يعرفه كل أحد (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) ما تقولون من أنه سحر (أسحر هذا) أى أسحر هذا الذى أمره واضح مكشوف وشأبه مشاهد معروف (ولا يفلح الساحرون) أى والحال أنه لا يفلح فاعلوا السحر وهذه جملة حالية من الواو فى أتقولون (قالوا) لموسى وهارون عاجزين عن المحاجة (أجئتنا للتلفتنا) أى لتصرفنا (بما وجدنا عليه آباءنا) أى من عبادة الاصنام (وتكون لكما الكبرياء) أى الملك والعز (فى الارض) أى أرض مصر (وما نحن لكما بمؤمنين) أى بمصدقين (وقال فرعون) للئله (انتونى بكل ساحر عليم) بقنون السحر حاذق فيه وقرأ حمزة والكسائى سحار (فلما جاء السحرة) أى فاقوا بالسحرة قالوا موسى اما أن تلقى واما أن تكون نحن الملقين (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) أى ما معكم من الحبال والعصى (فلما ألقوا) حبالهم وعصيهم واسترهبوا الناس (قال) لهم (موسى ما جئتم به السحر) أى الذى جئتم به هو السحر أى التقوية الذى يظهر بطلانه لا ما سماه فرعون وقومه سحرا فهو من آيات الله تعالى وقرأ أبو عمر والسحر همزة الاستفهام بإبدال الهمزة الثانية ألفا ومدها ممد الازما وبتسهيلها من غير قلب وعلى كلاهما تجب الامالة فى موسى والمعنى الذى جئتم به أهو السحر أم لا وهو استفهام على وجه التحقير والتوبيخ (ان الله سيبيطله) أى سيهلكه بالكلية ويظهر فضيحة صاحبه للناس والسين للتأكييد (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) أى لا يكمله (ويحق الله الحق) أى يظهره ويقويه (بكلماته) أى بوعده لموسى وقضائه (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى الاذرية من قومه) أى لما آمن من قوم موسى الا قليل منهم وهم بنو اسرائيل الذين كانوا عصري من أولاد يعقوب وذلك أن موسى دعا الآباء الى دينه فلم يجيبوا خوفا من فرعون وأجابته طائفة من شبانهم مع الخوف (على خوف من فرعون وملئه) أى مع خوف من فرعون لانه كان شديدا بطش وخوف على رؤساء الذرية فان أشرف بني اسرائيل كانوا يعنونه أولادهم من اجابة موسى خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم (أن يقتلهم) أى يصرفهم عن الايمان بتسليط أنواع العذاب عليهم (وان فرعون لعال فى الارض) أى لغالب فى أرض مصر (وانه لمن المسرفين) أى المتجاوزين الحد بكثرة القتل والتعذيب لمن يخالفه فى أمر من الامور وبالكبر حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الانبياء (وقال موسى) لمن آمن به (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) ولا تخافوا أحدا غيره (ان كنتم مسلمين) أى منقادين لأمره تعالى قال الفقهاء الشرط المتأخر يجب أن يكون متقدما مثله قول الرجل لا مرأته ان دخلت الدار فأنت طالق ان قلت زيد فجمعوع قوله ان دخلت الدار فأنت طالق مشروط بقوله ان قلت زيدا والمشرط متأخر عن الشرط فكأنه يقول لا مرأته حال ما قلت زيدا ان دخلت الدار فأنت طالق فلو حصل هذا التعليق قبل ان قلت المرأة زيد لم يقع الطلاق فقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين يقتضى أن يكون كونهم مسلمين شرطا لان

يصير واخطابين بقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فكانه تعالى يقول للسلم حال اسلامه ان كنت من المؤمنين بالله فعلى الله توكل والامر كذلك لان الاسلام هو الاتقياء لتكاليف الله وترك التمرد والايان هو معرفة القلب بان واجب الوجود لذاته واحد وما سواه محدث تحت تصرفه واذا حصلت هاتان الحالتان فعند ذلك يفوض العبد جميع أموره الى الله تعالى ويحصل في القلب نور التوكل على الله تعالى (فقالوا) محيييين له عليه السلام (على الله توكلنا) ولانلتفت الى أحدسوا ثم دعوا ربهم قائلين (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أى لا تجعلنا مفتونين لهم أى لا تمنكنهم من أن يحملونا بالقهر على أن ننصرف عن هذا الدين الحق الذى قبلناه (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) أى خلصنا برحمتك من أيدي فرعون وقومه ومن سوء جوارهم وشؤم مصاحبته (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصريوناً) أى اجعلاصرييوتا لقومكما ومرجعنا رجعون اليه للعبادة (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مصلى (واقموا الصلاة) فى بيوتكم أى ان موسى ومن معه كانوا فى أول أمرهم مأمورين بان يصلوا فى بيوتهم لئلا يظهروا على الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون فى أول الاسلام بمكة على هذه الحالة (وبشر المؤمنين) بالنصر فى الدنيا بالجنة فى العقبى وخص الله تعالى موسى بالبشارة لانه الاصل فى الرسالة وهرون تبع له (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه) أى أشرف قومه (زينة) أى ما يترزين به من اللباس والمراكب ونحوها (وأموالا) كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما (فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء عليهم بلفظ الامر والمعنى ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك (ربنا اطمس على أموالهم) أى أهلكها قال ابن عباس بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها حجاجا وأنصافا وأنلانا وجعل سكرهم حجارة (واشدد على قلوبهم) أى اجعلها قاسية ومربوطة حتى لا تلين ولا تشرح للإيمان (فلا يؤمنوا) جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهى أو عطف على ليضلوا (حتى يروا العذاب الاليم) وانما دعاء موسى عليهم هذا الدعا لما علم أن سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم (قال) الله لموسى وهرون (قد أجيب دعوتكما) فموسى كان يدعو وهرون كان يؤمن والتأمين دعاء وحصول المدعو به بعد أربعين سنة لان فرعون لبث بعده هذا الدعاء أربعين سنة (فاستقيما) أى فأتبنا على ما أتمنا عليه من الدعوة والزام الحق ولا تستجلا (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) بعبادات الله تعالى فى تعليق الأمور بالمصالح والحكم أى ولا تسلكا طريق الجاهلين الذين يظنون انه متى كان الدعاء مجابا كان المقصود حاصل فى الحال والاستعجال وعدم الوثوق بوعد الله يصدران من الجهال (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) أى جعلناهم مجاوزين بحر السويس بأن جعلناهم ييسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه على يوسف وهم اثنان وتسعون وخرج بنوه مع موسى من مصر وهم ستمائة ألف وذلك لما أجاب الله دعاء موسى وهرون أمرهما بالهروج ببني اسرائيل من مصر فخرجوا وقد كان فرعون غافلا عن ذلك فلما سمع بخروجهم خرج يجهنوده فى طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين المخلص والبحر أمامنا والعدو وراءنا فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فصر به فأنفلق فقطعه موسى وبنو اسرائيل فلقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه ثمانية آلاف حصان على لون حصان سوى سائر الألوان وكان يقدمهم جبريل على فرس أنثى وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد فدنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يتمالك فرعون من أمره شيئا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم أولهم

بالخروج انطبق البحر عليهم (فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا) أي مفرطين في محبة قتلهم
 ومجاورين الحسد (حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه) أي بأن الشأ (لا اله الا الذي آمنت به بنو
 اسرائيل وأنا من المسلمين) أي الذين أسلموا نفوسهم لله فقال له جبريل (الآن وقد عصيت قبل وكنت
 من المفسدين) أي الآن تؤمن وتتنوب وقد ضيعت التوبة في وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة
 الباقية وقد كنت من الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان ولم يقبل ذلك من فرعون لانه اغما آمن
 عند نزول العذاب وانما أقرب عزة الربوبية ووحداية الله تعالى ولم يقرب نبوة موسى ولان ذلك الاقرار كان
 مبنيا على محض التقليد وهو كان دهر يامن مكر الوجود الصانع وانما ذكر هذه الكلمة ليتوسل بها الى دفع
 تلك البلية الحاضرة (فاليوم فنحيك ببعدك) أي نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع
 بدرع وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ نحيك بالحاء أي نلقيك بناحية الساحل (لتكون
 لمن خلفك آية) أي لمن وراءك آية وهم بنو اسرائيل اذ قالوا مامات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمتهم
 عندهم ولما حصل في قلوبهم من الرعب من أجله فأمر الله البحر فالتقاء على الساحل أحمر قصيرا كانه نور
 فرآه بنو اسرائيل فعرفوه وقرئ لمن خلفك فعلا ماضيا أي لتكون لمن يأتي بعدك من الامم نكالا من
 الطغيان وقرئ لمن خلفك بالفاء أي لتكون لخالفك آية كسائر آياته فان أفرادة تعالى اياك بالالتقاء
 الى الساحل لا بطل دعوى ألوهيتك لان الاله لا يعوت (وان كثير من الناس عن آياتنا لغافلون) أي
 لا يتفكرون فيها (ولقد بوا أنابني اسرائيل مبوا صدق) أي أسكنهم بعدما أنجيناهم وأهلكنا أعداءهم
 منزلا صالحا مريضيا وهو الشام ومصر فالشام بلاد البركة والحصب وأورثهم الله جميع ما كان تحت أيدي
 فرعون وقومه (ورزقناهم من الطيبات) أي اللذائذ (فما اختلفوا) في أمر دينهم (حتى جاءهم
 العلم) أي حتى قرؤوا التوراة فهينئذ تنبها للسائل والمطالب ووقع الاختلاف بينهم (ان ربك يقضي
 بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فميز الحق من المبطل والصديق من الزنديق (فان كنت في
 شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق) أي القرآن (من ربك)
 فيه خبر الاولين (فلا تكون من المهترئين) أي الشاكين (ولا تكون من الذين كذبوا بآيات الله
 فتكون من الخاسرين) أنفسهم وأعمالهم وهذا كله خطاب للنبي طاهرا والمراد به غيره ممن عنده شك ومثل
 هذا معتاد فان السلطان الكبير اذا كان له أمر وكان تحت راية ذلك الامر جمع فاذا أراد أن يأمر الرعية
 بأمر مخصوص فانه يوجه الخطاب على ذلك الامر ليكون ذلك أقوى تأثيرا في قلوبهم وقيل هذا الخطاب
 ليس مع الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك أن الناس في زمانه كانوا افرقا ثلاثة المصدقون به والمكذبون
 له والمتوقفون في أمره الشاكون فيه فخطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال ان كنت أيها الانسان في شك
 مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وهم عبد الله بن
 سلام وعبد الله بن صور يا وليم الداري وكعب الاحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم (ان الذين حققت
 عليهم كلمة ربك) أي ثبت عليهم حكمه بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار (لا يؤمنون) أبدا
 اذ لا كذب في كلامه (ولو جاءهم كل آية) أي ولو جاءتهم الدلائل الذي لا حصر لها لان الدليل لا يهدى
 الا باعانة الله تعالى (حتى يروا العذاب الاليم) كدأب آل فرعون واشباهمهم (فلولا كانت قرية آمنت
 فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) قال أبو مالك صاحب
 ابن عباس كل ما في كتاب الله تعالى من ذكر لولا ففنعها هلا الا حرفين فلولا كانت قرية آمنت ففنعها

لما كانت قرية آمنت فلولا كان من القرون من قبلكم فغناه لما كان من القرون وتقدير الآية لما
 كان أهل قرية آمنوا فغفهم أيمانهم الا قوم وذس لما آمنوا أول مارأوا أمارة العذاب صرفنا عنهم
 العذاب في الحياة الدنيا (ومتغنهم) بمتاع الدنيا بعد صرف العذاب عنهم (الى حين) أى الى وقت انقضاء
 آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا
 فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وكان يونس قال لهم ان أجلكم
 أربعون ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة ظهر في السماء غيم
 اسود هائل فظهر منه دخان شديد وهبط ذلك الدخان حتى وقع في المدينة وسود سطوحهم فخرجوا
 الى الصحراء وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها نحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات
 وكثرت التضمرات وأظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك
 اليوم يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن الفضل بن عباس انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت
 أعظم وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله وخرج يونس ينتظر العذاب فلم ير شيئا
 فقيل له ارجع الى قومك قال وكيف أرجع اليهم فيجدوني كذابا وكان كل من كذب ولا يذنبه قتل
 فاذصرف عنهم مغاضبا فالتهمه الحوت (ولو شاء ربك لأمن من في الارض كلهم جميعا) أى مجتمعين على
 الايمان لا يختفون فيه لكنه لا يشاؤه (أفانت تكره الناس) على ما لم يشاء الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين)
 أى لا قدرة لك على التصرف في أحد (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) أى وما يتأتى لنفس واحدة
 أن يقع فيها ايمان في وقت ما الا بإرادة الله وبأقداره عليه (ويجعل الرجس) أى الكفر (على الذين
 لا يعقلون) أى الذين لا يستعملون عقولهم بالنظر في الدلائل والمضارع بمعنى الماضي وهو معطوف على
 مقدر والتقدير فاذن الله لبعضهم في الايمان وجعل الكفر لبعض آخر (قل انظر واماذا في السموات
 والارض) أى قل يا أشرف الخلق محاطا بالاهل مكة تفكروا أى شئ بديع في السموات والارض من
 عجائب صنع الله الدالة على وحدته وكمال قدرته (وما تنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وما تنفع الدلائل
 السماوية والارضية والرسل المنذرون عن قوم لا يؤمنون في علم الله تعالى وحكمه (فهل ينتظرون الا مثل
 أيام الذين خلوا من قبلهم) أى فما ينتظر المشركون الا عذابا مثل عذاب الأمم الماضية من الكفار (قل
 فانتظروا) نزول العذاب (انى معكم من المنتظرين) لذلك (ثم ننجي رسلنا) أى أهلكتنا الامم ثم نجي رسلنا
 المرسله اليهم (والذين آمنوا) لان العذاب لا ينزل الا على الكفار (كذلك) أى مثل ذلك الانجاء الذين
 نجيهم (الذين آمنوا) (حقا علينا نجي المؤمنين) بك يا أشرف الخلق من كل شدة وعذاب وجب
 ذلك علينا وجوب بحسب الوعد والحكم لا بحسب الاستحقاق لان العبد لا يستحق على خالقه شيئا (قل)
 لجمهور المشركين (يا أيها الناس) أى أهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) الذى أدعوك اليه أى
 ان كنتم لاتعرفون ديني فانا أبينه لكم على سبيل التفصيل (فلا تعبدوا الذين تعبدون من دون الله) فى
 وقت من الاوقات (ولكن أعبدوا الله الذى يتوفاكم) بقبض أرواحكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون
 العذاب (وأمرت أن أكون من المؤمنين) بمادل عليه العقل ونطق به الوحي (وأن أقم وجهك
 للدين) أى وأمرت بتوجيه العقل بالكلية الى طلب الدين وبالاستقامة فى الدين بآداء الفرائض والانتها
 عن القبائح وباستقبال القبلة فى الصلاة (خفيها) أى ما لا الى الدين ميلا كليا معرضا عما سواه اهراضا
 كليا فقوله وأمرت ان أكون من المؤمنين اشارة الى تحصيل أصل الايمان وقوله وأن أقم وجهك للدين

حينما اشارة الى الاستغراق في نور الايمان (ولا تكونن من المشركين) أى وأمرت بأن لا ألتفت الى غير ذلك الدين فمن عرف مولاه والتفت بعد ذلك الى غيره كان ذلك الالتفات شركا وهو ذا هو الذى تسميه أصحاب القلوب بالشرك الخفى (ولا تدع من دون الله) أى لا تعبد من غير الله (مالا ينفعك ولا يضرك) فلانافع الا الله ولا ضار الا الله ولا حكم الا الله ولا رجوع فى الدارين الا الى الله وهذه الجملة عطف على جملة الامر وهى أقم فتكون داخله فى صلة أن المسدريه (فان فعلت فانك اذا من الظالمين) أى لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الواضعين للشيء فى غير موضعه وطلب الشيع من الاكل والرى من الشرب لا يقدح فى الاخلاص لان وجود الخير وصفاته كلها بايجاد الله وطلب الانتفاع بشئ خلقه الله لذلك لا يكون منافيا للرجوع بالكلية الى الله الا أن شرط هذا الاخلاص أن لا يقع بصر عقله على شئ من هذه الموجودات الا ويشاهد بعين عقله أنها معدومة بذواتها وموجودة بايجاد الله حينئذ يرى ما سوى الله عدما محضا بحسب أنفسها ويرى نور وجوده تعالى وفيض احسانه عاليا على الكل (وان عيسى الله بضر) أى ان يصيبك بضر كرض ونقر (فلا كاشف له) أى فلا رافع لذلك الضر (الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) أى وان يرد أن يصيبك بخير فلا دافع لعطيته الذى أرادك به ولم يستثن الله تعالى مع الارادة لان ارادة الله تعالى قديمة لا تتغير بخلاف مس الضر فانه صفة فعل قال الرازى وتقدم الانسان فى اللفظ وهو المشار اليه بالخطاب دليل على أن المقصود هو الانسان اما سائر الخيرات فهى مخلوقة لاجله (يصيب به) أى يخص بالفضل الواسع المنتظم لما أرادك به من الخير (من يشاء من عباده) ممن كان أهلا لذلك (وهو الغفور) أى البالغ الستر للذنوب (الرحيم) أى البالغ فى الاكرام (قل) مخاطبا لا وليك الكفرة لاجل أن تنقطع معذرتهم (يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام (فمن اهتدى) بالايمان به (فأغنيته لى نفسه) أى فنفعة اهتدائه لها خاصة (ومن ضل) بالاعراض عنه (فأغنايضل عليها) أى فوبال الضلال مقصور على نفسه (وما أنا عليكم بوكيل) أى بغير مؤ كول الى أمركم وأغنا أنا بشير ونذير فلا يجب على السعى فى ايصالكم الى الثواب وفى تخليصكم من العذاب (واتبع ما يوحى اليك) أى يؤمر لك فى القرآن من تبليغ الرسالة (واصبر) على ما يطرأ عليكم من مشاق التبليغ (حتى يحكم الله) بالامر بالفتال (وهو خير الحاكمين) لحكمكم بالجهاد وبالجزية على أهل الكتاب وأنشد بعضهم فى الصبر شعر اقال

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى * وأصبر حتى يحكم الله فى أمرى
سأصبر حتى يعلم الصبر اننى * صبرت على شئ أمر من الصبر

(سورة هود مكية مائة وثلاث وعشرون آية وألف وسبع مائة وخمسة
وعشرون كلمة وستة آلاف وست مائة وخمسة أحرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب أحكم آياته) أى نظمت نظما رصيفا متقنا (ثم فصلت) أى جعلت فصولا من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام والمواعظ والقصص (من لدن حكيم خبير) صفة ثانية لكتاب أو صلة للفقطن كأنه تعالى يقول أحكم آياته من عند حكيم أى واضع الشئ بالحكمة وفصلت آياته من عند خبير أى عالم بكيفيات الامور (أن لا تعبدوا الا الله) فان تفسيرة لفصلت فانها فى معنى القول (اننى لكم منه) أى من جهة الحكيم الخبير (نذير) بعذابه ان عبدتم غير الله تعالى (وبشير)

بنوايه ان تعصم في عبادته (وان استغفروا ربكم) معطوف على أن لا تعبدوا (ثم توبوا اليه) أي
اطلبوا من ربكم ستر ما سلف منكم من الشرك ثم اقبلوا اليه بالطاعة والاخلاص (يعتصمكم متاعا حسنا
الى أجل مسمى) أي يعصمكم عيشا مرضيا الى وقت مقدر عند الله تعالى وهو آخر أعماركم فمن أخلص
الله في القول والعمل عاش في أمن من العذاب وراحة عما يخشاه ومن اشتغل بحببة الله كان انقطاعه عن
الخلق أكمل وسروره أتم لانه آمن من زوال محبوبه ومن كان مشتغلا بحب غير الله كالأبد في ألم الخوف
من فوات المحبوب (ويؤت) أي يعطى في الدنيا وفي الآخرة (كل ذي فضل) في الاسلام والطاعة
(فضله) أي ثوابه (وان تولوا) أي تعرضوا عما ألقى اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة (فاني
أخاف عليكم) بموجب الشفقة (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم) بالموت ثم البعث
للجزاء (وهو على كل شيء قدير) فيقدر على تعذيبكم بأفانين العذاب (ألا انهم يفتنون صدورهم
ليستخفوا منه إلا حين يستغشون ثيابهم) أي تنبه ان الكفار يضررون خلاف ما يظهرون ليستخفوا
من الله تعالى حين يغطون رؤوسهم بثيابهم للاستخفاء روى عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في
الاخنس بن شريق وأصحابه من منافق مكة وكان رجلا حلو المنطق حسن المنظر يظهر لرسول الله صلى
الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه العداوة (يعلم ما يسرون) في قلوبهم (وما يعلنون) بأفواههم
(انه علم بذات الصدور) أي انه تعالى مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية
المستكنة في صدورهم فلا فائدة لهم في استخفائهم (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) أي
غذاؤها اللاتق بها روى أن موسى عليه السلام تعلق قلبه بأحوال أهله فأمره الله تعالى ان يضرب
بعضاه على صخرة فانشقت وخرجت صخرة ثم ضرب بعضاه عليها فانشقت وخرجت صخرة ثالثة
ثم ضرب بعضاه عليها فانشقت وخرجت صخرة ثالثة ثم ضرب بعضاه فانشقت وخرجت صخرة كالذرة
وفي فيها شيء يجري مجرى الغذاء لها ورفع الله الحجاب عن سمع موسى عليه السلام فسمع الدودة تقول
سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني (ويعلم مستقرها) أي مكانها في
لارض قبل الموت وبعده (ومستودعها) أي موضعها قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة (كل
من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها وأحوالها) (في كتاب مبين) أي ثابت في علم الله ومذكور في
اللوح المحفوظ (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) أي خلق السموات في يومين والارض
في يومين وما عليها من أنواع الحيوانات والنبات وغير ذلك في يومين (وكان عرشه) قبل خلقهما
(على الماء) قال صلى الله عليه وسلم كان الله وما كان معه شيء ثم كان عرشه على الماء أي
والعرش الذي هو أعظم المخلوقات قدأمره الله تعالى فوق سبع سموات من غير دعامته ولا علاقة
فوقه ذلك يدل على كمال قدرته تعالى (إيياوكم) أي خلق السموات والارض وما فيها ورتب فيهما
جميع ما يحتاجون اليه من مبادئ وجودكم وأسباب معاشكم وأودع فيهما ما تستدلون به على
مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يختبركم (أيكم أحسن هملا) أي أحسن عقلا وأورع عن
محارم الله وأسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به (ولئن قلت) يا أشرف
الخلق لاهل مكة (انكم مبغوثون) أي محييون (من بعد الموت ليقولن الذين كفروا) منهم (ان هذا
الأمهرمين) أي ما هذا القول الا خديعة منكم وضعتوها لمنع الناس عن لذات الدنيا وحرارها ثم الى
الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم وقرأ حمزة والكسائي الاسحرا أي كاذب وحينئذ فاسم الإشارة

حاد على النبي أو القرآن (ولئن أخرنا عنهم العذاب) الذي هددهم الرسول صلى الله عليه وسلم به (إلى
 أمة معدودة) أي إلى انقراض جماعة من الناس بعد هذا التهديد بالقول (ليقولن) بطريق الاستجبال
 استهزاء (ما يحبس) أي أي شيء يمنع العذاب من المجيء إلينا (ألا) أي تنبهوا (يوم يأتيهم) أي
 العذاب (ليس مصروفا عنهم) أي فلا يرفع رافع أبدا عذاب الآخرة ولا يدفع عنهم دافع عذاب الدنيا
 (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون) أي أحاط بهم ذلك العذاب (ولئن أذقنا الإنسان منارحة) أي
 أعطيناه نعمة كغنى وحمى (ثم نزعناها منه أنه ليؤس) أي قاطع رجاءه من عود أمثاله العلة صبره
 وعدم ثقته بالله (كفور) أي عظيم الكفران لما سلف من النعم (ولئن أذقناه نعمة بعد ضراء
 مسته) كحمى بعد سقم وفرج بعد شدة (ليقولن ذهب السيئات عني) أي المصائب التي تحزنني (أنه
 لفرح) أي بطر بالنعم مغتر بها (لخور) على الناس بما أوتي من النعم مشغول بذلك عن الشكر (إلا
 الذين صبروا) عند البلاء استسلا ما لقضاه الله (وعملوا الصالحات) عند الراحة والخير شكر على ذلك
 (أولئك لهم مغفرة) عظيمة لنؤيهم وان جئت (وأجر) أي ثواب (كبير) لأعمالهم الحسنة
 (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك) فلعل للزجر وللتباعد أي لا تترك تبليغ بعض
 ما يوحى إليك من المينات الدالة على حقيقة نبوتك ولا يضيق صدرك بتلاوته عليهم في أثناء الدعوة والحاجة
 كراهة (أن يقولوا ولا أنزل عليه) أي على محمد (كنز) أي مال كثير مخزون يدل على صدقه
 (أو جاء معه ملك) يصدقه والمعنى لا تترك التبليغ ولا يضيق صدرك به بسبب قول القوم لك ان كنت
 صادقاً فإنك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شيء وبأنك عزيز عنده مع أنك فقير فها أنزل عليك
 ما تستغني به وتغني أحبابك من الكد والعناء وان كنت صادقاً فها أنزل عليك ما يكاثرك بالرسالة
 فتزول الشبهة في أمرك فلما لم يفعل الهك ذلك فأنت غير صادق فنزل قوله تعالى (أغيا أنت نذير) فلا
 تبال بما صدر عنهم من الرد والقبول (والله على كل شيء وكيل) أي حفيظ فتوكل عليه في جميع
 أمورك فإنه فاعل بهم ما يليق بحالهم (أم يقولون افتراء) أي بل يقولون افتري محمد القرآن من تلقاء
 نفسه وليس من عند الله (قل) لهم أرخاء للعنان ان كان الامر كما تقولون (فأتوا بعشر سور مثله) أي
 القرآن في البلاغة وحسن النظم (مفتريات) من عند أنفسكم فأنكم أقدر ذلك مني لأنكم عرب
 فصحاء عمارسون للشعر ومن أولون أنواع النظم والنثر (وادعوا) للمعاونة في المعارضة (من
 استطعتم من دون الله) أي من الأصنام والكهنة (ان كنتم صادقين) في ادعاء كون القرآن مفترى
 على الله (فان لم يستجيبوا) أي من تدعونهم من دون الله (لكم) أيها الكفار في الاعانة على المعارضة
 (فاعلموا) يا معشر الكفار (أنما نزل بعلم الله) أي ان الذي أنزل ملتبس بعلم الله أي هو من عند الله
 اذ لو كان مفترى على الله لوجب ان يقدر الخلق على مثله ولما لم يقدر واعليه ثبت انه من عند الله (وأن
 لا اله الا هو) أي واعلموا انه لا شريك له في الألوهية ولا يقدر على ما يقدر هو عليه أحد أي لما ثبت عجز
 الخصوم عن المعارضة ثبت كون القرآن حقاً وثبت كون محمد صلى الله عليه وسلم صادقاً في دعوى الرسالة
 وفي خبره انه لا اله الا الله (فهل أنتم مسلمون) أي فهل أنتم داخلون في الاسلام والمعنى فان لم يستجب
 لكم آلهتكم وسائر من اليهم تجارون في لما تكلموا في المعارضة فاعلموا ان القرآن خارج عن دائرة قدرة
 البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر واعلموا أيضاً ان آلهتكم بعزل عن رتبة الشريعة في الألوهية فهل
 أنتم داخلون في الاسلام بعد قيام هذه الحجة القاطعة (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) بعمل الخير

من العبادات وایصال المنفعة الى الحيوانات (نوف اليهم أعمالهم فيها) أى نوصل اليهم ثمرات أعمالهم في الحياة الدنيا كاملة (وهـم فيها) أى في الحياة الدنيا (لا ينجسون) أى لا ينقصون نقصا كلياً ولا يحرمون من ذلك حرماناً كلياً هو ما يرزقون فيها من الصحة والرأسية وسعة الرزق وكثرة الاولاد ونحو ذلك (أولئك) أى المریدون لزينة الدنيا الموفون فيها ثمرات أعمالهم (الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار) بسبب هذه الاعمال الفاسدة المقرونة بالارياح والارواح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعودوا بالله من جب الحزن قیل وما جب الحزن قال واد في جهنم يلقي فيه القراء المراءون وقال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذاباً يوم القيامة من يرى الناس ان فيه خيراً ولا خير فيه (وحبط ما صنعوا فيها) وهـذا ان تعلق بحبط فالضمير عائداً على الآخرة أى وظهر في الآخرة حبط ما صنعوه من الاعمال وان تعلق بصنعوا فالضمير يعود على الحياة الدنيا أى وحبط ما صنعوه في الدنيا من أعمال البر (وباطل ما كانوا يعملون) فباطل إما خبر مقدم وما بعده مبتدأ مؤخر أعطف على الخبر وما بعده فاعل له ويرجع هـذا قراءة زيد بن علي وبطل ما كانوا يعملون على صيغة الماضي معطوف على حبط أى ظهر بطلان عملهم في نفسه في أثناء تحصيل المطالب الديني وقرئ وباطل إما كانوا يعملون على ان ما ابهامية أو في معنى المصدر (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة) أى أفمن كان على برهان من ربه عرف به صحة الدين الحق ويتبع ذلك البرهان شاهد من ربه وهو القرآن ويتبع ذلك البرهان من قبل مجي الشاهد الذى هو القرآن شاهد آخر وهو كتاب موسى حال كونه مقتدى به في الدين وسبب الحصول الرحمة لانه يهدى الى الحق في الدنيا والدين كمن يري الحياة الدنيا وزيته في انهم ليس لهم في الآخرة إلا النار لا بل بين الفريقين تباین بين فالخاص لانه اجتمع في تثبيت صحة هـذا الدين أمور ثلاثة أولها دلالة الدلائل العقلية اليقينية على صحته وثانيها شهادة القرآن بصحته وثالثها شهادة التوراة بصحته فعند اجتماع هذه الثلاثة قد بلغ هذا اليقين في القوة والجلاء الى حيث لا يمكن الزيادة عليه فلا يبقى في صحته شك (أولئك) أى الموصوفون بالصفات الحميدة (يؤمنون به) أى بالقرآن كعبد الله بن سلام وغيره ممن اتصف بتلك الصفات وهذا الفريق ليس له في الآخرة إلا الجنة (ومن يكفر به) أى بالقرآن (من الأحزاب) أى أسناف الكفار (فالنار موعده) أى مكان وعده وهو الذى فيها ما لا يوصف من أفانين العذاب روى سعيد ابن جبیر عن أبي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع ابن يهودى ولا نصرانى فلا يؤمن بي إلا كان من أهل النار قال أبو موسى فقلت في نفسى ان النبى صلى الله عليه وسلم يقول مثل هذا الا عن القرآن فوجدت الله تعالى يقول ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده (فلا تترك في مريضة منه انه الحق من ربك) أى فلا تترك في شك من القرآن أنه الحق من ربك نزل به جبريل أو المعنى فلا تترك في شك من أن مصير من كفر بالقرآن النار أن هذا الوعد هو الثابت بمن يترك في دينك ودينك والخطاب للنبي والمراد غيره (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك إما الاختلال أفكارهم وإما العنادهم (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) بأن نسب اليه ما لا يليق به كقولهم في الاصنام أنهم أشفعاء وهـم عند الله (أولئك) الموصوفون بالافتراء على الله تعالى (يعرضون على ربهم) عرضاً تظهر به فضيحتهم أى يساقون الى الاماكن المعدة للحساب والسؤال (ويقول الا شهاده) من الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم في الدنيا والانبيا عند العرض (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) بالاقتراء عليه ثم لما أخبر الله تعالى عن حالهم في القيامة أخبر عن حالهم في الحال بقوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) بالترام

الكفر والضلال أى انهم فى الحال للمعونون من عند الله (الذين يصدون عن سبيل الله) أى الذين
يتمنعون من الدين الحق كل من يقدر على منعه بالقاه الشبهات (ويبغونها عوجا) أى يطلبون
سبيل الله زىغابتعويج الدلائل المستقيمة (وهم) أى والحال أنهم (بالآخرة هم كافرون) أى بالبعث
بعد الموت جاحدون (أولئك لم يكونوا همجزين فى الارض) أى لا يمكنهم أن يفلتوا بأنفسهم من عذاب
الله بالهرب من الارض مع سعتها ان أراد الله تعذيبهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) أى
أنصار يدفعون عذاب الله عنهم أى ان عدم زول العذاب ليس لاجل أنهم قدروا على منع الله من ازال
العذاب بالفرار ونحوه ولا لاجل أن لهم ناصر يمنع العذاب عنهم كما زعموا أن الاصنام شفعاؤهم عند الله بل
لانه تعالى أمهلهم كي يتوبوا عن كفرهم فاذا أبوا الا الثبات عليه فلا بد من مضاعفة العذاب فى الآخرة كما
قال تعالى (يضاعف لهم العذاب) أى فيعذبون فى الآخرة على ضلالهم فى أنفسهم وعلى اضلالهم
غيرهم وهذا غير خارج عن قوله تعالى ومن جاء بالسبيته فلا يجزى الا مثلها وقرأ ابن كثير وابن عامر
ويتعقوب بالتشديد (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) وهذا تعليل لمضاعفة العذاب
أى لانهم كانوا عاجزين عن الوقوف على دلائل الله تعالى (أولئك الذين خسروا أنفسهم) أى فانهم
اشترى وعبادة الاصنام بعبادة الله تعالى وهذا أعظم وجوه الخسران (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من
شفاعة الاصنام لهم فلم يبق معهم غير الندامة (الاجرم) أى لا بد (أنهم فى الآخرة هم الخسرون)
بذهاب الجنة وما فيها أى أنهم أخسر من كل خاسر لانهم أظلم من كل ظالم (ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وأخبتوا الى ربهم) أى ان الذين آمنوا بكل ما يجب الايمان به وآتوا بالاعمال الصالحات
واطمأنت قلوبهم عند أداء الاعمال الى ذكر الله فارغة عن الالتفات الى ما سوى الله تعالى واطمأنت
الى صدق وعد الله بالثواب على تلك الاعمال وخافت قلوبهم من أن يكونوا أتوا بتلك الاعمال مع وجود
الاخلاق ومن أن لا تكون مقبولة (أولئك) المنعوتون بتلك النعوت الجميلة (أصحاب الجنة هم فيها
خالدون) أى دائمون (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) أى صفة الكافر كصفة
شخص متصف بالعمى والصمم فلا يهتدى لمقصوده وصفة المؤمن كصفة شخص متصف بالبصر والسمع
فاهتدى لمطلوبه (هل يستويان مثلا) أى صفة وجالا (أفلاتنكرون) أى أن تكون فى عدم
الاستواء ولا تتعظون بأمثال القرآن فتؤمنوا (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير) للعصاة من
العقاب (مبين) أى بين النذارة فأبين لكم طريق الخلاص من العذاب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
والكسائي أنى بفتح الهمزة أى متلبسا بالانذار والباقون بالكسر على معنى فقال انى لكم (أن
لا تعبدوا الا الله) بدل من انى لكم الخ على قراءة الفتح ويجرور بالباء المقدرة التى للتعبدية
المتعلقة بأرسلنا (انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) فى الدنيا أو فى الآخرة (فقال الملأ الذين
كفروا من قومه) أى الاشراف منهم (ما تراءى الا بشر أمثلنا) أى ما تعلمك الا آدميا مثلنا ليس فيك
مزية تفصلك بوجوب الطاعة علينا (وما تراءى الا الذين هم أراذلنا) أى أخسائنا كالحجابين
والنساجين والأساكفة (بأدى الراى) قرأ أبو عمرو ونصر عن الكسائي بأدى بالهمزة والباقون بالياء
ونصبه على الظرفية أى فى ابتداء حدوث الراى ولو احتاطوا فى الكفر ما تبعوك أو فى ظاهر راى العين
(وما ترى لكم علينا من فضل) أى لا ترى لك ولن تبعوك بعد الاتباع فضلا علينا فى العقل ولا فى
رعاية المصالح العاجلة ولا فى قوة الجدل (بل نظنكم كاذبين) أى بل نظنك يا نوح فى دعوى النبوة

ونظن أصحابك كاذبين في تصديق نبوتك (قال) أي نوح (يا قوم أرايتم) أي اخبرون (ان كنت على بينة من ربي) أي على برهان عقلي في معرفة ذات الله وصفاته وما يجب وما يمتنع وما يجوز عليه (وأتاني رحمة من عنده) أي نبوة ومحنة دالة على النبوة (فعميت عليكم) أي وصار ذلك البرهان مشكوكا في عقولكم وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم فعميت بضم العين وتشديد الميم والباقون بفتح العين وتخفيف الميم (أنزلنكموها وأنتم لها كارهون) أي فهل أقدر على أن أجعلكم بحيث تصلون إلى معرفة ذلك البرهان وأنتم منكرون وله المعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا يناله الا من له فضيلة على سائر الناس اخبروني ان امتزت عنكم بختيار فضيلة من ربي وهي دليل العقل وأتاني بحسبها نبوة من عنده نخفي عليكم دليل العقل ولم تنالوه ولم تعلموا حيازتي لها الى الآن حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها أنزلنكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام لطلب الاقرار وحاصل الكلام انهم لما قالوا وما ترى لكم علينا من فضل ذكر نوح عليه السلام ان ذلك بسبب ان الحجة هيبت عليكم واشتبهت فأما لو تركتم العناد واللجاج ونظرتهم في الدليل لظهر المقصود وتبين ان الله تعالى آتانا عليكم فضلا عظيما وأنا لا أقدر على اعطائكم الا لهام والمعرفة في تلك الحجة وانما أقدر على ان أدعوكم الى الله (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله) أي قال نوح عليه السلام أنا لا أطلب منكم على تبليغي دعوة الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المستجيب فقيرا أو غنيا وما أجرى على هذه الطاعة الا على رب العالمين وان ظننتم اني انما اشتغلت بهذا التبليغ لاجل أخذ أموالكم فهذا الظن منكم خطأ وانما أسعى في طلب الدين لاني في طلب الدنيا وهذا يوجب فضلي عليكم فلا تحرموا أنفسكم من سعادة الدين بسبب هذا الظن الفاسد (وما أنا بطارد الذين آمنوا) بقولكم لي امنع واطرد هؤلاء الاساقلة عنك ونحن نتبعك فاننا نستحي ان نجلس معهم في مجلسك (انهم ملاقوا ربهم) أي انهم فائزون في الآخرة ببقاء الله تعالى فان طردتهم استخصموني في الآخرة عنده فأعاقب على طردهم (ولكني أراكم قوما تتجملون) ان منزلة المؤمنين عند الله تعالى أعلى وان طردهم يوجب غضب الله تعالى (ويا قوم من ينصرني من الله) أي يدفع نزول سخطه عني (ان طردتهم) فان الطرد ظلم موجب للسخط قطعا (أفلا تدكرون) أي أتأمر ونبي بطردهم فلا تتعظون بما أقول لكم (ولا أقول لكم) حين أدعي النبوة (عندي خزائن الله) أي رزقهم أمواله وهذا رد لقولهم وما ترى لكم علينا من فضل كالمال (ولا أعلم الغيب) أي ولا أقول اني أعلم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد وهذا رد لقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذل لنا بادي الرأي أي في ظاهر حالهم وأول فكرهم وفي الباطن لم يتبعوك فقال نوح لهم اني انما أعول على الظاهر لاني لا أعلم الغيب فاحكم به (ولا أقول اني ملك) رد لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا فكأن نوحا قال أنا لم أدع الملكية حتى تقولوا ذلك أي انكم اتخذتم فقد ان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذبي والحال اني لا أدعي شيئا من ذلك ولا الذي أدعيه يتعلق بشئ منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر (ولا أقول للذين تزدري أعينكم) أي ولا أقول كما تقولون في حق الذين تحتقرهم أعينكم (لن يؤتيهم الله خيرا) أي هداية وأجرا (الله أعلم بما في أنفسهم) أي بما في قلوبهم من الايمان (ان اذا) أي اذا قلت ذلك (لن الظالمين) لنفسي ولهم في وصفهم بأنهم لا خير لهم مع الله أعطاهم خبري الدارين (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) أي فأثبت بأنواع الجدال (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) فيما تقول (قال)

أى نوح (انما ياتيكم به الله) أى ان الاتيان بالعذاب الذى تستجهلون به أمر خارج عن دائرة القوى
 البشرية وانما يفعله الله تعالى (ان شاء وما أنتم بمعجزين) أى بمانعين من العذاب بالهرب أو بالمدافة
 كما تدفعوننى فى الكلام (ولا ينفعكم نصيحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أى
 ان كان الله يريد ان يصلحكم عن الهدى فان أردت ان أحذركم من عذاب الله وأدعوكم الى التوحيد
 لا ينفعكم دعائى الى التوحيد وتحذيرى اياكم من عذاب الله (هوزيكم) أى مالك التصرف فى ذواتكم
 وفى صفاتكم قبل الموت وعند الموت (واليه) تعالى (ترجعون) بعد الموت فيجازيكم على أعمالكم
 (أم يقولون اقترأه) أى بل أقول قوم نوح ان نوحا اقترى بما أناب به من عند نفسه مسندا الى الله تعالى
 (قل) يا نوح (ان اقتريته) أى ان اختلقت الوحى الذى بلغته اليكم من تلقاء نفسى (فعلى اجماعى)
 أى فعلى عقاب اكتسابى للذنب وان كنت صادقا وكذبوني فعليكم عقاب ذلك التكذيب (وأنا برئ مما
 تجرمون) أى من عقاب كسبكم الذنب باسناد الاقترأه الى (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من
 آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) أى فلا تحزن بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والايذاء فى هذه المدة
 الطويلة فقد انتهى أفعالهم وحين وقت الانتقام منهم (واصنع الفلك بأعيننا) أى اصنع السفينة ملتبسا
 بابصارنا لك وتعهذنا بتعليمك كيفية صنعها (ووحينا) أى وبأمرنا لك (ولا تخاطبني فى الذين ظلموا) أى
 لا تدعنى باستدفاع العذاب عنهم أو المعنى لا تراجعنى فى نجات الذين كفروا ابنيك كنعان وامرأتك راعلة
 (انهم مفرقون) أى محكوم عليهم بالاغراق بالطوفان (ويصنع الفلك) أى أقبل نوح يصنعها وجعل
 يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ القار وكل ما يحتاج اليه فى عملها وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة فى
 سنتين فكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها فى السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب
 الساج وجعل لها ثلاث بطون لجعل فى البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الاوسط
 الدواب والانعام وركب هو ومن معه البطن الاعلى وحمل ما يحتاج اليه من الزاد وغيره (وكلم امر عليه ملا
 من قومه) أى طبقة من كبرائهم (منخروا منه) أى كانوا يتصاحكون لعمله السفينة ويقولون يا نوح كنت
 ندعى رسالة الله تعالى فصرت بعد ذلك نجارا وكان يصنعها فى موضع بعيد عن الماء جدا وكانوا يقولون ليس
 ههنا ماء ولا يمكنك نقلها الى الانهار العظيمة والى البحار فكانوا يعدون ذلك من باب السفه والجنون (قال
 ان تسخر وامنانا فنسخ منكم كما تسخرون) اليوم منا أى ان حكمتم علينا بالجهل فيما نصنع فاننا نحكم
 عليكم بالجهل فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لخط الله وعذابه (فسوف تعلمون من ياتيه عذاب
 يخزيه) أى فسوف تعلمون أين ياتيه عذاب فى الدنيا يهينه وهو عذاب الغرق من هو أحق بالسخرية ومن هو
 أحمد عاقبة (ويحل عليه عذاب مقيم) أى وأيضا ينزل عليه عذاب النار الدائم فى الآخرة (حتى اذا جاء أمرنا)
 أى عذابنا الموعود به (وفار التنور) أى تبسع الماء من تنور الخبز وارفع بشدة كما تفور القدر بغليانها
 روى انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يغور من التنور فاركب ومن معك فى السفينة فلما تبسع
 الماء أخبرته امرأته فركب وقيل كان التنور لآدم وكانت حواء تقمر فيه الخبز فصارت الى نوح وكان من
 حجارة وهو فى السكوة على عين الداخل مما يلي باب كندة فى المسجد (قلنا حمل فيها) أى السفينة (من
 كل زوجين اثنين) وقرأ حفص من كل بالثنوين أى من شئ زوجين اثنين كل منهما زوج للآخر
 والجمهور على الاضافة أى من كل فردين متزاوجين اثنين بان تحمل من الطير ذكرا وانثى ومن الغنم ذكرا
 وانثى وهكذا وترك الباقي والمراد من الحيوانات التى تنفع والتى تلد أو تبيض فيخرج المضرات والى

تنشأ من الغفوة والتراب كاللود والقمل والبق والبعوض (وأهلك) عطف على زوجين على قراءة حفص وعلى اثنين على قراءة غيره (الامن سبق عليه القول) بأنه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وأمه واعلة فانهم كانوا كافرين لحمل نوح في السفينة زوجته المؤمنة وأولاده الثلاثة مع نساءهم سام وحام ويافت قسام أبو العرب وحام أبو السودان ويافت أبو الترك (ومن آمن) عطف على زوجين أو على اثنين أي واحد من آمن من غير أهلك (وما آمن معه الا قليل) وعن ابن عباس قال كان في سفينة نوح ثمانون انسانا نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال مقاتل في ناحية الموصل قرية يقال لها قرية النمانين سميت بذلك لان هؤلاء لما خرجوا من السفينة بنوها فسميت بهذا الاسم (وقال) أي نوح عليه الصلاة والسلام لمن معه من المؤمنين (اركبوا فيها بسم الله) أي اركبوا في السفينة ذاكرين اسم الله (بحريها ومرساها) أي وقت حريها وارسائها قيل كان نوح عليه السلام اذا أراد ان يجريها يقول بسم الله فتجري واذا أراد ان يرسيها يقول بسم الله فترسو (ان ربي لغفور رحيم) أي لولا مغفرته تعالى ورحمته اياكم لما نجاكم لانكم لا تتفكرون عن أنواع الزلات (وهي تجري بهم في موج كالجبال) في عظمه وارتفاعه وذلك يدل على وجود الرياح الشديدة في ذلك الوقت قال علماء السير أرسل الله تعالى المطر أربعين يوما ويسلة وخرج الماء من الارض وارتفع الماء على أعلا جبل وأطوله أربعون ذراعا حتى أغرق كل شيء (ونادى نوح ابنه) كنعان قبل سير السفينة (وكان في معزل) أي في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه واخوته وقومه بحيث لم يتناولوا الخطاب ياركبوا (يا بني اركب معنا) في السفينة (ولا تكن مع الكافرين) أي في المكان وهو وجه الارض خارج السفينة في الدين لان نوحا عليه السلام يحذر ابنه عن الهلكة لا ينهي عن الكفر في ذلك الوقت (قال سآوى) أي التجمي (الى جبل يعصم من الماء) لارتفاعه (قال) أي نوح (لا عامم اليوم من أمر الله) أي عذابه (الامن رحم) أي الا الله الراحم والتقدير لا فرار من الله الا الى الله وهذا تأويل في غاية الحسن وقيل لا مكان يعصم من عذاب الله الا مكان من رحمته الله وهو السفينة وقيل لا ذاعصمة الا من رحمته الله (وحال بينهم الموج) أي حال الموج بين نوح وابنه كنعان (فكان من المغرقين) أي فصار كنعان من المهلكين بالطوفان (وقيل) أي قال الله (يا أرض ابلعي ماءك) أي انشفي ماء على وجهك من ماء الطوفان (ويا ماء اقلعي) أي امسكي عن ارسال المطر (وغيض الماء) أي رقص ما بين السماء والارض من الماء (وقضى الامر) أي أتم الامر من هلاك قوم نوح (واستوت) أي استقرت الفلك (على الجودي) أي على جبل بالجزيرة قريب من الموصل يقال له الجودي وكان ذلك الجبل منخفا ضارواى انه عليه السلام ركب في الفلك في عاشر رجب ومرت بالبيت الحرام فطافت به سبعاء نزل عن الفلك في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وأمر من معه بصيامه شكر الله تعالى وبنو القرية بقرب ذلك الجبل فسموها قرية الثمانين فهي أول قرية عمرت على الارض بعد الطوفان (وقيل بعد القوم الظالمين) أي قال نوح وأصحابه بعدوا بعدا من رحمة الله للقوم المشركين بحيث لا يرجي عودهم وهذا الكلام جار مجرى الدعاء عليهم لان الغالب عن يسلم من الامر الهائل بسبب اجتماع قوم من الظلمة فاذا هلكوا ونجا منهم قال مثل هذا الكلام (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني) كنعان (من أهلي) وقد وعدتني انجاءهم في ضمن قولك واحمل أهلك (ان وعدك الحق) أي ان كل وعد تعده لا يتطرق اليه خاى (وأنت أحكم الحاكمين) أي لانك أعذل الحاكمين وهذا دعاء سيد نوح عليه السلام في غاية التلطف وهي مثل دعاء سيدنا أيوب عليه السلام اني متضي

الفر وأنت أرحم الراحمين (قال) أي الله تعالى (يا نوح انه) أي هذا الابن الذي سألتني نجاته
(ليس من أهلاك) الذي وعدتك أن أنجيهم معك (انه عمل غير صالح) أي لان هذا الابن ذو عمل غير
مرضي وقرأ الكسائي ويعقوب عمل على صيغة الفعل وغير بالنصب أي لانه عمل عملا غير مرضي وهو
الشرك (فلا تسألن ما ليس لك به علم) أي اذا وقعت على جلية الحال فلا تطلب مني مطلبالا تعلم يقينا
أن حصوله صواب وموافق للحكمة (اني أعظك أن تكون من الجاهلين) أي اني أنهارك عن أن تكون
من الجاهلين بالسؤال هي سؤاله عليه السلام جهلا لان حب الولد شغله عن تذكرة استثناءه من سبق عليه
القول منهم بالاهلاك (قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم) أي أعوذ بك من أن أطلب
منك من بعد هذا مطلقا أعلم أن حصوله مقتضى الحكمة (والا تغفري) جهلي واقدامي على سؤال ما ليس
لي به علم (وترحمي) بقبول توبتي (أكن من الخاسرين) أعمالا وليس في الآيات ما يقتضي صدور
ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى اقدمه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية
وانما الجأ الى الله تعالى وسأله المغفرة والرحمة لان حسنات الابراشيات المقربين (قيل) أي قال الله
(يا نوح اهبط) أي انزل من السفينة (بسلام) أي ملتبسا بأمن من جميع المكروه المتعلقة بالدين (منا
وبركات عليك) أي خيرات نامية عليك وهذا بشارة من الله تعالى بالسلامة من التهديد ونبيل الحاجات
من المأكول والمشروب (وعلى أمم عن معك) أي وعلى أمم مؤمنة ناشئة من الذين معك الى يوم القيامة
(وأمم) كافرة متناصلة عن معك (سنتهم) مدة في الدنيا (ثم) في الآخرة (يعسهم من عذاب أليم)
فقوله وأمم مبتدأ وحمله قوله سنتهم خبر (تلك من أنباء الغيب) أي تلك التفاصيل التي بيناها من
الاخبار التي كانت غائبة عن الخلق (نوحها) أي تلك الاخبار (اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك)
بطريق التفصيل (من قبل هذا) أي من قبل ايحائنا اليك بنزول القرآن (فاصبر) على أذى
هؤلاء الكفار كما صبر نوح على أذى أولئك الكفار (ان العاقبة) أي آخر الامر بالظفر في الدنيا والفوز
في الآخرة (للمتقين) كما عرفته في نوح وقومه ولك فيه أسوة حسنة (والى عاد أباهم) أي ولقد أرسلنا
الى عاد واحدا منهم في النسب نبيا (هو داود) قال يا قوم اعبدوا الله وحده (مالكم من اله غيره) بالرفع
صفة للعمل وبالجر على قراءة الكسائي صفة للفظ (ان أنتم الا مفترون) أي كاذبون في قولكم أن الاصنام
تسبح في العبادة (يا قوم لا أسألكم عليه) أي على ارشادكم الى التوحيد (أجرا ان أجرى الاعلى
الذي فطرني) أي خلقتني (أفلاتعجلون) اني مصيب في المنع من عبادة الاصنام (ويا قوم استغفروا
ربكم) أي سلوه أن يغفر لكم ما تقدم من شرككم (ثم توبوا اليه) من بعد التوحيد بالندم على
ما مضى وبالعزم على أن لا تعودوا والمثله (يرسل السماء) أي المطر (عليكم مدرارا) أي كثير السيلان
(ويرزكم قوة الى قوتكم) بالمال والولد والشدة في الاعضاء قيل حبس الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين
وعقمت نساؤهم ثلاثين سنة لم تلد (ولا تتولوا مجرمين) أي ولا تعرضوا عما أدعوكم اليه مصرين على
آثامكم (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أي بهجرة (وما نحن بتاركى آلهتنا) أي بتاركى عبادتها (هن
قولك) أي لاجل قولك (وما نحن لك بؤمنين) أي بمصدقين بالرسالة (ان نقول الاعتراف بعض
آلهتنا بسوء) أي ما نقول في شأنك الا قولنا أصابك بعض آلهتنا بجنون لانك شتمتها ومنعت عن عبادتها
(قال ان أشهد الله) على (واشهدوا) أنتم على (أنى يرى) مما تشركون من دونه) أي من اشراككم
آلهة من دون الله (فكيدوني جميعا) أي فاعملوا في هلاكى أنتم وآلهتكم جميعا (ثم لا تنظرون) أي

لا تؤجلوني (ان توكلت على الله ربي وربكم) أى انى فوضت أمرى الى الله مالكم ومالككم (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) أى ما من حيوان الا هو تحت قهره وقدرته وهو منقاد لقضائه وقدره (ان ربي على صراط مستقيم) أى انه تعالى وان كان قادرا على عباده لكنه لا يظلمهم ولا يفعل بهم الا ما هو الحق والعدل والصواب (فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) أى فان تعرضوا عن الايمان والتوبة لم أتاب على تقصيرى في الابلاغ لاني قد أبلغتكم وصرتم محجوجين من الله تعالى لانكم أصررتم على التكذيب (ويستخلف ربي قوما غيركم) أى يخلق ربي بعدكم من هو خير منكم وأطوع وهذا اشارة الى نزول عذاب الاستئصال (ولا تضرر منه شيئا) أى لا ينقص هلاككم من ملك الله شيئا (ان ربي على كل شيء حفيظ) فيحفظ لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها (ولما جاء أمرنا) أى عذابنا الذيوى وهو السهم التي تدخل من أنوفهم وتخرج من أدبارهم فترفعهم في الجؤ وتصرعهم على الارض على وجوههم فتقطع أعضاؤهم (نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة) عظيمة كائنة (منا ونجيناهم من عذاب غليظ) وهو العذاب الاخرى (وتلك) القبيلة (عاد) جحدوا بآياتهم) أى دلالة المعجزات على صدق هود (وعصوا رسله) وجمع الرسول مع انه لم يرسل اليهم غير هود لبيان ان عصيانهم له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد (واتبعوا أمر كل جبار) أى مرتفع مقرد (عنيد) أى منازع معارض أى واتبع السفلة أمر رؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل (واتبعوا في هذه الدنيا العنة ويوم القيامة) أى جعل الابعاد من رحمة الله تعالى ومن كل خير مصاحب لهم وملزم في الدنيا والآخرة (ألا ان عادا كفروا ربهم) أى كفروا بربهم (ألا بعد العاد) وهذا دعاء عليهم بالهلاك وتحقيرهم (قوم هود) عطف بيان لعاد وهذه عاد قديمة واحترز به عن عاد ثانية ارم ذات العماد (والى غمود أخاهم صالحا) وغمود اسم أبى القبيلة وبين صالح وبينه خمسة اجداد وبين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائتي سنة وثمانين سنة (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض) فان الانسان مخاوق من المنى وهو متولد من الدم وهو متولد من الاغذية وهى اما حيوانية واما نباتية فانتهاه الحيوانية الى النبات وهو متولد من الارض فثبت أن الله تعالى أنشأ الانسان من الارض واستعمركم فيها) أى جعلكم سكان الارض وصيركم عامرين لها أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة أعماركم ثم تتركونها لغيركم (فاستغفروه) أى آمنوا بالله وحده (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره (ان ربي قريب) بالعلم والسمع والرحمة (محجب) دعاء المحتاجين بفضله ورحمته (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) أى قبل نهيك ايانا عن عبادة الاوثان لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد فانك كنت تعطف على فقرائنا وتعين ضعفاءنا وتعود مرضانا فتقوى رجاءنا فيك أنك من الاحباب ومن أنصار ديننا فكيف أظهرت العداوة ثم قالوا متجهين بهجبا شديدا (تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) أى ما عبدوه من الاوثان (واننا لفي شك مما تدعونا اليه) من التوحيد وترك عبادة الاوثان (مرتب) أى موقع في اضطراب القلوب وانتفاء الطمأنينة (قال يا قوم أرايتم) أى اخبروني (ان كنت) في الحقيقة (على بينة) أى بصيرة وبرهان (من ربي وآتاني منه رحمة) أى نبوة (فمن ينصرني من الله) أى من ينجيني من عذابه (ان عصيته) أى بالمساهلة في تبليغ الرسالة وفي الجحارة معكم (فما ترونني غير تخسير) أى فما ترونني بما تقولون غير بصيرة في خسارتكم أى وما زادني

قولكم الاقول لكم انكم لخامسون (و يا قوم هذه ناقة الله لكم آية) أى معجزة دالة على صدق نبوت
فان الله خلقها من الصخرة في جوف الجبل حاملا من غرذ كرم على تلك الصورة دفعة واحدة وقد حصل
منها لبن كثير يكفي الخلق العظيم (فذروها) أى فاذركوها (تأكل في أرض الله) أى ترع نباتها
وتشرب ماءها فليس عليكم كلفة في مؤنتها وكانت هي تنفعهم ولا تضرهم لانهم كانوا ينتفعون بلبنها
(ولا تسوها بسوء) أى لا تضر بوبها ولا تطردوها ولا تقربوها بشئ من السوء (فياخذكم عذاب قريب)
أى عاجل لا يتراسى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة أيام (فعقروها) أى فقتلها قد اربن
سالف ومصدق بن زهر وقيل زينب عقرها لحم عذرة أم غنم وصدقة بنت المختار فضر بها مقدار بأمرهم في
رجليها فاوقعها فذبحوها وقسموا لحمها على ألف وخمسمائة دار (فقال) لهم صالح بعد قتلهم لها (تمتعوا)
أى عيشوا (في داركم) أى في بلادكم (ثلاثة أيام) من العرة الاربعاء والخميس والجمعة ثم يأتيكم
العذاب في اليوم الرابع يوم السبت وانما أقاموا ثلاثة أيام لان الفصيل راغى ثلاثة وانفجرت الصخرة بعد
رغائه فدخلها ولما عقر والناقة أنذرتهم صالح بنزول العذاب ورغبهم في الايمان فقالوا يا صالح وما علامة
العذاب فقال تصير وجوهكم في اليوم الاول مصفرة وفي الثاني محمرة وفي الثالث مسودة وفي الرابع
يأتيكم العذاب صبيحته (ذلك) أى نزول العذاب عقب ثلاثة أيام (وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا)
أى عذابنا (فنجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ) أى ونجينا صالحا والذين آمنوا
معه من العذاب النازل بقومه الكافرين ومن الخزي الذي لهم وبقي العيب منسوب اليهم لان معنى
الخزي العيب الذي تظهر فضيحته ويستحيان من مثله وقرأ الكسائي ونافع في رواية ورش وقالون هنا
وفي المعارج يومئذ بفتح الميم لاضافة يوم الى آذ وهو مبني فيكون مبنيا والباقون بكسر الميم فيهما لاضافة يوم
الى الجملة من المبتدأ والخبر فلما قطع المضاف اليه عن اذنون ليدل التنوين على ذلك ثم كسرت الذال
لسكونها وسكون التنوين ولم يلزم من اضافة يوم الى المبنى أن يكون مبنيا لان هذه لاضافة غير لازمة (ان
ربك هو القوى العزيز) فانه أوصل ذلك العذاب الى الكافر وصان أهل الايمان عنه وهذا التمييز
لا يصح الا لمن القادر الذي يقدر على قهر طبائع الاشياء فجعل الشئ الواحد بالنسبة الى انسان بلاه وعذابا
وبالنسبة الى انسان آخر راحة وريحانا (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) مع الزلزلة أى صيحة جبريل فقد
صاح عليهم صيحة من السماء فيها صوت كل ساعة وصوت كل شئ في الارض فتقطعت قلوبهم في
صدورهم فماتوا جميعا (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) ميتين لا يتحركون ولا يضطربون عند ابتداء نزول
العذاب ساقطين على وجوههم (كان لم يغنوا فيها) أى كأنهم لم يقيموا في بلادهم فانهم صاروا رمادا
(ألا ان عمود كفروا ربهم الا بعد النور) قوم صالح من رحمة الله (واقذرات رسلنا ابراهيم) من الملائكة
جبريل وميكائيل وإسرافيل (بالبشرى) أى متلبسين بالبشارة له بالولد من سارة (قالا سلاما) أى
سلمنا عليك سلاما (قال سلام) أى قال ابراهيم أمرى سلام أى لست تريد غير السلامة وقرأ حمزة
والكسائي هنا وفي الذاريات بكسر السين وسكون اللام (فالبث) أى ابراهيم (أن جاء بهل) أى في
الحجى بولد بقرة (حنيد) أى مشوى على حجارة محماة في حفرة في الارض فوضعه بين أيديهم (فلما رأى
أيديهم لاتصل اليه) أى العجل (نكرهم) أى أنكرهم (وأوجس) أى أدرك (منهم خيفة)
وظن أنهم لصوص حيث لم يأكلوا من طعامه فلما علموا خوفه (قالوا لا تخف) منا يا ابراهيم (انا أرسلنا)
بالعذاب (الى قوم لوط) وهو ابن هاران أخى ابراهيم (وامرأته قائمة) تخدم الاضياف وتسمع مقالاتهم

وإبراهيم عليه السلام جالس معهم (فضحككت) أي ففرحت سارة بزوال الخوف عنها وعن إبراهيم
 وبحصول البشارة بحصول الولد بهلاك أهل الفساد وقال مجاهد وعكرمة أي حاضت سارة عند فرحتها
 بالسلامة من الخوف فلما ظهر حيضها بابتشرت بحصول الولد (فبشرناها بما يحق) على السنة ترسلنا وانما
 نسبت البشارة لسارة دون سيدنا إبراهيم عليه السلام لأنها كانت أشوق إلى الولد منه لأنها كانت لم يأتها ولد
 قط بخلافه فقد أتاه اسمعيل قبل اسحق بثلاث عشرة سنة (ومن وراء اسحق يعقوب) قرأه ابن عامر
 وحزة وحفص عن عاصم ويعقوب بالنصب أي ووهبنا يعقوب من بعد اسحق والباقون بالرفع على
 الابتداء أي ومن بعد اسحق يعقوب مولود (قالت يا ويلتا) هي كلمة يقال للتعجب عند أمر عظيم أي
 يا ذلي احضر فهذا أو ان حضورك (أألدو أنا عجوز) بنت ثمان وتسعين سنة (وهذا بعل) أي زوجي
 (شيخا) ابن مائة وعشرين سنة (ان هذا) أي حصول الولد من هرمين مثلنا (لشيء عجيب) بالنسبة
 إلى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده ومقصودها الاستعظام نعمة الله تعالى عليها في ضمن الاستعجاب
 العادي لاستبعاد قدرته تعالى على ذلك (قالوا) أي الملائكة لسارة (أتعجبين من أمر الله) أي من
 قدرة الله (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أي يا أهل بيت إبراهيم أي رحمة الله الواسعة لكل شيء
 وخيراته الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة لازمة لكم لا تفارقكم فإذا رأيتم ان الله خرق العادات في
 تخصيصكم بهذه الكرامات العالية فكيف يليق به التعجب (انه حميد) أي فاعل ما يستوجب الحمد
 وموصل العبد المطيع إلى مراده (مجيد) أي كريم لا ينعم الطالب عن مطلوبه (فلما ذهب عن
 إبراهيم الروح وجاءته البشري يجادلن في قوم لوط) أي فلما زال عن إبراهيم الخوف وحصل له
 السرور بسبب محي البشري بحصول الولد جادل رسلنا في شأن قوم لوط حيث قال للملائكة حين
 قالوا ان امهلكوا أهل هذه القرية أرايتم لو كان فيها خسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال
 فأربعون قالوا لا قال فتلاتون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرايتم ان كان فيها رجل مسلم
 أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته
 كانت من الغابرين (ان إبراهيم لحليم) أي غير عجول على كل من أساء إليه فلذلك طلب
 تأخير العذاب عنهم ثم جاء أقدامهم على الأيمان والتوبة عن المعاصي (أواه) أي كثير التضرع إلى
 الله عند وصول الشدائد إلى الغير (منيب) أي رجاع إلى الله في إزالة ذلك العذاب عنهم قالت الملائكة
 لإبراهيم (يا إبراهيم أعرض عن هذا) أي اترك هذا الجدل (انه قد جاء أمر ربك) بإيصال هذا
 العذاب إليهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) أي غير مصروف عنهم ولا مدفوع بجدال ولادعاء
 ولا غيرهما (ولما جاء ترسلنا) أي هؤلاء الملائكة (لوطامي بهم) أي حزن بسببهم (وضاق بهم
 ذرعا) أي صدر الانهم انطلقوا من عند إبراهيم إلى لوط عليهما السلام ودخلا عليه في صور شبان مرد
 حسان الوجوه فخاف ان يقصدهم قومه وان يهجز عن امدافعتهم وبين القريتين أربع فراسخ (وقال هذا
 يوم عصيب) أي شديد على فلما دخلت الملائكة دار لوط عليه السلام ولم يعلم بذلك أحد خرجت امرأته
 الكافرة فأخبرت قومها وقالت دخل دارنا قوم ما رأيت أحسن وجوها ولا أنظف ثيابا ولا أطيب رائحة
 منهم (وجاءه) أي لوطا وهو في بيته مع أضيافه (قومه يهرعون) أي يسوق بعضهم بعضا (إليه)
 لطلب الفاحشة من أضيافه (ومن قبل) أي والحال من قبل محي هؤلاء الملائكة إلى لوط (كانوا
 يعملون السيئات) وهي آتيان الرجال في أدبارهم أي فهم معتادون لذلك فلا حياء عندهم منه (قال) أي لوط

(يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) أي فتزوجوهن والمراد بالجم مافوق الواحد لما صحت الرواية أن لسيدنا
لوط عليه السلام بنتين فقط وهما زنتا وزعورا وقال السدي اسم الكبرى ريا والصغرى رغوئا وكان في
ملته يجوز تزوج الكافر بالمسلمة أو قال ذلك على سبيل الدفع لا على سبيل التحقيق وكانوا يطلبونهن من
قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفائتهم لالعدم جواز تزويج المسلمات من الكفار (فاتقوا الله) بترك
الفواحش (ولا تخزون في ضيفي) أي لا تتجملون في أضيافي لأن مضيف الضيف يلزمه الجمالة من
كل فعل قبيح يوصل إلى الضيف (أليس منكم رجل رشيد) يمتد إلى الحق ويرعوى عن الباطل
ويرده هؤلاء الأوباش عن أضيافي (قالوا لقد علمت) يالوط (مالنا في بناتك من حق) أي شهوة أي
أنك قد علمت أن لا سبيل إلى المناكحة بيننا وبينك (وانك لتعلم ما تريد) من إتيان الذكران (قال
لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد) أي لو قويت على دفعكم بنفسى أو رجعت إلى عشيرة قوية
لبالغت في دفعكم وانما قال ذلك لأنه لم يكن من قومه نسب بل كان غريبا فيهم لأنه كان أولا بالعراق
مع إبراهيم فلما هاجر إلى الشام أرسله الله تعالى إلى أهل شذوم وهي قرية عند حص أو المعنى لو قويت على
الدفع لدفعتمكم بل أعصم بعناية الله تعالى (قالوا) أي هؤلاء الملائكة (يالوط انارسل ربك لن يصلوا
إليك) بضرر فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب ودخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم
فطمس أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فخرجوا وهم يقولون النجاة النجاة فان
في بيت لوط قوما مسخرة (فأمر بأهلك بقطع من الليل) أي فأخرج مع أهلك في نصف الليل لتستبقوا
العذاب الذي موعده الصبح (ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالرفع أي
لا يتأخر منكم أحد إلا امرأتك واعلة المناقعة والباقون بالنصب والمعنى ولا ينظر أحد إلى ورائه منك ومن
أهلك إلا امرأتك وانما نوهوا عن الالتفات ليسرعوا في السير فان من يلتفت إلى ما ورائه لا يخلو عن أدنى
وقفة وهذه القراءة تقتضي كون لوط غير مأثور بالامراء بها وقراءة الرفع تقتضي كونه مأثورا بذلك (انه
مصيها) أي امرأتك (ما أصابهم) من العذاب (ان موعدهم الصبح) أي ان وقت عذابهم
وهلاكهم الصبح لانه وقت الراحة لخلول العذاب حينئذ أقطع وهذا تعليل للنهي عن الالتفات المشعر
بالحث على الاسراع (أليس الصبح ب قريب) وهذا تأكيد للتعليل فان قرب الصبح داع إلى الاسراع
في الاسراع للتباعد عن مواضع العذاب (فلما جاء أمرنا) أي وقت عذابنا وهو الصبح (جاءنا عاليا)
أي على قرى قوم لوط وهي خمس مدائن فيها أربع مائة ألف ألف (سافلها) روى ابن جبريل عليه
السلام أدخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها إلى السماء حتى مع أهل السماء
نهيق الحمار ونباح الكلاب وصياح الديوك ولم تنسكفى لهم حرة ولم ينكسب لهم ناء ثم قلبها دفعة واحدة
وضربها على الأرض (وأمطرنا عليها) أي على أهل تلك القرى الخارجين عنها في الاسفار وغيرها
(بحجارة من سجيل) أي من طين متحجر (منضود) أي مكان بعض الحجارة فوق بعض في النزول
(مسومة) أي مخططة بالسواد والخمرة والبياض أي كان عليها علامة تميز بها عن حجارة الأرض
(عند ربك) أي في خزائنه التي لا يتصرف فيها أحد الا هو (وما هي من الظالمين ببعيد) أي ما هذه
الحجارة من كل ظالم يبعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها أي فان الظالمين حقيق بأن تطر عليهم
(والى مدين) أي وأرسلنا إلى أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام (أخاهم) في النسب (شعيبا)
قال يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا (مالكم من الله غيره ولا تنقصوا المكيا والميزان)

أى لا تنقصوا حقوق الناس بالكيل والوزن (ان أرا كم بخير) أى ملتبسين بسعة تغنيكم عن النقص
 (وانى أخاف عليكم) ان لم توفوا بالكيل والوزن (عذاب يوم يحيط) أى يحيط بكم ولا ينفلت منكم
 أحد (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان) أى أتموهما (بالقسط) أى بالعدل من غير زيادة ولا نقصان
 (ولا تجسوا الناس) بسبب عدم اعتدالهما (أشياءهم) أى أموالهم التى يشترونها بهما (ولا تغشوا فى
 الأرض مفسدين) أى ولا تعملوا فى افساد مصالح الغير فان ذلك فى الحقيقة افساد مصالح أنفسكم
 (بقيت الله خير لكم) أى المال الحلال الذى يبقى لكم خير من تلك الزيادة الحاصلة بطريق التطفيف
 (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين لى فى مقالتي لكم وقرئ تغية الله بالغوقية أى تقواه تعالى عن المعاصي
 (وما أنا عليكم بحفيظ) أى أحفظكم من الفساح ولست بحافظ عليكم نعم الله اذ لو لم تتركوا هذا العمل
 القبيح لزالتم نعم عنكم (قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى
 أموالنا ما نشاء) وقوله أو أن نفعل معطوف على ما يعبدوا بمعنى الواو والمعنى هل صلاتك تأمرك
 بتكليفك أيا نترك عبادة ما يعبد آباؤنا من الاوثان وترك فعلنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء وما زيادة
 والنقص روى ان شعيبا كان كثير الصلاة فى الليل والنهار وكان قومه اذ رأوه يصلى تغامروا
 وتضاكوا فقصوا بقولهم أصلاتك تأمرك السخرية (انك لانت الحليم الرشيد) أى كنت عندنا
 مشهورا بأهلك حليم رشيد فكيف تنهانا عن دين ألقيناه من آباءنا (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة
 من ربى) أى علم وهداية ودين ونبوة (ورزقنى منه) أى من عنده بأعانتته بلا كد منى (رزقا حسنا) أى
 مالا حلالا فهل يجوز لى مع هذا الانعام العظيم ان أخون فى وحيه وأن أخالفه فى أمره ونهيه وهذا الجواب
 مطابق لقولهم لسيدهنا شعيب انك لانت الحليم الرشيد فكيف يليق بك مع حلمك ورشدك أن تنهانا عن
 دين آباؤنا فكان شعيبا قال ان نعم الله تعالى عندي كثيرة وهو أمرنى بهذا التبليغ والرسالة فكيف
 يليق بى مع كثرة نعم الله تعالى على ان أخالف أمره ومعنى الآية على هذا الوجه يا قوم اخبرونى ان كنت
 نبيا من عند الله تعالى ورزقنى مالا حلالا أستغنى به عن العالمين أيصح ان أخالف أمره وأوافقكم فيما
 تأتون وما تذرون (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنها كم عنه) أى ليس مرادى ان أمنعكم عن التطفيف
 واب أفعله (ان أريد الاصلاح ما استطعت) أى ما أريد الا أن أصلحكم بعظمتى مدة استطاعنى للاصلاح
 لا أقصر فيه والمعنى انكم تعرفون من حالى انى لا أسعى الا فى الاصلاح وازالة الخصومة حتى انكم أقررتم
 بأنى حليم رشيد فلما أمرتكم بالتوحيد وترك ايداء الناس فاعلموا أنه دين حق وانه ليس غرضى منه ايقاع
 الخصومة فانكم تعرفون انى أبغض ذلك الطريق ولا أدور الا على ما يوجب الصلاح بقرطافى وذلك
 هو الابلاغ والانذار (وما توفيقى) أى ما قدرنى على تنفيذ كل الاعمال الصالحة (الا بالله) أى الابعونته
 وهدايته (عليه توكلت) أى عليه تعالى اعتمدت فى جميع أمورى (واليه انيب) أى عليه أقبل
 (ويا قوم لا يجرمكم شقاقى) أى لا تكسبنكم معاداتكم لى (أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح)
 من الغرق (أو قوم هود) من الريح العقيم (أو قوم صالح) من الصيحة والرجفة (وما قوم لوط منكم
 ببعيد) أى وما خبر اهلاك قوم لوط بالحسف منكم ببعيد فان لم تعتبروا بمن قبلكم من الامم
 المعدودة فاعتبروا بهم فان بلادهم قريبة من مدين واهلاكهم أقرب الاهلاكات التى عرفها الناس فى
 زمان شعيب (واستغفروا ربكم) عن عبادة الاوثان (ثم توبوا اليه) عن النجس (ان دبري رحيم)
 أى عظيم الرحمة للتائبين (ودود) أى محب لهم (قالوا يا شعيب ما نفعه كثير اعما تقول) أى ما نفعه

مرادك وانما قالوا ذلك لانهم لم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى المنع عن طريق الحق كما هو دين المفهم
المججوج (وانا لنراك فينا) أى فينا بيننا (ضعيفا) أى لا تقدر على منع القوم عن نفسك ان أرادوا
بك سوءا (ولولا رهطك) أى لولا حرمة قومك عندنا بسبب ~~كونهم~~ كونهم على ملتنا (لرجناك) أى
لقتلناك بالحجارة أو لشتتناك وطردناك (وما أنت علينا بعزير) أى معظم فيسهل علينا قتلك واذاؤك
وانما غتنع من ذلك لرعاية حرمة عشيرتك موافقتهم لنافى الدين لا لقوة شوكتهم (قال) لهم (يا قوم
أرهطى أعز عليكم من الله) والمعنى حفظكم اياى رعاية لا من الله تعالى أولى من حفظكم اياى رعاية
لحق رهطى فالتة تعالى أولى ان يتبع أمره (واتخذتموه راءكم ظهريا) أى جعلتموه الله شيا منبوا
خلف ظهركم منسيا لا يعابيه (ان ربي بما تعملون) من الاعمال السيئة (محيط) أى طام فلا يخفى
عليه شئ منها فيجازيكم عليها (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) أى على غاية استطاعتكم من ايصال
الشرور الى (ان عامل) بقدر ما آتاني الله تعالى من القدرة (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
ومن هو كاذب) أى سوف تعرفون الشقى الذى يأتيه عذاب يهلكه والذى هو كاذب في ادعاء القوة
والقدرة على رحم شعيب عليه السلام وفي نسبته الى الضعف (وارتقبوا) أى انتظروا عاقبة ما أقول
(انى معكم رقيب) أى منتظر (ولما جاء أمرنا) أى عذابنا (نجينا شعيبا والذى آمنوا معه) من ذلك
العذاب (برحمة منا) أى بسبب رحمة كائنة مناهم (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) أى صيحة جبريل
والزلزلة أيضا فأهلكوا بها (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) أى ميتين ملازمين لما كنهم (كان لم يغنوا
فيها) أى كأنهم لم يقيموا في ديارهم احيا مترددين (ألا بعد المدين) أى هلاك القوم شعيب (كما بعدت
نمود) أى كما هلك قوم صالح أى فانهم ما أهلكا بنوع من العذاب وهو الصيحة إلا أن هؤلاء صيغ بهم من
فوقهم وأولئك من تحتهم وهذا في أهل قرية شعيب وأما أصحاب الايكة فأهلكوا بعذاب الظلة وهو نار
نزلت من السماء أحرقتهم (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) أى ولقد أرسلنا موسى
بالتوراة مع ما فيها من الاحكام وأيدناه بمعجزات قاهرة دالة على صدق نبوته ورسالته (الى فرعون
وملئه) أى جماعته (فاتبعوا أمر فرعون) أى أمروا يا هم بالكفر بموسى ومعجزاته (وما أمر
فرعون برشيد) أى بمرشد الى خير فانه كان دهرى نافيا للصانع والمعاد وكان يقول لا اله الا أنا
على أهل كل بلد أن يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبودية رعايته لمصلحة العالم (يقدم قومه) أى يقود
قومه جميعا (يوم القيامة فأوردهم النار) أى ان فرعون كان قدوة لقومه في الضلال وفي دخول البحر
والغرق في الدنيا فكذلك يتقدمهم يوم القيامة في دخول النار والحرق (وبئس الورد المورود) أى
بئس الورد الذى يردونه النار لان الورد اغيار ادلتسكين العطس وتبريدا لا كبادوا النار على ضد ذلك
(وأتبعوا) أى الملأ الذين تبعوا أمر فرعون (في هذه) أى في الدنيا (لعنة) من الأمم بعدهم الى يوم
القيامة (ويوم القيامة) أيضا من أهل الموقف قاطبة (بئس الرفد المرفود) أى بئس العون المعان
عونهم اى بئس اللعنة الاولى المعان باللعنة الثانية عونهم وهى اللعنة فى الدارين ومميت اللعنة عوننا لانها
اذا تبعتهم فى الدنيا أبعدتهم عن رحمة الله واما انتهم على ما هم فيه من الضلال ومميت رفدا أى عوننا لهذا
المعنى على التهكم ومميت معان لانها أرفدت فى الآخرة بلعنة أخرى ليكونا هاديين الى طريق الحق
(ذلك) أى الذى ذكرناه فى هذه السورة من القصص السبعة (من أنباء القرى نقصه عليك) أى
ذلك بعض أخبار القرى المهلكة بجنابية أهلها مقصود عليك لتخبر به قومك لعلمهم به وتبرؤا والا فينزل

بهم مثل منازل بالقرى المهلكة (منها) أى القرى (قائم) أى أثر باقى (و) منها (حصيد) أى
 ذاهب الأثر فشيء ما بقى من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه وما حصى منها بالزرع المحصود
 (وما ظلمناهم) بالعذاب والهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية (فما أغنت عنهم
 آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك) أى فما نفعتهم أصنامهم الذين يعبدونها فى
 شئ البتة ولا دفعت شيئا من عذاب الله عنهم - م حين جاءهم (وما زادوهم غير تبويب) أى وما زادت
 الأصنام عابديها غير اهلاك فان الكفار كانوا يعتقدون فى الأصنام أنها تعين على تحصيل المنافع ودفع
 المضار ثم زال عنهم - م بسبب ذلك الاعتقاد منافع الدنيا والآخرة وجاب اليهم - م ضار الدنيا والآخرة فكان
 ذلك من أعظم موجبات الحسرة وقرئ آلهتهم اللاتى بالجمع ويدعون بالبناء للعبهون (وكذلك
 أخذ ربك إذا أخذ القرى) وقرأ عاصم والمخدرى إذا أخذ بالف واحدة (وهى ظالمة) أى ومثل
 ذلك الأخذ المذكور أخذ ربك أهل القرى إذا أخذهم - م وهم ظالمون أنفسهم بالكفر أى ان كل من
 شارك أو مثل المتقدمين فى فعل ما لا ينبغي فلا بد وان يشاركهم فى ذلك الأخذ (ان أخذه أليم شديد)
 أى وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص (ان فى ذلك) أى القصص السبعة (آية) أى
 لموعظة (لمن خاف عذاب الآخرة) فينتفع بسماع هذه القصص ويعلم ان القادر على انزال عذاب الدنيا
 قادر على انزال عذاب الآخرة فان فى هذه القصص عذاب الدارين وقد حصل عذاب الدنيا (ذلك) أى
 يوم الآخرة (يوم مجموع له الناس) أى يومه فى ذلك اليوم الأولون والآخرون للمعاسبة والجزاء (وذلك
 يوم مشهود) أى يحضر فيه أهل السماء وأهل الأرض (وما يؤخره) أى ذلك اليوم (الا لاجل معدود)
 أى الا لاجل انقضاء وقت محدود وهو مدة الدنيا (يوم يأت) أى حين يأتى ذلك اليوم المؤخر (لا تكلم
 نفس الا بأذنه) أى الله تعالى فى التكلم والمأذون فى الكلام هو الجوابات الصحيحة والمنعوع عنه هو
 ذكر الاعذار الباطلة (فثمهم) أى من أهل الموقف (شقي) أى من مات على الكفر وان تقدم منه
 ايمان (وسعيد) أى من مات على الايمان وان تقدم منه كفر (فأما الذين شقوا فى النار) أى
 فستعرون فيها (لهم فيها زفير) أى صوت شديد (وشهيق) أى صوت ضعيف (خالدين فيها ما دامت
 السموات والأرض الا ما شاء ربك) والافى المعنى بمعنى واوالعطف والاستثناء منقطع بقية - م در بلكن
 أو بسوى فالعنى دائم فى النار مثل دوام السموات والأرض منذ خلقت الى أن تغنى وزيادة على هذه المدة
 وهى ما شاء الله مما لا نهاية له (ان ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض (وأما الذين سعدوا فى الجنة
 خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك) أى مثل دوام السموات والأرض منذ خلقت
 سوى ما شاء ربك زائد على ذلك وهو لا منتهى له (عطاء غير مجدود) أى غير مقطوع وعطاء - م نصب على
 المصدرية أى يعطيهم عطاء وهذا ظاهر فى انه ليس المراد من هذا الاستثناء كون هذه الحالة منقطعة وما
 ذكر من ان عذاب الكفار فى جهنم دائم أبدا هو ما دللت عليه الآيات والاخبار وأطبق عليه جمهور الأمة
 سلفا وخلفا ولا ظلم على الله فى ذلك لان الكافر كان كاذما على الكفر ما دام حيا فعوقب دائما فهو لم يعاقب
 بالذات الا على دائم فلم يكن عذابه الاجزاء وفاقا وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم سعدوا بضم السين
 والباقون بفتحها (فلانك فى سرية عما يعبد هؤلاء) أى فلانك يا أشرف الخلق فى شك من حال ما يعبد
 كفار قريش من الاوثان فى انها لا تنفع لهم (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) أى ليس لهم فى
 عبادة الأصنام مستند الا تقليد آباؤهم فانهم أشبهوا آباؤهم فى لزوم الجهل والتقايد (وانما هو فهم نصيبهم

غير منقوص) أي أنا معطوا هؤلاء الكفرة ما يخصهم من العذاب ونصيبهم من الرزق والخيرات الدنيوية
 تاماً كما أعطينا آياتهم أنصباهم من ذلك (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (فاختلف فيه) أي
 في شأنه فآمن به قوم وكفربه قوم آخرون كما اختلف قومك في القرآن فلا تحزن فإن ما وقع لك وقع لمن قبلك
 (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم) أي لا الحكم إلا بآمر ربك بتأخير العذاب عن امتك إلى يوم القيامة
 لا وقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليميزوا به عن المحقين (وانهم)
 أي وإن كفار قومك (لنفسك) عظيم (منه) أي القرآن (مريب) أي ظاهر الشك أو موقع
 في الشك (وإن كلا لما ليوفيهم ربك أعمالهم) قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر عن عاصم أن ولما خففته
 وأبو عمرو والكسائي شددوا أن وخففوا ما وحزة وابن عامر رخص شددوها أي وإن كل المختلفين فيه
 المؤمنين منهم والكافرين والله لفريق يوفيه ربك أجزية أعمالهم أو المعنى وإن جميعهم والله ليوفيهم
 الآية قالوا وأحسن ما قيل إن أصل لما بالتثنية بمعنى جميعاً (أنه بما يعملون خبير) أي إن ربك
 بما يعمل كل فرد من المختلفين من الخير والشر عالم لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده وأن دقت (فاستقم
 كما أمرت) أي مثل الاستقامة التي أمرت بها في العقائد والأعمال والأخلاق فإن الاستقامة في
 العقائد اجتناب التشبيه والتعطيل وفي الأعمال الاحتراز عن الزيادة والنقصان وفي الأخلاق التبعاد
 عن طرفي الإفراط والتفريط وهذا في غاية العسرو عن بعضهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في
 النوم فقلت له روي عنك أنك قلت شيبتي هودوا وخواتم فقال نعم فقلت وبأي آية فقال بقوله تعالى فاستقم
 كما أمرت (ومن آت معك) من الكفر وشاركك في الإيمان فمن منصوب على أنه مفعول معه أو مرفوع عطف
 على الضمير في أمرت (ولا تطغوا) أي لا تتحرفوا عما حذر لكم بأفراط أو تفريط فإن كلا طرفي قصـد
 الأمور ذميمة (أنه بما تعملون بصير) فيجازيكم على ذلك (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) أي ولا تعمدوا
 أدنى ميل إلى الذين وجد منهم الظلم (فتمسك النار) أي فتصيبكم بسبب ذلك (وما لكم من دون الله
 من أولياء) أي من أنصار ينقذونكم من النار (ثم لا تنصرون) من جهة الله تعالى قال المحققون الركون
 المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم ومشاركتكم في شيء من تلك الأبواب فأما ما دخلتهم لدفع
 ضرر أو اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون (وأقم الصلاة طرفي النهار) أي غدوة وعشية فالصبح
 في الغدوة والظهر والعصر في العشية (وزلغمان الليل) أي ساعات منه قريبة من النهار وهي المغرب
 والعشاء (إن الحسنات) كالصاوات الخمس (يذهبن السيئات) أي يكفرنهما وفي الحديث إن الصلاة
 إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر روي أن أبا اليسر بن عمرو الأنصاري قال أتتني امرأة
 تشتري تمر فقلت لها إن في البيت تمر أطيب من هذا فدخلت معي البيت فقبلتها فأتيت أبا بكر فذكرت
 ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا
 تخبر أحداً فلم أصبر حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لي أخت رجلاً غازیاني
 سبيل الله في أهله بعث هذا وأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلاً حتى زلت هذه الآية فقرأها على
 فقال نعم اذهب فإنها كفارة لما عملت (ذلك) أي القرآن (ذكرى للذاكرين) أي عظة للعظمين
 أو ذلك الحسنات كفارات لذنوب التائبين (واصبر) يا أشرف الخلق على مشاق ما أمرت به (فإن الله
 لا يضيع أجر المحسنين) أي إن الله يوفي الصابرين أجور أعمالهم من غير بخس أصلاً (فلولا كان
 من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلاً ممن أنجينا منهم) والمراد بالتحضيض

النفي أى فما كان من القرون الماضية المهلكة بالعذاب جماعة أصحاب جودة فى العقل وفضل ينهون
عن الفساد الا قليلا وهم من أنجيناهم من العذاب نهوا عن الفساد (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه)
أى واتبع الذين تركوا النهى عن المنكرات ما أنعموا من الشهوات واشتغلوا بتحصيل الرياسات وأعرضوا
عما وراء ذلك (وكانوا مجرمين) أى كافرين فان سبب استئصال الامم المهلكة ففساد الظلم وشوع ترك النهى
عن المنكرات مع الكفر (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) أى لا يهلك ربك أهل
القرى بمجرد كونهم مشركين اذا كانوا مصلحين فى المعاملات بينهم أى ان عذاب الاستئصال لا ينزل لاجل
كون القوم معتقدين للشرى بل انما ينزل ذلك اذا أساؤا فى المعاملات وسعوا فى الايذاء للناس وظلم الخلق
لفرط مساحته تعالى فى حقوقه ولذلك تقدم حقوق العباد على حقوقه تعالى عند تراحم الحقوق (ولو شاء
ربك لجعل الناس أمة واحدة) أى أهل ملة واحدة وهى الاسلام بحيث لا يختلف فيه أحد ولو كان لم يشأ
ذلك (ولا يرالون مختلفين الا من رحم ربك) أى ولا يرالون مختلفين لدين الحق الا قوما قد هداهم الله تعالى
بفضله اليه فلم يخالفوه (ولذلك خلقهم) أى ولذلك كور من الاختلاف والرحمة خلق الناس كافة فان الله تعالى
خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين ومصرهم النار وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين ومصرهم الجنة
(وتمت كلمة ربك) أى ثبت قول ربك (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أى من كفارهما
أجمعين (وكلا) أى كل نبأ (نقص عليك من أنباء الرسل) أى من أخبارهم وما جرى لهم مع قومهم
(مانثب به فؤادك) أى ما تقوى به قلبك لتصبر على أذى قومك وتتأسى بالرسول الذين خلوا من قبلك
(وجاءك فى هذه) الانباء القصص على (الحق) أى البراهين الدالة على التوحيد والنبوة
(وموعظة) أى تنفير عن الدنيا (وذكرى للمؤمنين) أى ارشاد لهم الى الاعمال الصالحة (وقل للذين
لا يؤمنون) بهذا الحق (اعملوا على مكانتكم) أى ثابتين على حالتكم وهى الكفر (انما هم ملون)
على حالتنا وهى الايمان والمعنى افعلوا كل ما تقدرون عليه فى حق من الشرهين عاملون على قدرتنا
والمراد بهذا الامر التهديد (وانتظروا) ما يعدكم الشيطان به من الخذلان (انما منتظرون) ما وعدنا
الرحمن من أنواع الغفران والاحسان (ولله غيب السموات والارض) فان علمه تعالى نافذ فى جميع
الكليات والجزئيات والحاضرات والغائبات عن العباد (واليه يرجع الامر كله) أى امر الخلق كله
فى الدنيا والآخرة (فاعبدوه) أى فاشتغل بالعبادات الجسدانية والروحانية أما العبادات الجسدانية
فأفضل الحركات الصلاة وأكمل السككات الصيام وأنفع البر الصدقة وأما العبادات الروحانية فهى الفكر
والتأمل فى عجائب صنع الله تعالى فى ملكوت السموات والارض (وتوكل عليه) أى ثق به تعالى فى
جميع أمورك فإنه كافيك (وما ربك بغافل عما تعملون) وقرأنا فاع و ابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب
أى فإنه تعالى لا يصنع طاعات المطيعين ولا يهمل أحوال المتمردين الجاحدين وذلك بأن يحضر و اى
موقف القيامة ويحاسبوا على النقيير والقطير ويعانوا فى الصغير والكبير ثم يحصل عاقبة الامر
فريق فى الجنة وفريق فى السعير

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية وهى مائة واحدى عشرة آية وألف وتسعمائة﴾

وست وتسعون كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وسبعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وعن ابن عباس انه قال سألت اليهود والنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا احذنا عن

أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فنزلت هذه السورة (الرتلك آيات الكتاب المبين) أي تلك الآيات التي نزلت إليك في هذه السورة المسماة الر هي آيات الكتاب المبين وهو القرآن الذي بين الهدى وقصص الأولين (أنا أنزلناه) أي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه (قرأنا عرييا علىكم تعقلون) أي لكي تفهموا معانيه في أمر الدين فتعلموا أن قصه كذلك عن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور إلا بالإحياء (فحسن نص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) أي بسبب إحيائنا إليك يا أكرم الرسل هذه السورة لما فيه من العبر من أنه لا مانع من قدر الله تعالى وأن الحسد سبب للخذلان وأن الصبر مفتاح الفرج (وان كنت من قبله) أي وانه أي الشأن كنت من قبل إحيائنا إليك هذه السورة (لن الغافلين) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تفرع معك قط (اذ قال يوسف) منصوب بقال يابني أي قال يعقوب يابني وقت قول يوسف له كيت وكيت أو بدل من أحسن القصص بدل اشتغال (لأبيه) يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام (يا أبت اني رأيت) في منام النهار (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) قال وهب رأى يوسف عليه السلام وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالا كانت موكوزة في الأرض كهيئة الدائرة وإذا عصا صغيرة وثبت عليها حتى ابتلعتها فذلك لأبيه فقال ياك أن تذكر هذا لأخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال لا تذكرها لهم فيبغوا لك الغوائل روى عن جابر رضي الله عنه أن يهوديا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رأى يوسف عليه السلام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لليهودي إذا أخبرتك بذلك هل تسلم فقال نعم قال جريان والطارق والذبال وقابس وعمودان والغليق والمصبغ والضروخ والفرغوثاب وذوالكتفين وآها يوسف عليه السلام والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي أي والله أهلا لها ماؤها (قال) أي يعقوب ليوسف في السر (يابني لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيدا) أي فيفعلوا لأجل هلاكك كيدا خفيا عن فهمك لا تصدى لمدافعته (إن الشيطان للإنسان) أي لبني آدم (عدو مبين) أي ظاهر العداوة فلا يقصر في اضلال أخوتك وحملهم على الحسد وما لا خير فيه كما فعل بآدم وحواء وأخوة يوسف الذين يخشون غوائلهم الاحد عشر هم يهودا وريبل وشعمون ولاوي وريزون ويشجر ودينه فهو لاه بنو يعقوب من لياننت خالته ودان ونفتالي وجاد وأشر فهو لاه بنوه من سريتين زلفة وبلهة وامان بنياه من فهو شقيق يوسف وأمه مراحيل التي تزوجها يعقوب بعد وفاة أختها ليا (وكذلك) أي كما اجتنبك لهذه الرؤية الدالة على كبر شأنك (يجتنبك ربك) للنبوة (ويعلمك من تأويل الأحاديث) أي تعبيرا رؤيا اذهي أحاديث الملك ان كانت صادقة وأحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة (ويتم نعمته عليك) بسعادات الدنيا والآخرة أما سعادات الدنيا فالأولاد والخدم والاتباع والتوسع في المال والجاه والاجلال في قلوب الخلق وحسن الثناء وأما سعادات الآخرة فالعلوم الكثيرة والاخلاق الفاضلة والاستغراق في معرفة الله تعالى (وعلى آل يعقوب) أي أولاده (كما أتمها) أي نعمته (على أبويك من قبل) أي من قبل هذا الوقت (إبراهيم وإسماعيل) عطف ببيان لأبويك (ان ذلك علم حكيم) فأنه أعلم حيث يجعل رسالته ومقدس عن العبث فلا يضع النبوة إلا في نفس قدسية وهذا يقتضي حصول النبوة لأولاد يعقوب وأيضا ان رؤية يوسف أخوته كواكب دليل على مصير أمرهم

الى النبوة فان الكواكب يهتدي بانوارها وكانت تأويلها بأحد عشر نفسا لهم فضل يستضيء بعلمهم
ودينهم أهل الارض لانه لا شيء أضوء من الكواكب وأما ما وقع منهم في حق يوسف فهو قبل النبوة
فالعممة من المعاصي انما تعتبر وقت النبوة لا قبلها على خلاف في ذلك (لقد كان في يوسف واخوته)
أى في قصتهم (آيات) أى عبرات (للسائلين) أى لكل من سأل عن قصتهم وعرفها وللطالبيين
للآيات المتعبرين بها فانهم المنتفعون بهادون من هدايتهم (اذ قالوا) أى بعض العشرة لبعضهم (ليوسف
وأخوه) الشقبق بنيامين بكسر الباء وفتحها (أحب الى أينا منا ونحن عصبة) أى والحمد لله الجماعة
قائمون بدفع المغاسد والآفات مشتغلون بتحصيل المنافع والخيرات وقائمون بمصالح الاب فممن أحق
بزيادة المحبة منهما لفضله بذلك وكوننا أكبر سنا ونقل عن على رضى الله عنه انه قرأ ونحن عصبة
بالنصب (ان أبانا في ضلال) عن رهاية المصالح في الدنيا (مبين) أى ظاهر الحال وانما خصص
على يوسف أبوه بالبر لانه كان يرى فيه من آثار الرشد والنجابة ما لم يجد في سائر الاولاد ولانه وان
كان صغيرا كان يخدم أباه بأنواع من الخدمة أعلى عما كان يصدر عن سائر الاولاد قال شععون
ودان والباقون كانوا راضين الامن قال لا تقتلوا الخ (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا) يحصل
اليأس من اجتماعه مع أبيه (يخل لكم وجه أبيكم) أى يقبل عليكم أبوكم بكليته ولا يلتفت الى
غيركم (وتكونوا من بعده) أى من بعد يوسف من قتله وتغريبه في أرض بعيدة (قوموا صالحين)
أى تائبين الى الله تعالى من السكائر ومتفرغين لاصلاح أمور دنياكم وصالحين مع أبيكم باصلاح
ما بينكم وبينه (قال قائل منهم) أى من اخوة يوسف هو يهوذا فانه أقدمهم في الرأي والفضل وأقربهم
الى يوسف سنا (لا تقتلوا يوسف) وقال قتادة القاتل لاخته روبيل حتى قال القتل كبيرة عظيمة
(وألقيوه في غيابة الجب) أى في قعره وقرأ نافع غيايات بالجمع في الموضعين قال قتادة الجب هنا هو بئر بيت
المقدس وقال وهب هو في أرض الاردن وقال ابن زيد هو بحيرة طبرية (يلتقطه بعض السيارة) أى
يرفعه بعض طائفة تسير في الارض (ان كنتم فاهلين) بمشورتى ولم يقطع القول عليهم بل انما عرض
عليهم ذلك تأليفا لقلوبهم وحذرا من نسبتهم له الى الاقتيات أو ان كنتم فاهلين ما عزمتم عليه من ازالته من
عند أبيه ولا بد فاعلوا هذا القدر أى القاء في البئر والاولى أن لا تفعلوا شيئا من القتل والتغريب (قالوا)
لا يبيهم اعمالا لليلة في الوصول الى مقاصدهم مستفهمين على وجه التعجب لانه علم منهم السوء وهذا مبني
على مقدمات محذوفة وذلك أنهم قالوا أولا ليوسف اخرج معنا الى الصحراء الى مواشينا فنستبق ونصيد
وقالوا له سل أباك أن يرسلنا معنا فساله فتوقف يعقوب فقالوا له (يا أبا ناملك لا تأمننا على يوسف) أى
أى شيء ثبت لك لا تجعلنا أمنا عليه مع أنه أخونا وأنتك أبونا ونحن بنوك (و) الحال (اناله لنا صحنون)
أى لعاطفون عليه قائمون بعصمته وبحفظه أى هم أظهر واعند أبيهم أنهم في غاية المحبة ليوسف وفي
غاية الشفقة عليه (أرسله معنا غدا) الى الصحراء (يرتج) أى يتسع في أكل الفواكه ونحوها
(ويلعب) بالاستباق والاتصال تمرينا للقتال الاعداء وبالأقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر
للهو وقرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائي عثناة تحتية على اسناد الفعل ليوسف لانهم سألو ارسالا يوسف
معهم ليفرح هو باللعب لاليفرحوا به (واناله لحافظون) من أن يناله مكروه (قال ان ليحزنني أن
تذهبوا به) أى ليؤلم قلبي ذهابكم به لاني لا أصبر عنه ساعة (وأخاف أن يأكله الذئب) لكثرة الذئب
في تلك الارض (وأنتم عنه غافلون) لا شتعالكم بالانسان في الملاذ ونحو التناضل (قالوا) لا يبيهم

(ان كل الذئب ونحن عصبة) أي جماعة كثيرة عشرة تكفي الخطوب بأرائنا (انا اذا) أي اذ لم
تقدر على حفظ أخينا (الخاسرون) أي لقوم عاجزون وهذا جواب عن عذر يعقوب الثاني وأما عذره
الاول فلم يجيبوا عنه لكون غرضهم إيقاعه في الحزن ولكون حقدهم بسبب ذلك العذر وهو شدة حبه له
فتغافلوا عنه (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) أي فأرسله معهم فلما ذهبوا به وعزموا
على جعله في ظلمة البئر لجعلوه فيها قال السدي يوسف عليه السلام لما برز مع اخوته أظهر والله العداوة
الشديدة وجعل هذا الاخ يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه ولا يرى فيهم رحمة فاضربوه حتى كادوا يقتلوه
وهو يقول يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابتلك لا بكاك فقال يهوذا أليس قد أعطيتموني موقعا أن لا تقتلوه
فانطلقوا به الى الجب يدلون فيه وهو متعلق بشفير البئر فترعوا قيصه وكان غرضهم أن يلطخوه بالدم
ويعرضوه على يعقوب فقال لهم ردوا على قيصي لا توارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا
لتؤنسك ثم دس في البئر حتى اذا بلغ نصفها القوة ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى حفرة فقام
بها وهو يبكي فنادوه فظن ان رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرفخوه بصخرة فقام يهوذا فذفعهم من ذلك
وكان يهوذا يأتيه بالطعام وبقى فيها ثلاث ليال وروى أنه عليه السلام لما ألقى في الجب قال يا شهادا
غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من أمرى فرجا ومخرجا وروى أن ابراهيم
عليه السلام لما ألقى في النار جرد عن ثيابه فجاءه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وألبسه اياه
فدفعه ابراهيم الى اسحق ودفعه اسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تيممة وعلقها في عنق يوسف فجاءه
جبريل فأخرجهم من التيممة وألبسه اياه وروى أن جبريل قال له اذا رعبت شيئا فقل يا صريح
المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكرهين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك
شيء من أمرى فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب (وأوحينا اليه) في الجب ازالة
لوحيته عن قلبه وتبشير الاله بعبادته ولاليه أمره وكان ابن سبع عشرة سنة (لتنبتهم بأمرهم هذا) أي
لتخبرن يا يوسف اخوتك بصنيعهم هذا بك بعد هذا اليوم (وهم لا يشعرون) في ذلك الوقت أنك يوسف
حتى تخبرهم لعلاؤش أنك وبعد ذلك عن أوهامك والمقصود تقوية قلبه بأنه سيحصل له الخلاص عن هذه
الحنة ويصيرون تحت قهره وقدرته (وجاؤا بأباهم عشاء يبيكون) أي لما طرخوا يوسف في الجب
رجعوا الى أبيهم وقت العشاء في ظلمة الليل متباكين وقرئ عشيا بالتصغير لعشي أي آخر النهار وقرئ
عشي بالضم والقصر جمع أعشي فعند ذلك فرع يعقوب وقال هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال وأنى
يوسف (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) أي يسابق بعضنا بعضا في الرعي وروى أن في قراءة عبد الله
انا ذهبنا نتفضل (وتركنا يوسف عند متاعنا) من ثياب وأزواد وغيرهما يحفظه (فأكله الذئب
وما أنت بمؤمن لنا) أي بمصدق لنا في هذه المقالة (ولو كنا صادقين) أي ولو كنا عندك موصوفين
بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سئ الظن بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا على قيصه)
أي فوق قيص يوسف (بدم كذب) أي بدم ملابس لكذب وقرئ كذبا على أنه حال من الضمير أي جاؤا
كاذبين أو مفعول له وقرأت عائشة رضي الله عنها بدم كذب بالذال المهملة أي كدرا وطري (قال بل
سولت لكم أنفسكم أمرا) أي قال يعقوب ليس الامر كما تقولون بل زينت لكم أنفسكم أمرا غير
ما تصفون قيل لما جاؤا على قيصه بدم جدى وقد ذلوا عن خرق القميص فلما رأى يعقوب القميص
مجهجا قال كذبتكم لوأكله الذئب لحرق قيصه وقال بعضهم بل قتله اللصوص فقال كيف قتلوه وتركوا

قيصه وهم الى قيصة أحو ج منه الى قتله وقيل انهم أتوه بذنب وقالوا هذأ كلم فقال يعقوب أيها الذنب
 أنت أكلت ولدي وعمرة فوادى فأنطقه الله عز وجل وقال والله ما أكلت ولدك ولا رأيت قط ولا يحل لنا
 أن نأكل لحوم الانبياء فقال له يعقوب فكيف وقعت في أرض كنعان قال جئت لصلة الرحم قرابة لي
 فأخذوني وأتوا بي اليك فأطلقه يعقوب (فصبر جميل) أي فصبري صبر جميل أو فصبر جميل أولى من
 الجزع وهو أن لا يشكو في البلاء لا حد غير الله تعالى (والله المستعان) أي المطلوب منه العون (على
 ما تصفون) أي على تحمل ما تصفون من هلاك يوسف وكان الله تعالى قد قضى على يعقوب أن يوصل
 اليه تلاء الغموم الشديدة والهموم العظيمة لئلا يترجوعه الى الله تعالى وينقطع تعلق فكره عن الدنيا
 فيصل الى درجة عالية في العبودية لا يمكن الوصول اليها الا بتحمل المحن الشديدة والله أعلم (وجاءت
 سيارة) أي رفقة تسير من جهة مدين يريدون مصر فأخطأوا الطريق فانطلقوا يهيمون في الأرض حتى
 وقعوا في اراضي التي فيها الحب وهي أرض دوثن بين مدين ومصر فنزلوا عليه (فأرسلوا واردهم) أي
 ساقهم ليطلب لهم الماء وهو من يهيئ الارشية والدلاء فيتقدم الرفقة الى الماء يقال له مالك بن دعر الخزاعي
 ابن أخي سيدنا شعيب عليه السلام وهو رجل من العرب من أهل مدين (فأدلى دلوه) أي فأرخى دلوه
 في جب يوسف فتعلق هو فلم يقدر الساقى على نزعها من البئر فنظر فيه فرأى غلاما قد تعلق بالدلو فنادى
 أصحابه (قال يا بشرى) أي يا أصحابي وقال الامش ان دعاء امرأة امهها بشرى وقال السدي انه نادى
 صاحبه واسمه بشرى كما قرأه حمزة وعاصم والكسائي بغير ياء المتكلم بعد الالف المقصورة وقال أبو علي
 القاسمي والوجه أن يجعل البشري اسمها للبشارة فنادى ذلك بشارة لنفسه كأنه يقول يا أيها البشري هذا
 الوقت وقتك ولو كنت ممن يخاطب الخوطب الآن ولامرت بالحضور ويدل على هذا قراءة الباقيين يا بشرى
 بفتح ياء المتكلم بعد الياء على الاضافة قالوا ما ذلك يا مالك قال (هذا غلام) أحسن ما يكون من الغلمان
 فكان يوسف حسن الوجه بعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين
 والعضدين والساقين خيمص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم ظهر النور من ضواحه واذا تكلم ظهر
 من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه اه فاجتمعوا عليه فآخروا من الجب بعده كنه فيها ثلاثة أيام
 (وأمره بضاعة) أي أخفوه حال كونه متاعا تجارة أي كتم الوارد مالك وأصحابه من بقية القوم ذلك
 لأنهم قالوا ان قلنا للسيارة التقطناها شاركونا فيه وان قلنا اشتريناه سألونا الشركة فالأصوب ان نقول
 ان أهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على ان نبيعه لهم بمصر (والله عليم بما يعملون) أي بما ينشأ من
 عمل اخوة يوسف ليوسف من ايقاعه في البلاء الشديد وهو سبب لوصوله الى مصر ولتنقله في أحوال الى
 ان صار ملك مصر وحصل ذلك الذي رآه في النوم فرحم الله به العباد والبلاد (وشروه) أي باع يوسف
 من استخسر جوه من البئر (بثن بخس) أي حرام (دراهم معدودة) فانهم في ذلك الزمان كانوا
 لا يزنون ما كان أقل من أربعين دينارا (وكانوا) أي البائعون (فيه) أي في يوسف (من الزاهدين)
 أي من الذين لا يرغبون لأنهم خافوا ان يظهر المستحق فينزعهم من يدهم فكذلك باعوه من أول مساوم
 بأوكس الاثمان (وقال الذي اشتراه من مصر) أي في مصر من مالك بن دعر وكان اشتراؤه بعشرين
 درهما وحلة ونعلين فالذي اشتراه في مصر هو قطيفر خازن الملك الى ان بن الوليد وهو صاحب جنوده وقد
 أمن الملك يوسف ومات في حياة يوسف عليه السلام ذلك بعدة قابوس بن مصعب فدعا يوسف الى
 الاسلام فأبى واشترى ذلك الوزير وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره

ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الملك والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (لأمرأته) زانخا وقال ابن المحقق اسمها راعيل بنت رعيانيل (أكرمي مثواه) أي اجعلي منزله عندك كريما حسنا مرضيا والمعنى أحسنى تعهده (عسى أن ينفعنا) أي يقوم بإصلاح مهماتنا (أو نتخذ ولدًا) أي نتبناه وكان قطفيرا يأتي النساء (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) أي وكما فجعنا يوسف من القتل والجذب وجعلنا في قلب الوزير حنوا عليه نعطيه مكانة أي رتبة عالية في أرض مصر (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) أي تعبیر بعض المنامات التي أعظمها رؤيا الملك وصاحب السجن وهذا عطف على مقدر متعلق بمكنا أي جعلنا يوسف وجيها بين أهل مصر ومحبي في قلوبهم لينشأ منه ما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تأويل الرؤيا (والله غالب على أمره) أي أمر نفسه لأنه فعال لما يريد لا دافع لقضائه ولا مانع عن حكمه في أرضه وسماؤه (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لا يعلمون) أن الأمر كله لله وأن قضاء الله غالب فمن تأمل في أحوال الدنيا عرف ذلك (ولما بلغ أشده) وهو ما بين الثلاثين والأربعين (آتيناه حكما وعلما) أي حكمة عملية وحكمة نظرية وانما قدم الحكمة العملية هنا على العملية لأن أصحاب الرياضات يشتغلون بالحكمة العملية ثم يترقون منها إلى الحكمة النظرية وأما أصحاب الأفكار العقلية والانتظار والحانية فانهم يصلون إلى الحكمة النظرية أولا ثم ينزلون منها إلى الحكمة العملية وطريقة يوسف عليه السلام هو الأول لأنه صبر على البلاء والمحنة فتفتح الله تعالى عليه أبواب المكاشفات (وكذلك) أي مثل ذلك الجزاء الجيب (نجزي المحسنين) أي كل من يحسن في عمله وعن الحسن من أحسن عبادة ربه في شيبته آتاه الله الحكمة في اكتماله (ورأودته التي هو في بيتهما عن نفسه) أي طلبت زليخا من يوسف أن يجامعها (وغلقت الأبواب) أي أبواب البيت السبعة ثم دعتة إلى نفسها (وقالت هيت لك) قرأنا فاع وابن عامر في رواية ابن ذكوان هيت بكسر الهاء وفتح التاء وقرأ ابن كثير هيت بضم التاء وفتحها مع فتح الهاء وقرأ هشام بن عمار عن أبي عامر هت لك بكسر الهاء وبالحمزة الساكنة وضم التاء والباقون بفتح الهاء واسكان الياء وفتح التاء وإن قرأ هيت بفتح الهاء والتاء أو ضم التاء فنعناه تعال وبادرنا لك وإن قرأت بكسر الهاء ثم بالحمزة الساكنة وضم التاء فنعناه تهيأت لك (قال) يوسف (معاذ الله) أي أعوذ بالله معاذما تدعينني إليه (انه) أي الشأن العظيم (ربي) أي سيدي العزيز (أحسن مثواي) أي تعهدني حيث أمرتك بأكرامى فلا يليق بالعقل أن أجازيه على ذلك الاحسان بالخيانة في حرمه (انه) أي الشأن (لا يفلح الظالمون) أي المجازون للاحسان بالاساءة (ولقد همت به وهم بها) أي قصدت زليخا مخالطة يوسف مع التمهيم وقصد مخالطتها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب لا بقصد اختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيقة بالمدح والاجر الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم ولهذا قال بعض أهل الحقائق الهم قسمان هم ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضا مثل هم امرأة العزيز فالعبد مأخوذه وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف عليه السلام والعبد غير مأخوذه ما لم يتكلم أو يعمل (لولا أن رأى برهان ربه) أي لولا أن أيقن بحجته به الدالة على كمال قبح الزنا وجواب لولا محذوف أي لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنا لجرى على موجب ميله الجبلى لكنه حيث كان البرهان الذي هو الحكم والعلم حاضر لديه حضور من يراه بالعين فلم يهمل أصلا والحاصل أن هذا البرهان عند المحققين المثبتين لعصمة الانبياء هو

حجة الله تعالى في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب أو المراد برؤية البرهان حصول الاخلاق
 الحميدة وتذكير الاحوال الرادعة لهم عن الاقدام على المنكرات وقيل ان البرهان هو النبوة المانعة
 من اتيان الفواحش وقيل انه عليه السلام رأى مكتوباً في سقف البيت ولا تقر بوا الزنا انه كان فاحشة
 وسامسيلا وأما الذين نسبوا المعصية الى يوسف فقالوا انه رأى يعقوب عاضاً على ابهامه أو هتف به هاتف
 وقال له لا تعمل عمل السفهاء واسمك في ديوان الانبياء أو غمسل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت منه
 من أنامله أو رأى كفاً من غير ذراع مكتوباً فيه وما تعملون من عمل الا كنا عليكم شهود الآية (كذلك)
 أي مثل ذلك التثبيت ثبته (لنصرف عنه السوء) أي مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة
 (والفحشاء) أي الزنا (انه من عبادنا المخلصين) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام في
 جميع القرآن أي الذين أخلصوا دينهم لله تعالى والباقيون بفتح اللام أي الذين اختارهم الله لطاعته بان
 عصمهم عما هو قاذح فيها أو أخلصهم من كل سوء (واستمعوا الباب) أي تسابعا الى الباب البراني الذي هو
 المخلص فان سبق يوسف فتح الباب للخروج وان سبقت زليخا أمسكت الباب لمنع الخروج (وقد بقيه
 من دبر) أي شقت قيص يوسف من خلف بنصفين من وسطه الى قدميه فغلبها يوسف وخرج وخرجت
 خلفه (وألفيا سيدها) أي صادفازوجها قطفير (لدى الباب) أي البراني روى كعب رضي الله عنه أنه
 لما هرب يوسف عليه السلام صار فراش القفل يتناثر حتى خرج من الابواب (قالت) روجها خائفة من
 التهمة (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) قيل ان يوسف أراد ان يضربها ويدفعها عن نفسه وكان ذلك
 بالنسبة اليها جارياً مجرى السوء فذكرت كلامهم بما ثم خافت ان يقتله العزيز وهي شديدة الحب له
 فقالت (الا أن يسجن أو عذاب أليم) أي ليس جزاؤه الا السجن أو الضرب أو جميع وانما بدأت بذكر
 الضرب لان الحب لا يشتهي ايلام المحبوب وانما أرادت أن يسجن يوماً أو أقل على سبيل التخفيف أما
 الحبس الطويل فلا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقال يجب أن يجعل من المسجونين (قال هي راودتني عن
 نفسي) ولم يقل هذه ولا تلك لغرط استحيائه وهو أدب حسن حيث أتى بلفظ الغيبة ولم يكن يوسف يريد أن
 يهتك سترها ولكن لما لم تخط عرضة احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فصرح بالامر فقال هي طالبتني
 للمواتاة (وشهد شاهد من أهلها) وهو ابن داية زليخا وابن خال لها وكان عمره شهرين أنطقه الله تعالى
 لبراءة يوسف وروى أن العزيز اشتري يوسف بوزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه لؤلؤاً ووزنه مرجاناً ووزنه
 مسكاً ووزنه عنبراً فلما ذهب به الى البيت شغقت به زليخا فقالت لحاضنتها ما الحيلة فقالت لها يا سيدي
 لو نظرت اليك لكان أسرع حباً منك اليه ولو رأى حسنك وجمالك وصفاء لونك ما قرله قرار دونك فقالت
 وكيف ذلك فقالت مكنتني من الاموال فقالت خرائني بين يديك لنخذي ما شئت لا حساب عليك وأمرت
 باحضار أهل البناء والهندسة وقالت أريد بيتاً يرى الوجه في سقفه وفي حيطانه كما يرى في المرأة المصقولة
 فقالوا نعم فبنوا لها بيتاً سمته القيطون فلما تم دعت المصور وأمرته بصنع سرير من ذهب مرصع بالجواهر
 والياواقيت وفرشته بالديباج والسندس وصورت صورة يوسف وزليخا متعاقبين ثم زينت زليخا وخرجت
 الى يوسف مستعجلة وقالت يا يوسف أجب سيديتك فأنها تدعوك في بيتها القيطون وكان جميعاً مطيعاً
 وكان بيده قضيب من ذهب يلعب به فرماه وأمرع لباب البيت فلما وضع قدمه الواحدة أحس قلبه بالشر
 وأراد الرجوع فأمرعت زليخا اليه وجرته للسري فغمض عينيه وأطرق رأسه وبكاهياً من الله تعالى
 وراودته عن نفسه فأبى فقالت له لم تخالف أمرى فقال خوف من الله وأكرام السيد الذي أحلني محل

أولاده فقالت أما الهك فأنا أعطيك جميع الاموال تصدق بهار بك ليغفر لك هذا الذنب وأما سيدك فأنا
أطعمه السم حتى يتهرى لجهنم وأكون أنا وأموالي ملكك فقام وبأدرا إلى الباب من غير أن يكون بينه وبينها
سبب من الأسباب فجذبت به من وقت قيصة من خلقه وهو قارة واقف ذلك الوقت أن العزيز مر بالباب فنظر
العزيز إلى الخافق آهها من رنة حاسرة عن وجهها ونظر إلى يوسف فراء منهكس الرأس بأكي العين فوقف
متحيرا في أمرهما ينظر إليه مرة وإلى هامة فقالت له ان غلامك هذير يد أن يخونك في أهلك أي شيء
جزأوه أن يسجن أو عذاب أليم فقال له العزيز يا يوسف ما كان هذير جازافي منك أحللتك محل أولادي
وتخونني في أهلي فقال يوسف عليه السلام ان لي شاهدا يشهد لي بالبراءة فقال له أين الشاهد وليس معك
في البيت ثالث فقال هذا الطفل يشهد لي بالبراءة فأوحى الله لجبريل أن اهبط على الطفل وشق لسانه حتى
يشهد لعبدى يوسف بالبراءة فعند ذلك تخفخف الطفل وقال أيها الملك ان عندى في أمرك هذا ملك فيه فرج
ومخرجاً أنظر إلى قيصة الغلام العبراني (ان كان قيصة قدم من قبل) أي شق من قدام (فصدقت) أي
فقد صدقت المرأة (وهو من الكاذبين) في قوله هي راودتني (وان كان قيصة قدم من دبر) أي من
خلف (فكذبت) أي فقد كذبت المرأة في دعواها (وهو من الصادقين) في قوله هي راودتني (فل
رأى) أي زوجها (قيصة قدم من دبر قال) لها زوجها قطف وقطع بصدقه وكذبها (انه) أي هذا
القذف له في ضمن قولك ماجزاء من أراد بأهلك سوا (من كيد كن) أي من جنس مكر كن أيتها النساء
(ان كيد كن عظيم) لان لمن في هذا الباب من الخيل ما لا يكون للرجال ولان كيدهن في هذا الباب
يورث من العار ما لا يورثه كيد الرجال (يوسف أعرض عن هذا) أي يا يوسف أعرض عن ذكر هذه
الواقعة حتى لا ينتشر خبرها ولا يحصل العار العظيم بسببها واكتف فقد ظهر صدقك ونزاهتك (واستغفري)
يا زليخا (لذنبك) الذي صدر عنك أي توب إلى الله تعالى تارميت يوسف به وهو بري منه (انك كنت)
بسبب ذلك (من الخاطئين) في هذا القول الذي لا يليق ب مقام الانبياء وكان العزيز رجلا حليما فاكفى
بهذا القدر من مؤاخذتها وكان قليل الغيرة بل قال في الجحان تربة مصر تقتضي هذا ولهذا لا ينشأ فيها
الاسد ولو دخل فيها يبقى ثم أخذت زليخا بعض النساء بما حصل لها وأمرتهن بالكتم فلم يكتمن بل
أشعن الامر (وقال نسوة في المدينة) أي أشعن الامر في مصر (امرأة العزيز) أي الملك قطف
(تراودفتها عن نفسه) أي وقال جماعة من النساء كن خمساً وهن امرأة صاحب دواب الملك وامرأة
صاحب مجنه وامرأة خبازه وامرأة صاحب مطبخه وامرأة ساقية فتحدثن فيما بينهن وقلن امرأة العزيز
تراودعبدها الكنعاني عن نفسه وهو يمتنع منها (قد شغفها حبا) أي قد شق فتها شغاف قلبها من
جهة الحب وقرأ جماعة من العصاة والتابعين شغفها بالعين المهملة أي قد أحرقت حبا فتها حجاب قلبها
والمعنى ان اشتغالها بحبه صار حجاباً بينها وبين كل ما سوى هذه المحبة فلا يخطر ببالها الا هو (انال تراها في
ضلال مبين) أي انانعلمها في ضلال واضح عن طريق الرشيد بسبب حباهاياه (فلما سمعت بكمهه) أي
قولهن المستدعي لنظرهن إلى وجه يوسف (أرسلت اليهن) أي أرادت اظهار عذرهما فأتخذت مأدبة
ودعت أربعين امرأة من أشراف مدينتها فيهن الخمس المذكورات (وأعادت) أي أحضرت (لهن
متكاً) أي وسائد يتكأن عليها هذا ان قرأت مشددة فان قرأت مخففة فعنها الترجمة فانهم كانوا
يتكئون على المسائد عند الطعام والشراب والحديث على عادة المتكبرين ولذلك جاء النهي عنه في
الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكاً (وأنت) أي أعطت (كل واحدة منهن سكيناً)

لاجل أكل الفاكهة واللحم لانهم كانوا لا يأكلون من اللحم الا ما يقطعون بسكاكينهم (وقالت) أي زليخا
 ليوسف وهن مشغولات بأعمال الخناجر في الطعام (أخرج عليهن) أي ابرزلهن ومر عليهن فان يوسف
 عليه السلام ما قدر على مخالفتها خوفا منها (فلما رأينه أكبرنه) أي أعظمته وهبته ودهشن عند رؤيته
 من شدة جماله وقيل معنى أكبرن أي حضن والهاء ما للسكت أو ضمير راجع الى يوسف على حذف اللام
 أي حضن له من شدة الشبق وأيضا ان المرأة اذا فرغت فرجا أسقطت ولدها لهاضت ويقال أكبرت المرأة
 أي دخلت في الكبر وذلك اذا حاضت لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر (وقطعن أيديهن)
 أي جرحن أيديهن حتى سال الدم ولم يجدن الألم لغرط دهشتهم وشغل قلوبهن بيوسف (وقلن حاش لله)
 أي تنزيها لله تعالى من العجز حيث قدر على خلق جميل مثل هذا (ما هذا بشرا) أي ليس يوسف آدميا
 وقرأ ابن مسعود ما هذا بشر بالرفع وقرئ ما هذا بشري أي ما هو بعبد مخلوق للبشر حاصل بشرا (ان هذا
 الا ملك كريم) على الله فانه قد ثبت في العقول انه لا شيء أحسن من الملك كما ثبت فيها أن لا شيء أقبح من
 الشيطان وقيل ان النسوة لما رأين يوسف لم يلتفت اليهن البتة ورأين عليه هيبة النبوة والرسالة وسميا
 الطهارة قلن انما رأينا فيه أثرا من آثار الشهوة ولا صفة من الانسانية فهذا قد تطهر عن جميع الصفات
 المغرورة في البشر وقد ترقى عن حد الانسانية ودخل في الملكية (قالت) أي زليخا لهن (فذلكن
 الذي لمتني فيه) أي فهذا الذي ترينه هو ذلك العبد الكنعاني الذي عيبتني في الافتتان به قبل أن
 تتصوره حق تصوره ولو حصلت صورته في خيالك لتركته هذه الملامة (ولقد راودته عن نفسه)
 حسبما سمعتن وقلتن (فاستعصم) أي فامتنع عني بالعفة (ولئن لم يفعل ما أمره) أي ان لم يفعل
 يوسف مقتضى أمرى اياه من قضاء شهوتي (ليسجنن) أي ليعاقبن بالحبس (وليكونن من الصاغرين)
 أي من الذليلين في السجن فقلن ليوسف أطع مولاتك (قال) أي يوسف مناجيا لربه عز وجل (رب
 السجن أحب الي) أي يارب دخول السجن أحب عندي (عما يدعونني اليه) من مواتها التي تؤدي
 الى الشقاء والعذاب الاليم (ولا تصرف عني كيدهن) بالثبوت على العصمة فان كل واحدة منهن
 كانت ترغب يوسف على موافقة زليخا وتخوفه على مخالفتها (أصب اليهن) أي أمل الى اجابتهن على قضية
 الطبيعة البشرية وركم القوة الشهوية (وأكن من الجاهلين) أي وأصر من الذين لا يعلمون بعلمهم
 (فاستجاب له ربه) دعاء الذي في ضمن قوله ولا تصرف عني الخ فان فيه التجاء الى الله تعالى جريا على
 سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات وطلب النجاة من الشرور على جناب الله تعالى كقول
 المستغيث أدركني والأهالك (فصرف عنه كيدهن) حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة حتى
 وطن نفسه على مشقة السجن (انه هو السميع) لدعاء المتضرعين اليه (العليم) للنيات فيجب
 ما طاب منه العزم (ثم بداهم من بعد ما رآوا الآيات) أي ثم ظهر للعزير وأصحابه المشاركون له في الرأي
 من بعد ما رآوا الشواهد الدالة على براءة يوسف عليه السلام كشهادة الصبي وقد القميص من دبر وقطع
 النساء أيديهن مجننه عليه السلام قائلين والله (ليسجننه حتى حين) أي الى انقطاع مقالة الناس في
 المدينة فان زليخا لما أيست من يوسف بجميع حيلها كي تحمله على موافقة مرادها قالت لزوجه ان
 هذا العبد العبراني فضحني في الناس يقول لهم اني راودته عن نفسه فاما ان تأذن لي فأخرج وأعذر اليهم
 واما أن تسجننه فمجننه (ودخل معه السجن فتيان) أي عبدان الملك مصر الكبير وهو الريان بن ازيد
 العمليق مهي أحدهما وهو صاحب شرابه سرهم وسهي الآخر وهو صاحب مطبخه برهم وقيل اسم الاول

مرطش والتأتى رأسان وسبب مجنهما ان جماعة من أهل مصر أرادوا قتل الملك فجعلوا الهمارشوة على
 ان يسهل الملك في طعامه وشرابه فأجاباهم الى ذلك ثم ان الساقى ندم ورجع عن ذلك وقبل الحجاز الرشوة
 وسم الطعام فلما حضر الخبز بين يدي الملك قال الساقى لا تأكل أيها الملك فان الخبز مسموم وقال الحجاز
 لا تشرب أيها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من
 الطعام فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فأمر بحبسهم ما فاتفق انهم ادخلوا مع يوسف فلما دخل
 السجن جعل ينشر علمه ويقول انى أعبر الاحلام (قال أحدهما) وهو صاحب شراب الملك (انى أرانى
 أعصر خمر) أى انى رأيت نفسى أعصر عنبا واسقى الملك (وقال الآخر) وهو الخباز (انى أرانى)
 (أحمل فوق رأسمى خبزاً كل الطير منه نبشاً بة أو يله) أى اخبرنا بتفسير رؤيانا (انا
 نراك من المحسنين) أى من العالمين بتفسير الرؤيا ومن المحسنين الى أهل السجن فيسليهم ويقول اصبروا
 وابشروا توأجر وافقوا وبارك الله فيك يافتى ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فمن
 أنت يافتى فقال أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله امحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب
 السجن يافتى والله لو استطعت خلعت سبيلك ولكنى أحسن جوارك واخترت بيوت السجن شئت أى
 ان الساقى قال لسيدنا يوسف أيها العالم انى رأيت فى المنام كائى فى بستان وفيه شجرة عنب فيها ثلاثة
 أغصان وعليها ثلاثة عناقيد من العنب فجنيتها وكان كأس الملك فى يدي فعصرتهم واسقيت الملك فشربه
 وقال الخباز انى رأيت فى المنام كائى أخرج من مطبخ الملك وعلى رأسمى ثلاث سلال من الخبز فوقع طير
 على أعلاها وأكل منها ولما قصص عليه الرؤيا كره ان يعبرها لهما حين سألوه لما علم ما فيها من المكر وه
 لاحدهما فأعرض عن سؤالهما وأخذ فى غيره من اظهار المهجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد دلانه علم ان
 أحدهما هالك فأراد ان يدخله فى الاسلام فبدأ باظهار المهجزة لهذا السبب (قال لا يأتىكم طعام ترزقانه
 الانبأتم كما بتأويله) أى لا يأتىكم طعام ترزقانه فى منزل كما على حسب عادتكما المطردة الا أخبرتك بعاقبته
 فهو يفيد أحمدة أو السقم وبلون وجنسه (قبل أن يأتىكم) وكيف لا أعلم تعبير رؤيا كما وهذا راجع الى ان
 يوسف ادعى الاخبار عن الغيب وهو يجرى مجرى قول عيسى وابشركم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم
 (ذلك) أى هذا التأويل والاخبار بالمغيبات (عما علمنى ربي) بالوحى والالهام لا على جهة الكهانة
 والنجوم (انى تركت مسلة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) أى انى امتنعت عن دين قوم
 لا يؤمنون بالله وبالبعث بعد الموت (واتبعت مسلة آبائى ابراهيم وامحق ويعقوب) وانما قال يوسف
 ذلك ترغيباً له احميه فى الايمان والتوحيد وتنفر الهما عما كانا عليه من الشرك والضلال (ما كان)
 أى لا يصح (لنا) معاشر الانبياء (أن نشرك بالله من شئ) أى أى شئ كان من ملك أو جنى أو انسى
 فضلا عن ان نشرك به صمنا لا يسمع ولا يبصر (ذلك) أى التوحيد الذى هو ترك الاشراك (من فضل
 الله علينا) بالوحى (وعلى الناس) بارسالنا اليهم (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى
 لا يوحّدون الله تعالى (يا صاحبي السجن) أى يا صاحبي فى السجن أو ياساكنى السجن كما قيل
 لسكان الجنة أصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) أى مختلفون فى الكبر والصغر واللون من ذهب وفضة
 وحديد وصغرو خشب وحجارة وغير ذلك (خير) لك (أم الله الواحد القهار) أى هذه الاصنام معمولة
 ومقهورة فان الانسان اذا أراد كسرهما قدر عليها فهى مقهورة ولا ينتظر حصول منفعة من جهتها واله
 العالم فعال قهار قادر على ايصال الخيرات وودفع الآفات والمراد عبادة آلهة شتى مقهورة خيراً أم عبادة

الله المتوحد بالانوهية الغالب على خلقه ولا يغالب خيره (ما تعبدون من دونه) أى من غير الله شيئاً (الا
أسماء سميتوها أنتم وآبائكم) أى الاذوات أو جدم وآبائكم لها أسماء آلهة بمحض ضلالكم
(ما أنزل الله بها) أى بتلك التسمية المتبعة للعبادة (مر سلطان) أى من حجة تدل على صحتها وتحقيق
مسمياتها في تلك الذوات فكأنكم لا تعبدون الا الأسماء المجردة عن الذوات والمعنى انكم مهيتم ما لم يدل
على استحقاها الألوهية عقل ولا نقل آلهة ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها (ان الحكم الا لله)
أى ليس الحكم فى أمر العبادة الا لله فليس لغير الله حكم واجب القبول ولا أمر واجب الالتزام (أمر)
على السنة الانبياء عليهم السلام (أن لا تعبدوا الاياه) لان العبادة نهاية التعظيم فلا تليق الا بـ
حصل منه نهاية الانعام وهو الله تعالى لان منه الخلق والاحياء والزق والهداية ونعم الله كثيرة وجهات
احسانه الى الخلق غير متناهية (ذلك) أى تخصيصه تعالى بالعبادة (الدين القيم) أى الذى تعاضدت
عليه البراهين عقلاً ونقلاً (واكن أكثر الناس لا يعلمون) ان ذلك هو الدين المستقيم لجهلهم بتلك
البراهين ولما فرغ سيدنا يوسف من الدعاء الى عبادة الله تعالى رجع الى تعبير رؤياهما فقال (يا صاحبي
السجن أما أحدكم) وهو الشراي (فيسق ربه) أى سيده (خمر أو ما آخر) وهو الخباز (فيصلب
فتأكل الطير من رأسه) روى ان الساقى لما قص رؤياه على يوسف قال له ما أحسن ما رأيت أما الكرم
فهو العمل الذى كنت فيه وأما العنب فهو عزك فى ذلك العمل وأما الاغصان الثلاثة فتلاثة أيام وجه
الملك عند انقضائهم وأما العنب الذى عصرت وناولت الملك فهو ان يردك الى هلك فتصير كما كنت
بل أحسن ولما قص الخباز رؤياه على يوسف قال له بشما رأيت أما خروجه من المطبخ فهو ان تخرج
من هلك وأما ثلاث سلال فهي ثلاثة أيام تكون فى السجن وأما كل الطير من رأسك فهو ان يخرجك
الملك بعد ثلاثة أيام ويصليك وتأكل الطير من رأسك ففرع التعبير رؤيا الخباز وقال جميعاً ما رأينا شيئاً
انما كنا نلعب فقال لهما يوسف (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) أى ثم الامر الذى تسألان عنه
رأيتما ولم ترافكما فلتما وقلت لكما كذلك يكون (وقال) أى يوسف عليه السلام (لذى ظن أنه
ناج) أى للرجل الذى ظنه ناجياً من القتل (منهما) أى من صاحبيه وهو الساقى (اذكرنى عند
ربك) أى عند سيدك الملك الكبير فقل له ان فى السجن غلاماً يحبس ظمأ خمس سنين (فأنساه
الشیطان ذكره) أى أنسى الشيطان يوسف ذكره ليوسف عند الملك ويقال فأنسى
الشیطان يوسف ان يذكره حتى طلب الفرج من مخلوق مثله وذلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام
فان الاستعانة بالناس فى دفع الظلم جائرة فى الشر يعة الا ان حسنات الابرار سيئات المقربين فالاولى
بالصديقين ان لا يشتغلوا بالاسباب ولذلك جوزى يوسف بسنتين فى الحبس كما قال تعالى (فلبث)
أى يوسف (فى السجن) بسبب ذلك القول (بضع سنين) أى سبع سنين خمس منها قبل ذلك القول
وتنتان بعده هذا هو الصحيح (وقال الملك) الى ان بن الوليد (انى أرى) أى رأيت فى منامى (سبع
بقرات معان) قد خرجن من النهر ثم خرج منه بعدهن سبع بقرات مهازيل (ياكلهن سبع عجاف)
أى ابتلعت العجاف السمان ودخلن فى بطونهن ولم يتبين على العجاف شئ منهن (و) انى أرى (سبع
سنبلات خضر) أى قد انعقد حباها (وأخر) أى وسبعاء آخر (يابسات) أى قد بلغت أو ان الحصد فالتوت
اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرهن شئ فقلق الملك لما رأى الناقص الضعيف
قد استولى على القوى الكامل حتى غلبه لجمع مهرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى فى منامه

وسألهم عن تأويلها فأعجزهم الله تعالى عن تأويل هذه الرؤيا ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف من السجن فهذا هو قوله (يا أيها الملأ) أي السحرة والسكينة والمعبرون للرؤيا (أفتتوني في رؤياي) أي بينوا لي تعبيري رؤياي هذه (ان كنتم للرؤيا تعبرون) أي ان كنتم تعلمون بانتقال الرؤيا من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثاتها (قالوا) أي أشراف العلماء والحكماء (أضغاث أحلام) أي هذه الرؤيا مختلطة من أشياء كثيرة لا حقيقة لها (وما نحن بتأويل الاحلام) أي المنامات الباطلة التي لا أصل لها (بعالمين) أي لأنه لا تأويل لها وانما التأويل للرؤيا الصادقة (وقال الذي نجى منهما) أي الذي خلاص من السجن من صاحبي يوسف بعد ان جلس بين يدي الملك أي قال الشرايبي للملك ان في الحبس رجلا فاضلا صالحا كثير العلم كثير الطاعة قصصت أنا والحجاب عليه منامين فذكر تأويلهما فصدق في الكل وما أخطأ في حرف فان أذنت مضيت اليه وجئت بك بالجواب (وادكر بعد أمة) أي تذكر الشرايبي يوسف بعد مدة طويلة وقرأ الاشهب العقيلي بعد مدة بكسر الهمزة أي بعدما أنعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمة بفتح الهمزة والميم ثم بالهاء أي بعد نسيان (أنا أنموؤم بتأويله) أي أنا أخبرك أيها الملك بتعبيري رؤياك (فأرسلون) الى السجن فأرسله اليه فأتى يوسف فقال له (يوسف أيها الصديق) أي البالغ في الصدق (أفتتنا) أي بين لنا (في سبع بقرات سمان يا كلهن سبع) من البقر (عجافو) في (سبع سنبلات خضرو) في سبع (آخر) من السنابل (يابسات) أي في رؤياك رآها الملك (لعلي أرجع الى الناس) أي أعود الى الملك وجماعته بفتواك (اعلمهم يعلمون) فضلك وعلمك فان الساقى علم عجز سائر المعبرين عن جواب هذه المسئلة تخاف ان يعجز يوسف عنه أيضا (قال تزرعون سبع سنين دأبا) أي متتابعة على عادتك في الزراعة (فاحصدتم) من الزرع في كل سنة (فذروه في سنبله) أي كوافره ولا تدوسوه لئلا يقع فيه السوس فان ذلك أبقى له على طول الزمان (الا قليلا عما تأكلون) أي الا كل ما أردتم أكله فدوسوه في تلك السنين وهذا تأويل السبع السمان والسبع الخضر (ثم يأتي من بعد ذلك) أي من بعد السبع سنين المحصبة (سبع شداد) أي سبع سنين قحطة صعبة على الناس وهذا تأويل السبع الهجاف والسبع اليابسات (يا كلن ما قدمتم لهن) أي تأكلون الحب المزروع وقت السنين المحصبة المتروكة في سنبله في السنين المجذبة (الا قليلا عما تحصدون) أي تدخرون للبذر فكل ما جمع أيام السنين المحصبة في السنين المجذبة تأويل ابتلاع الهجاف السمان (ثم يأتي من بعد ذلك) أي من بعد السنين المجذبة (عام فيه يغال الناس) أي ينقذ الناس من كرب الجذب (وفيه يعصرون) ما من عادته أن يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرة ما وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وقيل معناه يعطرون وقيل معناه ينجون من الشدة وعلى هذين يقرأ بالبنا للفعول وهذا من مدلولات المنام لانه لما كانت الهجاف سبعة ذلك على أن السنين المجذبة لا تزيد على هذا العدد فالخاصل بعده هو الخصب على العادة الالهية حيث يوسع الله على عباده بعد تضييقه عليهم فلما رجع الشرايبي الى الملك وأخبره بما ذكره يوسف استحسنته الملك (وقال الملك اتتوني به) أي بيوسف لما علم من فضله وعمله فرجع الساقى الى يوسف (فلما جاءه) أي يوسف (الرسول) وقال له أجب الملك (قال) أي يوسف له (ارجع الى ربك) أي الى سيدك الملك الكبير (فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) أي فأسأل الملك بأن يفتش عن شأن تلك النسوة ليعلم براءتي عن تلك التهمة وانما لم يخرج يوسف من

السجين في الحال لانه لو خرج قبل ظهور براءته من تلك التهمة عند الملك فلم يعا بقدر الحاسد على أن يتوسل الى الطعن فيه بعد خروجه (ان رب) أي سيدي ومربي وهو ذلك الملك (بكيدهن) أي بكرهن (عليم) فلما أبي يوسف أن يخرج من السجن قبل تبين الامر جمع الرسول الى الملك فأخبره بما قال يوسف عليه السلام فأمر الملك بإحضارهن وكانت زليخا معهن (قال) أي الملك مخاطبا لهن لأن كل واحدة منهن راودت يوسف لأجل امرأة العزيز بقولها ليوسف أطعم مولاتك (ما خطبك) أي ما شأنك (اذ راودتن يوسف عن نفسه) أي خادعتنه هل وجدت في نفسه ميلا الى قولك كن (قلن حاش لله) أي تنزيهاه (ما علمنا عليه) أي يوسف (من سوء) أي من خيانة في شيء من الاشياء (قالت امرأة العزيز الآن حص الحق) أي الآن تبين الحق ليوسف (أنا راودته عن نفسه) أي أنا دعوته الى نفسي (وانه لمن الصادقين) أي في قوله حين افتريت عليه هي راودتني عن نفسي وانما أقرت زليخا بذنبها وأشهدت لبراءة يوسف عن الذنب مكافأة على فعل يوسف حيث ترك ذكرها وقال ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن مع أن الفتن كلها اغا نشأت من جهتها وقد عرفت أن ذلك لرعاية حقها ولتعتيمها ولا خفاء الامر عليها فجاء الرسول الى يوسف فأخبره بجواب النسوة وبقول زليخا فقال يوسف وهو في السجن (ذلك) أي الذي فعلت من ردى الرسول لطلب البراءة انما كان (ليعلم) أي الملك الصغير الذي هو قبطير زوج زليخا (أن لم أخنه) في حرمة كزعمه (بالغيب) أي وأنا غائب عنه أو هو غائب عني (و) ليعلم (أن الله لا يهدي كيدا الخائنين) أي لا ينفذ ذنبه ولو كنت خائنا لما خلصني الله تعالى من هذه الورطة (وما أبرئ نفسي) أي والحال أني لم أقصد بذلك تنزيه نفسي من الزلل وبراءته منه (ان النفس البشرية) (لامارة بالسوء) أي ميالة الى القبايح راغبة في المعصية ولما كان قوله ذلك ليعلم اني لم أخنه جاريا مجرى مدح النفس استدركه بقوله وما أبرئ نفسي أي لا أمدحها (الامارحم ربي) أي الاتفسا عصفه ربي من الوقوع في المهالك (ان ربي غفور) اللهم الذي هممت به (رحيم) لمن تاب وهذا ما عليه أكثر المفسرين وقال بعضهم من اسم الإشارة الى هنا من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليوسف اني لم أخنه بالغيب أي اني لم أقول في يوسف وهو في السجن خلاف الحق فان وان أحلت الذنب عليه عند حضوره ما أحلت الذنب عليه عند غيبته وأن الله لا يهدي كيدا الخائنين أي لا يرضاه فان لما أقدمت على المكر لاشك في افتضحت وأن يوسف لما كان بريثا من الذنب لاشك في طهره الله عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث راودته وقلت في حقه ما قلت وأودعته في السجن ومقصود زليخا بهذا الكلام الاعتذار عما كان وتنزيه يوسف من الذنب ان كل نفس لامارة بالسوء الانفسار جهما الله بالعصاة كنفس يوسف عليه السلام ان ربي غفور رحيم استغفر من ذنبه رحيم له فعلى هذا يكون تأنيبه عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاه ملاقات الملك حتى يتبين أنه انما هجن بظلم عظيم مع ماله من نباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق به من الاجلال وقد حصل ذلك (وقال الملك) أي الكبير وعوالريان (اثبتوني به) أي بيوسف (استخلصه من نفسي) أي اجمع له خاصي دون العزيز روى أن الرسول قال ليوسف عليه السلام قم الى الملك متنظفا من درن السجن بالثياب النظيفة والهيئة الحسنة فكتب على باب السجن هذه منازل الباوي وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء فلما أراد الدخول على الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم دخل على الملك فسلم عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسماعيل ثم دعا له

بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان قال هذا لسان آباءى وكان الملك يتكلم بسبعين لغة ولم يعرف هذين
اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجابه يوسف به وزاد عليه بالعربية والعبرانية وروى أنه لما رآه
الملك شابا وهو في ذلك الوقت ابن ثلاثين سنة قال للشرايى أهذا هو الذى علم تأويل رؤى بى قال نعم فأقبل
على يوسف وقال انى أحب أن أسمع تأويل الرؤى يا منك شفاها فأجاب بذلك الجواب شفاها وشهد قلبه
بصحته فذلك قوله تعالى (فلما كلمه) أى كلم الملك يوسف (قال) أى الملك (أنك اليوم لدينامكين)
أى ذو منزلة رفيعة (آمين) أى ذوامانة على كل شئ فماترى أيها الصديق (قال) أرى أن تزرع
في هذه السنين المحصبة تزرعا كثيرا وتبنى الخزائن وتجمع فيها الطعام فإذا جاءت السنون المجدة بعنا
الغلات فيحصل هذا الطريق مال عظيم فقال الملك ومن لى بهذا الشغل فقال يوسف (اجعلنى على خزائن
الارض) أى ولنى أمر خزائن أرض مصر (انى حفيظ) لما وليتني ولجميع مصالح الناس (عليهم)
بوجوه التصرف في الاموال وبجميع السن الغريبة الذين يأتوننى وفي هذا دليل على جواز طلب الولاية
إذا كان الطالب عن يقين على إقامة العدل وان كان الطلب من يد الكافر (وكذلك) أى مثل ذلك
الانعام الذى أنعمنا عليه من تقرر بنا يا من قلب الملك وانجائنا يا من غم الحبس (مكنا يوسف في
الارض) أى أقدرناه على ما يريد برفع الموانع في أرض مصر (يتبوا منها حيث يشاء) أى نازلنا في أى
موضع يريد يوسف من بلادها روى أنها كانت أربعين فرسخا في أربعين فرسخا وقرأ ابن كثير نشأه
بالنون مسندا الى الله تعالى روى أنه لما تمت السنة من يوم سأل يوسف الأمانة دعاها الملك فتوجه وأخرج
خاتم الملك وجعله في أصبعه وقلده بسيفه وجعل له ممريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون
دراعا وعرضه عشرة أذرع عليه ستون فراسا وضرب له عليه حلقة من استبرق فقال يوسف عليه السلام
أما السرير فأشده ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لبامى ولا لباس آباءى فقال
الملك قد وضعته اجلالا لك واقرا رايه فضلك وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى
الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت له الملوك وفوض الملك
الاكبر اليه ملكه وأمر مصر بعزل قطيعهما كان عليه وجعل يوسف مكانه ومات قطيع بعد ذلك
فزوجه عليه السلام الملك امرأته زليخا فلما دخل يوسف عليها قال لها أليس هذا خيرا عما كنت تريد
قالت له أيها الصديق لا تلمنى فاني كنت امرأة حسنة ناعمة كما ترى وكان صاحبي لا يأتى النساء وكنت
كما جعلك الله في حسنك وهيئت لك فغلبتني نفسي وعصمت الله فأصابها يوسف فوجدها عذراء فولدت له
ذكرين أفرايم وميشافا استولى يوسف ملك مصر وأقام فيهما العدل وأجبه الرجال والنساء وأسلم على يديه
الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سنى القحط الطعام في السنة الاولى بالدنانير والدرهم وفي
الثانية بالخل والجواهر وفي الثالثة بالدواب وفي الرابعة بالجوارى والعبيد وفي الخامسة بالضياع
والعقار وفي السادسة باولادهم وفي السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبد الله عليه
السلام فقال أهل مصر ما رأينا كاليوم ملكا أجلا وأعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع
الله بى فيما خولنى فماترى في هؤلاء قال الملك اراى رأيك ونحن لك تبسع قال فاني أشهد الله وأشهدك انى
قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان يوسف لا يبيع من أحد من המתارين
أكثر من حمل بعير تقسطين الناس ومات الملك في حياة يوسف (نصيب برحمتنا) أى بعطائنا في
الدنيا من الملك والعنى وغيرهما من النعم (من نشأ) من عبادنا (ولا تضيع أبرا المحسنين) لان

اضاعة الاجراما تكون للجهل أو للجهل والكل محتج في حق الله تعالى فكانت الاضاعة محتجة
(ولا جبر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) أي ولا جبر المحسنين وهم الذين آمنوا بالله والكتب
والرسل واتقوا الفواحش في الآخرة خير لهم والمراد أن يوسف وإن كان قد وصل إلى الدرجات الرفيعة في
الدنيا فتوا به الذي أعده الله له في الآخرة أفضل وأكمل وقد ثبت أن الله تعالى شهد بأن يوسف عليه
السلام كان من المتقين ومن المحسنين ومن المخلصين (وجاء اخوة يوسف) إلى مصر وهم عشرة ليعتاروا
أي لما وصل القحط إلى البلدة التي يسكنها يعقوب عليه السلام وهي تغور الشام من أرض فلسطين قال
لبنيه ان مصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا اليه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام
فخرجوا غير بنيامين حتى قدموا مصر (فدخلوا عليه) أي إلى يوسف وهو في مجلس ولايته
(فعرّفهم) بأول نظرة نظر اليهم لقوة فهمه (وهم له منكرون) أي والحال انهم لا يعرفونه لطول المدة
فبين أن القوم في الحب ودخلهم عليه أربعون سنة ولا نهم رأوا جالساً على سرير الملك وعليه ثياب حرير
وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فكاموا بالعبرانية فقال لهم من أنتم وأي شيء أقدمكم
بلادي فقالوا قد مننا لاخذ الميرة ونحن قوم رحاة من أهل الشام أصابنا الجهد فقال لعلكم عيون تطلعون على
عوراتنا وتخبرون بها أعداءنا فقالوا معاذ الله قال من أين أنتم قالوا من بلاد كنعان نحن اخوة بنو أب
واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من أنبياء الله اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كذا اثني عشر فهلك منا
واحد فقال كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فإين الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به عن الهالك لأنه أخوه
الشقيق قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيوناً وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاذغربة لا يعرفنا فيها أحد
فيشهد لنا قال فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين فأنا أكتفي بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن
لفراقه قال فاتركوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتوني به فاقتربوا فبينا بينهم فأصاب القردة شمعون وكان
أحسنهم رأياً في يوسف في أمر الحب فتركوه عنده فأمر بائزاهم وأكرامهم (ولما جهزهم بجهازهم)
أي فلما أقر يوسف ابليهم بالميرة وأصلحهم بالزاد وما يحتاج اليه المسافر (قال اتوني بأخ لكم من أبيكم)
اذا رجعت لئمتار وامرة أخرى لأعلم صدقكم فيما قلتم ان لنا أخاً من أبينا عند أبينا (الأترون أبي أوف
الكيل) أي أتمه وأز يدكم حمل بعير آخر لا جل أخيكم وحمل آخر لا بيكم لانهم قالوا ان لنا أباً شيخاً
كبيراً وأخاً آخر بقي معه لان يوسف لا يزيد لاحد من حمل بعير (وأنا خير المنزلين) أي خير المضيفين
فانه عليه السلام كان قد أحسن ضيافتهم مدة إقامتهم عنده (فإن لم تأتوني به) أي بأخيكم من أبيكم اذ
عدتم مرة أخرى (فلا كيل لكم عندى) أي فلا طعام لكم يكال عندى (ولا تقر بوا) أي
لا تدخلوا بلادي فضلاً عن وصولكم إلى (قاراسترا ودعنه أباه) أي سنطلبه من أبيه ونحتال على ان
ننزع من يده (وانا لفاعلون) ما أمرتنا به من أن نجيشك بأخينا فانهم كانوا محتاجين إلى تحصيل الطعام
ولا يمكن الامن عنده (وقال لفتياناه) أي لخدمته الكيانيين وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن
عاصم لفتياناه بالالف والنون والباءون لفتيته بالتاء من غير ألف (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أي
دسوا دراهمهم التي اشتروا بها الطعام في أوعيتهم التي يحملون فيها الطعام (اعلمهم يعرفونها) أي لكي
يعرفوا بضاعتهم (إذا انقلبوا إلى أهلهم) أي اذا رجعوا إلى أبيهم وفرغوا أوعيتهم (لعلهم يرجعون)
أي لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع اليها لانهم ادعوا وان ذلك من سخاه يوسف بعثهم على العود
عليه الرغبة في معاملته وأيضاً ان سيدنا يوسف يخاف من ان لا يكون عند أبيه من الدراهم ما يرجعون به

مرة أخرى (المارجعوا) أى اخوة يوسف غير شمعون (الى أبيهم) بكنعان (قالوا) قبل أن
يشتغلوا بفتح المتاع (يا أبا نافع من الكيل) أى حكم العزيز بمنع الطعام بعد هذه المرة ان لم يذهب معنا
بنيامن اليه (فأرسل معنا أخانا) بنيامين الى مصر وقال يعقوب أين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر
وأخبروه بالقصة (نكتل) أى نرفع المانع من الكيل بسببه ونكتل بسببه من الطعام مانشا وقرأ
حمزة والكسائي يكتل بالياء أى يكتل أخونا بنفسه مع أكتيلنا (واناله لحافظون) من أن يصيبه
مكروه وضامنون برده اليك (قال هل أمسكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) أى قال لهم
يعقوب كيف أمسكم على بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتتم مثل هذا الكلام بعينه
في يوسف رخصتم لي حفظه فما فعلتم فلما لم يحصل الامن والحفظ هناك فكيف يحصل ههنا وانما أقوض
الامر الى الله (فالتة خير حافظا) منكم قرأ حفص وحمزة والكسائي بفتح الحاء وبالف بعد هاء على
التخفيف أى حفظ الله لبنيامين خير من حفظكم وقرأ الباقون حفظا بكثرا الحاء وسكون الفاء وقرأ الهمش
فالتة خير حافظ وقرأ أبو هريرة خبر الحافظين (وهو أرحم الراحمين) وهو أرحم به من والديه ومن اخوته
وقيل ان يعقوب لما ذكر يوسف قال فالتة خير حافظا الخ أى حفظا ليوسف لانه كان يعلم أن يوسف حي
(ولما فتحوا متاعهم) أى أوعيتهم التي وضعوا فيها الميرة بحضرة أبيهم (وجدوا بضاعتهم) وهي ثمن الميرة
الذي دفعوه ليوسف (ردت اليهم قالوا يا أبا نافع) أى ما نكذب بما قلنا من اننا قدمنا على خير رجل
انزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة أو المعنى أى شيء نريد من أكرام الملك (هذه بضاعتنا ردت اليك) هل من
مريد على ذلك فقد أحسن الملك مثوانا وباع مناررد علينا متاعنا فلا نطلب وراء ذلك احسانا وقيل المعنى
نحن لا نطلب منك يا أبا نافعندرجوعنا الى الملك بضاعة أخرى فان هذه التي ردت اليك كافية لنا في ثمن
الطعام (وغير أهلنا) أى نأتى بالطعام الى أهلنا بارجوعنا الى ذلك الملك بتلك البضاعة وهذا معطوف
على محذوف والتقدير فنستعين بهذه البضاعة وغير أهلنا (ونحفظ أخانا) بنيامين من المسكاره في الذهاب
والاياب (وزداد) بسببه (كيل بعير) أى وقر بعيره (ذلك كيل يسير) أى ذلك الحمل الذي
زداده كيل قليل على الملك لانه قد أحسن الينا وأكرمنا بأكثر من ذلك ويقال ذلك الذي نطلب منك أمر
يسير (قال) لهم أبوهم (ان أرسله) أى بنيامين (معكم حتى تؤتون موثقا من الله) أى حتى
تعطوني عهدا من الله أى حتى يحلفوا بالله (لتأتمني به الا أن يحاط بكم) أى في حال ان تموتوا أو في حال
أن تصيروا مغلوبين فلا تقدر والاثنيان به الى (فلما آتوه موثقهم) أى أعطوا أباهم عهدهم من الله على
رده الى أبيهم فقالوا في حلفهم بالله رب محمد لنا نيك به (قال) أى يعقوب (الله على ما نقول وكيل)
أى شهيد فان وفيتهم بالعهد جازاكم الله بأحسن الجزاء وان غدرتم به كافأكم بأعظم العقوبات (وقال)
ناصحهم لما أزمع على إرسالهم جميعا (يا بني لا تدخلوا) مصر (من باب واحد) من أبوابها الأربعة
(وادخلوا من أبواب متفرقة) انما أمرهم بذلك لانه خاف عليهم العين فانهم كانوا ذوى جمال وشارة
حسنة وكانوا أولاد رجل واحد وقد تجملوا في هذه الكرة أكثر مما في المرة الأولى (وما أغنى عنكم من
الله من شيء) أى لا أدفع عنكم بتدبيرى شيء أعاقضى الله عليكم فان الحذر لا يمنع القدر والانسان
مأمور بان يحذر عن الاشياء المهلكة والاعذية الضارة وان يسعى في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر
الامكان (ان الحكم) أى ما الحكم بالالزام والمنع (الله) وحده (عليه توكلت) أى اليه
وحده فوضت أمري وأمركم (وعليه) دون غيره (فليتوكل المتوكلون) أى فليبتق الوائقون

(ولمادخلوا) أى المدينة (من حيث أمرهم أبوهم) أى من الابواب المتفرقة (ما كان) أى دخولهم متفرقين (يفنى) أى يخرج (عنهم) أى الداخلين (من الله) أى من قضائه (من شئ) الحاجة فى نفس يعقوب قضاها) أى لكن الدحول على صفة التفرق أظهر حاجة فى قلب يعقوب وهى خوفه عليهم من اصابة العين وهذا تصديق الله لقول يعقوب وما أغنى عنكم من الله من شئ (وانه) أى يعقوب (لذو علم لما علمناه) أى لفوائده ما علمناه أى انه طاملا بما علمه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان يعقوب بهذه الصفة والعلم (ولمادخلوا على يوسف) أى فى محل حكمه (أوى اليه أخاه) أى أنزل معه فى منزله أى لما أتى اخوة يوسف بأخيه بنيامين قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وستجدون ذلك عندى فأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحيد فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال يوسف بقى أخوكم فريدا فاجلسه معه على مائدة وجعل يواكله ثم أنزل كل اثنين منهم بيتا فبقي بنيامين وحده وقال هذا لثانى له فاتركوه معى ففهم يوسف اليه وشم ريح أبيه منه حتى أصبح فلما دخل به قال له يوسف ما اسمك وقال بنيامين قال وما بنيامين قال المشكل وهولما ولد هلك أمه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت لاوى قال فهل لك من ولد قال لى عشرة بنين قال فهل لك من أخ لا أمك قال كان لى أخ فهل لك قال يوسف أنتحب ان ~~أكون~~ أخاك بدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وهانقه و(قال انى أنا أخوك فلا تبتئس) أى فلا تحزن (بما كانوا يعملون) أى لا تلتفت الى ما صنعوه فيما تقدم من أعمالهم المنكرة وفيما يعملون بك من الجفاء ويقولون لك من التعيير والاذى قال بنيامين فانا لا أفارقك وقال يوسف قد علمت اغتمام والذى بي فاذا حبستك عندى ازداد نعمة ولا يكفى هذا الا بعد أن أشهرك بأمر فظيع وأنسب لك الى ما لا يحمد قال لا أبالى فافعل ما بدا لك فانى لا أفارقك قال يوسف فانى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليه بالسرقة لاحتال فى ردك بعد اطلاقك معهم قال فافعل ما شئت فذلك قوله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم) أى فلما هياأ يوسف لهم ما يحتاجون للسفر وحمل لهم أحماهم من الطعام على ابلهم (جعل السقاية فى رحل أخيه) أى دس مشربته التى كان يشرب فيها فى وطأ طعام أخيه الشقيق بنيامين ثم أمرهم بالسير ثم أرسل خلفهم عبده (ثم أذن مؤذن) أى نادى مناد مع رفع صوت مرارا كثيرا (أيتها العير) أى يا أصحاب الابل التى عليها الاحمال (انكم لسارقون) وهذا الكلام اما على سبيل الاستفهام واما على قصد المعاريض والمعنى انكم لسارقون ليوسف من أبيه ليكون المنادى من دوحا عن الكذب (قالوا) أى اخوة يوسف (وأقبلوا عليهم) أى والحال انهم التفتوا الى جماعة الملك المؤذن وأصحابه (ماذا تفقدون) أى أى شئ ضاع منكم (قالوا) أى أصحاب الملك (نفقد صواع الملك) أى نطلب اناء الملك الذى كان يشرب فيه ويكيل وانما اتخذ هذا الاناء ميكالا لعزة ما يكال به فى ذلك الوقت قال المؤذن (ولن جاء به) أى بالاناء من عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش (حمل بعير) من الطعام أجرة له (وأنا به) أى بالحمل (زعيم) أى كغيل أو ديه اليه لان الاناء كان من الذهب وقد اتهمنى الملك (قالوا والله لقد علمتم) يا أهل مصر (ما جئنا لنفسد فى الارض) أى أرض مصر بحضرة الناس (وما كنا سارقين) لانه قد ظهر من أحوالهم امتناعهم من التصرف فى أموال الناس بالكلية لا بالاكل ولا بارسال الدواب فى مزارع الناس ولا منهم لما وجدوا بضاعتهم فى رحالهم حملوها من بلادهم الى مصر ولم يستحلوا أخذها (قالوا) أى أصحاب يوسف

(فما جزاؤه) أى فما جزاء سرقة الصواع فى شريعتهم (ان كنتم كاذبين) فى نفي كون الصواع فيكم (قالوا) أى اخوة يوسف (جزاءه من وجد فى رحله) أى جزاء سرقة الصواع هو أخذ الانسان الذى وجد الصواع فى متاعه (فهو جزاؤه) أى فاسترقاق ذلك الشخص سنة هو جزاء سرقة لا غير فافتوا بشريعتهم (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء (نجزى الظالمين) بالسرقه فى ارضنا هذا من بقية كلام اخوة يوسف وقيل من كلام أصحاب يوسف جوابا لقول اخوته ذلك (فبدأ) أى يوسف بعد ما رجعوا اليه (بأرعيتهم) أى بتفتيش وعية الاخوة العشرة (قبل) تفتيش (وهاه أخيه) بنيامين لنفي التهمة روى أنه لما بلغت النبوة الى وراثته قال ما أظن هذا أخذ شيئا فقال اخوة يوسف والله لا نتركك حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا (ثم استخرجها) أى الصواع (من وعاء أخيه) فقال له فرجك الله كما فرجتنى (كذلك كدنا ليوسف) أى كما ألهمنا اخوة يوسف ان جزاء السارق أن يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع فى رحل أخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا بأى شاء الله) أى لم يكن يوسف يأخذ أخاه فى حكم الملك بسبب من الاسباب لا بسبب مشيئة الله وهو حكم أى كان حكم ملائكة مصرى السارق أن يضرب ويغرم مثلى قيمة المسرورق فما كان يوسف قادر على حبس أخيه عند نفسه الا أن الله تعالى كادله ما جرى على لسان اخوته ان جزاء السارق هو الاسترقاق (ترفع درجات من نشاء) وقرأ عاصم وحزرة والكسائى بالتنوين والباقون بالاضافة أى ترفع رتبا كثيرة طالية من العلم من نشاء رفعه (وفوق كل ذى علم عليم) أى ان اخوة يوسف كانوا علماء فضلاء ويوسف كان زائدا عليهم فى العلم فوق كل عالم عالم الى أن ينتهى العلم الى الله تعالى فليس فوقه أحد (قالوا) أى اخوة يوسف تبرئة لانفسهم (ان يسرق) أى بنيامين سقاية الملك (فقد سرق أخ له من قبل) أى قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب من بنيامين فان أخاه الذى هلك كان سارقا أيضا قال سعيد بن جبير كان جد يوسف أبو أمه كافرا يعبد الاوثان فأمرته أمه بأن يسرق تلك الاوثان ويكسرها ففعل عليه بترك عبادة الاوثان ففعل ذلك فهذا هو السرقة (فأسرها) أى اجابتهم (يوسف فى نفسه) أى فى قلبه (ولم يبدها) أى لم يظهر الاجابة (لهم قال) أى يوسف فى نفسه (أنتم شرمكانا) أى منزلة فى السرقة من يوسف حيث سرقتم أباكم من أبيكم (والله أعلم بما تصفون) أى بحقيقة ما تدعون من أمر يوسف هل يوجب عود مذمة اليه أم لا (قالوا) مستعطفين (يا أيها العزيز) أى ملك مصر (ان له) أى بنيامين (أبا شيخا كبيرا) فى السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو يفرح به ان رددناه (نخذأحدا مكاله) أى بدلا منه فى الاسترقاق (انا تركناك من المحسنين) اليها فى حسن الضيافة ورد البضاعة اليها فاعتم احسانك اليها بهذه التهمة (قال معاذ الله) أى نعوذ بالله معاذنا من (أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) لان أخذنا له انما هو بقضية فتواكم (انا اذا) أى ان أخذنا بربنا بجنب (لظالمون) فى مذهبكم وما لنا ذلك ولهذا الكلام معنى باطن وهو ان الله تعالى انما أمرنى بالوحى أن آخذ بنيامين لمصالح يعلمها الله تعالى فلو أخذت غيره كنت عاملا بخلاف الوحى فصرت ظلما لنفسى (فلما استميا سوا منهن) أى من يوسف (خلصوا نجيا) أى تفردوا عن سائر الناس يتناجون (قال كبيرهم) فى السن وهو روبيل أوفى العقل وهو يهوذا ورئيسهم وهو شمعون (ألم تعلموا) يا اخوتاه (أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) فى رد بنيامين اليه (ومن قبل ما فرطتم فى يوسف) فما زيدة والجار والمجرور متعلق بفرطتم أى ومن قبل أخذكم العهد فى شأن بنيامين قصرتم

في شأن يوسف ولم تغفوا بوعدهم على النصح والحفظ له أو مصدرية عطف على مفعول تعلموا أي ألم تعلموا
 أخذ أبيكم عليكم موثقا وتغريبكم السابق في شأن يوسف أو وتركم ميثاقه في حق يوسف
 أو موصولة عطف على مفعول تعلموا أيضا أي ألم تعلموا أخذ أبيكم موثقا والذي قدمتموه في حق يوسف من
 الحيانة العظيمة من قبل تصييركم في بنيامين (فلن أرح الأرض) أي فلن أفارق أرض مصر (حتى
 يأذن لي أبي) في الرجوع إليه (أو يحكم الله لي) بالخروج منها على وجه لا يؤدي إلى نقض الميثاق أو
 بخلاص أخي من يد العزيز بسبب من الأسباب (وهو خير المالكين) لانه لا يحكم إلا بالعدل والحق
 روى أنهم كلوا العزيز في اطلاق بنيامين فقال روبيل أيها الملك لتردن إلينا أخانا أولا صيحين صحيحة لا تنبئ
 بمصر حامل الألق ولدها ووقفت كل شعرة في جسده نخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم إلى جنب
 روبيل فذهب ذلك الابن فسه فسكن غضبه فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وهم أن يصيح
 فركض يوسف عليه السلام على الأرض وأخذ عبلاسه وجذبه فسقط على الأرض وقال له أنتم يا معشر
 العبرانيين ترهون أن لا أحد تشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم وروا أن لا سبيل إلى الخلاص خضعوا ثم قال
 لهم كبيرهم (ارجعوا) يا اخوتي (إلى أبيكم) دوني (فقلوا) له متلفطين بخطابكم (يا أبانا ان
 ابنك مرق) صواع الملك من ذهب (وما شهدنا إلا بما علمنا) أي رأينا ان الصواع استخرجت من وعائه
 (وما كنا للغيب) أي باطن الحال (حافظين) أي ان حقيقة الامر غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه
 إلا الله فلعل الصواع درس في رحله ونحن لا نعلم ذلك (وأسأل القرية التي كنا فيها) أي وأسأل أهل
 قرية من قرى مصر التي كنا فيها (والعير التي أقبلنا فيها) أي وأسأل أصحاب الأبل التي عليها الاحمال
 الذين جئنا معهم وهم قوم من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام (وانا لصادقون) في أقوالنا فرجع
 التسعة إلى أبيهم فقالوا له ما قال كبيرهم (قال) أي يعقوب (بل سؤات لكم أنفسكم أمرا) أي بل
 زينت لكم أنفسكم اخراج بنيامين عنى إلى مصر طلبا للنفقة فعاد من ذلك ضرر (فصبر جميل) أي فعلى
 صبر بلا جزع ولما رجع القوم إلى يعقوب عليه السلام وأخبروه بالواقعة بكى وقال يا بني لا تخرجون من
 عندي مرة الا وانهض بعضكم ذهبتم مرة فتنقص يوسف ومرة ثانية نقص شععون ومرة ثالثة نقص
 روبيل وبنيامين ثم بكى وقال (عسى الله أن ياتيني بهم) أي بيوسف وأخيه الشقيق وأخيه الذي
 توقف في مصر (جميعا) فلا يتخلف منهم أحد وانما قال يعقوب هذه المقالة على سبيل حسن الظن بالله
 تعالى لانه اذا اشتد البلاء كان أمرا عالى الفرج ولانه علم بما جرى عليه وعلى بنيه من وؤى يوسف (انه
 هو العليم) بحالى وحالهم (الحكيم) أي الذى لم يبتلى إلا بالحكمة باللغة (وقولى عنهم) أي وأعرض
 يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين وخرج من بينهم كراهة لسماعهم منهم (وقال يا أسفا) أي يا شدة
 حزنى (على يوسف) أي أشكو إلى الله أسفى ولم يسترجع يعقوب أي لم يقل ان الله وانا إليه راجعون لان
 الاسترجاع خاص بهذه الامة (وابيضت عيناه من الحزن) أي ضعف بصره من كثرة البكاء فان الدمع
 يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها بيضاء من بياض الماء الخارج منها (فهو كظيم) أي عسك على
 حزنه فلا يظهره أو يختلى من الحزن أو ملوه من القبط على أولاده (قالوا) أي الجماعة الذين كانوا في
 الدار من أولاد أولاده وخدمه (تالله تفتؤ تذكر يوسف) أي والله لا ترال تذكر يوسف (حتى
 تكون حرضا) أي فاسدا في جسمك وعقلك (أو تكون من الهالكين) أي من الاموات فسكانهم
 قالوا أنت الآن في بلا شديد ونحناف عليك أن يحصل فيك ما هو أزيد منه وأرادوا بهذا القول منعه عن

كثرة البكا (قال) أي يعقوب لهم (انما أشكو بشي وحزني الى الله) أي لا أذكر الحزن العظيم ولا
 الحزن القليل الا مع الله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي أعلم من رحمته ما لا تعلمون وهو انه تعالى يأتيني
 بالفرج من حيث لا أحسب أي انه يعلم ان رؤيا يوسف صادقة وليعلم أن يوسف حي لان ملك الموت قال ان
 أطلبه ههنا وأشار الى جهة مصر ويعلم ان بنيامين لا يسرق وقد سمع أن الملك ما آذاه وما ضربه فغلب على
 ظنه ان ذلك الملك هو يوسف فن ذلك قال (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) أي استعلموا بعض
 أخبار يوسف وأخيه بنيامين فان حالهما مجهولة وقوة بخلاف حال روبيل (ولا تيأسوا من روح الله)
 أي لا تقنطوا من فرج الله وفضله وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بضم الراء أي من رحمته (انه لا يأس
 من روح الله الا القوم الكافرون) لان اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل الا اذا اعتقد الانسان ان
 الاله غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع المعلومات أو بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر
 فثبت ان اليأس لا يحصل الا لمن كان كافرا أي فقبلوا من أبيهم تلك الوصية فعادوا الى مصر مرة ثالثة
 (فلما دخلوا عليه) أي يوسف (قالوا يا أيها العزيز) أي الملك القادر القوي (مسنأوا ههنا الضر) أي
 أصابنا ومن تركناهم ورائنا الهزال من شدة الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) أي بدراهم رديئة لا تقبل
 في ثمن الطعام وتقبل فيما بين الناس (فأوف لنا الكيل) أي أنعمه لنا كما تتم لنا بالدراهم الجياد (وتصدق
 علينا) بالمساخمة من ما بين الثمين (ان الله يجزي المتصدقين) في الدنيا والآخرة وروى انه لم قالوا
 ذلك وتضرعوا اليه أغرورقت عيناه فعند ذلك (قال) محببنا عرضوا به من طلب رد أخيه بنيامين
 (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) أي ما أعظم ما أتيتهم من أمر يوسف وأخيه من تفريق يوسف من
 أبيه وافراده عن أخيه لأبيه وأمه (اذ أنتم جاهلون) أي حال كونكم جاهلين عقي فعلكم ليوسف
 من خلاصه من الحب وولايته السلطنة (قالوا) أي اخوته (أئنك لانت يوسف) قرأ ابن كثير
 أنك على لفظ الخبر وقرأ نافع أثلك بفتح الالف غير مدودة وبالياء وقرأ أبو هريرة أنك بعد الالف وهو
 رواية قالون عن نافع والباقر أثلك بمزتين وكل ذلك على الاستفهام لانهم فهموا من لحوى كلامه عليه
 السلام أو من ابصار ثناياه وقت تبسمه عند تكلمه بذلك وقال من قرأ على الخبر ان الاخوة لم يعرفوا يوسف
 حتى رفع التاج عن رأسه فقرأوا في فرقه علامة تشبه الشامة البيضاء كما كان يعقوب واسحق مثل ذلك فلما
 عرفوه بتلك العلامة قالوا ذلك (قال) جوابا لسؤالهم (أنا يوسف وهذا) أي بنيامين (أخي) أي شقيق
 (قدم الله علينا) بالجمع بيننا بعد التفرقة وبكل عز ولم يقل عليه السلام في الجواب هو أنا بل صرح
 بالاسم تعظيما لما نزل به عليه السلام من ظلم اخوته وما عوضه الله من النصر والملك فكانه قال أنا يوسف
 الذي ظلمتموني على أعظم الوجوه وأنا العاجز الذي قصدت قتلته والله تعالى أوصلني الى أعظم المناصب
 كما ترون فكان في اظهار الاسم هذه المعاني ولهذا قال وهذا أخي مع انهم كانوا يعرفونه لان مقصوده عليه
 السلام أن يقول وهذا أيضا مظلوم ثم صار هو منعم عليه من الله تعالى كما ترون (انه) أي الشأن والمحدث
 (من يتق) معاصي الله (ويصبر) على أذى الناس والمحن (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) ويقوم
 الظاهر مقام الضمير لا شتماله على النعتين اللذين هما التقوى والصبر (قالوا تالله لقد آثر لك الله) أي
 فضلك الله (علينا) بالعلم والحلم والحسن والعقل والملك (وان كنا) أي وان الشأن كنا (لخاطئين)
 أي لمتعمدين في الاثم فهم اعتذروا منه وتابوا (قال لا تريب عليكم اليوم) خبر بان أي اني حكمت في
 هذا اليوم بان لا تويج مطلقا وتقدير الكلام اليوم حكمت بهذا الحكم العام المتناول لكل الاوقات لان

لا تريب نفى للماهية فيقتضى انتفاء جميعه أفراد الماهية فذلك مفيد للنفي المشتمل لكل الاوقات (يغفر الله لكم) ما كان منكم (وهو أرحم الراحمين) يغفر الصغار والكبار أى لما بين يوسف لهم أنه أزال عنهم ملامة الدنيا بعد اليوم طلب من الله أن يرزى عنهم عقاب الآخرة وروى أن اخوة يوسف لما عرفوه أرسلوا اليه انك تفضلنا في مائدتك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما صدر منا من الاساءة اليك فقال يوسف عليه السلام ان أهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبد ابيع بعشرين درهما ولقد شرفت الآن باتيانكم وعظمت في العيون لما علم الناس انكم اخوتي واتي من حفدة ابراهيم عليه السلام فقال يوسف (اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يأت) الى (بصير او أتوني بأهلكم أجمعين) من النساء والذراى والموالى وكانوا نحو سبعين انسانا وحمل القميص يهوذا وقال أنا حزنته بعمل القميص ملطخا بالدم اليه فأفرحه كما حزنته لحمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهم مسيرة ثمانين فرسخا (ولما فصلت العير) أى خرجت الابل التى عليها الاحمال لاخوة يوسف من العريش وهى قرية بين مصر وكنعان (قال أبوهم) يعقوب بن حضر عنده من أولاد بنيه وقرابته (انى لأجد ريح يوسف) أى انى لاشم ريح الجنة من قيص يوسف (لولا أن تغفدون) أى لولا ان تنسبونى الى الحرف وفساد الرأى من هرم لصدقتمونى والتحقيق أن يقال انه تعالى أوصل تلك الرائحة الى سيدنا يعقوب على سبيل اظهار المعجزات لان وصول الرائحة اليه من المسافة البعيدة ثمانية أيام مثلاً امر مناهض للعادة فيكون معجزته (قالوا) أى الحاضرون عنده (تالله انك لنى ضلالك القديم) أى لنى حبل الاول ليوسف لا تنساه ولا تذهل عنه وكان يوسف عندهم قدمات (فاما أن جاء البشير) وهو يهوذا بالقميص (ألقاه على وجهه) أى ألقى البشير القميص على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) أى فصار يعقوب بصير العظم فرحه (قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف وان دروا صدق وان الله يجمع بيننا (قالوا) اعتذارا عما حصل منهم (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) أى اطلب لنا من الله غفران ذنوبنا (انا كنا خاطئين) أى متعمدين للانتم فى أمر يوسف (قال سوف أستغفر لكم ربى) أى أدعوا لكم ربى ليلة الجمعة وقت السحر (انه هو الغفور الرحيم) فقام الى الصلاة فى وقت السحر فلما فرغ منها رفع يديه وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عليه واغفر لاولادى ما فعلوه فى حق يوسف فأوحى الله تعالى اليه انى قد شغرت لك ولهم أجمعين روى أن يوسف عليه السلام ووجهه الى أبيه جهازا وماتى راحلة مع اخوته لى أتوا بجميع أهله الى مصر وهم يومئذ اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى عليه السلام ست مائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتى ألف فقد بورك فيهم كثيرا حتى بلغوا هذا العدد فى مدة موسى مع أن بينه وبين يوسف أربع مائة سنة فخرج يوسف فى أربعة آلاف من الجند لكل واحد منهم جبة من فضة وراية خروقة صبقر زينت الصحراء بهم واصطفوا صفا واما صعد يعقوب ومعه أولاده وحفدته ونظر الى الصحراء ملوثة بالفرسان مزينة بالالوان فنظر اليهم متعجبا فقال جبريل اقظروا الى الهواء فان الملائكة قد حضرت سرورا يرحبوا بالكل وكانوا باصكين محزونين مدة لاجل ذلك وهاجت الفرسان بعضهم فى بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضربت بالطبول والبوقات فصار اليوم كأنه يوم القيامة وكان دخولهم فى مصر يوم عاشوراء (فلما دخلوا على يوسف) فى محل ضرب فيه يوسف خيامه حين خرج من مصر لتلقى أبيه (أوى اليه أبويه) أى ضم يوسف اليه أباه وخالاته واعتنقهما فان أمه ماتت فى النفاس

بأخيه بنيامين فعني بنيامين بالعبرانية ابن الوجود ولما ماتت أمه تزوج أبوه بخالته فان الزانية تدهى أما
 (وقال) أي يوسف لجميع أهله (ادخلوا مصر) للقامة بها (ان شاء الله آمين) على أنفسكم
 وأموالكم وأهلكم لاتخافون أحدا وكنوا فيسما سلف يخافون ملوك مصر (ورفع أبويه على العرش)
 أي لما نزلوا في مصر أجلس يوسف أباه وخالته معه في السرير الرفيع الذي كان يجلس عليه (وخر واله
 سجدا) أي وخر والله سجدا شكرا لاجل يوسف واجتماعهم به وكان يوسف كالقبلة لهم كما وجدت
 الملائكة لآدم فان الله أمر يعقوب بالسجود لحكمة خفية وذلك لان اخوة يوسف ربما حملهم التكبر عن
 السجود على سبيل التواضع لاعلى سبيل العبادة ويوسف لم يكن راضيا بذلك السجود في قلبه لكن لما علم
 ان الله أمر يعقوب بذلك سكنت ولان يعقوب علم أنهم لم يفلحوا بذلك لظهور الفتر والاحقاد القديمة بعد
 كونها فالسجود لوال الاستعلاء والنفرة عن قلوبهم وذلك جاز في ذلك الزمان فلما جاءت هذه الشريعة
 نهضت هذه الفعلة ويقال كان سجدوا لهم تحيتهم فيما بينهم كهية الكوع نحو فعل الاحاجم (وقال)
 أي يوسف (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) أي هذا السجود تصديق رؤياي الكائنة من قبل
 المصائب التي وقعت فكان يوسف يقول يا أبت لا يليق بمنك على جلالتك في العلم والدين والنبوة أن
 تسجد لولدك الا أن هذا أمر أمرت به فان رؤيا الانبياء حق وذلك قوله تعالى حكاية عن قول يوسف (قد
 جعلها ربي حقا) وكأنه قيل ليعقوب انك كنت دائم الرغبة في وصال يوسف ودائم الحزن بسبب فراقه
 فاذا وجدته فامجد له فكان الامر بذلك السجود من تمام التشديد من الله تعالى على يعقوب عليه السلام
 قال سلمان كان بين رؤياه وتأويلها أربعون عاما (وقد أحسن بي) أي وقد لطف بي بحسنالي (اذ
 أخرجني من السجن) اغماذ كراخراجه من السجن ولم يذكر اخراجه من الحب لثلاثين اخوته ولان
 خروجه من السجن كان سببا لصبر ورته ملاكوا لوصوله الى أبيه واخوته ولوال التهمة عنه وكان ذلك
 من أعظم نعمه تعالى عليه (وجاء بكم من البدو) أي من البادية وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية
 فسكنوا البادية وقال علي بن طلحة أي من فلسطين (من بعد أن زغ الشيطان بيني وبين اخوتي) أي
 من بعد أن أفسد الشيطان بيننا بالحسد (ان ربي لطيف لما يشاء) أي مدبر لما يشاء من خفايا الامور
 فاذا أراد الله حصول شيء سهل أسبابه لمحصل وان كان في غاية البعد عن الحصول عند العقول (انه هو
 العليم) بالوجه الذي يسهل تحصيل ذلك الصعب (الحكيم) أي المحكم في فعله مبرا عن العيب والباطل
 وروى أن يعقوب عليه السلام أقام معه أربعين سنة فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف أن
 يحمل جسده الى الشام ويدفنه عند قبر أبيه امهق فلما مات بمصر حمله يوسف وجعله في تابوت من ساج
 فوافق ذلك موت عيص أخى يعقوب وكان قد ولد في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما مائة
 وسبعة وأربعين سنة فلما دفن يوسف أباه رجع الى مصر وحاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره
 وعلم أن نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله حسن العاقبة فقال (رب قد آتيتني من الملك) أي بعضا منه وهو
 ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) أي بعضا من تعبیر الرؤيا (فاطرا السهوات والارض) أي
 يا خالقهما (أنت وليي) أي أنت الذي تتولى اصلاح جميع مهماتي (في الدنيا والآخرة توفني مسلما)
 دعا يوسف بذلك مع علمه بأن كل نبي لا يموت الا مسلما اظهرا لعبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب
 سعادة الخاتمة وتعليم الغير والمطلوب ههنا كمال حال المسلم وهو أن يستسلم لحكم الله تعالى على وجه يستقر
 قلبه على ذلك المستسلام ويرضى بقضاء الله وقدره ويكون مطمئن النفس منشرح الصدر منفتح القلب

في ذلك وهذه الحالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر (والحقني بالصالحين) أي بآبائي المرسلين
 ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب في ثوابهم ودرجاتهم في الجنة ولد ليوسف أفرام وميشاو ولد لأفرام
 نون وولد لنون يوشع فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالة مصر بعد يوسف ولم يزل
 بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام (ذلك)
 أي خبر يوسف واخوته (من أنباء الغيب) الذي لا يحوم حوله أحد (نوحية ليل وما كنت لديهم)
 أي عند اخوة يوسف (إذا جمعوا أمرهم) أي حين عزموه على القاتل يوسف في غيابة الحب (وهم
 يكرون) أي والحال انهم يحتالون بيوسف ويريدون بذلك قتل يوسف أي ذلك الخبر لا سيبل إلى
 معرفتك إياه إلا بالوحى وأما ما ينقله أهل الكتاب فليس على ما هو عليه ومثل هذا التحقيق بلا وحى
 لا يتصور إلا بالحضور فيكون مهزلاً لا محمد لم يطالع الكتب ولم يأخذ عن أحد من البشر وما كانت بلده
 بلداً للملأ فأتى به هذه القصة على وجه لم يقع فيها غلط كيف لا يكون مهزلاً (وما أكثر الناس) وهم
 قريش واليهود (ولو حرصت) أي بالغت في طلب إيمانهم بإظهار الآيات الدالة على صدقك (بمؤمنين)
 لأصرارهم على العناد روى أن اليهود وقرىشاً لما سألوا عن قصة يوسف وعدوا أن يسلموا فلما أخبرهم
 بها على موافقة التوراة فلم يسلموا حز النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (وما تسألهم عليه) أي
 على تبليغ الانبياء التي أوحينا إليك (من أجر) كما يفعله حملة الاخبار (إن هو) أي القرآن الذي
 أوحينا إليك (الاذكر للعالمين) عامة أي عظة من الله تعالى لهم في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد
 والتكاليف والقصاص فان الوعظ العام ينافي أخذ الأجور من البعض وهذا القرآن مشتمل على هذه
 المنافع العظيمة ولا تطلب منهم ما لا فلو كانوا عقلاء قبلوا ما منك (وكان من آية) أي وكمن عدد شئت
 من العلامات الدالة على وجود الصانع ورحمته وكمال قدرته وعلمه وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها
 كائنة (في السموات والأرض) من الأجرام الفلكية وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في
 الأرض من العجائب (يعرون عليها) أي يشاهدونها ولا يتأملون فيها وقرى برفع والأرض على الابتداء
 ويعرون عليها خبره وقرأ السدى بنصبه على معنى ويطؤون الأرض (وهم عنها) أي الآية (معرضون)
 أي غير متفكرين فيها فلا عجب إذا لم يتأملوا في الدلائل الدالة على نبوتك يا أشرف الخلق (وما يؤمن
 أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي لا يؤمن أكثرهم بوجود الله إلا في حال شركهم فالكافرون
 مقرون بوجود الله لكنهم يشبهون له شريكاً في العبودية وعن ابن عباس إن أهل مكة قالوا الله ربنا وحده
 لا شريك له والملائكة بناته وقال عبدة الاصنام ربنا الله وحده والاصنام شفعاءنا عنده وقالت اليهود
 ربنا الله وحده وعزير بن الله وقالت النصارى ربنا الله وحده لا شريك له والمسيح ابن الله وقال عبدة
 الشمس والقمر ربنا الله وحده وهؤلاء أربابنا وكل من هؤلاء لم يوحداً بل أشركوا وقال المهاجرون
 والانصار ربنا الله وحده ولا شريك معه (أفأمنا) أي أهل مكة (أن تأتيهم غاشية من عذاب الله)
 أي أفلم يخافوا أن تأتيهم في الدنيا عقوبة تشهلمهم (أو تأتيهم الساعة بغتة) أي فجأة من غير سبق علامة
 (وهم لا يشعرون) باتيانها غير مستعدين لها (قل) يا أشرف الخلق لأهل مكة (هذه) أي الدعوة
 إلى التوحيد والايمان بالاحلاص (سبيلى) أي ديني (أدعوا إلى الله) بهذا الدين (على بصيرة)
 أي حجة واضحة (أنا ومن اتبعن) فادعوا ما مستأنف أحوال من الياء وعلى بصيرة ما حال من فاعل
 أدعوا ومن الياء وأنا ما تو كيد للمستكن في أدعوا وفي على بصيرة ومن اتبعن عطف على فاعل أدعوا قال

صلى الله عليه وسلم العلماء آمناء الرسل على عباد الله من حيث يحفظون لما يدعونهم اليه (وصحان الله) أى وأسبح سبحان الله (وما أنا من المشركين) الذين اتخذوا مع الله ضدا وولدا (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى) وهذا رد على أهل مكة حيث أنكروا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا هلا بعث الله ملسكا والمعنى كيف يتعجبون من ارسالنا اليك مع ان سائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك ولم يبعث الله رسولا من أهل البادية قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل وقرأ حفص عن عاصم نوحى بالنون مبنيا للفاعل والباقون بالياء مبنيا للفعول (أفلم يسروا) أى أهل مكة (فى الارض فيمنظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى كيف صار آخر أمر المكذبين للرسل والآيات عن قبلهم فيعتبروا بما حل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة) أى الجنة (خير للذين اتقوا) معاصى الله (أفلا تعقلون) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتاء على الخطاب لأهل مكة والباقون على الغيبة (حتى اذا استيأس الرسل) أى لا يغررهم عباديهم فيما هم فيه من الراحة والرخاء فان من قبلهم أمهلوا حتى آيس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرأ عاصم وحزرة والكسائى بتخفيف الذال المكسورة والمعنى وظن القوم أن الرسل أخلفوا في وعدهم بالنصر أى أخلف الله وعده لرسلمهم بالنصر وقرأ الباقر بالتشديد والمعنى وظن الرسل أنهم قد كذبهم الامم الذين آمنوا بهم بما جاؤا به من الله وهذا التأويل منقول عن عائشة رضى الله عنها وهو أحسن الوجوه وقالت ان البلا لم يرزل من الانبياء حتى خافوا من أن يكذبهم الذين كانوا قد آمنوا بهم (جاءهم نصرنا) لهم بهلاك أعدائهم (فنجى من نساء) هم الرسل والمؤمنون بهم وقرأ ابن عامر وعاصم بنون واحدة فعل ماض مبنى للفعول والباقون بنونين الثانية ساكنة وبسكون الياء فعل مضارع (ولا يرد بأسنا) أى عذابنا (عن القوم المحرمين) أى المشركين اذا نزل بهم (لقد كان فى قصصهم) بفتح القاف أى قصص يوسف واخوته وأبيه عليهم السلام وقرئ بكسر القاف أى قصص الانبياء وأعمهم (عبرة) أى عظة عظيمة (لاولى الالباب) أى لذوى العقول الذين انتفعوا بمعرفتها (ما كان) أى هذا القرآن فقد تقدم ذكره فى قوله تعالى انا أنزلنا قرآنا عربيا (حديثا يفتى) فلا يصح من محمد ان يختلف فيه ولا يصح الكذب من القرآن فليس يكذب فى نفسه (ولكن تصديق الذى بين يديه) أى ولكنه كان القرآن مصدق الكتب التى قبله (وتفصيل كل شئ) أى ومبين بين الحلال والحرام وسائر ما يتصل بالدين (وهدى) فى الدنيا من الضلالة (ورحمة) أى سبب الحصول الرحمة من العذاب يوم القيامة (لقوم يؤمنون) أى يصدقونه فانه المنتفعون به

﴿سورة الرعد مكية الايتين فهما مدنيان وهما قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا وتصيبهم بما صنعوا قارعة الآية وقوله تعالى ويقول الذين كفروا الى ومن عنده علم الكتاب وقيل مدنية سوى قوله تعالى ولوان قرآنا نسيرت به الجبال الايتين وآياتها خمس وأربعون وكلما تها ثمانمائة وخمس وخمسون وموفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم المر) اسم للسورة أى هذه السورة مسماة بهذا الاسم وقال ابن عباس فى رواية عطاء معناه أنا الله الملك الرحمن وقال فى رواية غيره أنا الله أعلم وأرى ما تعملون وتقولون (تلك) أى آيات السورة المسماة بالمر (آيات الكتاب) أى الكتاب العظيم الكامل (والذى أنزل اليك من ربك)

من القطع وما بعده والباقون بالتاء أى جنات (ونفضل بعضها) أى الجنات (على بعض فى الاكل)
بضم الهزة أى فى المهيأ للكل طعام وشكلا ورائحة وحلاوة وحموضة ولونا وقدرًا ونفعًا وضرا وقرأ حمزة
والكسافى يفضل بالياء عطفًا على يدبر والباقون بالنون (ان فى ذلك) أى المفصل من أحوال القطع
والجنات (آيات) أى دلالات كثيرة ظاهرة (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم فى التدبر
(وان تهيب فتهيب قولهم أنذا كننا زمانًا أننا لفي خلق جديد) أى وان تهيب يا أكرم الخلق من تكذيبهم
أياك بعدما كانوا قد حكموا عليك أنك من الصادقين لتحقيق بالهيب قولهم أنعاد خلقًا جديدًا بعد الموت
وبعد أن صرنا زمانًا بأوفينا الروح كما كنا قبل الموت فانهم هرفوا ان الله على كل شئ قدير فمن كانت قدرته
وافية بهذه الاشياء العظيمة كيف لا تكون وافية بإعادة الانسان بعد موته لان القادر على الاقوى قادر
على الاضعف بالأولى (أولئك) أى المنكرون لقدرة تعالى على البعث بعدما عاينوا الآيات الباهرة
(الذين كفروا برهم) لانهم أنكروا قدرته وعلمه وصدقته فى خبره (وأولئك) أى أهل الكفر
(الاغلال فى أعناقهم) يوم القيامة (وأولئك) أى أهل الاغلال (أصحاب النار) أى سكان النار
(هم فيها) أى النار (خالدون) لا ينفكون عنها (ويستجلبونك) استهزاء منهم (بالسبيثة) أى
بنزول العذاب عليهم (قبل الحسنة) أى قبل طلب الاحسان اليهم بالامهال وذلك ان النبى صلى الله
عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب القيامة وتارة بعذاب الدنيا فكلما هددهم بعذاب القيامة أنكروا
البعث والجزاء وكلما هددهم بعذاب الدنيا قالوا له استهزاء بانقاره فحسبنا هذا العذاب (وقد خلت من
قبلهم المثالات) أى والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على أمثالهم من المكذبين فإلهم لا يعتبرون
بها (وان ربك لنومغفرة للناس) أى لذوامهال لهم وتأخير للعذاب منهم (على ظلمهم) أى حال
كونهم ظالمين أنفسهم بالمعاصى (وان ربك لشديد العقاب) فيعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير
ما يستجلبونه ليس للاهمال (ويقول الذين كفروا) وهم المستجلبون بالعذاب أيضا (لولا أنزل عليه آية
من ربه) أى قالوا عند اداه لا أنزل على محمد من ربه علامة لنبوته كما أنزل على موسى وعيسى عليه
السلام قال تعالى له صلى الله عليه وسلم ازالة لرغبته فى حصول مقترحاتهم (انما أنت منذر) أى انما
أنت يا أشرف الخلق رسول مخوف من سوء عاقبة ما يأتون ويذرون ولا حاجة الى الزامهم باتيان ما
اقترحوا من الآيات (ولكل قوم هاد) أى نبى مخصوص له هداية مخصوصة فلما كان الغالب فى زمان
موسى هو السحر جعل معجزته من جنس ذلك وهو العصا واليد ولما كان الغالب فى أيام عيسى الطبع جعل
معجزته ما كان من جنس ذلك وهو احياء الموتى وبراءة الاكمه والابرص ولما كان الغالب فى أيام الرسول
صلى الله عليه وسلم الفصاحة جعل معجزته ما كان لا تقابله فى الزمان وهو فصاحة القرآن فلما كان العرب
لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع كونها أليق بطباعهم فبان لا يؤمنوا عند اظهار سائر المعجزات أولى (الله يعلم ما
تحمل كل أنثى) من حين العلوق الى زمن الولادة من أى شئ تحمل وعلى أى حال (وما تغيض الارحام
وما ترزاد) أى فى عدد الولد واحد واثنين وثلاثة وأربعة وفى جنسه فقد يكون الولد مخدجا وتامو فى مدة ولادته
فقد يكون مدة الحمل تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عند أبى حنيفة وإلى أربعة سنين عند الشافعى وإلى
خمس عند مالك (وكل شئ) من الاشياء (عنده) أى فى علمه تعالى (بمقدار) أى بحد لا يجاوز
ولا ينقص عنه (طالم الغيب) أى ما خاب عن العباد (والشهادة) أى ما علمه العباد (الكبير) أى
العظيم الذى يصغر غيره بالنسبة الى كبريائه (المتعال) أى المتزه عن كل ما لا يجوز عليه فى ذاته (سواء

منكم من أسرار القول) في نفسه فلم يظهره على أحد (ومن جهريه) أي أظهره لغيره وقال ابن عباس أي سواء ما أضرته القلوب وأظهرته اللسنة (ومن هو مستخف) أي مستتر (بأن يسل وسار) أي بارز يراه كل أحد (بالتنهار) وقال مجاهد أي وسواء من أقدم على القبائح سرافى ظلمات الليل ومن أتى بها ظاهراً بالنهار أي فإن علمه تعالى محيط بالكل (له) أي لسكل عن أسرار وجهه والمستخفي والسارب أول عالم الغيب والشهادة (معقبات) أي ملائكة حافظة يعقب بعضهم بعضاً في الحجى إلى من ذكر ويعقبون أقواله وأفعاله بالكتب (من بين يديه ومن خلفه) أي يحيطون به من كل ناحية عليه أهمله وأقواله ولا يشذ من حفظهم أيها التي أصلاً (يحفظونه) أي من ذكر (من أمر الله) أي من بأس الله حين أذن بالاسمهال أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله وقد قرئ به أو بسبب أمر الله كما تدل له قراءة على وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة بأمر الله (إن الله لا يغير ما بقوم) من أمن ونعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) بترك الشكر (وإذا أراد الله بقوم سوءاً) أي هلاكاً (فلا مرد له) أي لم تغض المعقبات شيئاً فلا راد لعذاب الله ولا ناقض لحكمه (وما لهم من دونه) أي من غير الله (من وال) أي مانع من عذاب الله الذي أوداهم بتغيير ما بهم (هو الذي ير يك البرق) وهو لمعان يظهر من خلال السحاب (خوفاً) أي خائفين من وقوع الصواعق (وطمعاً) أي وطامعين في نزول الغيث أو ذا خوف لمن له فيه المطر ضرر كالسافر. ولكن يجفف الثمر والريب والقمع وذات طمع لمن له فيه نفع كالحرث (وينشئ السحاب) أي ويرفع الغمام المنسحب في الجو (الثقال) بالماء (ويسبح الرعد بحمده) قيل الرعد اسم ملك موكل بالسحاب والصوت المسموع لنا هو صوته بالتسبيح وقيل هو صوت الآلة الذي يتولد عند ضرب السحاب بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق أي آلات من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا فما الصوت الذي نسمع قال زجر السحاب ويقال الرعد صوت السحاب وتسبيحه هو دلالة له على وحدانية الله تعالى وفضله المستلزم لحده (والملائكة من خيفته) أي وتسبح جميع الملائكة من هيبة الله تعالى وفي رواية عن ابن عباس الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه حيث يؤوله وأنه يحوز الماء في نقرة إبهامه وأنه يسبح الله تعالى فإذا سمع لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر (ويرسل الصواعق) وهي نيران تنشأ من السحاب (فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله) أي في شأن الله (وهو شديد المحال) أي العقاب زالت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة أخى ليدي بن ربيعة فأنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمانه ويريدان القتال به صلى الله عليه وسلم فقال أريد أخو ليدي أخبرنا عن ربنا أمن فها هو أم من حديد فلما رجع أرسل الله عليه صاعقة في يوم موصائف فأحرقته ورمى عامر ابغدة كغدة البعير فمات على ظهر فرسه وعن الحسن أنه قال كان رجل من طواغيت العرب بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم نغرا يدعونه إلى الله تعالى ورسوله فقال لهم أخبروني من رب محمد هذا الذي تدعونني إليه فهل هو من ذهب أم من فضة أم من حديد أم من فها هو فاستعظموا مقاتلته فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلاً كغرة قلبا ولا أعنى على الله منه فقال صلى الله عليه وسلم أرجعوا إليه فرجعوا إليه فقال أجيب محمد إلى رب لا أراه ولا أعرفه فرجعوا إليه صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته إلا ولي بل أخبث منها فقال صلى الله عليه وسلم أرجعوا إليه فرجعوا إليه فبينما هم عنده ينازعونه ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرق

الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا
احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم قالوا أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ويرسل الصواعق
الخ (له دعوة الحق) أي لله الدعوة المطابقة للواقع حيث جعلها افتتاح الاسلام بحيث لا يقبل بدونها
وهي شهادة أن لا إله الا الله وهي كلمة الاخلاص (والذين يدعون من دونه لا يستحيون لهم بشئ الا
كاسط كفيه الى الماء) أي والاصنام الذين يعبدهم الكفار من غير الله لا يستحيون لهم بشئ من
طلباتهم الاستجابة كاستجابة الماء لمن يسط كفيه اليه من بعيد (ليبلغ فاه وما هو ببالغه) أي ليلبلغ
الماء بنفسه من غير أن يغترف الى فيه وما الماء ببالغ فيه أبدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا يسط يده
اليه فكلا لا يبلغ الماء في هذا الرجل العطشان كذلك لا تنفع الاصنام من عبدها (ومادها الكافرين
الا في ضلال) أي وما عبادة الكافرين الا في ضياع لا منفعة فيها لانهم ان عبدوا الاصنام لم يقدر واعلى
نفعهم وان عبدوا الله لم يقبل منهم لا شرا كههم (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) أي
ولله يعبد من في السموات ومن في الارض من الملائكة وبعض المؤمنين من الثقلين حال كونهم طائعين
بسهولة ونشاط وحال كونهم كارهين للعبادة بمشقة لصعوبة ذلك على بعض المؤمنين (وظلالهم بالغدو
والآصال) أي ولله يسجد ظلال من يسجد غدوة عن ايمانهم وعشية عن شمائلهم (قل) يا اشرف
الخلق لقومك (من رب السموات والارض قل الله) أمر الله رسوله بهذا الجواب اشعارا بأنه متعين
للجوابية وبأنهم لا ينكرونه البتة ثم ألزمهم الحجة فقال (قل أفأتخذتم من دونه أولياء) أي أبعد اقراركم
هذا عبدتم من غير الله أربابا (لا يعلكون لأنفسهم نفعا) يستجلبونه (ولا ضرا) يدفعونه عن أنفسهم
فبالأولى أن يكونوا عاجزين عن تحصيل المنفعة للغير ودفع المضره عن الغير فاذ انجز واعن ذلك كانت
عبادتهم محض العبث والسفه (قل هل يستوى الالهى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور) أي
قل لهم هل يستوى الجاهل بمستحق العبادة والعالم بذلك وهل يستوى الجهل بالحجة والعلم بها (أم جعلوا
لله شركاء خلقوا كخلقهم فتشابه الخلق عليهم) أي بل أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقهم فتشابه الخلق عليهم
بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقهم فتشابه الخلق عليهم (أي بل أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقهم فتشابه الخلق عليهم)
شركاء الله ليس لها خلق يشبه خلق الله حتى يقولوا انها تشارك الله في كونها خالقة فوجب أن تشاركه في
الالوهية واستحقاق العبادة بل هؤلاء المشركون يعلمون بالضرورة ان هذه الاصنام لم يصدر عنها فعل البتة
واذا كان الامر كذلك كان حكمهم بكونها شركاء لله في الالوهية محض الجهل (قل الله خالق كل شئ)
فلا شريك له في الخلق فلا يشاركه في استحقاق العبادة أحد (وهو الواحد) أي المتفرد بالالوهية
(القهار) لكل ما سواه (أنزل من السماء) أي من جثتها (ماء فسال) بذلك الماء (أودية) أي
أنهار (بقدرها) من الماء فان صغرا الوادى قل الماء وان اتسع الوادى كثر الماء (فاحتل السيل)
أي الجاري (زيدا) أي غثاء (رابيا) أي منتفخا فوق الماء (وعما يوقدون عليه في النار) أي من
الجواهر كالكحل والذهب والفضة (ابتغاء حلية أو متاع) أي لطلب اتخاذ زينة أو اتخاذ متاع
كالأواني (زيد) أي خبث (مثله) أي مثل وسج الماء في أن كلامهما شئ من الأكدار (كذلك)
أي مثل هذا التبيين الامور الأربعة الماء والجوهر والزيد (يضرب الله الحق والباطل) أي يبين
الله مثل الايمان والكفر (فأما الزيد) من الماء والجوهر (فيذهب جفاء) أي يرميه الماء الى الساحل
ويرميه الكبير (وأما ما ينفع الناس) من الماء الصافي والغليظ الخالص (فيمكث في الارض) قالما

يثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والآبار والفلز يصاغ من بعضه أنواع
الحلى ويتخذ من بعضه أصناف الآلات فينتفع بكل من ذلك مدة طويلة والحاصل أن القرآن شبه بالماء
فأنزل من "هـ" الكبرياء والاحسان وشبهت القلوب المنورة بالآودية لأن القلوب تستقر فيها أنوار
علوم القرآن كما أن الآودية تستقر فيها الماء فيحصل في كل قلب من أنوار علوم القرآن ما يليق به من قوة
فهمه وقصوره كما يحصل في كل واد من مياه الأمطار ما يليق به من سعته وضيقة وكما أن الماء يعلوه وضر
والفلز يخالطه خبث ثم أن ذلك يذهب ويبقى الخالص منه كذلك بيانات القرآن تختلط بها شبهات ثم تزول
 ويبقى العلم والدين في الآخر وشبهت القلوب المظلمة بالسيل أي فاحتملت القلوب المنورة الحق بقدر سرعتها
بالنور واحتملت القلوب المظلمة باطلا كثيرا بها (كذلك) أي مثل ذلك الضرب العجيب (يضرب
الله الأمثال) أي يبين الله أمثال الحق والباطل فيجعلها في غاية الوضوح (للذين استجابوا لربهم
الحسن) أي للذين أجابوا ربهم إلى ما دعاهم اليه من التوحيد والتزام الشرائع الواردة على لسان رسوله
المنفعة الدائمة الخالصة عن شوائب المضرة المقررة بالاجلال وهي الجنة (والذين لم يستجيبوا له لو أن ما لهم
ما في الارض جميعا ومثله معه لافترسوا به) أي والاشقياء الذين عاندوا الحق الجلي لو أن لهم ما في الارض
من أصناف الأموال جميعا لجعلوا ما في الارض ومثله فداء أنفسهم من العذاب لأن محبوب كل إنسان ذاته
فإذا كانت في ضرر وكان ما كالسكل شيء فإنه يرضى أن يجعل جميع ملكه فداء لها لأنه حب ما سواها
ليكون وسيلة إلى مصالحها (أولئك لهم سوء الحساب) بأن يحاسبوا بكل ذنب فلا يغفر منه شيء
(ومأواهم جهنم وبئس المهاد) أي المستقر هي (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى) أي
أفمن يعلم أن القرآن الذي مثل بالماء النازل من السماء وبالأبرير الخالص في المدفعة هو الحق كمن لا يعلم
(انما يتذكر أولوا الألباب) أي انما يتعظ بالقرآن ويتنفع بهذه الأمثلة ذوو العقول الذين يطلبون من
كل صورة معناها (الذين يوفون بعهد الله) أي بما كلف الله العبد به فيدخل فيه الاتيان بجميع
الأمورات والوفاء بالعقود في المعاملات وأداء الأمانات (ولا ينقضن الميثاق) وهو ما التزمه العبد من
أنواع الطاعات بحسب اختيار نفسه كالنذر بالطاعات والخيرات (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل)
وهو رعاية جميع الحقوق الواجبة للعباد فيدخل فيه صلة الرحم والعناية الثابتة بسبب اخوة الايمان
وعيادة المريض وشهود الجنائز واقشاء السلام على الناس والتبسم في وجوههم وكف الأذى عنهم
ويدخل في العباد كل حيوان حتى الدجاجة والهريرة (ويخشون ربهم) والخشية نوحان خوف من أن يقع
خلل في طاعاته وخوف هيبته وإن كان العبد في عين طاعته (ويخافون سوء الحساب) فيحاسبون
أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) على فعل العبادات وعلى تحمل الأمراض والمضار والغموم
وعلى ترك المشتبهات (ابتغاء وجه ربهم) أي طلب الرضاء خاصة من غير أن ينظروا إلى جانب الخلق
رياء ومهجة ولا إلى جانب النفس زينة وعجاف كما أن العاشق يرضى بضرب معشوقه لا لتذاده بالنظر إلى
وجهه فكذلك العبد يرضى بالخدمة لاستغراقه في معرفة نور الله تعالى (وأقاموا الصلاة) وأفردها بالذكر
تنبيهها على كونها أشرف من سائر العبادات ولا يمتنع ادخال النوافل فيها (أنفقوا) نفقة واجبة
ومندوبة (عمارزقناهم سرا) لمن لم يعرف بالمال أولان لا يتهم بترك الزكاة أو عند إعطائه من تنفعه
المروءة من أخذه مظاهرا أو في التطوع (وعلانية) لغير ذلك (ويدرون بالحسنة السيئة) أي يدفعون
المعصية بالتوبة ولا يجازون الشر بالشر بل يجازون الشر بالخير (أولئك لهم عقي الدار) أي عاقبة

الدنيا و مرجع أهلها (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أى يدخل جنات عدن المنعوتون بتلك النعوت الجليلة ومن آمن كما آمنوا من أصولهم وان علوا ذكورا كانوا أو أنثى ومن أزواجهم اللاتي متن في عصمتهم وذرياتهم وان لم يعمل مثل أعمالهم لان الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بحضور أهله معه في الجنة وانما يلحق بهم من آمن من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم كرامة لهم وتعظيم الشأهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة وقوله جنات عدن بيان لعقبى أو خبر مبتدأ مضمرة (واللائكة يدخلون عليهم من كل باب) لكل واحد منهم خيمة من درة مجوفة لها أربعة آلاف باب لكل باب مصراع من ذهب يدخل عليهم من كل باب ملائكة يقولون لهم (سلام عليكم) أى سلمكم الله دعاء لهم وبشارة بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعليكم أو بمحذوف أى هذه الكرامة العظمى بسبب صبركم على الطاعات وترك المحرمات وعلى المحن (فإنهم عقبي الدار) أى نعم عاقبة الدار التي كنتم عملتم فيها هذه الكرامات التي ترونها (والذين ينقضون عهد الله) أى لا يعملون مقتضى الأدلة (من بعد ميثاقه) أى من بعد ان وثق الله تلك الأدلة أو المعنى يتركون فرائض الله من بعد توكيده (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) أى ما أوجب الله وصله فيدخل فيه وصل الرسول بعبادة دينه ووصل سائر من له حق (ويفسدون في الأرض) بالدعاء إلى غير دين الله وبالظلم في النفوس والأموال (أولئك) أى الموصوفون بالقبايح (لهم اللعنة) أى الأبعاد من خيري الدنيا والآخرة إلى نقمة (ولهم سوء الدار) أى سوء عاقبة الدنيا (الله ييسر الرزق) أى يوسع (لمن يشاء) من عباده (ويقدر) أى يعطي من يشاء منهم بقدر كفايته لا يفضل عنه شيء أى ان فتح باب الرزق في الدنيا لا تعلق له بالكفر والايان بل هو متعلق بمجرد مشيئته تعالى فقد يوسع على الكافر استدرجا ويضيق على المؤمن امتحانا لصبوره وتكفيره لذنوبه فالذي يدار امتحان (وفرحوا) أى فرح من بسط الله له رزقه من كفار مكة فرح بطر (بالحياة الدنيا) لافرح سرور بفضل الله تعالى (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) أى انهم رضوا بحفظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والخسار ان ما بطروا به في مقابلة ما عرضوا عنه شيء قليل النفع سريع النفاذ كمتاع البيت وزاد الراعي (ويقول الذين كفروا) أى أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) أى هلا أنزل على محمد من ربه علامة ان نبوته كما كانت للرسل الاولين (قل) لهؤلاء المعاندين (ان الله يفضل من يشاء) عن دينه (ويهدي اليه) أى يرشد إلى دينه (من أناب) أى من أقبل اليه أى ما أعظم عنادكم في الآيات التي ظهرت على يد الرسول ان الله يفضل من كان على صفتكم من شدة الشكيمة على الكفر فلا سبيل إلى هتدائهم وان أنزلت عليهم كل آية طلبوها ويهدي اليه بأدنى آية جاء بها الرسول من كان على خلاف صفتكم (الذين آمنوا) بما جاء به الرسول (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أى بكلام الله أى ان علم المؤمنين بكون القرآن معجزا يوجب حصول الطمأنينة لهم في كون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا حقا من عند الله وان شكهم في انهم أتوا بالطاعات كاملة بوجب الوجع في قلوبهم (ألا يا كرات الله تطمئن القلوب) أى ان الاكسير اذا وقعت منه ذرة على الجسم النحاسي انقلب ذهبيا باقيا على كرات الايمان فاكسير جلال الله تعالى اذا وقع في القلب أولى ان يقلبه جوهر اصقيا نورانيا لا يقبل التغيير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى شجرة في الجنة غرسها الله بيده تنبت الحلى والحلل وان أغصانها ترى من وراء سور الجنة ويقال طوبى شجرة في الجنة ساقها من من ذهب وغرها من كل لون وثياب أهل الجنة تخرج من اكمامها فتنبت الحلى والحلل وأصلها في دار النبي

صلى الله عليه وسلم وأغصانها متدليات في كل دار وغرفة في الجنة وتحتها كسبان المسك والعنبر والزعفران
 وينبغ من أصلها عنبان الكافون والسلسيل (وحسن ما تب) أي مقرر (كذلك) أي مثل إرسالنا
 الأنبياء إلى أممهم وأعطانا إياهم كتباً تتلى عليهم (أرسلناك في أمة) أي إلى جماعة كثيرة (قد دخلت
 من قبلها أمم) أي قد تقدمتها أمم كثيرة (لتتلوا عليهم) أي على أمتك (الذي أوحينا إليك) فلماذا
 اقترحوا غيره (وهم) أي والحال أن أمتك (يكفرون بالرحمن) الذي رحمته وسعت كل شيء وما بهم
 من نعمة فنه وكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم وفي إزال هذا القرآن المجيز عليهم روى الضحاك عن
 ابن عباس أن هذه الآية نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن أي
 اخضعوا بالصلاة وغيرها للرحمن أي الذي لا نعمة لكم إلا منه قالوا وما الرحمن متجاهلين في معرفته فضلاً
 عن معرفة نعمته معبرين بأداة ما لا يعقل قال الله تعالى (قل) لهم يا أشرف الخلق (هو) أي الرحمن
 الذي أنكرتم معرفته (رب) أي خالقي ومباني إلى مراتب الكمال (لا اله الا هو) أي لا مستحق
 للعبادة سواه (عليه توكلت) في جميع أمورى لا على أحد سواه (واليه متاب) أي مرجعي في الآخرة
 (ولو أن قرأنا سيرت به) أي زعزعت بتلاوته (الجبال) من أماكنها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه
 السلام (أو قطعت به الأرض) أي شققت وجعلت أنهاراً وعيوناً كما فعل بالحجر حين ضربه موسى
 بهصاه أو جعلت قطعاً بعيدة (أو كلم به الموتى) بعد أن أحييت بقراءته عليها كما أحييت لعيسى عليه
 السلام لكان هو هذا القرآن لكونه ينطوى على عجائب آثار قدرة الله تعالى روى أن أهل مكة منهم أبو
 جهل بن هشام وعبد الله بن أمية قعدوا في فناء الكعبة فأتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض الإسلام
 عليهم فقال له عبد الله بن أمية المخزومي إن سرنا أن نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعوها عنا حتى
 ينفسح المكان علينا لانها ضيقة لمزارعنا وجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لنغرس الأشجار ونزرع فلست كما
 زعمت بأهون على ربك من داود حيث مخضه الجبال تسير معه أو سحفر لنا الريح لتركبها إلى الشام لميرتنا
 وحوادثنا ونرجع في يومنا كما مخضت لسليمان فاست بأهون على ربك من سليمان كما زعمت أو أحي لنا
 جدرك قصي بالنسالة أحق ما تقول أم باطل فإن عيسى كان يحيي الموتى ولست بأهون على الله منه فأنزل
 الله تعالى هذه الآية ولو أن قرأنا الخ (بل الله الأمر جميعاً) أي بل الله الأمر الذي ور عليه فلا إلا كوان
 وجوداً وعدمًا إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل فأنزل الله تعالى على الأتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن
 ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تليق له شكيمتهم (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس
 جميعاً) أي أغفل المؤمنون عن كون الأمر جميعاً لله تعالى فلم يعلموا أن الله تعالى لو شاء هداية جميع
 الناس إلى دينه لهداهم ولكنه تعالى لم يشأها فلم يظهر ما اقترحوا من الآيات قيل لما سأل الكفار تلك الآيات
 طمع المؤمنون في إيمانهم فطلبوا نزولها ليوثروا وعلم الله أنهم لا يؤمنون برؤيتها (ولا يزال الذين كفروا)
 من أهل مكة (تصيبهم بما صنعوا) من سوء أعمالهم (قارعة) أي داهية تفرعهم بما ينزل الله عليهم في كل
 وقت من أنواع البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل قريباً من دارهم) أي أو تنزل
 تلك القارعة مكاناً قريباً منهم فيفزعون منها (حتى يأتي وعد الله) وهو موتهم أو القيامة (إن الله لا يخلف
 الميعاد) أي الوعد والمقصود من هذا تقوية قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن عنه (ولقد استهزئ
 برسول من قبلك) أي أن أقوام ساءوا بالأنبياء استهزؤا بهم كما أن قومك استهزؤوا بك (فأملت للذين كفروا)
 أي فتركتهم بعد الاستهزاء مدة طويلة في راحة وأمن (ثم أخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان عقاب)

أى على أى حالة كان عقاب إياهم هل كان ظمالمهم أو كان عدلا (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أى
 أفمن هو حافظ كل نفس مع ما عملت من خير وشر وهو الله القادر على كل المحسكات العالم بجميع الجزئيات
 والكليات كالأصنام التى لا تضر ولا تنفع (وجعلوا) أى الكفار (لله شركاء قل سموهم) أى سموهم
 بالآلهة وهذا أمر على سبيل التهديد والمعنى سواء سميتهم بهذا الاسم أو لم تسموهم به فإنها لا تستحق
 أن يلتفت العاقل إليها لمخارتها (أم تنبؤونه بما لا يعلم فى الأرض أم يظاهرون القول) أى أتقدرون
 على أن تخبروا الله بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى أم تنفوهون بظهار قول من غير اعتبار
 معنى أى أتقولون بأفواهكم من غير فكر وأنتم ألباء فتفكروا فى ذلك لتعلموا بطلانه وأغماخص بنفى
 الشريك عن الأرض وإن لم يكن له تعالى شريك البتة لأن الكفة أرادوا أن له تعالى شركاء فى الأرض
 لا فى غيرها (بل زين للذين كفروا مكرهم) أى تمويههم الأباطيل فأنهم أظهروا أن شركاءهم
 آلهة حقوا وهم يعلمون بطلان ذلك وليس فيهم فى الباطن الاتقيد بالآباء (وصدوا عن السبيل) قرأ
 حاصم وحمة والتكسافى هنا وفى حم المؤمن بضم الصاد أى منعوا عن سبيل الحق والباقون بفتح الصاد
 أى أعرضوا عنه أو صرفوا غيرهم عنه وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال المكسورة إليها (ومن
 يضل الله) عن دينه بسوء اختياره (فإنه من هاد) أى موفق للهدى (لهم عذاب فى الحياة الدنيا)
 بالقتل والسبى واغتنام الأموال واللعن (ولعذاب الآخرة أشق) أى أشد من عذاب الدنيا بالقوة
 وكثرة الأنواع وعدم الانقطاع وعدم اختلاط شئ من الراحة (ومالهم من الله) أى عذابه (من واق)
 أى حافظ بعضهم من ذلك (مثل الجنة) أى صفة الجنة (التى وعد المتقون) عن الكفر والمعاصي
 (تجرى من تحتها الأنهار) أى أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (أكلها دأج) أى غرها لا ينقطع
 (وظلها) كذلك أيضا فليس هناك حر ولا برد ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة (تلك) أى الجنة (عقبى الذين
 اتقوا) أى منتهى أمرهم (وعقبى الكافرين) أى آخر أمرهم (النار) لا غير (والذين آتيناهم
 الكتاب) أى أعطيناهم علم التوراة والإنجيل وهم من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب
 وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية بالين واثنتان وثلاثون
 بالحبشة (يفرحون بما أنزل إليك) أى بالقرآن لكونهم آمنوا به (ومن الأحزاب) أى بقية أهل
 الكتاب وسائر المشركين (من ينكر بعضه) أى بعض القرآن وهو الشرائع الحادثة (قل إنما أمرت أن
 أعبد الله) وحده فعبادة الله واجبة على المرء فهذا يبطل القول بالجبر المحض وقول نفاة التكليف ولا
 تمكن عبادة الله إلا بعد معرفة الله ولا سبيل إلى معرفته إلا بالدليل فهذا دليل على أن المرء مكلف بالنظر
 والاستدلال فى معرفة ذات الصانع وصفاته وما يجب وما يجوز وما يستحيل عليه (ولا أشرك به) وهذا
 يدل على نفي الشركاء فيبطل من أثبت معبودا سوى الله تعالى سواء قال إن المعبود هو الشمس أو القمر
 أو الكواكب أو الأصنام أو الأرواح العلوية أو يرزقان وأمر من على ما يقوله المجوس أو النور والظلمة
 على ما يقوله الثنوية (إليه) أى إلى الله خاصة (أدعو) خلقه فكما يجب عليه صلى الله عليه وسلم
 الاتيان بالعبادة كذلك يجب عليه صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى عبودية الله تعالى وهذا إشارة إلى نبوته
 صلى الله عليه وسلم (وإليه) أى إلى الله تعالى وحده (مآب) أى مرجعى للجزء وهذا إشارة إلى
 النشر والحشر والبعث والقيامة فإذا تأمل الإنسان فى هذه الألفاظ القليلة عرف أنها محتوية على جميع
 المطالب فى الدين (وكذلك) أى كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم (أنزلناه) أى ما أنزل إليك

(حكما) أى حاكم يحكم فى القضايا والواقعات (عربيا) أى مترجما بلسان العرب (ولئن اتبعت
أهواءهم) أى الكفار (بعد ما جاءك من العلم) الفائض من ذلك الحكم العربى (مالك من الله من
ولى) أى قريب ينفعل (ولا واق) أى مانع يمنعك من مصارع سوء روى أن المشركين دعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى ملة آبائه فهدده الله تعالى على اتباع أهوائهم فى ذلك (ولقد أرسلنا رسلا من
قبلك وجعلنا لهم أزواجا) أى نساء فقد كان لسليمان ثلاثمائة امرأة حرة وسبع مائة سرية وكان لآية
داود مائة امرأة (وذرية) أى أولاد مثل إبراهيم واسحق ويعقوب (وما كان لرسول أن يأتى بأية)
عما اقترح عليه (الا باذن الله) أى بإرادته (لكل أجل) أى لكل وقت من الاوقات (كتاب)
أى حكم معين مكتوب فى صحف الملائكة التى تنسخها من اللوح المحفوظ فقد أثبت فيها أن أمر كذا
يكون فى وقت كذا على ما تقتضيه الحكمة (بمحو الله ما يشاء) من الاحكام لما تقتضيه الحكمة
بحسب الوقت (ويثبت) أى يبقيه على حاله (وعنده أم الكتاب) أى أصله وهو اللوح المحفوظ اذ
ما من شئ من الذاهب والناثبات الا وهو مكتوب فيه كما هو فى الحكمة فيه أن يظهر للملائكة كونه تعالى
عالم بجميع المعلومات على سبيل التفصيل فعند الله كتابان كتاب يكتبه الملائكة على الخلق وهو محل
المحو والاثبات وكتاب كتبه القلم بنفسه فى اللوح المحفوظ وهو الباقي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال كان الله ولا شئ ثم خلق اللوح وأثبت فيه أحوال جميع الخلق الى قيام الساعة اعلم أن القوم كانوا
يذكرون أنواعا من الشبهات فى ابطال نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالشبهة الاولى أنهم عابوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الزوجات وبأكل الطعام والمشى فى الاسواق وبكونه من جنس البشر وقالوا
لو كان محمدا رسولا من عند الله لما اشتغل بالنسوة بل كان مشغولا بالنسك والزهد وقالوا الرسول الذى
يرسله الله الى الخلق لا يدوان يكون من جنس الملائكة وقالوا لو كان محمدا رسولا من الله لما أكل الطعام
ولما مشى فى الاسواق فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا
وذرية أى ان الانبياء الذين كانوا قبل محمد كانوا من جنس البشر فاتصفوا بصفات من الزوج والاكل ونحو
ذلك ولم يقدح ذلك فى نبوتهم فكيف يجعلون ذلك قادحا فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والشبهة الثانية
قولهم لو كان محمدا رسولا من عند الله لكان أى شئ طلبناه من المميزات أتى به ولم يتوقف فأجاب الله تعالى
عنه بقوله وما كان لرسول أن يأتى بأية الا باذن الله أى ان الميزة الواحدة كافية فى اظهار الحجية فالزائدة
عليها مفروضة الى مشيئة الله تعالى ان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها والشبهة الثالثة أنه صلى الله عليه
وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب فيهم وظهور النصره ولا صحابه فلما تأخر ذلك طعنه وفى نبوته صلى الله
عليه وسلم وقالوا لو كان محمدا نبيا لما ظهر كذبه فأجاب الله تعالى عنه بقوله لكل أجل كتاب أى ان نزول
العذاب على الكفار وظهور النصره للاولياء قضى الله بحصولها فى اوقات مخصوصة ولكل حادث وقت
معين ولكل أجل كتاب فقبل حضور ذلك الوقت لا يحدث ذلك الحادث فتأخر تلك المواعيد لا يدل على
كونه صلى الله عليه وسلم كاذبا والشبهة الرابعة قواهم لو كان محمدا صادقا فى دعوى الرسالة لم ينسخ
الاحكام التى نص الله تعالى على نبوتها فى الشرائع المتقدمة لكنه حرقها كما فى القبله ونسخ أكثر احكام
التوراة والانجيل فوجب أن لا يكون نبيا فأجاب الله عنه بقوله بمحو الله ما يشاء ويثبت (واما نرينك) أى
ان نرك (بعض الذى نعدهم) به من العذاب فى حياتك (أو نتوفينك) أى نقبضنك قبل أن نرينك
(فاغسلناك بالبلاغ) أى سواء أريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوى فى حياتك أو توفيناك

قبل ظهوره فالواجب عليك تبليغ أحكام الله تعالى وأداء رسالته وأمانته فلا تهتم بما وراء ذلك ففهم
 نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية (وعليها
 الحساب) أي وعليها الاعيان محاسبة أعمالهم السيئة ومجازاتها (أولم يروا أنات الأرض تنقصها
 من أطرافها) أي أنكروا أهل مكة نزول ما وعدناهم ولم يروا أنا أخذ أرضهم نفقها من نواحيها للمسلمين
 شيئا فشيئا ونهضها بدار الإسلام وذهب منها أهلها بالقتل والأسر والاجلاء اليس هذا من ذلك (والله
 يحكم) ما يشاء كما يشاء وقد حكم للإسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار (لامعقب لحكمه)
 أي لأمره (وهو سريع الحساب) أي فبعد من قليل يحاسبهم في الآخرة عذبهم في الدنيا
 بالقتل والأسر والاخراج من ديارهم (وقدمكر الذين من قبلهم) أي وقد مكر الكفار الذين مضوا من
 قبل كفار مكة بأنبيائهم فتمرد مكر إبراهيم وفرعون مكر موسى واليهود مكر وابيعسى كما مكر هؤلاء بك
 (فإنه المكر جميعا) أي إن مكر جميع الماكرين حاصل بتخليقه تعالى وإرادته فوجب أن لا يكون الخوف
 إلا من الله تعالى (يعلم ما تكسب كل نفس) فكل ما علم الله وقوه فهو راجب الوقوع فلا قدرة للعبد
 على الفعل والترك (وسيعلم الكفار) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمر الكافر على لفظ المفرد وقرأ جناح
 ابن جبيش وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام أي سيخبر (لن عقبي الدار) أي لمن العاقبة الحسنة
 (ويقول الذين كفروا) أي اليهود وغيرهم (لست مرسلًا) من الله يا محمد (قل) لهم يا أكرم
 الرسل (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) فانه تعالى قد أظهر المعجزات البالة على كوفي صادقاني
 دعوى الرسالة (ومن عنده علم الكتاب) أي السماوى ككتب الاحبار وسلمان الفارسي وعبد الله
 ابن سلام وتميم الداري وأصف بن برخيا فكل من كان عالما بالتوراة والانجيل علم أن محمدا مرسل من عند
 الله وقرئ ومن عنده علم الكتاب عن الجارة التي لا ابتداء الغاية أي ومن عند الله حصل علم القرآن لان
 أحدا لا يعلمه إلا من تعليمه ثم على هذه القراءة قرئ أيضا علم الكتاب على البناء للمفعول أي لما أمر الله
 نبيه أن يمتحن عليهم بشهادة الله على رسالته ولا يكون ذلك إلا بإظهار القرآن ولا يعلم العبد كون القرآن
 مهجزا إلا بعد العلم بما فيه من أسرار رب الله تعالى أن هذا العلم لا يحصل إلا من عند الله

سورة ابراهيم مكية وآياتها اثنان وخمسون وكتابتها ثمانمائة واحد وثلاثون
 وحروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب) أي السورة المسماة بالكتاب (أترئنا إليك) يا أشرف الخلق (لتخرج
 الناس) كافة بدعائلك أيهم (من الظلمات) أي ظلمات الكفر والضلالة والجهل (إلى النور) أي الإيمان
 وهذه الآية دالة على أن طرق الكفر والبدعة كثيرة وطريق الحق واحد (بإذن ربهم) أي بتسهيله
 فإن الرسول لا يمكنه إخراج الناس من الظلمات إلى النور إلا بمشيئة الله وتخليقه (إلى صراط العزيز الحميد)
 أي إلى دين السكامل القدرة المستحق للحمد في كل أفعاله (الله) قرأه نافع وابن عامر بالرفع (الذي له ما في
 السموات وما في الأرض) ملكا وملكسا (وويل للكافرين من عذاب شديد) أي لما ترك الكفار عبادة الله
 الذي هو المالك للسموات والأرض ولكل ما فيه ما عبدو وأمالوا لك ضارا ولا تنفعا فالويل ثم الويل لمن كان
 كذلك أي يولون أي يصيحون من عذاب غليظ ويقولون يا ويلاه (الذين يستحبون الحياة الدنيا على
 الآخرة) أي يختارون الدنيا على الآخرة فهم ضالون (ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس عن

قبول دين الله فهم مضلون (ويبقونها عوجاً) أى يطلبون لسييل الله زيفاً ويقولون لمن يريدون اضلاله
 انها زائفة غير مستقيمة فهذه انهاية الضلال والاضلال (أولئك) الموصوفون بتلك القبايح (في
 ضلال) من طريق الحق (يحيد) أى في غاية البعد عنه فلا يوجد ضلال أكل من هذا الضلال
 (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) أى الامتلاء بالغة من أرسل اليهم الرسول أيا كان وهم بالنسبة
 لغرسيدنا محمد خصوص عشرة رسوله وبالنسبة اليه كل من أرسل اليه من أصناف الخلق لان رسالته
 عامة لجميع الخلق وهو صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قوم بلغتهم وان لم يثبت انه تكلم باللغة التركية
 لانه لم يصادف انه خاطب أحداً من أهلها ولو خاطبه لتكلم بها (ليبين لهم) ما كلفوا به بلغاتهم فيكون
 فهمهم لا سرار الشريعة أسهل ووقوفهم على المقصود أكل (فيضل الله) عن دينه (من يشاء) أى
 يمنع الطافه تعالى به (ويهدى) لدينه بمخرج اللطاف (من يشاء) قطة قوية البيان لا توجب حصول
 الهداية فربما قوى البيان ولا تحصل الهداية وربما ضعف البيان وحصلت الهداية لان الهداية والضلال
 لا يحصلان الا من الله تعالى (وهو العزيز الحكيم) فلا يغالب في مشيئته ولا يفعل شيئاً الا لحكمة
 (وقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهى هجرته التى أظهرها لبنى اسرائيل (أن أخرج قومك من
 الظلمات) أى ظلمات الكفر (الى النور) أى نور الايمان فان مفسرة لا أرسلنا (وذكرهم
 بأيام الله) أى بنعم الله عليهم كأنفلاق البحر وتظليل الغمام وعلى من قبلهم عن آمن بالرسول فى ما سلف
 من الايام وبناس الله عليهم وهى أيامهم تحت قهر فرعون وبعباد الله عن كذب الرسل فيما سلف من
 الايام كما نزل بعد وعود وغيرهم ليرغبوا فى الوعد فيصدقوا وليحذروا من الوعيد فيتركو الكذب
 (ان فى ذلك) أى فى التذكير بالوقائع (آيات) أى دلائل (لكل صبار شكور) وهذا تنبيه على
 ان المؤمن يجب ان لا يخلو زمانه عن أحد الامرين الصبر والشكر لان الحال اما أن يكون حال بلية أو حال
 عطية فان جرى الوقت على ما يلائم طبعه كان شكوراً وان جرى بما لا يلائم طبعه كان صباراً فالانقاع
 بهذا التذكير لا يكون الا ان كان صابراً أو شاكراً (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم)
 أى مستقرة عليكم (اذ أنجاكم من آل فرعون) أى وقت انجائه اياكم منهم (يسومونكم سوء
 العذاب) أى يطلبون منكم الاعمال الشاقة (ويذبون) تذيبها كثيراً (أبناءكم) صغاراً
 (ويستحيون نساءكم) أى يستخدمونهن بكراً بالاستحياء ويبقونهن منفردات عن الرجال (وفى
 ذلكم) أى المذكور من الافعال الفظيعة (بلاء من ربكم عظيم) لا يطاق وفى الخلاص من ذلك نعمة
 عظيمة (واذ تأذن ربكم) أى واذكروا حين أعلم ربكم فى الكتاب وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه
 واذ قال ربكم (لئن شكرتم) يا بنى اسرائيل نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك بالايمان الخالص
 والعمل الصالح (لازيدنكم) نعمة الى نعمة وحقيقة الشكر هو الاعتراف بنعمة المزمع مع تعظيمه
 ومزيد النعم الجسمانية ان كل من كان اشتغاله بشكر نعم الله أكثر كان وصول نعم الله اليه أكثر ومزيد
 النعم الروحية ان النفس اذا اشتغلت بطاعة أنواع فضل الله واحسانه أوجب ذلك الاشتغال تأكد
 محبة العبد لله تعالى ثم قد يترقى العبد من تلك الحالة الى أن يصير حبه لله شاملاً عن الالتفات الى النعم
 فالشكر مقام شريف يوجب السعادة فى الدين والدنيا (ولئن كفرتم) أى أنكرتم نعمتى فعسى يصيبكم
 عذابى (ان هذا بى لشديد) وكفران النعمة لا يكون الا عند الجهل بكون تلك النعمة نعمت من الله تعالى
 والجاهل بها جاهل بالله والجهل بالله من أعظم أنواع العذاب (وقال موسى ان تكفروا) نعمة تعالى ولم

تشكروها (أنتم) يا بني اسرائيل (ومن في الارض جميعا) لم يرجع ضرر الكفرا عليكم (فان الله لغني) عن شكر الشاكرين (حميد) أي مستحق للحمد في ذاته وان لم يحمد أحد بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده (ألم يأتكم) يا بني اسرائيل (نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أي من بعده هؤلاء المذكورين (لا يعلمهم الا الله) أي لا يعلم عددهم الا الله لكثرتهم وهذه الجملة حال من الذين آمنوا من الغدير المستكن في من بعدهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالدلائل الواضحة على صدقهم وهذه الجملة تفسير لنبأ الذين من قبلكم (فردوا أيديهم في أفواههم) أي وعض الكفار أيديهم من الغيظ من شدة نفرتهم عن استماع كلام الرسل أو وضعوا أيديهم على أفواههم مشيرين الى الرسل أي كفوا عن هذا الكلام واسكتوا (وقالوا انا كفرناحبا أرسلتم به) على ادعائكم فانهم ما أقروا بأن أوامر الرسل ومنهياتهم من الله تعالى (وانا في شك) عظيم (فما دعونا اليه) من الايمان بالله والتوحيد وقرئ تدعوننا بادغام النون (مرتب) أي ذى قلق النفس (قالت رسلهم أي في الله شك) أي في وجود الله ووحدته شك وهو أظهر من كل ظاهر (فاطر السموات والارض) أي مبدعهما وما فيهما (يدعوكم) الى التوحيد بأرساله ايانا (ليغفر لكم) بسببه (من ذنوبكم) في الجاهلية (ويؤخركم الى أجل مسمى) أي يؤخر موتكم الى وقت معين عند الله ان آمنتم والا عاجلكم الله بالاستئصال (قالوا ان أنتم الابشر مثلنا) من غير فضل (تريدون) بالدعوة (أن تصدونا) أي تصرفونا (عما كان يعبد آباؤنا) أي عن عبادة ما استقر آباؤنا على عبادته (فأنتوا بسلطان مبين) أي وان كنتم رسلا من الله فأنتوا بحجة ظاهرة تدل على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده قالوا ذلك عناداً فان الرسل قد أتوهم بالآيات الظاهرة (قالت لهم رسلهم) بحجارة معهم في أول مقابلتهم (ان نحن الابشر مثلكم) كما تقولون (ولكن الله ين علي من يشاء من عباده) بالنبوة فانها عطية من الله من غير سبب (وما كان لنا) أي ما استقام لنا (أن نأتيكم بسلطان) أي بحجة (الا باذن الله) أي بإرادته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ومقصود الرسل بهذا القول حمل أنفسهم على التوكل فان الكفار أخذوا في التخويف حتى قالوا للرسل توكلوا أنتم على الله حتى تر واما يفعل بكم فقالت الرسل (وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) أي أي عذر لنا في ترك التوكل على الله والحال انه قد هدانا طريقه التي نعرفه بها ونعلم ان الامور كلها بيده (ولنصبرن على ما آذيتونا) بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) أمر الرسل في هذا اتباعهم بالتوكل بعد أمر أنفسهم به وذلك يدل على ان الأمر بالخير لا يؤثر الا بعد الايمان به فالانسان اما ان يكون ناقصاً أو كاملاً فالناقص اما ان يكون ناقصاً غير ساع في تنقيص حال غيره فهو ضال واما ان يكون ساعياً في ذلك فهو مضل واما خاليا عن الوصفين فهو مهتد والسكامل اما ان يكون غير قادر على تكميل الغير فهو ولي واما قادراً على ذلك فهو نبي فالولي هو الانسان الكامل والنبي هو الانسان السكامل المكمل (وقال الذين كفروا) أي الغالون في الكفر (لرسلهم لخروجكم من أرضنا) أي من مدينتنا (أو لتعودن في ملتنا) أي لتصيرن داخلين في ملتنا (فأوحى اليهم) أي الرسل (ربهم) لنبلكن الظالمين ولنسكننكم الارض) أي أرض الظالمين وديارهم (من بعدهم) أي من بعد هلاكهم (ذلك) أي اسكان الارض ثابت (لمن خاف مقامى) أي لمن خافني وخاف حفظي لاعماله (وخاف وعيد) أي محذابي الموعود للكفار (واستفتحوا) أي طلب كل من الرسل والقوم النصرة على عدوه

فنهض الله الرسل (وخاب كل جبار) أي خسر عند الدعاء من النصرة كل متكبر عن عبادة الله (عنيد)
 أي منحرف عن الحق (من ورائه جهنم) أي من بعده هذه الخيبة جهنم يلقي فيها (ويسقي من ماء صديد) أي
 مما يسيل من جلود أهل النار من القيح والدم (يتجرعه) أي يتناوله جرعة جرعة على الاستقرار لغلبة
 العطش والحرارة عليه (ولا يكاد يسيغه) أي لا يكاد أن يجريه في الحلق بل يستسكه فيه لمرارته وندته
 فوصوله إلى الجوف ليس بإجازة (و يأتيه الموت من كل مكان وما هو عيت) أي يجد ذلك الكافر ألم الموت من
 كل مكان من أعضائه حتى من أصول شعره وإبهام رجله والحال أنه لا يعوت من ذلك العذاب (ومن ورائه
 عذاب غليظ) أي ومن بعد ذلك العذاب عذاب أشد مما هو عليه لا ينقطع ولا يخف بسبب الاعتماد كما في
 عذاب الدنيا (مثل الذين كفروا بربههم أعمالهم) أي صفة أعمالهم الصالحة كصدقة وصلة رحم واعتناق
 رقاب وفداء أسير وقرى ضيف وبر والدوافئة ملهوف (كرما دأشتدت) أي ذرت (به الریح في يوم
 طائف) أي شديد الريح (لا يقدر أن يمشي) أي لا يجدون يوم القيامة أثر أعمالهم لو أن الدنيا
 من ثواب أو تخفيف عذاب كما لا يوجد من الرماد شيء إذا ذرته الريح وذلك لفقد شرط الأعمال وهو الإيمان
 (ذلك) أي عملهم (هو الضلال البعيد) أي الضياع البعيد عن نيل الثواب (ألم تر) أي قد أخبرت أيها
 المخاطب (أن الله خلق السموات والأرض بالحق) أي ملتبسا بالحكمة وليس عبثا وقرأ حمزة والكسافي
 خالق السموات على اسم الفاعل والاضافة (إن يشاء يذهبكم) أي يهلككم بالمرة (ويأت بخلق
 جديد) سواء لكم أطوع الله منكم (وما ذلك) أي اذهب بكم والأتیان ببذلكم (على الله بعزير)
 أي بعتمس لان القادر لا يصعب عليه شيء (وبرزوا لله جميعا) أي ويخرجون من قبورهم إلى الله
 ليحاسبنهم ويجازيهم على قدر أعمالهم (فقال الضعفاء) في الرأي وهم السفلة (للذين استكبروا)
 عن عبادة الله وهم أكابرهم (أنا كآلهم تبعنا) في الدنيا في تكذيب الرسل والأعراض عن نصيحتهم
 (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) أي فهل أنتم في هذا اليوم دافعون عنا بعض شيء هو عذاب
 الله (قالوا) أي القادة (لو هدانا الله لهديناكم) أي لو خلاصنا الله من العقاب وهدانا إلى طريق
 الجنة لهديناكم طريق النجاة ودفعنا عنكم بعض العذاب ولكن سدا الله عنا طريق الخلاص (سواء
 علينا أخرجنا) مما لقينا (أم صبرنا) على ذلك أي الصياح بالتضرع والصبر مستويان علينا في عدم
 الانجاء (مالنا من محيص) أي محل هرب من العقاب (وقال الشيطان) أي يقول إبليس رئيس
 الشياطين خطيبا في محفل الأشقياء من الثقلين (لما قضى الأمر) أي فرغ منه بأن استقرأ أهل الجنة
 في الجنة وأهل النار في النار وقد قالوا له اشفع لنا فانك أضللتنا (إن الله وعدكم وعد الحق) وهو الوعد
 بالبعث والجزاء على الأعمال فصدق في وعده أياكم (و وعدتكم) أن لا تبعث ولا حساب ولا الجنة ولا
 نار ولئن كان فالأصنام شفعاكم (فأخلفتمكم) أي كذبت لكم وتبين خلف وعدي (وما كان لي عليكم
 من سلطان) أي حجة تدل على صدقي أو قهر فاقهركم على الكفر والمعاصي (الآن دعوتكم) أي
 الادعاء أياكم إلى الضلالة بوسوستي (فاستجبتم لي) أي أجبتهموني (فلا تلوموني) بوعدي أياكم
 حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر (ولموا أنفسكم) حيث أجبتهموني باختياركم حين دعوتكم
 بلا دليل فما كان مني إلا الدعاء والقاء الوسوسة وقد علمت دلائل الله وجاءتكم الرسل وكان من الواجب
 عليكم أن لا تغتروا بقولي فلما رجعت قولي على الدلائل الظاهرة كن اللوم عليكم لا على في هذا الباب
 (ما أنا بصرخكم) أي بعفيتكم من عذابكم (وما أنتم بمصرخي) أي بعفيتني من عذابي (إني كفرت

عما أشركتمون من قبل) أي اني الآن تبرأت من أشرككم أي مع الله في الطاعة من قبل هذا اليوم
 أي في الدنيا أي لان الكفار كانوا يطيعون ابليس في أعمال الشرك كما يطاع الله في أعمال الخير ومعنى
 أشركهم ابليس بالله تعالى طاعتهم لا بليس في تزيينه لهم في عبادة الاوثان (ان الظالمين لهم عذاب
 أليم) هذا تمام كلام ابليس قطعاً لا طماع أولئك الكفار عن الاغاة فالوقف على من قبل حسن أو
 ابتداء كلام من حضرة الله تعالى اي قاطب السامعين حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم فالوقف على
 من قبل تام كما هو عند أبي عمر (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
 خالدين فيها باذن ربهم) متعلق بادخل أي أدخلتهم الملائكة بأمر ربهم (تحييتهم فيها سلام) فان
 بعضهم يحيي بعضهم هذه الكلمة والملائكة يحيونهم بها والرب الرحيم يحييهم أيضاً هذه الكلمة وقرأ الحسن
 وأدخل على صيغة التكلم وعلى هذه القراءة باذن ربهم متعلق بتحييتهم أي يحييهم الملائكة بالسلام
 باذن ربهم (الم تر) أي ألم تخبر يا شرف الخلق (كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة) أي كيف
 جعل الله كلمة طيبة وهي لا اله الا الله مثلاً وهي (كشجرة طيبة) وهي النخلة (أصلها ثابت) أي
 ضارب بعروقه في الارض (وفرعها في السماء) أي أعلاها في الهواء (تؤتي أكلاً) أي تعطى
 هذه الشجرة ثمرها (كل حين) أي كل وقت وكل ساعة ليلاً أو نهاراً شتاءً أو صيفاً فيؤكل منها الجمار
 والطلع والبطح والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين
 الطرى الرطب فأكلها دائماً في كل وقت (باذن ربها) أي بإرادةخالقها كذلك كلمة التوحيد ثابتة في قلب
 المؤمن بالبرهان وهمل المؤمن المخلص يرفع الى السماء وفي كل حين يعمل خيراً بأمر ربه وحكمة تمثيل
 كلمة التوحيد بالشجرة ان الشجرة تكون بثلاثة أشياء عروق وأصل قائم وفرع هال كذلك التوحيد
 يكون بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان (ويضرب الله الامثال) أي يبين
 الله صفات التوحيد (لناس لعلهم يتذكرون) أي يتعظون لان في ضرب الامثال تصوير للآيات
 فيحصل به الفهم التام والوصول الى المطلوب (ومثل كلمة خبيثة) وهي الشرك بالله (كشجرة
 خبيثة) كالحنظل والكشوث وهي نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير ان يضرب بعرق في الارض
 (اجتثت) أي استوصلت (من فوق الارض) لتكون عروقه في وجه الارض أي ليس لها أصل
 ولا عرق يغوص في الارض فتسميتها شجرة للشاكلة فكذلك الشرك بالله ليس له حجة ولا قوة (مالها
 من قرار) أي ثبات على وجه الارض فلا يقبل مع الشرك همل (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت)
 أي الذي يثبت بالحنة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو شهادة ان لا اله الا الله (في الحياة الدنيا) فلا
 يزالون عن تلك الشهادة اذا اقتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنتهم أصحاب
 الاخدود (وفي الآخرة) أي في القبر حين يقال له من ربك وما دينك ومن نبيلك فيقول ربى الله ودينى
 الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم وحكى ان سهل بن عمار العلمى يقول رأيت يزيد بن هرون في منامى
 بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال أتاني في قبرى ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيلك فاخذت
 بطيختي البيضاء فقلت لهما ألمثلنى يقال هذا وقد علمت الناس جوابك اثنتين سنة فذهبا وكلما كانت
 مواظبة العبد على ذكر لا اله الا الله وعلى التأمل في دقائقها أتم وأكمل كان دسوخ هذه المعرفة في قلبه
 بعد الموت أقوى وأكمل قال ابن عباس من داوم على الشهادة في الحياة الدنيا يثبتته الله عليها في قبره
 ويلقنها ياها وانما فسر الآخرة ههنا بالقبر لان الميت انقطع بالموت عن أحكام الدنيا ودخل في أحكام

الآخرة (ويضل الله الظالمين) أى يصرف الله المشركين عن قول لا اله الا الله فى الدنيا وفى القبر وعند
 خروجهم من القبور فانهم اذا سئلوا فى قبورهم قالوا لا ندري (ويفعل الله ما يشاء) من الاضلال
 والتثيت ومن صرف منكرو نكير (الم تر) أى ألم تنظر (الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) كاهل
 مكة حيث أسكنهم الله حرمة الآمن وسع عليهم أبواب رزقه وشرفهم محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا
 بذلك فقتلوا سبع سنين فقتلوا وأسر وايقومهم) أى أنزل بعض قريش المطعمون يوم
 بدر وهم بنو أمية وبنو المغيرة أتباعهم وهم ببيعة قريش بسبب اضلالهم اياهم (دار البوار) أى دار
 الهلاك (جهنم يصلونها) أى يدخلونها يوم القيامة مقاسين لحرها (وبئس القرار) أى بئس المنزل
 جهنم (وجعلوا الله أندادا) أى أشباها وشركاء فى التسمية والخط والعبادة (ليضلوا عن سبيله) الذى
 هو التوحيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء فاللام للعاقبة والباقيون بضها فاللام امال للعاقبة لان عبادة
 الاوثان سبب يؤدى الى الضلال اول التعليل فالذين اتخذوا الاوثان يريدون اضلال غيرهم وتحقق لآلام
 العاقبة ان المقصود من الشئ لا يحصل الا فى آخر المراتب كما قيل أول الكفر آخر العمل وكل ما حصل فى
 العاقبة كان شبيها بالامر المقصود فى هذا المعنى (قل تمتعوا) بعبادتكم الاوثان وعيشوا بكمفركم
 وهذا الامر تهديد لهم (فان مصيركم) أى مرجعكم يوم القيامة (الى النار) ليس الا (قل لعبادى
 الذين آمنوا يقيموا الصلاة) وهذا ما يحجز وما فى جواب أمر محذوف أى قل لهم أقيموا الصلاة فان
 قلت لهم ذلك يقوموا الصلاة أو يحجز وما بلام أمر مقدر أى ليقموا الصلاة أى الواجبة (وينفقوا ما
 رزقناهم) أى أعطيناهم (سرا وعلانية) أى أنفقوا انفاق سرا وعلانية والمراد حدث المؤمنين على
 الشكر لنعم الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وعلى ترك التمتع بمتاع الدنيا كما هو صنيع الكفرة (من
 قبل أن يأتى يوم لا يبيع) أى معارضة (فيه ولا خلال) أى مصادقة تنفع وهو يوم القيامة واغا
 الانتفاع فيه للمؤمن بالعمل الصالح والانفاق لوجه الله تعالى (الله الذى خلق السموات والارض) وهما
 أصلان فى دلالة وجود الصانع (وأزل من السماء) أى السحاب (ماء) فلولو السماء لم يصح انزال
 الماء منها ولولا الارض لم يوجد ما يستقر الماء فيه (فأخرج به) أى بذلك الماء (من الغرات رزقا لكم)
 تعيشون به فاذا علم المكفون ان فى تحصيل هذه المنافع القليلة تحمل المتاعب والمنافع العظيمة الدائمة
 فى الآخرة أولى بتحمل المشاق فى طلبها (ومخزلكم الفلك) أى السفن (لتجريا) أى الفلك تجريا
 تابعا لارادتكم (بأمره) أى بمشيئته التى نيط بها كل شئ فان الانتفاع بما ينبت من الارض لا يكمل الا
 بوجود الفلك لنقله الى البلد الآخر المحتاج أهلها اليه (ومخزلكم الانهار) أى لتنتفع عوالمها فى نحو
 الشرب وسقى الزراعات (ومخزلكم الشمس والقمر ودائبين) أى جارين فيما يعود الى مصالح العباد
 لا يفتران فى سيرهما الى انقضاء عمر الدنيا ولولا هما لاختلت مصالح العالم بالكلية (ومخزلكم الليل
 والنهار) لتمامكم ومعاشكم (وآنا كم من كل ما سألتموه) أى كل ما لم تصلح أحوالكم الا به فكأنكم
 سألتموه أو من كل ما طلبتموه بلسان الحال (وان تعدوا نعمة الله) التى أنعم الله بها عليكم (لا تحصوها)
 أى لا تطبقوا على عدأنواعها فضلا عن عد أفرادها فانها غير متناهية (ان الانسان لظالم كفرار) أى
 فان الانسان مجبول على النسيان والملافة فاذا وجد نعمة نسيها فى الحال وترك شكرها فذلك ظلم وان لم
 ينسها فانه يعلمها فيقع فى كفران النعمة وأيضا ان نعم الله كثيرة فتفى حاول الانسان التأمل فى بعضها غفل
 عن الباقي (وان قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) أى مكة (آمنا) من الخراب ومن الخوف لمن التجأ

اليه (واجتنبني وبني أن نعبد الاصنام) أي نبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام ومن البعد عن عبادة الاصنام أو المراد اعصمنا من الشرك الخفي وهو عند الصوفية تعليق القلب بالوسائط وبالاسباب الظاهرة (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) أي ان الاصنام ضل بهن كثير من الناس أي لما حصل الاضلال عند عبادتها نسب اليها (فمن تبعني) في ديني واعتقادي (فانه مني) أي فانه جار مجرى بعضي لقربه مني (ومن عصاني) أي خالف ديني (فانك غفور رحيم) أي فانك قادر على ان تغفر له وترحمه بأن تنقله عن الكفر الى الاسلام (ربنا اني أسكنت من ذريتي) أي بعض ذريتي اسمعيل ومن سمي ولد له (بواد غير ذي زرع) أي في واد ليس فيه زرع (عند بيتك المحرم) أي المعظم الذي يهابه كل جبار والذي منع من الطوفان وهو مكة شرفها الله تعالى فلعنه قال ذلك باعتبار ما سيؤول اليه أو باعتبار ما كان (ربنا ليقيموا الصلاة) أي ياربنا انما أسكنت قوما من ذريتي وهم اسماعيل وأولاده في هذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقيموا الصلاة نحو الكعبة (فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم) أي فاجعل قلوب بعض الناس تسرع الى ذريتي شوقا اليهم بنقل المعاشات اليهم بسبب التجارات بالنسك والطاعة لله تعالى وقرأ العامة تهوي بكسر الواو وقرأ أمير المؤمنين علي وزيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد بن قيس الواد أي تحبهم وقرئ على البناء للمفعول أي اجعل قلوب بعض الناس عمالة اليهم (وارزقهم) أي ذريتي (من الثمرات لعلهم يشكرون) تلك النعمة فان ابراهيم عليه السلام انما طلب تيسير المنافع على أولاده لاجل ان يتفرغوا لاقامة الصلاة وأداء الواجبات (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) من الحاجات وغيرها فلا حاجة بنا الى الدعاء انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وافتقارا الى ما عندك (وما يخفي على الله من شيء في الارض ولا في السماء) وهذه الجملة من كلام الله تعالى تصديقاً لابراهيم عليه السلام وهي اعتراض بين كلامي ابراهيم فالوقف على نعلن حسن ككوقف على في السماء (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) أي حال كوني بعد الكبر (اسماعيل واسحق) روى انه لما ولد اسماعيل كان سن ابراهيم تسعا وتسعين سنة ولما ولد اسحق كان سنه مائة واثنى عشرة سنة (ان ربي لسميع الدعاء) أي لجيب الدعاء وهو عالم بالقصود (رب اجعلني مقيم الصلاة) أي مثابرا عليها (ومن ذريتي) أي واجعل بعض ذريتي كذلك (ربنا وتقبل دعاء) وقال ابن عباس أي عبادتي (ربنا اغفر لي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك) (ولو ادي) وهذا الاستغفار قبل تبين أمرهما وقرأ ابن حسين ولو ادي بسكون الياء وقرأ الحسين بن علي ومحمد وزيد ابنا علي بن الحسين ولو ادي بفتحات وهما اسماعيل واسحق وقرأ ابن يعمر ولو ادي بضم الواو وسكون اللام وكسر الدال جمع ولد فالقرآت الشاذة ثلاثة (وللمؤمنين) كافة أي من ذرية ابراهيم وغيرهم ففي هذا الدعاء بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء خليفه ابراهيم عليه السلام (يوم يقوم الحساب) أي يوم ثبت محاسبة أعمال المكلفين على وجه العدل (ولا تحسبن الله) يا أشرف الخلق (غافلا عما يعمل الظالمون) أي تارك عقوبة المشركين بما عملوا والمراد تشييته صلى الله عليه وسلم على ما كان عليه من انه صلى الله عليه وسلم لا يحسب الله غافلا والقصود تنبيهه على انه تعالى لو لم ينتقم للظلم من الظالم لزم عليه تعالى أحد الامور الثلاثة اما أن يكون غافلا عن ذلك الظالم أو عاجزا عن الانتقام أو راضيا بذلك الظلم وكل ذلك محال عليه تعالى فامتنع أن لا ينتقم للظلم من الظالم (انما يؤخرهم) بلا عذاب الاستئصال (ليوم) أي لاجل يوم (تشخص فيه الابصار) أي تبقى مفتوحة لا تتحرك أجفانهم

للدهشة (مهطعين) أى مسرعين لمحو البلاء ناظرين الى الداعي وهو جبريل حيث يدعو الى الحشر من حفرة بيت المقدس (مقني رؤسهم) أى رافعي رؤسهم الى السماء لا ينظر أحد الى أحد (لا يرتد اليهم طرفهم) أى يدوم شحوص أبصارهم لدوام الحيرة في قلوبهم (وافئدتهم هواه) أى خالية عن جميع الافكار لعظم ما ينالهم من الحيرة لما تحققوه من العقاب وحصول هذه الصفات الخمسة عند المحاسبة (وأندرا الناس يوم يأتيهم العذاب) أى وخوف الكفار يا أكرم الرسل أهوال يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) أى كل من ظلم بالشرك (ربنا أخرنا الى أجل قريب) أى أخر العذاب عنا ورددنا الى الدنيا وأمهلنا الى حدم من الزمان قريب (فنجب دعوتك) لنا على السنة الرسل الى التوحيد (وتتبع الرسل) فيها جاؤنا به أى تتدارك في الدنيا ما فاتنا من اجابة الدعوة واتباع الرسل فيقول الله لهم توبيننا (أو لم تكونوا أقسمتم) أى أطلبتم هذا المطلوب وهل لم تكونوا حلفتم (من قبل) هذا اليوم أى في الدنيا (مالكم من زوال) أى كانوا يقولون بالحلف لازوال لنا من هذه الحياة الى حياة أخرى ومن هذه الدار الى دار المجازاة أمازواهم من غنى الى فقر ومن شباب الى هرم ومن حياة الى موت فلا ينكرونه (وسكنتم) معطوف على أقسمتم (في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية وهم قوم نوح وعاد وثمود لان من شاهد هذه الاحوال وجب عليه أن يعتبر فاذا لم يعتبر كان مستحقا للتقريع (وتبين لكم) أى وظهر لكم حالهم بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار (كيف فعلنا بهم) من الاهلاك بما فعلوا من الفساد وقرى وبين على المجھول وقرى أيضاً ونبين بنون المتكلم أى أولم نبين لكم (وضربناكم الامثال) أى بينا لكم الامثال في القرآن عما يعلم به انه تعالى قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك المجمل (وقدمكم روا) أى المهلكون (مكرهم) حال من الضمير في فعلنا بهم أى فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكرروا في ابطال الحق مكرهم الذي جاؤوا فيه كل حدم معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم (وعند الله مكرهم) أى أخذهم بالعذاب الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون وهذه الجملة حال من الضمير في مكرروا (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) أى وان كان مكرهم في غاية العظم والشدة بحيث تزول منه الجبال فان وصلية وقيل ان نافية واللام لتأكيدها وينصروه قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وما كان مكرهم فالجملة حينئذ حال من الضمير في مكرروا أى ومكرروا مكرهم والحال أن مكرهم لم يكن لتزول منه الشرائع والمجيزات وقيل هي محققة من ان أى وانه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال في الثبات من الشرائع والمجيزات وقرأ الكسائي وحده لتزول بفتح اللام الفارقة ورفع الفعل فالجملة حينئذ حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم أى وعند الله المكر بهم والحال أن مكرهم في غاية القوة بحيث تزول منه الجبال (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) تفريع على ولا تحسبن الله الخ فكأنه قيل واذا قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة وأخبرناك بما يلقيه من الشدائد وبما يسألونه من الرد الى الدنيا وبما أجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم في أحوال من سبقهم من الامم الذين أهلكتهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم باهلا كههم قدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلاقنا رسلنا وعدنا فمخلف امام تعدلاتين مضاف لمفعوله الثاني وامامتعد لواحد مضاف لمفعوله ورسله مفعول لوعده (ان الله عزيز) أى غالب لا يماكر (ذوانتقام) لاوليائه من أعدائه (يوم تبدل الارض غير الارض) أى تغير في صفاتها فتسير عن الارض جبالها وتغير بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت (والسموات) أى تبدل السموات غير السموات فتنتثر كواكبها وتكسف شمها ويخسف قرها وتكون السماء أبوابا وذر كرشيب بن

ابراهيم بن حنيفة أن الأرض والسماوات تبدلان كرتين احدهما قبل نفخة الصعق فتنتثر أولا الكواكب
وتكسف الشمس والقمر وتصبح السماء كالمهل ثم تكشط عن رؤسهم ثم تسير الجبال ثم توج الأرض ثم
تصبح البحار نيرانا ثم تنشق الأرض من قطر إلى قطر فاذا نفخ في الصور نفخة الصعق طويت السماء وبذلت
السماء سماء أخرى من ذهب ودحيت الأرض أي مدت مدا لديم وأعيدت كما كانت فيها القبور والبشر
على ظهرها وفي بطنها وتبدل تبدلا ثانيا اذا وقعوا في المحشر فتبدل لهم ساهرة يحاسبون عليها وهي أرض
بيضاء من فضة وحيث تقوم الناس على الصراط وعلى متن جهنم وهي أرض من نار فاذا جاوزوا الصراط
حصل أهل الجنان من وراء الصراط في الجنان وأهل النيران في النار بذلت الأرض خبزنا قيفا كلوا من
تحت أرجلهم وعند دخولهم الجنة كانت الأرض قرصا واحدا يأكل منه جميع من دخل الجنة وأدامهم
زيادة كبثور الجنة وزيادة كبد النون وحاصل كلام القرطبي أن تبديل هذه الأرض بأرض أخرى من
فضة يكون قبل الصراط وتكون الخلائق اذ ذاك مرفوعة في أيدي ملائكة السماء الدنيا وأن تبديل
الأرض بأرض من خبز يكون بعد الصراط وتكون الخلائق اذ ذاك على الصراط وهذه الأرض خاصة
بالمؤمنين عند دخولهم الجنة وقال الرازي لا يبعد أن يقال المراد من تبديل الأرض والسماوات هو أنه تعالى
يجعل الأرض جهنم ويجعل السماوات الجنة (وبرزوا لله الواحد القهار) أي واذكروا يوم يبرز الخلائق
جميعا من قبورهم للحساب والجزاء (وترى المجرمين) أي وتبصروا أكرم الخلق الكافرين (يومئذ) أي يوم
اذبرزوا له تعالى (مقرنين) أي قرن بعضهم ببعض بحسب مشاركتهم في العقائد والأعمال (في الاصفاد) أي
القيود (سرايلهم) أي قصاصهم (من قطران) وهو ما يتحلب من شجر الابل فيطبخ ويطلى به
الابل الجرب فيحرق الجرب بحرارته وقد تصل إلى الجوف والمراد أنه تطلّى به جلود أهل النار ليجمع عليهم
الانواع الاربعة من العذاب لذع القطران ووحشة لونه وتتن ريحته وامرأع النار في جلودهم (وتغشى
وجوههم النار) أي تعلوها النار وخص الله هذا العضو بظهور نار العقاب كما خص القلب بذلك في قوله
تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الاقدام لان الرأس محل الفكر والقلب موضع العلم
والجهل ولا يظهر أثر هذه الاحوال الا في الوجه ولانه يجمع الحواس والحواس لو لم ينفصل عن القلب موضع العلم
تلك الامور الثلاثة (ليجزى الله كل نفس) مجزئة (ما كسبت) من أنواع الكفر والمعاصي جزاء
موافقا لعملها (ان الله سريع الحساب) فلا يشغله حساب عن حساب ولا يظلمهم ولا يزد على عقابهم
الذي يستحقونه (هذا) أي الموعظة التي في هذه السورة (بلاغ) أي كفاية في الموعظة (للناس
ولينذروا به) عطف على مقدمته لعل بيلاغ أي كفاية لهم لينتبهوا ولينذروا به أي بهذا البلاغ
(وليعلموا) بما فيه من الأدلة (أنما هو) أي الله (الواحد) لا شريك له (ولينذروا بالآيات
التي هي آيات مشعرة بان التذكير بهذه الموعظة يوجب الوقوف على التوحيد
والاقبال على العمل الصالح

(سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية وستمائة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم الر) قال ابن عباس أي أنا الله أرى (تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) أي تلك
آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا مفيدا للبيان لسبيل الرشاد والنجى

وللفرق بين الحق والباطل وهو الكتاب الذي وعد الله تعالى به محمد صلى الله عليه وسلم وتكبير القرآن
للتفخيم كتعريف الكتاب بالمقصود الوصفان وقيل الواو للقسمة أى أقسم بالقرآن المبين بالحلل والحرام
وبالامر والنهي (ربما يورد الذين كفروا لو كانوا مسلمين) أى ان الكافرين بالقرآن كلما رأى حالاً من
أحوال العذاب ورأى حالاً من أحوال المسلم غنى كونه في الدنيا منقاداً للحكمة ومذعناً لأمره وذلك عند
الموت وعند اسوداد وجوه الكفار وعند دخولهم النار وعند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار قرب
للتكثير باعتبار مرات التخييل وللتقليل باعتبار ازمان الافاق فآزمان افاقاتهم قليلة بالنسبة لازمان الدهشة
وكونه للتقليل أبلغ في التهديد ومعناه انه يكفى قليل الندم في كونه زاحراً لك عن هذا العمل فكيف
كثيره وأيضاً انه يشغلهم بالعذاب عن غنى ذلك الا في القليل وقرأ نافع وعاصم ربما تخفيف الباء
والباقون بالتشديد (ذرهم) أى اترك كفاركم يا أشرف الرسل عن النهى عما هم عليه بالصيحة
اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك بل مرهم يتناول ما يتناولونه (يا كلوا ويطمئئنا) أى يأخذوا وحظوظهم
من دنياهم فتلك اخلاقهم ولا خلاق لهم في الآخرة (ويلهم الامل) أى يشغلهم الامل عند الاخذ
بخطيئتهم عن الايمان والطاعة (فسوف يعلمون) عند الموت وفي الغبر يوم القيامة ماذا يفعل بهم وعن
على رضى الله عنه انه قال انما أخشى عليكم اثنين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى
الآخرة واتباع الهوى يصدر عن الحق (وما أهلكتكم من قرية من القرى بالحسب بها وبأهلها كما فعل
ببعضها وبأخلائها عن أهلها غلب اعداؤهم بعذاب الاستئصال كما فعل ببعض آخر (الاولها) في ذلك
الشأن (كتاب معلوم) أى أجل مؤقت لهما ككتاب مكتوب في اللوح المحفوظ لا يغفل عنه (ما تسبق
من أمة) من الامم المهلكة وغيرهم (أجلها) المكتوب في كتابها فلا يجي هلاكها ولا موتها قبل
مجيئ كتابها (وما يستأخرون) عن أجلها (وقالوا) أى كفاركم عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه
استهزأ للنبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أى القرآن في زعمه (انك لمجنون)
أى انك لتقول قول المجانين حتى تدعى ان الله تعالى نزل عليك القرآن (لوما تأتينا بالملائكة) أى هلا
أتيتنا بالملائكة يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك في الانذار (ان كنت من الصادقين) في مقالته انك
نبي وان هذا القرآن من عند الله فأجاب الله تعالى عن قولهم بقوله تعالى (مانزل الملائكة الا بالحق)
أى فالحق في حق الكفار تنزيل الملائكة بعذاب الاستئصال كما فعل بأمثالهم من الامم السالفة
لا التنزيل بما اقترحوا من اخبارها لهم بصدق الرسول فان ذلك من باب التنزيل بالوحى الذى لا يكاد يفتح
على غير الانبياء من افراد كل المؤمنين فكيف على أولئك الكفرة وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن
عاصم ما تنزل بنون المتكلم وبكسر الزاى المشددة والملائكة بالنصب يقرأ شعبة عن عاصم ما تنزل بنينا
الفعل للفعل والملائكة بالرفع والباقون تنزل الملائكة (وما كانوا اذا) أى اذ نزلت عليهم الملائكة
بالعذاب (منظرين) أى مؤخرين ساعة أى ولو نزلنا الملائكة ما أخر عذابهم ونحن لا نريد عذاب
الاستئصال بهذه الامم فلهذا السبب ما أنزلنا الملائكة (انا نحن نزلنا الذكر) الذى أنكر واتزوله عليك
ونسبوا ذلك الى الجنون (واناله) أى الدكر (لحافظون) من الشياطين حتى لا يز يدوا فيه ولا
بنقصوا منه ولا يغيروا حكمه ويقال وانا الحمد والحافظون من الكفار والشياطين (ولقد أرسلنا) رسلاً
(من قبلك) يا أكرم الرسل (في شيع الاولين) أى في امم الارلين (بما أتيتهم من رسوا) الا كانوا
به يستهزئون) أى عادة هؤلاء الجهال مع الرسل ذلك الاستهزاء كما يفعله هؤلاء الكفرة بل وهذا تسلية

رسول الله صلى الله عليه وسلم (كذلك نسله في قلوب المجرمين) أي مثل ذلك السلك الذي سلكناه
 في قلوب أولئك المستهزئين برسولهم وعباد باؤابه من الكتاب نسلنا الذي كرف في قلوب كفار مكة (لا يؤمنون
 به) أي بالذكر وهذا حال من ضمير نسله أولاً محمل له من الاعراب تفسير الجملة السابقة والمراد من
 هذا السلك هو أنه تعالى يسمعهم هذا القرآن ويخلق في قلوبهم حفظ هذا القرآن ويخلق فيها العلم
 بعانيه ومع هذه الاحوال لا يؤمنون به عناداً منهم (وقد خلت سنة الاولين) أي وقدمت سيرة
 الاولين بتكذيب الرسل ومضت سيرة الله فيهم بالهلاك ايهاهم بعد التكذيب وهذه الجملة استئناف
 جسيها تكملة للتسلية وتمديد الكفار مكة (ولو فتحنا عليهم) أي كفار مكة الذين اقترحوا نزول
 الملائكة (باباً من السماء فظلوا فيه) أي في ذلك الباب (يعرجون) أي يصعدون ريرون
 ما فيها من العجائب عياناً (لقالوا) لفرط عنادهم (انما سكرت ابصارنا) أي غشيت بالسكر وقرأ
 ابن كثير بتخفيف الكاف والباقون بتشديد هاء فهو يوجب تكثيراً أو حيرت من السكر كما يعضده
 قراءة من قرأ سكرت أي حارت (بل نحن قوم مسحورون) أي قد سحر محمد عقولنا كما قالوه عند ظهور
 سائر المعجزات من انشفاق القمر ومن القرآن الذي لا يستطيع الجن والانس ان يأتوا بعثله (ولند جعلنا
 في السماء بروجاً) أي محال تسير فيها الكواكب السيارة وهي المريح بكسر الميم وهو كوكب في السماء
 الخامسة وله الحمل والعقرب والزهرة بضم ففتح وهي في السماء الثالثة ولها الثور والميزان وعطارد بفتح
 العين وهي في الثانية ولها الجوزاء والسنبلة والقمر وهو في الاولى وله السرطان والشمس وهي في الرابعة
 ولها الاسد والمشتري وهو في السادسة وله القوس والحوت وزحل وهو في السابعة وله الجدي والحوت
 وجملة البروج اثنا عشر ووجه دلالة البروج على وجود الصانع المختار هو ان طبائع هذه البروج مختلفة
 فالفلك مركب من هذه الاجزاء المختلفة وكل مركب لا بد له من مركب يركب تلك الاجزاء بحسب الاختيار
 والحكمة فثبت ان ~~كون~~ كون السماء مركبة من البروج يدل على وجود الفاعل المختار وهو المطلب
 (وزيناها) أي السماء بالشمس والقمر والنجوم (لناظرين) بأبصارهم وببصائرهم فيستدلون بها
 على قدر قصانتها و وحدته (وحفظناها من كل شيطان رجيم) أي من كل الشهاب فلا يقدر ان يصعد
 اليها ويوسوس في أهلها ويقف على أحوالها (الامن استرق السمع) أي الامن اختلس المسموع سرا
 من غير دخول (فأتبعه شهاب) أي لحقه شعلة نار ساطعة تنفصل عن الكوكب (مبين) أي ظاهر
 امره للبصرين (والارض مددناها) أي بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها) أي على الارض
 (روابي) أي جبالاً ثوابت لكيلا تميل بأهلها ولتكون دلالة للناس على طرق الارض لانها كالأعلام
 فلا تميل الناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال (وأنبأنا فيها) أي الارض (من كل شيء
 موزون) أي مستحسن مناسب أو موزون بوزن فالمعادن كلها موزونة وذلك مثل الذهب والفضة والحديد
 والرصاص وغير ذلك والنبات يرفع عاقبتها الى الوزن لان الحبوب وزن وكذلك الفواكه في الاكثر
 (وجعلنا لكم فيها) أي الارض (معاش) أي ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما
 يتعلق به البقاء مدة حياتكم في الدنيا (ومن لستم به برازقين) أي وجعلنا لكم من لستم برازقين من
 العيال والخدم والعبيد والدواب والطيور وما أشبهها فالناس يظنون في أكثر الامور انهم الذين يرزقونهم
 وذلك خطأ فان الله هو الرزاق يرزق الكل (وان من شيء الا عندنا خزائنه) أي ان جميع المسكنات
 مقدورة لله تعالى يخرجها من العدم الى الوجود كيف شاء مشبهت مقدوراته تعالى الفائتة للعصر في كونها

مستورة عن علوم العالمين وكونها مهياة لا يجاده بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت من غير تأخر
 بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية (وما ننزله) أى ما نوجد شيئا (الابقدر معلوم) أى
 الامتياز بما يقدره من مقتضيه الحكمة فقوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه اشارة الى كون مقدوراته
 غير متناهية وقوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم اشارة الى ان كل ما يدخل في الوجود منها فهو متناه ومضى
 كان الخارج الى الوجود منها متناهيا ~~كان مختصا~~ بوقت مقدور وبخير معين وبصفات معينة بدلا عن
 اضدادها فخصيص كل شئ بما اختص به لا بد له من حكمة تقتضى ذلك وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن
 جده قال ان في العرش عرشا لجميع ما خلق الله في البحر والبر وهو تأويل قوله تعالى وان من شئ الا عندنا
 خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقف) أى حوامل لانها تحمل الماء وتجمعه في السحاب (فأنزلنا من السماء)
 أى السحاب (ماء فأسقيناكوه) أى جعلناه لكم سقيا وفي هذا دلالة على جعل الماء معدا لهم بينة فغفون به
 متى شاؤا (وما أنتم له بخازنين) أى نحن القادرون على ايجاده وخزئه في السحاب وانزاله في الارض وما
 أنتم على ذلك بقادرين وقيل ما أنتم بخازنين له بعدما أنزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها
 لنجعلها سقيا لكم أى معدا لى أنفسكم ومواشيكم وأراضيكم مع ان طبيعة الماء تقتضى الغور (وانا
 لنحن نجبي ونغيث) أى لا قدرة على الاحياء ولا على الامانة الا لنا (ونحن الوارثون) أى الباقون بعد فناء
 الخلق المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي (ولقد علمنا المستقدمين منكم) أى من تقدم منكم
 ولادة وموتا (ولقد علمنا المستأخرين) أى من تأخر ولادة وموتا وقال ابن عباس في رواية عطاء معنى
 المستقدمين أهل طاعة الله تعالى ومعنى المستأخرين المتخلفون عن طاعة الله تعالى (وان ربك هو يحشرهم)
 للجزاء (انه حكيم) أى متقن في أفعاله فيأتى بالافعال على ما ينبغي وعالم بحقائق الاشياء على ما هي عليه
 (عليم) أى راسع علمه كل شئ (ولقد خلقنا الانسان) أى آدم (من صلصال) أى من طين يابس غير مطبوخ
 يصوت عند نقره (من حمأ) أى كائن من طين متغير أسود بطول مجاورة الماء (مسنون) أى مصور بصورة
 الآدمي قال المفسرون خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين فصوره وتركه في الشمس أربعين سنة
 فصارت صلصالا كالخزف ولا يدري أحد ما يراد به ولم ير واشيا من الصور يشبهه الى أن نفخ فيه الروح
 (والجن) وهو أبو الجن والاصح ان الشياطين قسم من الجن فكل من كان منهم مؤمنا فإنه لا يسمى
 بالشيطان وكل من كان منهم كافرا يسمى بهذا الاسم (خلقناه من قبل) أى من قبل خلق الانسان
 (من نار السموم) أى من نار الحر الشديد النافذ في المسام أو من نار الريح الحارة (واذا قال ربك للملائكة
 اني خالق بشرا) أى جسما كشيء يلاقى بخلاف الجن والملائكة فانهم لا يلاقون للطف أجسامهم (من
 صلصال) أى من طين يتصلصل (من حمأ مسنون) أى من طين منتن رطب (فاذا سويته) أى
 أتممت خلقه باليدن والرجلين والعينين وغير ذلك (ونفخت فيه من روحي) أى جعلت الروح فيه
 وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو غشيل لا فاضة ما يحيا آدم به من الروح التي هي من أمره تعالى (فقهوا)
 اي خروا (له) أى لذلك البشر (ساجدين) بوضع الجبهة على الارض لا بالانحناء تعظيما له فالسجود
 كان لآدم في الحقيقة أو المعنى امجد والله تعالى بوضع الجبهة على الارض وآدم عليه السلام بمنزلة القبلة
 لذلك السجود حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته (فسجد الملائكة كلهم أجمعون)
 أى خلقه فسواه فجعل فيه الحياة فسجد الملائكة فعنى كلهم أى لم يشذ منهم أحد ومعنى أجمعون أى لم يمتأخر
 في ذلك أحد منهم عن أحد أى فالكل سجدوا دفعة واحدة (الا بليس) رئيسهم (أبى أن يكون مع)

الساجدين قال) أى الله تعالى (يا ابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين) أى أى سبب لك فى أن
 لا تكون مع الساجدين لآدم (قال) أى ابليس (لم أكن لامجد) أى لا يمع منى ان أمجد (لبشر)
 أى جسم كثيف لانه مخلوق من أشرف العناصر وأعلاها وانار وحانى لطيف (خلقته) أى البشر
 (من صلصال) ناشئ (من حماسنون قال) الله تعالى (فاخرج منها) أى من زمرة الملائكة
 العزيزين ويقال من رحمتى والغاء فى جواب شرط مقدر أى حيث عصيت وتكبرت فاخرج منها (فانك
 رجيم) أى مطرود عن الرحمة (وان عليك اللعنة) أى الابعاد عن الرحمة (الى يوم الدين) أى
 الجزاء أى انك مدعو باللعنة فى السموات والأرض الى يوم الحساب من غير ان يعذب فأذا جاء ذلك اليوم
 عذب عذابا ينسى اللعن معه فيصير اللعن حينئذ كالزائل بسبب ان شدة العذاب تذهل عنه (قال) ابليس
 (رب فأنظرنى) أى أخرى ولا تمتنى (الى يوم يبعثون) أى آدم وذريته للجزاء بعد فناءهم وأراد
 المنعون بهذا السؤال ان لا يذوق الموت لاستحالة بعد يوم البعث وان يجد فسحة فى اغوائهم (قال) الله
 تعالى (فانك من المنظرين) أى المؤجلين (الى يوم الوقت المعلوم) وهو وقت النفخة الاولى التى
 علم أنه يموت كل المخلوق فيه (قال) ابليس (رب بما أغويتنى لآزيتن لهم فى الأرض) أى أقسم
 ياغوائك اياى لآزيتن لذرية آدم المعاصى فى الدنيا التى هى دار الغرور (ولاغويتهم أجمعين الاعداد
 منهم المخلصين) قرأ ابن كثير وابن عاصم وأبو عمرو وبكسر اللام فى كل القرآن أى الذين أخلصوا دينهم
 عن كل شائب ينقض التوحيد وقرأ الباقون بفتح اللام أى الذين أخلصهم الله تعالى بالتوفيق والعصمة
 وعصمتهم من كيد ابليس قال تعالى (هذا صراط على مستقيم) أى هذا الاخلاص طريق يؤدى الى
 كرامتى وثوابى من غير اعوجاج وقرأ يعقوب على بالرفع والتنوين على أنه صفة لمرط أى هذا الاخلاص
 طريق رفيع لا عوج فيه (ان عبادى) سواء كانوا مخلصين أو لم يكونوا مخلصين (ليس لك عليهم
 سلطان) أى قدرة أصلا على الاغواء (الامن اتبعك من الغاوين) ولما أوهم ابليس فى كلامه ان له
 على بعض عباد الله تسلطا بالاغواء بين الله كذبه فيه وذكر أن اغواءه للغاوين ليس بطريق تصرفه
 بالاغواء بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم (وان جهنم لو عدهم) أى لمصير المتبعين (أجمعين
 لها) أى لجهنم (سبعة أبواب) أى سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم
 لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاويه (لكل باب) أى دركة (منهم) أى الاتباع
 (جزء) أى حزب معين (مقسوم) أى مفترق من غير فنى الدركة الاولى أهل التوحيد الذين ادخلوا
 النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفى الثانية النصارى وفى الثالثة اليهود وفى الرابعة الصابئون
 وفى الخامسة المجوس وفى السادسة أهل الشرك وفى السابعة المناقون والحاصل ان الله تعالى يجزئ
 أتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء منهم دركة من النار والسبب فى التجزئة ان مراتب الكفر
 مختلفة بالغلظ والخفة فصارت مراتب العذاب مختلفة بذلك (ان المتقين) من الكفر (فى جنات وعيون)
 أى مستقرون فيهما لكل منهم عدة منهما (ادخلوها بسلام) أى ادخلوا الجنة سالمين من كل آفة (آمنين)
 من كل خوف أى لما لم يكونوا جنات كثيرة فكلما أرادوا ان ينقلوا من جنة الى أخرى قيل لهم ادخلوها
 بسلام آمنين وقرئ ادخلوها أمر من الله تعالى للملائكة بأدخالهم فى الجنة وقرأ الحسن ادخلوها مبنيًا
 للمفعول على صيغة الماضى المزيدي (وزعنا ما فى صدورهم من غل) أى عداوة كانت بينهم فى الدنيا
 (اخوانا) حال من ضمير صدورهم أو من فاعل ادخلوها (على سرر) من ذهب مكللة بالزبرجد

والدرا والياقوت تدور بهم الاسرة حيث اداروا (متقابلين) في الزيارة أي انهم اذا اجتمعوا ثم أرادوا الانصراف يدور سرير كل واحد منهم به بحيث يصير راكبه مقابلا بوجهه لمن كان عنده وقفاه الى الجهة التي يسير لها السرير وهذا أبلغ في الانس والاكرام (لا يسميهم فيها نصب) أي تعب لحصول كل ما يريدونه من غير مشاق ولا عمل أصلا (وما هم منها بمخرجين) لان تمام النعمة بالخلود (نبي عبادي) أي اخبريا أشرف الرسل كل من كان معترفا بعبوديتي (أنا الغفور) لاهصاة من المؤمنين (الرحيم) بهم (وأن عذابي) للعصاة ان عذبت (هو العذاب الاليم) وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون والناريين أيديكم فنزل قوله تعالى نبي عبادي أنا الغفور الرحيم (ونبئهم) أي خبر يا سيد المرسلين عبادي (عن ضيف ابراهيم) وهم ملائكة على صور غلمان حسان منهم جبريل (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي نسلم سلاما أي قالوا تحية لابراهيم (قال انامنكم وجلون) أي خائفون قال ابراهيم ذلك حين امتنعوا من أكل ما قرب به اليهم من العجل الخبيذ لان العادة ان الضيف اذا لم يأكل مما قدم له يكون خائفا (قالوا لا توجل) أي لا تخف يا ابراهيم منا (انا نبشرك بغلام) أي ولده هو امحق (عليه) في صغره حلیم في كبره (قال أبشرون) بذلك (على أن مسني الكبر) أي بعدما أصابني الكبر (فبم تبشرون) أي فبأي أعجوبة تبشرونني فما استفهام بمعنى التعجب أراد ابراهيم بهذا السؤال ان يعرف انه تعالى يعطيه الولد مع ابقائه على صفة الشيخوخة أو بعد قلبه شابا فينبوا ان الله تعالى أعطاه الولد مع ابقائه على صفة الشيخوخة قرأ نافع تبشرون بكسر النون خفيفة في كل القرآن وقرأ ابن كثير بكسر النون وتشديد ها والياقوت بفتح النون خفيفة (قالوا بشرك بالحق) أي بطريقة هي حق وهو أمر الله تعالى (فلا تكن من القانطين) أي من الآيسين من الولدان الله قادر على أن يخلق بشرا بغير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر (قال) ابراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) أي لا يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الاعتقاد الصحيح في ربه فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته ومرا د سيدنا ابراهيم بهذا القول نفى القنوط عن نفسه على أبلغ وجه أي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي أقول لبيان منافاة حاله لفضان تلك النعمة الجليلة على وقرأ أبو عمرو والكسائي يقنط بكسر النون وقرئ شاذ اضم النون (قال) ابراهيم لجبريل واعوانه (فما خطبكم) أي شأنكم الخطير سوى البشارة (أيها المرسلون) قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) لاهلاكهم (الا آل لوط) ابنتيه زاعورا وريثا وامرأته الصالحة (انا نجوهم) أي لوطا وآله (أجمعين) أي عما يصيب القوم (الا امرأته) واعلة المناقفة (قدرنا) أي قضينا عليها (انها من الغابرين) أي الباقيات مع الكفرة لتهلك معهن وقرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا بتخفيف الدال ههنا وفي النمل وقرأ حمزة والكسائي لنجوهم بكسر النون فخرجوا من عند ابراهيم وسافروا من قريته الى قرية لوط وكان بينهما أربعة فراسخ (فلما جاء آل لوط المرسلون) هم الملائكة الذين ضاقوا ابراهيم (قال) لوط لهم (انكم قوم منكرون) أي تشكركم نفسي فأخاف ان تصيبوني بشروا أعرف غرضكم لاى غرض دخلتم على (قالوا) أي الملائكة (بل جئناك بما كانوا فيه يفترون) أي ما جئناك بما تشكرونا لاجله بل جئناك بالعذاب الذي هدت قومك به فيشكون في حججه بهم ويكذبونك وهو ما يشفيك من عدوك وما فيه سرورك (وأنتناك بالحق) أي بالاخبار بمجيء العذاب (وانا لصادقون) في مقالتنا ان العذاب نازل عليهم (فأمر بأهلنا بقطع من الليل) أي فسر ببتيتك

وامرأتك الصالحة في جزء من الليل عند السحر (واتبع أديارهم) أي امش خلفهم جهة مصر لاجل
 ان تطمئن عليهم وتعرف انهم ناجون (ولا يلتفت منكم أحد) الى ورائه اذا سمع الصيحة ثلاثا ناعوا من
 عظيم ما نزل بهم من البلاء (وامضوا حيث تؤمرون) أي سيروا الى المكان الذي امركم الله بالذهاب
 اليه وهو مصر (وقضينا اليك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أي وأخبرنا لوطا عن ذلك الامر
 ان آخر هؤلاء المجرمين مستأصل حال دخولهم في الصبح أي يتم استئصالهم حال ظهور الصبح حتى لا يبقى
 منهم أحد (وجاء أهل المدينة) أي مدينة سدوم الى دار لوط (يستبشرون) أي يظهرن السرور
 باضياف لوط وقالوا نزل بلوط ثلاثة من الرمد مارا يناقط أصبح وجهه ولا أحسن شكلا منهم فذهبوا الى دار
 لوط طلبا منه لاولئك الرمد (قال) لهم لوط (ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحوني) أي فلا تظهرن عاري
 عندهم فان الضيف يجب اكرامه فاذا قصدتموهم بالسوء كان ذلك اهانتي (واتقوا الله) في فعل الفاحشة
 (ولا تخزون) أي ولا تتجملوني (قالوا أولم ننهك عن العالمين) أي السنا قد نهيناك عن أن تكلمنا في أحد
 من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكان لوط ينهاهم عنها بقدر وسعته (قال هؤلاء بناتي) فتزوجهن
 (ان كنتم فاعلين) قضاء الوطر (لعمرك) قسمي وهذا قسم من الملائكة بحياة لوط عليه السلام (انهم
 لفي سكرتهم) أي في شدة غلتهم التي أزال عقولهم (يعمّهون) أي يتعمرون فكيف يقبلون قولك
 ويلتفتون الى نصيحتك (فأخذتهم الصيحة) أي صيحة عظيمة مهلكة (مشرقين) أي داخلين في وقت
 شروق الشمس (لجعلنا عاليها) أي المدينة (سافلها) وكانت قراهم أربعة فيها أربع مائة ألف مقاتل
 (وأطرنا عليهم) أي على أهل المدينة قبل تمام الانقلاب أو على من كان منهم خارجا عن المدينة بأن
 كان غائبا في سفر أو غيره (حجارة من سجيل) أي وحل مطبوخ بالنار عليه كتاب (ان في ذلك) أي فيما
 ذكر من قصة ابراهيم وقصة لوط (آيات) أي لعبات (للمتوسمين) أي للمتفكرين (وانها) أي مدينة قوم
 لوط (لبسيل مقيم) أي في طريق ثابت لم يخف والذين يعمرون من الحجاز الى الشام يشاهدونها (ان في
 ذلك) أي في كون المدينة مشاهدة للناس في ذهابهم وياهم (آية) أي لعبرة عظيمة (للمؤمنين) أي لكل
 من آمن بالله وصدق الانبياء فانهم عرفوا أن ما حاق بهم من العذاب لخالفتهم لرسل الله تعالى أما الذين
 لا يؤمنون فيحملونه على حوادث العالم (وان كان أصحاب الايكة) أي وان الشأن كان أصحاب بقعة
 الاشجار وكانوا يسكنونها وكان أكثر شجرهم الدوم (لظالمين) بتكذيبهم شعيبا عليه السلام (فانتقمنا
 منهم) روى أن الله تعالى سلط عليهم الحرسبعة أيام حتى أخذ بانفسهم وقرّبوا من الهلاك فبعث الله لهم
 محباة كالنظلة فالتجأوا اليها واجتمعوا تحتها للتظلل بها فبعث الله عليهم منها نارا فاحرقتهم جميعا (وانهما)
 أي قريات لوط وقريات شعيب (لبامام مبين) أي لفي طريق واضح يرأه أهل مكة عليهما (ولقد كذب
 أصحاب الحجر المرسلين) أي صالحا وحملة المرسلين فالقوم براهة منكرين لكل الرسل والحجروا دين
 المدينة الشريفة والشام وآثاره باقية يمر عليها ركب الشام في ذهابه الى الحجاز وكان عمود يسكنونه
 (وآتيناهم آياتنا) أي أعطيناهم الناقة وكان فيها آيات كثيرة تكبر وجههم من الصخرة وعظم جثتها
 وقرب ولادتها عند خروجهم من الصخرة وكثرة لبنها وشربها (فكانوا عنها) أي تلك الآيات (معرضين)
 فلا يستدلون بها على صدق صالح عليه السلام حتى قتلوا الناقة (وكانوا يخشون من الجبال يوتنا آمنين)
 من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوناقتها (فأخذتهم الصيحة صبحين) أي صيحة من
 السماء فيها صوت كل ساعة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم عند الصباح

(فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى فلم يدفع عنهم ما كانوا يعملون من فحش تلك الجبال بنقرها بالحوال
 وجمع الاموال ما نزل بهم من البلاء (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أى الاسباب
 العدل فكيف يليق بحكمته افعال أسرك يا أكرم الرسل (وان الساعة لا قيمة) فان الله لينتقم لك
 فيها من أهدائك ويجازيك على حسنائك ويجازيهم على سيئاتهم (فاصفح الصغير الجميل) أى
 أعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم والمقصود من هذا الكلام أن يظهر الرسول الخلق
 الحسن والعفو فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق العليم) أى انه تعالى خلق الخلق مع اختلاف
 طبائعهم وتفاوت أحوالهم وعلم كونهم كذلك لمحض ارادته (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني) أى سبع
 آيات هي المثاني وهي الفاتحة وهذا قول عمر وعلى وابن مسعود وأب هريرة والحسن وأبي العالية ومجاهد
 والزهالك وسعيد بن جبير وقتادة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال هي السبع
 المثاني وقيل سميت الفاتحة مثاني لأنها قسمان ثناء ودهاء وأيضا النصف الاول منها حق الربوبية وهو
 الثناء والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء (والقرآن العظيم) وهذا من عطف الكل على
 البعض فبعض الشيء مغاير لمجموعه فكيف هذا القدر من المغايرة في حسن العطف ونقل عن ابن عباس
 وطاوس أن السبع المثاني هو القرآن كله وعلى هذا فهو عطف أحد الوصفين على الآخر مع وحدة ذات
 الموصوف وانما حسن العطف لاختلاف اللفظين فان القرآن سبعة أسباع كل سبع حقيقة وكله مثان
 أمر ونهي ووعود وعيد وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ وحقيقة ومجاز ومحكم ومتشابه وخبر بما كان
 وما يكون ومدحة لقوم ومذمة لقوم وسبب نزول هذه الآية أن سبع قوافل أقبلت من بصرى وأذرعات
 ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البر والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون
 لو كانت هذه الاموال لنا لتقويننا بها لا نفقناها في سبيل الله فقال الله تعالى لهم لقد أعطيتكم سبع
 آيات هي خير لكم من هذه القوافل السبع ويد على صحة هذا قوله تعالى (لا تمدن عينيك الى مامتة عبادة
 أزواج منهم) أى لا تنظرن بالرغبة الى ما أعطينا رجالا من الكفرة من متاع الدنيا وزخارفها وان ما في الدنيا
 بالنسبة الى ما أعطيتكم مستحق (ولا تحزن عليهم) أى لا تحزن لاجل عدم ايمانهم (واخفض جناحك
 للمؤمنين) أى تواضع لهم ولين جانبك لهم (وقل اني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين) أى اني منذر
 أت بالبنات فافترتكم مثل ما نزل بالذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الايمان ويقولون
 لمن سلكها لا تغتروا بهذا الخراج فينا يدعي النبوة فانه مجنون ورجعا قالوا ساهو ورجعا قالوا ساهو ورجعا
 قالوا كاهن وسعوا المقتسمين لانهم اقتسموا هذه الطرق فاما تهم الله شريفة (الذين جعلوا القرآن عضين)
 أى الذي جزأ القرآن أجزاء فقالوا ساهو وشعروا كهانة ومفترى وأساطير الاولين (فأوردك لنساء منهم
 أجمعين) يوم القيامة (عما كانوا يعملون) في الدنيا من قول وفعل وترك (فاصدع بما تؤمر) أى اطهر
 ما تؤمر به وافرق بين الحق والباطل (وأعرض عن المشركين) أى لا تبالي بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك
 على اظهار الدعوة وهذا ليس بمنسوخ لان معنى هذا الاعراض ترك المبالاة بهم (انا كفيناك المستهزئين)
 أى الذين يبالغون في الاستهزاء بك وفي اذائك (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) ماذا يفعل
 بهم فاهلكهم الله في يوم وليلة وكانوا خمسة من أشرف قريش الزيد بن المغيرة والعاص بن وائل والحرث
 ابن قيس والاسود بن المطلب والاسود بن عبيد يغوث فاما الوليد المخزومي فربنا فأساب النبيل عرقا
 في عقبه فقطعه فأت وأما العاص السهمي فدخلت في أخمصه شوكة فقال لدغتك لدغتك وافتفتحت رجله

حتى صارت كالرمال مات وأما الحرث السهمي فانه أكل حوتا مالحا فأصابه العطش فشرب عليه الماء حتى انشق بطنه فمات وأما الاسود بن المطلب فرماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعته عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وأما الاسود بن عبيد يغوث فانه خرج في يوم شديد الحر فأصابه السموم فأسود حتى عاد حبشيا فرجع الى بيته فلم يفتحوا عليه الباب فقطع رأسه ببابه حتى مات وكلهم كانوا يقولون قتلنا رب محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك) بحسب الطبيعة البشرية وان كان جميع أموره صلى الله عليه وسلم مفوضا لربه (بما يقولون) أي بسبب ما يقولون من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك (فسبح بحمديك) أي فافزع الى الله تعالى فيما نابك من الغم بالنسيج ملتبسا بحمده تعالى (وكن من الساجدين) أي من المصلين وكان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي الموت فانه متيقن الخوق بكل شيء مخلوق أي واعبد ربك في زمان حياتك ولا تخل لحظة من لحظات الحياة عن هذه العبادة

سورة النحل وتسمى سورة النهم مكية الاثلاث آيات في آخرها مائة وثمان وعشرون آية
وألف وثمان مائة واحد وأربعون كلمة وستة آلاف وسبع مائة وسبعة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله) أي العذاب الموعود للكفرة والحاصل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أكثر من تهديدهم بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة ولم يروا شيئا ينسبوه الى الكذب فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله تعالى أتى أمر الله أي قد حصل حكم الله بنزول العذاب من الازل الى الابد وانما لم يحصل المحكوم به لانه تعالى خصص حصوله بوقت معين (فلا تستعجلوه) أي لا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ولما قالت الكفار اننا لم نالك يا محمد صحة ما تقول من انه تعالى حكم بانزال العذاب علينا ما في الدنيا وما في الآخرة الا أنا نعبد هذه الاصنام فانها شفعاؤنا عند الله فهي تسفع لنا عنده فنتخلص من هذا العذاب المحكوم به بسبب شفاعته هذه الاصنام فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله تعالى (سبحانه وتعالى عما يشركون) ففزع الله تعالى نفسه عن شركة الشركاء وأن يكون لاحد أن يشفع عنده الا بآذنه ولما قال الكفار انه تعالى قضى على بعض عبادنا بالسراة وعلى آخرين بالضراء ولكن كيف يمكنك يا محمد ان تعرف هذه الاسرار التي لا يعلمها الا الله تعالى وكيف صرت بحيث تعرف أسرار الله وأحكامه في ملكه وملكوته فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (ينزل الملائكة) أي جبريل ومن معه من الملائكة (بالروح) أي بكلام الله تعالى (من أمره) أي ان الروح هي أمره تعالى (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء (أن أنذروا) أي أعلموا الناس (أنه لا اله الا أنا فاتقون) بالاثبات بعبادتي وتقرير هذا الكلام انه تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عباده ويأمر الله ذلك العبد الذي نزلت عليه الملائكة بان يبلغ الى سائر الخلق ان اله العالم واحد كافهم به معرفة التوحيد وبالعبادة له وبين انهم ان فعلوا ذلك فازوا بخير الدنيا والآخرة وان تمردوا أو وقعوا في شر الدنيا والآخرة فبهذا الطريق صار ذلك العبد مخصوصا بهذه المعارف من دون سائر الخلق فقوله تعالى لا اله الا أنا اشارة الى الاحكام الاصلية وقوله تعالى فاتقون اشارة الى الاحكام الفروعية (خلق السموات والارض بالحق) أي أو جدهما على صفات خصصهما بحكمته ولما احتج تعالى بخلق السموات والارض على حدوثهما قال بعده (تعالى عما يشركون) فالقائلون بقدوم السموات والارض كأنهم أثبتوا لله شريكا في القدم ففزع الله تعالى نفسه عن ذلك وبين انه

لا قديم الا هو فالقصد من قوله أولا سبحانه وتعالى عما يشركون ابطال قول من يقول ان الاصنام
 تشفع للكفار في دفع عقاب الله عنهم والمقصود ههنا ابطال قول من يقول اجسام السموات والارض
 قديعة تنزه الله تعالى نفسه عن ان يشاركه غيره في القدم (خلق الانسان من نقطة) منتنة (فاذا هو)
 بعد قوة عقله وعظم فهمه (خصيم) لربه (مبين) أي ظاهر الخصومة منسكرا لحالقه قائل من يحيي
 العظام وهي رميم وهذا إشارة الى الاستدلال بأحوال نفس الانسان على وجود الصانع الحكيم فان
 الانتقال من الحالة الخسيسة الى الحالة العالية لا يحصل الا بتدبير مديركم عليم (والانعام) أي الابل
 والبقر والغنم (خلقها لكم فيها دافء) أي ما يتدفأ به من اللباس المتخذة من الأصواف والاوبار والاشعار
 (ومنافع) هي درها وركوبها والحراثة بها وغير ذلك (ومنها) أي من لحومها (تأكلون ولكم فيها جمال)
 أي منظر حسن عند الناس (حين تريحون) أي تردونهما من مراعيها الى مراحيها بالعشي (وحين
 تسرحون) أي تخسرجونها من حظائرهما الى المرعى بالغداة (وتحمل) أي الابل (انقالتكم) أي
 أمتعتكم (الى بلدكم تكونوا بالغيه) أي واصلين اليه على غير الابل (الابشق الانفس) أي
 لا يتعب النفس أو لا يذهب نصف قوة البدن والشق بكسر الشين وفتحها معناه المشقة والنصف (ان
 ربكم لرفوف رحيم) ولذلك أسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة (والخيل والبغال
 والحمير لتركبوا وزيينة) أي وخلق هذه الاشياء للركوب وللنظر الحسن واحتج بهذه الآية من يحرم
 لحوم الخيل وقالوا لان الله تعالى خص هذه بالركوب فعملنا أنها مخلوقة للركوب لا للاكل وهو قول ابن
 عباس وليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول
 الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبيرة واليه ذهب الشافعي وأحمد وأبو حنيفة واحتجوا على اباحة لحوم الخيل
 بما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت فخرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن
 بالمدينة أخرجه البخاري ومسلم وروى الشيخان عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 نهى عن لحوم الجر الا هلية وأذن في لحوم الخيل (ويخلق ما لا تعلمون) أي ويخلق في الدنيا غير
 ما عدد من أصناف النعم وروى عن ابن عباس انه قال ان عن عرش نهران نور مثل السهوات السبع
 والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيها جبريل عليه السلام كل صخرة فيقتسل فيزداد نورا الى نور
 وجمالا الى جمال وعظما الى عظم ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة ماء من ريشه كذا وكذا ألف
 ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وسبعون ألف ملك السكبة لا يعودون اليه
 الى يوم القيامة (وعلى الله قصد السبيل) أي وعلى الله بيان استقامة الطريق وهو الاسلام (ومنها)
 أي من السبيل (جائر) أي مائل عن الحق وهو أنواع الكفر والضلال (ولو شاء لهداكم أجمعين)
 الى استقامة الطريق (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم) ولكل حي (منه) أي الماء (شراب ومنه
 شجر) أي من الماء ما ينبت على الارض (فيه) أي في الشجر ترعون مواشيكم (ينبت لكم به)
 أي بالماء (الزروع والزيتون والنخيل والاعناب) والانسان خلق محتاجا الى الغذاء وهو ما أن يكون
 من الحيوان أو من النبات والغذاء الحيواني انما يحصل من اسامة الحيوانات وأما الغذاء النباتي
 فحسبنا حبوب وفواكه فالحبوب هي ما به قوام بدن الانسان وأشرف الفواكه الزيتون والنخيل
 والاعناب أما الزيتون فلانه فاكهة من وجهه وأدام من رجه آخر لكثرة ما فيه من الدهن ومنافع الادهان
 كثيرة في الاكل والطبخ واشتغال السرج وأما امتياز النخيل والاعناب من سائر الفواكه فظاهر (ومن)

كل الثمرات) مما لا يمكن على الناس تفصيل أجناسها وأنواعها وصفاتها ومنافعها (ان في ذلك) أي
 في انزال الماء ونبات ما ذكرنا (آية) دالة على تفرد تعالى بالالوهية (لقوم يتفكرون) ألا ترى ان
 الحبة الواحدة اذا وضعت في الارض ومرت عليها مقدار من الزمان مع رطوبة الارض فانها تنبت
 وينشق أعلاها فيصعد منه شجرة الى الهواء أسفلها نفوس منه عروق في الارض ثم ينمو الاعلى ويقوى
 وتخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار المستملة على أجسام مختلفة الطبائع والطعوم
 والالوان والرائحة والاشكال والمنافع ومن تفكر في ذلك علم أن من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه
 أحد في شيء من صفات الكل (ومخبر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات)
 قرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم بالرفع على الابتداء ومسخرات خبرها رقرأ حفص عن عاصم
 والنجوم بالرفع والباقيون بالنصب في الجميع ومسخرات حال منه أي انه تعالى سخر للناس هذه الاشياء
 وجعلها موافقة لمصالحهم حال كونها مسخرات لله تعالى (بأمره) أي بإرادته كيف شاء (ان في ذلك)
 أي تسخير الليل وما بعده (آيات لقوم يعقلون) أي يعلمون ان تسخيرها من الله تعالى (وما ذرا
 لكم في الارض) أي وسخر لكم ما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات (مختلفا ألوانه ان في ذلك)
 أي في اختلاف ما في الارض (آية لقوم يذكرون) أي يتعظون فان اختلاف طبائع ما في الارض
 وأشكاله مع اتحاد موادها اغما هو بصنع حكيم عليم قادر مختار نزه عن كونه جسمانيا وذلك هو الله
 تعالى (وهو الذي سخر البحر) ومعنى تسخير الله تعالى اياها للخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من
 الانتفاع بها اما بالاركوأوبالغوص (لتأكلوا منه لحما) أي سمك (طريا) والتعبير عن السمك
 باللحم مع كونه حيوانا لا تحصر الا انتفاع به في الاكل ووصفه بالضراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على
 طلب المسارعة الى أكله لسرعة فساد (وتسخر جوامد حليمة) أي لؤلؤ ومرجانا (تلبسونها)
 أي تلبسها نساءكم فان زينة النساء بالحلي اغما هو لاجل الرجال فهي حليمة لكم بهذا الاعتبار
 (وترى الفلك) أي تبصر السفن (فيه موانر) أي جوارى في البحر مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة
 تشقه بحيزومها (ولتبغوا من فضله) أي لتركبوها للوصول الى البلدان الشاسعة فتطلبوا الرزق
 بالتجارة وغيرها من فضل الله تعالى (ولعلكم تشكرون) أي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون
 بادائها بالطاعة والتوحيد (وألقى في الارض رسما) أي جعل فيها اجبالا ثوابت (أن عميد بكم)
 أي كراهة ان عميل بكم الارض وتصطرب (وأنهارا) أي جعل في الارض أنهارا حارية لمنافعكم
 (وسبلا) أي جعل فيها طرقا (لعلكم تهتدون) أي لكي تهتدوا بها في أسفاركم الى مقاصدكم (وعلامات)
 أي جعل في الارض امارات الطرق التي يستدل بها المارون وهي الجبال والرياح والتراب فان جماعة
 يشمون التراب ويتعرفون بذلك الشم الطرق (وبالنجم هم يهتدون) بالليل في البراري والبحار وقال
 السدي هو الثريا والفرقدان ونبات نعش والجدى (أفمن يخلق) هذه الاشياء هو الله تعالى (كن لا
 يخلق) شيئا أصلا وهو الاصنام (أفلا تذكرون) أي ألا تلاحظون فلا تذكرون فان هذا القدر لا يحتاج
 الى تفكير ولا الى شيء سوى التذكركم فيه ان تنبهوا على ما في عقولكم من ان العبادة لا تليق الا
 بالذم الاعظم فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادة من لا يستحق العبادة ويترك عبادة من
 يستحقها (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أي انكم لا تعرفونها على سبيل التمام واذ لم تعرفوها
 امتنع منكم القيام بشكرها على سبيل التمام وما يدل قطعاً على ان عقول الخلق قاصرة عن معرفة أقسام

نعم الله تعالى ان كل جزء من أجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه أدنى خلل لتنقص العيش على الانسان
 ولتفنى أن ينفق كل الدنيا حتى رزق عنه ذلك الخلل ثم انه تعالى يدبر أحوال بدن الانسان على الوجه
 الاكمل مع أن الانسان لا علم به بوجود ذلك الجزء ولا بكيفية مصالحة فليكن هذا المثال حاضرا في ذهنك
 ثم تأمل في جميع ما خلق الله في هذا العالم من المعادن والنبات والحيوان وجعلها هبة لا تنتفع اهل بها
 حتى تعلم أن عقول الخلق تنفع في معرفة حكمة الرحمن في خلق الانسان فصلا عن سائر وجوه الاحسان ثم
 الطريق الى الشكر أن يشكر الله تعالى على جميع نعمه مفصلا ومجملها (ان الله لغفور) للتقصير
 الصادر عنكم في القيام بشكر نعمه (رحم) بكم حيث لم يقطع نعمه عنكم بسبب تقصيركم (والله
 يعلم ما تسرون) أي تضمرونه من العقائد والاعمال (وما تعلنون) أي تظهرونه منها وهذه الاصنام
 جمادات لا معرفة لها بشئ أصلا فكيف تحسن عبادتها (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا)
 أي والآلهة الذين يعبدونهم الكفار من دون الله لا يقدرون أن يخلقوا شيئا فقرأ أحفص عن عاصم يسرون
 ويعلمون ويدعون بالياء على الغيبة لكن ما نقل عن السمين أن قراءة الياء التحتمية شاذة في الفعلين
 الاولين وقرأ أبو بكر عن عاصم يدعون خاصة بالياء على المغيبة وقرئ على صيغة المبني للفعول (وهم
 يخلقون) أي ان الاصنام مخلوقة لله تعالى محبوسة من الجسارة وغيرها (أموات) أي جمادات لا روح
 فيها (غير أحياء) أي لا تأتياها الحياة أصلا (وما يشعرون أيان يبغثون) أي وما يشعروا أولئك الآلهة
 متى يبعث عبدتهم من القبور وفي هذاتهم بالشركين في أن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف وقت
 جزاءهم عن عبادتهم وقيل المعنى ان هذه الاصنام لا تعرف متى يبعثها الله تعالى قال ابن عباس ان الله
 تعالى يبعث الاصنام ولها أرواح ومعها شياطينها فيؤمر بها الى النار (الهمكم اله واحد) لا يشاركه
 شئ في شئ (فالذين لا يؤمنون بالآخرة) ولا يرغبون في حصول الثواب ولا يرهبون من الوقوع في العقاب
 (قلوبهم منكورة) لوحداية الله تعالى ولكل كلام يخالف قولهم (وهم مستكبرون) عن الرجوع
 من الباطل الى الحق (لأحرم) أي حق (أن الله يعلم ما يسرون) من قلوبهم (وما يعلنون) من
 استكبارهم (انه لا يحب المستكبرين) على خلقه فما بالك بالمستكبرين على التوحيد واتباع الرسول
 صلى الله عليه وسلم (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم) أي واذا قال وفود الحاج لا أولئك المنكرين
 المستكبرين عما أنزل الله تعالى على محمد عليه السلام (قالوا أساطير الاولين) أي هذا الذي تذكرون
 انه منزل من ربكم هو أكاذيب الاولين ليس فيه شئ من العلوم والحقائق (ليحملوا أوزارهم) أي آثامهم
 الخاصة بهم وهي آثام ضلالهم (كاملة يوم القيامة) أي لم يخفف من عقابهم شئ يوم القيامة بمصيبة
 أصابهم في الدنيا فقله ليحملوا متعلق بقاوا فاللام للعاقبة وقوله يوم القيامة ظرف ليحملوا (ومن أوزار
 الذين يضلونهم) أي وليحملوا أيضا من جنس آثام من ضل باضلالهم أي فيحصل للرؤساء مثل أوزار
 الاتباع (بغير علم) أي ان هؤلاء الرؤساء يقدمون على الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب
 الشديد في مقابلته (الأساء ما يرون) أي بشئ ما يحملونه من الذنوب حملهم هذا (قدمكر الذين من
 قبلهم) فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم) أي قدر تبوا منصوبات ليحكمروا بها
 أنبياء الله تعالى فأهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنو انبيا ناشدوا دعوه فأنهم ذلك
 البنيان وسقط عليهم سق بنيانهم فأهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنو انبيا ناشدوا دعوه فأنهم ذلك
 ابطاله تعالى تلك الخيل وجعله تعالى اياها أسبابا لهلاكهم بحال قوم بنو انبيا ناشدوا دعوه بالاساطين

فضعفت تلك الاساطين فسقط عليهم السقف فهلكوا فهو مثل ضربه الله تعالى لمن مكرباً خرفاً هلكه
الله بذكره ومنه المثل السائر على السنة الناس من حفر لا خيه قليبا وقع فيه قريبا (وأنا هم العبد اب من
حيث لا يشعرون) أي أنهم اعتمدوا على منصوباتهم ثم تولد البلاء منها بآياتها فقهولاً الماكرون
القائلون ان القرآن أساطير الاولين سياآت منهم من العذاب العاجل من جهة لا تخطر ببالهم مثل ما أتاهم
(ثم) الله تعالى (يوم القيامة يخزيهم) أي يذل الكفار بعذاب (ويقول أين شركاؤ الذين كنتم تشاقون
فيهم) أي يقول الله لهم تفضيها أين شركاؤ الذين كنتم تخافون الانبياء والمؤمنين في شأن
الشركاء حين يبينوا لكم بطلانها وقرأ نافع تشاقون بكسر النون (قال الذين أوتوا العلم) أي يقول
المؤمنون الذين أوتوا علما بآيات التوحيد حين يرون خزي الكفار وهم في الموقف (ان الخزي) أي
الفضيحة (اليوم والسوء) أي العذاب (على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة) أي عزرائيل
وأعوانه (ظالمى أنفسهم) أي مستمرين على الكفر فأنهم ظلموا أنفسهم حيث عرضوها للعذاب المخلد
وقرأ حمزة يتوفاهم بالياء مع الامالة في الموضعين (فآلة والسلم) أي أسلموا وأقر والله بالعبودية عند
الموت قائلين (ما كنا نعمل من سوء) أي شرك في زعمنا فتنقول الملائكة (بلى) كنتم تعملون أعظم
الشرك (ان الله عليم بما كنتم تعملون) من الشرك فلا فائدة لكم في انكاركم (فادخلوا أبواب جهنم)
أي ليدخل كل صنف من الكفرة في طبقة هو موعود بها والمراد دخولهم فيها في وقتها فان ذلك تخويف
عظيم وان تراخي المخوف به لا دخول القبر الذي هو حفرة من حفر النيران (خالدين فيها) أي دركات
جهنم لا يخرجون منها (فلبئس مثوى المتكبرين) عن قبول التوحيد وسائر ما أتت به الانبياء (وقيل
للذين اتقوا) أي خافوا الشرك وأيقنوا انه لا اله الا الله محمد رسول الله (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) أي
أنزل خيرا قال المفسرون كان في أيام الموسم يأتي الرجل مكة فيسأل المشركين عن محمد وأمره فيقولون انه
ساحر وكاهن وكذاب فيأتي المؤمنين ويسألهم عن محمد وما أنزل الله عليه فيقولون خيرا أي أنزل خيرا
والذي قالوه من الجواب موصوف بأنه خير (للذين أحسنوا) أي قالوا لا اله الا الله مع الاعتقاد الحق
(في هذه الدنيا حسنة) أي ثناء ورفعة وتعظيم وهذه الجملة بدل من قوله خيرا أو تفسير له وذلك أن الخير هو
الوحي الذي أنزل الله تعالى فيه قوله من أحسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة وقوله
تعالى في هذه الدنيا حسنة (ولدار الآخرة خير) (وما حصل لهم في الدنيا) (ولنعم دار المتقين)
والمخصوص بالمدح اما محذوف تقديره دار الآخرة أو هي دار الدنيا لان المتقين يترقون فيها للآخرة واما
قوله تعالى (جنات عدن) وهذه تدل على القصور والبساتين وعلى الدوام (يدخلونها) يوم القيامة صفة
لجنات أو حال (تجري من تحتها الانهار) أي انهار الخمر والماء والعسل واللبن وهذه تدل على أن هناك
أبنية يرتفعون عليها وتكون الانهار جارية من تحتهم (لهم فيها ما يشاؤون) من أنواع المشتيات والمتحنيات
وهذه الكلمة تدل على حصول كل الخيرات والسعادات (كذلك) أي مثل ذلك الجزء الاو في (يجزي
الله المتقين) أي كل من يتقى من الشرك والمعاصي (الذين تتوفاهم الملائكة) أي قبضتهم (طيبين)
أي طاهرين من الكفر مبترئين عن العلائق الجسمانية متوجهين الى حضرة القدس فرحين ببشارة
الملائكة اياهم بالجنة حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها ومن هذا حاله لا يتألم بالموت (يقولون) أي الملائكة
عند الموت وهذه حال من الملائكة وطيبين حال من المفعول (سلام عليكم) أي لا يلحقكم مكروه وعن
محمد بن كعب القرظي قال اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله

بقرأ عليك السلام وبشره بالجنة (ادخلوا الجنة) أي جنات عدن وهي خاصة لكم كأنكم فيها والمراد
 دخولهم فيها في وقته فإن ذلك بشارة عظيمة وإن تراخى المبشر به لادخول القبر الذي هو روضة من رياض
 الجنة فإن الملائكة لما بشروهم بالجنة صارت الجنة كأنها دارهم وكأنهم فيها (بما كنتم تعملون) أي
 بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة (هل ينظرون) أي ما ينتظر الكفار الذين طعنوا في القرآن
 وأنكروا النبوة (الأن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم بالتهديد (أو يأتي أمر ربك) أي عذاب
 ربك في الدنيا بهلاكهم (كذلك) أي مثل فعل هؤلاء من الشرك والتكذيب والاستهزاء (فعل
 الذين من قبلهم) من الأمم فأصابهم العذاب المجل (وما ظلمهم الله) بذلك فإنه أنزل بهم ما استحقوه
 بكفرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بأن كذبوا الرسل فاستحقوا ما نزل بهم (فأصابهم سيئات
 ما عملوا) أي عقاب سيئات أعمالهم (وحاق) أي وأحاط (بهم ما كانوا به يستهزئون) أي عقاب
 استهزائهم من جوانبهم (وقال الذين أشركوا) أي من أهل مكة للرسول صلى الله عليه وسلم تكذيباً له
 وطعناً في الرسالة (لوشاء الله) عدم عبادتنا لشيء غيره (ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا)
 الذي نفتدى بهم في ديننا (ولا حرمننا من دونه من شيء) من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى
 وأشرافنا بالله الأوثان وتحرينا بالانعام والحرب عشيتته تعالى فهو راض بذلك وحينئذ فلا فائدة في محبتك
 إلينا بالامر والنهي وفي إرسالك (كذلك) أي مثل ذلك الفعل الشنيع (فعل الذين من قبلهم) من
 الأمم فأشركوا بالله وحرموه وحله وردوا رسله وجادلوه بالباطل حين نهوهم عن الخطأ وهدوهم إلى الحق
 (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أي ليست وظيفة الرسل إلا تبليغ الرسالة تبليغاً واضحاً فهو واجب
 عليهم وأما حصول الإيمان فلا يتعلق بالرسول (ولقد بعثنا في كل أمة) من الأمم السالفة (رسولاً)
 خاصاً بهم كإبعثناك إلى قومك (أن اعبدوا الله) وحده (واجتنبوا الطواغوت) أي اجتنبوا عبادة
 ما تعبدون من دون الله أو اجتنبوا طاعة الشيطان في دعائه لكم إلى الضلالة (فهم) أي من تلك الأمم
 (من هدى الله) إلى الحق الذي هو عبادته (ومنهم من حقت) أي ثبتت (عليه الضلالة) فلم يجب
 الرسول إلى الإيمان فضل عن الحق وعي عن الصدق ووقع في الكفر (فسيروا) يا معشر كفار قريش
 (في الأرض) أي فإن ~~كنتم~~ في شك من أخبار الرسل فسيروا في الأرض (فانظروا) في أكتافها
 واعتبروا (كيف كان هاقبة المكذبين) بالرسل من عاد وثمود وأمثالهم لتعرفوا أن العذاب نازل بكم
 كما نزل بهم (ان تحرص على هداهم) أي إن تطلب يا سيد الرسل توحيد كفار قريش بجهنم فلا تقدر
 على ذلك (فإن الله لا يهدي من يضل) أي لأنه تعالى لا يخلق الهداية قسرافين يخلق فيه الضلالة
 لسوء اختياره وقرى لا يهدي بالبنا للفعول (وما لهم من ناصرين) أي وليس لهم أحد يعينهم على مطالبهم
 في الدنيا والآخرة من دفع العذاب عنهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي حلف الذين أشركوا غاية إيمانهم
 وإذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهد عيینه فإن الكفار كانوا يحلفون بأبائهم وآلهتهم فإذا كان الأمر
 عظيماً حلفوا بالله وهذا عطف على قوله تعالى وقال الذين أشركوا اعلاماً بأنهم كما أنكروا التوحيد
 أنكروا البعث مقامين (لا يبعث الله من يموت) فإنهم يجدون في عقولهم أن الشيء إذا صار عداً محضاً لا يعود
 بعينه بل العائد يكون شيئاً آخر ولقد رد الله تعالى عليهم بلغ رد بقوله (بلى وعدا عليه حقا) أي بلى ببعثهم
 الله بالبعث وعداً حقا لا خلف فيه ثابتاً على الله فيمنجزه لا امتناع الخلف في وعده (ولكن أكثر الناس)
 أي أهل مكة (لا يعلمون) أنهم يبعثون لقصور نظرهم بالملوف فيتوهمون امتناع البعث ولجهلهم بشئون

الله تعالى من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال (ليبين لهم) أي بلى يبعثهم ليعين لمن يموت
(الذي يختلفون فيه) من أمور البعث وغيرها من أمور الدين فيثيب المحق من المؤمنين ويعذب المبطل
من الكافرين (وليعلم الذين كفروا) بانه بالاشراك وانكار البعث والنبوة يوم القيامة (أنهم كانوا كاذبين)
في ما أقسموا فيه وفي كل ما يقولون (انما قولنا لشيء) أي شيء كان (إذا أردناه) أي وقت ارادتنا
لوجوده (أن نقول له كن) أي احدث وهو خير المبتدا (فيكون) أي فيحدث عقب ذلك من غير
توقف وهذا تمثيل لنفي الكلام والتعب فليس هناك قول ولا مقول له ولا أمر ولا مأمور بل هو تمثيل
لسهولة حصول المقدرات عند تعلق ارادته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها ولكن العباد خوطبوا بذلك
على قدر عقولهم ولو أراد الله خلق الدنيا وما فيها في قدر لمع البصر لقدر على ذلك فالمعنى انما ايجادنا لشيء عند
تعلق ارادتنا به ان نوجده في أسرع ما يكون (والذين هاجروا) من مكة الى المدينة (في الله) أي
لاظهار دينه (من بعد ما ظلموا) والنبوة منهم في الدنيا حسنة) أي أرضا كريمة آمنة وهي المدينة وهم أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين آخر جهنم أهل مكة من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم الى المدينة وعلى
هذا يكون نزول الآية في أصحاب الهجرة فيكون نزولها في المدينة بين الهجرةين وقال ابن عباس رضي
الله عنهما نزلت هذه الآية في ستة من الصحابة صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبر أخذهم
المشركون بمكة يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر فأما بلال فيخرجونه الى بطناء مكة في شدة الحر
ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول أحدا أحدا فاشترأ منهم أبو بكر وأعتقه وأما صهيب
فقال أنا رجل كبير ان كنت معكم لم أنفعكم وان كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم وهاجر وأما سائرهم فقد
قالوا بعض ما أراد أهل مكة من كلمة الكفر فتركوها عذابهم ثم هاجروا فبسبب هجرتهم ظهرت قوة الاسلام كما
ان بنصرة الانصار قويت شوكتهم فلذلك غلبوا على أهل مكة وعلى العرب فأطبعت على أهل المشرق
والمغرب وعن عمرانه كان اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله
في الدنيا وما ادخلك في الآخرة أكبر (ولأجر الآخرة أكبر) أي ولأجر السالكين في الآخرة وهو النعيم
السالكين في الجنة أعظم من الاجر السالكين في الدنيا (لو كانوا يعلمون) أي وعلم الكفار ان الله تعالى يجمع
لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لو افاقوهم في الدين (الذين صبروا) على أذية الكفار ومفارقة الاهل
والوطن وعلى المجاهدة وبذل الاموال والانفس في سبيل الله (وعلى رءسهم يتوكلون) أي اليه خاصة
يفوضون الامر كله معرضين عما سواه (وما أرسلنا من قبلك) يا أكرم الرسل الى الامم من طوائف
البشر (الارجال نوحى اليهم) بواسطة الملائكة وهذا رد لقريش حين قالوا الله أعلى وأعظم من ان
يكون رسوله واحدا من البشر بل لو أراد بعثه رسول ينال بعث ملكا (فاسألوا أهل الذكر) أي أهل
العلم باخبار الماضين فاذ أسألواهم فلا بد ان يجيبوا بان الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم
بذلك زالت الشبهة من قلوبهم (ان كنتم لاتعلمون) ان الرسل من البشر (بالبينات والزبر) متعلق
بمعدوق على انه صفة لجالا أي رجالا ملتبسين بالمعجزات الدالة على صدق من يدعي الرسالة والتكاليف
التي يبلغونها من الله تعالى الى العباد أو متعلق بيموحى أي يوحى اليهم بالحجج الواضحة وبالكتاب أو
متعلق بذلك أي فاسألوا أهل العلم بالحجج وبالكتاب القديمة من التوراة والانجيل أو متعلق بلاتعلمون أي
ان كنتم لاتعلمون الله لم يرسل الرسل الا انسيا بالعلامات وبخبر كتب الاولين فاسألوا كل من يذكر بعلم
وتحقيق واسألوا أهل الكتب الذين يعرفون معاني كتب الله تعالى (وأترلنا اليك الذكر) أي القرآن

سمى ذكر الان فيه تنبيهها للغافلين (لتبين للناس) كافة (ما نزل اليهم) في ذلك الذكرو من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال الامم المهلكة بأفانين العذاب على حسب أعمالهم الموجهة لذلك (ولعلمهم يتفكرون) فيما نزل اليهم فيتنبهوا لما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما أصاب الاولين من العذاب (أفأمن الذين مكرروا السيئات) أي سعوامن أهل مكة ومن حول المدينة في ايداء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه على سبيل الخفية (أن يخسف الله بهم الأرض) كما خسف بقارون وأصحابه (أوبأتهم العذاب من حيث لا يشعرون) أي في حال غفلتهم فيهلكهم بغتة ~~كما فعل~~ بقوم لوط (أوبأخذهم بالعقوبة (في قلوبهم) أي في أسفارهم وحركتهم أقبالا وادبارا (فأهم بهجزيين) أي وهم لا يعجزون الله بسبب سفرهم في البلاد البعيدة بل يدركهم الله حيث كانوا (أوبأخذهم على تخوف) أي على ان ينقص شيئا بعد شيء في أموالهم وأنفسهم حتى يهلكوا أو على مخافة عن العذاب بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فأتاهم العذاب وهم متخوفون (فانذركم لرؤف رحيم) حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع الله تخفأكم لها (أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتغيظون لاله عن اليمين والشمائل مجد الله) أي ألم ينظروا أهل مكة ولم يروا بابصارهم الى جسم قائم له ظل من جبل وشجر وبناء يرجع ظلاله من المشرق ومن المغرب واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد (وهم داخرون) أي منقادون لقدرة الله تعالى وتدبيره ولما وصفت الظلال بالانقياد لامره تعالى أشبهت العقلاء فعبر عنها بلغظ من يعقل وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء على الخطاب وقرأ أبو عمرو وحده تنقيذ بالتاء (ولله يسجد ما في السموات) من الشمس والقمر والنجوم (وما في الأرض من دابة والملائكة) عطف على ما في السموات ولما بين الله تعالى أولا ان الجمادات بأسرها منقادة لله تعالى بين بهذه الآيات ان الحيوانات بأسرها منقادة لله تعالى فأخسها الدواب وأشرفها الملائكة وذلك دليل على ان كل المخلوقات منقادة لله تعالى (وهم) أي الملائكة مع علو شأنهم (لا يستكبرون) عن عبادته تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) وهذه الجملة بيان لقوله لا يستكبرون أو حال من ضميره أي خائفين لما لك أمرهم خوف هيئة واجلال وهو فوقهم بالقهر (ويعلمون ما يؤمرون) به من الطاعات والتدبيرات فبواطنهم وظواهرهم مبرأة من الاخلاق الفاسدة والافعال الباطلة (وقال الله) لجميع المكلفين (لا تتخذوا الهين اثنين) أي لا تعبدوا الله والاصنام ولما بين الله تعالى أولا ان كل ماسوى الله سواء كان من عالم الارواح أو من كلام الاجسام فهو منقاد خاضع لجلال الله تعالى أتبعه في هذه الآية بالنهي عن الشرك والمقصود من التكرير تأكيد التنفير عن الاشرار بالله وتكميل وقوف العقل على ما فيه من القبح (انما هو اله واحد) أي لما دلت الدلائل السابقة على انه لا بد للعالم من الاله وقد ثبت ان وجود الالهين محال ثبت انه لا اله الا الواحد الاحد (فاياي فارهبون) أي ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني لا غير فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والأرض ولما كان الاله واحدا والواجب لذاته واحدا كان كل ماسواءه محاصلا بتخليقه وإيجاده فثبت ان تكون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لان أفعال العباد من جملة ما في السموات والأرض ووجب ان يكون جميع المخلوقات في ملكه وتصرفه وتحت قهره وذلك قوله تعالى (وله ما في السموات والأرض) أي خلقا وملكا (وله الدين واصبا) أي لله تعالى الطاعة دائما فليس من أحد يطاع الا انقطعت تلك الطاعة بالموت أو بسبب في حال الحياة الا الله تعالى فان طاعته واجبة أبدا وفي الآية دققة أخرى فعني قوله تعالى له ما في السموات والأرض ان كل ماسوى الله محتاج في انقياده من العدم الى

الو جود ومن الو جود الى العدم الى مخصص ومعنى قوله تعالى وله الدين واصب ان هذا الاحتياج الى
 المرجح حاصل دائماً ابد الان الممكن حال بقائه لا يستغنى عن المرجح لان علة الحاجة هي الامكان وهو من
 لوازم الماهية فوجب ان تكون الحاجة حاصلة حال حدوثها وحال بقائها (أفغير الله تتقون) أى انكم بعد
 ما عرفتم ان اله العالم واحد وان كل ما سواه محتاج اليه في وقت حدوثه وفي وقت دوامه فبعد العلم بهذه
 الاصول كيف يعقل ان يكون الانسان رغبة في غير الله أو رهبة عن غير الله تعالى (وما بكم من نعمة
 فمن الله) أى أى شئ يصاحبكم من نعمة آية نعمة كانت فهي من الله فيجب على العاقل أن لا يخاف الا
 الله وأن لا يشكر الا الله (ثم اذا مسكم الضر) كالا سقام (فاليه تجأرون) أى ترفعون أصواتكم
 بالاستغاثة في كشفه لا الى غيره (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فرق منكم) أى اذا فرق كفروهم
 أنتم (ربهم يشركون) غيره وهذا ضلال كامل (ليكفروا بما آتيناهم) أى ان عاقبة تلك
 التصرفات ما كانت الا كفران نعمة ازالة المكروه عنهم وقيل ان هذه الالام لام الامر الوارد للتهديد كقوله
 تعالى (فتمتعوا) أى عيشوا في الكفر (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب
 (ويجعلون) أى المشركون (لما لا يعلمون) أى للاصنام التي لا يعلم المشركون انها تضر من حيث
 عبادتها ولا تنفع (نصيبا مما رزقناهم) من الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها (تالله لتسئلن) يوم
 القيامة سؤال توبيخ (عما كنتم تفكرون) أى تكذبون على الله من انه أمركم بذلك الجعل (ويجعلون
 لله البنات) أى يقول خراعة وكأنه الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه الله ذاته عن نسبة الولد اليه وأمر
 الله تعالى الخلق بالتهجب من حراةهم على وصف الملائكة بالانوثة ثم نسبتها بالولدية الى الله تعالى (ولهم
 ما يشتهون) ويجعلون لانفسهم ما يختارون من البنين (واذا بشر أحدكم بالانثى) أى والحال انه اذا
 أخبر بولادة الانثى (ظل وجهه مسودا) أى صار وجهه متغيرا تغير مغتم من الحياء من الناس (وهو
 كظيم) أى محتلى غمما وحرنا وغيتا من زوجته فكيف ينسب البنات اليه تعالى وجملة واذا بشر حال من
 الواو في ويجعلون (يتوارى من القوم) أى يختفي من قومه (من سوء ما بشره) أى من أجل
 كراهية الانثى التي أخبر بها من حيث كونهن الاتك تسب وكونهن يخاف عليهن الزنا وكان الرجل في
 الجاهلية اذا ظهر آثار الطلق بأمر آتاه اختفى عن القوم الى ان يعلم ما يولده فان كان ذكرا فرح به وان كان
 أنثى حزن ولم يظهر للناس أيا ما يدبر فيها ماذا يصنع بها وذلك قوله تعالى (أيسكه على هون) أى يحفظ
 ما بشر به من الانثى مع رضاه بذل نفسه (أم يدسه في التراب) أى أم يخفيه في التراب بالو أد فالعرب كانوا
 مختلفين في قتل البنات فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفن فيها الى ان تموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل
 ومنهم من يغرقها ومنهم من يذبحها وهم كانوا يفعلون ذلك تارة لاغربة والحمية وتارة خوفا من الفقر ولزوم النفقة
 (ألا ساء ما يحكمون) حكمهم هذا حيث يجعلون له تعالى ما عادته عندهم حقارة والحال انهم يتباعدون
 عنه (الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى بالبعث بعد الموت (مثل السوء) أى الصفة القبيحة وهي احتياجه
 الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وللإستعلاء به وكرهتهم الاناث خوف الفقر والعار مع احتياجهن اليهن
 للنكاح (ولله المثل الأعلى) أى الصفة المقدسة وهي الصفة الالهية المنزهة عن صفات المخلوقين وعن
 الولد (وهو العزيز) أى المنفرد بكمال القدرة (الحكيم) أى الذي يفعل ما يفعل بالحكمة البالغة
 (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها) أى الارض (من دابة) أى لو يؤاخذهم الله بما كسبوا
 من كفر ومعصية لا يبق لهم نسل فيلزم ان لا يبقى في العالم أحد من الناس لحيته فلا يبقى في الارض

أحد من الدواب أيضا لانها مخلوقة لمنافع البشر (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أى معين عند الله تعالى لا عمارهم ليتوالدوا (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون) عن ذلك الاجل (ساعة) أى فذة (ولا يستقدمون) وانما ذكر الاستقدام مع انه لا يتصور عند محيى الاجل مبالغة في بيان عدم الاستئجار بنظمه في سلك ما يعتنع (ويجعلون لله ما يكرهون) أى وينسبون اليه تعالى البنات التى يكرهونها لانفسهم (وتصف ألسنتهم بالكذب أن لهم الحسنى) بدل من الكذب أى يصون أنفسهم بأنهم فازوا برضوان الله تعالى بسبب اثبات البنات له تعالى وبأنهم على الدين الحق (لا جرم) أى ثبت (أن لهم النار) التى ليس وراء عذابها عذاب (وأنهم مفرطون) أى متروكون في النار وقرأ نافع وقتيبة عن الكسائي بكسر الراء أى مفرطين على أنفسهم في الذنوب (ثالثه لقد أرسلنا) رسلا (الى أمم من قبلك) فدعواهم الى الحق (فزين لهم الشيطان أعمالهم) القبيحة فقرأوها حسنة فكذبوا الرسل (فهو وليهم اليوم) أى فالشيطان متولى أمورهم في الدنيا باغوائهم وقرينهم في النار (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) هو عذاب النار (وما أنزلنا عليك الكتاب) أى القرآن (اللتبين لهم الذى اختلفوا فيه) أى الالتبين للناس بواسطة بيانات القرآن الاشياء التى اختلفوا فيها من التوحيد والشرك والجبر والقدر وأحوال المعاد والاحكام كتحریم الميتة وتحليل نحو البحيرة (وهدى ورحمة) أى وللهداية من الضلالة وللرحمة من العذاب (لقوم يؤمنون) بالقرآن لانهم المغتنمون آثاره (والله أنزل من السماء ماء فأحيى به الارض بعد موتها) أى والله خلق السماء على وجه ينزل منه الماء ويصير ذلك الماء سببا لنبات الزرع والشجر والخروج للنور والثمر (ان في ذلك) أى في انزال الماء واهيائه الارض اليابسة (آية) دالة على وحدته تعالى وعلمه وقدرته وحكمته (لقوم يسهعون) هذه المواعظ مما عطف تفكر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه أصم (وان لكم في الانعام لعبرة) عظيمة اذا تفكرتم فيها (نسقيكم مما في بطونه) أى الانعام قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وحزمة والكسائي نسقيكم بضم النون والباقون بالفتح (من بين فرث) أى روث في الكرش (ودم لبن اخالصا) أى لا يخالطه الفرث ولا الدم وقوله لبنامفعول ثان وقوله من بين حال من مالتى للتعويض أو للابتداء أو من لبناوعن ابن عباس انه قال اذا استقر العلف في الكرش صار أسفله قرنا وأعلاه دما وأوسطه لبنا فيجري الدم في العروق واللبن في الفرع ويبقى الفرث كما هو (سائغا للشاربين) أى جار يافى حالوقهم لذيذا فلا يغص أحد باللبن (ومن ثمرات النخيل والاعناب) أى ونسقيكم من عصير ثمرات النخيل والاعناب (تتخذون منه سكرا) أى خرا (ورزقا حسنا) كاللبس والخل والتمر والزبيب والله تعالى ذكر ما في هذه الاشياء من المنافع وخاطب بها المشركين والخمر من اشربتهم فهى منفعة في حقهم ثم نبه في هذه الآية على تحريمها لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان لا تكون الخمر رزقا حسنا والخمر يكون حسنا بحسب الشهوة ولا يكون حسنا بحسب الشريعة وهذه الآية جامعة بين العتاب والمنة وهذا اذا كانت الخمر محرمة قبل نزولها وان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فهى دالة على كراهتها (ان في ذلك) أى في اخراج اللبن من بين الروث والدم وفي اخراج الخمر والرزق الحسن من الثمرات (آية) دالة على قدرته تعالى (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم بالتأمل في الآيات فيعلمون ان هذه الاحوال لا يقدر عليها الا الله تعالى (وأوحى ربك الى النحل) أى ألهم ربك النحل (أن اتخذى من الجبال بيوتا) أى أوكلها (ومن الشجر) أى عما وافق مصالحها ويليق بك (وما يعرشون) أى عما يرفع الناس وينونه لك أى ان الله قدر في

أنفس النحل الأعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر وذلك أن النحل تبني بيوتاً على شكل سدس من اضلاع متساوية لا يزدن بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو ربعة أو غير ذلك من الأشكال لكان فيها فرج خالية ضائعة فالحمام ذلك الحيوان الضعيف بهذه الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من أعاجيب والعقلاء من البشر لا يكتسبون بناء مثل تلك البيوت إلا بالآلات مثل المسطر والفرجار (ثم كل من كل الثمرات) أي من كل ثمرة تشتهيها مرها وجلوها (فأسلكي سبل ربك) أي فإذا أكلتها فأسلكي راجعة إلى بيوتك سبل ربك (ذلالاً) حال من السبل أي مسخرة لك أو من الضمير في أسلكي أي فأسلكي منقاداً لما أمرت به ولذا يقسم بعضو بها أعمالها بين ما يفعل بعض يعمل الشمع وبعض يعمل العسل وبعض يستقي الماء ويصبه في البيت وبعض يبني البيوت (يخرج من بطونها شراب) أي عسل (مختلف ألوانه) من أبيض وأسود وأصفر وأحمر على قدر ما تأكل من الثمار والأزهار وبسبب اختلاف الفصل أو سن النحل فيستحيل المأكول في بطونها عسلاً بقدرته الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب (فيه) أي في ذلك الشراب (شفاء للناس) من الأوجاع لاسيما البلغمية فإنه فيها عظيم النفع وعن ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاء من العسل والقرآن (ان في ذلك) أي في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة وفي اهتدائها إلى جمع الأجزاء العسلية من أطراف الأشجار والأوراق (آية) أي عبرة (لقوم يتفكرون) فإن من تفكر في شؤون النحل حزم قطعاً بان له خالقاً قادراً حكماً يلهمها ذلك (والله خلقكم) فإن خالق الأبدان هو الله تعالى (ثم يتوفاكم) أي يقبض أرواحكم عند انقضاء آجالكم فإن الحياة والموت إنما حصلتا بتخليق الله تعالى وبتهديره (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) أي أحقره وهو الهرم قال العلماء عمر الإنسان له أربع مراتب أولها سن النشو وهو من أول العمر إلى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وثانيها سن الوقوف وهي من ذلك إلى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل وثانيها سن الانحطاط القليل وهو سن الكهولة وهو من ذلك إلى ستين سنة ورابعها سن الانحطاط الكبير وهو سن الشيخوخة وهو من ذلك إلى خمسة وستين سنة وفيه يتبين النقص والهرم قال علي بن أبي طالب أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقال قتادة تسعون سنة وقال السدي أنه الحرف أي زوال العقل وقيل والمسلم لا يزداد بسبب طول العمر إلا كرامة على الله تعالى وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر (لكيلاً يعلم بعد علم شيئاً) أي ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في نقصان العقل وسوء الفهم وفي النسيان (إن الله عليم) بمقادير أعمالكم (قدير) على تحويلكم من حال إلى حال وكان الإنسان ميتاً حين كان نطفة ثم صار حياً ثم مات فلما كان الموت الأول جائزاً كان عود الموت جائزاً كذلك لما كانت الحياة الأولى جائزة وجب أن يكون عود الحياة جائزاً في المرة الثانية ومتى كان الأمر كذلك ثبت أن القول بالبعث والنشر والحشر حق (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أي فاوت بينكم في الرزق كما فاوت بينكم في الذكاء والبلادة والحسن والقبح والصحة والسقم (فما الذين فضلوا برأى رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء) أي فليس الذين فضلوا في الرزق على غيرهم يجاء على رزقهم لعبيدهم حتى تكون عبيدهم فيه معهم سواء في الملاك وهم أمثالهم في البشرية والمخلوقية والمرزوقية قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في نصارى نجران حين قالوا إن عيسى بن مريم بن الله فالمعنى أنكم لا تشركون عبدهم في ما ملكت فتكونون سواء فكيف جعلتم عبدي عيسى ابنائي وشرى بكلي في

الالهية (أفبنةمة الله يجمعون) فان من أثبت لله شريكا فقد أسند اليه بعض الخيرات فكان جا حدا
 لكونها من عند الله تعالى وأيضا ان أهل الطبايع وأهل النجوم يضيفون أكثر هذه النعم الى الطبايع والى
 النجوم وذلك يوجب كونهم جا حدين لكونها من الله تعالى وقرأ عاصم في رواية أبي بكر تجمدون بالتاء
 على الخطاب (والله جعل لكم من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا) أى زوجات لتأنسوا بها
 وتقيموا بهما مصالحكم قال الاطباء والتفاوت بين الذكر والانثى ان الذكر امخن مزاجا والانثى أكثر
 رطوبة فالمنى اذا أنصب الى الخصية اليمنى من الرجل ثم أنصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد
 ذكر أما فى الذكر وان أنصب الى الخصية اليسرى من الرجل ثم أنصب منها الى الجانب الايسر من
 الرحم كان الولد أنثى أما فى الانوثة وان أنصب الى الخصية اليمنى ثم أنصب منها الى الجانب الايسر كان الولد
 ذكر وفى طبيعة الاناث وان أنصب الى الخصية اليسرى ثم أنصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد
 أنثى فى طبيعة الذكر (وجعل لكم من أزواجكم) أى من نسايتكم (بنين وحفدة) أى خداما يصرعون
 فى طاعتكم وهم اما اولاد الاولاد واما البنات فانهم يخدمون البيوت أتم خدمة وأما الاختان على البنات
 أى فيحصل لهم الاختان بسبب البنات (ورزقكم من الطيبات) أى بعض اللذائذ من النباتات
 والحيوان فالرزق فى الدنيا أغودج لما فى الآخرة وكل الطيبات فى الجنة (أفبالباطل يؤمنون) أى
 أيكفرون بالله الذى شأنه ذلك المذكور ويؤمنون بالباطل بأن يحرموا على أنفسهم طيبات أحلها الله لهم
 مثل الجيرة والسائبة والوصيلة ويديحوا لانفسهم محرمات حرّمها الله عليهم وهى الميتة والدم ولحم الخنزير
 وما ذبح على النصب أى لم يحكمون بتلك الاحكام الباطلة (وبنعمة الله هم يكفرون) أى وبانعام الله
 فى تحليل الطيبات وتحريم الخبيثات يجمعون (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات
 والارض شيئا) أى أيعدون الاصنام التى لا تملك لعبدهم رزقا من المطر والنبات لا قليلا ولا كثيرا
 فشيأ بدل من رزقا (ولا يستطيعون) أى وليس للاصنام استطاعة تحصيل الملك وهذا معطوف على
 مالا يملك وعبر عن الاصنام بلفظ ما اعتبار الحقيقة و بلفظ جمع العقلاء اعتبارا لاعتقادهم فيها أنها آلهة
 (فلا تضرهم الله الامثال) أى لا تشبهوا الله تعالى بخلقه فى شأن من الشؤون فان عبدة الاوثان كانوا
 يقولون ان اله العالم أعظم من أن يعبدوا الواحد منا بل نحن نعبد الكواكب وهذه الاصنام ثم ان
 الكواكب والاصنام عبدة اله الاكبر الاعظم فان أصاغر الناس يخدمون أكبر خدام الملك وأولئك
 الاكبر يخدمون الملك فكذا هم هنا عند هذا قال الله تعالى لهم اتركوا عبادة هذه الاصنام والكواكب
 ولا تجعلوا لله الامثال التى ذكرتموها وكونوا مخلصين فى عبادة الاله القدير الحكيم (ان الله يعلم) أى
 خطأ قولكم الاشتغال بعبادة عبدة الملك أدخل فى التعظيم من الاشتغال بعبادة نفس الملك لان هذا
 الدليل قياس والقياس يجب تركه عند ورود النص (وأنتم لا تعلمون) ذلك فتتعنون فى مهاوى
 الضلال (ضرب الله مثلا) بالعبد والحر (عبداء لو كالا يقدر على شئ) من التصرفات (ومن رزقناه
 منارزقا حسنا) أى مستحسناء عند الناس مرضيا (فهو ينفق منه سرا وجهرا) أى حال السر والجهر
 (هل يستوون) أى هل يستوى العبيد والاحرار الموصوفون بتلك الصفات مع أن الفريقين سيان فى
 البشرية والمخلوقية لله تعالى وأن ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل فى ايجاده بل هو ما أعطاه الله تعالى
 اياهم فحيث لم يستوا الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به مالا ذليل أدل منه وهو الاصنام
 والمعنى لو فرضنا عبدة اءلو كالا يقدر على التصرف وحر اغنيا كرميا كثير الانفاق فى كل وقت فصریح

العقل يشهد بأنه لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الصورة والبشرية فكيف يجوز للعاقل أن يسوى بين الله القادر على الرزق وبين الاصنام التي لا تقدر البتة (الحمد لله) أي كل الحمد لله تعالى لأنه معطى جميع النعم لا يستحقه أحد غيره فضلا عن استحقاق العبادة (بل أكثرهم لا يعلمون) أن كل الحمد لله وحده فليسندون نعمه تعالى إلى غيره ويعبدونه لاجلها وبعض الكفار يعلمون ذلك وأغما لا يعلمون سبب الحمد عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون (وضرب الله مثلا لرجلين أحدهما أبكم) أي الذي لا يحسن الكلام ولا يعقل (لا يقدر على شيء) للجزالة وللنقصان الكامل (وهو كل على مولاه) أي هذا الالبكم ثقيل على من يعوله (أي إنما يوجهه لا يأت بخير) أي أينما يرسله من يلى أمره في وجه معين لا يأت بطلوب لأنه عاجز لا يحسن شيئا ولا يفهم (هل يستوى هو) أي هذا الموصوف بهذه الصفات الأربع (ومن يأمر بالعدل) أي من هو منطوق فهم ينفع الناس بحثهم على العدل (وهو على صراط مستقيم) أي وهو عادل مبرأ عن العيب وإذا ثبت في بديهة العقل أن الالبكم العاجز لا يساوى الناطق القادر الكامل في الفضل والشرق مع استوائهما في البشرية فلان فحكم بأن الجماد لا يكون مساويا لرب العالمين في العبودية أولى (ولله غيب السموات والأرض) أي والله تعالى خاصة الأمور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة فإن علمه تعالى حضوري وتحقق الغيوب في أنفسها علم بالنسبة إليه تعالى وهذا بيان كمال العلم (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر) أي وما أمر إقامة الساعة وهي أمانة الأحياء وأحياء الأموات من الأولين والآخرين وتبديل صور الأكرج من أطرف من أعلى الحديقة إلى أسفلها في سهولته (أو هو أقرب) أي بل أمر إقامة الساعة أقرب من طرف العين في السرعة بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة فأنه تعالى يحيي الخلق دفعة وهي في جزء غير منقسم وهذا بيان كمال القدرة (إن الله على كل شيء قدير) فإن الله تعالى متى أراد شيئا أيجاد أو أعدامه حصل في أسرع ما كان (والله أخر حكمكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) أي غير عارفين شيئا أصلا (وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة) أي جعل لكم هذه الأشياء آلات تخصصون بها المعرفة (لعلكم تشكرون) أي لكي تستعملوها في شكر ما أنعم الله به عليكم طور أغب طور قسم معوام واعظ الله وتبصر وادلائل الله وتعتقوا عظمة الله (ألم ير والى الطير) أي ألم ينظر كفار مكة بأبصارهم إليها وقرأ ابن عامر وحمة والكسائي تروا بالنساء على خطاب العامة (مسخرات) أي مذلات للطيران (في جوا السماء) أي في الهواء المتباعده من الأرض قال كعب الأخبار أن الطير ترتفع في الجو مسافة اثني عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (ما يسكنهن) في الجوحين قبض أجنحتهن وبسطها ووقوفهن (إلا الله) بقدرته الواسعة فإن جسد الطير ثقيل يمتنع بقاؤه في الجو معلقا من غير دعم تحت ولا علاقة فوقه فبقاؤه في الجو معلقا فعله وحاصل باختياره فثبت أن خالق فعل العبد هو الله تعالى (إن في ذلك) أي تسخير الطير للطيران بأن جعل لها أجنحة خفيفة وأذنا كذلك فاذا بسطت أجنحتها وأذناها تخرق ما بين يديها من الهواء (آيات) أي علامات لوحداية الله تعالى (لقوم يؤمنون) أي يصدقون أن أمساكن من الله تعالى فإنه تعالى أعطى الطير جناحا يبسطه مرة ويكسره مرة أخرى وخلق الهواء خلقه رقيقة يسهل بسبب خرقه ولولا ذلك لما أمكن الطيران (والله جعل لكم من بيوتكم) التي تبثونها (سكنا) أي مواضع تسكنون فيه (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) مغيرة لبيوتكم اليهودية هي الخيام (تستخفونها) أي

تجدونها خفيفة عليكم في حملها ونقلها ونقضها في أسفاركم (يوم طعنكم) أي وقت سيركم في أسفاركم
وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح العين (ويوم أقامتكم) أي وقت نزولكم في الضرب (ومن
أصوافها) أي الانعام (وأوبارها وأشعارها أئانا) أي وجعل لكم من أصواف الضأن وأوبار الأبل
وأشعار المعز أنواع متاع البيت من الفرش والأكسية (ومتاعا) أي ما يتنفع به في البيت خاصة ويتزين
به (إلى حين) أي إلى وقت البلاء (والله جعل لكم عما خلق) من غير صنع من جهنمكم (ظلالا) أي
ما يستظلون به من شدة الحر وهي ظلال الجدران والأشجار والجبال والغمام (وجعل لكم من الجبال
اكثانا) أي مواضع تستكنون فيها من شدة البرد والحر من الكهوف والغيران والسروب (وجعل لكم
سراييل) أي ثيابا من القطن والكثان والصوف وغيرها (تقيكم الحر) في الصيف والبرد في الشتاء
ولم يذكر الله تعالى وقاية البرد لتقدمه في قوله تعالى في هادف (وسراييل) أي جواشن (تقيكم
بأسكم) أي الشدة الذي يصل إلى بعضكم من بعض في الحرب من الطعن والضرب والرمي (كذلك)
أي مثل ما خلق الله هذه الأشياء لكم وأنعم بها عليكم (يتم نعمته) في الدنيا (عليكم لعليكم) يا أهل
مكة (تسلمون) أي تؤمنون به تعالى وتنقادوا لأمره وقرئ تسلمون بفتح التاء واللام أي لكي تسلموا من
الجرافات أو من الشرك (فإن تولوا) أي أعرضوا عن الإسلام وآثروا متابعة الآباء فلا نقص من جهنمكم
(فإنما عليكم البلاغ المبين) أي لأن وظيفتكم هي البلاغ الواضح فقد فعلته (يعرفون نعمة الله) أي
يقرون أن هذه النعم كلها من الله (ثم ينكرونها) أي لا يشكرونها بالتوحيد لأنهم قالوا إنما حصلت
هذه النعم بشفاعته هذه الأصنام (وأكثرهم الكافرون) أي المنكرون بقلوبهم غير مقرين بأن هذه
النعم من الله (ويوم نبعث) أي وخوفهم يوم تأتي (من كل أمة شهيدا) يشهد لهم بالإيمان وعليهم
بالكفر وهونيبها (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار وفي كثرة الكلام ليظهر لهم كونهم آيسين
من رحمة الله تعالى (ولا هم يستعتبون) أي لا يكفون أن يرضوا بهم بالعبادات فلا يقال لهم ارضوا
ربكم بالتوبة لأن الآخرة ليست بدار عمل وانما هي دار الجزاء (وإذا رأى الذين ظلموا) أنفسهم بالكفر
(العذاب) أي عذاب جهنم بعد شهادة الشهداء (فلا يخفف عنهم) ذلك العذاب (ولا هم ينظرون)
أي يهملون فعذابهم يكون دائما لأن التوبة عنك غير موجودة (وإذا رأى الذين أشركوا) أي إذا
أبصروا يوم القيامة (شركاءهم) أي الأصنام التي يسمونها شركاء الله تعالى (قالوا بنا هؤلاء شركاؤنا)
أي آلهتنا (الذين كانوا يقولون) أي نعبدكم (من دونك) أي هؤلاء الذين كنا نقول أنهم شركاء الله في
العبودية (فألقوا إليهم القول أنكم لكاذبون) أي فبادر شركاؤهم بالجواب إلى المشركين بقولهم أنكم
لكاذبون في قولكم أننا نسحق العبادة وأنكم عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم أوهامكم والمعنى أنه تعالى
يخلق الحياة والعقل والنطق في تلك الأصنام حتى تقول هذا القول (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) أي
أسرع المشركون إلى الله يومئذ الانقياد لحكم الله فأقروا بالبراءة عن الشركاء وبر بوبية الله بعد أن كانوا
في الدنيا متكبرين عنه لما عجزوا عن الجواب لكن الانقياد في هذا اليوم لا يفهمهم لا نقطاع التكليف
فيه (وطلعت عنهم ما كانوا يفترون) أي ذهب عنهم افتراؤهم على الله من أن الله شريكوا بطل أمليهم من
أن الهتهم تشفع لهم عند الله تعالى (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) أي منعوا الناس
عن الدخول في الإسلام وحملوهم على الكفر (زدناهم عذابا فوق العذاب) أي بحيات وعقارب وجوع
وعطش وزمهرير وغير ذلك فيخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد إلى النار (عما كانوا

يفسدون) بذلك الصد (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) وهو أعضاءهم فأنه تعالى ينطق
عشرة من أعضاء الانسان حتى أنها تشهد عليه وهي العينان والاذنان والرجلان واليدين والجلد
واللسان (وجنابك) ياسيد الرسل (شهيدا على هؤلاء) أي الامم كلهم (وزلنا عليك الكتاب) أي القرآن
(تبيينا لكل شيء) من أمور الدين بنص فيه على بعضها وبأحاطته لبعضها على السنة أو على الاجماع
أو على القياس فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب (وهدي ورحمة) للعالمين
فان حرمان الكفرة من مغنم آثار الكتاب من تفريطهم لامن جهة الكتاب (وبشرى للمسلمين) خاصة
لانهم المنتفعون بذلك (ان الله يأمر بالعدل) أي بالتوسط في الامور وهو رأس الفضائل كلها فيندرج
تحتة فضيلة القوة العقلية فالحكمة متوسطة بين الحرمة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية فالعفة
متوسطة بين الخلاعة والحمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية فالشجاعة متوسطة بين التهور والحيث
ويندرج فيه أيضا الحكم الاعتقادية فالتوحيد متوسط بين التعطيل والتشريك فنفى الاله تعطيل
محض واثبات أكثر من اله واحد تشريك واحد هو اثبات الاله ارحم وهو قول لاله الا الله والقول
بالكسب متوسط بين الجبر والقدر فان القول بأن العبد ليس له قدرة واختيار جبر محض والقول بأن
العبد مستقل بافعاله قدر محض والعدل أن يقال ان العبد يفعل الفعل لكن بواسطة قدرة وادعية مخلقه
ما الله تعالى فيه والقول بأن الله تعالى لا يؤاخذ عبده على شيء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بانه تعالى
يخلد في النار عبده الآتي بالعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل هو القول بانه تعالى يخرج من النار كل من
اعتقد أنه لا اله الا الله ويندرج تحتة أيضا الحكم العملية فالتعبد بآداء الواجبات متوسط بين البطالة
والترهب والختان ما موربه في شريعة انما ابقاها الجملدة مبالغة في تقوية اللذة والاختصاص وقطع الآلات
كما عليه المنافوة افراط فكانت الشريعة انما أمرت بالختان سعيا في تقليل تلك اللذة حتى يصير ميل
الانسان الى قضاء شهوة الجماع الى حد الاعتدال والثلث تصير الرغبة فيه غالبية على الطبع ويندرج تحتة
أيضا الحكم الخلقية فالجود متوسط بين الجمل والتبذير وشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسط
بين التشديد والتساهل قال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي متباعدة عن طرفي الافراط
والتفريط في كل الامور واما بالغرسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات قال تعالى طه ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقي ولما أخذ قوم في المساهلة قال تعالى ألحسبتم أنما أخذناكم عبدا والمطلوب رعاية العدل بين
طرفي الافراط والتفريط (والاحسان) أي المبالغة في أداء الطاعات اما بحسب السكينة كالتطوع
بالنوافل واما بحسب الكيفية كالاستغراق في شهود مقامات الربوبية والحاصل ان العدل عبارة عن
القدر الواجب والاحسان عبارة عن الزيادة في ذلك (وايتاء ذى القربى) أي اعطاء الاقارب ما يحتاجون
اليه قال صلى الله عليه وسلم ان أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) أي المعاصي
كلها (والمنكر) وهو ما لا يعرف في شريعة (والبغى) أي الاستعلاء على الناس والترفع والحاصل
ان الفحشاء هي الافراط في متابعة القوة الشهوية فهي اغمار غلب في تحصيل اللذات الشهوانية الخارجة
عن اذن الشريعة وان المنكر هو الافراط في اظهار آثار القوة الغضبية السبعية فهي اغمار غلب في الايذاء
الى سائر الناس وايصال البلاء اليهم فالناس ينكرون تلك الحالة وان البغى من آثار القوة الوهمية
الشيطانية فهي اغمار غلب في التطاول على الناس والترفع عليهم - م و اظهار ارياسة والتقدم (يعظكم)
أي يأمركم بتلك الثلاثة وينهاكم عن هذه الثلاثة (لعلكم تذكرون) أي لارادة أن تتذكروا

طاعته تعالى وهذا يدل على ان الله تعالى يطلب الايمان من الكل (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) وهو العهد الذي يلزمه الانسان باختياره فيدخل فيه المبايعة على الايمان بالله وبرسوله وعهد الجهاد وعهد الوفاء بالمنذورات والاشياء المؤكدة باليمين (ولا تنقضوا الايمان بعدتوكيدها) بالقصد ففرق بين اليمين المؤكدة بالعزم وبين لغو اليمين (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أى شاهد افان من حلف بالله قد جعل الله كفيلا بالوفاء بسبب ذلك الحلف وهذه احوال أى لا تنقضوا الايمان وقد قلتم الله شاهد علينا بالوفاء (ان الله يعلم ما تفعلون) من النقض والوفاء فيجازيكم على ذلك ان خير الخيرة وان شر الشر وفي هذا ترغيب وترهيب (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) أى من بعد قوة الغزل بقتلها واربامها (أنكثا) أى أنقاضا وهو مفعول ثان لنقضت بمعنى جعلت أحوال من غزلها مؤكدة لعاملها أى منكوا نقيل المشبه به معين وهى امرأة فى مكة اسمها راثطة بنت سعد بنت تيم وقيل تلقب بجعرانة وكانت حمقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وسنارة مثل أصبع وقلعة عظيمة على قدرها فكانت تغزل الصوف والوبرهى وجوارىها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تخذون أيمانكم دخلا) أى مكرا (بينكم أن تكون أمة هى أرى من أمة) وهواستفهام بمعنى الانكار والمعنى أتصبرون ايمانكم غشا بينكم بسبب ان أمة أزيد فى القوة والسكر من أمة أخرى قال مجاهد كان قريش يحالفون الحلفاء ثم اذا وجدوا شوكة فى أعادى حلفائهم نقضوا عهدهم مع الحلفاء وعاهدوا أعداء حلفائهم (أغاييلوكم الله به) أى يعاملكم بالأكثر معاملة من يحتبركم لينظر أتمسكون بالوفاء بعهد الله أم تغترون بكثرة قوم (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) فى الدنيا أى حين يجازيكم على أعمالكم بالثواب والعقاب (ولو شاء الله) مشيئة قسر (لجعلكم أمة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن) لم يشأ ذلك بل شاء اختلافكم لقضية حكمة يعلمها الله ولذلك (يضل من يشاء ويهدى من يشاء) وروى الواحدى ان عزيزا قال يارب خلقت الخلق فضل من تشاء وتهدى من تشاء فقال يا عزيز أعرض عن هذا فأعاده ثانيا فقال أعرض عن هذا فأعاده ثالثا فقال أعرض عن هذا والاحوت اسمك من النبوة (ولتسملن) جميعا يوم القيامة (هما كنتم تعملون) فى الدنيا وهذا اشارة الى الكسب الذى عليه يدور أمر الهداية والصلال (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا) أى خديعة (بينكم) أى لا تنقضوا عهدكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشرائعه (فتزل قدم بعد ثبوتها) على الطريق الحق بالايمان أى تمزقوا عن طاعة الله فان من نقض عهد الاسلام فقد سقط عن الدرجات العالية ووقع فى الضلالة (وتذوقوا السوء) أى العذاب فى الدنيا (بما صدقتم عن سبيل الله) أى بامتناعكم عن دين الله وبصرفكم الناس عنه بإيمانكم التى أردتم بها إخفاء الحق (ولكم) مع ذلك فى الآخرة (عذاب عظيم) أى غير منغل اذا متم على ذلك (ولا تشتروا بعهد الله) أى لا تأخذوا بمقابلته ببيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) أى عرض الدنيا وكانت قريش يعدون ضعة المسلمين على الارتداد بحطام الدنيا أى انكم وان وجدتم على نقض عهد الاسلام خيرا من خيرات الدنيا لا تلتفتوا اليه وان كان كثير الان الذى أعده الله تعالى على الاستمرار على الاسلام أفضل مما تجدونه فى الدنيا على نقض عهد الاسلام (ان ما عند الله) من ثواب الدارين الغنيمة والثواب الاخرى (هو خير لكم) مما يعدونه (ان كنتم تعلمون) تفاوت ما بين العوضين (ما عندكم ينغذ) وان جم عدد (وما عند الله) من خزائن رحمته الدنيوية والاخرية (باق) لانفادله (ولنجزي الذين صبروا) على مشاق التزام شرائع

الاسلام (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أى بحسب أحسن أفراد أعمالهم والمعنى لنعطينهم بمقابلته الفرد الأدنى من أعمالهم ما نعطيه بمقابلته الفرد الأعلى منها من الأجر الجزيل وفي هذا من العدة الجميلة باغتفار ما قد يطرأ عليهم في أثناء الصبر من بعض جزع وبنظمه في سلك الصبر الجميل وقرأ ابن كثير وعاصم ولنجزيهم بنون العظمة على طريقة الالتفات والباقون بالياء من غير التفات واللام لام قسم أى والله لنجزيهم الله (من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة) في الدنيا فيعيش عيشا طيبا فالمرء ظاهر والمعسر يطيّب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم فان قلب المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى والقلب اذا كان علواً آمن هذه المعارف لم يتسع للاحزان الواقعة بسبب أحوال الدنيا أما قلب الجاهل فإنه خال عن معرفة الله تعالى فيصير علواً من الاحزان الواقعة بسبب مصائب الدنيا (ولنجزيهم) في الآخرة (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أى بجزاء أحسن من أعمالهم (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أى فاذا أردت قراءة القرآن فاسأل الله ان يعصمك من وساوس الشيطان المطرود من رحمة الله لئلا يوسوسك في القراءة أى فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهذا الأمر للندب عند الجمهور ولو وجوب عند عطاء وحيث أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستعانة عند قراءة القرآن فاطنكم عن عدا صلى الله عليه وسلم فيمن عدا القراءة من الاعمال (انه) أى الشيطان (ليس له سلطان) أى تسلط (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) أى والى ربهم يفوضون أمورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون ويذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم (انما سلطانه) أى ولايته بدعوته (على الذين يتولونه) أى يطيعونه (والذين هم به) أى برهم (مشركون) أى والذين هم بسبب حمل الشيطان اياهم على الشرك بالله صاروا مشركين (واذا بدلنا آية مكان آية) أى واذا نسخنا حكم آية فابدلنا مكانه حكماً آخر (والله أعلم بما ينزل) من التغليظ والتخفيف في مصالح العباد وما الشرائع الامصالح للعباد في المعاش والمعاد فالمصالح تدور وهذه الجملة اعتراضية بين الشرط وجوابه لتوبيخ الكفرة على كونهم ينسبون رسول الله الى الافتراء في التبديل والتنبيه على فساد رأيهم (قالوا) أى الكفار من أهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم (انما أنت مفتر) أى محتلق من تلقاء نفسك قال ابن عباس رضى الله عنهما اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ألين منها تقول كفار قريش والله ما محمد الا يسخر بأصحابه اليوم يأمر بأمر وغدا ينهى عنه رانه لا يقول هذه الاشياء الا من عند نفسه فانزل الله تعالى هذه الآية (بل أكثرهم لا يعلمون) ان الله لا يأمر عباده الا بما يصلح لهم وان في النسخ حكماً بالغته واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما أن منهم من يعلم ذلك وانما ينسكه عنادا (قل نزله) أى القرآن (روح القدس) أى الروح المطهر من الادناس البشرية وهو جبريل (من ربك) يا أكرم الخلق (بالحق) أى بالموافق للحكمة (ليثبت الذين آمنوا) على الايمان بأن القرآن كلام الله فانهم اذا سمعوا النامح وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح الثلاثة بالحال رخصت عقائدهم وأطمأنت قلوبهم (وهدى وبشرى للمسلمين) وهذان معطوفان على ليثبت فهما منصوبان باعتبار محله ومجروران باعتبار المصدر المؤول (ولقد نعلم أنهم) أى كفار مكة (يقولون انما يعلمه بشر) أى انما يعلم محمد القرآن بشر لا جبريل كما يدعى قال عبد الله بن مسلم الحضرمي عنوا عبدين لنا أحدهما يقال له يسار والآخر جبر وكانا يصنعان السيف بمكة وقرأ القرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (لسان

الذي يهدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) أي كلام الذي ينسبون اليه عبراني لم يتكلم بالعربية ولم يأت بفصيح الكلام وهذا القرآن كلام عربي ذوي بيان وفصاحة فكيف يعلم محمد أو هو جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم عنه وأنتم أهل الفصاحة فكيف يقدر من هو أعجمي على مثل هذا القرآن وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي تشيرون اليه فثبت بهذا الدليل أن القرآن وحى أو جاء الله الى محمد وليس هو من تعلم الذي تشيرون اليه ولا هو أت به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله تعالى (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي لا يصدقون أنهم من عند الله بل يسمونها افتراء أو معلمة من البشر (لا يهديهم الله) الى طريق الجنة (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) أي بل يسوقهم الى النار (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي ان المفترى هو الذي يكذب بآيات الله ويقول انها افتراء ومعلمة من البشر وهذا رد لقولهم انما أنت مفتر وقيل للامر عليهم ببيان أنهم هم المفترون (وأولئك هم الكاذبون) أي الكاملون في الكذب اذ لا كذب أعظم من تكذيب آيات الله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه) أي من تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى فعليه غضب من الله فمن موصولة مبتدأ وخبره محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه (الامن أكره) على التلفظ بالكفر فتلفظه بأمر لا طاقته به كالخنوف بالقتل كالضرب الشديد وكلايلا مات القوية عما يخاف على نفسه أو على عضوه من أعضائه (وقلبه مطمئن بالايمان) أي والحال ان قلبه لم تتغير عقيدته وهذا دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي ولكن من اعتقد الكفر وانشرح به قلبا (فعليه غضب من الله ولهم عذاب عظيم) روى ان قريشاً أكرهوا عمرا وأباه ياسر وأمه مميصة على الارتداد فربطوا مميصة بين بعيرين وضربها أبوجهل بحربة في فرجها فماتت وقتل ياسر وأما عمار فأعطاهم بلسانه ما أكرهوا عليه فقبل يارسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بدمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينه وقال مالك ان عادوا لك فقل لهم ما قلت فنزلت هذه الآية (ذلك) أي الكفر بعد الايمان (بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) أي بسبب انهم رجحوا الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) أي وبأنه تعالى ما هداهم الى الايمان وما عصهم عن الكفر (أولئك) الموصوفون بتلك القبائح (الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فأبت عن التأمل في الحق وادراكه (وأولئك هم الغافلون) عما يراد بهم في الآخرة من العذاب فلا غفلة أعظم من الغفلة عن تدبر عواقب الامور (لاجرم) أي حق (أنهم في الآخرة هم الخاسرون) حيث صرفوا أعمارهم فيما أفضى بهم الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى المدينة أي ناصرهم (من بعد ما قتلوا) أي عذبوا نزلت هذه الآية في عياش بن ربيعة أخى أبي جهل من الرضاة أو من أمه وفي أبي جندل بن سهل والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفي فقتلهم المشركون وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا ومن شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا واجاهدوا وقرأ ابن عامر قتلوا بالبناء للفاعل أي عذبوا المؤمنين كعامر بن الحضرمي أكره مولا جبرا الرومي حتى ارتد ثم أسلما وحسن اسلامهما وهاجرا (ثم جاهدوا) في سبيل الله (وصبروا) على الطاعة والمرامى (ان ربك من بعدها) أي من بعد هذه الاعمال الثلاثة (لغفور) لما فعلوا من قبل (رحيم) فينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد هذه الآية ان كانت نازلة فيمن أظهر الكفر فالمراد ان حاله اذا هاجر وجاهد وصبر كحال

من لا يكره فلا اثم له في ذلك وان كانت واردة فيمن ارتد فالسرادان التوبة والقيام بما يجب عليه يحصلان له الغفران والرحمة ويزيلان العتاب (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) فالنظر فمنصوب برحيم أو معذوف أي ذكركم يوم يأتي كل انسان يعتذر عن ذاته ويسعى في خلاصه من العذاب كقولهم هؤلاء أضلونا السبيلا وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما تزل الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح يا رب لم يكن لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فضعف عليه العذاب فيقول الجسد يا رب أنت خلقتني كالخشب ليس لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لساني وبه أبصرت عيني وبه مشيت رجلاي فيضرب الله لهما مثلاً أعمى ومقعدا دخلا يستأنا فيه ثم ارفالا عى لا يبصر الثمر والمقعدا لا يتناول له حمل الأعمى المقعد فأصابا بالثمر فعلى من يكون العذاب قال الله تعالى عليهما جميعا العذاب (وتوفي كل نفس ما عملت) أي وتعطي كل نفس جزاء ما عملت كاملا (وهم لا يظلمون) بالعقاب بغير ذنب وبالزيادة في العقاب على الذنوب (وضرب الله مثلاً قرية) أي جعل الله مثلاً أهل قرية مكة (كانت آمنة) أي كان أهلها ذوي أمن فلا يحتاجون الى الانتقال عنها بسبب الخوف من العدو (مطمئنة) أي كان أهلها معصاهم لان هوا ذلك البلد لما كان ملايماً لآمر جنتهم مطمئناً اليه واستقروا فيه فلا يحتاجون الى الانتقال منه بسبب الامراض (يأتيها رزقها رغداً من كل مكان) أي يأتي أهل تلك القرية أقوات واسعة من نواحيها من بر وبحر فلا يحتاجون الى الانتقال عنها بسبب ضيق الرزق قالت العقلاء من بحر الرجز

ثلاثة ليس لها نهاية * الامن والصحة والكفاية

(فكفرت بأنعم الله) أي كفر أهلها بنعمه تعالى وهي نعمة الامن والصحة والرزق الواسع (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) أي أذاق الله أهلها ضرر الجوع والخوف من حرب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع والخوف نوعان أحدهما انه لما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع والخوف فأشبهها الطعام وثانيهما ان أثر الجوع والخوف لما اشتد صار كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبهه اللباس وقد ظهر أثرهما عليهم من الهزال وصفرة اللون ونهكة البدن وسوء الحال وكسوف البالي وشبهه أيضاً أثر الخوف باللباس في الاحاطة واللزوم وأثر الجوع بالطعام المر البشع في الكراهة (بما كانوا يصنعون) من تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وإخراجه من مكة رهم قتلته فأنعم الله تعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعلهز وهو وبر يخلط بالدم والقود وهو جلد الماعز الصغير حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع وأما خوفهم فهو لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث اليهم السرايا فيغيرون على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم ثم ان رؤساء مكة أرسلوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب في جماعة فقدموا المدينة عليه وقال له أبو سفيان يا محمد انك جئت تأمر بصلية الرحم والعفو وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن للناس بحمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون وهذه الآية نزلت في المدينة لان الله تعالى وصف القرية بصفات ست كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة فضر بها الله مثلاً لاهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم

مثل ما أصابهم من الجوع والخوف والنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وانما أمر بالقتال لما هاجر الى المدينة فكان يبعث السرايا الى جوار مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة (واقعد جاءهم) أى جاء أهل تلك القرية وهى مكة (رسول منهم) أى من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وأنذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يندون (فكذبوه) فى رسالته (فأخذهم العذاب) بالجوع الذى كان بمكة (وهم ظالمون) أى والحال انهم كافرون بتكذيب رسول الله (فكأوا) يامعشر المسلمين (عمارزقكم الله) أى من الغنائم (حلالا طيبا) أى انكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكأوا الحلال الطيب وهو الغنime وارتكأوا الحباث وهى الميتة والدم (واشكروا نعمة الله) أى واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران (ان كنتم اياه تعبدون) أى تطيعون (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) فهذه الآية دالة على حصر المحرمات فى هذه الاربعة فالمخنقة والموقوذة والمتردية والطحينة وما أكل السبع داخله فى الميتة وما ذبح على النصب داخل تحت قوله تعالى وما أهل لغير الله به (فن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) أى فمن دعت ضرورة المحمصة الى تناول شئ من ذلك غير ظالم على مضطر آخر ولا متجاوز قدر الضرورة وسد الرمق فانه لا يؤاخذ بذلك (ولا تقولوا ما تصف أنفسكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) أى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لاجل ذكر أنفسكم الكذب ولتعود هابه (لتفروا على الله الكذب) وهذا بدل من التعليل الاول أى انهم كانوا ينسبون ذلك التحليل والتحريم الى الله تعالى ويقولون ان الله أمرنا بذلك (ان الذين يفترون على الله الكذب) فى أمر من الأمور (لا يفطنون) أى لا يفوزون بخسر لا فى الدنيا ولا فى الآخرة (متاع قليل) أى منفعتهم فى أفعال الجاهلية منفعة قليلة (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم وعلى الذين هادوا) خاصة (حرمنا ما قصصنا عليك) يا أشرف المرسلين (من قبل) أى من قبل تحريرنا على أهل ملتك ما عدد لك من المحرمات وهو الذى سبق ذكره فى سورة الانعام (وما ظلمناهم) بتحريم ذلك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما يؤدى ذلك التحريم (ثم انذركم لئلا تكونوا الكفرة والمعاصي بجهالة) أى بسبب جهالة لان أحد لا يختار الكفر ما لم يعتقد كونه حقا ولا يفعل المعصية ما لم تصر الشهوة غالبية للعقل فكل من عمل السوء يكون بسبب الجهالة (ثم تابوا من بعد ذلك) أى عمل السوء (وأصلحوا) بأن آمنوا وأطاعوا الله (ان ربك من بعدها) أى التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يشبث على طاعتهم تركوا فعلا أى لما بالغ الله فى تهديد المشركين على أنواع قبائحهم من انكار البعث والنبوة وكون القرآن من عند الله وتحريم ما حلال الله وتحليل ما حرمه بين الله أن مثال تلك القبائح لا تمنعهم من قبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة اذ اندموا على ما فعلوا وآمنوا فانه يخلصهم من العذاب (ان ابراهيم كان أمة) على انفراد له كماله فى صفات الخير وجمعه فضائل وهو رئيس أهل التوحيد ولانه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كانوا كفارا ولذلك وصفه بتسع صفات (قاتل الله) أى مطيعا له تعالى قائما بأمره (حنيفا) أى ماثلا عن كل دين باطل الى الدين الحق لا يزول عنه (ولم يك من المشركين) فى أمر من أمور دينهم فانه كان من الموحدين فى الصغر والكبر (شاكر الانعمة) روى أن ابراهيم عليه السلام كان لا يتغذى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فآخر غداءه فاذا هو يقوم من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم الى الطعام فاطهروا ان بهم علة الجذام فقال الآن يجب على مؤاكتكم فلو لا عزتكم على الله تعالى لما ابتلاكم بهذا البلاء (اجتباء) أى اصطفاه للنبوة (وهده الى صراط مستقيم) أى هده فى الدعوة الى طريق موصل الى

الله تعالى وهو ملّة الاسلام (وأتيناها في الدنيا حسنة) أي ولدا صالحا وسيرة حسنة عند كل أهل الأديان
لجميع الملل يرضون عن إبراهيم ولا يكفرون به أحد (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أي لمن أصحاب
الدرجات العالية في الجنة (ثم أوحينا اليك) يا سيد المرسلين مع علو طبقتك (أن اتبع ملّة إبراهيم)
أي في كيفية الدعوة إلى التوحيد وهو أن يدعو إليه بطريق الرفق والسهولة وإتيان الدلائل مرة بعد
أخرى بأنواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن (حنيفا) أي ما ثلّا عن الباطل حال من إبراهيم
(وما كان من المشركين) وهذا تكرير لما سبق لزيادة تأكيد في الرد على المشركين حيث زعموا أنهم كانوا
على ملّة إبراهيم (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي اغنا فرض تعظيم يوم السبت على الذين
خالفوا نبيهم موسى عليه السلام لأجل يوم السبت فإن أهل الملل اتفقوا على أنه تعالى خلق العالم في ستة
أيام وبدأ تعالى بالتكوين من يوم الاحد وتم في يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم الفراغ فأمر سيدنا موسى
عليه السلام اليهود أن يعظموا يوم الجمعة كما هو ملّة إبراهيم عليه السلام بالتفرغ للعبادة فيه وترك الاشغال
فيكون عيداً خالفوا كلهم وقالوا نحن نوافق ربنا في ترك الاحمال فاخترنا السبت فاذن الله تعالى لهم
فيه وشدد عليهم بحريم الاصطياذ فيه وقالت النصارى مبدأ التكوين هو يوم الاحد فنجعل هذا اليوم
عيداً لنا وقد جاءهم عيسى عليه السلام بالجمعة أيضاً فقالوا لا نريد أن يكون عيد اليهود بعد عيدنا واتخذوا
الاحد عيداً لهم وقلنا معشر الامة المهدية يوم الجمعة هو يوم الكمال فصول التمام يوجب الفرح الكامل
فهو أحق بالتعظيم ويجعله عيداً أيضاً ان الله تعالى خلق في يوم الجمعة أبا البشر آدم عليه السلام وهو
أشرف خلقه وتاب عليه فيه فكان يوم الجمعة أشرف الأيام لهذا السبب ولان الله تعالى اختار يوم الجمعة
لهذه الامة ولم يختاروه لانفسهم (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) في الدين
فانه تعالى سيحكم للمعتقين بالشواب وللباطلين بالعقاب (أدع) يا أشرف الرسل من بعث اليهم من الامة
قاطبة (إلى سبيل ربك) أي إلى دينه (بالحكمة) أي بالحكمة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية وهذه أشرف
الدرجات وهي التي قال الله تعالى في صفتها ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً (والموعظة الحسنة) أي
الامارات الظنية والدلائل الاقناعية (وجادلهم بالتي هي أحسن) أي بدليل مركب من مقدمات مقبولة
فالناس على ثلاثة أقسام: الأول أصحاب العقول الصحيحة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها
* والثاني أصحاب النظر السليم الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا إلى حضيض النقصان * والثالث الذين
تغلب على طباعهم المخاصمة لا طلب العلوم اليقينية فقولته تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة الخ معناه ادع
الأقوياء الكاملين إلى الدين الحق بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقائقها وهم خواص
الصحابة وغيرهم وادع عوام الخلق بالدلائل الاقناعية الظنية وهم أرباب السلامة وفيهم الكثرة وتكلم
مع المشاغبيين بالجدل على الطريق الاحسن الاكمل وهي التي تفيد الختامهم والزامهم والجدل ليس من
باب الدعوة بل المقصود منه قطع الجدل عن باب الدعوة لانها لا تحصل أي ولما أمر الله محمد صلى الله عليه
وسلم باتباع إبراهيم بين الشئ الذي أمره بمتابعته فيه وهو أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي
الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الاحسن (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) الذي
أمرك بدعوة الخلق اليه وأعرض عن قبوله (وهو أعلم بالمهتدين) اليه أي انك مكلف بالدعوة إلى الله
تعالى بهذه الطرق الثلاثة وحصول الهداية لا يتعلق بك فانه تعالى هو العالم بضلال النفوس المظلمة
والسكدة وباهتداء النفوس المشرقة الصافية (وان عاقبتهم) أي ان أردتم المعاقبة (فعاقبوا بمثل

ما عوقبتهم به) أن يجئل ما فعل بكم ولا تزيروا عليه وقد مر أنه تعالى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق إلى الدين الحق بأحد الطرق الثلاثة وتلك الدعوة تتضمن أمرهم بالرجوع عن دين آباؤهم وبالحكم عليه بالضلالة وذلك عما يشوش قلوبهم ويحمل أكثرهم على قصد ذلك الداعي بالقتل تارة وبالضرب تانيا وبالشتيم ثالثا ثم إن ذلك الداعي إذا عرف ذلك بحمله طبعه على تأديب أولئك السفهاء بالقتل أو بالضرب فعند هذا أمر الله الداعي في هذا المقام برعاية العدل وترك الزيادة وهي ظلم وهو ممنوع في عدل الله ورحمته والله تعالى أمر في هذه الآية برعاية الانصاف فيدخل فيها ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى عمه حمزة قد مثل به المشركون في أحد فقطعوا أنفه وأذنيه وذكروه وأنشبهوا لجره وابطنه قال لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك فنزلت هذه الآية فكفر عن عينه وكف عما أراد (ولئن صبرتم) عن المعاقبة بالمثل (لهو) أي الصبر (خير للصابرين) لأن الرحمة أفضل من القسوة والنفع أفضل من الأيلام والمقصود من هذه الآية تعليم حسن الأدب في كيفية الدعوة إلى الله تعالى وطلب ترك الزيادة من الظالم وهذا ليس بنسوخ (واصبر) على ما أصابك من جهتهم من فنون الأذية (وما صبرك) بشئ من الأشياء (إلا بالله) أي بذكره وبالاستغراق في مراقبة شؤنه تعالى وبالتبتل إليه تعالى بمجامع الهمة (ولا تحزن عليهم) أي الكافرين بسبب اعراضهم عنك واستحقاقهم للعذاب الدائم (ولا تلتفت في ضيق) أي غم وقرأ ابن كثير بكسر الضاد (مما يكفرون) أي من مكرهم بك في المستقبل فالضيق إذا قوى صار كالشيء المحيط بالإنسان من كل الجوانب (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وهذا يدل على أن كمال السعادة للإنسان في هذين الأمرين التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله والمراد بالمعية هي بالرحمة والفضل والرتبة

﴿سورة بني إسرائيل وتسمى سورة الاسراء وسبحان مكية غير قوله وإن كادوا ليستفزونك إلى قوله سلطانا نصير افهؤلا الآيات الثمانية مديبات وعدداً ياتها مائة وعشر وكتبها ألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون وعددها وفها ستة آ لاف وأربعمائة وستون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أمرى بعبده) أي تبرأ عن الشريك من سيرة عبده محمد صلى الله عليه وسلم (إيلا) أي في جزء قليل من الليل (من المسجد الحرام) أي من حرم مكة من بيت أم هانئ بنت أبي طالب (إلى المسجد الأقصى) أي الأبعد من الأرض وأقرب إلى السماء وهو مسجد بيت المقدس وهي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار ويدخل بها الأجر من المسجد الحرام وروى أن عبداً لله ابن سلام قال في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم عند قرأته هذه الآية لأنه وسط الدنيا لا يز يدشياً ولا ينقص فقال صلى الله عليه وسلم صدقت ثم قال ويقال له البيت المقدس والزيتون ولا يقال له الحرم اه والحكمة في أمر الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ليحصل له العروج إلى السماء مستوياً من غير تعويج لما روى عن كعب بن باب السهائي الذي يقال له مصعب الملائكة يقابل بيت المقدس قال وهو أقرب الأرض إلى السماء ثمانمائة وعشر ميلاً وقيل الحكمة في ذلك أن الشام خيرة الله تعالى من أرضه كما في حديث صحيح فهي أفضل الأرض بعد الحرمين وأول أقليم ظهر فيه ملكه صلى الله عليه وسلم وروى أن حفرة بيت المقدس من جنة الفردوس وقيل الحكمة في ذلك لإظهار الحق على من عاند لأنه لو عرج به

من مكة الى السماء لم يجد لها سبيلا الى الايضاح فلما ذكر انه أسرى به الى بيت المقدس سأله عن
 أشياء من بيت المقدس كانوا علموا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن رآها قبل ذلك لما أخبرهم بها حصل
 التحقق بصدقه فيما ذكر من الاسراء به الى بيت المقدس في ليلة واذا صبح خبره في ذلك لزم تصديقه
 في بقية ذلك من خبر المعراج الى السموات وقيل الحكمة في ذلك ليجمع الله له صلى الله عليه وسلم بين القبلتين
 (الذي باركنا حوله) أي المسجد الاقصى من أرض الشام بركة دنيوية بالمياه والاشجار وبركة دينية
 لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء وأما كنهم أم أحياء وأما وفي قوله تعالى سبحان الذي أسرى الخ معني
 التزييه والتعجب أشار الله تعالى بذلك الى أعجب أمر جرى بيده تعالى وبين أفضل خلقه (النبيه) أي
 محمد صلى الله عليه وسلم (من آياتنا) أي بعض عجائب قدرتنا العظيمة التي من حملتها ذهابه في برهة
 من الليل مسيرة شهر وثبت بالدليل ان خالق العالم قادر على كل المحركات لحصول الحركة البالغة في السرعة
 الى هذا الحد في جسده محمد صلى الله عليه وسلم يمكن وحينئذ يلزم أن القول بثبوت هذا المعراج أمر يمكن
 الوجود في نفسه لكن يبقى التعجب لانه حاصل في جميع المجهزات فانقلاب العصا ثعلبا تبلى سبعين ألفا
 من الجبال والعصى ثم تعود في الحال عصا صغيرة كما كانت أمر عجيب وخروج الناقة العظيمة من الجبل
 الاصم وظلال الجبل العظيم في الهواء عجيب وكذا القول في جميع المجهزات فان كان مجرد التعجب يوجب
 الانكار لزم الجزم بفساد القول باثبات المجهزات وهو فرع على تسليم أصل النبوة وان كان مجرد التعجب
 لا يوجب الابطال فكذا ههنا ثبت ان المعراج يمكن غير متنع (انه هو السميع البصير) أي انه تعالى هو
 السميع لا قول محمد صلى الله عليه وسلم وأحواله بلا اذن البصير بأفعاله بلا عين في كرمه ويقربه بحسب
 ذلك أي فهو عالم بكونه سامهذه خالصة من شوائب الهوى مقرونة بالصدق والصفاء متأهله للقرب والرفق
 ويقال انه تعالى هو السميع لمقالة قريش البصير بهم روى عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان نائما
 في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ وقال مثل لي النبيون
 فصليت بهم فلما قام ليخرج الى المسجد تشبعت هي بثوبه صلى الله عليه وسلم فقال مالك قالت أخشى ان
 يكذبك الناس وقومك ان أخبرتهم قال وان كذبوني فلما خرج جلس اليه أبو جهل فأخبره بمحدث الاسراء
 فقال أبو جهل يا معشر كعب بن لؤي بن غالب هل لخذتهم من مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا
 وارتهناس عن كان آمن به صلى الله عليه وسلم وذهب رجال الى أبي بكر وقالوا له ان صاحبك يقول كذا
 وكذا فقال أبو بكر ان كان قد قال ذلك فهو صادق قالوا أتصدق على ذلك قال اني أصدق على أصدق من ذلك
 أي كأنه قال لما سلمت رسالته فقد صدقته فيما هو أعظم من هذا فكيف أكذبه في هذا ثم جاء أبو بكر الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الرسول له تلك التفاصيل فكلاما ذكر صلى الله عليه وسلم شيئا قال له أبو
 بكر صدقت فلما تم الكلام قال أبو بكر أشهد انك رسول الله حقا فقال له الرسول وأنا أشهد أنك الصديق
 حقا ويقال ان هذا العبد الذي اختصصناه بالاسراء هو خاصة السميع لكلامنا البصير فذاتنا فهو السميع
 أذننا قلبا بالاجابة لنا والقبول لاوامرنا البصير بصرا وبصيرة وتوسيط ظهر الفصل للاشعار باختصاصه
 صلى الله عليه وسلم وحده بهذه الكرامة ولهذا عقب الله تعالى بقوله هذا (وآتيناه موسى الكتاب) أي
 التوراة أي لما ذكر الله تعالى تشریف محمد صلى الله عليه وسلم بالاسراء ذكر عقبه تشریف موسى
 عليه السلام بازال التوراة عيله مع ما فيه من دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمع
 بين الامرين المتحدین في المعنى أي آتينا التوراة بعد ما أسرىنا به الى الطور (وجعلناه هدى لبني

(إسرائيل) والضمير يعود إلى الكتاب أو إلى موسى أي جعلنا موسى يخرجهم بواسطة ذلك الكتاب من
 ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والدين الحق (أن لا تتخذوا) فلانا هبة وان يعني أي التفسيرية أو
 زائفة وتتخذوا على أفعال القول أي فعلنا لا تتخذوا قرأ أبوهم روا لا يتخذوا باليه خبرا عن بني إسرائيل
 فان مصدرية ولا نافية ولا مفعول تعليل مقدرة والمعنى آتينا موسى الكتاب هداية بني إسرائيل لئلا يتخذوا
 (من دوني وكيلا) أي ربنا تفوضون إليه أموركم (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص
 على قراءة النهي وعلى مفعول يتخذوا الأول ومن دوني حال من وكيلا والتقدير لا تتخذوا ذرية من حملنا مع
 نوح من دوني وكيلا فالناس كلهم ذرية نوح لانه كان معه في السفينة ثلاثة بنين سام وحام ويافت فالناس
 كلهم من ذرية أولئك (انه) أي نوحا (كان عبدا لشكورا) أي كثير الشكر في جميع حالاته وفي
 هذا اعلام بأن النجاة من معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشر والمعنى
 ولا تشركوا بي لان نوحا كان عبدا لشكورا وأنتم من ذريته فاقتدوا به كما أن آباءكم اقتدوا به وانما يكون
 العبد شكورا اذا كان موحد لا يرى حصول شيء من النعم الا من فضل الله تعالى روى أن نوحا عليه
 السلام كان اذا أكل قال الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجا عني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء
 أنظم أني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء أعراني واذا احتدى قال الحمد لله الذي حذاني ولو
 شاء أحفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني اذا في عافية ولو شاء حبسه واذا أراد الاقطار
 عرض طعامه على من آمن به فان وجدته محتاجا آثر به (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) أي
 أخبرناهم في التوراة بمحصول الفساد مرتين (لتفسدن في الأرض) أي أرض الشام (مرتين)
 الأول مخالفة حكم التوراة وحبس أرميا عليه السلام حين أقرهم مخط الله تعالى وقتل شعيباني الله في
 الشجرة وذلك انه لما مات صدقيا ملكهم تنافسوا في الملك وقتل بعضهم بعضا وهم لا يسمعون من نبيهم فقال
 الله تعالى له قم في قومك فلما فرغ مما أوحى الله إليه عدوا عليه ليعتوه فهرب فانفلقت له شجرة فدخل فيها
 وأدركه الشيطان فأخذ هربة من ثوبه فأراهم أياها فوضعوا المنشاري وسطها فنشروها حتى قطعوها
 وقطعوه في وسطها والثاني قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام (ولتعلن) أي
 لتعلن الناس بغیر الحق (علوا كبيرا) أي مجاوز الحد ردو يقال لكل متجبر قد علا (فأذاهم وعد
 أولاهما) أولى مرتي الفساد (بعثنا عليكم عبادنا أولى بأس) أي قتال (شديد) عن حذيفة قال
 قلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيما جسما الخطر عظيم القدر فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هو من أجل البيوت ابتناه الله تعالى سليمان بن داود عليه السلام من ذهب وفضة ودر
 وياقوت وزمر ذو ذلك ان سليمان بن داود لما بناه مخمره الجن يأتونه بالذهب والفضة من المعادن وأتوه
 بالجواهر والياقوت والزمر ذو مخمره الجن حتى بنوه من هذه الاصناف قال حذيفة فقلت يا رسول الله
 كيف أخذت هذه الاشياء من بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني إسرائيل لما عصوا
 الله وقتلوا الانبياء سلط الله عليهم هفت نصر وهو من الجوس وكان ملكه سبع مائة سنة وهو قوله تعالى
 فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادنا أولى بأس شديدا (لجاسوا خلال الديار) أي فترددوا في
 أوساط الديار ودخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الاموال وجميع ما
 كان في بيت المقدس من هذه الاصناف فاحتلواها على سبعين ألفا ومائة ألف عجلة حتى أودعوها أرض
 بابل فأقاموا يستخدمون بني إسرائيل ويستملكونهم بالخزي والعقاب والنكال مائة عام (وكن) أي

ذلك البعث (وعدا مفعولا) أى منجزا (ثم ردنا لكم الكرة) أى الدولة (عليهم) أى على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتن عن ذنوبكم ورجعتم عن الافساد بظهور كورش الهمداني على بخت نصر (وأمددناكم بأموال) كثيرة بعد ما نهبت أموالكم (وبنين) بعد ما سببت أولادكم (وجعلناكم أكثر نيرا) أى رجالا وعدداً أى ثم ان الله عز وجل رحمهم فأوحى الى ملك من ملوك فارس وهو كورش الهمداني ان تسير الى المجوس في أرض بابل وان تستنقذ من في أيديهم من بني اسرائيل فسار اليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل فاستنقذ من بقي من بني اسرائيل من أيدي المجوس واستنقذ ذلك الحلي الذي كان من البيت المقدس ورد الله اليه كما كان أول مرة (ان أحسنتم) بفعل الطاعات (أحسنتم لانفسكم) فإن بركة تلك الطاعات يفتح الله به عليكم أبواب الخيرات (وان أسأتم) بفعل المحرمات (فلها) أى فقد أسأتم الى انفسكم فابشروم تلك المعاصي يفتح الله به عليكم أبواب العقوبات (فاذا جاء وعد الآخرة) أى وعد المرة الآخرة بعثنا طوس بن اسبيانوس الرومي مع جنوده (ليسوا وجوهكم) أى ليجعلوا آثارا للحزن ظاهرة في وجوهكم وقرأ ابن حارم وأبو بكر عن عاصم وحزرة ليسوا بالتوحيد أى يحزن الله أو الوعد أو البعث وجوهكم وقرأ الكسائي لنسوة بنون العظيمة (وليدخلوا المسجد) أى بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة) أى كما دخل الاعداء فيه في أول مرة (وليتبروا ما علوا) أى ليهلكوا البلاد التي علوا عليها (تقبيرا) أى اهلاكا أى فلما رجعت بنو اسرائيل الى البيت المقدس قادوا الى المعاصي فسلط الله عليهم ملكا ومقيم فغزاهم في البر والبحر فسباهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم وأخذ جميع ما في بيت المقدس واحتمله على سبعين ألفا ومائة ألف عجلة حتى أودعه في كنيسة الذهب فهو فيها الآن حتى يأخذه المهدى ويرده الى بيت المقدس وهو ألف سفينة وسبع مائة سفينة يرمى بها على بابل حتى ينقل الى بيت المقدس (عسى ربكم أن يرحكم) أى لعل ربكم أن يرحكم بعد المرة الآخرة ان تبتن توبة أخرى من المعاصي يا بني اسرائيل (وان عدتم) الى الفساد مرة أخرى (عدنا) الى صب البلاء عليكم في الدنيا مرة أخرى وان عدتم الى الاحسان عدنا الى الرحمة وقد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو التكذيب لمحمد صلى الله عليه وسلم وكتمان ما ورد في التوراة والانجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على أيدي العرب فجري القتل والجلد على قريظة وبني النضير وبني قينقاع ويهود خيبر والباقي منهم مقهورون بضرب الجزية (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أى سبحانه لا يستطيعون الخروج منها أبدا (ان هذا القرآن) الذي آتيناكم (يهدي) كل الناس (التي هي أقوم) أى للطريقة التي هي أقوم الطرائق وهي ملة الاسلام فبعضهم يصل بهدايته وهم المؤمنون وبعضهم لا وهم الكافرون (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) من التقوى والاحسان (أن لهم أجرا كبيرا) أى بأن لهم في مقابلة تلك الاعمال أجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التضاعف (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما) وهو عذاب جهنم وهذا عطف على قوله ان لهم فالقرآن يبشر المؤمنين ببشارتين بأجر كبير وبتعذيب أعدائهم واعلم ان أكثر اليهود دينهم كرون الثواب والعقاب الجسديين وان بعضهم قال لن تمسنا النار الا أياما معدودات فهم بذلك صاروا كالمنكرين للآخرة (ويدعوا الانسان بالشردهاء بالخسر) في الاحاح أى ان الانسان قديما في الدعاء طلبا لشيء يعتقد ان خير فيه مع ان ذلك الشيء يكون منبع ضرره وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء وانما يقدم على مثل هذا العمل لكونه مغترا بظواهر الامور غير متفحص عن حقائقها واسرارها روى ان النضر بن الحرث قال اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان

هذا هو الحق من عندك الى آخره فأجاب الله تعالى دعاءه وضر بتدقيقه يوم بدر وقيل المراد ان الانسان
 في وقت الضجر يلعن نفسه وأهله وولده وماله ولو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلاك (وكان
 الانسان) بحسب جبلته (عجولا) أي ضجرا لا يتأني الى ان يزول عنه ما يطرأ عليه فان كل أحد من
 الناس لا يخلو عن عجلة ولو تركها لكان تركها أصح في الدنيا والدين (وجعلنا الليل والنهار آيتين)
 أي علامتين دالتين على تمام علمنا وكمال قدرتنا فلما بين الله تعالى ان هذا القرآن يدل على الطريق
 الاقوم ذكر الدلائل الدالة على وحدته تعالى وهو عجائب العالم العلوي والسفلي فالقرآن نعم الدين ووجود
 الليل والنهار نعم الدنيا فلولاهما لما حصل للخلق الراحة والسكينة والقرآن مخرج من المحكم والمتشابه
 فكذلك الدهر مركب من الليل والنهار فالمحكم كالنهار والمتشابه كالليل فكأن القصور من التكليف
 لا يتم الا بذكر المحكم والمتشابه فكذلك الزمان لا يحصل الانتفاع به الا بالليل والنهار (فمحمونا آية الليل)
 وهي القمر لانه يبدو في أول الامر على صورة الهلال ثم لا يزال يتزايد نوره حتى يصير بدرا كاملا ثم يشرع
 في الانتقاص قليلا قليلا الى أن يعود الى المحاق (وجعلنا آية النهار) وهي الشمس (مبصرة) أي
 مضيئة ذات أشعة تظهر بها الاشياء المظلمة فالأضواء سبب لحصول الابصار (لتبتغوا فضلا من ربكم)
 أي لتطلبوا في الليل والنهار فضل ربكم من الرزق الحلال بالسكينة ومن الثواب الجزيل بآداء الطاعات
 واحترام المنهيات (وتعلموا) بتعاقبهما (عدد السنين والحساب) أي حساب ما دون السنين من
 الشهور والايام والساعات لا قامة مصالحكم الدينية والدنيوية (وكل شيء) تفتقرون اليه في مصالح
 دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) أي ببناء في القرآن تبينا بليغا لا شبهة فيه فظهر كون القرآن
 يهدي للتي هي أقوم ظهورا بينا (وكل انسان أزمانه طائر) أي عمله الذي قدرناه عليه من خير وشر
 (في عنقه) وذكر العنق كناية عن شدة اللزوم أي الزمان عمله كل يوم القلادة أو الغناء للصفة بحيث
 لا يفارقه عمله أبدا فان كان خيرا كان زينة له كالطوق وان كان شرا كان شيناله كالغل على رقبته وانما
 يكنى العمل بالطيران العرب اذا أرادوا الاقدام على عمل اعتبروا أحوال الطير فهل يطير متيامنا أو
 متياسرا أو صاعدا الى الجوى أو غير ذلك فيستدلون بكل واحد منها على الخير والشر والسعادة والنحوسة
 فلما كثرت ذلك منهم سمى نفس الخير والشر بالطائر تسمية للشيء باسم لازمه وقيل المراد بالطائر حقيقة
 الالهة التي كتبها الملائكة الحفظة فآذات العبد طويت تلك الحقيقة وجعلت معه في قبره حتى تخرج
 له يوم القيامة وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال يا رسول الله ما أول ما يلقي الميت اذا أدخل قبره
 قال يا ابن مسعود ما سألتني عنه أحد الا أنت فأول ما يناديه ملاك اسمه وما يجوس خلال المقابر فيقول
 يا عبد الله اكتب عملك فيقول ليس معي دواة ولا قرطاس ولا قلم فيقول كفنك قرطاسك ومدادك ريقك
 وقلمك أصبعك فيقطع له قطعة من كفه ثم يشرع العبد يكتب وان كان غير كاتب في الدنيا فيذكر حينئذ
 حسنة وسيائة كيوم واحد ثم يطوى الملك القطعة ويلقها في عنقه ثم قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وكل انسان أزمانه طائر في عنقه أي عمله فيه وقيل المراد بالطائر كتاب اجابته في القبر لتذكر وتكبر
 (وتخرج له يوم القيامة كتابا) أي مكتوبا فيه عمله (يلقاه) أي يلقي الانسان وقرأ ابن عباس يلقاه بضم
 الياء وفتح اللام والقاف المشددة أي يعطاه (منشورا) أي مفتوحا ويقال له (اقرأ كتابك) قال
 الحسن وقتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارنا وقال بكر بن عبد الله يؤتى المؤمن يوم القيامة
 بصحيفته وهو يقرؤها وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها وسيائته في جوف صحيفته وهو يقرؤها

حتى اذا ظن انها قد اوبقتة قال الله تعالى اذهب فقد غفرت لك فيما بيني وبينك فيعظم سروره
 (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أي محاسباً قال الحسن ومن عدل الله في حقك جعلك
 حسيب نفسك وقال السدي يقول الكافري يومئذ له تعالى انك قضيت انك لست بظلام لاعبيد
 فاجعني أنا حسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (من اهتدى فانما يهتدى
 لنفسه) أي من اهتدى بهداية القرآن وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهى عنه فانما
 تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى من لم يهتد فان ثواب العمل الصالح مختص بفعله (ومن ضل
 فانما يضل عليها) أي ومن ضل عن الطريقة التي يهديه اليها فانما بال ضلاله عليها الا على من لم يماثره
 (ولا ترزوا رزقاً آخرى) أي لا تحمل نفس حاملة للآثم ثم نفس أخرى بطبيعة النفس حتى يمكن
 تخاص النفس الثانية عن انهما ولكن يحمل عليها بالقصاص فلا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى فكل
 أحد مختص بذنب نفسه وهذا قطع لا طماع الكفار حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق
 فالعقاب على اسلافهم الذين قلدوهم الدين الفاسد (وما كنا معذبين) قوماً بالهلاك (حتى نبعث
 اليهم) (رسولاً) يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقم الحجة ويعهد الشرائع وأهل الفترتين
 بين نوح وادريس وبين عيسى ومحمد عليهم السلام ثلاثة عشر قسماً ستة سعداء وأربعة أشقياء وثلاثة
 تحت المشيئة فأما السعداء فقسم واحد الله تعالى بنور وجهه في قلبه كقسم بن ساعدة فإنه كان اذا سئل
 هل لهذا العالم اله قال البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام يدل على المسير وقسم واحد الله تعالى بما تجلى
 لقلبه من النور الذي لا يقدر على دفعه وقسم ألقى في نفسه واطلع من كشفه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم
 فأمن به في عالم الغيب وقسم اتبع ملة حق عن تقدمه وقسم طالع في كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى
 الله عليه وسلم فأمن به وقسم آمن بنبيه الذي أرسل اليه وأدرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به فله
 أجران وأما الاشقياء فقسم عطل بلا نظر بل بتقليد وقسم عطل بعدما أثبت بالاستقصاء نظر وقسم أشرك
 عن تقليد محض وقسم علم الحق وعانده وأما الذي تحت المشيئة فقسم عطل فلم يقرب وجود الاله عن نظر
 ناقص لضعف في طبيعته وقسم أشرك عن نظراً خطأ فيه وقسم عطل بعدما أثبت بغير نظر قوى ونقل عن
 السيوطي ان أبوى النبي صلى الله عليه وسلم لم تبلغهما الدعوة والله تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث
 رسولاً وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجياً ولا يعذب ويدخل الجنة (واذا أردنا أن نهلك قرية
 أمرنا مترفيها) أي واذا ادنا وقت تعلق ارادتنا بالهلاك قرية بعذاب الاستئصال أمرنا على لسان الرسول
 المبعوث الى أهلها رؤسائها بالاعمال الصالحات وهي الايمان والطاعة وروى رواية غير مشهورة عن نافع
 وابن عباس أمرنا مترفيها بعد الهزيمة أي كثرنا أغنياءها وفساقها وعن أبي هريرة أمرنا بتسديد الميم أي
 جعلنا جبارتها أمراء (ففسقوا فيها) أي فخرجوا عما أمرهم الله وعملوا المعاصي فيها (الحق عليها
 القول) أي فثبت عليها ما توعدناهم به على لسان رسولنا من الاهلاك (فدمرناها تدميراً) أي
 فأهلكناها اهلاك الاستئصال (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) أي وكثيراً أهلكنا من الامم
 الماضية من بعد قوم نوح فان الطريق الذي ذكرناه هو عادتنا مع الذين يفسقون من القرون الذين كانوا
 بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم وانما قال تعالى من بعد نوح لانه أول من كذب قومه وخوف تعالى بهذه
 الآية كفار مكة (وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً) فانه تعالى عالم بجميع المعلومات راجع لجميع
 المراتب وثبت انه قادر على كل الممكنات فكان قادراً على ايصال الجزاء الى كل أحد بقدر استحقاقه فانه

منزه عن الظلم وهذه بشارة عظيمة لأهل الطاعة وتخويف عظيم لأهل المعصية (من كان يريد)
بالذي يعمل (العاجلة) أى الدار العاجلة فقط (مجلته فيها) أى فى تلك الدار (مانشأ) تجهيله
من نعيمها (من زيد) تجهيل مانشأه وهذا بدل من الضمير بإعادة الجار بدل بعض من كل فلا
يجد لكل واحد جميع ما يهواه فان كثير من الكفار يعرضون عن الدين فى طلب الدنيا ثم يقولون
نحرم من الدنيا والدين (ثم جعلناه) فى الآخرة مكان ما جعلناه (جهنم) وما فيها من أنواع
العذاب (بصلاحها) أى يدخلها (مذموما) أى مهاتا بالذم (مدحورا) أى مطرودا من رحمة الله
تعالى قيل نزلت هذه الآية فى مرتدين غامة (ومن أراد الآخرة) أى أراد بعمله ثواب الآخرة
(وسعى لها) أى للدرا الآخرة (سعيها) بأن يكون العمل من باب القرب والطاعات (وهو مؤمن)
إيمانا صحيحا (فأولئك كان سعيهم) أى عملهم (مشكورا) أى مقبولا عند الله أحسن القبول
قيل نزلت هذه الآية فى بلال المؤذن (كلا) أى كل واحد من الفريقين يريد الدنيا ويريد
الآخرة (غد) أى زيد بالعطاء (هؤلاء) أى الذين يريدون الدنيا (وهؤلاء) أى الذين يريدون الآخرة
وهذان بدلان من كلا فان الله يوسع عليهم فى الرزق من الأموال والأولاد وغيرهما من أسباب العز
والزينة فى الدنيا (من عطاء ربك) أى من معطاء الواسع وهذا متعلق بنمذ (وما كان عطاء ربك) أى
معطاء فى الدنيا (مخطورا) أى ممنوعا من أحد مؤمنا كان أو كافرا لان الكل مخلوقون فى دار العمل
فأزاح تعالى العذر عن الكل وأوصل تعالى متاع الدنيا الى الكل على القدر الذى يقتضيه الصلاح (أنظر)
أيها الانسان بنظر الاعتبار (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فيما أمددناهم به من العطايا فى الدنيا
فن وضع ورقيع وظالع وضليع ومالك وعملوك وموسر وعلوك (وللاخرة أكبر درجات) من درجات
الدنيا فان درجات الآخرة باقية غير متناهية ونعم الدنيا فانية متناهية (وأكثر تفضيلا) من تفضيل
درجات الدنيا أى التفاوت فى الآخرة أكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودرجاتها ثم ذكر الله
تعالى من أنواع التكليف خمسة وعشرين نوبا بعضها أصلى وبعضها فرعى وهى تفصيل لثلاثة شروط
لأهل الثواب وهى ارادة الآخرة بالعمل وان يسعى سعيا مافقا لطلب الآخرة وأن يكون مؤمنا فقال
(لا تجعل) أيها الانسان (مع الله الهما آخر فتعبد) أى فتمكث فى الناس أو فتجهز عن سعادة الآخرة
أو فتصير (مذموما) من الملائكة والمؤمنين (مخذولا) من الله تعالى (وقضى ربك) أى أمر أمرا
جزما وقرأ على وابن عباس وعبد الله ووصى ربك (أن لا تعبدوا الاياه) فان اما مفسرة أو مخففة من
الثقله واسمها ضمير الشأن ولانهاية (وبالوالدين) أى احسنوا بهما (احسانا) عظيما كاملا فان
احسانهما اليك قد بلغ الغاية العظيمة فوجب أن يكون احسانك اليهما كذلك ومع ذلك لا تحصل المكافاة
لان انعامهما عليك كان على سبيل الابتداء وفى الامثال المشهورة ان البادى بالبر لا يكافأ (اما يبلغن
عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف) أى ان يبلغا الى حالة الضعف وهما عندك فى آخر
العمر كما كنت عندهما فى أول العمر فلا تنهبر لهما أحدهما بما تستغذر منه ولا تستثقل من مؤنه أى ولا
تقل له كلا ما رديتا ذا وجدت منه راحة تؤذيك كما انهما لا يتقدران منك حين كنت تحرا أو تقول وقرأ
حمزة والكسائى يبلغان فأحدهما بدل من ضمير التثنية وقرأ ابن كثير وابن عامر أف بفتح الفاء من غير
تنوين ونافع وحفص بكسر الفاء مع التنوين والباقون بكسر الفاء من غير تنوين (ولا تنهرا) أى
لا تغلظ لهما فى الكلام والمراد من قوله تعالى فلا تقل لهما أف المنع من اظهار الضجر بالقليل أو الكثير

ومن قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليه (وقل لهما قولوا كريما) أي
لينا حسنا بان يخاطبه بالكلام المقرون بامارات التعظيم (واخفض لهما جناح الذل) أي لين لهما
جانبك المذل والمرداف فعل التواضع لهما (من الرحمة) أي من أجل فرط عطفك عليهما وورقتك لهما
بسبب ضعفهما لا لاجل خوفك من العار (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي ادع لهما بالرحمة ولو
خمس مرات في اليوم والليله بأن تقول رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والاخرية رحمة مثل تربيتهما اياي
في صغري ويجوز أن تكون الكاف للتعليل أي لاجل تربيتهم مالي (ربكم أعلم بما في نفوسكم) من
الاخلاص وعدمه في برهما (ان تكونوا صالحين) أي صادقين في نية البر بالوالدين ان كنتم رجاءين الى
الله تعالى (فانه) تعالى (كان للوابين) أي للرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم (غفورا) فمكفر
عنهم سيئاتهم (وأت ذا القربي) أي اعط ذا القرابة من جهة الاب والام وان بعد (حقه) من صلة
الرحم بالمال أو غيره (والمسكين) أي اعط المسكين حقه من الاحسان اليه (وابن السبيل) أي اعط
الضيف النازل بلك حقه وهو اكرامه ثلاثة أيام (ولا تبذر تبذيرا) وهو انفاق المال في المعصية وفي
الفقر والسعة (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أي أتباعهم في الصرف في المعاصي (وكان
الشيطان لربه كفورا) فانه يستعمل يده في المعاصي والافساد في الارض وكذلك كل من رزقه الله
تعالى مالا أوجاهه فصرفه الى غير مرضاة الله تعالى كان كفورا لنعمة الله تعالى فكان المبذرون موافقين
للشياطين في تلك الصفة (وأما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أي ان أعرضت عن ذي
القربي والمسكين وابن السبيل حياء من التصريح بالرد لكونك كنت فقيرا في وقت طلبهم منك (فقل لهم
قولا ميسورا) أي لينا سهلا بأن تعدهم بالاعطاء عند مجي الرزق أو تقول لهم الله يسهل وروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان بعد نزول هذه الآية اذ لم يكن عنده ما يعطى وسئل يقول يرزقنا الله تعالى واياكم
من فضله اه وقوله تعالى ابتغاء رحمة من ربك ترجوها كناية عن الفقر لان فاقد المال يطلب رحمة الله
فسمى الفقر بابتغاء رحمة الله من اطلاق اسم المسبب على اسم السبب (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك)
أي لا تجعل يدك في انقباضها كالغلول المنوعة من الانبساط أي لا تمسك عن الانفاق بحيث تضيق
على نفسك وأهلك (ولا تبسطها) في الانفاق (كل البسط) أي في وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات
أي ولا تتوسع في الانفاق توسعا فرطا بحيث لا يبقى في يدك شيء (فتتعدملوما) أي فتصير ملوما عند
الله وعند أصحابك فهم يلومونك على تضيق المال بالكفاية وابقاء الاهل والولد في الضر وتبقى ملوما عند
نفسك بسبب سوء تدبيرك وترك الخزم في مهمات معاشك (محسورا) أي نادما أو منقطعاعندك
الاجباب بسبب ذهاب الأسباب (ان ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر) أي ان الله يوسع الرزق على
البعض ويضيقه على البعض الآخر وهو ربي المربوب ويدفع حاجاته على مقدار صلاح فعله العباد أن
يقتصدوا في الانفاق وان يستنوا بسنته تعالى (انه كان بعباده خيرا بصيرا) فيعلم من مصالحهم ما يخفي
عليهم ويعلم ان مصلحة كل انسان في ان لا يعطيه الا ذلك القدر فالتقار في أرزاق العباد لاجل رعاية
الصلاح لا لاجل البخل (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق) أي خشية وقوع فقر بكم فقتل الاولاد ان
كان لحوق الفقر فهو سوء ظن بالله وان كان لاجل الغيرة على البنات فهو وسعي في تجريب العالم فالاول
ضد التعظيم لامر الله تعالى والثاني ضد الشفقة على خلق الله قال بعضهم والذي حملهم على قتل الاولاد
البخل وطول الامل (نحن نرزقهم واياكم) أي نرزقهم من غير أن ينقص من رزقكم شيء فيطرأ عليكم

ما تخشونه من القعر (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) أى ذنباً عظيماً وقرأ الجمهور بكسر الحاء وسكون
الطاء وقرأ ابن عامر بفتح الحاء والطاء مع القصر بمعنى ضد الصواب وقرأ ابن كثير بفتح الحاء والطاء
مع المد (ولا تقربوا الزنا) باثنيان مقدماته (انه) أى الزنا (كان فأحشة) أى طاهرة القبح لا شتماله
على فساد الانساب وعلى التقاتل فان الانسان لا يعرف ان الولد الذى أتت به الزانية أهو منه أو من غيره فلا
يقوم بترييته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانه قطاع النسل وخراب العالم (وساء سبيلاً) لانه لا يبقى فرق
بين الانسان والبهائم في عدم اختصاص الذكران بالاناث فآله تعالى وصف الزنا في آية أخرى بصفات
ثلاثة فالذى لم يذكر هنا كونه ممتافاً للمرأة اذا عترت على الزنا يستقذرها كل طبع سليم وكل خاطر سليم
واذا اشتهرت بالزنا تفرعن مقارنتها بطباع أكثر الخلق فحينئذ لا تحصل لها الا لفظة ولا يتم الازدواج (ولا
تقتلوا النفس التى حرم الله) قتلها بالاسلام والعهد (الا بالحق) أى بسبب الحق وهو عند القصاص
فهو متعلق بلا تقتلوا (ومن قتل مظلوماً) بغیر حق يبيع القتل للقاتل (فقد جعلنا لوليهِ) من الوارث
أو السلطان عند عدم الوارث (سلطاناً) أى استيلاءً على القاتل يؤاخذ به القصاص أو بالدية (فلا
يسرف في القتل) أى فلا يسرف الولي في أمر القتل بأن يزيد على القتل المثلثة وقطع الاعضاء أو بأن
يقتل غير القاتل من أقاربه أو بأن تقتل الاثنين مكان الواحد أو بأن يقتل القاتل مع أخذ الدية وقيل
المعنى ولا يسرف القاتل الظالم والاسراف هو اقدمه على القتل بالظلم وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف
بالتاء على الخطاب أى لا تسرف في القتل أيها الولي أى اكتف باستيفاء القصاص ولا تطلب الزيادة
أو لا تسرف أيها الانسان أى لا تفعل القتل الذى هو ظلم محض فانك ان قتلت مظلوماً استولى في
القصاص منك ويعضد هذا قراءة ولا تسرفوا (انه كان منصورا) قال مجاهد ان المقتول المظلوم كان
منصورا في الدنيا بإيجاب القود على قاتله وفي الآخرة بكثرة الثواب له وبكثرة العقاب لقاتله وقال قتادة ان
ولي المقتول كان منصورا على القاتل حيث أوجب الله له القصاص أو الدية وأمر الحكماء بمعونته في
استيفاء حقه فليكتف بهذا القدر ولا يطمع في الزيادة (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) وهى
حفظه وإرباحه (حتى يبلغ أشده) أى حتى يبلغ الى حيث يمكنه بسبب رشد القيام بمصالح ماله فحينئذ
ترزول ولاية غيره عنه فان بلغ غير كامل العقل لم ترزول الولاية عنه (وأوفوا بالعهد) سواء جرى بينكم
وبين ربكم أو جرى بينكم وبين الناس (ان العهد كان مستولاً) أى مستولاً عنه فيستل الناكث
ويعاتب عليه يوم القيامة (وأوفوا الكيل) أى أتموه (اذا كلمتم) لغيركم (وزنوا بالقسطاس
المستقيم) أى بميزان العدل بحيث لا يعيل الى أحد الجانبين (ذلك) أى الوزن بالميزان المعتدل وإيفاء
الكيل والعهد (خير) في الدنيا فإنه يوجب الذكرا الجميل بين الناس (وأحسن تأويلاً) أى عاقبة
في الآخرة فإنه يخلص من العقاب الشديد (ولا تنفق ما ليس لك به علم) أى لا تكن أيها الانسان في
اتباع ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلماً لا يدري أنه يوصله الى مقصده والمراد بالعلم هو الظن
المستفاد من سند (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك) أى كل واحد من تلك الاعضاء (كان عنه
مستولاً) أى كان كل واحد منها مستولاً عن نفسه أى عما فعل به صاحبه ولا يبعد أن يخلق الله الحياة
والعقل والنطق في هذه الاعضاء ثم انه تعالى يوجه السؤال عليها في هذا دليل على أن العبد مؤاخذ
بعزمه على المعصية روى عن شكل بن حميد قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمني
تعويذاً أتعوذ به فأخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر مني

قال لحفظتها (ولا تمس في الارض مرها) أى دأشدة قرح أى لا تمس مشيا يدل على الكبرياء والعظمة
 (انك لن تحرق الارض) أى لن تنقها بشدة وطأتك (ولن تبلغ الجبال طولا) أى لن يبلغ طولك
 الجبال والمعنى قواضع ولا تتكبر فانك خلق ضعيف من خلق الله فلا يليق بك التكبر (كل ذلك) أى
 المذكور من الحصال الخمس والعشرين (كان سيئته) بضم الهمزة والهاء أى السيئ منه وهى المنهيات
 الاثني عشرة (عند ربك مكروها) أى محرما مبعوضا فاعله معاقبا عليه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
 سيئة بالتاء وبالنصب وهو خبر كان وعند ربك صفة لسيئة ومكروها خبر ثان لكان والمعنى كل ما تقدم
 من المنهيات وهى اثنتا عشرة خصلة كان سيئة أى ذنبا (ذلك عما أوحى اليك ربك) أى ذلك التكاليف
 الاربعة وعشرون نوعا بعض ما أوحى اليك ربك (من الحكمة) التى هى معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير
 لاجل العمل به وهذا خبر ثان (ولا تجعل مع الله الهاء آخر فتلقى في جهنم ملوما) يلومك نفسك وغيرها
 (مدحورا) أى مبعدا من رحمة الله تعالى (أفأصفا كم ربكم بالبنين) أى أختاركم ربكم بكم بخصمكم بالذكور
 (واتخذ) لنفسه (من الملائكة اناثا) أى ان كفار مكة اعتقدوا أن أشرف الاولاد البنون وأخسهم
 البنات ثم انهم أثبتوا البنين لأنفسهم مع علمهم بنهاية نقصهم وأثبتوا البنات لله مع علمهم بأن الله هو
 الموصوف بالكمال الذى لا نهاية له وذلك يدل على نهاية جهلهم (انكم لتقولون) بسبب ذلك الاعتقاد
 (قولا عظيما) فى الغيبة على الله حيث تجعلونه تعالى من نوع الاجسام ثم تنسبون اليه ما تنكرون من
 أخس الاولاد ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق بالانوثة التى هى أخس أوصاف الحيوان
 (ولقد صرفنا) أى كرمنا هذه الدلائل (فى هذا القرآن) أى فى مواضع منه (ليذكروا) بفتح الذال والكاف
 وتشديد هاء أى ليعرفوا بطلان ما يقولونه وقرأ حمزة والكسافى ليذكروا واسما كنهة الذال مضمومة الكاف
 أى ليفهموا ما فى القرآن أوليذكروه بالسنتهم فان الذكر باللسان قديودى الى تأثر القلب بعينه (وما
 يزيدهم) أى والحال ما يزيدهم ذلك التكرير (الانفورا) أى تباعدوا عن الايمان وهذا دليل على أن
 الله ما أراد الايمان من الكفار (قل) فى اظهار بطلان ذلك من جهة أخرى (لو كان معه) تعالى
 (آلهة كما يقولون) أى كونا موافقا لما يقولون (إذا لا بتغوا الى ذى العرش سبيلا) أى لطلبوا الى من له
 الملك سبيلا بالمغالبة كما هو دين الملوك بعضهم مع بعض وقيل المعنى لو كانت هذه الاصنام تقربكم الى
 الله زلفى كما تقولون لطلبت لانفسها المراتب العالية فلما لم تقدر على ذلك فكيف يدرك فى العقل أن تقربكم
 الى الله منزلة (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) أى تنزه الله وارتفع بصفات الكمال عن الشركاء
 والنقائص ارتفاعا عظيما (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) أى تنزه الله تعالى السموات
 السبع والارض عن كل نقص بدلالة أحوالها على توحيد الله تعالى وقدرته ولطيف حكمته فكأنها
 تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح وتسبح العقلاء بلسان المقال وقرأ ابن كثير كما يقولون وعما يقولون
 ويسبح بالياء فى هذه الثلاثة وقرأ حمزة والكسافى كلها بالتاء وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم فى
 الاول بالتاء على الخطاب وفى الثانى والثالث بالياء وقرأ حفص عن عاصم الاولين بالياء على الحكاية
 والآخر بالتاء وقرأ أبو عمرو والاول والآخر بالتاء والاول بالياء (وان من شئ الا يسبح بحمده) أى
 ما من شئ من الاشياء حيوانا كان أو نباتا أو جمادا الا ينزهه تعالى متلبسا بحمده بلسان الحال عما
 لا يليق بداته تعالى من لوازم الامكان فلا كوان باسمها شاهد بتلك النزاهة (ولكن لا تفقهون) أيها
 المشركون (تسبيحهم) فان الكفار وان كانوا مقربين بالسنتهم باثبات اله العالم لم يتفكروا فى أنواع

اللائل ولم يعلموا كمال قدرته تعالى فاستبعدوا كونه تعالى قادرا على النشر والحشر فهم قائلون عن أكثر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد لانهم أثبتوا لله شركاء وزوجا ولد اقرى لا يفتنون على صيغة المبني للمفعول مع فتح الفاء وتشديد القاف (انه كان حليما) ولذلك لم يعاجلهم بالعقوبة مع غفلتهم وسوء نظرهم وجهلهم ولا كان (غفورا) لمن تاب منهم (واذا قرأت القرآن) بمكة (جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي المنكرين للبعث (حجابا مستورا) روى ابن عباس ان أباسفيان والنضر بن الحرث وأباجهل وغيرهم كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون الى حديثه فقال النضر يوما ما أدري ما يقول محمد غير اني أرى شقته تتحرك بشئ وقال أبوسفيان اني لا أرى بعض ما يقوله حقا وقال أبوجهل هو مجنون وقال أبولهب هو كاهن وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر ففترت هذه الآية والله تعالى خلق حجابا في عيونهم يمنعهم عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وعن ادراك ما عليه من النبوة وعن فهم قدره الجليل وذلك الجعاب شئ لا يراه أحد فكان مستورا من هذا الوجه (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي موانع من (أن يفقهوه) أي يفهموا القرآن حق الفهم (وفي آذانهم وقرا) أي صمما مانعا من سماعه الملائق به أي كان بعضهم يحجب بصره عن رؤية النبي اذا أراد به كبره وهو يقرأ القرآن وبعضهم يحجب قلبه عن ادراك القرآن ويحجب سمعه عن سماعه (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) أي غير مقررون بألهتهم في الألوهية وهذا منصوب على الحال من ربك أو على الظرف (ولوا على أديبارهم نفورا) أي متباعدين عن قولك أي كان الكفار عند سماع القرآن على حالتين فاذا سمعوا من القرآن ما ليس فيه ذكر الله بقوا متحيرين لا يفهمون منه شيئا واذ سمعوا آية فيها ذكر الله تعالى وذكروا الشرك بالله تركوا ذلك المجلس ولا يستطيعون سماع القرآن (فمن أعلم بما يستمعون) الى قراءة القرآن (به) أي بسببه من الهز والتكذيب (اذ يستمعون اليك) أي الى قراءتك روى أنه صلى الله عليه وسلم كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه رجلا ن وعنه يساره رجلا ن من ولد قصي أو من بني عبد الدار فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار (واذهبم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) أي ومن أعلم بما يتناجون به فيما بينهم اذهبم ذر ونجوى اذ يقول المشركون بعضهم لبعض انكم ان اتبعتم محمدا فقد اتبعتم رجلا زال عقله عن حد الاعتدال روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليا أن يتخذ طعاما ويدعوا اليه أشرف قريش من المشركين ففعل على ذلك ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى التوحيد وقال قولوا لا اله الا الله حتى تطيعكم العرب وتنقاد لكم ألهم فأبوا عليه ذلك وكانوا عند استماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم القرآن والدعوة الى الله تعالى يقولون بينهم متناجين هو ساحر وهو مسحور وما أشبه ذلك من القول فاخبر الله تعالى بأنهم يقولون ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع الا رجلا اتخذوه من قبل الشيطان فانه يتخيل له فيظن أنه ملك ومن جهة الناس فان محمدا يعلم من بعض الناس هذه الكلمات وأولئك يخدعون به هذه الحكايات (أنظر) يا أشرف الرسل (كيف ضربوا لك الامثال) فكل أحد شبهك بشئ آخر فقالوا انه كاهن وساحر وشاعر وعلم ومجنون (فضلوا) في جميع ذلك القول عن طريق الحق (فلا يستطيعون سبيلا) الى طعن يمكن أن يقبله أحد فيأتون بما لا يرتاب في بطلانه أحد (وقالوا انذا كننا) أي صرنا (عظاما) بالية (ورفاتا) أي ترابا رميما (اثنا لمبعوثون خلقا جديدا) أي مخلوقين تجدد الروح فينا بعد الموت (قل) لهم يا أكرم الرسل (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا) آخر (عما يكبر في صدوركم) والمعنى لو تكونون حجارة مع

أنها لا تقبل الحياة بجمال أو حديد مع أنه أصلب من الحجارة أو خلقا غيرهما كائننا من الأشياء التي تعظم في اعتقادكم عن قبول الحياة كالسحوات والارض فلا بد من ايجاد الحياة فيكم فان قدرته تعالى لا تعجز عن احياءكم لا شراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما ممزقة وقد كانت طريقة موصوفة بالحياة من قبل والشيء أقبل لما اعتيد فيه عالم يعتد (فسيقولون) تماديا في الاستهزاء (من يعيدنا) أي من الذي يقدر على إعادة الحياة اليها اذا صرنا كذلك (قل الذي فطركم أول مرة) أي قل ارشاد الله الى طريقة الاستدلال فالذي ابتدأ خلقكم أول مرة من غير مثال يعيدكم الى الحياة بالقدره التي ابتدأكم بها فكم لم تعجز تلك عن البداءة لا تعجز عن الاعادة (فسينفضون اليك رؤسهم) أي فسيحركونها جهتك تهيبا وتكذيبا لقولك (ويقولون) استهزاء (متى هو) أي الذي وعدتنا من الاعادة (قل عسى أن يكون) ذلك (قريبا) اذ كل آت قريب (يوم يدعوكم) على لسان اسرافيل بالنداء الذي يسمعكم من القبور وهو النفخة الاخيرة فان اسرافيل ينادي أيتها الاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودي كما كنت بقدره الله تعالى وبأذنه (فتستحيون بحمده) قال سعيد بن جبير أي فيخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك قال المفسرون حمدوا حين لا ينفعهم الحمد وقال الزمخشري بحمده حال منهم أي حامدين وهذا مباالغة في انقيادهم للبعث (وتظنون) عندما ترون الاهوال الهائلة (ان لبعثكم) أي ما كنتم في القبور وأوفي الدنيا (الا قليلا) كالذي مر على قرية (وقل لعبادي) أي المؤمنين اذا أردتم اتيان الحجة على المخالفين فاذكروها غير مخلوط بالشتم والسب فيقالونهم بعثله ولا يخاشنوه بل (يقولوا) لهم الكلمة (التي هي أحسن) كأن يقولوا يهديكم الله وقيل نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله تعالى بالعفو (ان الشيطان ينزغ بينهم) أي يجمع الشر بين الناس ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المحاصمة (ان الشيطان كان) في قديم الزمان (للانسان عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة (ربكم أعلم بكم) أي بعاقبة أمركم (ان يشأ ربكم) بأن يوفقكم للايمان والمعرفة الى ان تموتوا فينجيكم من العذاب (أو ان يشأ يعذبكم) بأن يعيتكم على الكفر فيعذبكم الا ان تلك المشيئة ثابتة عنكم فاجتهدوا أنتم في طلب الدين الحق ولا تصروا على الباطل لئلا تنصروا محرومين عن السعادات الابدية ويقال هذه تفسير للتي هي أحسن أي قولوا اللهم هذه الكلمة ولا تقولوا أيها المؤمنون للمشركين انكم من أهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان عاقبة أمرهم مغيبة عنكم فعسى يهديهم الله الى الايمان ويقال ان يشأ ينجيكم منهم وان يشأ يسلطهم عليكم (وما أرسلا اليك عليهم وكيلا) أي موكولا اليك أمرهم فتقسرهم على الايمان واغما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومرا أحبابك بالمدارة عليهم فان الذين عند الدعوة يؤثر في القلب ويفيد حصول المقصود (وربك أعلم بمن في السحوات والارض) أي بأحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء من يستحق ذلك وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد أن يكون يتيم أي طالب نبيلا ولا يجوز اطلاق يتيم على النبي صلى الله عليه وسلم لاشعاره بالتحقير حتى أفتى بعض المالكية بقتل قائله كفا في الشفاء (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية لا بكثرة الاموال والاتباع وهذا اشارة الى تفضيل رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (وآتيناد اودز بورا) فيه ذكر فضل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكونه خاتم النبيين وأمه خير الامم وكون الارض يرثها عباد الله الصالحون وهم محمد وآمه وهذا بيان أن تفضيل داود بإتياء الزبور لا يأتاه الملائكة والسلطنة ورد لقول اليهود لا نبي بعد موسى

ولا كتاب بعد التوراة أى فاذا أعطى الله تعالى التوراة فلم يبعد ان يعطى داود زبوراً وعيسى الانجيل
 ومحمد القرآن ولم يبعد أن يفضل محمد على جميع الخلق فكيف تنكر اليه يهود ذلك وكفار قريش فضل محمد
 واعطاه القرآن (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) أى قل يا أشرف الخلق للكفار ادعوا عند الشدة
 الذين عبدتم من دون الله كعيسى ومريم وعزير وطائفة من الملائكة وطائفة من الجن (فلا يملكون)
 أى لا يستطيعون (كشف الضر عنكم) أى رفع الشدة عنكم (ولا تحويلاً) للضرالى
 غيركم (أولئك الذين يدعون) أى الذين يتألهونهم (يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) أى
 يحرس من هو أقرب الى ربهم القربة بالطاعة اليه فأولئك مبتدا وخبره يبتغون والذين عطف
 بيان والوسيلة مفعول ليبتغون والى ربهم متعلق بالوسيلة وأى موصولة بدل من فاعل يبتغون
 وقيل ان اسم الموصول خبر لاسم الإشارة ويبتغون حال من فاعل يدعون والمعنى أولئك المعبودون
 لهم يعبدون ربهم يطلبون بتلك العبادة القربة الى ربهم والفضيلة عنده وهم أقرب اليه (ويرجون
 رحمته) بها (ويخافون عذابه) بتركها كدأب سائر العباد فإنهم من كشف الضر فكيف يكونون
 آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) أى يجب الحذر عنه (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم
 القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً) أى وما من قرية طائفة أهلها أو طائفة الاوتهاك اما بالموت واما بالعذاب
 فالصالحه يكون اهلاً كهابالموت والطالحه يكون اهلاً كهابالعذاب بنحو السيف أو المعنى ما من
 قرية من قرى الكفار الا وتخرب اما بالاستئصال بالكلية أو تعذب بعذاب شديد دون ذلك كقتل
 كبارهم وتسليط المسلمين عليهم بالسبي واغتنام الاموال واخذ الجزية وبغنون العقوبات الاخرية
 (كان ذلك) أى الاهلاك والتعذيب (فى الكتاب) أى اللوح المحفوظ (مسطورا) أى مكتوباً وقد
 بين فيه أسباب ذلك ووقته وروى عن بعضهم ان خراب مكة من الحبشة وخراب المدينة بالجوع
 والبصرة بالفرق والكوفة بالترك وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وعن أبى هريرة ان النبي
 صلى الله عليه وسلم قال آخر قرية من قرى الاسلام خراباً بالمدينة (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب
 بها الاولون) أى ما منعنا من ارسال المجهزات التى طلبتها قريش من احياء الموتى وقلب الصخر فاذهبها
 وازالة الجبال عن مكة ليزرعوا مكانها الاتكذيب الاولين بالمجهزات حين جاءتهم باقتراحهم فيستحقوا
 عذاب الاستئصال أى لو أظهر الله تلك المجهزات المقترحة لقريش ثم لم يؤمنوا بها صاروا مستحقين
 لعذاب الاستئصال لكن انزاله على هذه الامة غير جائز لان الله تعالى علم ان فيهم من آمن أو يؤمن
 أولادهم فلهذه المصلحة ما أجابهم الله تعالى الى مطلوبهم (وأتينا نوحاً) باقتراحهم (الناقة مبصرة)
 بكسر الصاد أى مبينة لنبوة صالح (فظلوا بها) أى ظلموا أنفسهم بتكذيبهم بها وأقبلوا أنفسهم
 للهلاك بعقرها (وما نرسل بالآيات) المقترحة (الاتخوفاً) من نزول العذاب المستأصل على
 المقترحين فان لم يخافوا ذلك نزل أو ما نرسل بغير مقترحة كالمجهزات وآيات القرآن الاتخوفاً بعذاب
 الآخرة فان أمر المكذبين بها مؤخر الى يوم القيامة (واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) أى واذا كثر
 يا أشرف الخلق اذ بشرناك بأن الله يغلب أهل مكة ويقهرهم ويظهر دولته عليهم وهذه بشارة بوقعة بدر
 وعبر الله بالماضى لان كل ما أخبر الله بوقوعه فهو واجب الوقوع فكان كالواقع (وما جعلنا الرؤيا التى
 أريناك) ليلة المعراج وهى ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم على اليقظة بعينى رأسه من عجائب الارض
 والسماء (الا فتنة للناس) أى الامتحان لاهل مكة لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة

الاسراء فثم من كذبه و منهم من كفر بعد اسلامه و منهم من نافق و منهم من توقف في حاله و منهم من تردد في قلبه و منهم من صدق كلامه صلى الله عليه وسلم و ازداد المخلصون ايماناً (والشجرة الملعونة) أى المذمومة (في القرآن) وهى الزقوم أى وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس حيث قالوا ان محمد ابن عم ان نار جهنم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر فكيف تنبت في النار شجرة رطبة وهى تحرق الشجر فينسبوا لله الهز عن خلق شجرة في النار خافلين عن قدرته تعالى على كل شئ و ان النعمة تنبتل الجمر والحديد المحمى بالنار ولا يحرقها وان السهندل وهى دويبة في بلاد الترك يتخذ من وبره مناديل فاذا اتسخت طرحت في النار فيذهب و سحها وتبقى هى سالمة لا تعمل فيها النار (وتخوفهم) بشجرة الزقوم و بعذاب الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) ذلك التخويف (الاطغيا ناكبرا) أى الاتعاديان في المعصية متجاوزان عن الحد فلوانا أرسلنا نبياً اقترحوه من الآيات لازدادوا تعاديان في العناد فاهلكوا بعذاب الاستمصال كعادة من قبلهم وقد حكنا بآياتنا خير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى (واذ قلنا لللائكة) الذين كانوا في الارض (اسجدوا لآدم) بوضع الجبهة عليه اما هو المسجود له أو هو قبلة للسجود والمسجود له هو الله تعالى (فسجدوا الا ابليس) وكان داخل تحت الامر بالسجود لانه مندرج تحت امرهم (قال) عندما ويخذه الله تعالى (أأأمجد لمن خلقت طيناً) أى من طين (قال) أى ابليس بعد الاستنظار (أرأيتك هذا الذى كرمت على) أى أخبرني عن هذا الذى فضلت على بأمرى بالسجود له لم فضلت على وانا خير منه من حيث أنا مخلوق من العنصر العالى (لئن أخرت) حيا (الى يوم القيامة لا احتسكن ذريته) أى لاستأصلنهم بالاغواء أو لا قودنهم -م الى المعاصى كما تقاد الدابة بجعلها (الاقليلا) لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم -م قرأ ابن كثير أخرت بانبثاق المتكلم في الوصل والوقف وقرأ عاصم وابن عامر وحزرة والكسافى بال حذف وقرأ نافع وأبو عمرو بانبثاقه في الوصل دون الوقف (قال) تعالى له (اذهب) أى امض لشأنك الذى اخترته واعلم (فمن تبعك منهم) أى ذرية آدم في دينك (فان جهنم جزاؤكم) أى جزاؤك ومن تبعك (جزاؤه موفورا) أى مكافئ لكل معصية توجد يحصل لابليس مثل وزر ذلك العامل لانه هو الاصل فيها فاذلك يخاطب بالوعيد (واستغفر) أى استرل (من استطعت منهم) استرل له (بصوتك) أى بدعائك الى معصية الله تعالى (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) أى واجمع عليهم وهو ياجنودك الى كلب والمشاة فروى أبو الضحى عن ابن عباس انه قال كل راكب أو ماشى في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وجنوده وقرأ حفص عن عاصم ورجلك بكسر الجيم وقرأ غيره بالضم أو بالسكون (وشاركهم في الاموال) أى في كل تصرف يبيع فيها (والاولاد) أى في الافعال القبيحة والحرق الذميمة والاديان الزائفة والاسماء المنكرة (وعدهم) أى بالامانى الباطلة (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) أى ما يعدهم من الامانى الكاذبة الا لاجل الغرور وهذه الجملة اعتراض واقع بين الجمل التى خاطب الله بها الشيطان (ان عبادى) المخلصين (ليس لك عليهم سلطان) أى غلبة وقدرة على اغوائهم (وكفى بربك وكيلًا) أى حفيظا فان الشيطان وان كان قادرا على الوسوسة فان الله أرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان (ربكم الذى يرزقكم الفلك في البحر) أى الذى يسوق لمتاعكم السفن على وجه البحر (لتبتغوا من فضله) أى رزقه تعالى بالتجارة وغيرها (انه كان بكم رحيمًا) حيث سهل عليكم ما يعسر من أسباب ما تحتاجون اليه (واذا مسكم الضر) أى خوف الغرق (في البحر ضل من تدعون) أى ذهب عن خواطركم ما كنتم

تعبدون من دون الله (الآيات) تعالى فتسألون من الله تعالى النجاة لأنكم تعلمون أنه لا ينجيكم سواه
(فلما نجاكم) من الغرق وأخرجكم من البحر (إلى البر أعرضتم) عن الشكر والتوحيد ورجعتم
إلى الإشرار (وكان الإنسان كفورا) أي منكر النعم الله (أفأمنتم أن يخسف بكم) أي أن يمجوكم من هول
البحر فأمنتم أن تغور البر بكم (جانب البر) الذي أنتم فيه ونصيركم تحت الثرى كما خسف بقارون
(أو يرسل عليكم) من فوقكم (حاصبا) أي ريحاً ترمي حجارة كما أرسل على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم
وكيلاً) أي حافظاً يحفظكم من ذلك (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) أي في البحر (تارة أخرى) بأسباب
تجسكم إلى أن تركبوه وان كرهتم (غيرسل عليكم قاصفا) أي كاسراً (من الريح فيغرقكم) بعد كسر
فلككم في البحر (بما كفرتم) أي بسبب أشراككم وكفرانكم لنعمة الانجاء (ثم لا تجدوا لكم علينا به
تبيعا) أي أثراً يظايرنا بما فعلنا بكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهذه الخمسة أن تخسف أو ترسل أن
نعيدكم فترسل فترققكم بنون العظمة على سبيل الالتفات والباقون بيا الغيبة (واقدمنا بني آدم)
بالصورة والقامة المعتدة والتسلط على ما في الأرض والتمتع به والتمكن من الصناعات والعلم والنطق
وتناول الطعام بأيديهم غير ذلك (وحملناهم في البر) على الدواب وغيرها (والبحر) على السفن
(ورزقناهم من الطيبات) أي من أنواع المستلذات الحيوانية كاللحم والأسمن واللبن والنباتية كالثمار
والحبوب (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) أي فضلناهم على غير الملائكة تفضيلاً عظيماً
بالعقل والقوى المدركة التي يميز بها الحق من الباطل والحسن من القبيح فحق عليهم أن يشكروا هذه
النعم ويسبغوا قواهم في تحصيل العتاة الحقنة (يوم ندعو كل أناس بأمامهم) أي بمن
اقتدوا به روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ينادى يوم القيامة يا أمة إبراهيم يا أمة موسى يا أمة
عيسى يا أمة محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم ينادى يا أتباع
فرعون يا أتباع غرود يا أتباع غود وقال الضحاك وابن زيد أي بكتبهم الذي أنزل عليهم فينادى في
القيامة يا أهل القرآن يا أهل التوراة يا أهل الإنجيل وقال الربيع وأبو العالية والحسن أي بكتاب
أعمالهم كأن يقال يا أصحاب كتاب الخير يا أصحاب كتاب الشر وقيل بآدابهم فيقال يا حنفي يا شافعي
يا معتزلي يا قدرى ونحو ذلك وقرئ يدهي كل أناس على البناء للمفعول (ثم أوتى كتابه بيمينه) وهم أولوا
البصائر في الدنيا (فأولئك يقرؤون كتابهم) الذي أعطوه تبعاً بما سطر فيه من الحسنات (ولا
يظلمون) أي لا ينةصون من أجور أعمالهم المكتوبة في كتبهم (فتيلاً) أي قدر فتيل وهو القشرة
التي في شق النواة (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) أي من كان في الدنيا أعمى مما يرى
من قدرة الله في خلق السهوات والأرض والبحار والجبال والناس والدواب وعن الشكر عن النعم
الذكورة في الآيات المتقدمة فهو في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة ويستولى الخوف والدهشة على
قلبه فيثقل لسانه عن قراءة كتابه (وأضل سبيلاً) من الأعمى لتعطل الآلات بالكلية (وان كادوا
ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) أي إن الشأن قاربوا أن يزلوك عن حكم القرآن (لتفتري علينا
غيره) أي لتكذب علينا غير الذي أوحينا إليك (واذا اتخذواك خليلاً) أي لو اتبعت أهواءهم
لكنيت ولياً لهم ولخرجت من ولايتي قال ابن عباس في رواية عطاء قدم وفد تقيف على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسألوه شططا وقالوا متعبا باللات سنة وحرم وادينا كما حرم مكة شجرها وطيرها ووحشها
فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولم يجبهم فكرر وأذلك الالتماس وقالوا انما نحب أن تعرف العرب

فضلنا عليهم فان كرهت ما تقول وخشيت ان تقول العرب اعطيتهم ما لم تعطينا فقل الله امرني بذلك
فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ودخلهم الطمع فصاح عليهم عمر وقال أما ترون رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد أمسك عن الكلام كراهية لما قد كرهه فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولولا أن
ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) أي لولا تثبتنا إليك على الحق بعصمتنا إياك لقاربت أن تميل
اليهم شيئا يسيرا فيمأطلبوك (إذا) لو قاربت الميل من قلبك (لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات)
أي لصار عذابك مثلي عذاب المشرك في الدنيا ومثلي عذابي في الآخرة (ثم) إذا أذقناك العذاب
المضاعف (لا تجدك علينا نصيرا) أي أحدا يخلصك من عذابنا (وان كادوا ليستفزونك) أي
ليستفزونك (من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافا لك الا قليلا) أي وإذا ألوا أخرجوك لا
يلبثون بعد انخراجه لك الا زمانا قليلا حتى نهلكهم قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر
إلى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فقالوا يا أبا القاسم ان الانبياء اغتابعوا بالشام وهي بلاد
مقدسة وكانت مسكن ابراهيم فلو خرجت إلى الشام آمنابك وأتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج
الاخوف الروم فان كنت رسول الله فأنه مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من
المدينة حتى يجتمع اليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج إلى الشام لحرصه على دخول الناس في دين
الله فنزلت هذه الآية فرجع ثم قتل منهم بنى قريظة وأجلى بنى النضير بعد زمن قليل وعلى هذا فالآية
مدنية والمراد بالأرض أرض المدينة وهذا قول الكلبي وقال قتادة ومجاهد هم المشركون ان يخرجوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكفهم الله تعالى عنه حتى أمره بالهجرة فخرج بنفسه فأهلكوا بدير بعد
هجرة صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالآية مكية والمراد بالأرض أرض مكة وهذا اختيار الزجاج وقرأنا نافع
وابن كثير وأبو عمرو وشعبة خلفك بفتح الحاء وسكون اللام والماقون خلافا لك بكسر الحاء وفتح اللام مع
المد (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أي ستناستته فيمن قد أرسلنا قبلك أي ان عادة الله - يهلك
كل قوم آخر جوانيهم من بينهم (ولا تجد لستتنا تحويلا) أي تغييرا أي أن ما أجرى الله تعالى به العادة
لا يقدر أحدا أن يبدل تلك العادة (أقم الصلاة لدلوك الشمس) أي لأجل زوال الشمس عن كبد السماء
(إلى غسق الليل) أي إلى اجتماع ظلمة الليل وهو وقت صلاة العشاء والمعنى أقم الصلاة من وقت زوال
الشمس إلى ظلمة الليل بأن تدوم كل صلاة في وقتها فيدخل في هذا الظهر والعصر والمغرب (وقرآن
الفجر) أي أقم صلاة الفجر (ان قرآن الفجر كان مشهودا) تحضره الملائكة الكاتبون والحفظة فانهم
يتعاقبون على ابن آدم في صلاة الصبح وصلاة العصر وتشهده شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء وتبدل
النوم بالانتباه فتشهد العقول بأنه لا يقدر على قلب كلية هذا العالم الا الخالق المدبر بالحكمة البالغة
وتشهد الجماعة الكثيرة (ومن الليل فتهجد به) أي وقم بعض الليل فاترك النوم في ذلك الوقت للصلاة
وقيل المعنى تهجد بالقرآن بعض الليل أي صل في ذلك بالقرآن (نافلة لك) أي زيادة لك في كثرة الثواب
وارتفاع الدرجات مختصة بك فان كل طاعة يأتي بها النبي صلى الله عليه وسلم سوى المكتوبة لا يكون
تأثيرها في كفارة الذنوب البتة لان الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر بل يكون تأثيرها في زيادة
الدرجات وكثرة الثواب فلهذا سميت نافلة بخلاف الأمة فان لهم ذنوبا محتاجة إلى الكفارات فهذه
الطاعات لهم لتكفير الذنوب فلهذا السبب قال تعالى نافلة لك أي ان الطاعات هذه زائدة في حقك لا في
غيرك كما نقل عن مجاهد والسدي ومن قال ان صلاة الليل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا

معنى نافذة لك ان صلاة الليل فريضة عليك زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك دون أمتك (عسى أن
يعتلك ربك مقام محمودا) أي ان يقيم لك ربك مقام محمودا عندك وعند جميع الناس وروى أبو
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمي (وقل رب
أدخلني مدخل صدق) أي في المدينة (وأخرجني مخرج صدق) أي من مكة اليها وذلك حين أمر
النبي بالهجرة كما قاله ابن عباس والحسن أو المعنى وأخرجني من المدينة الى مكة فالبا عليها بفمها وقيل
الاكمل مما سبق أن يقال رب أدخلني في الصلاة وأخرجني منها مع الصدق والاخلاص وحضور قلبي
بكرك ومع القيام بلوازم شكرك والاكمل من ذلك أن يقال رب أدخلني في القيام بعهمات أداها شريعتك
وأخرجني بعد الفراغ منها اخرج اياي بقي على منها تبعة والا على مما سبق أن يقال رب أدخلني في بحار دلائل
توحيدك وتنزيهك ثم أخرجني من الاشتغال بالدليل الى ضياء معرفة المدلول ومن التأمل في آثار حدوث
المحدثات الى الاستغراق في معرفة الفرد المنزه عن التغيرات وقيل المعنى رب أدخلني القبر اذ خال امرضيا
وأخرجني منه عند البعث اخرج امرضيا ملقى بالكرامة (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) أي
اجعل لي في هذا البلد من لدنك قوة ظاهرة في تثبيت دينك واطهار شرعك أو اجعل لي من عندك حجة بينة
تنصرف بها على جميع من يخالفني (وقل جاء الحق) أي ظهر الاسلام (وزهق الباطل) أي هلك
الشرك وتسويلا للشيطان (ان الباطل) أي أي باطل كان (كان) بجملته (زهوقا) زائلا
على أسرع الوجوه (ونزل من القرآن ما هو شفاء) من جميع الامراض الظاهرة والباطنة (وراحة
للمؤمنين) لان القرآن يعلم كيفية اكتساب العلوم العالية والاخلاق الفاضلة التي يصل بها الانسان الى
قرب رب العالمين (ولا يزيد الظالمين الا خسارا) أي لا يزيد القرآن المشركين الا هلاكا بتكذيبهم
(واذا أنعمنا على الانسان) بأن وصل الى مطلوبه (أعرض) أي اغتر وصار فاعلا عن طاعة الله
(ونأى بجانبه) أي تباعد من أهل الحق ولم يقتد بهم تعظما لنفسه كديدن المستكبرين (واذا مسه
الشر) أي أصابه بلاء (كان يؤسا) أي قنوطا من رحمة الله حزينا ولم يتفرغ لذكر الله تعالى (قل
كل) أي كل أحد (يعمل) عمله (على شاكلته) أي طريقته التي توافق حاله في الهدى والضلالة
فان كانت نفسه ظاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وان كانت نفسه خبيثة صدرت عنه أفعال رديئة (فربكم
أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أي أصوب طريقا (ويسألونك عن الروح) الذي هو سبب حياة البدن بنفخه
فيه (قل الروح من أمر ربي) أي من فعل ربي أو من علم ربي فانه عما اختص الله تعالى بعلمه روى ان
اليهود قالوا اقرئ سلسلوا محمدا عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان أجاب عنها جميعا
أو سكت فليس بنبي وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين صلى الله عليه وسلم لهم القصتين
وأبهم شأن الروح وهو مبهم في التوراة (وما أوتيت من العلم الا قليلا) فان عقول الخلق عاجزة عن معرفة
حقيقة الروح وقال بعضهم جاء في الخبر في بعض الروايات ان الله تعالى خلق ثلاثمائة وستين ألف
عالم ولكنه جعلها محصورة في عالمين وهما الخلق والامر كما قال تعالى أله الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين فعبر عن عالم الدنيا وهو ما يدرك بالحواس الخمس الظاهرة السمع والبصر والشم والذوق واللمس
بالخلق وعبر عن عالم الآخرة وهو ما يدرك بالحواس الخمس الباطنة العقل والقلب والسر والروح والخي
بالامر فعالم الامر هو الاوليات التي خلقها الله تعالى للبقاء بمحض الامر التكويني من غير تحصيل من
أصل وهي الروح والعقل والقلم والالواح والعرش والكرسي والجنة والنار وهي عالم الامر أمر الله

أوجده بلا واسطة شيء بل بأمر كن من لا شيء ولما كان أمره تعالى قديما فما يكون بالامر القديم
كان باقيا وان كان حادثا ومسمى عالم الخلق خلقا لانه تعالى أوجده بوسائط شيء مخلوق خلقه الغناء فعنى
الروح من أمر ربي انه من عالم الامر والبقاء لا من عالم الخلق والغناء اه فلا يمكن تعريف الروح بعباده
ولا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما الممكن هذا القدر الاجمالي ولذا قال تعالى وما أوتيتم من العلم
الا قليلا أى وما أعطيتم من العلم فيما عند الله الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس (ولئن شئنا
لنذهبن بالذى أوحينا اليك) من القرآن أى التزيل العلم به عن القلوب وعن المصاحف (ثم لا تعبدك
به) أى القرآن (علينا أو كيلا) أى من تتوكل عليه فى استرداد شيء منه محفوظا مسطورا (الارحمة
من ربك) أى لىكن أبقيناها الى قرب قيام الساعة رحمة من ربك فعند ذلك يرفع من الصدور والمصاحف
(ان فضله كان عليك كبيرا) بابقاء العلم والقرآن عليك وبجعلك سيد ولد آدم وخاتم النبيين واعطائك
المقام المجدود (قل) لمن يزعمون أن القرآن من كلام البشر (لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا
بعثل هذا القرآن لا يأتون بعثله) أى لئن اتفق الانس والجن والملائكة على أن يأتوا بعثله هذا القرآن فى
البلاغة وخسن النظم وكمال المعنى لا يقدر ورون على اتيان مثله وتخصيص الثقلين بالذكور لان المنكر فى
كونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما الا لان غيرهما قادر على المعارضة (ولو كان بعضهم لبعض
ظهير) أى معيننا بضم أقوى ما فيه أى أقوى ما فى صاحبه (ولقد صرفنا) أى كررنا بوجوه مختلفة
توجب زيادة بيان (للناس) أى لاهل مكة (فى هذا القرآن) المنعوت بالنعوت الغاضلة (من كل
مثل) أى من كل معنى يبيع يشبه المثل فى العزابة ليلتلقوه بالقبول (فأبى أكثر الناس) أى فلم يرض
أكثر أهل مكة (الا كفورا) أى بجهودا للحق (وقالوا) عند ظهور عجزهم بالقرآن وغيره من
المهيزات الباهرة (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض) أى أرض مكة (ينبوتا) أى عينا لا ينضب
ماؤها (أو تكون لك) وحدك (جنة) أى بستان تستراشجاره ماتحتها من العرصة (من نخيل وعنب)
أى وأشجار عنب وعبر بالثمرة لان الارتفاع بغيرها من الكرم قليل (فتفجر) أى أنت (الانهار
خلالها) أى وسطها (تفجيرا) والمراد اجراء الانهار فى وسط البستان عند سقيها أو ادامة اجرائها
وتفجر الاولى تكون بفتح التاء وسكون القاء وضم الجيم عند عاصم وحزمة والكسافى وبضم التاء وفتح القاء
وكسر الجيم المشددة عند الباقيين ولم تختلف السبعة فى تفجير الثانية انها مشددة (أو تسقط السماء كما
زحمت) بقولك ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (علينا كسفا) أى قطعا
بالعذاب (أو نأتى بالله والملائكة قبيلا) أى مقابلين ومرثيين لنا (أو يكون لك بيت من زخرف) أى
ذهب وفضة كامل الحسن (أو ترقى فى السماء) أى تصعد اليها (ولن نؤمن لرقبك) أى لصعودك
الى السماء أصلا (حتى تنزل علينا كتابا) من الله (نقرؤه) فيه أنك رسول الله البنا أى لما ظهر لهم كونه
القرآن مبعثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أنواع من المهيزات كما حكى عن ابن عباس أن
رؤساء أهل مكة أرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس عند الكعبة فأتاهم فقالوا يا محمد ان
أرض مكة ضيقة فسير جبالها لنتنفع فيها ونحرق فيها عيوننا نزرع فيها فقال لا أقدر عليه فقال قائل منهم
أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها فتفجر افعال لا أقدر عليه فقيل أو يكون لك بيت من
زخرف فيغنيك عنا فقال لا أقدر عليه فقيل له أما تستطيع أن تأتى قومك بما يسألونك فقال لا أستطيع
قالوا فإذا كنت لا تستطيع الخير فاستطع الشر فاستطع الشر فاستطع السماء كما زحمت علينا كسفا فقال عبد الله بن

أمية المخزومي وهو ابن طائفة هتة صلى الله عليه وسلم لا أو من بك أبدأ حتى تشد شملنا إلى السماء فتصعد فيه ونحن ننظر اليك فتأتى بقسمة منشورة معك بأربعة من الملائكة يشهدون لك بالرسالة ثم بعد ذلك لا أدري أتؤمن بك أم لا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل) وقرأ ابن كثير وابن عامر قال بصيغة الماضي (سبحان ربى) أى أتزربى عن أن يكون له اتیان وذهاب وأتعجب من اقتراحاتهم (هل كنت إلا بشر رسولاً) أى مأمورا من قبل ربى بتبليغ الرسالة كسائر الرسل لا يأتون قومهم إلا بما ينظرونه الله عليهم من الآيات (وما منع الناس) أى أهل مكة (أن يؤمنوا) بنبيوتك (اذ جاءهم الهدى) أى القرآن (الأن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) إلينا أى وما منع الناس من الايمان وقت مجئ الوحي الا اعتقادهم ان الله تعالى لو أرسل رسولا إلى الخلق لوجب أن يكون من الملائكة وأنكارهم أن يكون من جنس البشر (قل) لهم من جهتنا جوابا لقولهم (لو كان فى الأرض ملائكة يمشون) عليها (مطمئنين) أى قارين فيها من غير أن يعرجوا فى السماء (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أى لو كان أهل الأرض ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة أما لو كان أهل الأرض من البشر لوجب أن يكون رسولهم من البشر لتمكنهم من الاجتماع والفهم منه لما تلمهم له فى الجنس (قل) لهم (كفى بالله) وحده (شهيدا بيني وبينكم) باقى رسوله إليكم (انه كان بعباده خبير بصيرا) أى محيطا بيوطن أحوالهم وظواهرها أى فانكم انما أنكرتم هذا المحض الحسد والاستسكاف من الانقياد للحق (ومن يهد الله فهو المهتد) بحذف الياء من الرسم هنا وفى الكهف وأما فى النطق فقرأ نافع وأبو عمرو بإثبات الياء وصلا وحذفها وقفا وحذفها الباقيون فى الحالين (ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء) أى أنصارا (من دونه) تعالى يهدونهم إلى طريق الحق أى فمن سبق لهم حكم الله بالايمان وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال استحال أن ينقلبوا عن ذلك الضلال وان يوجد من يصرفهم عنه (ونفسهم يوم القيامة على وجوههم) فقد روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يعيشهم على وجوههم (حميا) لا يبصرون ما يسر أعينهم (وبكيا) لا ينطقون ما يقبل منهم (وحما) لا يسمعون ما يلد مسامعهم (ما واهم جهنم كلما خبت) أى سكن لهم بعد أكل جلودهم ولحومهم بأن لم يبق فيهم ما يتعلق به النار (زدناهم سعيرا) أى توقدا باعادة الجلود واللحم ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد أخرى لبروها عيانا حيث لم يعلموا عابرها (ذلك) العذاب (جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا) الدالة على صحة الآحاد دالة واضحة (وقالوا) منكرين لقد رتنا (أنذا كنا عظاما ورفاتا) أى ترابا رميما (أننا لمبعوثون خلقا جديدا) أى بعثا جديدا (أولم يروا) أى ألم يتفكروا ولم يبصروا بعيون قلوبهم (أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق) أى يعيد بالاحياء (مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) أى وقتا معلوما عند الله لا شك فيه عند المؤمنين وهو يوم القيامة (فأبى الظالمون) أى لم يقبل المشركون بعد هذه الدلائل الظاهرة (الأكفورا) أى جهودا للاجل (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) أى خزائن رزقه التى أفاضها على كافة الموجودات (إذا لامسكم) ماملككم (خشية الانفاق) أى مخافة الفقر فلا فائدة فى اسعافكم بذلك المطلوب الذى التستموا (وكان الانسان قتورا) أى بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أى وافضات الدلالة على نبوته وهى اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع

والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات (فأسأل بني إسرائيل) أي فأسأل يا أشرف الرسل بني إسرائيل الذين كانوا في زمانك عن موسى فيما جرى بينه وبين فرعون وقومه ليظهر صدق ما ذكرته عند المشركين فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد وهذه الجملة اعتراضية بين العامل والمعمول (اذ جاءهم) أي حين جاء موسى بني إسرائيل الذين كانوا في زمانه عليه السلام وهذا الظرف متعلق بآتينافأظهر ما آتيناه من الآيات عند فرعون وبلغه ما أرسل به (فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا) أي مغلوب العقل (قال) لفرعون (لقد علمت) قرأ الكسائي بضم التاء والباقون بفحها قال الضم قراءة علي والقض قرأه ابن عباس (ما أنزل هؤلاء) الآيات على (الارب السهوات والارض بصائر) أي أدلة ظاهرة يستدل بها على صدق وليكنك تشكرها للحمد وحب الدنيا (واني لاظنك) أي لا علمك (يا فرعون مشبورا) أي ملعونا ممنوعا من الخير (فأراد أن يستغفرهم) أي أراد فرعون أن يخرج موسى وقومه (من الارض) بالقتل (فأغرقناه ومن معه جميعا) في البحر (وقلنا من بعده) أي من بعد اغراقهم (بني إسرائيل اسكنوا الارض) أي أرض الشام ومصر (فأذاباه وعدا الآخرة) أي البعث بعد الموت (جثنا بكم) من قبوركم الى المحشر (لغيفا) أي مختلطين أنتم وهم فيختلط جميع الخلق المسلم والكافر والبر والفاجر ثم فحكم بينكم وغير سعداءكم من أشقيائكم (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) أي ما أردنا بأنزال القرآن الاثبات الحق وكما أردنا هذا المعنى فكذلك حصل هذا المعنى ووصل اليهم بعد أنزاله عليهم ليس فيه تبديل أو يقال وما أنزلنا القرآن الا ملتبساً بالحكمة مقتضية لأنزاله وما نزل الا ملتبساً بما اشتمل عليه من العقائد والاحكام ونحوها (وما أرسلناك) يا أفضل الخلق (الا مبشرا) للطيبين بالثواب (ونذيرا) للعاصي بالعقاب فهو لا اله الا الله الذين اقترحوا عليك تلك المهيزات وعمر دواعي قبول دينك لا شيء عليك من كفرهم (وقرأنا فرقناه) وقرأ العامة بتخفيف الراء أي بينا حلاله وحرامه وأفرقنا فيه بين الحق والباطل وقرأ علي وجماعة من الصحابة وغيرهم بالتشديد أي فرقنا آياته بين أمر ونهي وحكم وأحكام ومواعظ وأمثال وقصص وأخبار ماضية ومستقبلة وأنزلناه مفرقا في ثلاث وعشرين سنة أو في عشرين سنة على الخلاف في تقارن النبوة والرسالة وتعاقبهما (لتقرأ على الناس على مكث) بضم الميم وفحها أي على أن تكون الاحاطة على دقائقه وحقائقه أسهل (ونزلناه) من عندنا (تنزيلا) متفرقا آية وآيتين وثلاثا وهكذا بحسب ما تقتضيه الحكمة وما يحصل من الوقائع (قل) للذين اقترحوا تلك المهيزات (أمنوا به) أي القرآن (أولا تؤمنوا) فإن إيمانكم به لا يزيدكم إلا واما متناعكم عن الإيمان به لا يورثه نقصا (ان الذين أتوا العلم من قبله) أي من قبل نزول القرآن منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام ومسلمان الفارسي (اذا يتلى) أي القرآن (عليهم يخرون للاذقان) أي يسقطون على وجوههم بغاية الخوف (مجدا) لله شكرا على انجاز وعده في تلك الكتب من بعثتك ونزول القرآن (ويقولون) في مجودهم (سبحان ربنا) أي تنزيها له عن خلف وعده (ان) أي ان الشأن (كان وعد ربنا) بأنزال القرآن وبعث محمد صلى الله عليه وسلم (لفعولا) أي منجزا (ويخرون للاذقان) للسجود لما أترفهم من مواعظ القرآن (يبكون) من خشية الله (ويزيدهم) أي القرآن أو البكاء أو السجود أو المتلو (خشوعا) أي تواضعا لله كما يزيدهم يقينا بالله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) أي هو المعبود بحق بهذا الاسم قال ابن عباس «هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات لیسلة فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل ان محمدا ينهانا عن

ألهتنا وهو يدعو الهين فأنزل الله هذه الآية أي ان شئتم قولوا يا الله وان شئتم قولوا يا رحمن (أي اياما تدعوا
 فله الاسماء الحسنی) أي أي هذين الاسمين مهميت فهو حسن لان للمسمى بذلك الاسماء الحسنی
 ومعنى حسن اسماء الله كونها مفيدة لمعانى التمجيد والتقديس والتعجيد والتعظيم وعلى صفات الجلال
 والكمال (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءة صلاتك (ولا تخافت بها) أي بقراءتها روى سعيد بن جبیر
 عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقراءة فإذا سمعوا المشركون سبوه
 وسبوا من جاء به فأوحى الله تعالى اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم ولا
 تخافت بها فلا تسمع أصحابك (وابتغ بين ذلك) أي اطلب بين الجهر والخافتة (سبيلا) أي أمرا
 وسطا روى أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالليل على دور العصابة وكان أبو بكر يخنق صوته بالقراءة
 في صلاته وكان عمر يرفع صوته فلما جاء النهار وجاء أبو بكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي
 بكر لم تخنق صوتك فقال أنا جري ربي وقد علم حاجتي وقال لعمر لم ترفع صوتك فقال أزعج الشيطان وأوقظ
 الوسنان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا وعمر أن يخفض صوته قليلا (وقل
 الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) كما يزعم اليهود والنصارى وبنو ملج حيث قالوا عز ربنا الله والمسيح ابن الله
 والملائكة بنات الله فكل من له ولد هو محدث محتاج فلا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وكل
 من له ولد عسل جميع النعم لولده فإذا لم يكن له ولد أقاض تلك النعم على عبيده فلو كان له تعالى ولد لكان
 منقضيًا فلا يقدر على كمال الانعام في كل الاوقات فلا يستحق الحمد على الاطلاق (ولم يكن له شريك في
 الملك) أي في الألوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الآلهة لانه لو كان معه اله آخر لتصرف في
 الموجودات فلا يعرف حينئذ ان هذه النعم حصلت منه أو من شريكه فلا يعرف كونه مستحقا للحمد والشكر
 (ولم يكن له ولي من الدن) أي ناصر منه لانه لو جاز عليه ناصر من أجل المذلة لم يجب شكره لجواز أن يكون
 غيره تعالى حمله على الانعام أو منعه منه (وكبره تكبيرا) فالتكبير يجب أن يكون مقرونا بالتكبير
 والتكبير يكون في ذاته تعالى بأن يعتقد أنه واجب الوجود لذاته وأنه غني عن كل ما سواه وفي صفاته بأن
 يقتعدان كل صفة له فهو من صفات الجلال والكمال والعز والعظمة وكل واحد من تلك الصفات لانهاية له
 وان كل صفة له قديمة سرمدية منزوعة عن التغير وفي أفعاله كأن يقول أنا الحمد لله وتكبره عن أن يجري في
 سلطانه شيء ولا على وفق حكمه وارا دته فالكل واقع بقضاء الله وقدرته وارا دته وفي أحكامه بأن يعتقد أنه
 ملك مطاع فلا اعتراض لاحد عليه في شيء من أحكامه يعز من يشاء ويذل من يشاء وفي أمهاته بأن لا يدكر
 الا بأمهاته الحسنی ولا يصف الا بصفاته المنزهة ثم ينبغي للعبد بعد أن يبلغ في التكبير والتزويه والتحميد
 والطاعة مقداره عقله وفهمه أن يعترف بأعظمه وأقبحه لا يفي بعرفة جلال الله ولسانه لا يفي بشكره
 وأعضائه لا تفي بخدمته فكبر الله عن أن يكون تكبيره وافيًا بكنه مجده وعزته وروى أن قول العبد الله
 أكبر خير من الدنيا وما فيها وعن عمرو بن شعيب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفصح الغلام من
 بني عبد المطلب هلمه وقل الحمد لله الآية واسأل الله الرحمة قبل الموت وعند الموت وبعد الموت أنه تعالى ناشر
 العظام بعد الموت وسمع الصوت حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم آمين

سورة الكهف مكية غير آيتين ذكر فيهما عيسى بن حصن الغزاري وهي مائة واحد

عشرة آية وكلما ألف وخمسمائة وسبع وسبعون

وحروفها ستة آلاف وأربع مائة وستون

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله) وهو الاعلام بثبوت الحمد لله وانشاء للثناء بذلك (الذي أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) أي القرآن (ولم يجعل له عوجا) أي اختلا لا في النظم وتناقيا في المعنى وهو كامل في ذاته وهذه الجملة معطوفة على أنزل (قيما) أي وجعله قائما بمصالح العباد وأحكام الدين وقيل هاتان الجملتان حالان من الكتاب متواليان أي غير مجعول له عوجا قيما لينذر تعالى بالكتاب الكافرين (بأسا شديدا من لدنه) أي عذابا شديدا نازلا من عنده تعالى (ويبشر المؤمنين) أي المصدقين به وقرأ حمزة والسكاكي بفتح الياء وسكون الموحدة وضم الشين (الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) في الجنة (ما كثر فيه أبدا) أي خالدين في الاجر من غير انتهاء (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله واليهود القائلون عزيز بن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله (ما لهم به من علم ولا لا بائهم) أي ليس لهم ولا لخدم من أسلافهم الذين قلده علم بهذا القول أهو صواب أو خطأ بل انما قالوه رميا عن جهالة من غير فكر (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) فكلمة بالنصب على التمييز وبالرفع على الفاعلية فعلى النصب يكون فاعل كبرت مضمرا مفسرا بما بعده وهو لاذم والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت الكلمة كلمة خارجة من أفواههم ثم تلك المقالة الشنعاء والنصب أقوى وأبلغ وفيه معنى التعجب أي ما أكبرها كلمة (ان يقولون الا كذبا) أي ما يقولون في ذلك الشأن الا مقولا كذبا (فلعلك باخع نفسك على آثارهم) والمراد بالترجي النهي عن التعميم أي لا تهلك نفسك بالغم من بعد اعراضهم عن الايمان بك (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي بهذا القرآن (أسفا) أي لفرط الحزن (انا جعلنا ما على الارض حيوانا كان أو نباتا أو معدنا (زينة لها) أي الارض ليتمتع بها الناظرون من المكلفين ويتفتعوا بها نظرا واستدلالا فان العقارب والحيات من حيث تذكريهما العذاب الآخرة من نوع المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالة على وجود الصانع ووحدته (انبلوهم) أي لنعامهم معاملة من يختبرهم (أيهم أحسن عملا) أي أيهم أطوع لله وأشد استمرا على خدمته (وانا الجاعلون ما عليها) أي الارض من المخلوقات قاطبة عند تنهاى عمر الدنيا (صعيد جرزا) أي ترابا لانبات فيه (أم حسبت) أي أظننت (أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا) أي من بين آياتنا (عجبا) أي آية ذات عجب وفي الآيات أي آثار قدرة الله تعالى ما هو أعجب من ذلك وهي السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار وعجبا خبر كان ومن آياتنا حال منه والكهف هو الغار الواسع في الجبل والرقم كلب أصحاب الكهف وقيل هولوح رصاصي أو هجري كتبت فيه أسماءهم وقصتهم وجعل على باب الكهف وهم كانوا قتيمة من أشرف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدتهم (اذا رأى القتيمة الى الكهف) ظرف لعجبا أي حين التجأ الشبان الى الكهف (فقالوا) عقب استقرارهم فيه (ربنا آتنا من لدنك رحمة) خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهي لنا من أمرنا رشدا) أي يسهل لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك اصابة للطريق الموصل الى المطالب (فضر بنا على آذانهم) أي فعقب هذا القول ألقينا على آذانهم حجابا يمنع من أن تصل الى أسماعهم الاصوات الموقظة من نومهم (في الكهف سنين عددا) أي معدودة وفي الكهف حال من المضاف اليه (ثم بعثناهم) أي أيقظناهم من نومهم الثقيل (لنعلم) أي لنعامهم معاملة من يختبرهم (أي الحزين) أي المختلفين في مدة لبثهم (أحصى لما لبثوا أمدا) أي ضبط غاية لبثهم فيظهر لهم عجزهم ويفوضون

ذلك الى العلم الخبير ويتعرفون ما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم فيزدادون يقيناً بكل قدرته تعالى وعلمه ويستبصرون به أمر البعث ويكون ذلك لطفاً لماثون زمانهم وآية بينة لكفارهم فالمراد بالخزيين نفس أصحاب الكهف وأحصى فعل ماض وأما مفعول به وقرئ لي علم بالياء مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل من الاعلام أي ليعلم الله الناس أي الخزيين أحصى الخ (فمن نقص عليك) يا أشرف الخلق (نبأهم بالحق) أي على وجه الصدق (انهم فتية) أي جماعة من الشبان (آمنوا برهم) بالتحقيق لا بالتقليد (وزدناهم هدى) أي بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين (وربطنا على قلوبهم) أي قلوبناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الاهل والاخوان واجترأوا على الرد على دقيانوس الجبار (اذ قاموا) أي حين انتصبوا لاظهار شعار الدين أو وقت قاموا بين يدي الملك دقيانوس الكافر فانه كان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله تعالى هؤلاء الفتية حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا ربوبية الله تعالى وصرحوا بالبراءة من الشركاء (فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الهاء) أي لن نعبد أبداً معبوداً آخر (لقد قلنا اذا شططا) أي والله لئن عبدنا غيره لقد قلنا حينئذ قولاً زوراً على الله قال أصحاب الكهف عند خروجهم من عند الملك دقيانوس الكافر (هؤلاء قومنا اتخذوا) أي عبدوا (من دونه آلهة) فقومنا عطف بيان لاسم الإشارة أو خبره واتخذوا حال منه (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أي هلا يأتون على عبادتهم بحجة ظاهرة وهذا انكار وتجهيز وتبكيث لهم (فمن أظلم عن افترى على الله كذبا) أي فليس أحد أظلم عن افترى على الله كذا بنسبة الشريك اليه تعالى فان الحكم بثبوت الشيء مع عدم الدليل عليه ظلم وافترى على الله وهذا من أعظم الدلائل على فساد القول بالتقليد قال بعض الفتية لبعض وقت اعترأ لهم (واذا اعترأ لهم وما يعبدون) أي واذا أردتم اعترأ لهم واعتزال الشيء الذي تعبدهم (الا الله فأووا الى الكهف) أي التجؤوا اليه وهذا جواب اذ (ينشر لكم ربكم من رحمته) أي يبسطها عليكم في الدارين (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) أي ويسهل لكم من أمركم الذي أنتم عليه من الفرار بالدين ما تنتفعون به غداً وقرأ نافع وابن عامر وطاسم في رواية مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء والجمهور بالعكس (وترى الشمس) خطاب لكل أحد بيان لحالهم بعد ما صاروا الى الكهف وهذا ليس اخباراً بوقوع الرؤية تحقيقاً بل الاخبار بكون الكهف بحيث لو أبصرته تبصر الشمس (اذا طلعت تزاور) قرأ ابن عامر تزاورسا كنه الزاى مشدداً للراء ونافع وابن كثير وابوعمر وتزاور بتشديد الزاى وبالالف وعاصم وحزمة والكسائي وتزاور بالتخفيف والالف أي تميل (عن كهفهم ذات اليمين) أي جانب الكهف الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاع الشمس (واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) أي تعدل عن سمت رؤسهم الى جهة الشمال الذي يلي المشرق فان الله منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم وذلك خارق للعادة وكرامة عظيمة خص الله بها أصحاب الكهف (وهم في لجوة منه) أي والحال انهم في فضاء متسع من الكهف معرض لاصابة الشمس (ذلك) أي المذكور من انامتهم وحمايتهم من اصابة الشمس لهم في ذلك الغار تلك المدة الطويلة (من آياتنا الله) الهيبة على كمال علمه وقدرته وعلى وحدته (من يهد الله الى الحق بالتوفيق له) فهو المهتد) أي الذي أصاب الفلاح مثل أصحاب الكهف (ومن يضل الله) (فلن تجد له) أبداً (وليامر شدا) أي ناصراً يهديه الى الفلاح كدقيانوس الكافر وأصحابه (وتحسبهم أيقاظاً) أي لو رأيتهم أيها المخاطب لانفتاح عيونهم على هيئة الناظر (وهم رقود) أي نيام

(ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لينال النسيم جميع أبدانهم ولثلاثا تأثر ما يلي الأرض منها بطول المكث فأن الله قادر على حفظهم من غير تقليب ولكن جعل لكل شيء سبيبا في أغلب الأحوال (وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد) أي بوضع الباب من الكهف وكان الكلب أغرا وأصغرا وأصهبا وأحمرأ وأصغرا واهمه قطمير أوريان أو تنوره أو قطمور أو نور أو حمران وكان لواحد منهم فلما خرجوا تبعهم فنعوه فأنطقه الله وتكلم وقال أنا أحب أحب الله فكنوه من الذهب معهم فلما ناموا نام كنومهم ولما استيقظوا استيقظ معهم ولما ماتوا مات معهم (لوا طلعت عليهم) أي لو شاهدتهم (لوليت منهم فرارا) أي لادبرت عنهم هربا بما شاهدت منهم (ولمئت منهم رعبا) أي خوفا بلا الصدر لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة فكل من رآهم فرغ فزعا شديدا وقرأنا في ابن كثير للملث بتشديد اللام وروى أيضا عن ابن كثير بالتخفيف كالجمهور وقرأ السوسي بإبدال الهمزة ياء وقفا وصلوا وحمة في الوقف فقط وقرأ ابن عامر والكسافي رعبا بضم العين في جميع القرآن والباقيون بالاسكان (وكذلك) أي كما أغناهم وحفظنا أجسادهم من البلى آية دالة على كمال قدرتنا (بعثناهم) أي أيقظناهم من النوم بعد مضى ثلاثمائة سنة وتسع سنين (ليتساءلوا بينهم) أي ليسأل بعضهم بعضا في مدة لبثهم (قال قائل منهم) هو رئيسهم واسمه مكسيمينا (كم لبثتم) أي كم مقدار مكثكم في منامكم في هذا الغار (قالوا) أي بعضهم (لبثنا يوما) لأنهم دخلوا الكهف غدوة ثم ناموا طلوع الشمس وكان انتباههم آخر النهار فلما خرجوا فنظر والى الشمس وقد بقي منه شيء قالوا (أو بعض يوم قالوا) أي بعض آخر منهم وهو مكسيمينا (ربكم أعلم بما لبثتم) فأنتم لا تعلمون مدة لبثكم (فابعثوا أحدكم) هو تخليخا كما قاله ابن أمحق (بورقكم هذه إلى المدينة) وهي منبج أو أفسوس بضم الهمزة هذا في الجاهلية وتسمى في الإسلام طرسوس بفتح الراء (فلينظروا إليها) أي أي أهلها (أزكى طعاما) أي أبعد عن كل حرام لأن ملكهم كان ظالما وعامة أهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون إيمانهم (فليأتكم برزق) أي بطعام (منه) أي من ذلك الأزكى (وليتلطف) أي وليرفق في الشراء كي لا يغيب وفي دخول المدينة لثلاثا يعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) أي لا يخبرن بمكانكم أحدا من أهل المدينة فإن ذلك يستلزم شيوع أخباركم (أنهم ان يظهروا عليكم) أي ان يطلعوا على أنفسكم أو على مكانكم (يرجموكم) أي أي به تلوكم بالرجم (أو يعيدوكم في ملتهم) أي يصيروكم إلى ملتهم كرها (ولن تغفوها) أي لن تسعدوا (إذا) أي ان دخلتم فيها ولو بالكره (أبدا) أي في الدنيا والآخرة (وكذلك) أي وكما أغناهم وبعثناهم (أعثرنا عليهم) أي أطلعنا الناس المؤمنين والكافرين على أحوالهم وكان ملكهم يومئذ مسلما يسهى يستغاد وذلك ان دقيانوس مات وقبضت قرين ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح واختلف أهل ملكته في الحشر وبعث الأجساد من القبور فشكل في ذلك بعض الناس واستبعدوه وقالوا لما تشتر الأرواح دون الأجساد فان الجسد تأكله الأرض وقال بعضهم تبعث الأرواح والأجساد جميعا وكبر ذلك على الملك وبقي حيران لا يدري كيف يبين أمر البعث لهم حتى دخل بيته وأغلق بابيه ولبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع إلى الله تعالى في طلب حجة وبرهان فأعثره الله على أهل الكهف فانهم لما بعثوا أحدهم بورقهم إلى المدينة ليأتيهم برزق منها استنكر شخصه واستنكر ورقه لانه ظهرت في بشرة وجهه آثار عجيبة تدل على ان مدته قد طالت طولا خارجا عن العادة ولان ورقه كان على ضرب دقيانوس فاتهموه بأنه وجد كثر افضهوا به إلى الملك وكان صالحا قد آمن هو ومن معه فلما نظر إليه قال

لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيانوس الملك فقد كنت أدعو الله أن يرثيهم وسأل الفتى
فأخبره بأنه ومن معه خرجوا فراراً من الملك دقيانوس فسر الملك بذلك وقال لقومه أعمل الله قد بعث
لكم آية فلنسر إلى الكهف معه فركب مع أهل المدينة اليهم فلما دنوا إلى الكهف قال عليخانا
أدخل عليهم لثلاير عبوا فدخل عليهم وأعلمهم بأن الأمة أمة مسلمة فخرجوا إلى الملك وعظموه
وعظمهم ثم رجعوا إلى كهفهم ورجع من شك في بعث الأجساد فهذا معنى أعثرنا عليهم (ليعلموا) أي
الذين أعثرناهم وهم الملك ورعيته على أحوالهم الهيبة (أن وعد الله) بالبعث للروح والجنة معا
(حق) أي صادق بطريق أن القادر على أنامتهم مدة طويلة وإبقائهم على حالهم بلا غداء قادر على
أحياء الموتى قال بعض العارفين علامة اليقظة بعد النوم علامة البعث بعد الموت (وأن الساعة) أي
وقت بعث الخلائق جميعاً للحساب والجزاء (لاريب فيها) أي لا شك في قيامها (أذيتنازعون بينهم
أمرهم) في صحة البعث وهذا ظرف لقوله تعالى أعثرنا ليقوله ليعلموا أي أعثرناهم عليهم حين يتنازعون
بينهم أمرهم ليرتفع الخلاف ويتمين الحق (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا) أي لما أعثرناهم عليهم فرأوا
ماراً وأفعاد الفتية إلى كهفهم فلما تم الله تعالى فقال بعضهم ابنوا على باب كهفهم بنيانا لثلايت طرق
اليهم الناس ضنا بترتيبهم (ربهم أعلم بهم) كأن المتنازعين لما رأوا عدم اهتدائهم إلى حقيقة حالهم
من حيث النسب والاسم ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضاً للامر إلى علام
الغيوب (قال الذين غلبوا على أمرهم) وهم الملك والمسلمون وأولياء أصحاب الكهف أو رؤساء
البلد (لنتخذن عليهم مسجداً) نعبده الله فيه ونستبق آثارهم بسبب ذلك المسجد (سيقولون) أي
يقول بعض المتنازعين لك يا أشرف الخلق وهم اليهود أو السيد وأصحابه وهم اليعقوبية من نصارى
مجرانهم (ثلاثة رابعهم كلهم ويقولون) أي النصارى أو العاقب وأصحابه وهم النسطورية منهم هم
(خمس سادسهم كلهم رجا بالغيب) أي ظنا بالغيب من غير دليل ولا برهان (ويقولون) أي المسلمون
أو الملكانية من النصارى هم (سبعة وثامنهم كلهم قل) يا أشرف الخلق (ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم
الاقليل) من الناس وكان على رضى الله عنه يقول كانوا سبعة وأسماءهم عليخانا كسليمينا شلينا
هؤلاء الثلاثة أصحاب عين الملك وكان عن يساره منوش دبرنوش شاذنوش وكان الملك يستشير هؤلاء
الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس وأمه كسطينيوش
وأسم كلبه قطمير وقال ابن عباس هم سبعة كسليمينا عليخانا مرطونس نينونس ساربنونس ذونوانس
فليستطيونس وهو الراعي وعن ابن مسعود كانوا تسعة وأسماءهم ابن اسحق عليخانا كسليمينا محسلينا
مرطونس كسوطونس سورس يكرنوس بطسوس قالوس هو قال ابن عباس رضى الله عنهما خواص
أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء للطلب والهرب ولطف الحريق تكذب على خرقة وترعى في وسط
النار تطفأ بأذن الله تعالى ولبكاء الطفل والحى المثلثة وللصداع تشد على العضد الايمن ولاص الصبيان
وللركوب في البر والبحر ولحفظ المال ولتنماء العقل ونجاة الاثمين (فلا تمارفهم) أي فلا تجادل معهم
في عدد الفتية (الامراء ظاهرا) بأن لا تكذبهم في تعيين ذلك العدد بل تقول هذا التعيين لا دليل عليه
(ولا تستفت فيهم منهم أحدا) أي لا تشاور إلى أحد من أهل الككات في شأن الفتية (ولا تقولن)
يا أكرم الرسل (لشيء) أي لا جل شيء تعزم عليه (انى فاعل ذلك) الشيء (غدا) أي فيما
يستقبل من الزمان (الا أن يشاء الله) أي الا فائلا ان شاء الله أي لا تغفل شيء في حال من الاحوال الا

في حال تلبسك بالتعليق بالمشيئة بأن تقول ان شاء الله نزلت هذه الآية حين قالت اليهود لقرش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألو صلى الله عليه وسلم فقال انثوني غدا أخبركم ولم يستقي فأبى عليه الوحي حتى شق عليه وكذبتة قرش (واذ كر ربك) بالتسبيح والاستغفار (اذ انسيت) كلمة الاستثناء وهذا مبالغة في الحث على ذكر هذه الكلمة (وقل عسى أن يهدين ربى لا قرب من هذا رسدا) أى لعل ربى يؤتيني أعظم دلالة على صحة نبوتى من نبأ أصحاب الكهف (ولبشوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) وهذا الخبر من الله عن مدة لبثهم ردأعلى أهل الكتاب المختلفين فيها فقال بعضهم ثلاثمائة وبعضهم ثلاثمائة وتسع والسنون عندهم شمسية فهذان القولان غير ما أخبر الله به من أن السنين ثلاثمائة وتسع قرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين لأن السنة الشمسية تزيد على السنة القمرية عشرة أيام واحد عشر ساعة وخمس ساعة قرأ حمزة والكسائي ثلاثمائة بغير تنوين فهو مضاف لسنين والباقون بالتنوين فسنين عطف بيان (قل الله أعلم بما لبثوا) أى بالزمان الذى لبثوا فيه في نومهم قبل بعثهم أى الله أعلم بحقيقة ذلك وكيفيته فأرجعوا الى خبر الله دون ما يقوله أهل الكتاب وهذا اشارة الى أن الاخبار من الله لا من عنده صلى الله عليه وسلم (له غيب السموات والارض) أى له تعالى علم ما خفى من أحوال أهلها ما لا نعلمه ما وجدها ومدبرها (أبصر به وأسمع) أى ما أبصر الله وما أسمع به بكل شئ وهذا التعجب يدل على ان شاء الله تعالى بالمبصرات والسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجب به شئ ولا يحول عنه حائل (مالهم) أى لاهل السموات والارض (من دونه) تعالى (من ولى) يتولى أمورهم ويقيم لهم تدبير أنفسهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من غير اعلامه تعالى (ولا يشرك) تعالى (في حكمه أحدا) فلما حكمكم تعالى أن لبثتم هو هذا المقدار فليس لاحد أن يقول قولا بخلافه وقرأ ابن عامر لا تشرك بالتاء على الخطاب ~~لكل~~ أحد وبالجزم على النهى أى ولا تسأل أحدا عما أخبرك الله به من عدة أصحاب الكهف ومن مدة لبثهم في الغار واقتصر على حكمه تعالى ولا تشرك أحدا في طلب معرفة هذه الواقعة (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك) ولا تسمع لقولهم اثبت بقرآن غير هذا أو بدله (لا تبدل لسكلماته) أى لا قادر على تبديلها (ولن تجد من دونه) تعالى (ملتجدا) أى ملجأ تعدل اليه ان همت بالتبديل للقرآن (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) أى يعبدونه في كل الاوقات قرأ ابن عامر بالغداة بضم الغين وسكون الدال (يريدون وجهه) أى يريدون بعبادتهم لرضاء تعالى (ولا تعد عينك عنهم) أى لا تنصرف عينك عنهم الى غيرهم (تريد زينة الحياة الدنيا) أى ترغب في مجالسة الاغنياء وجميل الصورة (ولا تطع) في تحية الفقراء عن مجالسك (من أغفلنا قلبه) أى وجدنا قلبه غافلا (عن ذكرنا) أى عن توحيدنا (واتبع هواه) في عبادة الاصنام (وكان أمره) في متابعة الهوى (فرطاً) أى ضائعاً نزلت هذه الآية في عيينة بن حصن الفزارى فإنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان الفارسي وعليه شملة قد عرق فيها ويده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبي أما يؤذيه ريح هؤلاء ونحن سادة مضر واشرافها ان أسلمنا تسلم الناس وما يمنعوننا من اتباع هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً وقد أسلم هو رضى الله عنه وحسن اسلامه وكان في حنين من المؤلفة قلوبهم فأعطاء النبي صلى الله عليه وسلم منها مائة بعير وكذلك أعطى الاقرع بن حابس وأعطى العباس بن مرداس أربعين بعيراً وروى أبو

متنوعة (وحققناهما بنخل) أى جعلنا النخل محيطا بالجنة (وجعلنا بينهما) أى وسط أرض
الجنة (زرعا) ليكون كل منهما جامعا للقوات والقوا كدفاتى هذه الأرض فى كل وقت بمنفعة
فكانت منافعهامتواصلة (كالتا الجنة أنتأكلها) أى أخرجت ثمرها كل عام (ولم تظلم منه)
أى لم تنقص من ثمرها (شيئا) ونخرجنا خلا لهما) أى أجربنا فى داخل تلك الجنة (ثمر) وفى قراءة
يعقوب ونخرجنا بالتخفيف (وكان له) أى لصاحب الجنة (ثمر) قرأ عاصم بفتح التاء والميم أى ثمر
البستان وقرأ أبو عمرو وبضم التاء وسكون الميم والباقون بضم التاء والميم فى الموضعين أى أنواع المال من
الذهب والفضة والحىوان وغير ذلك (فقال) أى صاحب الجنة (أصاحبه) الذى جعل مثالا للفقراء
المؤمنين (وهو) أى صاحب الجنة (بجواره) أى يراجع صاحبه بالكلام الذى فيه الافتخار
بالمال والناس (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أى أكثرهم أبا من الأولاد وغيرهم وبقوله قال وهو أى
صاحبه المؤمن يراجع الكافر فى الكلام بالوعظ والدعاء الى الإيمان بالله وبالبعث (ودخل الجنة)
أى بستانه مع صاحبه يطوف به فيها ويريه حسناتها (وهو ظالم لنفسه) أى ضار لها بكفره وعجبه واعتماده
على ماله (قال) استثناف بيان لسبب الظلم (ما أظن أن تبده هذه أبدا) أى ما أظن أن تغنى هذه
الجنة أبدا (وما أظن الساعة) أى القيامة التى هى وقت البعث (قائمة) أى حاصلة (ولئن رددت
الى ربى) بالبعث عند قيامه كما تقول (لأجدن) يومئذ (خير منها) أى من هذه الجنة (منقلبا)
أى عاقبة وسبب هذه الميم الفاجرة اعتقاده انما أعطاه الله المال فى الدنيا لكرامته عنده تعالى وهى معه
بعد الموت وقرأ نافع وابن كثير منهما أى الجنة (قال له) أى لصاحب الجنة (صاحبه) الذى هو
المؤمن (وهو) أى المؤمن (بجواره) أى يجابوب الكافر بالتوبيخ على شكه فى حصول البعث
(أأكرمت بالذى خلقك من تراب) أى من آدم وهو من تراب (ثم من نطفة) لا بيلك وأملك (ثم سواك
رجلا) أى صيرك انسانا ذكرا وهياك هيئة تعقل وتصلح للتكليف فهل يجوز فى العقل مع هذه الحالة
اهماله تعالى أمرك فان من قدر على بده خلقه من تراب قد ران يعسده منه وجعل الكافر بالبعث كفرا
بالله لان منشأ الشك فى كمال قدرة الله (لكننا) أى لكن أنا أقول (هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا)
أى أنت كافر بالله لكنى مؤمن به موحد ثم قال المؤمن للكافر (ولولا اذ دخلت جنتك) أى وهلا حين
دخلت بستانك (قلت) عند اعجابك بها (ما شاء الله) أى الامر هو الذى شاء الله (لا قوة الا بالله) أى
لا قوة لاحد على أمر من الامور الا بأمانه الله واقداره وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى
شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا) وخدما فى الدنيا
(فعسى ربى أن يؤتيني) أى يعطيني فى الآخرة (خيرا من جنتك) لايمانى (ويرسل عليها) أى
على جنتك (حسبانا) أى نارا (من السماء فتصير سعيدا زلقا) أى فتصير جنتك أرضا ملساء
لانبات فيها بحيث تزلق الرجل لكفره (أو يصير ماء وهاغورا) أى فائضا فى الأرض (فلن تستطيع
أنث له) أى الماء (طلبنا) أى حيلة تدركه بها وقوله تعالى أو يصير عطف على قوله تعالى فتصير
وان كان الحسبان بمعنى النار لانهما الحسبان الالهى بتغريب الجنة فيمتسبب عنه صيرورتها ترابا أملسا أو
صيرورة ما فيها آثارا ثم أخبر الله تعالى انه حقق ما قدره هذا المؤمن فقال (وأحيط بثمره) أى أهلك ثمر بستانه
بالكلية وجميع أمواله (فأصبح يقلب كفيه) أى صار يضرب احدهما على الاخرى وانما يفعل هذا
تدابة (على ما أنفق فيها) أى فى همارة جنته لانه أنفق ما يمكن ادخاره من الأموال الكثيرة فى مثل هذا

الشئ السريع الزوال وقوله على ما أنفق متعلق بيقرب لانه ضمن معنى يندم كأنه قيل فأصعب يندم على
 ما صنع فان من عظمت ندامته يصفق احدى يديه على الأخرى (وهي) أى الجنة (خاوية على عروشها)
 أى ساقطة على سقوف الجنة وهي سقطت على الجدران وهذه اللفظة كناية عن هلاك البستان بالكناية
 (ويقول) أى الكافر تلها على تلف المال (يا) أى تنبها وياقومي (ليتني لم أشرك بربى أحدا) وهذا
 السافر تذكرة كلام المؤمن وعلم انما هلكت جنته بشؤم شركه فتمنى أن لا يكون مشركا فلم يصبه ما أصابه
 (ولم تكن له) أى الكافر (فئة ينصرونه) يدفع الهلاك عن الجنة أو برد الهلاك منها أو باتيان مثله
 (من دون الله) فانه وحده قادر على ذلك وقرأ حمزة والكسائي ولم يكن بالياء التحمية والباقيون بالتاء
 الفوقية (وما كان منتصرا) أى قادر ابنفسه على واحد من هذه الامور (هنالك الولاية) أى فى مثل
 ذلك الوقت وفى ذلك المقام النصرة (لله الحق) فلا يقدر عليها أحد وقرأ حمزة والكسائي الولاية بكسر الواو
 بمعنى الملك فالمعنى أى فى تلك الدار الآخرة السلطان لله والباقيون يفتحها أى النصرة وقرأ أبو عمرو
 والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرأ الباقيون بالجر صفة لله أى الثابت الذى لا يزول (هو) تعالى
 (خير ثوبا) أى ائابة فى الآخرة لمن آمن به والتجاء اليه (وخير عقبا) أى عاقبة لمن رجاء وعمل لوجهه
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع والكسائي وابن عامر بضم القاف وعاصم وحزرة بتسكينها وقرئ عقي
 كرجى والكل بمعنى العاقبة (واضرب لهم) أى واذا كر للذين افتخروا بأموالهم على فقراء المسلمين
 (مثل الحياة الدنيا) أى صفتها الهيبة فى فنائها (كما أنزلناه من السماء فاختلف به نبات الارض)
 أى اختلف بعض أنواع النبات ببعضها الآخر بسبب هذا الماء أى صار النبات فى المنظر فى غاية الحسن
 (فأصبح هشيا) أى فصار النبات بعد بهجتها يابساً مكسورا (تذروه الرياح) أى تغرقه ولم يبق منها
 شئ وقرأ حمزة والكسائي الريح بالتوحيد (وكان الله على كل شئ مقتدرا) أى قادر على الكمال
 بتكوينه أولا وتفجئته وسطا وباطاله آخرافأحوال الدنيا كذلك تظهر أولا فى غاية النصارة ثم تتزايد
 قليلا قليلا ثم تأخذ فى الانحطاط الى أن تنتهى الى الفناء ومثل هذا الشئ ليس للعاقل أن يفرح به (المال
 والبنون زينة الحياة الدنيا) وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سريع الانقراض فيقع بالعاقل أن يفتخر
 به (والباقيات الصالحات) أى اعمال الخيرات التى تبقى له ثمرتها أبدا من الصلوات الخمس واعمال
 الحج وصيام رمضان والطيب من القول (خير عند ربك) أى فى الآخرة (ثوبا) فتعود الى صاحبها
 (وخير أملا) فينالها صاحبها فى الآخرة كل ما كان يرجوه فى الدنيا لان صاحب تلك الاعمال يأمل فى
 الدنيا نصيبه من ثواب الله فى الآخرة وللغزالي فى هذا وجه لطيف فقال روى ان من قال سبحان الله حصل
 له من الثواب عشر حسنات فاذا قال والحمد لله صارت عشرين فاذا قال ولا اله الا الله صارت ثلاثين فاذا قال
 والله أكبر صارت أربعين وتحقق القول فى ذلك أن أعظم مراتب الثواب هو الاستغراق فى معرفة الله
 وفى محبته فاذا قال سبحان الله فقد عرف كونه تعالى منزها عن كل ما لا يليق به لحصول هذا العرفان
 سعادة عظيمة ومحنة كاملة فاذا قال مع ذلك والحمد لله فقد أقرب إلى الله تعالى مع كونه منزها عن كل
 ما لا ينبغى فهو المبتدى لا فائدة كل ما ينبغى ولا فائدة كل خير وكل ما لا قال مع ذلك ولا اله الا الله فقد أقر
 بأنه ليس فى الوجود موجود منزه عن كل ما لا ينبغى مبتدى لا فائدة كل ما ينبغى الا الواجب فاذا قال والله
 أكبر ومعنى أكبر أى أعظم من أن يصل العقل الى كنه كبريائه وجلاله فقد صارت مراتب المعرفة أربعة
 فكانت درجات الثواب أربعة فهذه الكلمات الأربع تسمى الماقيات الصالحات (ويوم نسير الجبال)

أى واذا كرلهم حين نسير أجزاء الجبال عن وجه الأرض بعد ان يجعلها غبارا مفرقا وقرأ ابن كثير وأبو
 عمرو وابن عامر تسيرا الجبال بالتاء الفوقية بالبناء للفعل ورفع الجبال (وترى الأرض) خطاب لكل
 أحد وقرئ على صيغة البناء للفعل (بارزة) أى ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبال وأشجار وبناء
 وحيوان وظل وبحار (وحشراهم) أى جمعنا الخلائق الى الموقف من كل أوب للحساب (فلم تغادر منهم)
 أى لم نترك من الأولين والآخرين (أحدا) الا وجمعناهم لذلك اليوم (وعرضوا على ربك) كعرض
 الجند على السلطان ليقضى بينهم (صفا) أى مصطفىين وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الأولين
 والآخرين في صعيد واحد صوفار في حديث آخر أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثم منها ثمانون أه
 مقولاً لهم (لقد جئتمونا) كائنين (كما خلقناكم أول مرة) حفاة عراة غرلاً بلا أموال وأعوان (بل
 زعمتم) في الدنيا (أن لن نجعل لکم موعداً) أى وقتاً للبعث (ووضع الكتاب) أى وضع في هذا اليوم
 كتاب كل انسان في يده اليمنى ان كان مؤمناً وفي يده اليسرى ان كان كافراً فقد تطايرت الكتب الى
 أيدي الخلق مثل الذئب (فقرئ المجرمين) أى المشركين والمنافقين (مشفقين عما فيه) أى خائفين مما
 في الكتاب من أعمالهم الحبيثة أى يحصل لهم خوف العقاب من الله بذنوبهم وخوف القضيحة عند الخلق
 بظهور الجرائم لاهل الموقف (ويقولون) عندوقوفهم على ما في الكتاب من السيئات (يا رب لعلنا) أى
 يا هلكتنا (مال هذا الكتاب) أى أى شئ له (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة) من أعمالنا (الا أحصاها
 أى عدها) (ووجدوا ما عملوا) في الدنيا من السيئات (حاضراً) أى مكتوباً في صحفهم (ولا ينظم
 ربك أحدا) فلا ينقص من حسنات أحد ولا يزيد على سيئات أحد (واذ قلنا) أى واذا كرلهم وقت
 قولنا (للا لثة أمجدوا لآدم فسجدوا) جميعاً امتثالاً بالأمر (الا ابليس) فإنه لم يسجد بل تكبر
 على آدم لانه افتخر بأصله (كان من الجن) أى من نوع الجن الذين هم الشياطين فالذى خلق من نار
 هو أبوه (ففسق عن أمر ربه) أى خرج عن طاعته بترك السجود (أفتتخذونه وذريته أولياء) أى
 أبعد ما وجد من ابليس ما وجد تتخذونه وذريته أصدقاء يا بني آدم (من دوني) فتطيعونهم بدل طاعتي
 (وهم لكم عدو) أى والحال ان ابليس وذريته لكم أعداء (بئس للظالمين بدلاً) من الله تعالى في
 الطاعة ابليس وذريته وعن مجاهد قال ولد ابليس خمسة بتر والاعور وزنبرور ومشوط وداسم فبتر
 صاحب المصائب والاعور صاحب الزنا وزنبرور الذي يفرق بين الناس ويبصر الرجل عيوب غيره ومشوط
 صاحب الحصب والاعور يأتي بها فيلقبها في أفواه الناس ولا يجحدون لها أصلاً وداسم الذي اذا دخل
 الرجل بيته ولم يسلم ولم يذ كرام اسم الله دخل معه واذا أكل ولم يذ كرام اسم الله أكل معه (ما أشهدتهم) أى
 ما أحضرت ابليس وذريته (خلق السموات والأرض) فاني خلقتهم اقبل خلقهم (ولا خلق أنفُسهم)
 أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض (وما كنت متخذ المضلين) للناس وهم الشياطين (عضداً) أى
 أعواناً في شأن الخلق حتى يتوهم شركتهم في بعض أحكام الربوبية والمعنى ما أطلعهم على أمرار
 التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فكيف تطيعونهم يا بني آدم
 (ويوم يقول) أى واذا كرلهم يا أشرف الخلق أحوال المشركين وآلهتهم يوم القيامة اذ يقول الله تعجزوا
 وقرأ حمزة بنون العظيمة (نادوا شركائى) أى نادوا آلهمكم التي قلتم انهم شركائى (الذين زعمتم) أى عبدتم
 ليعنوكم من عذابى (فدعوهم) للافاقة (فلم يستجيبوا لهم) الى ما دعوهم اليه (وجعلنا بينهم) أى المشركين
 وآلهتهم (موبقاً) أى عاجزاً بعيداً أو وادياً في جهنم من فيج ودم وذلك ان المشركين الذين اتخذوا من دون

الله آلهة الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم عليهم السلام دعوا هؤلاء فلم يجيبوهم استهانة بهم واشتغالا
بأنفسهم ثم حيل بينهم فادخل الله تعالى هؤلاء المشركين جهنم وأدخل عزيرا وعيسى ومريم الجنة وسار
الملائكة الى حيث أراد الله من الكرامة وحصل بين الكفار ومعبودهم هذا الحاجز وهو ذلك الوادي
(ورأى الجرمون) أي الكافرون (النار) من مكان بعيد (فظنوا أنهم واقعوها) أي محالطوها في تلك
الساعة من غير تأخير لشدة ما يسمعون من تغيظها وزفيرها (ولم يجدوا عندها مصرفا) أي معدلا الى غيرها
لأن الملائكة تسوقهم اليها (ولقد صرفنا) أي ذكرنا على وجوه كثيرة (في هذا القرآن للناس) أي
لنفعتهم (من كل مثل) أي من كل نوع من أنواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في
في الغرابة كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا (وكان الانسان) بجبلته (أكثر شئ جدلا) أي وكان
خصومة الانسان بالباطل أكثر شئ فيه (وما منع الناس) أي اهل مكة (أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى)
أي القرآن الهادي الى الايمان (ويستغفروا ربهم) بما فرط منهم من الذنوب (الا أن تأتيهم سنة
الاولين) أي الا طلب ايمان سنتنا في الاولين وهو عذاب الاستئصال (أو يأتيهم العذاب قبلا) وقرأ
حزرة وعاصم والكسائي بضم القاف والباء أي أنواعا من العذاب تتواصل مع كونهم أحياء والباقون
بكسر القاف وفتح الباء أي عيانا وقرئ بفتحين أي مستقبلا (وما ترسل المرسلين) الى الامم (الا
مبشرين) بالثواب على أفعال الطاعة (ومنذرين) بالعقاب على أفعال المعصية (ويجادل الذين
كفروا) المرسلين (بالباطل) أي باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ليسد حضوابه الحق) أي
ليبطلوا بجدالهم الشرائع (واتخذوا آياتي) التي هي معجزات الرسل (وما آذوا) أي وانذارهم
بالعذاب (هزوا) أي مخزية (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) أي ليس أحد أظلم ممن وعظ بالقرآن
(فأعرض عنها) أي فصرف عن تلك الآيات ولم يتدبرها (ونسى ما قدمت يداي) أي تغافل عن كفره
وذنوبه ولم يتفكر في عاقبته (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغشية (أن يفقهوه) أي مانعة
من أن يفهموا القرآن (وفي آذانهم وقرا) أي صمما مانعا من استماعه (وان تدعهم الى الهدى) أي
الى التوحيد (فلن يهتدوا اذن أبدا) أي فلن يوجد منهم اهتداء البتة مدة التكليف (وربك الغفور)
أي البليغ لستر ذنوبهم بالحلم عنها الى وقت آخر (ذوالرحمة) بتأخير العقوبة عنهم (لو يؤاخذهم)
أي لو يريد الله مؤاخذتهم (بما كسبوا) من الذنوب (لجعل لهم العذاب) في الدنيا (بل لهم موعد)
أي وقت هلاكهم (لن يجسدوا من دونه) أي العذاب (موثلا) أي مرجعا فن يكون مرجعه
العذاب فلا يوجد منه الخلاص (وتلك القرى) أي وأهل قرى عاد وثمود وأمثالهما (أهلكناهم) في
الدنيا (لما ظلموا) أي حين كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أي وقتا معيننا لا يتأخرون عنه وقرأ
شعبة بفتح الميم واللام أي هلاكهم وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام أي لوقت هلاكهم والباقون بضم
الميم وفتح اللام أي لاهلاكها يا هم (واذ قال) أي واذكر حين قال (موسى لفتهاه) يوشع بن نون بن
افرايم بن يوسف عليه السلام وكان يوشع من أشرف بني اسرائيل وانما سمى قدام موسى عليه السلام لانه
كان يخدمه وكان موسى عليه السلام وقع في قلبه ان ليس في الارض أحد أعلم مني فقال الله يا موسى ان
لي في الارض عبدا أعبد لي منك وأعلم وهو الخضر فقال لموسى يارب دلني عليه فقال الله له خذ معك ما لحا
وامضي على شاطئ البحر حتى تلقى مضره عندها عين الحياة فانضح على السمكة منها حتى تحيا السمكة فشم
تلقى الخضر فاخذ حوتها فجعله في مكمل فقال لفتهاه اذا ففتحت الحوت فاخبرني فذهبا عيشيان (لا أبرح) :

أى لا تزال سائرا (حتى أبلغ جميع البحرين) أى ملتحق بجزر فارس والروم وما يلي المشرق (أو أمضى حقبا)
 أى أو أسير زمانا طويلا أتيقن مع عفوات الطلب أو أسير ثمانين سنة (فلما بلغا مجمع بينهما) أى بلغا موضعا
 يجتمع فيه موسى وصاحبه الذى كان يقصده وهو الخضر (نسيا حوتهما) أى نسيا خيرو حوتهما وتفقدا أمره
 وقد جعل فقده امارا لوجدان المطلوب (فاتخذ سبيله في البحر مريا) أى فادركته الحياة بسبب برد
 الماء الذى أصابه فحرك في المسكن فخرج منه وسقط في البحر فاتخذ الحوت في البحر مسلكا كالسرب
 قبل ان القى كان يغسل السمكة لانها كانت ملحة فظفرت وسارت (فلما جاورا) أى موسى وقتاه مجمع
 البحرين وذهبا كثيرا وألقى على موسى الجوع (قالا لقنا آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا) الذى
 بعد مجاوزة الصخرة (نصبا) أى تعبنا قبل ان موسى لم يتعب ولم يجوع قبل ذلك (قال) أى فتاه
 (أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) أى أبصرت حالنا اذ اقمنا عند الصخرة (فانى نسيت الحوت) أى خبر
 الحوت (وما انسانيه الا الشيطان ان أذكره) بدل اشتمال من الماء أى وما انساني ذكر أمر الحوت
 لك الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقرأ حفص بضم الهاء من أنسانيه (واتخذ) أى الحوت
 (سبيله في البحر عجبا) أى اتخذ اذ عجبا وهو كون مسلكه كالسرب فلم يلتزم الماء وجمد ماتحت الحوت
 منه حتى رجع موسى اليه فرأى مسلكه يكون الحوت قد مات وأكل شقه الا يسر ثم حتى بعد ذلك (قال)
 أى موسى (ذلك) أى الذى ذكرت من أمر الحوت (ما كنا نبغ) أى الذى كنا نطلبه لانه اماره
 الظفر بالمطلوب وهو اقامه الخضر وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي بإثبات الياء وصلالا وقفوا بن كثير أثبتا
 في الحالين والباقيون حذفوها في الحالين اتباعا للرسم (فارتد على آثارهما قصصا) أى فرجعا
 مفتشين آثارهما أو فاقصصا على آثارهما اقتصاصا حتى أتيا الصخرة (فوجداهما عبدا من عبادهما)
 وهو الخضر واسمه بليان ملكا وكنيته أبو العباس وهو من نسل نوح وكان أبوه من الملوك الذين تزهدوا
 وتركوا الدنيا وروى أنهم ما وجدوا الخضر وهما ثم على وجه الماء وهو مغطى بثوب أبيض وأخضر طرفه
 تحت رجليه والآخر تحت رأسه فسلم عليه موسى فرفع رأسه واستوى جالساً وقال وعليك السلام ياني بني
 اسرائيل فقال له موسى ومن أخبرك اني بني اسرائيل فقال الذى أدراك بي وذلك على والصحيح ان
 الخضر بني وذهب الجمهور الى انه حي الى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة (آتيناهم رحمة من عندنا) أى
 أكرمناه بالنبوة كما قاله ابن عباس (وعلمناه من لدنا علما) وهو علم الغيوب (قال له موسى) على
 سبيل التأديب والتلطف في ظرف الاستئذان (هل أتبعك) أى تعبك (على أن تعلمن) أثبت الياء
 نافع وأبو عمرو وصلالا وقفوا بن كثير في الحالين والباقيون حذفوها (عما علمت رشدنا) أى علمنا يرشدني
 في ديني وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح الراء والشين والباقيون بضم الراء وتسكين الشين قال له الخضر كفى
 بالتوراة علما وبني اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله أمرني بهذا فحيث (قال) له الخضر يا موسى
 (انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أى على ما لم تعلم به بيانا وحكمة أى انك
 يا موسى لا تصبر على أمور لم تعلم حقائقها يا موسى اني على علم من علم الله تعالى علميه لا تعلمه أى وهو علم
 الكشف وأنت على علم من علم الله علمه أى وهو علم ظاهر الشريعة (قال) له موسى
 (ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) عطف على صابرا أى ستجدني صابرا على ما أرى منك
 وغير مخالف لأمرك (قال) له الخضر (فان اتبعني) أى تعبتني (فلا تسألني عن شيء) تشاهده
 من أفعالي ولو منكر بحسب علمك الظاهر (حتى أحدث لك منه ذكرا) أى حتى أبشرك بأخبارك

ببيان ذلك الشيء وقرأ ابن عامر فلا تسألن بالنون المثقلة وبغير ياء وروى عنه تسألني مثقلة مع الياء
 وهي قراءة نافع وقرأ باقي السبعة بسكون اللام وتخفيف النون وقرأ أبو جعفر هنا تسألن بفتح السين واللام
 وتشديد النون من غير همز (فانطلقا) أي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة
 وأما يوشع فقد صرفه موسى إلى بني إسرائيل أو كان معهما وانما لم يذكر في الآية لأنه تابع لموسى فاستغنى
 بذكر المتبوع عن التابع فالقصد ذكر موسى والخضر (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) أي ثقبها الخضر
 وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلما أأهلها انجم لوههم فعرفوا الخضر
 بعلامة لعلهم بغير نول فلما لجوا أي وصلوا إلى الماء الغزير أخذوا الخضر فأسا وأخرج بها الوحاش من
 السفينة (قال له موسى) (أخرقتها لتغرق أهلها) أي لتغرق أنت أهل هذه السفينة وقرأ حمزة والكسائي
 ليغرق أهلها بالياء المفتوحة وفتح الراء ورفع أهلها (لقد جئت شيئا مرمورا) أي لقد فعلت شيئا عظيما
 شديدا على القوم روى أن الماء لم يدخل السفينة وروى أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشى به
 الخرق (قال له الخضر) (ألم أقل أنك لن تستطيع معي صبرا قال) موسى (لا تأخذاً فني بما نسيت)
 أي بما تركت من وصيتك أول مرة أو هو ذا من التورية وإيهام خلاف المراد فبقي موسى بها الكذب
 مع التوصل إلى الغرض وهو بسط عذره في الانكار فالمراد بما نسيت شيء آخر غير الوصية لكنه أوهم أنها
 المنسية (ولأترهقني من أمرى عسرا) أي لا تكلفني مشقة في أمر محبتي أياك فقبل الخضر عذر موسى
 فخرجا من السفينة (فانطلقا حتى إذا قيما غلاما) بين قريتين لم يبلغ الخفت يلعب مع عشرة صبيان
 كان وضئ الوجهاء به خيشور فأخذه الخضر (فقتله) بذبحه مضطجعا بالسكين أو بقتل عنقه (قال)
 له موسى (أقتلت نفسا زكية) أي بريئة من الذنوب (بغير نفس) أي بغير قتل نفس محرمة وقرأ نافع
 وابن كثير وأبو عمرو وبألف بعد الزاي وبتخفيف الياء والياءقون بالتشديد وبغير ألف (لقد جئت شيئا
 منكرا) أي لقد فعلت فعلا منكرا (قال) الخضر (ألم أقل لك) يا موسى (أنك لن تستطيع معي صبرا) قيسل ان يوشع كان يقول لموسى يا بني الله اذكر
 لموسى وتحاملا في الخطأ (أنك لن تستطيع معي صبرا) (أن سألتك عن شيء بعدها) أي بعد هذه المرة (فلا تصاحبني)
 العهد الذي أنت عليه (قال) موسى (أي لا تجعلني صاحبك وقرئ لا تصحبني بضم التاء وسكون الصاد) (قد بلغت من لدن عذرا) أي قد
 وجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات قرأ نافع وأبو بكر عن عادم في بعض الروايات بتخفيف
 النون وضم الدال وفي بعض الروايات عن عاصم بضم اللام وسكون الدال روى عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال رحم الله أخي موسى استحيأ فقال ذلك ولوليت مع صاحبه لا بدمر أعجب إلا عجب (فانطلقا
 حتى إذا أتيا أهل قرية) بعد الغروب في ليلة باردة ممطرة وهي انطاكية أو أبرقة (استطعما أهلها) أي
 طلبا من أهلها الخبز على سبيل الضيافة فأقدام الجائع على الاستطعام أمر مباح في كل الشرائع بل ربما
 وجب ذلك عند خوف الضرر الشديد وعن أبي هريرة قال أطمعتهما امرأة من أهل بركة بعد أن طلبا من
 الرجال فلم يطعموهما فعدوا النساء ثم ولعنار جالهم فقوله تعالى استطعما جوابا إذا أوصفة لقرية (فأبوا
 أن يضيغوهما) عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لثاما (فوجد فيها) أي القرية (جدارا)
 مائلا (يريد أن ينقض) أي يقرب من السقوط وكان ارتفاعه مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا وامتداده
 على وجه الأرض خمسمائة ذراع (فأقامه) أي رفعه الخضر بيده فاستقام أو مسحه بيده فاستوى
 أو هدمه ثم بناه (قال) موسى (لوشئت) يا خضر (لأتخذت عليه أجرا) أي طلبت على عملك أجرة تصرفها

الى تحصيل المطعوم وتحصيل سائر المهمات أى كان ينبغي لك أن تأخذ منهم جعلاً على فعلك لتقصيرهم
 فينا مع حاجتنا وليس لنا في اصلاح الجدار فائدة فهو من فضول العمل وروى عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال كانت الاولى من موسى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة هماً قيل في تفسير هذه الآيات التي
 وقعت لموسى مع الخضر أنهم اختلفوا على موسى وعتب عليه وذلك أنه لما أنكر خرق السفينة نوذى ياموسى
 أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطر وحافى اليم لما أنكر أمر الغلام قيل له أين أنكرت هذا من
 وكرك للقبطى وقضائك عليه فلما أنكر إقامة الجدار نوذى أين هذا من رفعك حجر البئر لبنات شعيب
 دون أجر (قال) له الخضر (هذا فراق بيني وبينك) أى هذا الانكار على ترك الاجر سبب فراق حصل
 بيني وبينك (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) السين للتأكيده لا للاستقبال لعدم تراخي التنبئة
 أى أظهر لك بيان وجه ما لم تصبر عليه أى حكمة هذه الامور الثلاثة قبل فراقك لك (أما السفينة) التي
 أخرقتها (فكانت لمساكين يعملون في البحر) فيعبرون بالناس مؤجرين للسفينة لحل الامتعة ونحوها
 كانت لعشرة اخوة من المساكين وورثوها من أبيهم خمسة زماني وخمسة يعملون في البحر فاما العمال منهم
 فأحدهم كان مجذوماً والثاني كان أعور والثالث كان أعرج والرابع كان آدر والخامس كان مجموماً
 لا تنقطع عنه الحى الدهركاه وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعده
 وجنون وكان البحر الذين يعملون فيه مابين فارس والروم (فأردت أن أعيمها) أى أن أجعلها ذات
 عيب (وكن ورأهم) أى أمامهم كقراءة ابن عباس وابن جبير (ملك) كقراءة هدد بن بداء وجلندى
 ابن كركر (ياخذ كل سفينة) صحيفة كما قرأ بذلك ابن عباس وابن جبير (غصباً) من أصحابها
 ولم يكن عندهم علم به فلذلك نعتها فاذا جاوزوا الملك أصلحوها (وأما الغلام) الذي قتلته (فكان
 أبواه مؤمنين) من تلك القرية اسم الأب كاذر واسم الأم سهوا (فخشنا أن يرهقهما) أى
 نخفنا أن يحمل الوالدين المؤمنين (طغيانا وكفراً) لمحبتهما له وقرئ تخاف ربك أى كرهه بكراهة من
 خاف سوء عاقبة الامر أن يلحق الوالدين معصية وكفراً أو يقال فعلم ربك أن يوقعهما في الكفر وقيل
 ان أبويه فرح به حين ولدوا وخرنا عليه حين قتل ولولوى لكان فيه هلا كهما فليرض العبد بقضاء الله
 تعالى فان قضاء الله للأؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب وقيل كان الغلام رجلاً كافراً الصاقتالا
 فمن ذلك قتله الخضر وكان اسمه جيسور (فأردنا أن يبدلهمار بهما خيراً من زكاة) أى صلاحاً وطهارة
 من الذنوب والاخلق الرديئة (وأقرب رحماً) أى عطفاً بأبويه وأوصل رحماً بأن يكون أبر بهما قال
 ابن عباس أبداً لا بتنا ولدت نبيا وهو الذى كان بعد موسى الذى قالت له بنو اسرائيل ابعت لنا ملكاً نقاتل
 في سبيل الله وكان اسمه شععون وقرأ أبو عمرو ونافع بفتح الباء وتشديد الدال هنا وفي التحريم وفي القلم
 وقرأ ابن عامر في احدى الروايتين عن أبي عمرو ورحا بضم الحاء (وأما الجدار) الذى سويته (فكان
 لغلامين يتيمين) هما أصرم وصريم ابنا كاشع وأمه مدينا (في المدينة) وهى المعبر عنها أولاً
 بالقرية تحة راء الحسة أهلها وعبر عنها بالمدينة تعظيماً لها من حيث اشتغالها على هذين الغلامين
 وأبيهما (وكان تحت كنزهما) عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كن ذهاباً وفضة
 رواه البخارى في تاريخه والترمذى والحاكم وقيل كان لهما من ذهب مكتوباً فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر
 كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن
 يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد

رسول الله (وكان أبوهما صالحا) وهذا يدل على أن صلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الأبناء وقد روى ابن الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي قوتهما وكمال رأيهما (ويستخرجا كنزهما) أي دفينهما من تحت الجدار ولولا أني آفته لا تقض وخرج الكنز من تحته وضاع بالكلية (رحمة من ربك) مفعول له وعامله أراد أي نعمة لهما من ربك أو عامله مقدر أي فعلت هذه الأفعال وحيامن ربك (وما فعلته) أي ما فعلت ما رأيت من هذه الأحوال (عن أمرى) أي عن اجتهادي ورأيي (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) أي ذلك الأجوبة الثلاثة تفسير ما لم تصبر عليه من الوقائع الثلاثة وحذف التاء بعد السين هنا للتخفيف وروى أن موسى عليه السلام لما أراد أن يفارق الخضر قال له أوصني قال لا تطلب العلم لتحديثه واطلبه لتعمل به وقيل إن الخضر لما أراد أن يفارق موسى قال له موسى أوصني قال كن بساما ولا تكن فحما كلودع اللجاجة ولا غش في غير حاجة ولا تبع على الخطأين خطاياهم وابلك على خطيئتك يا ابن عمران (ويسألونك عن ذي القرنين) أي يسألونك يا أشرف الخلق أهل مكة عن خبر ذي القرنين اسمه اسكندر بن فيلقوس اليوناني كان عبدا صالحا لملكه الله الأرض وأعطاها العلم والحكمة وألبسه الهيبة وكان وزيره الخضر والصحيح أنه لم يكن نبيا وإنما كان ملكا صالحا عادلا ملك الأقاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وكان داعيا إلى الله (قل) لهم في الجواب (سأتلو عليكم منه ذكرا) أي سأذكركم من حال ذي القرنين خبرا مذكورا والسين للتأكيد والدلالة على التحقيق (إنما كماله في الأرض) أي أنا جعلناه قدرة على التصرف في الأرض من حيث التدبير والرأي وعلى الأسباب حيث مضى له السحاب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الأرض (وأتيناها من كل شيء) يحتاج إليه في إصلاح ملكه (سببا) أي طريقا يوصله إلى ذلك الشيء المقصود كآلات السير وكثرة الجند (فأتبع سببا) أي فأخذ طريقا يوصله إلى استقصاء بقاع الأرض ليملاها عدلا (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) أي منتهى الأرض من جهة المغرب بحيث لا يمكن أحدا من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الأطوال (وجدناها) أي الشمس (تغرب) في رأي العين (في عين) أي بحر محيط (حثة) أي ذات طين أسود شديد السخونة كما يدل عليه قراءة شعبة وحزرة والكسائي وابن عامر حامية بألف بعد الحاء وبياء بعد الميم وهي قراءة ابن مسعود وطلمة (ووجد عندنا) أي عند تلك العين (قوما) كفار بالباسم جلودا وحوش وطعامهم ما يلفظه البحر من العمل (قلنا) بالهام (يا ذا القرنين أما أن تعذب) بالقتل (وأما أن تخفف فيهم حسنا) أي أمر إذا حسن بأن تتركهم أحياء (قال) أي ذو القرنين (أما من ظلم) نفسه باستقراره على الكفر (فسوف نعذبه) بالقتل بعد طول الدعاء إلى الإسلام (ثم يرد إلى ربه) في الآخرة (فيعذبه) فيها (عذابا نكرا) أي شديدا وهو عذاب النار (وأما من آمن) بسبب دعوتي (وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) قرأ حزقيا والكسائي وحفص عن عاصم بنصب جزاء أي فله الجنة في الآخرة من جهة الجزاء وقرأ الباقون برفعها ولاضافة أي فله في الدارين جزاء الفعلة الحسنى التي هي الإيمان والعمل الصالح (وستقول له) أي لمن آمن (من) أمرنا يسرا) أي قولنا سهلا ثم أمرنا به من الكرامة والخراج وغيرهما ولا تأمره بالصعب الشاق (ثم أتبع سببا) أي ثم أخذ ذو القرنين طريقا نحو المشرق من جهة الجنوب (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) أي موضع طلوعها من معبودة الأرض (وجدناها) أي الشمس (تطلع على قوم) هم الزنج (لم نجعل

لهم من دونها) أى الشمس (سترا) من اللباس فيكونون عراة أبداً فإذا طلعت الشمس دخلوا الأسراب
 أو البحر فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معاشهم (كذلك) أى أمر ذى القرنين فيهم كأمره فى أهل المغرب
 لحكم فى أهل المطلع كما حكم فى أهل المغرب من تعذيب الظالمين والاحسان إلى المؤمنين (وقد أحطنا بما
 لديه خبراً) أى وقد علمنا بما كان عند ذى القرنين من الحسب (ثم أتبع سيباً) أى ثم سلك ذوا القرنين
 طريقاً معترضاً بين المشرق والمغرب أخذاً نحو الروم من الجنوب إلى الشمال (حتى إذا بلغ بين السدين)
 أى بين الجبلين العالمين الأملسين فلا يستطيع الصعود عليهما فى آخر بلاد الترك عما إلى المشرق
 ويسمى كل منهما سداً لأنه سد حاج الأرض (وجد من دونهما) أى من وراءهما مجاوزاً عنهما (قوماً
 لا يكادون يفقهون قولاً) أى أمة من الناس لا يقربون يفهمون قول غيرهم لقلة فطنتهم وفى قراءة حمزة
 والسكسائي ضم الياء وسكون الفاء وكسر القاف أى لا يفهمون الناس كلامهم لغرابة لغتهم وهم من أولاد
 يافث وذوا القرنين من أولاد سام قال أهل التاريخ أولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث أما سام
 فهو أبو العرب والعجم والروم وأما حام فهو أبو الحبشة والنوبة وأما يافث فهو أبو الترك والخزر
 والصقالية ويأجوج ومأجوج (قالوا) لذى القرنين بواسطة ترجمان عن هو مجاورهم ويفهم
 كلامهم أو بغير ترجمان على أن فهم ذى القرنين كلامهم وأفهام كلامه أيهم من جملة ما أعطاه الله
 تعالى من الأسباب (يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض) أى فى أرضنا يا كلون
 كل شئ أخضر ويحملون كل شئ يابس ويقفون أولادنا وهى يأجوج ومأجوج لكثرة هم وروى
 حمزة حديثاً مرفوعاً أن يأجوج أمة ومأجوج أمة فكل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الواحد منهم حتى
 ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حملوا السلاح وهم من ولد آدم يسرون إلى خراب الدنيا وهم ثلاثة
 أصناف صنف منهم أمثال شجر الصنوبر طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنف منهم طوله وعرضه
 سواء عشرون ومائة ذراع وهو لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يغترش أحدهم إحدى أذنيه
 ويلتصق بالآخرى لا يمر من بغيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم
 بالشام وساقهم بمغراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية (فهل نجعل لك خراجاً) وفى قراءة حمزة
 والسكسائي بفتح الراء مع مده والباقيين بسكون الراء ف قيل الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما
 كان على البلد وقيل الخرج ما كان بالتبرع والخراج ما يلزم أدائه (على أن تجعل بيننا وبينهم
 أى يأجوج ومأجوج (سداً) أى حاجزاً بين هذين الجبلين فلا يصلون إلينا (قال) ذوا القرنين
 (ما مكنى فيه ربى خير) أى ما جعلنى فيهرب قادراً من المال الكثير والملك الواسع وسائر الأسباب
 خير مما تعرضون على من الجعل فلا حاجة بى إليه وقرأ ابن كثير مكنى بفتح الهمزة (فأعينونى
 بقوة) أى بالأتاديين وبصناع يحسنون البناء والعمل (أجعل بينكم وبينهم ردماً)
 أى حاجزاً حصيناً وبرزخاً متيناً وهو أكبر من السد وأوثق (أتوفى زبر الحديد) بعد الهمزة أى أعطونى
 قطع الحديد الكبيرة وقرأ حمزة أثونى بوصل الهمزة فى الموضعين وواقفه أبو بكر هنا وقاله فى الموضع
 الثانى والمعنى جيتونى بزبر الحديد فزبر على قراءة همزة الوصل منصوبة على اسقاط الخافض وحذف
 ذوا القرنين الأساس حتى بلغ الماء موجد الأساس من الصخر والحجاس المذاب والبنيان من زبر الحديد
 بينها الخطب والنقم حتى سدما بين الجبلين إلى أعلاهما وكان طوله مائة فرسخ (حتى إذا ساءى بين
 الصدفين) أى بين طرفى الجبلين بالبناء أى أنهم جاؤا إذا القرنين بزبر الحديد فشرع يبنى شيئاً حتى

اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا لهما في السهل وكان ارتفاعهما اثني ذراع وعرضه خمسين
 ذراعاً ووضع المنافع والنار حول ذلك (قال) للعملة (انفقوا) بالكيران في الحديد المبني فنفخوا (حتى
 اذا جعله ناراً) أي اذا جعل الحديد مثل النار (قال) للذين يتولون أمر النحاس من الاذابة ونفخواها
 (أتوني) أي اعطوني نحاساً مذبأ (أفرغ عليه قطراً) أي أصب على الحديد الحمى نحاساً مذبأ باقاً فرغه
 عليه فدخل مكان الخطب والغم فامتزج بالحديد والتصق ببعضه ببعض وصار جبلاً صلباً وهذه كرامة
 عظيمة حيث صرف الله تأثير الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين والمفرغين للقطر (فاستطاعوا)
 بمذق ناء بعد السين أي فلم يقدر يا جوج وما جوج (أن يظهر وه) أي أن يهواظهر الجبل لارتفاعه
 وملاسته (وما استطاعوا له تقبلاً) أي خر قامن أسفله لصلابته وثخنه لانه كان خمسين ذراعاً وكان
 ارتفاعه مائتي ذراع وكان طول السد على وجه الأرض مائة فرسخ ومسيرة الفرمخ ساعة ونصف فتكون
 مسيرة السد مائة وخمسين ساعة مسيرة اثني عشر يوماً ونصفاً (قال) أي ذو القرنين لمن عنده (هذا)
 السد (رحمة) أي نعمة عظيمة (من رب) على جميع الخلق (فاذا جاء وعد رب) أي وقت وعد رب
 بخروج يا جوج وما جوج (جعله) أي هذا السد (دكاه) بالدأ أي أرضاً مستوية وقرى دكا أي مكسورة
 حتى يصير تراباً (وكان وعد رب) بخروجهم وقت قرب الساعة (حقاً) أي صدقاً (وتركنا بعضهم
 يومئذ يوج في بعض) أي صيرنا بعض يا جوج وما جوج يوم خروجهم من السد يختلط ببعضهم الآخرون
 شدة الازدحام عند خروجهم لكثرتهم وذلك عقب موت الدجال فينحاز عيسى بالمؤمنين إلى جبل الطور
 فراراً منهم روى انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من
 الناس ولا يقدر أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ولا يصلون إلى من تحصن منهم يوردوا وذكروا
 ويحبس في الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لا حدهم خيراً من مائة دينار فيمتوجهون إلى الله
 تعالى بالدعاء فيسلط الله تعالى دوداً في أنوفهم أو آذانهم فيموتون به ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى
 الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه رجمهم ونبتم فيتموجه نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى
 فيرسل سبحانه وتعالى عليهم طيراً فتلقهم في البحر ثم يرسل مطراً يغسل الأرض حتى تصير كالمرآة ثم يقال
 للأرض انبتي غرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقعها ويبارك في الغنم
 والابل حتى أن القمعة لتسكن في الجماعة الكثيرة فيبينماهم ~~كذلك~~ كذلك اذبعث الله تعالى عليهم رجلاً طيبة
 فتأخذهم تحت أباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر
 فعليهم تقوم الساعة (ونفخ في الصور) نفخة ثانية للبعث (لجمعناهم) أي يا جوج وما جوج وغيرهم
 (جمعاً) أي جمعاً عجيباً بعدما تفرقت أوصالهم وتزقت أجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء (وعرضنا
 جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) أي أظهرنا هاهم مع قرهم منها يوم اذ جمعنا الخلائق كافة اظهرا هاتلاً
 فذلك يجري مجرى عقابهم لحصول الغم العظيم بسبب رؤيتهم وسماعها تنغيظاً وزفيراً (الذين كانت أعينهم)
 أي أعين قلوبهم وهم في الدنيا (في غطاء) أي غشاوة كثيفة (عن ذكرى) على وجه يليق بشأن
 وعن كتابي فلا يهتدون به (وكلوا لا يستطيعون سمعاً) إلى قراءة القرآن فلا يؤمنون به (أحسب
 الذين كفروا) أي كفروا بي مع جلالة شأنى فظنوا (أن يتخذوا عبادى من دونى) من الملائكة
 وعيسى وعزير (أولياء) أي معبودين ينصرونهم من عذاب والمعنى أظنوا انهم يتنفعون بمن عبدوه
 من عبادى مع اعراضهم عن تدبر الآيات النعمية والمجاهدة فقرأ أبو بكر الحسب الذين كفروا بسكون

السين ورفع الباء وذكر أنه قراءة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أي أفكافهم اتخاذهم ذلك من دون
طاعتي (أنا أعدنا جهنم للكافرين نزلا) أي منزلا (قل هل ننبتكم بالآخرين أهالا) في الآخرة
(الذين ضل سعيهم) أي بطل عملهم (في الحياة الدنيا) متعلق بسعيهم لا بضل وذلك كالعتق والوقف
واغاثة الملهوف لأن الكفر لا تنفع معه طاعة (وهم يحسبون) أي والحال أنهم يظنون (أنهم يحسنون
صنعا) أي يحسنون في أعمالهم بالاتباع على الوجه اللائق ويحسبون أنهم ينتفعون بأعمالهم
المراد بهم أهل الكباين وقيل الرهبانية الذين يحسبون أنفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات
الشاقة وجلة وهم يحسبون حال من فاعل ضل وهو أولى من كونها حالاً من المضاف إليه (أولئك الذين
كفروا بأياتهم) أي بدلائله الداعية إلى توحيدهم عقلاً ونقلاً (ولقائه) أي وكفروا بالبعث بعد
الموت وبرؤيته تعالى في الآخرة (لخبطت أفعالهم) أي بطلت لأنكارهم الدلائل (فلانقيم لهم يوم
القيامة وزناً) أي فلانجعل لمن خبطت أفعالهم حبوطة كليا يوم القيامة قدرا بل يزدري بهم فليس لهم عندنا
قيمة أصلا ولا يوزن من خيراتهم قدر ذرة (ذلك جزاؤهم) أي ذلك الذي ذكرناه من أنواع الوعيد هو
جزاؤهم (جهنم) عطف ببيان للغير (بما كفروا واتخذوا آياتي) الدالة على وحدانيتي (ورسلي) المؤيدين
بالمعجزات (هزوا) أي مهزوا بهما (ان الذين آمنوا) بآياتهم ولقائه (وعملوا الصالحات) من الأعمال
(كانت لهم) فيما سبق من حكم الله تعالى ووعد (جنات الفردوس نزلا) أي منزلا خير كانت ولهم
متعلق بمحذوف حال من نزلا (حالين فيها لا يغيغونها حولا) أي لا يظلمون تحولا إلى غيرها وهذا يدل
على غاية الكمال فلا مزيد عليها في خيرات الجنة حتى يريد أشياء غيرها فإن الإنسان في الدنيا إذا وصل
إلى أي درجة كانت من السعادات فهو طامع الطرف إلى ما هو أعلى منها وعن كعب أنه قال ليس في
الجنات أعلى من الجنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها وفيها الأنهار
الأربعة فإذا سألتهم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإن فوقه عرش الرحمن ومنه تفرغ أنهار الجنة (قل لو كان
الجبر مداد الكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى) أي قل يا أشرف الخلق لو كان ماء البحر
مداداً للكلمات لعلم ربى وحكمته لنفد ماء البحر مع كثرة في كتابها ولم يبق منه شيء لتناهيها من غير أن
تنفذ كلمات ربى لعدم تناسها وقرأ حمزة والكسائي بنفد بالياء التحتية (ولو جئنا بمثل ما
البصر (مددا) أي زيادة لنفد البحر ولم تنفذ كلمات ربى وقبل هنا بمعنى غير أو بمعنى دون وروى
أن حبي بن أخطب قال في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ثم تفرقون وما أوتيتهم من العلم إلا
قليلاً فنزلت هذه الآية أي أن ذلك الحكمة خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله ثم أمر الله تعالى سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم بأن يسلك طريقة التواضع فقال (قل) لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى
(أنما أنا بشر مثلكم) لا أدعي الإحاطة بكلماته تعالى التامة (يوحى إلى) من تلك الكلمات (أنما الهكم
إله واحد) لا شريك له في الخلق ولا في سائر أحكام الألوهية وأنما تعزيت عنكم ذلك الوحي (فمن كان
يرجو لقاء ربه) أي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى (فليعمل) لتحصيل تلك الطلبة العزيرة (مهما
صالحا) لا تقابل تلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أشركا
جليا كما فعله الذين كفروا بآياتهم ولقائه ولا أشركا كخفيا كما يفعله أهل الرياء روى أن جندب بن
زهر العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتى لأهل العمل لله فإذا أطلع عليه سرين فقال صلى الله

عليه وسلم ان الله لا يقبل ما شور لك فيه فتزلت هذه الآية تصديقاً له وروى أنه صلى الله عليه وسلم
قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية فالرواية الأولى محمولة على ما إذا قصد بعمله
الرياء والسفهة والرواية الثانية محمولة على ما إذا قصد أن يقتدى به
والمقام الأول مقام المبتدئين والمقام الثاني مقام
الكاملين والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله
ومحبته أجمعين
آمين

﴿تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني أوله سورة مريم﴾

فهرست الجزء الاول من تفسير القرآن المجيد المسمى بجراح لبيد للشيخ محمد نورى

صفحة	صفحة
سورة الفاتحة ٢	سورة يونس ٣٤٤
سورة البقرة ٣	سورة هود ٣٦٠
سورة آل عمران ٧٧	سورة يوسف ٣٧٧
سورة النساء ١٢٨	سورة الرعد ٤٠٠
سورة المائدة ١٧٧	سورة ابراهيم ٤١٠
سورة الانعام ٢١٨	سورة الحجر ٤١٨
سورة الاعراف ٥٢٩	سورة النحل ٤٢٦
سورة الانفال ٣٠٠	سورة الاسراء ٤٤٧
سورة التوبة ٣١٤	سورة الكهف ٤٦٧



To: www.al-mostafa.com